

1438 هـ - 2016 م

تفريغ سلسلة

الجهاد هو الحل

للشيخ/ أبي مصعب السوري

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

سلسلة

الجهاد هو الحل (لماذا؟ لماذا؟! وكيف؟)

للشيخ/ أبي مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)

مُؤسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

الفهرس

مقدمة التفريغ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، فهذا تفريغ **للدورة الصوتية القيّمة (الجهاد هو الحل؛ لماذا؟ لماذا؟! وكيف؟)** للشيخ أبي مصعب السوري -رحمه الله حيًا كان أو ميتًا-.

وقد انتهجنا سياستنا السابقة في تفريغ مواد الشيخ؛ أي التصرف اليسير بالتفريغ وعدم الالتزام بالتفريغ الحرفي دون أن نعطي لأنفسنا حق إضافة معنى لم يقله الشيخ أو حذف معنى قاله، وذلك بغية جعل الكلام أوضح ما يكون وأقرب ما يكون لأسلوب الكتابة، وذلك بعد الحذف الذي يُشار إليه بالعلامة (..) أو إضافة كلمة أو جملة ويشار لهذا بالتلوين باللون الرصاصي، أو إعادة صياغة جملة أو عبارة، مع الميل لنقل الآيات والأحاديث والنقولات والأسماء والتواريخ بنصوصها. وقمنا بإضافة عناوين جانبية وتحقيق بسيط للآيات والأحاديث.

ومن المعلوم أن الشيخ قد صاغ هذه الدورة وأخواتها في كتابه (دعوة المقاومة الإسلامية العالمية)، ولكن يبقى لتفريغ هذه الدورة كثير من الفوائد:

- يمكن اعتبار التفريغ اختصارًا للكتاب؛ فهو أقل من خمس الكتاب.
- إعطاء المستمع فرصة ليتصفَّح المادة المسموعة ليقرر ما يريد سماعه.
- والأمر الآخر التوثيق وتوفير إمكانية دراسة تطور أفكار الشيخ للدَّارسين والمهتمين.
- وكذلك إنفاذ وصية هذا الشيخ الذي أفنى حياته في الجهاد -كما نحسبه ولا نزكي على الله أحدًا-؛ حيث أوصى بتفريغ كلماته ودوراته وجمعها مع باقي إنتاجه.

ونسأل الله أن يرزقنا الإخلاص وأن يبارك في هذا العمل..

مقدمة مركز الغرباء:

*[1] بسم الله الرحمن الرحيم، يسرُّ مركز (الغرباء) للدراسات الإسلامية والإعلام أن يقدم لكم هذه المادة، للشيخ: أبي مصعب السوري؛ عمر عبد الحكيم، وهي بعنوان: (**الجهاد هو الحل؛ لماذا؟ وكيف؟**).

وهي تتألف من واحد وعشرين شريطًا[2].

والآن مع الشريط الأول:

مقدمة الدورة (التعريف بمنهج الغرباء)

الشيخ:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وقائدنا النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه وسلم.

{رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آَمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآَمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ}[3]. {رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي}[4]. اللهم أعطنا ولا تحرمنا وكن معنا معنا ولا تكن علينا، وآثرنا ولا تؤثر علينا. وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أولًا أهلًا بكم في معسكرنا معسكر (الغرباء)، في أسبوع (الندوة الفكرية السياسية الشرعية)، وهو أول لقاء نعقده في هذا المعسكر، بتاريخ: يوم الأحد، ٨/ جمادى الأولى/ ١٤٢٠هـ، والموافق لـ ١٨/ سبتمبر/ ١٩٩٩م.

نستغل هذا الوقت من الهدوء الذي تلا المعارك التي تمَّت في الشهر الماضي، ونسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يتقبل منا ومنكم جميعًا، لنحاول أن نُعيد الثغور إلى أساس صِفتها وهي أنها خارج أوقات القتال –وهي قليلة– كانت جامعات للعلم وللاستفادة من الوقت.

---

[1] بداية تفريغ الملف الأول.

[2] وقد قسم الشريط إلى ملفين، لتصبح الدورة من ٤١ ملفًا.

[3] سورة آل عمران، الآية: ١٩٣.

[4] سورة طه، الآيات: (٢٥– ٢٨).

فنحاول أن نستدرك على هذا الخطأ الذي حدث في أوقات الجهاد وضياع هذه الأمة بدون فائدة. فكما رأيتم على مرّ السنوات التي حصل فيها قتال هنا، سواء أيام الجهاد أو في هذه الأوقات، وقت القتال قصير وقليل، ولو جمعته في السنة يخرج معك بالساعات أو بالأيام أو بالكثير -وهذا نادر- بالأشهر. وباقي الوقت هو في الأصل للاستفادة، كما قال الرسول ﷺ: (نعمتان مغبون بهما كثير من الناس؛ الصحة والفراغ)[٥]؛ الفراغ من نِعم الله -عز وجل- التي أضاعها كثير من الناس.

سنحاول -إن شاء الله- في هذا المعسكر أن نُلقي هذه الطريقة؛ فإذا كان هناك قتال نقاتل ضمن إمكانياتنا -إن شاء الله تعالى-، وإذا لم يكن هناك قتال فالوقت أثمن من أن يضيع بلا فائدة!

سنحاول -إن شاء الله تعالى- مع الجهد والوقت ضمن تيسير الإمكانيات التي يفتحها علينا الله -سبحانه وتعالى-؛ أن يكون هذا المعسكر جامعة أو أكاديمية أو معهدًا لتدريس العلوم الشرعية والسياسية والعسكرية والإدارية والتنظيمية، ومعظم ما نعتقد أنه يلزم المجاهد في هذا الزمن.

فربما يسأل سائل عن سبب تسمية هذا المعسكر: (معسكر الغرباء)، وأريد للإجابة على هذا السؤال كمقدمة وللتعريف بمنهجنا في طريقة التَّفكير ومن نحن وماذا نريد؛ أن أستعير بعض النُّصوص القليلة من رسالة لابن قيم الجوزية شرح فيها رسالة لأحد أئمة خراسان، وبالمناسبة هو من (هِرات)، الإمام أبو إسماعيل الأنصاري الهَرَويّ، من أحفاد أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه-، وكان من علماء خراسان، ومن علماء هراة، وولد في سنة ٣٩٦هـ، فعاش في آخر القرن الرابع. ثم شرح الرسالة الإمام ابن القيم[٦].

سنستعير بعض النصوص التي تلزمنا، جاء في [ص٥٤] بعض الأحاديث المهمة لهذا الجيل الغريب في هذا الزمان: "**قال ﷺ: (بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يُصلحون إذا فسد الناس)**[٧]."

وهذا الحديث له روايات كثيرة جاءت في هذه الرسالة:

---

[٥] صحيح البخاري (٦٤١٢).

[٦] المقصود رسالة (منازل السائرين) للهروي التي شرحها ابن القيم في كتابه (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

[٧] ذكر ابن القيم هذه الأحاديث في كتابه (مدارك السالكين) بسندها وذلك تحت فصل (حقيقة الغربة) ٢/١٨٤.

"**قال ﷺ فيما يرويه ابن مسعود: (إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء. قيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: النُّزَّاع من القبائل)**".

أي أنهم ليسوا أبناء قبيلة واحدة مخصوصة بعينها، بل كل واحد منهم نزع نفسه من قبيلته لأنه اختلف معهم على الحق والباطل، وناء بنفسه عن أهل الباطل ليكون مع أهل الحق. فنُزِعَ هذا من قطر ونُزِع هذا من الشام ونُزِع هذا من تركستان، مثل الوجوه التي تحضر في هذه الدورة، يعني أمم متحدة من كل الدنيا، فهذا هو وصف (نزَّاع من القبائل)؛ أنهم ليسوا أبناء جنسية واحدة.

وهذا من المفاهيم التي سنُرسيها في هذا المعهد، وسنحاول أن نُصلح ما تراكم من الرَّان على عقول وقلوب المسلمين من المفاهيم القومية والانتماء إلى الجنس والقوم، هذا سيكون -إن شاء الله- لنا معه وقفة وتفصيل، لنعود إلى مفهوم الأمة، {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً}[8]، {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخوَةٌ}[9].

مفهوم أن البشر، الناس، الجن والإنس هم جنسيتان فقط: مسلم وكافر؛ فالإنس مسلم وكافر، والجن مسلم وكافر، فقط.

فينزع الإنسان نفسه من الجنس الكافر، من الجنس الضَّال، من الجنس الذي زاغ عن الهدى والصواب، ويجعل نفسه مع أهل الحق، فسُمّي: (نزاع من القبائل).

وفي رواية أخرى للحديث: "**عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: (إن أحب شيء إلى الله الغرباء)، قيل ومن الغرباء؟ قال: (الفرَّارون بدينهم، يجتمعون بعيسى ابن مريم إلى يوم القيامة)**".

أي أنَّ الناس نزعوا نفسهم من قبائلهم وفرُّوا بدينهم؛ لأنهم لا يقدرون أن يطبقّوا دينهم بين أقوامهم ففرّوا بدينهم؛ (الفرَّارون بدينهم).

"**وفي رواية: (بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذي يُحيون سنتي ويعلّمونها الناس)**".

---

[8] سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

[9] سورة الحجرات، الآية : ٩.

هذه كلها صفات للغرباء: فرَّارون بدينهم، نزَّاع من القبائل، أنهم يُحيون سنة الرسول ﷺ.

بدأت الرسالة بقول ابن القيم يصف حالة الغرباء: "**فأهل الإسلام في الناس غرباء**"؛ أهل الأرض ستة مليار وأهل الإسلام الذين على دين الإسلام ويشهدون أن لا إله إلا الله هم غرباء في باقي الناس، قليلون.

"**والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء**"؛ من أهل (لا إله إلا الله) الذي يُمسك على دينه ويؤمن حق الإيمان يعيش غربة بين المسلمين. وهذا عشتموه والحمد لله وعشناه جميعًا.

ثم: "**وأهل العلم في المؤمنين غرباء**"؛ غربة بين الناس ثم غربة بين أهل الإسلام ثم غربة بين أهل الإيمان نتيجة العلم؛ لأن الإنسان حين يؤتيه الله -سبحانه وتعالى- لونًا من ألوان العلم الشرعي، أو العلم في واقع الناس، أو العلم في أي باب، فلما يكون في قوم هم جاهلون بهذا العلم يصبح هو الغريب، هو الذي لا يفهم عليه الناس.

فهذه مراتب الغربة التي ذكرها هنا. يقول: "**فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْغُرَبَاءُ الْمَمْدُوحُونَ الْمَغْبُوطُونَ، وَلِقِلَّتِهِمْ فِي النَّاسِ جِدًّا سُمُّوا غُرَبَاءَ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الصِّفَاتِ، فَأَهْلُ الْإِسْلَامِ فِي النَّاسِ غُرَبَاءُ، وَالْمُؤْمِنُونَ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ غُرَبَاءُ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْمُؤْمِنِينَ غُرَبَاءُ.**".

ثم ينتقل في [صفحة ٧٢] في حديث طويل يبين صفات هذه الغربة، فيقول:
"**وَلِهَذَا جُعِلَ لِلْمُسْلِمِ الصَّادِقِ فِي هَذَا الْوَقْتِ إِذَا تَمَسَّكَ بِدِينِهِ: أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}[١٠]، فَقَالَ: (بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ)**"؛ فهذا الأصل، عليك أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ولا تترك الناس وتقول: عليَّ بنفسي، وإذا هلك الناس فليهلكوا!.

"**(حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا)**"؛ أي حتى إذا بلغ من فساد الناس أن رأيت البخل، والناس أمسكت وأطاعت أنفسها بالبخل، **(وَهَوًى مُتَّبَعًا)** على غير هدي الكتاب والسنة، **(وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً)**؛ أي أن الناس تُقدِّم مصالح الدنيا على قوانين الدين. **(وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكِ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ)**؛ أي يصبح الفساد من الحجم الذي لا تستطيع فيه حيلة فلك رخصة إذا بلغ الحال هكذا فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام.

[١٠] سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

فهذا الحديث مشهور في بلادنا، أشهره الصوفية وأشهره القاعدون وكل من يريد أن يعتزل العمل والجهاد، أن الرسول ﷺ قال: (فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكِ)، ولكن تمام الحديث ليس كما فهمه الناس وقطعوه من نصفه، ففيه حضٌّ على العمل، وفيه حض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال: "(فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ)"؛ يعني إذا بلغ الفساد هكذا فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام، ولكن إذا اخترت العمل رغم هذا الفساد وما أخذت بهذه الرخصة، فعند ذلك لك أجر خمسين! فسأل: "(قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟)"؛ أي الواحد الذي في هذا الزمان له أجر خمسين واحدًا ممن يعمل في هذا الزمان؟ "(قَالَ: أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ)"؛ يعني من الصحابة.

وفي روايات أخرى عن الحديث تتحدث عن صفات المؤمنين في آخر الزمان، قال: (الذين آمنوا بي ولم يروني)، قال: (إيمان أحدهم بخمسين، وشهيد أحدهم بخمسين) وفسَّر لما استغرب الصحابة -رضي الله عنهم- قال: (إنكم تجدون على الحق أعوانًا ولا يجدون على الحق أعوانًا)؛ السبب أن واحدًا من الصحابة عنده من القبيلة ومن السَّند ومن أهل الغيرة ومن أهل النخوة ومن أهل الإيمان مما يجد منهم -رغم الضعف والشدائد- على الحق أعوانًا. في حين يأتي زمان كالذي نشهده الآن لا يجد الإنسان على الحق أعوانًا، فالأجر على قدر المشقَّة فجُعل أجره بخمسين وإيمانه بخمسين، وشهادته بخمسين من عمل الصحابة. هذا في الأجر وليس في فضل الصحبة التي لا يبلغها أحد إلا أصحاب رسول الله ﷺ.

في [صفحة ٧٥ أيضًا]، يشرح ابن القيم يقول:

"وَهَذَا الْأَجْرُ الْعَظِيمُ إِنَّمَا هُوَ لِغُرْبَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ بَيْنَ ظُلُمَاتِ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ.
فَإِذَا أَرَادَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي قَدْ رَزَقَهُ اللَّهُ بَصِيرَةً فِي دِينِهِ، وَفِقْهًا فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ، وَفَهْمًا فِي كِتَابِهِ، وَأَرَاهُ مَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ وَتَنَكُّبِهِمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْلُكَ هَذَا الصِّرَاطَ فَلْيُوَطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى قَدْحِ الْجُهَّالِ".

لماذا جُعل أجره كبيرًا؟ لأن جهده كبير، فهو يجهّزه ويهيّئه لأن يوطّن نفسه على قدح الجُهَّال، أي على ذمهم؛ لأنك على الحق يذمونك، يقولون لك: أنت أعوج، والناس هم العوج! لكن إذا كان كل الطريق أعوجًا فأي خط مستقيم سيبدو أعوجًا نسبة لانحراف كل الخطوط حوله!

يقول: "**فَلْيُوَطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى قَدْحِ الْجُهَّالِ وَأَهْلِ الْبِدَعِ فِيهِ، وَطَعْنِهِمْ عَلَيْهِ، وَإِزْرَائِهِمْ بِهِ وَتَنْفِيرِ النَّاسِ عَنْهُ وَتَحْذِيرِهِمْ مِنْهُ، كَمَا كَانَ سَلَفُهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ يَفْعَلُونَ مَعَ مَتْبُوعِهِ وَإِمَامِهِ ﷺ**"؛ كما فُعل هذا مع الرسول ﷺ ونُفّر الناس عنه فكل تابع للرسول ﷺ سيُقدح به ويُنفَّر عنه كما حصل مع إمامه ﷺ.

وبهذا المعنى للإمام ابن تيمية يشرح قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}[١١]، قال: أن من ابتلاء الأنبياء -والابتلاء كما تعلمون على قدر الصلاح؛ الأنبياء فالأدنى- أن يُدفع إلى الفتنة شياطين الإنس والجن، فيوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا.

قال: "فهذا وعدٌ لكل نبي ولكل تابع نبيٍّ بقدر اتّباعه"؛ يعني الرسول ﷺ قيل فيه ساحر ومجنون حتى بلغ أن يُطعن في عرضه في حياته وفي أحب النساء إليه على الملأ، ويخرج إلى المنبر يتشكَّى من هذا، انظر إلى العناء! فهذا درس لنا ولكل تابع للرسول ﷺ أنه سيُبتلى بمثل هذا لأنه تبع هذا الرسول فيُبتلى بمثل بلائه.

قال: "**فَهُنَالِكَ تَقُومُ قِيَامَتُهُمْ وَيَبْغُونَ لَهُ الْغَوَائِلَ وَيَنْصِبُونَ لَهُ الْحَبَائِلَ وَيَجْلِبُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلِ كَبِيرِهِمْ وَرَجْلِهِ. فَهُوَ غَرِيبٌ فِي دِينِهِ لِفَسَادِ أَدْيَانِهِمْ، غَرِيبٌ فِي تَمَسُّكِهِ بِالسُّنَّةِ لِتَمَسُّكِهِمْ بِالْبِدَعِ، غَرِيبٌ فِي اعْتِقَادِهِ لِفَسَادِ عَقَائِدِهِمْ، غَرِيبٌ فِي صِلَاتِهِ لِسُوءِ صِلَاتِهِمْ، غَرِيبٌ فِي طَرِيقِهِ لِضَلَالِ وَفَسَادِ طُرُقِهِمْ، غَرِيبٌ فِي نِسْبَتِهِ لِمُخَالَفَةِ نَسَبِهِمْ، غَرِيبٌ فِي مُعَاشَرَتِهِ لَهُمْ ؛ لِأَنَّهُ يُعَاشِرُهُمْ عَلَى مَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ.**".

انظر هذا الكاتب كتب هذه الرسالة في آخر القرن الرابع! يظن هو أنه قد بلغ آخر الزمان من الفساد، وأنَّ أهل الحق أصبحوا قلائل ليس لهم صاحب!

---

[١١] سورة الأنعام، الآية ١١٢.

فتجد في كتب السلف مثل هذا، تجد أن الإمام أحمد علَّق: "فكيف لو كان بزماننا"!، أنا قرأت في كتاب (الاعتصام) يصف الفساد في القرن الثالث أو الرابع، فالذي يُعلّق في القرن الخامس قال: "فكيف لو أدرك زماننا!"[١٢]، فتصور هذا في القرن الثالث والرابع فما بالك نحن في القرن الرابع عشر!

هو يظن أنه نهاية العالم، وبين الأقواس يقول: "كما في هذ الزمان"!

قال: "**فَهُنَالِكَ تَقُومُ قِيَامَتُهُمْ وَيَبْغُونَ لَهُ الْغَوَائِلَ وَيَنْصِبُونَ لَهُ الْحَبَائِلَ وَيَجْلِبُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلِ كَبِيرِهِمْ وَرِجْلِهِ. فَهُوَ غَرِيبٌ فِي دِينِهِ لِفَسَادِ أَدْيَانِهِمْ، غَرِيبٌ فِي تَمَسُّكِهِ بِالسُّنَّةِ لِتَمَسُّكِهِمْ بِالْبِدَعِ، غَرِيبٌ فِي اعْتِقَادِهِ لِفَسَادِ عَقَائِدِهِمْ، غَرِيبٌ فِي صَلَاتِهِ لِسُوءِ صَلَاتِهِمْ، غَرِيبٌ فِي طَرِيقِهِ لِضَلَالِ وَفَسَادِ طُرُقِهِمْ، غَرِيبٌ فِي نِسْبَتِهِ لِمُخَالَفَةِ نَسَبِهِمْ، غَرِيبٌ فِي مُعَاشَرَتِهِ لَهُمْ ؛ لِأَنَّهُ يُعَاشِرُهُمْ عَلَى مَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ**.".

هذا كله من أنواع غربة من يتمسَّك بالحق، فما بالك بالزمان الذي بلغنا!

يقول: "**وَبِالْجُمْلَةِ: فَهُوَ غَرِيبٌ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ لَا يَجِدُ مِنَ الْعَامَّةِ مُسَاعِدًا وَلَا مُعِينًا فَهُوَ عَالِمٌ بَيْنَ جُهَّالٍ، صَاحِبُ سُنَّةٍ بَيْنَ أَهْلِ بِدَعٍ، دَاعٍ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ بَيْنَ دُعَاةٍ إِلَى الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، آمِرٌ بِالْمَعْرُوفِ نَاهٍ عَنِ الْمُنْكَرِ بَيْنَ قَوْمٍ الْمَعْرُوفُ لَدَيْهِمْ مُنْكَرٌ وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفٌ**.".

هذا الإمام الهروي الذي كتب هذا ضُرب عدة مرات في هرات، ونُفي من بلده، وكل مرة ينتهي نفيه يعود ويتابع نفس القضية، حتى قال هنا في تعريفه: "قال ابن طاهر: سمعت الإمام أبا إسماعيل الأنصاري في هرات يقول: عُرِضتُ على السيف خمس مرات -أي للقتل-، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك ولكن يقال لي: اسكت عمَّن خالفك، فأقول: لا أسكت"، لم يطلب أحد منه ترك الحق، قالوا له: ابقَ على الحق وحدك، لكن لا تُندِّد في طرق الآخرين وتدعوهم إلى طريق آخر صحيح، يُهدَّد بالقتل ليس لأجل ترك مذهبه ولكن لأجل أن يسكت عن المناهج العوجاء، فيقول: لا أسكت!

قال ابن القيم في [ص٨٦] من هذه الرسالة القيمة:

---

[١٢] جاء في (الاعتصام) للشاطبي: "فقد رُوي عن السلف الصالح من التنبيه على ذلك كثير: كما روي عن أبي الدرداء أنه قال: لو خرج رسول الله ﷺ عليكم ما عرف شيئًا مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة. قال الأوزاعي: فكيف لو كان اليوم؟ قال عيسى بن يونس: فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان؟".

"**قَالَ: الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: غُرْبَةُ الْحَالِ؛ وَهَذَا مِنَ الْغُرَبَاءِ الَّذِينَ طُوبَى لَهُمْ، وَهُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ فِي زَمَانٍ فَاسِدٍ بَيْنَ قَوْمٍ فَاسِدِينَ، أَوْ عَالِمٌ بَيْنَ قَوْمٍ جَاهِلِينَ، أَوْ صِدِّيقٌ بَيْنَ قَوْمٍ مُنَافِقِينَ**"؛ يعني إما أنه مؤمن بين ضُلَّال، أو عالم بين جُهَّال أو صالح بين مُرائين ومنافقين.

يقول: "**يُرِيدُ بِالْحَالِ هَاهُنَا: الْوَصْفَ الَّذِي قَامَ بِهِ مِنَ الدِّينِ وَالتَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ، وَلَا يُرِيدُ بِهِ الْحَالَ الِاصْطِلَاحِيَّ عِنْدَ الْقَوْمِ**"؛ يعني بعض الصوفيين الذين حملوا الغربة على معانٍ غير صحيحة.

يقول بالمختصر: "**صَاحِبَ صَلَاحٍ وَدِينٍ بَيْنَ قَوْمٍ فَاسِدِينَ، وَصَاحِبَ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ بَيْنَ قَوْمٍ جُهَّالٍ، وَصَاحِبَ صِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ بَيْنَ أَهْلِ كَذِبٍ وَنِفَاقٍ**".

نكتفي بهذا القدر من هذه الصفحات، وأقول: كما تلاحظون الآن أهل الإسلام من يصلي من آبائنا وأمهاتنا وإخواننا غرباء في باقي العائلة التي لا تصلي. ثم أنت بتمسُّكِكَ ببعض المعالم الإيمانية -سواء انتميت لأي حركة إسلامية- تكون غريبًا في أسرتك؛ هم يصلون ويصومون ولكن أنت ترى في التلفاز الاختلاط والفساد في نفس العائلة التي تصلي، فتعيش غربة لأنك تنتمي إلى جيل الصحوة الإسلامية، إلى أي حركة إسلامية.

ثم تأتي في الحركة الإسلامية تقول لهم: نريد أن نجاهد، فتقوم الحركة الإسلامية التي هي غريبة في المجتمع وتتهمك بالغربة؛ لأنك تريد أن تُجاهد وتجلب البلاء، فأصبحت غريبًا ضمن النخبة.

ثم لما تأتي لتجاهد وتقول للناس: أنتم تجاهدون بشكل خاطئ، هذا ضياع للوقت أو ضياع للمفاهيم، فتصبح غريبًا بين المجاهدين. فتتنقل من غربة إلى غربة إلى غربة.

فهذه المعاني حتى يتشجع الإنسان ولا ييأس، وحتى يشعر بعظمة الانتماء إلى دين الغرباء وبشائر الرسول ﷺ. طالما أنه مقتنع أنه على صواب يجب عليه أن يتحمَّل، وأن يدعو إلى الله -سبحانه وتعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة، مع من هم أهل الهدى، ثم يدعو الآخرين بما يناسبهم من السيف والقتال.

فلذلك كما تلاحظون هو حالنا والحمد لله في هذه الأمة، ومما لفت نظري ما ذكرته عن الإمام مؤلف الرسالة من قضية السكوت عن أهل الباطل، لأنه في كثير من الأحيان عندما يعجز معك أهل الباطل يقولوا لك: "اترك الحق"، فيراك لم تتركه، فيقول لك: "ابقَ في الحق بنفسك، وأعرض عن نقد مذاهبنا".

ولذلك قال الإمام أحمد أن من يعلم وكان رأسًا في الدين لا تجوز له التقية، وقال في محنته: "إذا تكلم الجاهل والعالم يسكت تُقيةً فمتى يُعرف الحق؟!"، فما أجاز التُّقية والسُّكوت لمن يعرف الحق.

ولذلك قاطع بعض علماء عصره ومنهم أئمة أجلاء مثل ابن معين من أئمة أهل الحديث، هو توارى في الفتنة ولم يأخذ بالعزيمة ولم يبيِّن للناس، فكان الإمام أحمد لا يسلّم عليه بعد الفتنة، فجَهِد أن يُسلّم عليه ويصطلح معه فلم يُسلِّم عليه، فحاول أن يُرقّق قلبه وجاء يُسلِّم عليه وقت الوفاة والإمام أحمد يحتضر -رحمه الله-، فجاء ينتهز الفرصة لعله يصطلح معه ويسلم عليه، فأدار وجهه ولم يردَّ عليه السلام، فقال: يا إمام أما قال الله تعالى: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}[13]؟ فأشاح بوجهه وما أجابه، فخرج يحيى بن معين يبكي من الأسى، فالتفت الإمام أحمد للناس وقال: "يقول لي: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ}، ولم يُضرب في الله سوطًا واحدًا!"، فكيف أُكره؟!

لذلك هذه المعاني يجب عبر المحاضرات والدروس -إن شاء الله- أن نُحييها في نفس من يجاهد نفسه ليكون من الغرباء.

وخاصة في زمن الدَّجل والزَّيغ والزَّعامات المزيفة والأسماء الكبيرة والحركات والأضواء التي تُسلَّط: (هذا من كبار العلماء)، و(هذا من كبار الدعاة)، ولو جئت تحقِّق في هذه الدَّعاوى معظم ما تجده من هؤلاء الناس يدور تحت ما يسمَّى: (دعاة على أبواب جهنم)، الأسماء الكبيرة والمؤتمرات، وهذا ضمن ما يُنسب إلى الحق، فما بالك بما يُنسب إلى الباطل علنًا أصلًا!

ولذلك لكل هذه المعاني أسمينا هذا المعسكر (معسكر الغرباء) لنأخذ بمجموعة من الأوامر والعزائم، أوامر هي في القرآن يقول الله -سبحانه وتعالى-: {وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا}[14]؛ أنت مدعوٌّ لتشهد على كل ما حولك، مأمور من الله -سبحانه وتعالى- أن تشهد على هؤلاء الحكام، أن تشهد على هؤلاء الطواغيت، أن تشهد على هؤلاء العلماء المنافقين، أن تشهد على هذه الحركات المنحرفة. فضلًا أن تشهد على النظام الدَّولي وعلى الضلال والقهر الذي نعيشه في هذه الدنيا.

---

[13] سورة النحل، الآية: ١٠٦.

[14] سورة البقرة، الآية ٢٨٣.

وفي هذا آيات كثيرة، ومن السنة نصوص كثيرة، يقول الرسول ﷺ: (واشهدوا على المحسن أنه محسن، وعلى المسيء أنه مسيء)[15]، وهذا ضمن الوسط الذي أنت فيه.

ومن أسباب لعنة بني إسرائيل كما تعلمون في الآية المشهورة: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ}، ماذا كان السبب؟ {كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ}[16]، هناك خطأ وهذا يستحيي وهذا يخاف وهذا لا يريد أن يتكلم، فكان سببًا من أسباب لعنتهم؛ لأنهم داخليًا وهم أهل الإيمان في ذلك الزمان لم يتناهوا عن المنكر ويأتمروا بالمعروف فيما بينهم.

ونُنهي هذه المقدمة بحديث للرسول ﷺ قال: (لا ينبغي لامرئ شهد مقامًا فيه مقال حَقٍّ إِلَّا تَكَلَّمَ بِهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يقَدِّمَ أجله، ولن يَحْرِمه رزقًا هو له)[17]؛ يعني موقف لله فيه حكم وهو يعرفه فحق عليه أن يقوله، فإنه لن يقصّر أجله ولن يحرمه رزقًا هو له. ولو تأتي في كل مراتب النِّفاق والمنافقين والضَّلال والضَّالين تجد أن وراءها سببان؛ فالإنسان يكفر أو يضل أو يصبح مخبرًا أو منافقًا أو من أهل الرَّذائل لسببين رئيسيين: إما يُريد أن يُطيل عمره، أو يريد أن يزيد رزقه.

هو يظن أنه إذا قال الحق سيقصر أجله فيذهب للباطل، أو أنه سيقلّ راتبه، أو سيخسر وظيفته، أو يريد أن يزيده فيذهب للباطل، فقال الرسول ﷺ لا تفعل هذا فالقضية محسومة: (فإنه لن يقصّر أجله ولن يحرمه رزقًا هو له).

وفي الحديث الجامع المشهور: (يُجمع خلق أحدكم في بطن أمه..)[18] وفيه أنّه يأتيه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيها أجله ورزقه؛ حتى يعلم الإنسان أن قضية الأجل المحتوم كُتبت وهو في رحم أمه، لن يزيده إذا نافقت ولن يقصره إذا جاهدت ولن يزيده إذا دخلت القصر، ورأيتم التجربة الأخيرة التي حصلت معنا وفيها عجائب وغرائب! مات الذي عليه أن يموت، وعاش الذي سيعيش، قُتل أخ في الطَّرف الآخر من جهة الرَّمي، الرصاصة عبرت أربعة أو خمسة إخوة وجاءت عنده.

---

[15] المعجم الأوسط للطبراني (٦٩٨٨)،

[16] سورة المائدة، الآية ٧٨.

[17] أخرجه الغزالي في إحياء علوم الدين ط دار المعرفة–بيروت ٣٠٩\٢، جاء في (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين) (٢٠٣٣)، " قال العراقي: رواه البيهقي من حديث ابن عباس بسند الحديث الذي قبله وروى الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد لا يمنعن رجلاً هيبته للناس أن يقول الحق إذا علمه اهـ.

[18] (يُجْمَعُ خلقُ أحدِكم في بطنِ أمِّهِ أربعِينَ يومًا ثُمَّ يكونُ علقةً مثلَ ذلك ثُمَّ يكونُ مُضْغَةً مثلَ ذلِكَ، ثُمَّ يَبْعثُ اللهُ إليهِ المَلَكَ فيُؤْمَرُ بأربعِ كلماتٍ فيقولُ اكتبْ عملَهُ وأجلَهُ ورزقَهُ وشقيٌّ أَمْ سعيدٌ، فوالذِي نفسِي بيدِهِ إنَّ أحدَكم لَيَعْمَلُ بعملِ أهلِ الجَنَّةِ حتَّى ما يكونُ بينَهُ وبينَها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليهِ الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ النَّارِ فيدخلُها، وَإنَّ أحدَكم لَيعملُ بعملِ أهلِ النَّارِ حتَّى ما يكونُ بينَه وبينَها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليهِ الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ الجنَّةِ فيدخلُها).

والشواهد كثيرة جدًا في الحياة تدلّ أنّه قد جفَّ القلم عمَّا هو كائن، (فإنه لن يقصّر أجله ولن يحرمه رزقًا هو له)، هو رزق من الله مكتوب، ولذلك الرسول ﷺ قال: (إن الإنسان ليطلبه رزقه أكثر مما يطلبه أجله)، كما كان الشيخ كشك يقول: "يأتي ملك الموت يقول: يا ابن آدم طلبتُ لك نَفَسًا فوق الذي عندك فما وجدت"، فكما هي محدَّدة بهذا الضَّبط، فالرزق أيضًا محدَّد، فلا داعي للإنسان أن يسكت ويجامل ويخاف ويستحي، خاصة من ناس مثلكم ومثل الحركات الإسلامية التي وقفت في وجه طواغيت ومخابرات، وكل واحد منهم تجاوز من الأهوال ما تجاوز حتى يصل إلى ما هو فيه، فيجب أن يعزم على أن يكون من أهل الحق.

هذا كمقدمة لماذا سمينا هذا المعسكر بمعسكر الغرباء، ولنُعرِّف بالنَّهج الذي أخذنا على أنفسنا أن ننهجه -إن شاء الله تعالى-.

شرح عنوان الدورة ومراحل تطور أفكارها

أنتقل إلى الكورس، وهو تحت عنوان: (**الجهاد المسلَّح هو الحل، لماذا؟ لماذا؟! وكيف؟**).

سأحاول التوضيح الآن في المقدمة، وأنا أحب هذه الطريقة؛ أن الإنسان قبل أن يُقدم على وليمة يرى كل المائدة وما فيها، ويستوعب ما هو مدعوٌّ إليه، ثم بعد ذلك يبدأ يأخذ طبقًا وراء طبق.

وهذا -إن شاء الله- يمرُّ تحت عنوان: (**التربية المتكاملة**)؛ أن الإنسان المجاهد حتى يسير في هذا الطريق يحتاج إلى إعادة تربية في أربعة أبواب:

- إعادة تربية في **الأخلاق والسلوك والعبادة**؛ يعني الأخلاق مع الله -سبحانه وتعالى- وهي العبادة، ثم الأخلاق مع الناس والحركة وهي العبادة الأخرى.
- **العلم الشرعي** بقضايا الجهاد وما تعبَّدنا به الله -سبحانه وتعالى- من العبادات.
- **فهم السياسة وفقه الواقع**؛ ليفهم ما يدور من حوله، حتى لا يكون كما يقولون: "مثل الأطرش في الزَّفة"!
- **الإعداد العسكري**.
- **مباشرة دفع الصائل** من خلال الإعداد.

فهذا سنشرحه -إن شاء الله تعالى-، وهذا الكورس مخصَّص لتنمية المعارف في الموضوع الثالث، **وهو فقه الواقع والفهم السياسي**.

والشيخ عيسى -إن شاء الله- جزاه الله خيرًا سيُعطي محاضرات تحت البند الثاني وهو العلم الشرعي. ومن بقي معنا وإذا قام هذا المشروع كما نأمل سنُكمل باقي الأمور؛ قضايا الأخلاق والسلوك ثم قضايا التدريب العسكري.

فحتى نفهم شيئًا مما يدور حولنا سنعمل هذا الكورس. وهذا الكورس هو موضوع كتاب أنا أفكر فيه من عدة سنوات، وكنت اخترت له عنوان: (**واقع المسلمين؛ الأزمة والمخرج**)، ثم غيرته إلى هذا العنوان حتى يكون معبرًا عمَّا أريد.

فهناك مشكلة؛ المسلمون واقعون في مشكلة، الجماعات الجهادية واقعة في مشكلة، ونحن في مشكلة، هذا كل الناس تراه، والناس تبحث عن حلول. فأحببت أن يعرف المرء من العنوان ماذا نريد نحن في النهاية وماذا سنقول؛ أن هذه المشكلة لها **حلٌّ واحد هو الجهاد**، وأسميته الجهاد المسلَّح حتى لا يأتي واحد يقول لي جهاد النفس والجهاد بالكلمة والجهاد بالتربية.

الجهاد المسلَّح تحديدًا هو الحل لمشاكل المسلمين كأمة، ولمشاكل الصحوة كصحوة، ولمشاكل الجهاديين، ولمشكلة كل واحد منا في ذاته، حتى يتخلَّص من مشاكله عليه بالجهاد المسلَّح.

أما (**لماذا؟**) الأولى: فلماذا اخترنا هذا الحل مع أن هناك حلولًا كثيرة مطروحة؟ هناك أسباب شرعية وواقعية وسياسية سنذكرها.

(**لماذا؟!**) الأخرى؛ لماذا أخذ قسم من الناس بهذا الحل لمدة أربعين سنة وجاهدوا ثم فشلوا، وهذا ما آلت إليه الحركات الجهادية والصَّحوة الجهادية، عمومًا كل المشاريع وصلت من حيث تحقيق الهدف والنتيجة إلى الفشل، ولا نتكلَّم عن الإخلاص والقبول والأجر، عند الله -سبحانه وتعالى- لا يضيع شيء، ولكن من حيث النتيجة، جاهدنا فلماذا فشلنا؟

الجزء الثالث (**كيف؟**)؛ أي كيف نجاهد ولا نفشل؟ مجموعة من النَّصائح والتَّصورات والنَّظريات مُستخلصة من خلال هذا المسار حسب ما هدانا الله -سبحانه وتعالى- إليه، كيف نجاهد؛ نأخذ بالحل الأول ثم نتجاوز مشاكل المرحلة الثانية، ثم نجاهد بطريقة لا نفشل بها -إن شاء الله سبحانه وتعالى-.

فمن المقدمة أريد أن أقول لكم كيف نشأت هذه الأفكار حتى تعيشوها معي وتفهموها بصورة أوضح:

نحن قدمنا إلى أفغانستان مع الجيل الذي قدِم هنا في شهر ٧ سنة ١٩٨٧، ومعظم ما سمّي الأفغان العرب جاؤوا في هذه الفترة، الأغلب جاء في نهاية سنة ١٩٨٦ ثم الجمع بدأ يتضاعف في سنة ١٩٨٧م وبدأ يبلغ مرحلة الآلاف.

فأصبحت بيشاور وخطوط القتال والتَّواجد في أفغانستان جامعة بكل معنى الكلمة لكل الصحوة الإسلامية، كل طيف الصحوة الإسلامية تواجد في بيشاور وأفغانستان؛ إخوان مسلمون، تبليغ، دعوة، تحرير، جماعات جهادية،

جماعة الجهاد المصرية، من فلسطين، من الأردن، من سوريا، كل الجماعات التي في العالم جاءت، إما جاءت لتشارك في الجهاد أو جاءت مستغلَّة الظَّرف ومستفيدة حتى تطوّر إمكاناتها. فبالمختصر أصبحت جامعة.

فعندما تتلاقى الأفكار وتتلاقى التَّيارات والمدارس يحصل نوع من المخاض؛ الحق يريد أن يُثبت نفسه، والخطأ يريد أن يطمس الحق، حتى ضمن أهل الحق هناك صحيح وخطأ؛ لأن هذه من قضايا الرأي والحرب والمكيدة، وتدخل النوايا، وتدخل الأهواء، ويدخل الشيطان، فيصبح هناك صراع ضمن أهل الحق.

فتمازجت هذه الأفكار وتصارعت من ١٩٨٧ إلى ١٩٩٢ تقريبًا. **في نهاية ١٩٩٠ حصل زلزال**، لا أقول في الحركة الجهادية أو الإسلامية بل زلزال على مستوى المسلمين قاطبة، وعلى مستوى التاريخ قاطبة، **حيث بدأت الحملة الصليبية الثالثة ونزل اليهود والنصارى جزيرة العرب**.

فنتيجة هذا النزول أخذت الأمة الإسلامية ضربة شديدة في رأسها فلم تصحُ، والضربة الأخرى **أن هذه الحملة كشفت عن هُزال المسلمين**، فلم يبدر منهم أي مقاومة لهذه الحملة! حصلت حملات صليبية من قبل وقاومها الناس؛ الحملات الصليبية الأولى في القرن الحادي عشر قاومها الناس، دخل الروس فقام الإمام شامل، ودخلوا فلسطين فقام عز الدين القسام، فكانت هناك بوادر حياة في كل المناطق؛ عبد الكريم الخطابي، عمر المختار، إلخ من التاريخ الذي تعرفونه وتجهلونه.

فدخل اليهود والنصارى إلى عقر دار الإسلام، فتحركوا ورقدوا وأخذوا النفط، وأحضروا بناتنا للترفيه عن جنودهم، ومصائب سمعتم عنها في الأخبار، شيء يشيب له الولدان، والأمة ساكنة، وكأن شيئًا لم يحصل!

فكشف الحال عن هزال عجيب جدًا في الأمة.

الأمر الآخر في الصدمة: **كشف الحال أن الهيكل الديني لأهل السنة أهزل من الأمة، بل هو سبب هزال الأمة**، علماء المسلمين قاطبة لم يتكلَّم منهم أحد، الشجاع البطل كان في مرتبة الشيطان الأخرس ولم يتكلَّم، والذي تكلَّم تقاسمه معسكران:

دعا الملك فهد بن عبد العزيز إلى (مؤتمر مكة)، فكانت الدعوة موجهة إلى ٤١٢ عالمًا، فكان عدد الحضور ٣٩٨، يعني نسبة الحضور ٩٥ بالمائة! فحضر كل الهيكل الديني لأهل السنة، كل ما يخطر على بالك من أسماء؛ هيئة كبار

العلماء كلها وأتباعهم من طلبة العلم، مشيخة الأزهر كلها –بالعشرات–، كل من يدعى (مفتي دولة) من اليمن والمغرب إلخ، علماء الإخوان المسلمين كالقرضاوي والغزالي والغنوشي، أبو الحسن الندوي –عليه رحمة الله–، قادة الحركات، الكل حضر!

طبعًا نزلوا من الطائرات واستقبلوهم على البساط الأحمر ونقلوهم إلى قصر الرئاسة، واجتمعوا. بماذا خرجوا؟

خرجوا بأن احتلال الحرمين جائز لأنه استنصار بالدول الصديقة –اليهود والنصارى– من قِبل دولة التوحيد الوحيدة في العالم، وأُفتي رسميًا باحتلال الحرم بوجود اليهود والنصارى! ليس هذا فقط بل اعتبروهم مستأمنين لا يجوز العدوان عليهم.

ومهَّد هذا لما حصل في السنة التي بعدها في ١٩٩١م، ونحن كنا هنا، فجاء الزلزال الثاني وعُقد (مؤتمر مدريد) وطرُح التَّطبيع، واصطُلح مع اليهود على القدس التي ضاعت قبل ستين سنة، بحيث يُصبح صكًا لاحتلاله بصوره شرعية!

فذهب كبار العلماء من ابن باز وغيره وقالوا: "هذا كلام مشروع وصحيح". فبِيع الحرم كله وبِيعت القدس. هذا الزلزال عشناه ونحن هنا في الجبهات، وكل الحركة الإسلامية موجودة.

وطبعًا الذي نجا من مؤتمر مكة ذهب لـ(مؤتمر بغداد)، جمعهم صدام حسين وقال هؤلاء الذين ذهبوا عند فهد هم منافقو البترودولار، وهذا خطأ. طيب ما الصحّ الذي عندكم؟ قالوا: "قائد الأمة الآن صدام حسين، ولا بد من الجهاد"، وكتبوا على العلم (الله أكبر). فصار الزنديق التلميذ الأول لميشيل عفلق، سفاح المسلمين هو المَخرج!.

فالذي نجا من هذه المصيبة وقع في تلك. فكُشف هزال الأمة، والمصيبة الأكبر أن الهيكل الديني لأهل السنة وهم أهل العلم، كما قال الرسول ﷺ: (صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَ النَّاسُ: السُّلْطَانُ، وَالْعُلَمَاءُ)[١٩]؛ فالحمد لله كفر الأمراء ونافق العلماء، فماذا تفعل الأمة؟!

ومن شذَّ عن هذه القاعدة تجدهم أسماءً نادرة؛ د. عمر عبد الرحمن، الشيخ عبد الله عزام، سفر وسلمان، أسماء لو تجهد في عدِّها لا تتجاوز الكفّ، وهذه الأسماء ماذا حصل معها؟ كلها إما أُسر أو قُتل؛ قُتل الشيخ عبد الله –رحمة الله عليه–، وقُتل الشيخ تميم من قبله، أُسر الشيخ عمر، أُسر سلمان وسفر ودخلوا في السجون. ماذا فعلت الأمة؟ لا

[١٩] انظر (جامع بيان العلم وفضله) لابن عبد البر (١١٠٨).

شيء! تلاميذهم من طلبة العلم كل واحد منهم ذهب لزوجته وأولاده، وفي وقت فراغه يأتينا للمسجد ليعطينا دروسًا عن صمود أحمد بن حنبل وجهاد عبد الله بن المبارك!

نحن كنا هنا في الجبهات وعشنا حالة من الزلزال، وكل فترة يأتينا المشايخ الذين كنا نسميهم (مشايخ الكونتينانتال)، حتى مرة من المرات كنت في سيارة الشيخ عبد الله -رحمة الله عليه- فقلت له: "إلى أين أنت ذاهب؟"، قال: "إلى الكونتينانتال أسحب واحدًا من العلماء إلى المعسكر!"، هكذا يأتي الواحد منهم وينزل في الكونتينانتال ثلاثة أو أربعة أيام، ثم يأتي إلى معسكرات الحدود، والشجاع منهم من يعبر إلى الجبهة ويرى بعض المجاهدين، ثم يرجع إلى المعسكر ويُلقي علينا قصيدة:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا　　　لعلمت أنك في العبادة تلعبُ

ثم يرجع يلبس بدلته ويرجع إلى الكونتينانتال ويرحل. ويكتب في مذكراته عن غزوة خراسان التي قام بها!

هذا كان حال الأمة والأزمات والمصائب.

ماذا كان حال الصحوات الإسلامية؟

كبار قادة الصحوة برُمَّتها وما تفرَّع عنها حضروا المؤتمرات، كبار شيوخ الإخوان؛ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة -رحمة الله عليه- وهو مسؤول الإخوان المسلمين في ذلك الوقت أخرج فتوى إجبارية؛ قال لهم: "لا تُحرجوني بهذا الأمر"، فاستدعاه نايف بن عبد العزيز وقال له: "تفتي بكذا وإلا عندنا ١٥٠٠ أسرة من المهاجرين الفارّين من حافظ أسد، أستلم منك الفتوى صباحًا وإلا أُرسل كل هذه الأسر صباحًا إلى دمشق!"، فقام بإخراج فتوى نشرتها (الشرق الأوسط)، أن هذا الاستنصار الذي قامت به دولة التوحيد الوحيدة هو استنصار مشروع، ونحن مع دولة التوحيد في خندق واحد ضد أي عدو لهم.

نأتي لحال الحركات الجهادية:

الحركات الجهادية كانت في بداية الدخول في الأزمة التي نعيشها في قمَّتها الآن؛ حالة من الحصار، من التفكُّك، من التِّيه الفكري والفوضى.

طُرحت مسائل عظيمة جدًا، خرج الشيخ الألباني يقول: "هذا الجهاد في فلسطين والانتفاضة ليس صحيحًا، وعلى المسلمين أن يهاجروا من دار الكفر عند اليهود إلى دار الإسلام عند الملك حسين"!

قام أبو بكر الجزائري يقول: "جلست أنا والشيخ ابن باز نقوم الليل وندعو الله للمؤتمرين في مدريد أن يُوفقهم الله للسلام"، في قضية التطبيع!.

من المؤتمرون في مدريد؟ شامير وبيريز عن اليهود، حنا عشراوي عن فلسطين، كامل أبو جابر نصراني أردني كان رئيس وزراء، فاروق الشرع نُصيري سوري، وعمرو موسى المرتد المصري. هؤلاء الذين اجتمعوا يهود ونصارى ومرتدون، فجلس شيخ الإسلام وصاحبه يدعوان في قيام الليل أن يوفقهم الله للسلام!

وهذه الأخبار كانت تنزل علينا كل يوم مثل المطر ونحن في بيشاور، نفتح الراديو أو نمسك الجريدة، كل يوم عشرات الأخبار وعشرات الفتاوى، سيل من المصائب!

ودُعي للمؤتمر كل قادة الجهاد الأفغاني السبعة، فحضر ستة وتغيَّب حكمتيار، وهذه تُذكر له على ما فيه من الشر، وجلس سيَّاف وخطب، وفي النهاية كتب بيان مؤتمر مكة أربعة أشخاص: الإمام ابن باز، وسوار الذهب من السودان، وعبد الله نصيف أمير الرابطة ومسؤول حوار الأديان ومسؤول مجلس الشورى الإسلامية بالتَّعيين من قِبل فهد شيخ الإخوان المسلمين وإمام الحركة الإسلامية في الحجاز، ومعهم شخص آخر ليس معروفًا اسمه بهيج ملا حويش من قيادات الإخوان المسلمين في سوريا وأبوه نصيري.

فجلسوا وكتبوا البيان الختامي في إباحة احتلال الحرم. ثم عُرض فيديو للإمام ابن باز في التلفزيون وأنا شاهدته يقول: "الحمد لله أن الدول الإسلامية الصديقة تواطأت لنصرة الشريعة، وحتى الدولة الصديقة غير الإسلامية الصديقة جاءت لنصرة الشريعة"! (...).

ففي تلك الفترة بدأنا مجموعة من الناس القدماء في التيار نفكر: ما الذي جرى؟! حركة إسلامية لسبعين سنة، ثلاثون منها جهاد مسلَّح، ثم وصلت إلى هذا الحال!.

فبدأت أرى أننا في نهاية مرحلة، وأن الأساليب والأفكار التي طرحناها ونعمل بها حقَّقت إنجازات كثيرة –هذا سنستعرضه–. ولكن دخلنا في سنة ١٩٩٠-١٩٩١ في بداية أزمة، وكنت أرى بوضح أننا أفلسنا.

وقلت لأخي أبي خالد: "أقول لك كلامًا أظن لو أقوله الآن سيأخذونني لمستشفى المجانين، أريد أن أقول لكل التنظيمات الجهادية الموجودة أن معكم سنتين أو ثلاثة ثم سنعلن الإفلاس جميعًا". هذه الأساليب المطروحة، وهذه الأساليب في التدريب، هذه الأساليب في الإعلام، وهذه الأساليب في الاتصالات، أساليب بالية ومتخلّفة، من أناس مخلصين جدًا وتريد التضحية، لكن القضية تحتاج انقلابًا، تحتاج من العقلاء في هذا التيار أن يجلسوا ويقولوا نحن طبقنا هذه الطرق من العمل ووصلنا إلى هذه النتيجة، فتحتاج إلى إعادة التفكير.

ماذا أقول لإنسان الآن في جيبه الملايين، كل الجماعات الإسلامية هنا نزل عليها سيل من المال، أقل جماعة لديها معسكران أو ثلاثة، أقل معسكر فيه المئات، ثم تأتي أنت تقول لهم: "هذا العمل كله لن يوصل لنتيجة!"، سيقولون لك: "أنت مُثبِّط".

فعند ذلك يجب أن تأخذ أفكارك وتجلس على جنب وتنتظر حتى تقع المصيبة، فتأتي تقول لهم: "يا جماعة وقعت مصيبة، وهذه المصيبة حلها هكذا". فأضعنا سبعة سنوات، وكان يمكن أن نتلافى الكثير من الأمور في ذلك الوقت ولكن لم نستطع.
خرجت أنا وواحد من الناس في الهجمة الأمنية سنة ١٩٩٢ التي حصلت قبل أو بعد فتح كابل بقليل، فتناولنا الشتَّات الذي حصل في الحركة، فأنا خرجت إلى إسبانيا وذهبت إلى لندن، واستنصر بنا الإخوة الجزائريون فمددنا لهم يد العون ودخلنا في القضية الجزائرية لسنتين.

فخلاصة الذي حصل: إذا كنا قد أخذنا ضربة بمائة كيلو في أفغانستان فقد أخذنا ضربة بألف كيلو في الجزائر، الذي حصل في الجزائر حقيقة نصر من قِبل النظام الدولي اليهودي الصليبي علينا.

فوجدت أن العِلَّة فينا هي نفس العلة، صحيح أن هناك أسبابًا خارجية، ولكن طريقتنا في التفكير والعمل، طريقتنا في التدريب، طريقتنا في الفتوى، طريقتنا في الاتصالات، فعند ذلك قلت: يكفي، وعملنا ما يشبه الصالون الصغير في لندن لأصحاب التجارب في أحد أقبية لندن وجلسنا فقط نفكر لماذا حصل معنا هذا؟ لماذا حصل هذا معنا في الشام بعد ١٥ سنة ووصلنا إلى المصيبة التي حصلت؟ لماذا حصل معنا هذا في الجزائر؟ لماذا حصل معنا هذا في أفغانستان؟ لماذا حصل معنا هذا في ليبيا؟ لماذا حصل معنا هذا في المغرب؟ لماذا يحصل معنا هذا في كل مكان بعد سبعين سنة من الدعوة وثلاثين سنة من العمل المسلح؟!

فهذه الأفكار التي سأستعرضها معكم في هذا الكورس -إن شاء الله تعالى-، وبعد الكورس سأتفرَّغ لتفصيلها في الكتاب، وهي خلاصة البحث والتفكير. لبحث صميم المشكلة.

لماذا يجب أن نجاهد؟ من ناحية شرعية، ومن ناحية سياسية، فسواء أعجبك أو لم يعجبك فأنت مضَّطر لأن تجاهد. فهذا سنبيّنه.

وبعد ذلك لماذا قاتلنا أربعين سنة ثم خسرنا؟! خسرنا في كل المحاور، والانتصار الوحيد اليتيم الذين نحن الحركة العربية الإسلامية لا يد لنا فيه وهو (الطالبان)، هذا الانتصار اليتيم في المائة سنة الأخيرة، وهو هدية من الله -سبحانه وتعالى- لا يد لنا به، من رحمة الله -سبحانه وتعالى-، ربما لو وضعنا يدنا به من الأول ما صار!

الآن كيف نستخدم هذه الفتوحات؟ الله -سبحانه وتعالى- يُنزل البلاء ويُنزل معه العون، قال ﷺ: (**مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً..**)، هذه الأزمة التي نحن فيها هي داء، هي مرض حركيّ، مرض في التَّفكير، مرض في العمل، فهو داخل تحت القاعدة: (إلا وأنزل معه دواء)، لا بد من دواء له ولكن قال ﷺ: (عرفه من عرفه وجهله من جهله)[20].

فنحن سنحاول أن نستكشف هذا الدواء، ونركّبه بحيث نخرج بعلاج: كيف نقاتل ونصل إلى نتيجة؟

فهذه خلاصة البحث.

[20] مسند الإمام أحمد (٢٩٣٣)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

استعراض الفهرس

سأمر معكم على الفهرس:

- **شرح العنوان.**
- **الفصل الأول: واقع المسلمين اليوم**؛ واقع الأمة، واقع الصحوة، واقع المجاهدين.
- **الفصل الثاني: ما حكم الله في هذا الواقع؟** استعراض للأدلة الشرعية.
- **الفصل الثالث: مسار الصراع من قابيل إلى كلينتون.**

كان في الأرض أربعة أشخاص؛ قابيل وأبوه وأمه وأخوه، فضاقت عليه الأرض بأخيه {قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ}[21]، {فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآَخَرِ}[22]، واحد صالح فالآخر انزعج من كونه صالحًا.

*[23] فقابيل أول شيء عمله: قال لأخيه: (لأقتلنَّك)، ثم جاء الكفار على مدى صراعات الأنبياء: (لأقتلنّك) أو (لنخرجنَّكم من أرضنا)، ثم جاء القرآن يُثبت القضية: {لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ}[24]، هذا هو الحل الوحيد عنده إما أن يقتلك أو يسجنك أو يشرّدك، وقضية التشريد هذه رحمة والآن لم تعد واردة، الآن كلينتون لا يقبل بالتَّشريد ولا بالإخراج بل يقبل بالقتل فقط، نفس شعار قابيل من قبل.

فهذا المسار مسار تاريخي، وهو الجزء الأول من سلسلة البحث، كل الصِّراعات التي نعيشها الآن لها جذور تمتد إلى سيدنا نوح –عليه السلام–، شرعيًا وسياسيًا وعسكريًا، نفس المشكلة.

---

[21] سورة المائدة، الآية ٢٧.

[22] سورة المائدة، الآية ٢٧.

[23] بداية تفريغ الملف الثاني.

[24] سورة الأنفال، الآية ٣٠.

صراعنا الآن نفس صراع سيدنا موسى مع فرعون؛ نفس الأطراف: فرعون، سحرة وكهنة، علماء، بابا، ثم جماعة: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ}[25]؛ الأعوان والجيش والشرط والأمن الدولي. في الطرف الثاني سيدنا موسى ومعه قلة. والأمة تتفرَّج: {فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ}[26]، نفس الأطراف، نفس الصراع يتكرَّر بنفس الصورة.

فحتى تفهموا ماذا يحدث معنا الآن، وجدت أن هناك جهالة في كثير من الأمور اللازمة للمجاهد حتى يجاهد، منها ومن أهمها: **الجهالة بالتاريخ**. عنده جهالة بتاريخ نفسه؛ هو في تنظيم جهادي ولا يعرف من أين جاء هذا التنظيم، ولا يعرف ما هي المرحلة التي قبل هذا التنظيم.

فوجدت أنه يجب أن نستعرض محطات رئيسية من التاريخ لها علاقة بالصراع، من عند قابيل إلى حفيده كلينتون، وهو نفس الشعار: (لأقتلنك). فهذا استعراض تاريخي محض، سنستعرض فيه مسار الحضارة، قيام الدول، نشوء الممالك، قيام العالم القديم: الفرس والروم، بعد ذلك ذهاب الفرس ومجيء المسلمين، وصراعهم مع الروم، ثم انخذال العرب وقيام دولة أخرى للعجم، ثم قيام دولة بني عثمان، ثم صراع العثمانيين مع الروم، ثم الوصول للحرب العالمية الأولى، ما بين الحربين الأولى والثانية وتفرُّق العالم الإسلامي إلى هذه الأعلام المزركشة بعد أن كانت لونًا واحدًا. ثم تحرُّك بعض المسلمين جرَّاء هذه المصيبة، وقالوا لا بد أن نقوم بصحوة إسلامية، فنصل بذلك إلى الفصل الخامس: **مسار الصحوة**.

قبل ذلك سنأخذ من كل التاريخ –من قابيل إلى كلينتون– ثلاث محطات رئيسية يجب أن نقف معها، وهي **الحملات الصليبية الثلاث**، لأنها أصل كل الصراع.

- الحملات الصليبية الأولى.
- الحملات الصليبية الثانية.
- الحملات الصليبية الثالثة ١٩٩٠، ومجيء ثلاثة وثلاثون دولة بمليون جندي، كما بشَّر الرسول ﷺ في

---

[25] سورة طه، الآية ٧١.

[26] سورة الشعراء، الآية ٣٨.

أحاديث الفتن: (تنزل الروم جزيرة العرب، يأتونكم تحت ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفًا)[٢٧].

فهذه الحملات يجب أن نقف معها بالتفصيل حتى نرى كيف أسلمتنا حملة إلى حملة حتى وصلنا إلى هذا الحال.

هذا تاريخ، ومن جملة التاريخ العام في الصّراع سنقف مع تاريخنا الخاص، الذي هو **مسار الصحوة من ١٩٣٠م**، نشوء الحركة الإسلامية، كيف نشأت؟ وكيف تفرَّقت إلى تبليغ وسلفية وإخوان وتكفير وجهاد، وهذه المدارس الموجودة؟

فهذا الفصل الخامس: (**مسار الصحوة وبلوغها قعر الأزمة**).

نحن الآن في ١٩٩٩م في قعر الأزمة، الأزمة المادية، الفكرية، التَّنظيمية، الأمنية، أزمة في كل شيء. فالآن كثير من المخلصين يُعمِلون عقولهم في البحث عن مخرج من هذه الأزمة.

فهذا يُسلمنا إلى الفصل السادس: (**ما هي الحلول المطروحة للخروج من الأزمة؟**).

من هذه الحلول المطروحة حل الجهاديين، فخصَّصنا من كل التاريخ الكبير وأخذنا من كل الصحوة التيار الجهادي –الذي يهمُّنا–، ممكن في الأبحاث العامة أن ندرس المناهج الأخرى، لكن الآن ضمن الوقت والعدد المحدود سندرس مسار التيار الجهادي.

فالصحوة بدأت من ١٩٣٠ إلى الآن، لكن التيار الجهادي بدأ ١٩٦٠، وهو ميلاد سيد قطب –رحمة الله عليه– وأفكاره، والمودودي وأفكاره –رحمة الله عليه–، وأخذ فِقه ابن تيمية وإحياؤه وإعادة طباعة كتبه، إلى ١٩٩٩ قرابة الأربعين سنة، كل هذا تم في هذه الفترة.

الآن سنستعرض هذا التيار بإيجابياته والأمور الجيدة فيه، ومع ذلك فشل، فلا بد أن هناك شيئًا بجانب الإيجابيات وهو الأخطاء. هذه الأخطاء وأسباب الأزمة منها ما هو سبب خارجيّ، ليس خاصًا بنا، سبَّبته أمريكا أو سببه العلماء أو

---

[٢٧] لم أجده بهذا النص، وقد أخرج البخاري (٣١٧٦) عنه ﷺ: (..ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا). والظاهر أن الشيخ وهم، فالملحمة المذكورة في الحديث هي الملحمة التي تكون بعد خروج المهدي ويكون بعدها فتح القسطنطينية وروما كما جاءت الأحاديث بهذا.

إعراض الأمة. ولكن لا شك أن هناك أسبابًا متعلقة بنا؛ قصور منا نحن سبَّب هذه الأزمة. فسنستعرض هذه الأخطاء.

وأوَّل بوابات العلاج -وهذا بديهيّ- أن تشعر أنك مريض، فإذا شعرت أنك معافى مع أنك ترجف وحرارتك أربعون وكل الناس ترى أنك مريض ولكن أنت تقول: لست مريضًا؛ فابتداءً لن تأخذ الدواء، ويمكن أن ينتهي عمرك فجأة دون أن تشعر، وأنت تحسب أنك كنت صحيحًا!

فأول أسباب العلاج أن يشعر الإنسان ويعترف أنه مريض، بعد ذلك يذهب إلى الطبيب ليكشف عن حالته، يتمدَّد على السرير أمامه لينظر ما به، هذا التَّمدُّد يقتضي أن يضع يده على رأسه أو على بطنه أو قد يكشف عورته ويتفقَّده، فهنا لا حرج حتى يتعالج. فسوف نحاول أن نضع التيار الجهادي وأمراضه على سرير المريض ونشخِّص هذه الأشياء ما كان منها فوق العورة وتحت العورة، لأنه لا يمكن أن نتعافى إلا بهذه الطريقة.

بعد ذلك: (**مفاهيم يجب أن تُصحَّح**)، ننتقل بها إلى مرحلة الدواء، سنستخرج مجموعة حلول لهذه الأمراض، هذه الحلول تُسلمنا إلى طريقة جديدة نطرحها للعمل.

وهذه الطريقة من ميزاتها الأساسية أنها ليست طريقة لجماعة ولا حزب، وليست حكرًا على (معسكر الغرباء) وما جاوره، هذه الطريقة هي طريقة للعلاج والعافية، تصورنا من باب الرأي والحرب والمكيدة وما هدانا إليه الله -سبحانه وتعالى-، منها ما هدانا الله -سبحانه وتعالى- إليه بالتفكير الخاص، ومنها نتيجة المحاورة مع أصحاب الخبرة والتجارب تنضج فكرة وراء فكرة، فالإنسان يختزنها في الذاكرة أو يكتبها.

ومنها ما أخذناه من أفواه بعض الشباب العاديين جدًا، بعض الأحيان ترى شابًا بسيطًا جدًا يقول لك: يجب أن تعمل كذا لا كذا، ويذهب، هو لا يستطيع أن يأخذها ويكتبها ويجعلها نظرية، ولكن أجرى الله -سبحانه وتعالى- الحق على لسانه: {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ}[٢٨]، لا يهديهم باجتهادهم ولا بجهدهم، يهديهم ربهم بإيمانهم.

---

[٢٨] سورة يونس، الآية: ٩.

فأحيانًا تجد أن أحد الإخوة تكلم كلمة، فالمفكّر والكاتب الذي يبحث عن مشكلة يقوم بالتقاطها ويضعها في مكانها الصحيح في اللوحة.

فعلى مدى السنوات (١٩٩٠- ١٩٩٧)، ثم بصورة خاصة من (١٩٩٧- ١٩٩٨) فترة الاستغراق بالتفكير بعد الجزائر، ثم بصورة أخص بعد مجيئنا إلى أفغانستان من سنتين، وجلوسنا في جو صافٍ وهواء نقي وبعيد عن الضوضاء، تجلس فقط تفكر لوحدك، فصُغنا مجموعة الحلول بهذه النظرية.

هذه النظرية (دعوة) وليست حزبًا وليست جماعة، نريد أن نعطي هذه الوصفة لرجل من جماعة كذا أو من حزب كذا أو مجموعة كذا، ليأخذها ونأمل أنه في جماعته أو في المكان الذي سيعمل فيه بعد أن استيقظ مخه وصار يفكّر بشكل صحيح، فيدفع بعمله إلى مسار العافية في المجال الذي هو فيه، فهذا هو مجال الدعوة.

ولكن كل إنسان يتمنَّى ويريد مع شيء من الهمة والعزيمة أن تُطبَّق أفكاره ويراها تمشي على الأرض، فربما غيره لا يستطيع أن يقودها، لأنه يفهم فكرته أكثر من غيره، فلا بد أن يكون هناك مجال عام للدعوة، ومجال خاص للشخص يحاول أن يطبقّ فيه أفكاره هو ومن آمن معه بهذه الأفكار.

فالفصل الثامن هو لب الكتاب، طريقة جديدة تفرض نفسها، والتي سميتها: (**إحياء دعوة المقاومة الإسلامية العالمية)**؛ أن تقاوم الأمة بصورة عالمية، وليس حزبًا أو جماعة أو مجموعة تقاوم بصورة خاص.

مقاومة: لأننا نزل فينا بلاء، هذا البلاء يحتاج مقاومة.

إسلامية: لأن هذا من أمر ديننا وطبيعته.

عالمية: لأننا يجب أن نعود لمفهوم الأمة.

هذا العنوان ربما قرأه بعضكم قبلًا، تحت هذا العنوان نُشر منشور اسمه: (بيان من أجل قيام المقاومة الإسلامية العالمية)، بتاريخ ١٩٩٠. ثم عملت شريطًا بعنوان: (قراءة في بيان المقاومة الإسلامية العالمية) سنة ١٩٩٠، وشرحته في المعسكرات وفي مركز النور في بيشاور، وقلت في ذلك الشريط أن هذا المنشور نزل يدعو إلى طريقة لمقاومة هذا الصائل والبلاء الذي نزل فينا، وأنا وقع بيدي كما وقع بيد الآخرين فأريد أن أشرحه.

والبيان أنا كتبته، وكان من الضرورة ألّا أقول أنني الذي كتبته، نتيجة أسباب كثيرة أهمها أننا كنا ما زلنا ندخل ونخرج في أوروبا، وحالة الاكتساح الأمني في باكستان قائمة، فأحببت أن تُنشر الأفكار وتصل لأصحابها، وقمنا بعملية أمنية معقدة؛ كتبناه هنا وأرسلناه إلى أوروبا، ثم أرجعناه عبر البريد حتى تأخذه المخابرات الباكستانية عبر صناديق البريد فيتأكد عندهم أنه فكر وافد وليس من الساحة.

ثم بعد ذلك قمنا بتوزيعه على البيوت، فانتشر، ونُشر في بعض المجلات، وتحدَّثت عنه إذاعة (صوت أمريكا) بالعربية والإنجليزية بعد ثلاثة أيام؛ أن هناك فكرًا خطيرًا ودعوات معقَّدة للإرهاب بدأت تظهر بسبب هذه الحملات الصليبية.

فالمهم كتبته ونشرته سنة ١٩٩٠م، وفيه أساس الفكرة، وخلاصتها: إعادة المعركة إلى الأمة وعدم احتكار المعركة من قِبل بعض الجماعات الجهادية، بحيث تبادر الأمة إلى المقاومة، لأن الأمة مليونية بينما المجموعات عشرات وفي أحسن الحالات مئات!

فطرحنا هذه النظرية في سنة ١٩٩٠، وبقيت مخفيَّة إلى ساعتنا هذه.

هذه تقريبًا أول مرة أسجل شريطًا أقول فيه أنا كتبت هذه النظرية، لأنه لم يعد هناك أسباب للإخفاء؛ **أولًا** لأني شعرت أن أحد أسباب موت أي دعوة هو عدم وجود داعية يُخرج رأسه ويضرب على صدره ويقول: "أنا الداعية وهذه الدعوة"، ثم يقوم مجموعة من الناس يقولون: "نحن أنصار هذه الدعوة"، فعند ذلك يُقطع رأس صاحب الدعوة، ويُقتل نصف أنصار هذه الدعوة، فتأخذ الدعوة مجراها، كما قال سيد قطب –رحمة الله عليه– في كلام أدبي بديع جميل: " إن كلماتنا ستبقى ميتةً لا حراك فيها هامدةً أعراسًا من الشموع، فإذا متنا من أجلها انتفضت و عاشت بين الأحياء".

الشيخ عبد الله عزام قام بنفس القضية، بل كل المؤمنين والكافرين وكل أصحاب القضايا عملوا بنفس الطريقة؛ يقدّمون دعوة، هذه الدعوة مجسَّدة في معسكر، أو مجسَّدة في شخص أو في أعوان أو في شعراء وكتّاب أو في حركة. حسن البنا قام بحركة ثم قُتل حسن البنا، سيد قطب أقام حركة ثم قُتل سيد قطب، فهذا على مدار التاريخ بدءًا من الأنبياء وانتهاءً بالمؤمنين وتعريجًا على أي دعوة أخرى.

الأمر الآخر: ما كان من عذر لنا في تلك المرحلة من خوف وتخفٍّ وضرورات أمنية لم يعد موجودًا الآن، أولًا هم كشفونا عن آخرنا، فردًا فردًا، جماعة جماعة، وحصرونا وجئنا إلى هنا. الأمر الآخر: قامت دار إسلام، والآن تجلس في بيتك وتحت رأسك كلاشنكوف، وتركب في سيارتك معك كلاشينكوف، وتدخل المعسكر معك كلاشينكوف، فما عذر الواحد حتى لا يقول الحق، ويقول أنا أرى أن هذا الصواب؟! الله -سبحانه وتعالى- كفانا مؤونة الخوف - وإن كان ما زال بعضه قائمًا-، فيجب أن نتكلم.

ولذلك سوف أفصِّل الآن بهذه النظرية وأدعو إليها بصورة علنيَّة، وأحاول أن أضعها في رؤوس مجموعة من الناس يعملون معنا أو مع غيرنا ولكن يحملوها كدعوة، لنقل المعركة من النخبة إلى الأمة.

فهذا الفصل الثامن الذي هو لبُّ الكتاب. فالفكرة بدأت في ١٩٩٠ ونحن الآن ١٩٩٩، يعني قرابة عشرة سنوات وهي تتطوَّر، فطرأت عليها تحسينات كثيرة نتيجة التجارب؛ الجزائر، هذا الرجوع الذي أسميه (الأفغان العرب - الشوط الثاني).

فنحن الآن في الشوط الثاني وأنتم معنا، وفي الشوط الأول كنا هنا، ثم لما خرجنا من أفغانستان، مرة إلى السودان ومرة إلى اليمن، فبين الشوطين لعبنا في تلك الساحات وفي النهاية طردونا من كل تلك الساحات حتى وجدنا أنفسنا أمام الشوط الثاني هنا مرة أخرى وانضم لاعبون جُدد هم أنتم.

فيجب أن نشرح لكم كيف كان الشوط الأول وكيف خسرنا بمعدل (١٢-٠)!، وخسرنا ضربات الجزاء، والحمد لله أن هناك شوطًا ثانٍ، وممكن يكون هناك شوط ثالث ورابع، ونحوّلها إلى لعبة غولف بعدَّة أشواط!

فالآن نحن أمام الشوط الثاني، فحتى تفهموا ما حدث في الشوط الأول وكيف سنعمل في الشوط الثاني؛ الآن جمعنا اللاعبين، وصمَّمنا لوحة؛ هنا الدفاع وهنا الهجوم، وهنا حارس المرمى. ونسأل الله -سبحانه وتعالى- وهو الحكم في هذه اللعبة أن يفتح علينا.

فالشاهد في الموضوع أن هذا الفصل الثامن فيه أبواب:

- **الباب الأول**: **وهو نظرية المواجهات**؛ وهو أساس كل فكرة.

البارحة دعانا الإخوة لنجتمع من أجل كذا، قلت لهم عندي أربعة أسئلة: ابتداءً ما هي فكرة الاجتماع؟ (...)[٢٩].

فأول شيء مطلوب من أي تجمُّع أن يحدد **الهوية الفكرية للتجمُّع**؛ نحن مجتمعون على ماذا؟ ما هي الفكرة؟ هذه التي يسمونها في اللغات الأجنبية (الأيديولوجيا)، ونحن نسميها (المنهج والفكر). وأنا عندي محاضرة قديمة مهمة جدًا اسمها (مقومات التنظيم) مسجلَّة في ثلاثة أشرطة سنة ١٩٩٠، ذكرت أن من أهم وأول مقومات التنظيم هو المنهج، تنظيم بلا منهج ليس تنظيمًا، يمكن أن تسميه تجمُّعًا، عشيرة، فريق كرة قدم، ولكن إذا لم يكن له منهج فليس تنظيمًا.

بعد ذلك: لا بد أن تكون له **قيادة**؛ حتى الطيور في السماء والنمل في الجحور له قيادة!

الأمر الثالث: لا بد أن يكون له **مخطَّط**؛ كيف سينفذ عمله؟ يجب أن يكون هناك برنامج.

الأمر الرابع: **الأموال**؛ لا بد من تمويل لهذا المخطط.

فهو فكر ثم قيادة ثم مخطط ثم أموال، عند ذلك يقوم تجمُّع، هذا التجمع إذا قام يحتاج أن ينضبط الناس فتكون البيعة والسمع والطاعة والرابطة بينهم. والآن معظم الناس تتبايع وتترابط، وإما ليس لديهم فِكر، أو ليس لديهم قيادة أو مخطَّط أو أموال أو كله ولكنهم اجتمعوا فقط!

فالذي يهمني الآن أنني حين أدعو إلى النظرية؛ أن أول شيء يجب أن يتحدَّد هو: **نظرية المواجهة**، وشعارها عندنا: **(معركة أمة وليست صراعات نخبة)**، هذه الفلسفة مطروحة في النظرية لنُعيد فرضيَّة الجهاد إلى عوام أمة (لا إله إلا الله)، فيقوموا بدورهم، وليس لأجل أن نخصِّصها ببعض الموحِّدين أو السَّلفيين أو الحركة الإسلامية أو الأفغان، بل هو بلاء لأمة (لا إله إلا الله) فيجب أن تقوم به أمة (لا إله إلا الله).

فكيف نُعيد أمة (لا إله إلا الله) إلى هذه القضية؟ هذا أسميناه: فلسفة أو نظرية المواجهة.

- الباب الثاني: النظرية العسكرية للمواجهة.

[٢٩] انقطاع في التسجيل.

نحن ضمن الأربعين سنة واجهنا بأساليب عديدة جدًا، سليمان خاطر واجه بطريقته، والدقامسة واجه بطريقته، جمال جهاد واجه بطريقته، وعبد الله عزام واجه بطريقته، والأفغان والشيشان واجهوا بطريقة. هذه كلها أساليب عملنا بها، حصل فيها نجاح وفشل، فعندما ندرس أسباب النجاح والفشل نستطيع أن نُخرج نظرية صحيحة، أو بالأحرى أقرب إلى الصحة والصواب، مُستخلصة من التَّجربة.

طبعًا أنا خلُصت في هذه النظرية أن فكرة عمل المجموعات أصبحت بالية في هذه المرحلة، لا تمويلًا ولا تدريبًا ولا تسليحًا ولا اتصالات، فكرة التنظيمات هذه ما كان منها صواب الآن قد استُهلك، وكان جزء منها خطأ أصلًا.

ووصلت إلى نتيجة –تحتاج شرحًا حتى تقتنعوا بهذا الكلام– أن أسلوب العمل المُقبل هو: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا}[٣٠]، يجب أن نفتعل ونصطنع جبهات للصدام مع الكفرة، نحشد فيها الأمة، ونُجبر الأمة على الدخول بهذه الصراعات، ونجعل الدخول في خط المواجهة والقتال أمرًا واقعًا.

الأمر الثاني: المناطق التي لا يكون فيها جبهات ولا تصلح للجبهات، مثل تونس، الأردن، هناك شروط للجبهات، فهذه المناطق لا نتركها مكتوفة الأيدي بل يجب أن تدخل الأمة في حالة إرهاب جماعي، نحوّل الإرهاب إلى ظاهرة اجتماعية عادية يحسّ الإنسان أن عليه أن يؤديها من فترة إلى فترة، فنُدخل الأمة في حالة الإرهاب وندخل العدو في ظاهرة ليست فقط لمدة يومين أو ثلاثة أو عشرة.

فخلاصة النظرية العسكرية هي إحياء الجبهات وإحياء الإرهاب الجماعي.

- **الباب الثالث: النظرية التربوية.**

الناس الذين يأتون لهذا العمل والنخب التي ندعوها للعمل لا بد لها من منهج تتربَّى عليه، فمن خلال تجاربنا والنَّجاحات والقصورات التي مرَّت بنا استنبطنا نظرية متكاملة للتربية، أنه يجب للإنسان حين يعرف أنه يريد أن يجاهد أن يقود نفسه وأن يصوغ نفسه بمناهج، ونحن نوفّر له فقط (دسكات) وأشرطة فيديو، نريد مرشدًا أو مريدًا واحدًا عاش معنا وفهم المنهج ثم بُعث في مدينة القيروان –مثلًا– يدعو الناس للقضية.

---

[٣٠] **سورة الصف، الآية: ٤.**

هذه التربية المتكاملة اختصارًا تقوم على: الأخلاق والعبادة، والعلم الشرعي، والفهم السياسي، والإعداد العسكري، كل ذلك من خلال مباشرة دفع الصائل.

- **الباب الرابع: نظرية التمويل.**

الآن ندخل في نظرية التمويل؛ كيف تموَّل هذه الأعمال؟ كيف تموَّل الجبهات؟ كيف يموَّل الإرهاب؟

طوال المرحلة الماضية كان شعار المرحلة للجهاد: (لله يا محسنين)!، نظام المتسوّلين المجاهدين، نظام التسوّل الجماعي. أو نظام تمويل الدول لأن جهادنا يرضيها أو يمشي في سياقها، كما حصل في أفغانستان، وفي النهاية يقول لك: "أجهزة الاستخبارات شغَّلتنا ولما أردنا أن نعمل لحسابنا صفّونا وتركونا"، قتلوا الرأس وتركوا الجمع وانقضت المباراة.

أو في أحسن الأحوال: تسوُّل المحسنين، المحسنون هؤلاء الذين يتفضَّلون علينا ٩٩،٩٩% منهم هم مجموعة من القاعدين، يعني هم أسفل طبقة في الأمة، {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ}[٣١]، وللأسف الآن تفضَّل القاعدون على المجاهدين!، صار يأكل الكفتة ويشرب البيبسي ويرتاح، ثم يأتي عليه أحد مبعوثي الحركة الإسلامية فينوح ويبكي أمامه، فيُخرج له شيكًا ويُنعم عليه ببعض المال!، فصار الجهاد مموَّلًا، وصار: (وجُعل رزقي تحت شيك المُحسن)!

فيجب أن يعود الجهاد إلى أصله: (جُعل رزقي تحت ظل رمحي)[٣٢]، هذه الأموال هي حقوق أهل الإسلام، ويجب أن نأخذها عنوة لا تفضُّلًا، يجب أن نأخذها عنوة ونردَّها إلى أصحابها؛ لذلك تجد العلماء يقولوا في كتب الجهاد: في اللغة سمي الفيء فيئًا لأنه فاء إلى أصله وأصحابه، وأصحابه أهل الإيمان إذْ لا حقَّ لكافر في رزق الله -سبحانه وتعالى-، (لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ)[٣٣]، فهي ليست له ولا يستحقها ولكن هي باعتبارها حقيرة أخذ منها قليلًا، ولكن الأصل أن يعود المال ويفيء إلى أصحابه وهم أهل الإيمان.

---

[٣١] سورة النساء، الآية: ٩٥.

[٣٢] مسند الإمام أحمد (٥١١٤) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

[٣٣] سنن الترمذي (٢٣٢٠) والحديث صححه الألباني.

وضربوا مثالًا في كتب الفقه: لو أنَّ عندك ولدين؛ واحد عاق والثاني طائع، العاق يأكل والطائع يخدمك، هل تقبل أن يعقك العاق ثم يأتي في وقت الغداء ليأكل ثم يذهب ويعقك، ثم يأتي في وقت العشاء يتعشى ثم يذهب ليعقك، وهكذا، فستقول له: "تعقني فلا تأكل من عندي!"، ولله المثل الأعلى؛ هكذا العبد الآبق من طاعة الله –سبحانه وتعالى–، هو كافر بالله –عز وجل– يأتي يأكل ثم يذهب يكفر بالله، فهو ليس له حق بالرزق.

هذا المال مال الله –سبحانه وتعالى– استحوذ عليه الكفرة، ثم هو مالنا نحن استحوذ عليه المرتدون ونقلوه للكفرة، وما بقي منه استعملوه في الفسوق والعصيان وكل ألوان النسوان. فصارت الأمة تتسوَّل.

ونفذ منه جزء قليل إلى مجموعة من المحسنين القعدة غير المجاهدين، فصاروا يتصدَّقون به علينا بإذن من النظام الدولي، هل رأيت فِلسًا وصل للمجاهدين من وراء النظام الدولي؟! الآن النظام الدولي عندما لم يعجبه الشوط الثاني أعلن عن (تجفيف المنابع)، ولما أعجبه الشوط الأول أعلن تبليل المنابع، فالمنابع امتلأت بالأموال في الشوط الأول وجفَّت في الشوط الثاني.

فيجب أن نُعيد النظر في قضية التمويل، من أين نأتي بالمال وكيف نموّل مراحل العمل. فعندنا نظرية –إن شاء الله– نعرضها، وهي من التَّجارب التي مرَّت.

– الباب الرابع: نظرية التنظيم.

الآن بعد نظرية التمويل نظرية التنظيم، إذا كنا نقول أننا لن نعمل في إطار تنظيم محدود، ولا في إطار جماعة محدودة، فكيف نعمل؟

لا يصلحُ الناس فوضى لا سُراة لهم   ولا سُراة إذا جهَّالهم سادُوا

هذا من أعظم بيوت الشعر في اللغة العربية، السُّراة: هم القادة والوجهاء والرؤوس؛ يعني في حالة سيئة وهي عدم وجود الرؤوس، وفي حالة أسوأ وهي أن الرؤوس جَهَلة، لا يبقى هناك كرامة ولا كرماء، قال الرسول ﷺ: (لِيَلِيَني منكم أولى الأحلام والنُّهى)[٣٤]؛ أصحاب العقول والرَّجاحة.

لذلك تلاحظ عند الأفغان عادة –وهم عندهم الكثير من العادات هي في الأصل من تطبيق شعائر الله سبحانه وتعالى–، فعندهم شيء عجيب تجد المسجد امتلأ والنصف الأوسط من الصف الأول فارغ لا أحد يجلس فيه، يأتون فيجلسون في أطراف الصف الأول ثم يملأون الصُّفوف التي بعده ويتركونه فارغًا، وعند الصلاة يأتي أشخاص بعمامات وأشخاص حفَّاظ ويسدُّون هذا الفراغ؛ لأنهم يرون أنه لا يليق بأي أحد أن يكون وراء الإمام، الذي خلف الإمام يجب أن يكون مرشَّحًا إذا الإمام انتقض وضوؤه سيسحب مَنْ خلفه إمام، فينبغي أن يكون في درجة من الطهارة والحفظ، حتى يملأ مركزه، وهذا جميل.

فقال ﷺ: (لِيَلِيَني منكم أولى الأحلام والنُّهى)، فالآن لما جاءت علامات الساعة سادت الأَمَة ربَّتها وانقلبت القضية رأسًا على عقب، وصرنا في زمن أمراء الصبيان وسيادة السفلة، على مستوى العالم والتاريخ والحركة الإسلامية، حسبنا الله ونعم الوكيل.

فلا بد من تنظيم، فإذا كنا لا نريد أن نعمل في (تنظيم) فكيف سيتم التنظيم؟

هناك طريقة للتنظيم لتحريك الأمة من خلال تجمُّعات عبر دعوة، فهو تنظيم بدون تنظيم، هو نظام للعمل وليس تنظيمًا محدودًا بالمفهوم الذي في رؤوسنا؛ أن يكون هناك تنظيمًا له شكل معيّن وأمير وبيعة، هذا الهيكل لا يصلح لهذه المرحلة.

– الباب الخامس: نظرية الدعاية والإعلام.

الآن بعد التنظيم تأتي نظرية الدعاية والإعلام، أصل العمل هو تحريض الأمة، فما هي الطريقة التي سنعمل بها في الدعاية والإعلام؟ كيف نوصل هذه الدعوة إلى الأمة حتى تدخل في مرحلة العمل؟

---

[٣٤] صحيح مسلم (٤٣٢).

فشعار العمل كله مُستنبط من قوله تعالى: {**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ**}[٣٥]؛ {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}: يجب أن تقاتل عليك دفع الصائل، {لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ}: أنت قُم بما تستطيعه. إلى جانب ذلك الجزء الأساسي: {وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ}: و(المؤمنون) –كما تعلمون– تعني (المسلمين)، لأن لفظ المؤمنين والمسلمين إذا اجتمعا صاروا طائفة دون طائفة؛ كما قال العلماء: (إذا اجتَمَعا افتَرَقا وإذا افترقا اجتمعا)، فلما تقول: المؤمنين، يعني المسلمين، ولما تقول: المسلمين، يعني المؤمنين. أما لو في جلسة واحدة تقول: بعضكم مسلمون وبعضكم مؤمنون، معناها أن هناك مسلمين أهل (لا إله إلا الله)، وهناك مؤمنون بحقيقة الإيمان.

فالله –سبحانه وتعالى– يقول: {وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} معناها حرّض أهل (لا إله إلا الله)، حرّض كل المسلمين. ولذلك من الأخطاء التي ارتكبناها أن الجماعات الإسلامية قالت: (وحرض النخبة)، (وحرض السلفيين)، (وحرض الموحدين)، فقط الخلاصة والزبدة. فهذا خطأ.

والعلماء لهم كلام كبير جدًا في هذا الأمر، موضوع الجهاد مع كل بر وفاجر، وموضوع الجهاد مع المبتدعة، وموضوع الجهاد مع أهل القبلة ضد من ليس من أهل القبلة، هناك فصول شرعية أجّلناها للشيخ عيسى يحدّثكم عنها بالتفاصيل.

{وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ}: هناك نظرية للدعاية والإعلام.

- **الباب السادس: نظرية الإعداد**

بعد ذلك الناس يجب أن تُعَدّ حتى تقاتل، هناك نظرية جديدة في الإعداد، هل كل واحد أريد أن أُعِدَّه أحضره من تركستان إلى هنا، ومن الأردن إلى هنا، ومن اليمن إلى هنا، فكل تنظيم سيحضر حوالي مائة شخص، الشخص بألفين دولار، إذًا إذا أراد أن يدرّب مائة شخص يحتاج مائتي ألف دولار!، أين هذا التنظيم الذي عنده مائتي ألف دولار في زمن (تجفيف المنابع)؟!

[٣٥] سورة النساء، الآية ٨٤.

هذا من حيث الأموال. في الأمن الأخ يأتي ويضع صورته ويطلب انتساب وخطه وبصماته، يدخل إلى سفارة باكستان ويُصوَّر وهو داخل وهو خارج، وبعد ذلك يقول: "أنا تنظيم سري"!، ثم يرجع وإذا به مكشوف وتسقط كل الشبكة.

فكيف تريد أن تُعدَّ بهذه الطريقة؟! (ما أنزل الله من داء إلا وله دواء)؛ هذا الكلام كله له حلول، فهناك نظرية للتدريب.

طبعًا أغلب الكتاب مآسي ويتحدَّث عن مراحل الفشل والهزائم، فالواحد معنوياته تتعب، ويقول: إذا الجهاد به كل هذه المصائب فلماذا أجاهد؟! فحتى لا يستسلم الإنسان لهذه النتيجة النفسية التي يريد الشيطان أن يوقعنا فيها، وحتى لا يستعظم كيفية نقل طريقته في التفكير، وحتى لا ندخل في حالة من اليأس؛ لا نحن ولا الأمة التي سندعوها –لأن هذا الكتاب سيوجَّه إلى الناس وليس إلى عشرين شخصًا ندعوهم–، فأحببنا أن نضع فصلًا اسمه: (**استشراف المستقبل بصحبة البشائر في القرآن والسنة**). وعلى فكرة هذه الطريقة في التفكير يمكن لأي تنظيم أن يقوم بها دون أن يحلَّ نفسه، كل ما في ذلك أن يفكك التفاصيل في طريقة تفكيره ويُعيدها بطريقة صحيحة.

نحن الآن في آخر الزمان، وفي معارك آخر الزمان سنأكلها بعض الشيء "على قفانا"، وننحصر ونستيئس، ويظن الرسل أنهم قد كُذبوا والحالة أصبحت صعبة، بعد ذلك: {جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ}[٣٦]. فهذه المرحلة يجب أن ندخلها لكن بعد ذلك بشَّر الله –سبحانه وتعالى– وقال: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}[٣٧]، ليس فقط في الآخرة بل أيضًا في الدنيا سوف ينتصرون. والآيات في ذلك كثيرة تعرفونها.

وبعد ذلك في السنة بشَّر الرسول ﷺ أن الإسلام يدخل كل الأرض ويحكم كل الأرض، وفي الأحاديث أنه يحكم كل الأرض سبعة سنوات وتكون دولة للإسلام، وتكون خلافة راشدة، والأحاديث التي تعرفونها أيضًا.

فهناك بشائر نبشّر بها، هذه البشائر ليست مجرد نصوص، بل سنحاول أن نثبت من خلال الواقع والسياسة والوضع العسكري أننا على حافة الانتصار، نحن في قعر الأزمة ولكن في أول الصعود. فنحن هنا في خراسان نشهد بدايات

---

[٣٦] سورة يوسف، الآية: ١١٠.

[٣٧] سورة غافر، الآية: ٥١.

هذا الصعود، وبدايات تشكُّل بؤر لأهل الحق لكي تجتمع، وعندها شوكة وعندها مَنَعَة وعندها أنصار، وبدأت العجلة تدور دورانًا صحيحًا.

فنريد أن ندعم هذه البشائر من الواقع السياسي ومن الواقع العسكري، ونبشر الناس حتى ينتهي الكتاب والناس فيها من الهمة والعزيمة ما يلزم أن تقوم بعملية الجهاد، وتقوم بعملية التصحيح والتغيير، وأن تمتلك الشجاعة فتتمَّدد على سرير الطبيب، وتعترف بأخطائها وتصحّح أمورها حتى تمشي نحو الأفضل.

هذه خلاصة البحث، كما ترون أنه من الظلم المجحف جدًا أن ينضغط في أسبوع، هذا الكلام أحتاج حتى أُشبعه وأخرجه فاهمًا متشبّعًا بهذه التجارب، سواءً اقتنع بهذه النظرية أم لم يقتنع، لكن على الأقل هناك أمور يجب أن يفهمها، يفهم التاريخ، يفهم مسار الحركة الإسلامية، يفهم الحلول المطروحة، يفهم الأخطاء، ولو لم يأخذ بالحل، يقول: "دواؤك لم يعجبني"، لكن إذا تشخَّص لديه المرض يمكنه أن يأخذ دواءً آخر، يستطيع أن يفكر بصورة صحيحة.

فهذا الكلام يحتاج ستة أشهر، ولكن كل شيء له موجز، والإمام ابن القيم شرح القرآن وقال: القرآن مختصر في آيات، والآيات مختصرة في الفاتحة والفاتحة مختصرة في: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[٣٨]. دائمًا كل شيء له موجز، فيمكن أن تأخذ بالإيجاز حتى تفهم وتستوعب قدر ما تستطيع.

فسنحاول خلال هذه الدورة أن نمشي بسرعة جدًا في (**واقع المسلمين**)، لأنكم تعرفونه وتعيشونه. ثم (**ما حكم الله في هذا الواقع؟**) وكلكم كحركات جهادية تعرفونه وسمعتموه، وأُلِّفت الكتب و(العمدة) وكتب الشيخ أبي محمد المقدسي وغيره، فسوف أمشي فيه بقراءة سريعة ولا أفصل.

(**مسار الصراع من قابيل إلى كلينتون**): هذا تاريخ طويل، فسوف نختصره في جلسة واحدة مع المحطات الأساسية في التاريخ. ثم (**فلسفة الصراع ومعادلاته**): الذي هو تاريخ الحملات الصليبية.

---

[٣٨] سورة الفاتحة، الآية: **٥**.

وكلما دخلنا أكثر في البحث سوف نأخذ وقتًا أطول للتفصيل؛ فيهمني جدًا أن أشرح لكم مسار التاريخ ومسار الصحوة، ويهمني جدًا أن أشرح لكم الأخطاء التي كنا متلبّسين بها –وما زلنا– في التيار الجهادي، ثم بعد ذلك الحلول التي وضعتها في هذه النظرية.

الفصل الأول: واقع المسلمين اليوم

وهذا سنوجز فيه لأنه واقع، وأنتم عشتموه وفهمتموه وتعنّيتم فيه، وتعرفون ما الذي يحصل فيه. ولكن للذي لا يعرف ممن يسمع الأشرطة، أو من باب اجترار المآسي حتى نتحمَّس أكثر، نتكلم قليلًا في واقع المسلمين.

كنت ممن حضر فشل الجهاد في سوريا والمأساة العظيمة التي حصلت بعد حماة، طبعًا هو شوط بفضل الله –سبحانه وتعالى– حضرته، وأثناء حماة كنت في بغداد على رأس الجهاز العسكري المسؤول عن شمال سوريا، منطقة حماة وحلب وما حولها، فأعرف التفاصيل الشائكة، فالذي يعرف غير الذي لا يعرف، لذلك كتبت كتاب (التجربة السورية).

فعندما خرجت إلى أوربا وذهبت لأدرس وأتزوَّج فالواحد يأتيه الشيطان ويحاول أن يقول له: "خلاص عملت الذي عليك". فكنت أضع كتابًا ألفه شخص سُجن في سجن تدمر لسنتين، اسم الكاتب وأظنه مستعارًا: محمد نديم فاضل، والكتاب عنوانه: (في القاع)، يقصد في أعقاب سجن تدمر. وسجن تدمر من السجون التي ستدخل التاريخ، مثل سجن القلعة في مصر ومثل سجون عبد الناصر كأبي زعبل وغيره، بل أسوأ بمائة مرة!.

فالرجل وصف ما مرَّ عليه في السَّنتين، وهو أصلًا أُخذ بتشابه أسماء، وسلخوا جلده في سنتين ورأى الويل، وبعد ذلك لما خرج قرَّر أن لا تشتبه عليه الأسماء، فقرَّر أن يلتحق بالذين يحملون السلاح ويقاتل فعلًا، وهو ما كان له علاقة من قبل.

فالمهم كتب ما مرَّ عليه في تدمر، وأنا كنت أضع الكتاب معيّ فكلّما جاء الشيطان وقال لي: "يكفي ما مضى، والآن تزوجت وتاجرت وكذا"، آخذ الكتاب وأقرأ ثلاثة صفحات، فأغلق الكتاب وأنا مُقتنع أننا يجب أن نحمل رشاشًا فيه طلقات لا تنتهي حتى نقضي على كل من عملوا بنا هذه الجرائم.

فتذكُّر المآسي يساعدك على أن تتابع في المسار. فوصف الواقع يساعدك كلما بردت همتك، تعرف هؤلاء الناس ماذا يفعلون بالمسلمين، وماذا يفعلون بك وبأصحابك. فمن هذا الباب أحببت أن أقدم البحث بواقع المسلمين.

يمكن أن نختصر واقع المسلمين تحت ثلاثة عناوين:

- أولًا: ذهاب الدين.
- ثانيًا: ذهاب الدنيا.
- ثالثًا: تسلط الأعداء وتحكمهم فينا.

أولًا: ذهاب الدين.

فواقع المسلمين أن دينهم ذهب أو كاد. وذهاب الدين يمكن أن تدرج تحته عدة عناوين:

- **أول صورة لذهاب الدين: غياب شريعة الله –سبحانه وتعالى–.**

هذه الشريعة التي أرسل الله لنا بها الرسول ﷺ، وبلَّغنا إياها الصحابة وخدمها التابعون، وجاهدت أمم، الآن يخرج واحد ويكتب علنًا أن هذا الدين لا يصلح لهذا الزمان ونحن عندنا ما هو أصلح!. والكفر الذي ترونه في القوانين وفي التحكيم وفي التشريع. فالدين ذهب، قال الرسول ﷺ: (لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ، تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ)[٣٩].

أول مظهر لذهاب الدين هو ذهاب الحكم، وأول هذا ما ذهب بذهاب الخلافة الراشدة جزئيًا فتحوَّل إلى ملك عضوض، ثم ما ذهب بتحوله إلى ملك جبري، ثم جاءنا الحكم الكفريّ، وأصبحنا الآن في حالة من الحكم بغير الدين تمامًا.

قال سيدنا عثمان بن عفان: (إن الله لَيَزَعُ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)[٤٠]؛ فهناك ابن تقول له: "يا ابني تربَّ"، فيتربى بالكلام، وهناك ابن تقول له: "يا ابني خذ حلوى"، فيتربَّى بالرغبة، وفي إنسان لا بد أن تضربه بالعصا حتى يتربى. ولذلك جاءت الشريعة بالتربية ثم بالأحكام.

فهذه الشريعة ذهبت، وهذا أول مظهر من مظاهر ذهاب الدين.

---

[٣٩] أخرجه ابن حبان (٦٧١٥)، صححه الألباني وقال شعيب الأرنؤوط إسناده قوي.

[٤٠] ذكره الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) عن عمر بن الخطاب بسند ضعيف.

– الأمر الثاني: من أهم مظاهر ذهاب الدين ضياع المقدسات.

الكعبة التي نصلي إليها احتُلَّت، الآن هي تحت اليهود والنصارى، مسجد الرسول ﷺ وقبره الشريف تحت حكم اليهود والنصارى والمرتدين، والمرتدُّون ليسوا إلا قشرة رقيقة جدًا، عمليًا المكان يحكمه اليهود والنصارى. والقدس كانت قد ذهبت قبل ذلك بعشرين أو ثلاثين سنة.

والذي يحقّق في التاريخ فسيجد –كما سنرى– أن مكة ذهبت قبل القدس، لكن نحن لم نشعر، مكة ذهبت عندما أُعلن عبد العزيز آل سعود سلطانًا على نجد والحجاز، وحكمها الإنجليز. وكما سأعرض لكم في قضية الجزيرة واليمن وآتيكم بنص الوثيقة التي تعهَّد بها التاج البريطاني أن يحفظ مُلك آل عبد العزيز وأولاده مقابل ألَّا يخرج عن سلطان التاج البريطاني قيد أُنملة، ولا يُبرم معاهدات، ولا يتصرَّف إلا بأمر الإنجليز.

ثم جاء الأمريكان فورِثوا الإنجليز فأصبحت تَرِكة الإنجليز من أملاك الأمريكان، وصرنا في هذا الحال.

فمكة ذهبت قبل القدس، في سنة ١٩٣٥م يوم أُعلن عبد العزيز ملكًا على نجد والحجاز. وبعد ذلك بسنتين أو ثلاثة أرسل عبد العزيز ابنه إلى فلسطين حتى يضمن وقف ثورة سنة ١٩٣٦م، ودخل الملك فيصل وزير خارجية أبيه –المرتد ابن المرتد– إلى المسلمين وكفل لهم أن بريطانيا تضمن لهم حقوقهم وعليهم أن يُوقِفوا ثورة ١٩٣٦م، ونحن نثق في صديقتنا بريطانيا، عند ذلك بدأ ضياع القدس والذي حصل بعد عشرة سنوات ١٩٤٧.

فالقدس ضاعت ببركات آل سعود الذين كانوا قد أضاعوا الكعبة قبلها، ولكن ضياع الكعبة كان يُرى بالبصيرة والآن صار يُرى بالبصر بعد أن أُخذت سنة ١٩٩٠م.

فضاعت المقدسات، وصار المسلم الذي يريد أن يذهب في رمضان ليعتمر يقبّل الأيادي والأراضي ليأخذ فيزا من آل سعود ليعتمر!، ثمّ وهو يعتمر يسمع أن هناك شيخًا اسمه ابن عثيمين –حفظه الله–، فيجلس في الدرس عنده ليسأله: "يا شيخ أنا جئت بفيزا عمرة وأريد أن أبقى إلى الحج وهذا مخالف"، فقال له: "حجك غير جائز!؛ لأنه مخالف لقانون آل سعود".

فهذه واحدة من مظاهر ذهاب المقدسات. أن الرسول ﷺ قال: (الحج عرفة)[41]، وسيدنا ابن عثيمين قال: "الحج فيزا"!.

ثم ذهبت المقدسات بهذه الصورة عندما دخل اليهود والنصارى بمليون جندي، دخل فيهم نصف مليون أمريكي، وفيهم ثلاثون ألف امرأة من أجل الوقت الضائع، وذهبوا وزَّعوا الأناجيل والحلويات والسَّكاكر، وسآتيكم –إن شاء الله ببعض الرسالات التي أرسلها بعض الإخوة كيف قامت عمليات التَّبشير والتَّنصير مع دخول القوات الأجنبية إلى الجزيرة. دع عنك أمر الكويت والبلاوي التي حصلت فيها، وأعلام أمريكا التي رُفعت عليها صورة (مارلين مورنو)، والمواليد في تلك السنة؛ قسم لا بأس به منهم سمُّوا أبناءهم (بوش)، وقِس على الذي حصل.

لكن في عقر دار الإسلام في مكة والمدينة جلست الغواصات والبوارج التي ضربتنا بصواريخ الكروز في خوست قبل فترة، فقد خرجت من جدة، حاملة الطائرات كانت في بحر جدة، وجدة من الحرم أصلًا وهي تبعد عن مكة ٧٥كم، فمكة وجدَّة كلها تحت احتلال البوارج.

ففي هذا النصف مليون أمريكي صليبي كان هناك يهود أيضًا، يهود يحملون الجنسية الأمريكية أو البريطانية، فكان هناك عدة آلاف من اليهود، فالنصارى فتحوا كنائس أثناء الاحتلال حتى يتعبَّدوا، فاليهود طالبوا بأن يفتحوا كُنُسًا، ونشرت جريدة (فلسطين المسلمة) –التي أُغلقت أخيرًا ببركات الملك عبد الله الثاني– مقالة عنوانها: (افتتاح ٥٦ كنيسًا يهوديًا أثناء حرب الخليج في السعودية)، من أجل الضباط والجنود، ونشرت أين فُتحوا، وكان أول كنيس فُتح في خيبر قرب المدينة، وأتوا بسعف النخيل وبالبوق اليهودي من تل أبيب، واحتفلوا بنفخ أول بوق بعد إخراجهم من خيبر في زمن الرسول ﷺ.

ولكن خرج شيخ الإسلام وقال: "هؤلاء مُستأمنون، والذي جاء بهم موحّد مؤمن، والذين يخرج عليه باغٍ في الأرض مفسد، تقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف"!.

المهم ضاعت المقدسات!، وأنت الآن حتى تصلي تستقبل الكعبة تعبر صلاتك عبر عدة قواعد أجنبية، في الظهران والدمام حتى تصل إلى الكعبة. وأما القدس فأصبحت من الأحلام، وأما المدينة المنورة فقِس على ذلك.

[41] أخرجه النسائي (٣٠١٦) والترمذي (٨٨٩) وصححه الألباني.

أنا كنت في إسبانيا فمرة كنت أزور مدينة برشلونة، فكنت في المركز الإسلامي في المدينة ووجدت الإمام غاضبًا، وإمام الصلاة غير مدير المركز، هذه المراكز كلها فتحتها السعودية ورابطة العمل الإسلامي، فمدير المركز يجب أن يكون من الإخوان المسلمين بينما الإمام مؤهلاته أن يكون يحفظ القرآن.

فجاء الإمام غضبانًا، قلت له: "ما القصة؟"، قال: "تعال معي"، فأدخلني إلى المسجد، فشممتُ رائحة خمر في قاعة الصلاة، ذهبنا للإدارة فوجدت ثلاثة من الإسبان سكارى، ومدير المركز جالس والإمام غضبان. قلنا: "ما القصة؟" قال: "هؤلاء جاؤوا ليُسلموا! فصار شِجار، ثم أسلمت الجماعة وخرجوا وهم سكارى".

بعدها فهمت القصة، أن هناك مؤسسة إسبانية للتنقيب عن النفط في المدينة، وكانت تعمل أصلًا في الخُبر، فنُقل مجال تنقيبها إلى المدينة، فاشترطت عليهم حكومة (خادم الحرمين) أن يكون العمَّال مسلمون، فحتى لا يستخدموا مسلمين من بلاد المسلمين المنكوبة ويُعطوهم أموال المسلمين التي تذهب للنصارى، قالوا عندكم حلٌّ واحد، فتوسَّط واحد فلسطيني –باعتباره حريصًا– وقال: "الحل أن يُسلم عمَّال الشركة، فيذهبوا للمركز الإسلامي ويقولون: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)، بعدها يخرجون بشهادة الإسلام"، فانتقلت الشركة من الخُبر وصار يمكن أن يدخل واحد حشَّاش على المسجد النبوي ومعه شهادة إسلام من المركز الإسلامي!

انظر إلى شعائر الله المعظَّمة كيف صارت يُعبث بها بأي طريقة!، فأخذوا شهادة إسلام وخرجوا وهم يصيحون: "ألم يرَ الشيخ سكارى مثلنا!".

فضاعت المقدسات شيئًا فشيئًا، ثم أُعلن ضياعها رسميًا، والآن يدخل عليها الصهاينة بشكل عادي وأنت تدخل عليها بفيزا! فهذه ثاني صورة ملموسة من ضياع الدين.

– الأمر الثالث: فساد العقائد عند أكثر المسلمين.

وهذا معروف مشهود، مما تراكم عليهم من البدع وقلة العلماء ورِقَّة الدين، فلا نفصّل كثيرًا لأنه معروف.

- **الأمر الرابع: ظهور البدع والانحراف.**

فهذا كله إن شاء الله- سأفصّله في الكتاب، فلا مشكلة بالمكتوب يقرأه الإنسان، ولكن الآن الوقت ضيق.

- **الأمر الخامس: انتشار الفسوق والعصيان والمعاصي.**

مصائب، لدرجة أنك لا تستطيع أن تربّي الناس وتدعوهم للإسلام، ممكن تدعو ستة أو سبعة وتضعهم في المسجد، وفي آخر الليل راقصة على التلفاز تدعو مائة ألف واحد إلى الضلال، فالتلفزيون موجود الآن في كل المقاهي والشوارع والبيوت، وزادت عليه الدشوش، وصارت مرخّصة الآن في (المملكة العربية السعودية).

ومعروفة القصة لما ذهبت (هيئة كبار العلماء) وجمعوا شجاعتهم وقالوا لطويل العمر أن هناك دشوشًا ومصائب، يستطيع الإنسان قرب الحرم أن يفتح على قناة إيطالية ويشاهد فيلم لواط إذا أراد أو الزنا والخمور، وهذا في بلاد الحرمين!، وأنتم دولة التوحيد.

فذهبوا ليتكلَّموا مع ولي الأمر فهد في القضية، فجلسوا وقدَّموا ابن باز ليتكلم، فأراد فهد أن يسخر من ابن باز لأنه ضرير قال له: "أنت هل رأيت الدشوش ماذا فيها؟"، فسكت، وسكتوا كلهم، فقال لهم فهد: "غيروا الموضوع"، فقام ابن قعود وقال: "لا يوجد شيء نحن فقط جئنا من أجل هذا"، فصرفوهم وقبل أن يصل ابن قعود إلى بيته وصلت إقالته من الخطابة من المسجد الذي كان فيه، هكذا وصلتنا الرواية.

*****

*[42] نحن وصلنا تحت العنوان العريض في **الفصل الأول**: **(واقع المسلمين اليوم)**، الفقرة الفرعية: **(ذهاب الدين)**، تكلمنا في ذهاب الدين، قلنا:

أولًا: غياب الشريعة واستبعاد الحكم.

ثانيًا: ضياع المقدسات.

---

[42] **بداية تفريغ الملف الثالث.**

ثالثًا: فساد العقائد.

رابعًا: ظهور البدع والانحراف في المسلمين عامةً.

خامسًا: انتشار الفسوق والعصيان بين عموم الناس -وصلنا إلى هنا تقريبًا-، وما ترونه في بلادنا وأهالينا وجيراننا من الفساد، هذا الفساد أصبح منظَّم مقنَّن.

كان فساد الأوَّلين فسادًا عارضًا؛ فتدخل الدنيا وتدخل التجارة وتدخل الأموال وتدخل النساء فتفسد الأمم. ولكن لم يكن الحكم والنظام القائم هو الذي ينظّم الفساد ويقنّنه، حصل فساد في بني العباس، حصل فساد في بني أمية وفي بني عثمان وفي الأندلس ولكنه الفساد كان عفويًا وليس منظمًا من الجميع. بينما الآن هو فساد منظَّم مقنَّن، هي مخطَّطات لتكفير الناس وإخراجها من دينها، مخطَّطات لتفكيك المسلمين، مخطّطات لإدخال الدَّعارة إلى بيوتهم، مخططات لإدخال المجلات (سيدتي) و(الموعد) و(الشبكة) وخمسون مجلة، والدشوش، والآن القنوات الفضائية، وهذه لعبة الشيطان -وإن شاء الله سنتحدث عنها لأنها مهمة جدًا جدًا-.

دخول القنوات الفضائية ودخول طريقة الإفساد بهذه الوسيلة الجماعية، خاصة مع وجود الريموت كنترول، وأنت جالس في سريرك وأمامك ٢٦٠ قناة، تضغط الزر فيظهر ٢٦٠ مربعًا صغيرًا، في كل مربع فيلم مختلف، من ضمن هذه المربعات واحد أعجبك، اضغط على رقمه فيُمسح الباقي ويظهر الذي أردت، تريد فيلمًا، تريد كرة قدم، تريد محاضرة، تريد صلاة، كله يخرج.

فالشاهد من موضوع هذا من وسائل الإفساد المنظَّم، وهو متعمَّد.

الآن -خاصة الدول الاشتراكية والعسكرية مثل سوريا - يأخذون الأولاد في السن الصغيرة إلى معسكرات تسمى بـ(الطلائع) أو (معسكرات الجيل الناشئ) أو غيره، وأحيانًا يأخذوهم إلى معسكرات على مستوى دولي يسمونها (معسكرات أطفال السلام)، يأخذون ١٥٠ طفلًا يهوديًا، و١٥٠ طفلًا عربيًا، ويعسكرون في البرازيل ويتعوَّدون على السلام وتطبيع العلاقات بين اليهود والنصارى والمسلمين.

يعني أفكار الشيطان تتفتَّق عمَّا لا يخطر على بال. فهناك مخططات للإفساد والتَّكفير المنظَّم من قِبل الحكومات، وهذا من مظاهر ذهاب الدين. وكل هذه المظاهر أسفرت عن غربة أهل الحق؛ فأصبح الذي يصلّي غريبًا، والذي يظهر بمظهر إسلامي أغرب، فأصبح من مظاهر ذهاب الدين قلة أهل الحق وغربتهم في المجتمع.

الآن من ذهاب الدين أيضًا استعلاء الكفرة، واستعلاء الفجرة، وإسناد الوظائف والوزارات والمديريات لكل شيطان مريد، وإبعاد هذه الوظائف في الجيش والشرطة وفي الوظائف السلطوية وغيرها عنا، فأخذها النصارى واليهود والفسقة والأحزاب في كل دولة.

حتى تجد في كل أمة أن أراذلها هم من يحكمونها، في كل بلد لا بد أن طبقة الفسقة هي التي تحكم معظم التجارة، ومعظم الأموال، حتى العلماء تجد أرذلهم هو من يمسك المساجد الكبيرة والخطابات، فأصبح هناك استعلاء لكل أهل الباطل، وانخفاض لأهل الحق، وهذا من مظاهر ذهاب الدين.

هذا حلَّ بالأمة الآن، وبلغ ذروته على أعتاب الألف الثالثة الميلادية.

ثانيًا: ذهاب الدنيا.

ذهب الدين، لكن هل هناك دنيا؟

في أوروبا ذهب الدين لكن هناك دنيا، الناس تعيش مرفَّهة، سيارات، فيلات، بيوت، إذا انخفضت نسبة الدَّخل يخرجون في مظاهرات، فهناك رفاهية، فهل المسلمين ذهب دينهم وبقيت دنياهم؟ لا، ذهبت دنياهم كذلك، لا بقي لهم دين ولا دنيا.

فهناك مظاهر لذهاب الدنيا، نحن المسلمون صرنا كمثلٍ يقولونه عندنا: "مثل فقراء اليهود لا دين ولا دنيا"؛ يعني أنه يهودي ممسوخ في دينه، وممسوخ في دنياه، فأصبحت معظم شعوب الأمة الإسلامية في مثل هذا الحال.

ذهاب الدنيا أيضًا له مظاهر:

- **أول مظاهر ذهاب الدنيا: ذهاب بيت المسلمين**

وهو النفط والثروات الأساسية، -إن شاء الله سنتحدث عن هذا بالتفصيل-، لكن لنضرب مثالًا: أنه يخرج من السعودية فقط ١٠ مليون برميل نفط يوميًا، كلما أشرقت الشمس يخرج ١٠ مليون برميل، ويخرج من مجموع دول الجزيرة آل مكتوم وآل مكبوس ١٠ مليون أخرى، إذًا هناك ٢٠ مليون برميل نفط يخرج يوميًا، فعلى السعر الطبيعي قبل أن يلعب به الأمريكان وهو سعر مزوَّر ٥٠ دولار للبرميل، يعني مليار دولار، أي: ألف مليون دولار في اليوم يخرج من الجزيرة.

ناهيك عن باقي الدول الإسلامية الجزائر سوريا ولبنان والسودان..، ناهيك عمَّا هو في كازاخستان وتركستان، وأفضل بئر بترول في الصين هو في تركستان الشرقية، فما يخرج من ثروات المسلمين كله مأخوذ.

في بحث اليمن عملت حسابًا بسيطًا جدًا؛ أننا مليار مسلم، يخرج من الجزيرة مليار دولار مثلًا، فكل مسلم له دولار في اليوم فقط من البترول، يعني ٣٠ دولارًا في الشهر، فإذا كانت الأسرة مكوَّنة من أب وأم وثلاثة أطفال، يعني ١٥٠ دولارًا للأسرة، يعني أن كل أسرة مسلمة كفل الله لها ١٥٠ دولارًا في الشهر تخرج من تحت الكعبة.

ولذلك ذُمَّت التجارة، وذمَّت الزراعة، وذُمَّ العمل في الدنيا، وحُثَّ على العبادة والجهاد والدعوة؛ لأن رزقها يخرج من تحت رجلها أصلًا، هذا غير الغنيمة والفيء، كونه مسلمًا جعل الله له على أفعال النقص الموجودة به، ١٥٠دولارًا لكل اسرة شهريًا يخرج من تراب الجزيرة فقط، هذه ذهبت، والناس تموت جوعًا، وثروات المسلمين الأساسية منهوبة لبعض الناس فقط.

لم أحكِ لك عن الحديد والماغنيسيوم، نصف حديد فرنسا يخرج من موريتانيا، كله منهوب، فثروات المسلمين الأساسية وأساسها النفط والغاز منهوب، ولا أفصّل هنا لأن هناك حديث عن الجزيرة سيأتي فيه تفصيل إن شاء الله. فأول ذهاب الدنيا هو ذهاب الثروة الإسلامية الأساسية لصالح الكافرين.

- المظهر الثاني لذهاب الدنيا هو: لباس الخوف والجوع.

المظهر الثاني هو لباس الخوف والجوع الذي يضرب معظم الأمة، فنسبة الأغنياء في ألف وخمسمائة مليون مسلم صغيرة جدًا، فأهل الكويت وقطر ودبي كم يعدلون؟! كلهم جميعا لا يأتون بالمليون، الإمارات العربية المتحدة عدد سكانها ١٥٠ ألف نسمة!، وفيها ٨٠٠ ألف هندوسي، وهذه الإحصاءات التي تُصيب بالدوار لأن المسلمين لا يشتغلون بطريقة علميَّة.

وهناك ١٠٠ ألف صليبي معظمهم من الفلبين، ومن الفرس الشيعة الذين هاجروا الآن هجرة منظمة إلى الكويت والإمارات وأصبحوا نسبة يُحسب لها حساب، فـ١٥٠ ألفًا يأخذون كل هذه العائدات، -إن شاء الله آتيكم بالإحصائيات في الكتاب، إحصائيات عائدات النفط أين تذهب-.

في قطر ٥٠٠ ألف، وفي الكويت حوالي ٦٥٠ ألفًا، فإذا جمعتهم كلهم سكان قطر والبحرين والإمارات والكويت لا يصلوا إلى مليون نسمة، في عُمان حوالي مليونين، السعودية بها ٧ ملايين من المواطنين؛ فهذه ١٠ مليون نسمة من ١٥٠٠ مليون يستحوذون على ٩٩% من ثروات الأمة.

وجزء من هؤلاء العشرة ملايين من المسلمين لا يصلهم شيء من هذه الثروة، فهناك سعوديون فقراء، منهم من يعمل سائق تاكسي أو موظف أو فرّاش، ليس لديه من أموال النفط شيء، هذه الأموال تذهب للأسر الحاكمة، وهذه

الأسر لو جئت تعُدّها في البحرين حوالي ٦٠ شخصًا، آل نهيّان حوالي ١٥٠، آل البوسيعد حوالي ٥٠ شخصًا، وآل مكتوم لا أدري كم!

ثم نأتي إلى آل عبد العزيز هؤلاء مثل يأجوج مأجوج حوالي ٧ آلاف أمير، عبد العزيز كان عنده ٥٢ ولدًا، وهم تزوجوا فصار عندهم ٦ آلاف أمير في السعودية يستحوذون على أموال السعودية كلها، ومعروف أن فهدًا مقامر. ونشرت إحدى الصحف مؤخرًا –عندما كنت في بريطانيا– أن مصروف سلطان بن عبد العزيز اليومي ٣ مليون دولار!

يعني لو أكل من كل مطاعم العالم، ولبس كل البناطيل التي تُخاط في ذلك اليوم، كيف يصرف ٣ مليون؟!

ولكن عندما تعرف طريقة حياته لا تستغرب، عنده سلسلة قصور أكثر من ٧٥ قصرًا في جميع أنحاء العالم، أنا زرت بعضها في إسبانيا، وبالطبع القصر ليس متروكًا، هناك عمَّال فيه ومزارعون للحديقة وحراس، له قصر في ميامي، وقصر في فرنسا، وقصر في إسبانيا، وقصر في الزبداني يضع فيه الراقصات، فسلسلة القصور هذه لها مصاريف باهظة، يحكي لي صديقي أن غرفة النوم بها زجاجات العطر من أشهر عطور العالم حوالي ١٥ زجاجة، كل زجاجة بها ٥ لتر. فهكذا تذهب الأموال!

يقولون عن فهد: "الأمير الذي خرج وقد خسر في ساعة مقامرة ٦ مليون باوند –وهو ما يعادل ١٠ مليون دولار– وخرج من الكازينو يضحك"!، كان يلعب مع بريطاني أو أمريكي، ويضعون على الطاولة علم أمريكي وعلم السعودية المكتوب عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله)!

فهذه أموال المسلمين لم يأخذها العشرة مليون في الجزيرة، إنما أخذها ٦ آلاف شخص في السعودية، و٢٠٠ و٣٠٠ هنا وهناك.

في بريطانيا في لندن هناك أحياء تمثل القلب التجاري لبريطانيا، فيها إيجار الشقق للأسبوع ألف دولار في الأيام العادية، وفي أيام الموسم تكون ألف دولار في اليوم، فهذا المربع التجاري الذي ثمنه بالمليارات وعائدات الإيجار في الأسبوع بعشرات الملايين مملوك لواحد من آل مكتوم، قلب لندن التجاري ملك لابنه!. فمن أين أتى بكل هذه الأموال التي عائداتها لا تتخيَّلها أنت؟! هذا ماذا يأكل وماذا يشرب؟

هذا ولم نتحدث عن قضية سرقات النفط، قضية النفط أصلًا تصيب الإنسان بالجنون إذا قرأها، حتى قرأت كتابًا مرةً بعنوان: (ضياع العرب بين النفط والذهب)، يتحدث عن الضياع في أرصدة النفط، والضياع في أرصدة الذهب والأملاك، تشعر أن اليهود يلعبون بنا لعب الكرة!.

هذا النفط المسروق تعجب منه؛ أول شيء أن عدادات النفط ركَّبها مهندسون أمريكان، فأصلًا يُسرق من حيث الكميَّة، الأمر الثاني أنه يُسرق في السعر، في تقدير مراكز الأبحاث الاستراتيجية الاقتصادية أنه إذا قدَّمنا سعر النفط

على أسعار السيارات والتكنولوجيا المعاصرة لا بد أن يكون سعر برميل النفط ٢٦٠ دولار بينما أفضل سعر وصل له ٤٣ دولار.

السرقة الثالثة في تخفيض الأسعار واللعب فيها، في حرب العراق وإيران تم خفض سعر النفط، اتصل (ريغان) بالملك فهد وقال له: "يجب أن تخفّض واردات المملكة حتى تُفلس إيران"، ولعبوها مع العراق فيما بعد، فقال: "نستخرج ١٠ مليون برميل بدلًا من ٥ مليون حتى لا تنخفض الواردات!"، وبذلك تنضب بصورة أسرع. الأمر الآخر التخفيض من أربعين إلى خمسة عشر، فانخفض البرميل ٢٥، اضربها في ١٠ مليون فهذه ٢٥٠ مليون دولًار يوميًا خسرتها السعودية بمكالمة هاتفية من ريغان لفهد!

ثم إلى أين تذهب الأموال بعد كل هذا النهب؟ للحاسب، فهو لم يعطِك مالًا في يدك بل ذهب للكمبيوتر وزاد صفرًا على الحساب!، وهذا الكمبيوتر عنده حدود في سحب الأرصدة؛ عندما أرادت (المملكة) نتيجة الهزة الاقتصادية سحب المال قيل له: "الوضع الاقتصادي في أمريكا لا يسمح بسحب هذه الأرصدة"، وكانت هناك فضيحة في الصحف أن المملكة لا تتحكَّم بأرصدتها، لا يستطيع أن يأخذ ماله، ما الذي يستطيع أخذه؟ دفتر شيكات محدود، يسمح له بسحب ٣ أو ٤ ملايين مصروفًا يوميًا للأمراء.

دخلت إحدى ملكات جمال فرنسا على أحد الأمراء فخرجت بخاتم (سوليتير) بنصف مليون دولار، وجلست تحكي على كرم العرب، وما حملته من مرمر وفضة، وانظر إلى الصحف ماذا تكتب عن الأمراء.

فهذا أحد مظاهر ذهاب الدنيا، وإذا تكلمنا عن التسليح؛ اشترت الإمارات من فترة صفقة طائرات (F16) بثمانين مليون دولار، وتعاقدت الكويت على دبابات بـ ٥ مليار دولار، يعني إذا قسّمتهم يصبح السائقون أكثر من عدد أهل الكويت فمن سيقود هذه البابات؟!، هذا رصيد لقوات الحلفاء في منطقة الشرق الأوسط، حتى عندما تُعلن إسرائيل تكون الدبابات جاهزة للنصارى ويحفظوا قيام دولة إسرائيل، لأن عدد اليهود لا يكفي لقيام دولة إسرائيل، فلابدّ أن يكون الحلف النصراني موجودًا.

مصائب لو تكلمنا فيها بالتفصيل نجد عجبًا!، الطرق السريعة التي أُقيمت بين جدة والدمام والظهران إلى الإمارات، طرق لا يمر فيها في اليوم أربعة مسافرين، لماذا فُتحت طرق بمئات المليارات بمواصفات فنية ممتازة؟

لم يعرف أحد إلا عندما أصبحت مدرّجات مطارات في حرب الخليج، حيث نزلت الـ(B52) والحاملات الضخمة فكانت هذه الطرق بمواصفات المدرجات، وأقيمت مثل هذه المدرجات في شرق الأردن قرب أبو غريب، حتى إذا كان هناك أي تهديد يستطيع الجيش الإسرائيلي أن يأخذ الأردن بضربة خاطفة، وهذه الطرق لا تُستخدم إلا قليلًا للمسافرين، فلماذا أُقيمت؟

فأموال المسلمين تُصرف في نحرنا وليست تضيع فقط وإنما تُصرف في نحرنا تمامًا. وانظر إلى بقية المسلمين كيف يعيشون، الفلسطينيون والتركستان، حكى لي أخ يمني أن عائلات كاملة بعد نوم الناس ينزلون إلى المزابل يبحثون عن فضلات الطعام حتى يأكلوا!.

أنا سكنت في مكة أربعة شهور عندما بدأت مشوار الهجرة، صدّقني أن القطط في مكة لا تأكل اللحم الأبيض، رأيتها بأم عيني، لا تأكل إلا اللحم الأحمر، عندما أخبروني لم أصدق، حاولت إطعامها الدّهن فأبت، وطبعًا كلاب أفغانستان كلهم نباتيون!، يأكلون الخبز والخس، مرة وجدت عنزة تأكل الدفتر، لأنه ليس هناك أكل. القطة في مكة تضع لها لحمًا أبيض أو يحتوي على بعض الدهن لا تأكله، من كثرة ما يُلقى على الأرصفة من الأطعمة، واللحم من الدرجة الأولى الملقى في المزابل، والكلاب يجلسون فوق السيارات!.

فلما تقارن حالة الفقر بحالة الغنى الموجودة في تلك البلاد تشعر أن الأمة قد ذهبت دنياها تمامًا، نحن نتكلم عن الطائفة الغنية الثلاثة مليون أو العشرة مليون، أهل جدة حتى الآن يقفون في طوابير حتى يحصلوا على الماء.

في قضية النهب، كانت ميزانية السعودية في أمريكا قبل في حرب الخليج ٣٠٠ مليار دولار، وكان أحد أهداف الحرب أن تكون تكلفة الحرب ٥٦٠ مليار دولار، فصارت السعودية مديونة لأمريكا بـ٢٦٠ مليار دولار، مع قوانين الفائدة المركَّبة التي تصل إلى حوالي ٢١%، فيجب على دولة خادم الحرمين (دولة التوحيد) أن تدفع ربًا مركّبًا على مدار الساعة.

عائدات النفط تُستهلك لأجل دفع الربا، حتى ستبلغ إلى مرحلة أن تكون غير قادرة على تسديد الديون، فاقترح الأمريكان حلًا وهو: شراء المخزون الاحتياطي من النفط. أعلنت الكويت الآن عن طريقة جديدة لإبرام العقود وهي المشاركة في احتياطي النفط.

وبعد حرب الخليج أصبحوا يفكّرون أن يشتروا الآبار ويستأجروا باب المندب وقناة السويس لمدة سنة فلا يكون هناك عائدات، وهذا مظاهر الاحتلال الرسمي، فلو تقرؤون قليلًا في نظام الاقتصاد تجدون أنّنا سنتحوّل مع نظام التطبيع والعمالة الأجنبية إلى مجموعة عمّال وخدم نعمل بدون أجر عند رأس المال اليهودي والشركات الأمريكية، هناك كتاب ظهر للشيخ سلمان العودة اسمه: (التطبيع) وشريطان له، وبعض المراجع والملاحق الاقتصادية والتربوية لعملية التطبيع.

الآن عندما نرجع لموضوع الأموال، الأمة ذهبت دنياها بعدما ذهب دينها، الناس في سوريا والأردن مهمومة في أكلها صباح مساء، في المغرب خيرة الشباب من حملة الماجستير والشهادات الجامعية أمل الواحد فيهم أن يعبر البحر بقارب تهريب حتى ينزل في سواحل إسبانيا، مع خطر غرق المركب، ومع خطر أن تضربه خفر السواحل، مع خطر أن يحبسوه

في المجمعّات حتى يُفرجوا عنه، فقط يريد أن يصل لإسبانيا ليعمل في قطف البرتقال في الحقول، أو يذهب للمطاعم ليغسل صحون لحم الخنزير والخمر، لماذا؟

لأنه ليس هناك أكل في المغرب، فالناس تعيش على الحشيش!، نصف الدَّعارة المتفشيَّة في بلاد المسلمين من تركيا إلى شمال أفريقيا سببها الفقر، الآن في بعض البلاد- مثل مصر وبعض الدول في شمال أفريقيا- شاعت سياحة اللواط بالأطفال، يوفّرون الأطفال طوال السنة للسياح لأجل أن يتكسَّب منها الآباء. فحالة الفقر عندما تتكلم فيها في مقابل حالة الغنى متناقضة بشكل غير طبيعي.

نأتي إلى الأمر الآخر: قضية الخوف:

يُولد الإنسان تجده يخاف من أبيه، بقدر ما يخاف الأب من الشرطة والسلطة في الشارع تجده يُخيف أبناءه ويُرعبهم داخل البيت، يكبر الولد خائفًا من الشرطي، يكبر قليلًا يخاف من أمن الدولة، الموظّف يخاف من المدير، والمدير يخاف من الوزير، والوزير يخاف من الرئيس، والرئيس يخاف من أمريكا.

فنظام الخوف يضرب الناس من أعلى السلطة لأصغر شخص، الناس يضربها لباس الخوف بكل معنى الكلمة، الناس تعيش في قلق وخوف فضلًا عن الفقر.

الرسول ﷺ قال: (من بات آمنًا في سِربه، معافًا في بدنه، عنده قوت يومه، فقد حِيزت له الدنيا بحذافيرها)؛ جعل علامات الاستقرار ثلاثة: الأمن، المعافاة في البدن، وعنده قوت يومه، فهذا ملك حِيزت له الدنيا بحذافيرها.

انظر إلى حال المليار مسلم تجدهم خائفون، عدّ قائمة الأمراض الدولية السارية الموجودة في بلاد مثل أفغانستان، بنغلادش، الهند، تعجب!، أكثر من ٧٥% من الأطفال في أفغانستان مصابون بالسل، كل الأطفال مرضى، كل الناس مريضة، فهذا لباس المرض.

فلباس الخوف ولباس المرض ولباس الجوع أسفر عن حالة قلق عامة في الأمة، فأمة قلقة غير مستقرّة، فما هذه الدنيا التي تفرح بها؟! بعدما ذهب الدين ورأينا مظاهر ذهابه، ذهبت الدنيا أيضًا.

ثالثًا: سيطرة الأعداء.

الآن المظهر الثالث لواقع المسلمين اليوم هو: سيطرة الأعداء.

- ذهاب الموارد ثم تحويلنا إلى سوق منتجات:

حتى لا نطيل، الأعداء حوّلوا بلاد المسلمين إلى بئر لنهب الموارد، وسوق لتصريف المنتجات. فيأخذون من بلاد المسلمين البترول والغاز والحديد والماغنيسيوم وكل مركبات الحاسوب والسيارات، كل هذا سُرق، وبعدما سرقوها أرجعوها لنا موادًا استهلاكية، ٩٠% منها لازمة للحياة الضرورية، يجب أن نشتريها.

كنت أقلب في الراديو مرة وكان هناك أزمة اقتصادية، فوجدت إذاعة لندن تتكلم في الاقتصاد، وإذاعة أمريكا تتكلم في السياسة، وأنا أقلّب وصلت لإذاعة الكويت وجدتهم يتحدثون عن المانجو الهندي والمانجو المصري ونشرة اقتصاد في المشتريات، أنواع الأطعمة التي تُباع في السوبر ماركت والأسعار، ثم أنواع السيارات والموديلات.

حكى لي أخ سعودي معتقل الآن –فك الله أسره– يقول: عندما أتذكر أستحي، عندنا في السعودية لم نعد نحضر الثلاجات، فُتحت شركات تفصّل الثلاجات كغُرف، مثل خزانة الملابس تُفصَّل في الجدار، تفتحها هناك سحّابات، كل سحَّابة فيها نوع، هناك خرفان بأكملها مصنَّعة بأكملها إلى هامبرغر وكباب مثلَّجة ومجهَّزة للولائم وغيره، وقسم للفواكه وللخضراوات، وما هو مجمَّد مطلقًا، وما هو مبرَّد. في مقابل هذه الحالة انظر للحالة الأخرى.

أحد شعراء الخليج عندما أتى إلى هنا أفغانستان مع أبي هلالة وآخرين، كان يصف لباس الرجل الخليجي في قصيدة نسيتها، يقول فيها أن العقال أمريكي والغترة ياباني والحذاء بريطاني، من فوق إلى تحت كله مصنوع من الغير، والمكيف، والأكل، والشرب.

هل تعرف أنه إذا وقف شريان المنتجات الاستهلاكية عن هذه الدول الحارَّة ثلاثة أشهر فقط تهلك الناس وتموت، لأنها مرتبطة بالصناعة الغربية. فأصبحنا سوقًا لنهب المواد جميعًا وعلنًا، الآن قطر أعلنت بيع الغاز علنًا في مؤتمر الدوحة، ووزير الاقتصاد القطري صافح وزير الاقتصاد الإسرائيلي، وعلى شرف هذه المصافحة صافحت نصف الأمة علنًا.

فنحن منهوبون، ثم تحوّلنا إلى سوق لتصريف البضائع، إذا وقف النَّهب ينهار الاقتصاد، وإذا توقّفت عملية البيع أيضًا ينهار الاقتصاد، –بإذن الله هناك محاضرات قادمة عن كيفية قيام السوق الغربي على أكتافنا–.

في بعض مصانع اليابان مثلًا: شركة هوندا، صُنع السيارة يستغرق ٣ دقائق، فأصبح عندهم سيارات فوق احتياج البشر، فافتتحوا الآن ظاهرة المعامل في مناطق التسويق، ففتحوا شركة (Toyota) في فرنسا بحيث تُصنّع في فرنسا وتبيع في فرنسا لتوفير النقل. ثم صاروا يُصنِّعون على الطلب، فالسيارة تستغرق ٣ دقائق، وحسب المشتريات بالحاسب يتم التصنيع حتى يتم توفير التَّخزين، انظر إلى أين وصلت الصناعة.

وهذا كله يعتمد على أسواق التصريف، إذا وقف التَّصريف وحصل ركود سوف ينهار الاقتصاد العالمي، هذا لا أحكيه لمجرد الثقافة وإنما له كمعنى عسكري؛ نحن إذا قطعنا طريق نهب الموارد ينهار العدو، وأيضًا إذا قطعنا طريق بيع المنتجات أيضًا ينهار العدو.

إذًا يجب أن تركّز عمليات الإرهاب على قطع نهب الموارد وبيع المنتجات، وليس الإرهاب أن نضع قنبلة تحت واحد يبيع الجبنة ومات مسلم وجُرح اثنان، يجب أن يكون الإرهاب منظمًا، في الجزيرة فقط تمر ٦ آلاف كيلومترًا من أنابيب النفط الخام -وإن شاء الله نأتي عليه في بحث من الأبحاث-.

خشية الأصولية الإسلامية في الجزائر سحبوا غاز الجزائر الأساسي من تحت المغرب إلى مضيق جبل طارق من تحت البحر إلى إسبانيا ثم إلى فرنسا وباقي أوروبا، وهذا من أطول الأنابيب الموجودة في العالم، هذا يمر منه ٦٥% من استهلاك طاقة الغاز في أوروبا.

الغاز في أوروبا ليس للطبخ، معظم السيارات تسير بالغاز، معظم المصانع تعمل بالغاز، كثير من مولّدات الكهرباء والطاقة تعمل بالغاز، فالغاز سلعة أساسية مثل البترول بالضبط، إذًا هم يضعون شرايين حياتهم التي يتنفّسون منها بين أيدينا.

هل فكر أحد في كل العمليات التي حدثت أن يضرب مثل هذه الأهداف؟!

فلذلك يجب أن نُعيد بناء نظرية الإرهاب في صورة صحيحة، مثل الذي يلعب (كاراتيه)؛ يتعلم أن هناك أربعة مواضع في الجسم حيوية إذا ضرب عليها فيسقط الشخص، أما أن تحمل العصا وتضربه على ظهره مائة مرة فلن يسقط. وهذا ما نعمله نحن الآن، نأتي إلى حضارة تكنولوجيَّة عالية فنضربها في غير مواضع القتل، فهي وضعت لنا أهدافًا فرعية فصرنا ننشغل فيها وليست هي الهدف الأساسي.

فالشاهد في الموضوع في قضية سيطرة الأعداء: ذهاب الموارد ثم تحويلنا إلى سوق منتجات.

- **الأمر الآخر وهو غير محسوس: قضية مسخ الذرية:**

الآن أبناؤنا ليسوا مثل آبائنا، وآباؤنا ليسوا مثل أجدادنا، في باكستان إلى إسلام أباد هناك منطقة (بلو أريا) إذا دخلتها معصوب العينين من المطار إلى المطعم فستقول: "هل أنا في ميلانو أو في سويسرا؟!"، ليس لها علاقة في الباكستان أبدًا، كل ما في الموضوع أن من بالداخل أشكالهم وألوانهم باكستانيّة، ولكن اللبس والمظهر أمريكي أو

فرنسي، فتجد فيها المطاعم والبارات والكؤوس المقلوبة بالعكس، والأطعمة، وصور الممثلين والممثلات الأحياء منهم والأموات.

فخرج جيل ليس له علاقة بهذه الأمة، ممسوخ العادات والتقاليد، وهذا ضمن برامج التطبيع؛ أن تدخل الناس في حضارة (الكاوبوي) و(الهمبورغر) و(الجينز)، بل كان من شروط التطبيع مع الصين أن تدخل فرق (الروك آند رول) للرقص الغربي مثل (مايكل جاكسون)، وكانت ممنوعًا قبل ذلك، وأن تفتح مراكز للهمبورغر والماكدونالدز والكوكاكولا، ونظام الأكل الأمريكي، وأن تُدخل المكونات الأساسية للحضارة الغربية، فاستهلكت الصين عدة مليونات من بناطيل الجينز في السنة الأولى، لأن الشعب الصيني يريد أن يتخذ عادة الأمة القوية.

الذي يفعلونه في الصين، يفعلونه معنا منذ ثلاثين أو أربعين سنة؛ تُمسخ الأمة لصالح الأعداء، لا الحكم بقي حكمنا، ولا الاقتصاد بقي اقتصادنا، ولا الدنيا بقيت دنيانا، ولا الذرية بقيت ذريتنا، وأصبح الواحد يفكر بطريقة أخرى.

رابعًا: فساد العلماء.

الآن نأتي إلى المظهر الرابع من مظاهر فساد واقع المسلمين: فساد العلماء.

في مثل حالات الانحراف فالذي يفترض أن يقف للانحراف ويُصلح الناس ويوعّيهم ويقوم بقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون صمّام الأمان لضبط الانحراف لهذه الأمة هم العلماء ورثة الأنبياء؛ الأنبياء جاؤوا حتى يضعوا الأمة على المسار، فأصبحت الأمة تمشي في الطريق الصحيح ثم طرأ العوج، وتصحيح العوج هو دور العلماء في قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تميّزت بها هذه الأمة، والتي لُعنت بنو إسرائيل بسبب ترك هذه الظاهرة.

فصمّام العلماء فسد في زماننا، نحن تحدَّثنا في الفساد السياسي ولكن الآن الفساد تعدَّى حدود الفساد السياسي إلى فساد عام حتى في الأحكام التَّفصيلية.

والذي يُتابع منكم قناة الجزيرة وفتاوى الشيخ القرضاوي يستطيع أن يعرف أين وصلت الطامة. إذا فتح أي كتاب للفقه فستجد فيه فقه البيوع، فقه الطهارة..، الآن في مجلة (المجتمع) هناك فقه اسمه (فقه برلماني)؛ فتاوى برلمانية، أنت تسأل ونحن نجيب!.

وهناك فقه آخر أخرجه الشيخ القرضاوي حيث أقام سلسلة من البرامج تحت اسم (فقه الاغتراب)؛ يعني للأُمّة المسلمة تريد أن تعيش في بلاد الغرب، ابتداءً الرسول ﷺ قال: (أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ)[٤٣]، فالأصل

[٤٣] رواه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤) صححه الشيخ الالباني.

في الاغتراب أنّه لا يجوز إلّا إذا كان الإنسان مضطرًا، أمّا إذا لم يكن مقهورًا ولا مجبورًا فلا يجوز له أن يعيش هناك في بلاد الغرب لأن عيشه حرام.

لكن الشيخ القرضاوي فتح بابًا لفقه الاغتراب!، آخذ لك منه شذرات، أُحلَّ فيه جزء من الربا بالنسب القليلة، وأُحلَّ شراء البيوت بالتقسيط بالنظام الإنجليزي؛ أن تشتري وتدفع بالتقسيط لثلاثين أو أربعين سنة، وأحل الاختلاط، وقال الشيخ أن كلمة (الاختلاط) دخيلة على الشريعة أصلًا.

ومن جملة ما أُحلَّ كذلك أن يشتغل المسلم في مكان يسقي فيه خمرًا لأن الخمر موجود في هذه البلاد فلا مشكلة!، ومن عنده سوبر ماركت فلا بأس أن يبيع لحم الخنزير، وقال إذا نسبة الخمر ولحم الخنزير كنسبة النجاسة في القُلَّتين فلا مشكلة!.

ثم وصلت القضية لقمة قلة الحياء لكن لا بد أن أقولها لك لأنه ظهر في التلفزيون وسمعته كل الأمة، وهو (فقه تصوير السينما)!، خرج واحد يسأله يقول أن الدعوة الآن يجب أن تقوم على السينما ويكون فيها فيديو، فقال له "يجوز"، فقال: "الفيديو يجب أن تكون فيه نساء"، وهذه الفتاوى مكتوبة ومخطوطة عندنا في بيشاور..

فقال له: "يجب أن يكون هناك نساء"، قال له: "وأين المشكلة أن تكون هناك نساء، بل قصص القرآن الكريم في السور فيها رجال ونساء؛ آدم وحواء، يوسف وامرأة العزيز، فكيف تفهم القصة دون أن يكون هناك نساء؟!"..

فلما انتقلنا إلى أنّ الفيديو يجب أن يكون فيه نساء -والله شيء مضحك مبكي- قال له: "ولكن المصوّر يأخذ الكاميرا ويبتعد عن المواقع الحساسة في التصوير"، ثم تصدر على التليفزيون.!

وهو يتكلم أرسل له أحدهم سؤالًا هو قمة المصيبة!، قال له: "أنه لما يأتي أهله يجب أن يصوّر الواقعة على الفيديو ثم يتمتَّع بها هو وزوجته ويشاهدونها، يجوز أم لا يجوز؟!"، فقال له: "أنت يحل لك النظر إليها شخصيًا، فليس هناك حُرمة في النظر إليها في الصور، ولكن انتبه ألّا يقع الفيديو في يد أحد". فهذا من الأبواب الجديدة من الفقه والدعوة.!

أمّا قضيّة الموسيقى الهادئة والخلاعة الرذيلة فهذه بسيطة، هذه لا مشكلة!!، ضربت لك أرذل الأمثلة حتى تعرف أن ما دونها بسيط، هذا يمكن يحصل حريق لصاحب البيت تدخل الإطفائية تأخذ الفيديو، ممكن حرامي يأخذ الفيديو، ممكن الولد بالخطأ يفتح الفيديو، وحدثت في الجزيرة -السعودية- وكُتب عنها، أن بنتًا أُصيبت بحالة هلع لأنها وجدت فيديو لأبيها وأمها، فحصل لها انهيار عصبي وكتبوها في الصحف.

فهذا أصبح جزءًا من الفقه، هذا في الفقه العادي للحياة والاختلاط والعبادات. أما عن الفقه السياسي وكلام العلماء فيه فهو أقسام؛ فهناك علماء سلطان أصلًا، هذا اتركنا منه؛ مثل شيخ الأزهر والذين يحلّون ما حرم الله ويحرّمون ما

أحل الله ويحكمون علينا بالقتل، ولكن المشكلة في العلماء الذين لم يكونوا على قائمة علماء السلطان. وحكيت لك أن الشيخ الألباني يقول أن الخروج على الحاكم هو خروج على الإسلام، ويفتي بالتسليم لأهل الجزائر وحصلت الطامة.

فهناك حالة فساد في المؤسسة الدينية لأهل السنة، فساد طام، تمسك الدول دولة دولة، تجد هذا الفساد متفشيًا.

الشيخ البوطي كتب كتاب (الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه)، كتاب مشهور وأصبح عليه ردودًا كثيرة، واقرأوا رد الشيخ البوطي على الردود شيء عجيب جدًا، خلاصة كتابه أن هذا الجهاد الذي يحدث كله هو عملية إفساد في الأرض، وقال أن المجاهدين ثلاثة أنواع:

- مجاهد يجاهد جهادًا شرعيًا فإذا قُتل فهو شهيد.

- مجاهد بتأويل مستساغ فهو باغٍ، أي: مخطئ، وله أحكام.

- وإما رجل يحمل السلاح بدون أي عذر مستساغ، فهؤلاء مفسدون في الأرض.

والجهاد لا يكون ضد المسلمين، وهؤلاء الحكام مسلمون فقضية جهادهم هذه أمر غير وارد تحت مسمى الإسلام والكفر، وبالتالي من يقوم بهذه العلمية ليس مجاهدًا، أما كونهم بغاة؛ فالباغي لا بد أن يكون له تأويل مستساغ، كما حصل في قتال معاوية لعلي -رضي الله عنهما-، ولكن هذا البغي الذي حصل ليس له أي وجه، لأن الدعاوي التي قالوها كلها مبنية على {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}[٤٤]، وأسقط هذه الدّعاوي وقال: "فهؤلاء ليسوا بغاة".

قال باختصار: "كل من حمل السلاح فهم مفسدون في الأرض، حكمهم أن يُقتَّلوا أو يصلَّبوا أو تقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف"، قال: "ونحن عانينا من أشباههم في بلاد الشام في سوريا، والتي هي عقر دار الإسلام، فقاموا وخربوا الدين، وكانوا أصحاب عين حولاء، تركوا الدعوة إلى الله وقاتلوا حكامهم"، ثم قاس عليها ما حدث في الجزائر.

هذا الشيخ البوطي عالم علماء سوريا، وعندما يكون هناك درس للشيخ البوطي تفرغ الشوارع، كما يكون عندما هناك مباراة للأهلي والزمالك فالناس كلها في المقاهي تشاهد. فهم الآن أُخرجوا العلماء من البلد والباقي ذُبح، ففرّغت البلاد من العلماء، فأتوا ببعض الشيعة من إيران ولبنان ليشيّعوا الأمة، وأتوا باثنين أو ثلاثة مثل البوطي يتوّلون تدريس الناس.

[٤٤] سورة المائدة، الآية ٤٤.

وهذا الأمر سنرجع له في موضع آخر، فأختصر وأقول قال الرسول ﷺ: (**يكون في آخر الزمان أمراء ظلمة، ووزراء فسقة، وقضاة خونة، وفقهاء كذبة، فمن أدركهم فلا يكوننَّ لهم عريفًا، ولا جابيًا، ولا خازنًا، ولا شرطيًا**)[٤٥]؛ أمّا الآن فنحن ليس عندنا أمراء فسقة بل عندنا أمراء كفرة، والوزراء كفرة مشرفون على الحكم بغير ما أنزل الله وكل المصائب التي نحن فيها، والقضاة على دين أصحابهم، والعلماء يسوِّغون كل هذا. فهذا الحديث ربّما نزل في بعض أمراء بني العباس أو بني عثمان، أما الآن فالوضع أسوء.

بعد العلماء هناك ضابط آخر يضبط المسلمين **وهي الصحوة الإسلامية، فماذا كان حال الصحوة الإسلامية؟**

الصحوة الإسلامية كانت صحوة دعوية ثم صحوة جهادية، والصحوة الدعوية أربعة أقسام أساسية: التبليغ، الصوفية، السلفية، الإخوان، هذه المناحي الأساسية لمن يريد أن يلتزم ويصير صاحب دين.

رغم انحرافات الصوفية التي نعرفها ظهرت الآن هناك صوفية جديدة متاحة من قِبل الحكومة، الملك حسن صرف العام الماضي عدة ملايين من أجل تجديد كل الأضرحة في المغرب، فهناك ضريح في المغرب اشترت وارداته شركة فرنسية مقابل مليونين في السنة لصاحب الضريح، فتخيل كم يجني!، يستثمرون فيه كما يستثمرون في أي مشروع تجاري، فلا بدّ أنّه يُلقى على القبر من الأموال ما يفوق ضعف المليونيّ دولار لكي يشتروا الضريح.

الآن ظهر نوع جديد من الصوفية، حتى أن أحد أفراد أسرتنا اتَّجه إليها فترة، فحكي لي أن الشيخ علَّمهم أن يذكروا الله حتى يُغمّ على قلوبهم من الذّكر، يضيق على قلوبهم من الذكر، فيشغّلوا شريطًا لأم كلثوم ويسمعوا ويدخّنوا!، والشيخ طبعًا (واصل) لا يصلي!.

هذا النوع من الصوفية هو المتاح الآن في بلاد المسلمين، صِرت أبكي على الصوفية التي كانت في سوريا عندما خرجت منها كيف كان مستواهم!

تأتي إلى التبليغ وانظر إلى ما وصلوا إليه من انحدار. تأتي إلى السلفية وانظر إلى انشطار مدارسها، وانظر أين وصلت المدرسة الأساسية والتي هي سلفية السعودية وسلفية الأردن؟! سلفية ليبيا –المسمَّون سلفيين– معظمهم في خدمة الاستخبارات. السلفية التي حول الألباني في الأردن معظمهم في الاستخبارات.

---

[٤٥] أخرجه الشيخ الألباني في (سلسلة الأحاديث الضعيفة) وقال: (منكر، أخرجه الخطيب في "التاريخ" ١٠/٢٨٤)، وقد أخرج ابن حبان في صحيحه (٤٥٨٦) (لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُقَرِّبُونَ شِرَارَ النَّاسِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَلَا يَكُونَنَّ عَرِيفًا وَلَا شُرْطِيًا ولا جابيا ولا خازنا)، وهذه الرواية حسّنها الشيخ الألباني وضعّفها الشيخ شعيب الأرنؤوط.

كل شيخ يُعرف بتلاميذه، فكما تُعرف الرسل من مستوى الحواريين والصحابة يُعرف الشيخ بأعلى تلاميذه، تلميذ الألباني الأكبر محمد بن إبراهيم شقرة ألّف كتاب تفسير أظن، فكتب قطعة أدبية حتى يرفع بها الكتاب وأهداه للملك حسين؛ فتستحي أن تصِف أحمد بن حنبل بهذه الأوصاف التي وصف بها الملك حسين، أدب عالٍ جدًا!، يقول: "إن الأحرف لتذوب والكلمات لتستحي خجلًا كيف تُرفع إلى سمو معاليك حتى تعبّر عن..."، يعني كيف تتجرَّأ الحروف على مديح جلالة الملك حسين ولم تبلغ مستواه!.

ثم خرج علينا بقول عجيب جدًا، قال: "نظرت في حديث رسول الله ﷺ أن الله يبعث على رأس كل مائة عام مجدّد، فرأيت أن مجدِّد القرن الخامس العشر الهجري هو جلالة الملك حسين المعظَّم -حفظه الله-"!!.

هذه هي الصحوة التي كانت تريد تغيير الواقع!

بقي (الإخوان)، والحقيقة نحتاج كورسًا كاملًا فيما آلت إليه حركة الإخوان المسلمين!، وكيف انحرفت حتى عن إخوان حسن البنا، الشيخ عبد العزيز أبو أسامة المصري -الله يجزيه الخير- كان مدربنا وحضر الجهاد في سوريا وهو من أوائل الذي حضروا الجهاد هنا في أفغانستان؛ قال لي: " أصلًا لا يوجد إخوان، لم يبقى أحد من الإخوان على مذهب حسن البنا"، فقلت له: "كم يوجد من الإخوان على منهج مثلك"، ففكَّر قليلًا ثم قال لي: "يمكن عشرة"، فقلت له: "الشيخ التلمساني يقول كذا"، فقال لي: "اتركني من هؤلاء، هم أموات أحياء ليس لهم علاقة بالإخوان".

الشيخ عمر التلمساني كان يقول: "عندما كان وزير الداخلية النبوي إسماعيل يتضايق كان يأخذني لأهدئ أوضاع الشباب الإسلامي الثائر في الجامعات"

ثم وصل الانحراف إلى قمة ما وصل إليه على لسان هذا المرشد الأخير حامد أبو النصر، وعندما تتبع الانحراف تجد أن مرحلة الانحراف بدأت من (دعاة لا قضاة) ثم إلى مرحلة عمر التلمساني ثم إلى حامد أبو النصر، وهناك بيان سآتيكم به اسمه (هذا بيان للناس) أخرجه المرشد العام في عيد الأضحى سنة ١٩٩٦م، ورُدَّ عليه ردود كثيرة. فقال:

"كثُر اللَّغط حول منهجنا، وهو معروف للناس، ولكن أريد أن أوجز حتى لا يشك في منهجنا أحد.."، ثم بدأ يعرّف منهجهم فقال: "أما الديمقراطية (..).

*[٤٦] أنا وجدت هذا البيان في مسجد الإخوان الرئيسي في لندن، وكان هناك بعض التكفيريّين في لندن، فظننت أن بعض غلاة التكفير كتبوا هذا البيان ووضعوا عليه اسم الإخوان حتى تسبّهم الناس، ولم يوقع في نفسي أن هناك من

[٤٦] بداية تفريغ الملف الرابع.

سيقول عن نفسه كلام مثل هذا، فبعد يومين وجدته في مجلة (الدعوة) الرسمية وعليه صورة المرشد العام، فتيقَّنت أنه لهم.

يقول حامد أبو النصر بالحرف الواحد –وأنا حفظته من كثرة الاستدلال به–، كان يتكلم عن قضية القومية والوطنية فقال: "وإخواننا النصارى في مصر والعالم العربي والإسلامي، شركاء في الوطن، ورفاق الكفاح الطويل، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، لهم كامل الحقوق؛ المدني منها والسياسي، المادي منها والمعنوي. والبر بهم والتواصل معهم فرائض إسلامية لا ينكرها مسلم"، هذا كله في باب الولاء، ثم جاء للبراء فقال: "ونحن نبرأ من كل من يقول أو يفعل خلاف هذا"!.

ولنأخذ هذا البيان من أوله: "وإخواننا النصارى"؛ هذه كيف ستقبلها وتستوعبها؟!، "في مصر والعالم العربي والإسلامي، شركاء في الوطن" تقاسمنا، "ورفاق الكفاح الطويل" دخلوا معنا في التاريخ.

ثم المصيبة في البند التَّشريعي: "لهم ما لنا، وعليهم ما علينا"، وحتى يؤكّد للذي لم يفهم أو يشك: "لهم كامل الحقوق المدني منها والسياسي" أي تولّي المناصب مثلنا، "المادي منها" في العلاقات، "والمعنوي" أي في الاحترام، "والبر بهم والتواصل معهم فرائض إسلامية لا ينكرها مسلم"، والذي لا يعجبه هذا فنحن بريئون منه!

هذا الكلام كيفما حملته فإنه كفر، ولولا أنني أعتقد أن هذا الرجل خرَّف من عدة سنوات، فعن نفسي لا أنزل الأحكام به وبأمثاله بسبب التَّخريف!

مداخلة أحد الحضور: (..) في سنة ١٩٩٤ أصدروا بيانًا للناس، وهذا البيان أصدروه للتأكيد، البيان الأول فيه فقرة أشد قال: "ونحن نرى جواز تولّي غير المسلمين جميع المناصب إلا رئاسة الجمهورية"، رد عليه الأخ محمد شاكر الشريف سنة ١٩٩٤ وقال له: "مؤدَّى كلامك أن اليهود والنصارى وهم غير مسلمين، ممكن أن يتولى مثلًا وزير الشؤون الدينية نصراني، ووزير التعليم يهودي، ونائب رئيس الجمهورية يهودي، فما رأيك بهذه الدولة؟!".

الشيخ: أقول لك حتى ترى الجيل الممسوخ الذي خرج، سمعت عن زيارة أحد قيادات الإخوان المسلمين الدرجة الثانية الذي كان معنا أيام الجهاد للندن، فذهبت أقول له: "هل ما زلتم في تنظيم الإخوان وبيعة المرشد؟ لأن الله –سبحانه وتعالى– قال: {يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ}[٤٧]، فهذا إمامكم وهذا البيان، فماذا تقول؟!".

والله حصلت جلسة عجيبة جدًا!.

قال لي: "يجب أن أراه"، فأخذه وأخذ يناقشني فيه، قال: "إخواننا النصارى" فنظر إليّ وقال: "هذه ليس فيها شيء"، قلت: "كيف ليس فيها شيء؟!"، قال: "كلنا أولاد آدم". فأخذ يمرّ عليه بندنًا بندًا ويقول: "هذه ليس فيها شيء، وهذه قصده بها كذا، وهذه لعلّها كذا!".

ثم في الآخر ظهرت له مشكلة واحدة –لا أذكرها الآن– فقال لي: "هذه يجب أن نتأكد أن المرشد قالها وأنها ليست من إضافة الصَّحافة، وإذا كان قالها نرسل لهم كتابًا بالطرق التنظيمية ونسأل ما هو تفسيركم لهذا ونحلها".

فالصحوة وصلت لهذا المستوى!

والأمثلة كثيرة ربما تحتاج كورسًا كاملًا حتى يأتي المرء عليها، وهي أمُّ الصَّحوة لأن كل المدارس تفرّعت منها. الآن آخر ما حرَّر عبد الله المطوع وهو من قيادات الإخوان في الكويت ومكتب الإرشاد، خرج في مقال عجيب جدًا قبل أربعة أشهر. قال فيه:

"إمام الحكم كإمام الصلاة، إذا أخطأ إمام الصلاة فقُصارى ما يستطيع أن يفعله المصلي أن يقول: (سبحان الله)، وإذا أتم صلاته وأجادها يقول في ختامها: (الحمد لله). فالآن حكّامنا إذا أحسنوا وحكموا بما أنزل الله نقول: (الحمد لله)، وإن أخطأوا نقول: (سبحان الله)، فعلاقتنا بهم بين (سبحان الله) و(الحمد الله)"!!.

تصوّر!، فهذه نهاية المدرسة التي بدأها حسن البنا –رحمة الله عليه– بـ(الله غايتنا، الرسول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجهاد سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا)، هكذا بدأت الدعوة، ثم قفزت قفزة متطوّرة إلى فكر سيد قطب و(المعالم)، ثم انتكست وتفرّعت ووصلت إلى ما وصلت إليه من هذه الحال..

---

[٤٧] **سورة الإسراء، الآية ٧١.**

ثم خرج منها الترابي، وما أدراك ما الترابي! سُئل الترابي عن الغنوشي: "ماذا تقول في الغنوشي؟" فقال: "هذا أنجب تلاميذي". فهذا الشبل من ذاك الأسد.

أما الغنوشي فقد جلست معه في سهرة في مدريد وذكرتها في شريط سابق، والشريط مسجَّل وحجبه صاحب البيت، طلبته منه فرفض لأنه كان من (الإخوان المسلمين) ويعلم لماذا أريده. فسألته عن التجربة التونسية، فمن معرض الحديث وصلنا إلى قضية الديمقراطية، فقال لي بالحرف الواحد:

"نحن رضينا أن نحتكم نحن وكفّار تونس من الأحزاب إلى الصناديق وإلى الناس، فإذا الشعب اختارنا حكمنا بالإسلام، وسمحنا للكفر أن يكون له صحفه وأحزابه وإعلامه ويعرض ما لديه على الناس. وإذا الشعب اختارهم رضينا بحكم الكفر، لأن الله يقول: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}[48]. فالحكم الأول والأخير في قضية الكفر والإيمان هو الشعب."!

فأنا قلت له: "يا شيخ هذا الكلام أقول لك رأيي فيه أم تغضب؟".

قال: "أنا رجل ديمقراطي أستمع للكفرة ويتسع صدري، فأسمع لأخ من إخواني".

فقلت له: "هذا الكلام ليس خطأ ولا شطحة ولا زلة لسان، هذا الكلام كفر أكبر مُخرج من الملة، وإذا خرج هذا الشريط فهذه مصيبة! يمكن أن ترجع وتفسّر هذا الكلام الذي ذكرته؟".

قال: "أستغفر الله وماذا قلت؟"

قلت: "هناك تسجيل ونُعيد الشريط لو أردت؟"، فرجع وأعاد كلامه بنفس الفحوى. والمشكلة في تونس من أراد الالتزام بالدين يذهب لهذا التيار. فهذه نهاية الصحوة في كل مدارس السلفية والتبليغية والإخوان وغيره.

الآن: ماذا حصل في الجهاديين؟ هل نجوا من هذا؟

وهذه الفقرة الأخيرة من واقع المسلمين، والفقرة السابقة كانت عن الصحوة، والصحوة الآن تنقُض غزلها أنكاثًا. يعني لو قام الحسن البصري والجنيد وإبراهيم بن أدهم –رحمهم الله– ورأوا الصوفية المنتسبين لهم لقالوا: "أنتم لستم منا!"، ولو قام السلف الصالح وابن تيمية وابن القيم والشاطبي وهؤلاء الناس ورأوا هؤلاء السلفيين الذين يمسكون مدرسة (إحياء

---

[48] **سورة البقرة، الآية ٢٥٦.**

التراث) التي أخرجت فتوى بتحريم إخفاء السلاح عن ولي الأمر في الكويت ووجوب جمع الأسلحة بأمر وفتوى رسمية!، وانظر في مجلة (الفرقان) التي نشرت مقالًا من جملة ما فيه: "أن هؤلاء الطالبان الذين خرجوا مجموعة حمير!"، هكذا كتبوا، ويظنون أن دينهم بتسبيح الأمير هو الدين الصحيح!

لو قام السلف الصالح ونظر في هؤلاء الذين يقولون أن مجدد القرن الخامس عشر هو الملك حسين!، ماذا سيقول فيهم؟!

ولو قام التبليغيون الأساسيون الذين بدأوا في الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- ورأوا الذي آل إليه الحال سيتبرّأون منهم.

ولو قام حسن البنا وسيد قطب والرَّعيل الأول من الحركة الإسلامية لا أدري ماذا سيقولون في هذه الأمة!

فالصحوة الإسلامية الآن في ١٩٩٩ تنقض غزلها أنكاثًا. ولا أقيسها لك على الحق الأصلي بل أقيسها على فكرها ومنهجها الذي بدأت به، كيف بدأت وكيف صارت، أما بالقياس على الحق فمن البداية هناك زوايا انحراف، ولكن إذا قِست على كيف بدأت هي وأين انتهت، تجد انحرافًا كبيرًا.

فالبند الأخير من واقع المسلمين المأساوي: حالة الجماعات الجهادية.

هل نجت الجماعات الجهادية من حالة التقهقر التي حلّت بالمسلمين، والأزمة التي حلّت في الأمة، وطبقاتها والعلماء إلخ؟

معظمها ككتل لم تنجُ، كأفراد تجد أن فيها أفرادًا نجوا. الآن سنتكلم في بند منفصل عن أزمات التيار الجهادي، ويكفي أنّه من المطروح الآن بين الجهاديين أفرادًا وجماعات فكر الاستسلام، وترك مبدأ العمل المسلح أصلًا!

في سوريا الجهاز العسكري قدّم ثلاثة مشاريع للصلح، وحافظ أسد هو الذي يركُلهم ولا يقبل، وتوسّطت الأردن وكل الناس، وقال لهم: "هؤلاء مجموعة مجرمين وأنا لا أريدهم". وفي آخر مبادرة مُذِلّة لما حصلت اشتباكات في الحدود التركية السورية، أرادوا أن يستغلوا الفرصة، فقام المراقب العام للإخوان المسلمين علي بيانوني وأرسل رسالة لحافظ أسد

باسم الإخوان: "أننا بسبب الأزمة الوطنية القومية بين سوريا وتركيا نترفّع عن كل الخلافات الماضية، ومستعدون أن نكون مواطنين صالحين في صف الوطن، ونقف مع سوريا في أزمتها الحالية ضد تركيا"، يرجونه أن يقبل التَّفاوض معهم.

فماذا قال لهم حافظ أسد؟ قال: "أنتم مجموعة خونة، تاريخكم معروف، منذ متى كان لكم مواقف وطنية مشرّفة حتى نحسب حسابكم في هذا الموطن؟". هذا في سوريا.

نأتي إلى تونس: عُرض قانون للتوبة والرحمة حتى الغنوشي رفضها، وهو له إشراقات وفلتات حسنة أحيانًا حقيقة، فله موقف جميل جدًا من قضية التوبة والرحمة هذا، وقال: "هؤلاء الناس لا يمكن أن نفاوضهم أو نصالحهم، بل هم مجرمون يجب أن يُحاكموا"، فتكلم كلامًا جميلًا. ولكن قيادات الصحوة في تونس تعرض مشروع توبة، والرئيس يقدّم مشروع رحمة، وهو عملية استسلام شخصي، فغير المتورط بعمليات جنائية يرجع لتونس مواطنًا صالحًا ويأخذ مكانه في المجتمع الصالح!.

نأتي إلى الجزائر، والبارحة كنت أسمع في الأخبار أنهم أصدروا قانونًا أسموه: "الوئام الوطني"، من أجل حلّ مشروع الجزائر، وصرّح بوتفليقة قال: "بعد نهاية مشروع الوئام الوطني سأُشهر في الجزائر سيف الحجَّاج". وصرّح أحد الجنرالات الفرانكفونيين في الجزائر:" خلاصة القانون الوطني أننا سحقنا الإرهاب عسكريًا، ونحن نعرض عليهم مشروع استسلام، وقد استسلم الجيش الإسلامي للإنقاذ، وهم حوالي ثلاثة آلاف مقاتل، فسيدخلون في قانون الرحمة، والبقية عندهم فرصة حتى يستسلموا"، فهو سماه باسمه الحقيقي، الرئيس سماه قانون الوئام الوطني، فهو قال أن القضية قضية استسلام.

نأتي إلى مصر والمبادرة التي حصلت، والتي مهما أردنا أن نزيّنها ونحسّنها فهي عملية استسلام بلا قيد ولا شرط، والمشكلة بلا فائدة ولا مردود!

هذا على صعيد الجماعات الكبرى مطروح، -وسنبحثه إن شاء الله تعالى في الفصل السادس: (الحلول المطروحة للخروج من الأزمة).

فالآن على صعيد الشباب الصغار هناك الكثير ممن قام بمبادرة لوحده ورجع، ذهب للسفارة ورجع لبلده وترك الجهاد. أين الأربعين ألف أفغاني عربي؟ أين العمليات التي كانت في الثمانينات والتسعينات؟ التيار في نزول للأسفل.

فواقع المسلمين بدءًا من حالة العوام إلى العلماء إلى الصحوة إلى الثروات إلى الحكم حالة مزرية، هي التي ستُوجب الكلام الذي سنتكلم عنه في الفصل الثاني؛ ما حكم الله -سبحانه وتعالى- في كل هذا الواقع؟

****

الفصل الثاني: ما هو حكم الله في هذا الواقع؟

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. نتابع الآن، اليوم ٩/جمادى الثاني/١٤٢٠هـ، ١٩/سبتمبر/١٩٩٩م.

وصلنا بعد أن تكلمنا عن واقع المسلمين إلى السؤال الذي يطرح نفسه مباشرة بعد توصيف هذا الواقع: **ما هو حكم الله –سبحانه وتعالى– في هذا الواقع؟**

(..) لأن الأشرطة مهمة بالنسبة لي، وستخرج على شكل مجموعة، فسأشير اختصارًا إلى المتَّكآت الأساسية في حكم وواجب المسلمين تجاه هذا الواقع.

فخلاصة الذي وصلنا إليه البارحة أنه نزل في بلاد الإسلام ما يسمى شرعًا (صائل)، هذا الصَّائل من الصِّيال وهو يعتدي عدوٌّ على المسلمين فيهدِّدهم في دينهم، فالصائل تعريفه شرعًا: أنه عدو عدا على المسلمين؛ إما على الدين أو الدنيا، إما على الدين أو النفس أو المال أو العِرض أو قام بالمظالم. فهذه الأمور حصلت الآن مُجتمِعة؛ فالصائل الآن على كل هذه المقدسات الشرعية.

هذا الصائل هو: اليهود الذين يُديرون المعركة، والنصارى الذين ينفّذونها من دول الناتو وأمريكا وروسيا ومن جرَّ جرهم، وأتباعهم في بعض البلاد مثل الهند أو الصين، وهذا سنتكلم عليه في بحث خاص عنوانه: (معادلات وأطراف الصراع).

ولكن للتَّوصيف الشَّرعي: نزل في بلادنا صائل هم اليهود والنصارى، وهؤلاء اليهود والنصارى وضعوا في واجهة هذا الصراع طبقة من المرتدين، حتى تتغيَّر المعركة على المسلمين ولا يشعروا بوجود أجنبي يستنفرهم للجهاد؛ فالذي يصول عليهم يصلي العيدين ويدَّعي الإسلام، فضاعت المصطلحات الشرعية، ولكن في حقيقة المشكلة أن الصائل هو محتلٌّ أجنبي من اليهود والنصارى أخذ الدين والدنيا.

وعندما ينزل الصائل بهذه الصورة سواء كان من الكفار الأصليين أو المرتدين فهذا له أحكام شرعية، هذه الأحكام الشرعية موجودة في كل كتب الجهاد، ولكن أحببت أن آخذ منها للإشارة مما كتبه الشيخ عبد الله عزام –رحمة الله عليه–، وهو فرّغ نفسه –جزاه الله خيرًا– لجمع الأحكام الشرعية الخاصة في دفع العدو الصائل، فوجدت كل الكتب بعد ذلك والبيانات والنشرات تدور تقريبًا حول الموجز الذي أوجزه، فيمكن نقرأ الموجز في حدود الصفحتين، ثم تمضوا في التفصيل مع الشيخ عيسى، ولكن حتى يكون في الأشرطة لفت نظر لهذه الأحكام.

جاء في كتاب (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) للشيخ المجاهد عبد الله عزام –رحمه الله– ما نقتطف منه ما يلي، قال[٤٩]:

"وجهاد الكفار نوعان: جهاد الطلب؛ (طلب الكفار في بلادهم) بحيث يكون الكفار، لا يحتشدون لقتال المسلمين. فالقتال فرض كفاية. وأقل فرض الكفاية سد الثغور بالمؤمنين لإرهاب أعداء الله...إلخ.".

ثم قال –رحمه الله– وهو مكان الشاهد:

"جهاد الدَّفع (دفع الكفار من بلادنا) وهذا يكون فرض عين، بل أهم فروض الأعيان، ويتعيَّن في حالات:

أولًا: إذا دخل الكفار بلدة من بلاد المسلمين.

ثانيًا: إذا التقى الصَّفان وتقابل الزَّحفان.

ثالثًا: إذ استنفر الإمام أفرادًا أو قومًا وجب عليهم النَّفير.

رابعًا: إذا أسر الكفَّار مجموعة من المسلمين، وجب على المسلمين تخليص هؤلاء إما بالفدية أو القتال.".

ثم تحدَّث الشيخ عبد الله –رحمه الله– عن الحالة الأولى وهي نزول الكفار في أرض من أراضي المسلمين فقال:

---

[٤٩] كلام الشيخ عبد الله عزام منقول عن كتاب الشيخ : (دعوة المقاومة الإسلامية العالمية).

"ففي هذه الحالة اتَّفق السّلف والخلف وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثون والمفسرون في جميع العصور الإسلامية إطلاقا. أن الجهاد في هذه الحالة يصبح فرض عين على أهل هذه البلدة التي هاجمها الكفار، وعلى من قرُب منهم. بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه.

فإن لم يكفِ أهل تلك البلدة أو قصَّروا، أو تكاسلوا، أو قعدوا. يتوسَّع فرض العين على شكل دوائر، الأقرب فالأقرب. فإن لم يكفوا أو قصّروا، فعلى من يليهم ثم من يليهم. حتى يعُمّ فرض العين الأرض كلها".

يعني إذا نزل البلاء في فلسطين أو نزل في تونس، فوجب على أهل البلدة، ما يُتعارف عليه شرعًا أنه بلدة أو مِصر من الأمصار، وليس بالضرورة التقسيم الذي حصل من سايكس بيكو، يعني إذا نزل البلاء في لبنان فهو نزل في الشام، فلا يقول قائل: خط الحدود يمر من هنا فأنا لم ينزل عليَّ البلاء!

فهؤلاء نزلت بهم الفريضة، فإذا كانوا قلائل أو ضعافًا أو عجزوا أو قصّروا ولم يقوموا بالواجب عجزًا أو قصدًا؛ فيجب ذلك مباشرة على من جاورهم من المسلمين، فإذا نزل في الشام ولم يكفوا لدفعه ينتقل مباشرة لأهل العراق وتركيا ومصر، فإذا كانوا على نفس الحال تتوسَّع الفريضة حتى تعمّ كل أهل الإسلام.

فإذا وقعت نازلة ولم يقم أحد بها، فالفريضة تعمُّ كل المسلمين، وكل مسلم آثم إذا لم يقم بهذا الأمر. ولذلك الشيخ عبد الله –رحمه الله– كتب أكثر من عشرة آلاف صفحة حول هذه المعاني والمشاكل التي حصلت في أفغانستان، وله فتاوى عجيبة، حتى أنه قال: "على كل مسلم أن يتهيَّأ للنفير، فيجمع أجرة بطاقة الطائرة، فإن لم يجد يحمل أمتعته على ظهره ويخرج ماشيًا يسأل الناس أن يزوِّدوه، فإذا لم يزوِّدوه يموت على الطريق وهو يقصد الغزو ودفع الصائل".

ثم نقل –رحمه الله– مقتطفات مختصرة من الأدلة المتواترة، فكان مما ذكر: **"يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعًا، فالعدو الصائل الذي يُفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يُشترط له شرط (كالزاد والرَّاحلة)، بل يُدفع بحسب الإمكان، ونصَّ على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم"**. أي الحنابلة.

ثم نقل الشيخ عبد الله موجزًا عن المذاهب الأربعة فقال:

"**أولًا**: **فقهاء الحنفية**:

قال ابن عابدين في حاشيته ج٣ ص٢٣٨: **[وفرض عين إذا هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام، فيصير فرض عين على من قرُب منه. فأما مَنْ وراءهم ببُعد من العدو فهو فرض كفاية إذا لم يُحتج إليهم. فإن احتيج إليهم بأن عجز من كان بقرب العدو عن المقاومة مع العدو. أو لم يعجزوا ولكنهم تكاسلوا، ولم يجاهدوا، فإنه يفترض على من يليهم، فرض عين كالصلاة والصوم، لا يسعهم تركه، وثمَّ وثمَّ، إلى أن يُفترض على جميع أهل الإسلام شرقًا وغربًا على هذا التَّدريج]** اهـ.".

هذا عند الأحناف، وهذه هي الفتوى المعتمدة الآن عند الأفغان.

يقول: "**وبمثل هذا أفتى الكاساني في (بدائع الصنائع)** ج٧ ص٧٢. **وكذلك ابن نجيم في (البحر الرائق)** ج٥ ص١٩١. **وكذلك ابن الهمام في (فتح القدير). من أئمة الأحناف.**

ثانيًا: **عند المالكية**: **جاء في (حاشية الدسوقي)** الجزء الثاني ص ١٧٤: **[ويتعيَّن الجهاد بفَجْئِ العدو: أي توجّه الدَّفع بفَجْئ –أي مفاجأة– على كل واحد وإن امرأة أو عبدًا أو صبيًا، ويخرجون ولو منعهم الولي والزوج ورب الدَّيْن]**".

ودفعًا للالتباس قال الشيخ عبد الله: المرأة تخرج بمحرم، حتى لو لم يأذن زوجها، ولا تخرج بدون محرم.

"**ثالثًا**: **عند الشافعية**: **جاء في (نهاية المحتاج) للرملي** في الجزء الثامن الصفحة ٥٨: **[فإن دخلوا بلدة لنا، وصار بينهم وبيننا دون مسافة القصر، فيلزم أهلها الدفع، حتى من لا جهاد عليه، من فقير وولد وعبد ومدين وامرأة]**.

رابعًا: **عند الحنابلة**: **جاء في (المغني) لابن قدامة في** الجزء الثامن الصفحة ٣٤٥: **[ويتعيَّن الجهاد في ثلاثة مواضع:**

١. **إذا التقى الزَّحفان وتقابل الصَّفان.**
٢. **إذا نزل الكفار ببلد يتعيَّن على أهله قتالهم ودفعهم.**
٣. **إذا استنفر الإمام قومًا لزِمهم النَّفير.]**.

ويقول ابن تيمية في الجزء الرابع من (الفتاوى) الصفحة ٦٠٨: (إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير عليه بلا إذن والد ولا غريم ونصوص أحمد صريحة بهذا).

ثم أضاف الشيخ عبد الله عزام إثر هذه الأدلة قوله: "**وهذا يُعرف بالنفير العام، ثم قال وأدلة النفير العام:**

قال الله –عز وجل–: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (التوبة: ٤١).

وقد جاءت الآية قبلها تُرتّب العذاب والاستبدال جزاءً لترك النفير، ولا عذاب إلا على ترك واجب أو فِعل حرام، قال تعالى في سورة التوبة الآية ٣٩: **{إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.**

قال ابن كثير –رحمه الله–: [أمر الله تعالى بالنَّفير العام مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب وقد بوَّب البخاري– رحمه الله–: (باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية) وأورد هذه الآية. وكان النفير العام بسبب أنه ترامى إلى أسماع المسلمين أن الروم يعدون على تخوم الجزيرة لغزو المدينة. فكيف إذا دخل الكفار بلاد المسلمين، أفلا يكون النَّفير أولى؟ قال أبو طلحة –رضي الله عنه– في معنى قوله تعالى: {خِفَافًا وَثِقَالًا}؛ أي كهولًا وشباب ما سمع الله عذر أحد] الجزء الثاني ص١٤٤. من (مختصر تفسير ابن كثير).

وقال الحسن البصري: (في العسر واليسر).

ويقول ابن تيمية في الجزء ٢٨ ص ٣٥٨: **[فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين، فإنه يصير دفعه واجبًا على المقصودين كما قال تعالى: {وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ}** (الأنفال: ٧٢). **كما أمر النبي ﷺ بنصر المسلم سواء كان الرجل من المرتزقة للقتال أو لم يكن، هذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة والمشي والركوب، كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق. لم يأذن الله في تركه لأحد].**

وقال الزُّهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له إنك لعليل، فقال: (استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكنّي الحرب كثّرت السَّواد وحفظت المتاع) رواه القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن) ج٨/ ص١٥٠.

ثم يتابع الشيخ عبد الله عزام –رحمه الله– أدلة النفير العام فيقول:

ثانيًا: ويقول الله –عز وجل–: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} (التوبة: ٣٦). **قال ابن العربي: [كافة يعني محيطين بهم من كل جانب وحالة]**. رواه القرطبي في الجامع.٨ – ١٥٠.

ثالثًا: ويقول –عز وجل–: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} (الأنفال: ٣٩). **والفتنة هي الشرك. كما قال ابن عباس والسدي.** ذكره القرطبي الجزء ٢٥٣-٢. **وعند هجوم الكفار، واستيلائهم على الديار فالأمة مهددة في دينها. وعرضة للشك في عقيدتها، فيجب القتال لحماية الدين والنفس والعِرض والمال".**

"خامسًا: إن كل دين نزل من عند الله جاء للحفاظ على الضرورات الخمس: الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال.

ولذا فيجب المحافظة على هذه الضرورات بأي وسيلة، ومن هنا شرع الإسلام دفع الصائل، والصائل: هو الذي يسطو على غيره قهرًا يريد نفسه أو ماله أو عرضه.

١) الصائل على العرض: ولو كان مسلمًا...".

وانتبه أن أحكام الصائل في كل كتب الفقه هي للصائل المسلم، وهي للصائل الكافر من باب أولى.

قال: **"أ) الصائل على العرض: ولو كان مسلمًا إذا صال على العرض وجب دفعه باتفاق الفقهاء ولو أدى إلى قتله"**؛ أي إلى قتل الصائل المسلم.

"ولذا فقد نصَّ الفقهاء على أنه لا يجوز للمرأة أن تستسلم للأسر ولو قُتلت إذا خافت على عِرضها."، ويُقتل من قصدها ولو كان مسلمًا.

ب) أما الصائل على المال أو النفس: فيجب دفعه عند جمهور العلماء، ويتفق مع الرأي الراجح في مذهبي مالك والشافعي ولو أدى إلى قتل الصائل المسلم، ففي الحديث الصحيح: (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد) [حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي].

قال الجصاص بعد هذا الحديث: "لا نعلم خلافًا أن رجلًا لو شهر سيفًا على رجل ليقتله بغير حق أن على المسلمين قتله" أحكام القرآن للجصاص [٢٤٠٢/١]. **وفي هذه الحالة –الصِّيال– إذا قُتل الصائل فهو في النار ولو كان مسلمًا، وإذا قُتل العادل فهو شهيد.**

هذا حكم الصائل المسلم، فكيف إذا صال الكفار على أرض المسلمين حيث يتعرَّض الدين والعرض والنفس والمال للذهاب والزوال؟ ألا يجب في هذه الحالة على المسلمين دفع الصائل الكافر والدولة الكافرة؟!

٦) تترُّس الكفار بأسرى المسلمين: إذا اتّخذ الكفار أسرى المسلمين كترس أمامهم وتقدّموا لاحتلال بلاد المسلمين يجب قتال الكفار، ولو أدى إلى قتل أسرى المسلمين.

يقول ابن تيمية في (مجموع الفتاوى) ٥٣٧/٨٢: [بل لو فيهم –الكفار– قوم صالحون من خيار الناس ولم يمكن قتالهم إلا بقتل هؤلاء لقتلوا أيضًا، فإن الأئمة متفقون على أن الكفار لو تترَّسوا بأسرى المسلمين وخيف على المسلمين إذا لم يقاتلوا فإنه يجوز أن نرميهم –ونقصد الكفار– ولو لم نخف على المسلمين جاز رمي أولئك المسلمين أيضًا على أحد قولي العلماء.".

وفي الصفحة ٤٥ يقول: "والسنة والإجماع متّفقان على أن الصائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل قتل، وإن كان المال الذي يأخذه قيراطا من دينار، ففي الصحيح: (من قُتل دون ماله فهو شهيد)".

قرأت في أحد الكتب –لا يحضرني الآن– أن جابي المكوس والضرائب للخليفة المسلم، وهو قد جاء لأخذ ضريبة شرعية قررها الخليفة، إذا ظلم صاحبها فوق ثلاثة دراهم يُدفع كصائل، فهذا اسمه صيال على المال.

قال: **"وذلك لأن حماية بقية المسلمين من الفتنة والشرك وحماية دينهم وعرضهم وماِلهم، أولى من إبقاء بعض المسلمين أحياء، وهم الأسرى في يد الكفار المتترّس بهم.**

٧) قتال الفئة الباغية: يقول الله –عز وجل–: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (الحجرات:٩).

فإذا فرض الله علينا قتال الفئة الباغية المسلمة حفظا لوحدة كلمة المسلمين وحماية دينهم وأعراضهم وأموالهم فكيف يكون الحكم في قتال الدولة الكافرة الباغية، أليس هذا أولى وأجدر؟

٨) حد الحرابة: قال تعالى: {إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (المائدة:٣٣).

هذا حكم المحاربين من المسلمين الذين يُخيفون عامة المسلمين ويفسدون في الأرض فيعبثون بأموال الناس وأعراضهم، ولقد فعل ذلك رسول الله ﷺ بالعرنيين كما جاء في الصحيحين (انظر الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني لأحمد عبد الرحمن البنا [١٢٨/٨١])، وفي الحديث عن أنس: (أن نفرًا من عكل وعرينة تكلموا بالإسلام، فأتوا رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم أهل ضرع ولم يكونوا أهل ريف وشكوا حمى المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وأمرهم أن يخرجوا من المدينة فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فانطلقوا فكانوا في ناحية الحرة فكفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي رسول الله ﷺ وساقوا الذود، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فبعث الطلب في آثارهم، فأُتي بهم فسمل أعينهم وقطع أيديهم وأرجلهم). فكيف بالدولة الكافرة التي تُفسد على الناس دينهم ومالهم وعرضهم أليس قتالها أوجب على المسلمين وأحرى؟!".

فهذا الكلام كله للشيخ عبد الله عزام، وهذا الكلام هو الذي كان يربّي عليه الناس أثناء الجهاد، وهم كانوا يقولون له: "يا شيخ الأفغان فيهم وفيهم"، وهو يدافع عن الأفغان، حتى أنه غضب مرة فقال: "رأيتم هذا الكلام الذي تقولونه عن الأفغان؟ أعرف مثله مائتين مرة، ولكن كل الذي أريده أن يأتي من كل بلد مسلم أربعون شخصًا يُقتل منهم عشرون في سبيل الله ويرجع منهم عشرون ينقلون الجهاد إلى ديارهم".

هذه كانت نظرية الشيخ عبد الله، ولهذا الأمر تجاوز عن كثير من الأمور للوصول إلى هذا الهدف؛ فالجهاد ميت في بلاد المسلمين، فنتحمَّل كل المشاكل والمصائب والخلاف والبلاوي التي كانت موجودة، من أجل غرض واحد وهو نقل الجهاد من أفغانستان إلى عشرات البلاد. فهو كان يربّي الناس على هذا لكلام.

يقول:

"هذه بعض الأدلة والمبرّرات للنفير العام إذا دخل الكفار أرض المسلمين. إن دفع العدو الكافر هو أوجب الواجبات بعد الإيمان وكما قال ابن تيمية: "فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه" (الفتاوى الكبرى) [٦٠٨/٤])".

انتهى النقل من كتاب (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) للشيخ الشهيد -كما نحسبه ولا نزكيه على الله-.

ثم نقول: ألا يتبيَّن بعد سرد هذا الإيجاز من الأحكام كتابًا وسنة وإجماعات وأقوال سلف من أئمة التفسير والحديث وأئمة المذاهب الأربعة وغيرها، على ما بينهم من خلاف في بعض الفرعيات متَّفقون على هذه الأحكام، فلما يحصل الاتفاق على هذه الأحكام تُصبح من الفروض.

فأنت تفهم اللغة العربية يقول لك إنسان عن شيء: "ليس أوجب بعد الإيمان منه"؛ معناها أوجب شيء على العبد أن يؤمن بالله، ثم هذا، ثم بعد ذلك الواجبات الأخرى، فالمفروض الإنسان يدخل في التوحيد وبعد ذلك تترتَّب عليه واجبات، فأول المترتِّبات هي قضية دفع الصائل، تأتي بعد الإيمان مباشرة. انظر غيابها عن الأئمة مع أهميتها وقدسيتها!، هي أول نقطة واجبة بعد الإيمان بالله -سبحانه وتعالى-.

قد يسأل سائل: هذا في هجوم الكفار على بلاد المسلمين، فأين الكفار الآن في بلاد المسلمين؟ لا أحد يرى كفارًا في الأردن، ولا أحد يرى كفارًا في اليمن.

فننتقل الآن لننقل له الصورة بتدريجها حتى يعرف أن هذه الحالة التي حصلت هي حالة احتلال، لأن عوام المسلمين لا يخرجون للقتال إلا إذا رأى رجلًا كافرًا من جنسية ولون آخر دخل بلده وحمل السلاح، كما حصل في أفغانستان؛ كفر الملك والناس لم تخرج، كفر الحكام الشيوعيون قبل الروس والناس لم تخرج، ودعت جماعة للجهاد ولم يُجبهم أحد، فكان

حال الحركة الإسلامية في أفغانستان مثل البلاد العربية؛ العامة في وادٍ لا يرون العلماء والحركة ولا يرون الخروج والقتال، ثم في حركة إسلامية مثل الإخوان والتبليغ والسلفيين لا ترى القتال، ثم في قلة من الشباب ترى القتال، كان حالهم مثل حالنا تمامًا، وهذا من أول السبعينات إلى سنة ١٩٧٩م حتى قدوم الروس.

فلما بدأ الجهاد وأصبح يمكن أن يشكّل خطورة ارتكب الرُّوس الخطأ الرئيسي ودخلوا أفغانستان، فالحركة الإسلامية ما عاد لها وجه إلا أن تدخل مُجبرة إلى القتال، ولا تستطيع أن تمنع شبابها عن القتال وقد دخل العدو الأجنبي الكافر، ثم أفتى المولويَّة بالقتال، ثم تَبِعت القبائل والناس، فأصبح الجهاد بالقبائل وبالملايين المسلحة.

ولذلك هناك أمران نستنبطهما من هذا الحال:

أولًا: يجب أن نكشف الحال عبر الدعوة والتاريخ والسياسة وتوصيف الواقع؛ حتى نجعل من عنده علم يُفتي على بصيرة، أن الحال هو حال احتلال.

الأمر الآخر: يجب أن نجرّ العدو الخارجي حتى يدخل في المعركة، وهذا ضروري؛ لأن البيان يمكن أن يقنع قلة قليلة من الناس، ولكن نحن نستطيع بالعمل العسكري أن نهدّد مصالح الغرب واليهود بطريقة ليس لهم خيار إلا كما قال شامير للملك حسين يوم حرب الخليج؛ كان بعض الشباب يعبرون حدود فلسطين ويسبحون النهر، وبعضهم بسكين المطبخ يعبر لمناطق اليهود ويضرب يهوديًا، هي عمليات لا أثر لها من الناحية العسكرية ولكنها سبَّبت إزعاجًا، فقال شامير قولًا هو درس عسكري بالنسبة لنا، قال: "نحن نقدر الجهود الجبَّارة التي يبذلها الملك حسين للحفاظ على حدودنا الشرقية، ولكن هذه الجهود أضحت غير كافية، وإذا بقيت حالات العبور هذه فنحن سندخل الأردن ونحتل المرتفعات الغربية".

فهو لو دخل الأردن بالنسبة لنا عمل ممتاز جدًا؛ لأننا نعبر المسافات وحقول الألغام حتى نضرب واحدًا بالسكين، والشعب نائم ولا يريد دخول المعركة، فعندما يدخل العدو بصورته الحقيقة، هو في الأصل موجود، ويحكم الأردن ويحكم الحرم، فهو موجود ولكن غير مرئي. فنحن من أهدافنا لنقل الأمة تحت الشعار الذي وضعناه لهذه المرحلة: **وهو نقل المعركة من جهاد عصبة ونخبة إلى جهاد أمة، من الأمور الضرورية جدًا أن تجعل العدو يظهر على حقيقته،** فعند ذلك تكون دعوة العامة إلى الجهاد ممكنة.

فهذه **الصورة الأولى**: وهي **نزول الصائل**، كما رأينا في الأدلة أنه مُوجِبٌ للقتال، بقيت مهمتنا أن نُثبت لكم أن الصائل موجود، والقواعد موجودة، وهذا نشرحه في فصل آخر.

الأمر الثاني الموجب للقتال -وسيفصّله معكم الشيخ عيسى- هو دون أن ينزل صائل أجنبي من الكفار؛ **لو كفر إمام المسلمين**؛ كان مسلمًا يحكمنا بالشريعة ثم كفر وترك الحكم بالشريعة، أو تولَّى الحكم رجل كافر مرتد لا يحكم بالشريعة أصلًا، هذا موجب للقتال وللخروج عليه وخلعه، وأيضًا نُقل في هذا الإجماع. ذكره القاضي عياض ونقله النووي، وهذا موجود في كل كتب الجهاد؛ **أن الإمام لو كان كافرًا أو طرأ عليه الكفر وجب خلعه والقيام عليه.**

وهناك كتاب مهم لخَّص هذه المسائل اسمه (الإمامة عند أهل السنة) أصله رسالة ماجستير، فيه باب اسمه: (باب: الخروج على الحكام)، وفي كتاب (العمدة) باب اسمه: (باب: الخروج على الحكام). ومدار كل ذلك قوله تعالى: {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا}[٥٠]؛ فلا يجوز أن يكون للكافر على المؤمن سبيل، والسبيل هو الطريق والقوة والسلطة، وأعظم سبيل لشخص على شخص أن يكون حاكمًا له، فهذا غير مسموح به.

وكفر الحاكم وردّة الحكومة وعمالتها لليهود والنصارى ودخول الصائل هي في حقيقتها شيء واحد، ولكن لنفرض أنه جاء إنسان وأثبت زورًا أنه لا توجد قوة أجنبية ولا يوجد صائل، نقول له حتى لو كان كذلك، إذا كان الحاكم كافرًا فهذا موجب للخروج والقتال.

بل قال الرجل في كتاب (الإمامة) أن قتله ليس من باب الخروج بل من باب قول الرسول ﷺ: (من بدَّل دينه فاقتلوه)[٥١]، حاكمًا أو محكومًا، فما بالك أن يكون حاكمًا ويتعدَّى كفره إلى الناس؟!

فهذا من الأبواب التي يثبُت فيها شرعًا وجوب حمل السلاح من أجل قتال هؤلاء.

وأريد أن ألفت النظر إلى هذه النقطة اللطيفة المهمة جدًا -وإن شاء الله نتكلم عنه في قضية العلماء-؛ أن جماعات الجهاد من ثلاثين سنة وهي تقول: يجب أن نحمل السلاح لأن الحاكم كفر...

---

[٥٠] سورة النساء، الآية: ١٤١.

[٥١] صحيح البخاري (٣٠١٧).

*[52] فكان المتّكأ الذي اتّكأت عليه كل جماعات الجهاد، حديث عبادة بن الصامت لما سأل الرسول ﷺ في قضية الخروج فقال: (..إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان)[53]، هذا متفق عليه.

هناك بعض علماء المسلمين والتابعين خرجوا وحملوا السلاح ليس للكفر بل لزيادة الظلم والجور، ولزيادة الانحراف، وسيدهم ورأسهم الإمام الحسين -رضي الله عنه- خرج مع بني أمية، ومنهم ابن الأشعث خرج على الحجّاج، ومنهم عبد الله بن الزبير خرج على الأمويين ولم يكونوا قد كفروا.

فهناك طائفة من أئمة الإسلام يرون الخروج بغير الكفر، وأنا على هذا المذهب وأدلّته قوية جدًا، إذا بلغت المظالم حدًا أصبح غير مُحتمل، وتعطيل مصالح الناس أصبح غير محتمل، لم يكفر الإمام الأكبر ولكن بلغت الأمور حدًا غير معقول، فهناك طائفة من علماء الإسلام غير قلائل يرون الخروج على الحاكم. وهناك كتاب للشيخ علي بن حاج -فرّج الله عنه- اسمه: (فصل الكلام في مواجهة ظلم الحكام)، جمع أدلة أهل السنة، وأفعال الأئمة الذين رأوا الخروج بدون كفر.

وفي هذا الباب فتاوى مهمة جدًا للإمام ابن حزم، لكن لأن علماء المسلمين لهم مواقف من الإمام ابن حزم اختفى هذا الرأي، وابن حزم من خيار أئمة السياسة الشرعية، من أفضل ما كُتب في السياسة الشرعية في أبواب الجهاد في (المحلّى) فيه كثير جدًا من هذه الآراء.

ولكن لخّص هذه الأقوال رجل من علماء المسلمين عاش قبل ألف سنة، وكان له عقل من العِظم والكِبر متقدّم عن مرحلته وهو الإمام الجويني، إمام الحرمين الجويني عاش في أواخر القرن الخامس أو أول القرن السادس، عاش في زمن السلاجقة قبل الطوائف وقبل سقوط بغداد بقليل.

كتب كتابًا اسمه (غياث الأمم في التياث الظلم؛ إذا خلا الزمان عن حاكم يحكم بشرع الله أو عالم يفتي لدين الله)، كتب كتابًا يتخيّل فيه حاكمًا لا يحكم بشرع الله، وكان هذا قبل ألف سنة خيالًا، ويحدث ذلك في غياب الحاكم أوغاب العالم، فكتب هذا الكتاب في هذه السنين لينير السبيل في هذه الظلم من غياب الحاكم والعالم، كتاب عظيم جدًا جدًا في السياسة الشرعية، وبوبه بأرقام إلى مسائل، فيه مسألة رقم ١٥٤ انتصر فيها الإمام الجويني للخروج على الحاكم ولو لم يكفر، قال الرسول ﷺ (.. إلا أن تروا كفرًا بواحًا) وهذه الحالة ليس فيها خلاف أصلًا.

بعض العلماء ومنهم الإمام الجويني قال لا يُشترط الكفر للخروج، أما مسألة الكفر فهذا أمر مفروغ منه. قال: "فالأصل في الإمام حفظ الدين والدنيا فإذا أصبح الإمام موئلًا للفجّار، وتعطّلت السبل وقام النّهب والسلب، وصار

---

[52] بداية تفريغ الملف الخامس.

[53] صحيح البخاري (٧٠٥٦)، صحيح مسلم (١٧٠٩).

الحاكم هو رئيس العصابة ومنظّم السّارقين، فإذا صار هذا الأمر فقد انتفى الأصل من الإمام، وإنما وُضعت الإمامة لحفظ الناس".

فقال كلامًا عظيمًا جدًا: "فخيرٌ للناس أن يغدوا بلا إمام يأكل أقوياؤهم ضعفاءهم، من أن يكون الإمام الفاجر هذا موئلًا للأقوياء ليأكلوا الضعفاء"[٥٤].

يعني أفضل للناس أن يكونوا بلا حكومة القوي يأكل الضعيف وينتشر قطّاع الطرق، يبقى هذا أقل فسادًا من أن يكون الفساد منظَّمًا بقوة الجيش والمخابرات والحكومة فيسيطروا على الناس، لأنه في حالة الفوضى الأولى يستطيع الضعيف أن يجد سلاحًا ويدافع عن نفسه؛ أمّا في حالة الفوضى وقطع الطريق المنظَّم من قِبل الحكومة لا يستطيع الإنسان أن يدافع عن نفسه، فهو لصّ لكن يلبس بدلة ومعه قوّة القانون ومعه شرطة ويقول لك ادفع كذا.

فعندما تتنظم الجريمة ويتنظم الكفر ويتنظم النهب فقال الإمام الجويني أن يبقوا بدون إمام أفضل.

بعض العلماء قالوا بهذا الرأي، وهم ليسوا بقليل، الإمام حسين -رضي الله عنه- خرج وبنو أمية لم يكفروا، وابن الأشعث سمّيت ثورته (ثورة القرّاء)، لكثرة من فيها من القرّاء، أي فقهاء الأمة كالشعبي وسعيد بن المسيب ضد بني أمية وهم لم يكفروا. وكذلك العلماء الذين أفتوا بني العباس بالخروج على بني أمية وتغيير النظام دون أن يكفروا.

لكن علماء أهل السنة نتيجة المفاسد التي حدثت من الثورات والحركات أصدروا رأيًا، الجمهور -أي: الغالب وليس الكل، وأنا لست على مذهب الجمهور في هذه المسألة-، قالوا لا يُخرَج على الحاكم إلّا بعد الكفر، لقول الرسول ﷺ: (..إلا أن تروا كفرًا بواحًا)[٥٥]، أما المظالم والجور فاستدلوا بحديث الرسول ﷺ: (وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ)[٥٦].

أريد أن أُوصل لكم بعد هذا التَّفصيل: أن هناك مسألة لم تختلف عليها الأمة منذ عبادة بن الصامت إلى يومنا هذا، وهي: **أن الخروج بالسلاح واجب أو جائز حسب القدرة إذا كفر الحاكم**، وهذا متَّكأ جماعات الجهاد: إذا كفر الحاكم يجب نخرج عليه.

[٥٤] يقول الإمام الجويني في كتابه (الغياثي) صـ ١٠٦: " فأما إذا تواصل منه العصيان، وفشا منه العدوان، وظهر الفساد، وزال السداد، وتعطلت الحقوق والحدود، وارتفعت الصيانة، ووضحت الخيانة، واستجرأ الظلمة، ولم يجد المظلوم منتصفا ممن ظلمه، وتداعى الخلل والخطل إلى عظائم الأمور، وتعطيل الثغور، فلا بد من استدراك هذا الأمر المتفاقم على ما سنقرر القول فيه على الفاهم – إن شاء الله عز وجل – وذلك أن الإمامة إنما تعنى لنقيض هذه الحالة. فإذا أفضى الأمر إلى خلاف ما تقتضيه الزعامة والإيالة، فيجب استدراكه لا محالة، وترك الناس سدى، ملتطمين لا جامع لهم على الحق والباطل أجدى عليهم من تقريرهم على اتباع من هو عون الظالمين، وملاذ الغاشمين، وموئل الهاجمين، ومعتصم المارقين الناجمين " اهـ.

[٥٥] صحيح البخاري (٧٠٥٦)، صحيح مسلم (١٧٠٩).

[٥٦] صحيح مسلم (١٨٤٧).

فالآن العلماء وجدوا أن هذه أصبحت مشكلة لأن كفر الحاكم أصبح ظاهرًا، فخرج علينا سيدنا ابن عثيمين السنة الماضية بفتوى نُشرت في (مجلة الشرق الأوسط)، قال بالحرف الواحد: "هب أن الحاكم قد كفر، فهذا ليس موجبًا لأن نوغِر عليه الصدور وأن يخرج عليه الناس وتحصل الشرور"!.

هذه انفرد بها ابن عثيمين، وصنعت جدلًا في الصحافة ثم نامت. ثم فسَّر كلامه حتى لا يَظنّ الناس أنه يتكلم عن السعودية، فقال: "ولا يظن الرجل أني أتكلم عن حكومة المملكة، فنحن بلادنا محكومة بالشريعة والحمد لله، ولا أتحدث عن بلادنا، فقال أتكلم عن باقي ممالك المسلمين"!.

طامة أكبر، هب أن باقي بلاد المسلمين حكامها كفروا فهذا ليس سببًا لتحمل عليهم الأسلحة، ليس هذا بل مسألة أقل، قال: "أن نوغر عليه الصدور"؛ لا تتكلم عنه شيئًا أصلًا!

يقول بعد ذلك: "اتفق العلماء أنه إذا تفرّقت الممالك يجوز أن يكون هناك عدة أمراء، فأرى أن طاعة كل حاكم اليوم في بلده واجبة على شعبه"، انظر هذه ثلاثة بنود في فتوى واحدة:

١- ردّ حديث عبادة بن الصامت المتَّفق عليه، وهو إجماع الصحابة وإجماع الأمة ١٤٠٠ سنة، أن الحاكم إذا كفر وَجبَ الخروج عليه، بينما هو قال لا تتكلم عنه.

٢- قال هذا ليس عندنا في -السعودية- فنحن دولة توحيد.

٣- يجب على أهل كل بلدة طاعة حكامها، وعلى هذا طاعة القذافي واجبة على أهل ليبيا، وسألوه عن ياسر عرفات فأوجب له الطاعة وقال هو ولي أمر الفلسطينيين، طبعًا لم يقل: "نُطيع إلياس سركيس في لبنان لأنه ولي الأمر وهو نصراني"، فأهل كل بلد تطيع الذي عليها، وأهل فلسطين يُطيعوا حنًّا عشراوي، وأهل باكستان يُطيعوا بناظير بوتو، وهكذا.

وأرجع لأقول أن:

الموجب الأول لحمل السلاح هو: دفع الصائل، وسنثبت أنه قد نزل.

الموجب الثاني لحمل السلاح هو: ردَّة الحاكم.

الموجب الثالث لحمل السلاح -وهو محل خلاف- هو: بلوغ الظلم والجور حدًا تتعطَّل فيه مصالح الناس، والتي هي من مقاصد الإمامة.

هناك مجموعة من الأدلة، وهذا الأمر نتركه للشيخ عيسى، الأمر الآخر أن هناك قضايا تُوجب الخروج، وهي من قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليس فقط وجود الكفر ودفع الصائل، (من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده أو بلسانه

أو بقلبه وذلك أضعف الإيمان)[٥٧]، فيمكن أن يغيّر المنكر بالجريدة، أو يغيّره بلسانه، أمّا قضية التغيير بالقلب فهي إذا كان الفساد قد بلغ من الحالة أن قطعت كل المسالك.

وهذه المسائل سنرجع إليها -إن شاء الله-، والشيخ سيذكر لكم أبحاثًا مهمة جدًا في دفع الصائل عن المال والعرض، وهذا إذا كان الصائل مسلمًا صالحًا، ولكن جاءته ساعة جنون واعتدى علينا، حتى أن ابن حزم استدلّ في كتابه (المحلّى) بانّه في زمن معاوية جاء عامل الخليفة إلى أحد الصحابة وأظنه عبد الله بن عمرو بن العاص، جاؤوا ليحوّلوا ساقية عن بستان عبد الله بن عمرو، فقام وأمر أولاده أن يحملوا السلاح وقال: "أمنعكم وإن قُتلنا عن آخرنا".

وكادت أن تقع مذبحة بين الصحابة وجنود الخليفة، فخرج رجل من الصحابة -وهذا استدل به الإمام بن حزم- وقال لهذا العامل: "والله إنك تعلم أنك إن قتلته فهو شهيد وإن قتلك فأنت في النار لقول الرسول ﷺ: (ومن قُتل دون ماله فهو شهيد)"[٥٨]، فالرجل فقيه ويعلم لمَ لبس هو وأولاده السلاح.

ولذلك عرف الكفار الخطة، فتستَّر الصائل تحت المرتدين، وذهب المرتد إلى صلاة العيدين، وجاءنا ببعض المشايخ قالوا نُطيعه. فحتى لا نقع في هذه القضية نقوم أمرين: **نُظهر الأحكام الشرعية، ونُظهر التوصيف السياسي**، هذا الجزء أحببت أن يكون في الشريط، والتفصيل يكون لكم في الجزء الآخر من الكورس.

ننتقل الآن إلى الفصل الثالث وهو جزء أساسي عنوانه: (مسار الصراع من قابيل إلى كلينتون).

---

[٥٧] صحيح مسلم (٤٩).

[٥٨] يقول ابن حزم في (المحلّى) ١١/٣٣٥: "كَمَا رُوِّينَا مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: «أَرْسَلَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ إلَى عَامِلٍ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ الْوَهْطَ فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَلَبِسَ سِلَاحَهُ هُوَ وَمَوَالِيهِ وَغِلْمَتُهُ، وَقَالَ: إنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ – مَظْلُومًا– فَهُوَ شَهِيدٌ).

وَمِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، قَالَ: «إنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ تَيَسَّرَ لِلْقِتَالِ دُونَ الْوَهْطِ، ثُمَّ قَالَ: مَالِي لَا أُقَاتِلُ دُونَهُ وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)..." اهـ.

الفصل الثالث: مسار الصراع من قابيل إلى كلينتون

بداية الصراع {قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ}:

قابيل هو ابن آدم الذي قتل أخاه، وشعار هذا العمل كان: (لأقتلنك)، قال تعالى: {إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ **لأَقْتُلَنَّكَ** قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}[٥٩]، مهما تكن الروايات؛ سواء المذكورة في القرآن وهي الصحيحة وهي أن السبب أنهما قرَّبا قرباناً فتُقبّل من أحدهما ولم يُتقبَّل من الآخر، أو المذكور في بعض التفاسير كالجوزي وغيره، المهم أنه كان هناك سبب من الأسباب سوّل لأخ قتل أخيه، وهي أول جريمة قتل ارتُكبت في تاريخ البشر، أن يحمل السلاح ويقول لأخيه: (لأقتلنك)، ومن ذلك الوقت وحتى الآن وشعار الكفر مع الإيمان: (لأقتلنك)، وهذا يقتضي منا أن ننظر في التاريخ.

وأقول لكم اختصارًا، أن كل مشاكلنا الحالية هي من نفس نوع مشاكل الأنبياء الممتدَّة في التاريخ، وكل أساليب المؤمنين في الدفاع متشابهة، وكل أوامر الله –سبحانه وتعالى– لهم واحدة، وكل أساليب الكفر على اختلاف الحضارات من المدفع إلى العصا والحجر هي واحدة.

وهناك قصص كثيرة معروفة من السيرة، لكن سنقف عند بعض المحطات للإيضاح، أبونا آدم –عليه السلام– نزل إلى الأرض في القصة المعروفة التي تعرفونها، وكان عنده في البداية ولدان: قابيل وهابيل، وحسب بعض الروايات أن هابيل هو الصالح وقابيل هو الطالح، فاختلفا على مسألة وذكر القرآن طرفًا من الخلاف، فقال الطالح للصالح: (لأقتلنَّك)، يجب أن أتخلص منك.

ونستفيد من هذه القصة، أن الكرة الأرضية واسعة لا حصر لها كان فيها هذان الشخصان، لم يقل له يا أخي خذ لك قارة وأنا قارة، لم تتسع لهما الأرض، لم يجد له مكانًا بجواره في كل هذه الأرض الكبيرة، بل قال: لأقتلنك حتى أتخلص منك، وأبقى أنا –الباطل– لوحدي.

وهنا نستفيد أن الباطل من طبيعته –وهذا ما كتبه الله تعالى للبشر– أنه لا يقبل أن يجلس بجانبه حق، ممكن الحق في مرحلة من المراحل يقبل بسبب الضعف، إنما الباطل فلا.

---

[٥٩] سورة المائدة، الآية: ٢٧.

ومنا هنا نلفت النظر أن من يتصور أنه يمكن للحق والباطل أن يجتمعا تحت قبة برلمان هو مجنون ومخبول، الأرض كلها لم تتَّسع لأخوين أحدهما على الحق والثاني على الباطل، فكيف يتَّسع البرلمان لحزبين أحدهما حق والآخر باطل؟ أحدهما يريد أن يسهر ويخمر بالليل والآخر يريد أن يصلي الصبح؟! فلا يمكن أن يجتمعا مع بعض.

حتى النصارى في هذا الوقت فهموا ذلك، وهذا ما ذكرته آخر فلسفات الغرب -لو تملكون بعض الثقافة، وللأسف كثير من الجهاديين لا يعتبر الثقافة مهمة-، آخر النظريات في أمريكا الآن بدأت محاضرة وأصبحت كتابًا، أشهر محاضرة في العالم في السنتين الماضيتين وهي تحت عنوان (صراع الحضارات).

كتب فيلسوف أمريكي كتابًا أسماه (نهاية التاريخ)، وذلك بعدما سقط جدار برلين، وزال الاتحاد السوفييتي، وانتصرت أمريكا، وفرضت حضارة الصليب نفسها، وحضارة الصليب لها رسالتان: النصرانية المشوَّهة كدين، والديمقراطية التعدُّديَّة كمذهب للحكم، والرأسمالية كاقتصاد. هذه رسالة أمريكا ورسالة الغرب كله.

الديمقراطية ليست وليدة سنتين، بل نشأت حوالي ألف سنة قبل الميلاد، والآن نحن في نهاية الألفية الثانية للميلاد أي أنّ لها ٣ آلاف سنة، قام كل تاريخ روما على النظام الديموقراطي، ولما قام النظام الغربي (الروم الحديثون) ورِثوا نظام آبائهم وأجدادهم، فنظام الروم وحضارتها تقوم على الرأسمالية والديموقراطية والصليبية، هذه هويتهم.

فلما انتصروا وأزالوا الروس، كتب كاتب أمريكي من أصل ياباني كتاب (نهاية التاريخ)، انتشر في العالم وطُبعت منه ملايين النسخ، التاريخ هو صراع الأمم والحضارات، فقال أنّه بعد الصراع وانتصار الصليب والديموقراطية هيمنًا على الأرض وصرنا لوحدنا، {وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا}[٦٠]، ولم تعد هناك قوة غيرهم على الأرض.

فلما انتبهوا أنهم ليسوا وحدهم -بعد أن أزالوا الروس-، وأن أمامهم عدو آخر، فاجتمع الصليبيون فيما بينهم على مستوى الرؤساء، اجتمعوا بالرئيس الأمريكي، واجتمعوا على مستوى كبار الكتَّاب، يُريدون عدوًا، فتلفَّتوا يمينا وشمالًا فوجدوا العدوَّ التاريخي هو الإسلام وأهل الإسلام.

فاختفت نظرية (نهاية التاريخ)، وظهرت نظرية جديدة في كتاب جديد اسمه (صراع الحضارات)، ملخصها أن الأرض لا تتَّسع لحضارتين، روس وأمريكان لا يجوز، أمريكان وإسلام لا يجوز، يجب أن تكون الحضارة واحدة هي حضارة الصليب الديموقراطية الرأسمالية ورأسها أمريكا والناتو، والذي يقف بوجهنا نسحقه، وهذه خلاصة نظرية (النظام العالمي الجديد).

---

[٦٠] سورة يونس، الآية: ٢٤.

خلاصة نظرية النظام العالمي الجديد قائمة على صراع الحضارات، وصراع الحضارات صحيح وبدأ من عند قابيل وهابيل، لأن قابيل وهابيل لم يبقيا على الأرض الواحدة، وهذه النظرية تحسُّ بها نوعًا من الهيمنة، لكن أول من قال بصراع الحضارات هم المسلمون أصلًا، نحن حضارتنا الإسلامية تقوم على أن العالم ثلاثة أجزاء:

- **جزء نسيطر عليه ونحكمه بشرع الله**، أعجبهم أو لم يعجبهم نحكم بشرع الله، و(من بدّل دينه فاقتلوه)، ليس هناك حرية أديان بالنسبة لنا، فنحن نقول بدين واحد، الله خلق البشر فيجب أن يعبدوه، قوله تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُد مَنْ فِي السَّمَوَات وَالْأَرْض طَوْعًا وَكَرْهًا}[٦١].

- **وجزء لا نحكمه فنحن نحاربه**، {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغرون}[٦٢]، إما أن تُسلموا أو تدفعوا الجزية أو أن تُحاربوا، الآن بسبب حالة الضعف خرج فلاسفة مسلمون ينكرون هذا، كما قال سيد قطب: "ليت هؤلاء المهزومون من المسلمين نسبوا هزيمتهم إلى أنفسهم وقالوا نحن ليس عندنا هجوم نحن دين دفاع، ولم ينسبوها إلى دين الله، وقالوا الجهاد أصلًا دفاع"، الله أمرنا بالجهاد حتى ندافع عن أنفسنا، ثم أمرنا أن نُدخل الناس في دين الله حتى نُخرجهم من الظلمات إلى النور.

فنحن نقول بعدم وجود حضارات غير حضارة الإسلام، ويجب أن نقاتل حتى تسود حضارة الإسلام الأرض فقط، وسوف تسود حضارة الإسلام الأرض.

فإما نحكمهم، أو نحاربهم، أو نتركهم ونأخذ منهم جزية. هذه هي الحالات الثلاثة.

هذا الكلام يحتاج لفعل، يحتاج لناس قادرين على هذا الفعل، أما الآن المسلمون هم الذين يدفعون الجزية نتيجة الاستضعاف!.

ولو تنظر إلى هذه الأحكام في كتب أهل العلم –وليس موضوعنا الآن– تعجب!، حتى قال العلماء في تفسير: {حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغرون}[٦٣] قيل: يُؤتى بالذميّ فيُجرّ جرًا ويُدفع دفعًا ويُؤخذ من عنقه ويُسلسل سلسلة ثم يقال له ادفع الجزية يا كافر، ليس مجرد أن يذهب للبنك ويدفع شيكًا، يجب أن يدفع بهذه الصورة. وعند الأحناف الحالة كذلك، يجب أن يُهان ويُضرب بالنعال أثناء دفع الجزية، وإلا كيف يكون هناك صَغَار؟! في حين قال الشافعية فقط يدفع المال؛ لأن دفع المال صَغَار.

---

[٦١] سورة الرعدة، الآية ١٥.

[٦٢] سورة التوبة، الآية ٢٩.

[٦٣] سورة التوبة، الآية ٢٩.

فالخلاف هل نُهينه عندما يدفع أم فقط يدفع؟ أما الآن نحن ندفع ونُهان، بالمقلوب يعني، ندفع البترول والنفط ليلًا ونهارًا.

فنظرية (صراع الحضارات) قامت يوم قال قابيل لأخيه هابيل: (لأقتلنَّك)، وهي نظرية صحيحة، ولكن المغفّلين من المسلمين ظنوا أنه يمكن أن نعمل برلمانًا، البرلمان في أوروبا صحيح، أنا درست تاريخ الرومان في الجامعة، الرومان تُناسبهم الديمقراطية، فهم كفّار يتقاسمون حقوقهم في البرلمان بين بعضهم، كفار في نفس الحالة من الزنا والفجور والاحتيال، فتعارفوا على نظام وجلسوا فيه. لذلك قال تشرشل: "النظام الديموقراطي هو أفضل الطرق السيئة للحكم"؛ أي كل الطرق سيئة لكن أقلها سوءًا الديموقراطية، لأنه أفضل من الديكتاتوري.

فهو يناسب حضارة الروم لكن أن يكون هناك مسلمون وكفار وملحدون وشيوعيون، مثلما قال الغنوشي: يجب أن أتركه يقول لا يوجد الله، ويتركني أقول بوجود الله –جل جلاله–، وأنا أصلي في المسجد، وعاهرة ترتكب جريمة الزنا، وكله يجلس في مكان واحد!، =فهذا منقوض من عند قول قابيل: (لأقتلنك)؛ فالحق لا يقبل باطلًا والباطل لا يقبل حقًّا، هذه القاعدة تقرَّرت منذ البداية.

نشوء وبدايات الحضارات والممالك:

الآن قابيل وهابيل واحد قتل الآخر، وجاءهم إخوة، تزوجوا وتفرَّقوا حتّى ضاقت الأرض، شربوا الماء وقلَّ الزَّرع فأخذ كل منهم أولاده وذهب، فصاروا قبائل، والقبيلة هي أب وطبقة أولاد. والآخر أصبح له أولاد أيضًا، فصاروا تنظيمًا، هؤلاء إخوة، وهؤلاء أولاد عم، وهؤلاء أولاد أولاد العم، فنشأت العشيرة وتقسَّمت الناس على النظام القبلي.

وكان الاقتصاد رعويًا زراعيًا بسيطًا، تصطاد الحيوانات وتزرع الأرض، وتختلف النظريات وأبسطها أن آدم لما نزل علَّمته الملائكة علومًا بدأ بها الحضارة، في حين تقول نظريات أخرى أنه نشأ بعيدًا، وأكل الحشيش، ثم تعلَّم بالحجر، ثم اكتشف النار، وبعد مليون سنة تعلم كل شيء.

المهم أنهم عملوا حضارات، والبنية الاجتماعية كانت القبيلة، والنظام الاقتصادي زراعي إقطاعي، وإقطاعي يعني أن الجد الكبير أخذ بعض من عنده وجعلهم حرسًا، فبدأ يتكوَّن شيء من السلطة.

والله –عز وجل– يقول: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ}[٦٤]، بعث الله في كل تجمّع من هذه التجمعات رسولًا نذيرًا، في بعض الآثار أن عدد الأنبياء الذين نزلوا ١٢٥ ألف نبي ورسول، منهم ٢٥ ذُكروا في القرآن، لكن المذكور في

[٦٤] سورة فاطر، الآية ٢٤.

القرآن {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} ليس هناك تجمُّع إلا وله نذير، فهؤلاء أخذوا الرسالات وشوهوها، وحصل ما تعرفونه من نشوء الشرك.

فحتى يتم الحكم وحتى تتعبَّد الناس وتحل مشاكلها وتحس أنها يجب أن تطيع شيخ العشيرة نشأ بجوار السلطة رجل الدين، فهذا يتولى الحكم وهذا يتولَّى دين الناس وتعليمهم وعبادة الأصنام والاستقسام بالأزلام والتمائم، هناك صالحون وهناك منحرفون، فصار هناك جهاز يتولَّى الدين، فنشأ الجهاز الديني.

ولكن هناك مجموعة لا تنصاع للدين، فنشأت مجموعة من الأعوان يتولَّون عملية القمع والضرب، فنشأت هنا السلطة بالسيف، وهنا سلطة بالدين، وهنا سلطة بالذهب؛ إما أن تعطي مالًا أو تضرب عنقه أو تأتي له بشيخ يقنعه؛ وبهذه الطريقة يحكمون.

فنشأت القبائل وأخذت الأراضي وبَنَت المدن والحضارات الكثيرة، كبرت القبائل فأصبحت القبيلة على حدود قبيلة ثانية، وتعاركوا، مع أن كلهم أولاد آدم، وبدأ القوي يبتلع الضعيف، وقبيلة تبتلع قبيلة، وبدأت الحرب على الدنيا غالبًا من الأراضي والمزارع، وقليل من الصراعات قامت على الدين والمبادئ. فنشأ من هذا أن هناك شيخ قبيلة كبيرًا ابتلع حوالي ٥٠٠ قبيلة، فنصَّبوه ملكًا، فمن القبيلة نشأت المملكة.

إذًا من القبيلة نشأت المملكة، فصار هناك ملك، والملك يملأ مركزه يصبح له أملاك، ويوزّع الأراضي، ويكون عنده سلاح، ونشأت أجهزة الملكية، ونشأ نظام اقتصادي وعسكري وحضارة وعمران، وجهّز مهندسين ليصمّموا له القصور الكبيرة، والراقصين والراقصات حتى يرقصوا، وتفرَّعت الحضارة ومشت في هذه الصورة.

ثم كبرت الممالك وحصل لها ما حصل مع القبائل؛ أنّ المملكة وصلت حدودها للملكة الأخرى فبدأ النزاع. ونتيجة الابتعاد تغيَّرت اللهجات وتشوَّهت ثم تحوَّلت وتبدَّلت حتى صارت لغات أخرى، فبدأ الإنسان يشعر بالغربة عن الآخر، وأنه ليس أخاه من أبيه آدم. وصارت ممالك؛ هنا روم، هنا فرس، ثم جاءهم أنبياء، ثم انحرفوا عن الدين.

فصار هناك تباينهم في المسكن وفي الدين وفي اللغة وفي الأشكال؛ فهذا طويل، وهذا عيونه سوداء، والله -سبحانه وتعالى- لما خلق آدم أخذ قبضات متفرَّقة من طين الأرض ولهذا خرج أولاده بأشكال متفرّقة، أصولهم ملوّنة، فصارت الشعوب متفرّقة ومختلفة في اللغة، في الدين، في الحكم، في الحضارة، في كل شيء.

فأصبحوا يشعرون أن هناك حالة عداء، فتحاربت الممالك، ابتلعت ممالك ممالك أخرى، ونشأت إمبراطورية -ممالك كبيرة-، فنشأت القبيلة، فالمملكة، فالإمبراطورية. **ونشأت الحضارات القديمة**.

سنتحدث عن نظرية (توينبي) وهو مؤرخ إنجليزي توفي سنة ١٩٦٥م، وعن نظرية ابن خلدون في القرن السابع في قضية نشوء ودمار الأمم. هذا سنرجع له.

لكن على صعيد كل قبيلة لوحدها، وعلى صعيد كل مملكة لوحدها، وكل تجمُّع لوحده نشأت أقدم المشاكل البشرية وهي نشوء رجل الدين إلى جانب الملك.

عندما تكلمت مع الأخوة في قضية العلماء، وبفضل الله –عز وجل– أنا أول من تحدَّث في الأوساط في هذه القضية سنة ١٩٩٠ يوم حرب الخليج =قالوا أنَّنا أحدثنا بدعة في الإسلام.

وحتى تدخل القضية في عقول الناس يجب أن نبيّنها لهم من أصولها حتى يفهموها، أما أن تقول له آخر جملة: "أن شيخك هذا الذي تصلي خلفه منافق"، فسيقول لك: "أنت تكفيري"، ولا يقبلها منك، فيجب أن نبيّن لهم كيف نشأت هذه المشكلة.

مثلث السلطة (الملك– الكاهن– الأعوان):

فمع التَّتبع البحثي والفكري لهذه المشكلة (مشكلة رجل الدين)، وجدت أن القضية قديمة جدًا من عند أبناء آدم وهي نشوء ثالوث خبيث اسمه: (**السلطة، ورجل الدين الساحر الداعم للسلطة، ثم الأعوان القائمون على تنفيذ الظلم**)، فالسلطة تقوم على هذا منذ أقدم عصور البشرية.

وحتى أقرّبها للناس، كان عندنا نشرة تصدر عن (القاعدة) –أيام كنا في القاعدة سنة ١٩٩٠م–، وكنت أكتب لهم في النشرة الأسبوعية، فكتبت لهم مقالًا ثم حولته لمحاضرة اسمه: (سقوط فاتيكان المسلمين)؛ وجدت أن عندنا فاتيكان بنفس نظامهم، وهذا النظام سقط لأنه كان يقول لهم أن احتلال الحرم والمقدسات جائز، فهذه كانت خلاصة المحاضرة، ومع ذلك استكبرتها عقول الناس، فأُرجِعه هنا في هذا البحث إلى أصول أصولها.

أصول أصولها –يا أخي الكريم– أنها كانت مملكة، وهذا (قابيل بن يافث بن يوشع)[٦٥] كانت عنده قبيلة، وحتى يحكم هذه القبيلة صار رئيس القبيلة، وحتى يحكم نشأ إلى جانب شيخ القبيلة منذ أقدم العصور الكاهن، هذا الكاهن مهمته الإشراف على الدين وإعطاء الراحة الروحية لمن يريد أن يتعبَّد.

فضمير البشر منذ {أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ}[٦٦] وهناك حاجة إلى عبادة الإله في صميم الفطرة البشرية، حتى لو لم يجد الإله الصحيح يبحث عن إله خاطئ ليعبده، حتى لو كان الإله من ورق

---

[٦٥] اسم ضُرب للمثال فقط وليس حقيقيًا.

[٦٦] سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

"الكوتشينة والشدة" ينظر حظه فيه، تلزمه قوة غيبية يعتقد بها، فهناك حاجة فطرية عند بني البشر للدين، إما دين صحيح أو دين خطأ، إما يعبد الله أو يعبد آلهة باطلة.

فنشأ الكاهن ليرتب للناس أمور دينها، فاكتشف الملك هذا، لأن أهل السياسة دائمًا أذكياء جدًا وأذكى من أهل الدين حتى في الإسلام، إلا في النادر تجد أهل الدين أذكياء فيجمعون العلمين معًا؛ مثل ابن تيمية والعز بن عبد السلام، فتجده يفهم في الدين ويفهم السياسية.

ولكن على طول التاريخ تجد أهل السياسة يضحكون على أهل الدين في كل الأديان، حتى أنّها ممّا قرأت في الحرب على فيتنام أنّ الأمريكان لم يستطيعوا أن يرْكِعوا الشعب الفيتنامي حتى استطاع أئمتهم في الدين أن يضحكوا على الناس، وكان العداء الأول بين أهل السياسة وأهل الدين، فكان الحل هو أن تخرج من الدين حتى تعيش بكرامتك.

وكان السبب الأساسي للصد عن دين الله هم أهل الدين المعوّجون، فلما اعوَّجوا لم يترك الناس العوج بل تركوا الدين، وهذا يحدث عندنا في المساجد، وآخر الأخبار التي وصلتني من حلب أنها صارت هناك عادة أنّك إذا أردت أن تجمع تبرعات لمدرسة أو لمجموعة خيرية أو لأرامل يسمح لك الإمام أن تجمع في المسجد بشرط أن تُعطيه ٣٠%، كما قال تعالى: {إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ}[٦٧].

فدعونا ننظر في هذه القضية وكيف بدأت من البداية؛ عندما رأى رئيس القبيلة أنّ هذا الكاهن محترم والناس تسمع كلامه استخدام هذه الطريقة لتطويع الناس للحكم، حتى تجد دكتورًا هنديًا محترمًا أو عالمًا في الذرة يأتي عند كاهن يعبد البقر فيدخل عليه ويخلع عقله مع حذائه عند الباب، ومخه يعدل نصف الكرة الأرضية!، وهناك من يعبد النساء وهناك من يعبد الفأر.

فاكتشف الحاكم أن الإنسان يقف عقله تجاه الدين، فلجأ إلى استخدام هذه الطريقة لتطويع الناس للحكم، فأصبح الكاهن يقول للناس أنّه يجب أن يُطاع الحاكم مقابل العلاقة التجارية بين الحاكم والكاهن، فهذا يُعطيه مالًا وأراضٍ وأشياء من الدنيا، وهذا يبيع دينه، فيقول لهم: هذا الحاكم ذو القرون أو هذا ابن الشمس أو هذا صاحب الدم الأزرق وغيره مما ذُكر في كتب التاريخ، فرعون كان ابن الشمس وكان مقدَّسًا عند المصريين؛ نصفه بشر ونصفه من الشمس!، ونشأ في أوروبا في أيام الملكية أن الملوك من أحفاد الآلهة.

فأصبح الكاهن يُصبغ نوعًا من الشرعية على رئيس السلطة، فأصبح يخرج للناس بكلمتين يقول لهم: "هذا صواب"، فيطيعوه، بينما كان رئيس القبيلة يحتاج حتى يحصل على موافقة الناس إلى جيش من الأعوان والسيوف والضرب والجلد حتى يخرج بنفس النتيجة، في حين بكلمتين من الساحر يُطيعوا، ومن هنا نشأت هذه العلاقة.

---

[٦٧] سورة التوبة، الآية ٣٤.

وحتى يضمن ألَّا يغير الكاهن رأيه وينازعه على السلطة صنع أعوانًا وقوة، فأصبح عنده قوّة فوق الكاهن وفوق الناس، حتى إذا لم يعجبه أرجعه إلى المنبر، وهذه مشكلة بشرية قديمة هذا الخبيث رئيس القبيلة "السلطة"، والكاهن الذي يسوّغ العوج للناس، ثم الأعوان.

فأصبح الناس يطيعون السلطة إما بالسيف أو بالذهب؛ كما يقولون: "سيف المعز"–سيف المعز لدين الله الفاطمي–، أو ما شابهه كالعصا أو الكهرباء أو شيء تُرعب به، ما بين السيف والدينار، أو من خرج من عند الشيخ يصبح يفكّر مثل الحمار، فهذه المشكلة مشكلة بشرية قديمة من عند أبناء آدم إلى يومنا.

تطورت البشرية من القبيلة إلى المملكة، كان الكاهن له كوخ صغير، والملك له بيت، فعمل الملك قصرًا كبيرًا له مداخل وله مخارج، وأراد أن يرقّي حاشيته، فعمل للكاهن معبدًا كبيرًا له مداخل ومخارج، ومن هنا نشأت المعابد والكنائس ودور العبادة القديمة.

وهكذا نشأت المملكة؛ ملك له أتباع وأعوان وإلى جانبه كاهن، والكاهن يحتاج إلى كهنة صغار؛ فهذا يسحر، وهذا يضع التمائم، وهكذا، فنشأت مؤسسة للحكم ومؤسسة دينية.

أذكر لكم نموذجين؛ قلنا في البداية كان هناك رئيس قبيلة، ثم صار ملكًا، ثم كبرت القضية فصار إمبراطورًا (مثل قيصر الروم)، فكان القيصر بجانبه (البابا) ألفين عامًا طوال تاريخ أوروبا في العصور القديمة والوسطى حتى الثورة الفرنسية.

ودعونا نقف وقفة مع التاريخ الروماني، لأن هؤلاء هم من نحاربهم، هذا سبب. والسبب الآخر، أن الرسول ﷺ قال: (لتَّتبعن سَنَن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضبّ لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟)[٦٨]، يعني ستعملون كل ما سيعمله اليهود والنصارى، فمن جملة ما عمله اليهود والنصارى ونتبعهم به نظام (القيصر والبابا)، والآن أذكر لكم التدرّج التاريخي إلى ما نحن فيه.

البابا كانت سيطرته على الناس في العصور الوسطى لدرجة كرّهت الناس في الدين والعبادة، والباباوات غرقوا في الزنا والخمور والفجور وتجارة الأراضي، وأصبحوا مملكة، يجمعون في كل مكان الذهب حتى كانوا سببًا في إسلام سلمان الفارسي –رضي الله عنه–.

وقصته أنه ذهب إلى راهب، فلما مات قدّسه الناس، وسلمان كان يرى أنه يجمع منهم المال، فقال هل أدلكم على كنزه، قالوا: نعم، فأخذهم إلى جرار مليئة بالذهب، فأخذوها وذهبوا إلى قبر ذلك الراهب فنبشوه وحرقوه وصلبوه، لأنه كان طيلة حياته يكذب عليهم، وذهب إلى رجل صالح فدله إلى أقرب صالح ثم دله على الرسول ﷺ.

---

[٦٨] صحيح البخاري (٣٤٥٦).

فهذا من سِيَر الكهنة أنهم كانوا يجمعون المال، ووصل جمع المال إلى أنهم باعوا كل الأراضي، الإقطاعيات كلها للملك، ووصل الأمر أنه من قتل طير في الأرض الملكية أو البابَاوية حكمه الإعدام.

أضرب لك أمثلة من الباباوات: البابا با ع الأرض كلها ومن عليها، فانتهت الأرض، ويريد المزيد من المال، فأصدر قانونًا ببيع أراضي الجنة، وصار كل واحد يأتي ليشتري قطعة من الجنة، وأخذوا مالًا لبيع أراضي الجنة، وهذا حصل في تاريخ الملوك، هذا على مستوى الباباوات الكبار.

نأتي إلى القسيس الصغير أصغر بابا (بابا الحارة)، كان يأخذ النساء، وفي بعض الحضارات كان لا يُدخل على العروس حتى يُباركها البابا!، دخلوا وملكوا كل شيء، الأراضي والأعراض وكل شيء أخذوه بسلطة الدين.

إمبراطور ألمانيا في العصور الوسطى كان اسمه (هنري السابع)[٦٩]، أحسَّ الملك أن البابا يُنازعه على المُلك، فأمر الجيش والأعوان بحبس البابا، فالبابا ببساطة أصدر فتوى اسمها (الحرمان الكنسي) ضد ألمانيا كلها –وألمانيا وقتها كانت نصف أوروبا، كل من يتكلم الألمانية ومن حولها، يعني النمسا، هنغاريا، بلغاريا، إلى السويد والدانيمارك–، الفتوى مفادها أن كل من يطيع الإمبراطور هنري السابع فصلاته غير مقبولة عند الله.

في اليوم الثاني لا أحد ذهب للوظيفة ولا أحد يؤدي عمله، ولا أحد يدفع الضريبة، الناس تركت الملك، خربت المملكة!، فاضطر الملك أن يذهب للبابا في الفاتيكان في روما والملك كان في هامبرغ في آخر أوروبا، وذهب يقبّل يده حتى يرفع عنه قانون الحِرمان الكنسي –أي: حرمه من رحمة الكنيسة–، فطلب منه أن يحجّ ماشيًا حافيًا من هامبرغ إلى البابا ويُقبل يده ورجله ليرجع ملكه، فطاف هنري كل أوروبا ماشيا وقبَّل يد البابا ليعيده ملكًا، ورجع!..

*[٧٠] ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ﴾[٧١] رهبان اليهود لما بُعث المسيح –عليه السلام– هم الذين أغروا به إمبراطور الرومان ليقتله ويصلبه، فرفعه الله –سبحانه وتعالى– وصلبوا الشبيه بدلًا منه، ولكن كان اليهود هم سبب المشكلة، لأنهم أرادوا أن تكون لهم السلطة الدينية، فإذا جاء بالدين الصحيح فسيفقدون سلطتهم ولم يعد للأحبار قيمة.

وكذلك هم الذين أغروا بسيدنا يحيى، وقُدِّم رأسه مهرًا لإحدى بغايا بني إسرائيل اسمها (سالومي)، أراد الإمبراطور أن يتزوجها، فطلبت منه رأس النبي الذي بُعث في تلك الأمة، وقبله ذُبح أبوه سيدنا زكريا، فنُشر بالمنشار بسبب كيد أحبار اليهود.

---

[٦٩] **لعلّ المقصود هو الإمبراطور الألماني فريدريك الأول (فريدريك بارباروسا) المتوفي سنة ١١٩٠م، والذي حرمه هو البابا الكسندر الثالث.**

[٧٠] **بداية تفريغ الملف السادس.**

[٧١] **سورة التوبة، الآية: ٣٤.**

فعند ظهور نبي جديد يقف له المشايخ والأحبار والرهبان؛ لأن الملك لا يستطيع أن يقول له حلال وحرام. وهذه القصة بتفاصيلها سنمضي فيها برحلة طويلة لاحقًا وسنأخذ منها عبرًا؛ وهي: مسار الأنبياء ونشوء الشرك.

ونشأ الشرك بأن عملوا للصالحين تماثيل وقبورًا، وصاروا يصلّون بجوارها تقربًا إلى الله –سبحانه وتعالى– وهم يتذكّرون أن الصلاة إلى الله وأن هؤلاء صالحون، فنشأ أولادهم وأولاد أولادهم فصاروا يعبدون الصالحين، وصنعوا لهذا الصالح قلعة وكاهنًا ليأخذ المال والخيرات وأصبح ضريحًا.

والضريح ليس هذه الأحجار وإنما هو هذه المؤسسة الدينية التي أشرفت على نشر الشرك في الناس، وقصص الأنبياء كثيرة لن أتناولها، وفيها كثير من العبر، يعني تقف مع قصة سيدنا نوح –عليه السلام– فتأخذ عبرًا كثيرة منها أنه اشتغل كل هذا الزمان وخرج باثني عشر رجلًا. ومنها أن هؤلاء الاثنا عشر رجلًا كان من كرامتهم على الله –سبحانه وتعالى– أن أغرق الأرض ومن عليها من حيوانات وبشريَّة إكرامًا لهم، وبدأت الخليقة من جديد –كما قال الشيخ عبد الله عزام رحمة الله عليه–.

وحتى نبيّن هذه مشكلة هذا الثالوث الخبيث سنقف مع قصة سيدنا موسى –عليه السلام– وفرعون. وقصة بني إسرائيل وفرعون مذكورة في عشرات السور من القرآن الكريم، وربما تجد الجمل مكرَّرة، لماذا هذا التأكيد؟

كمية كبيرة من آيات القرآن الكريم هي عن قصة سيدنا موسى وقصة فرعون وعِبر بني إسرائيل، والرسول ﷺ أجاز رواية قصص بني إسرائيل، قال: (حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ)[٧٢]، لا تصدق ولا تكذب؛ لأن تاريخ بني إسرائيل فيه عبرة مسار البشرية.

ومن هذه القصة أقِف وقفات قصيرة؛ عندما جاء موسى –عليه السلام– وجاءهم بالبينات خاف فرعون وخاف أعوانه أن يفقدوا صلاحياتهم في المملكة، فقال أعوان فرعون: {أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ}[٧٣]، أي أجّل الكلام معه.

تعالَ الآن نرسم خريطة هذا الصراع:

موسى –عليه السلام– وهارون ومعه مؤمنو بني إسرائيل. وفرعون وهامان وجنودهما، وهناك السحرة رجال الدين. وهناك الناس، هؤلاء هم أطراف المعادلة.

فقال هؤلاء الأعوان الذين سمَّاهم القرآن (الملأ) وهم حاشية الملك، قالوا له كما ذُكر في القرآن: {قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ

[٧٢] صحيح البخاري (٣٤٦١)، صحيح مسلم (٣٠٠٤).
[٧٣] سورة الأعراف، الآية : ١١١.

وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ}[٧٤]، هذه المشكلة لا تستطيع أنت حلها، ولا الشرطة ولا أحد، هذه قضية دينية، {فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ* وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ}[٧٥]، عندما تقرأ القرآن كموحِّد تأخذ دروسًا، وعندما تقرأه كعسكري تأخذ عبرًا، وعندما تقرأه كسياسي تأخذ أحكامًا..

عندما تقرأ هذا الكلام بعقلية سياسي تستفيد فائدة كبيرة، وكل القرآن دروس وعبر؛ العبرة هنا: هل قالوا: لعلَّنا نتبع الفرعون؟ لا، بل: (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين)، فالناس تتبع فضيلة الشيخ لا الملك ولا أمير الدولة.

في آية أخرى قال السحرة لفرعون: {قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ}[٧٦]، فالموضوع مقابل أجرة، لم يقولوا أتينا لنصرة الحق ولا لإثبات الدين، ماذا تكسب وماذا نكسب بعد هذه المقابلة. فماذا كانوا يريدون؟ هل يريدون مالًا؟ معهم مال، نساء؟ كل واحد منهم هرِم لا يريد نساءً، فما هو الأجر؟

{قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ}[٧٧]، هذا هو الأجر أن يكون مقرَّبًا. فقد يتساءل واحد ويقول: على ماذا يحصل الشيخ؟ يحصل على أن يكون مقربًا؛ إذا كتب رسالة لأي أحد يمشي أمره، يطلب أن يوزِّع ٣ مليون ريال على طلبة العلم في ليلة رمضان، فيقام أمره، وهو سيوزّعها كلها ولكن الإنسان يشكر اليد الأخيرة التي أعطته المال، فهم ارتبطوا بالشيخ، يمشي الشيخ ووراءه طلبة العلم، وخشعت الأصوات لا أحد يرفع صوته، ويُقدَّم ويُرفع، ويا فضيلة الشيخ، ويا جلالة الشيخ، هذا هو الأجر الذي طلبه السَّحرة.

الآن نشأت طبقة علماء السلطان على هذه السنّة فأفرزت في آخرها نماذج منها هيئة كبار العلماء، ومنها مشيخة الأزهر، ومنها نظام مفتي الدولة.. إلخ، الهياكل الدينية التي ظهرت في الإسلام، فهذه هي القصة.

ولكن فرعون كان أغبى من حسني مبارك مائة مرة؛ فأتى بأناس غير متوثّق من ضلالهم أولًا، والأمر الآخر أنه عمل المصيبة كلها أمام الناس. وهذه القضية للغلام لما تشاجر مع الملك قال اجمع الناس لنتحاور، وهذه القضية التي لا يريدون أن نعملها اليوم.

فخرج وزير أمن الدولة والإعلام وقال: {إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ}[٧٨]؛ كلهم عشرون واحدًا، و{وَإِنَّهُمْ لَنَا

---

[٧٤] سورة الأعراف، الآيات: (١١١– ١١٢).

[٧٥] سورة الشعراء، الآيات: (٣٨– ٤٠).

[٧٦] سورة الأعراف، الآية: ١١٣.

[٧٧] سورة الأعراف، الآية: ١١٤.

[٧٨] سورة الشعراء، الآية: ٥٤.

لَغَائِظُونَ}[٧٩]، نحن مُغتاظون من هذه القضية، {وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ}[٨٠].

الآن كل واحد يفتح أذنيه لهذ المشكلة؛ وأنا مقتنع حتى الآن بأن أقطع جزءًا من الوقت لإعادة جمع آيات موسى وفرعون والسحرة من البداية، ودراستها كلها من البداية، وإخراج دروس ما مرَّت علينا وما ذُكرت في الكتب، لأن قضايا الإيمان هذه كانت مفروغًا منها، فجاؤوا بأسباب النزول والمعاني العامة، ولو علموا هذه المصائب كانوا قد خاضوا في هذه المعاني. لما جاء سيد قطب أدرك، فتفسير سيد قطب تفسير سياسي حركي، يأتي لك بالتفسير في الأصل ثم ظلال القرآن، حتى تفهم هذه المسائل، وله كتابات عظيمة جدًا.

حكى لي الشيخ عيسى ذات يوم أنهم جاؤوا بأخ مشهور ودخل على أمن الدولة، فدخل ووجد على الطاولة حوالي ١٨ واحدًا من مشيخة الأزهر في مناظرة أمام السجناء، {فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ}، لكن المشكلة ما قيل للناس هل أنتم مجتمعون، الحوار يدور في أقبية أمن الدولة، فالرجل -أظن اسمه- عبد الله السراوي كان ذكيًا جدًا، قال أنا أناظركم لكن بثلاثة شروط: أول شيء أقول ما أشاء، ثاني شيء تكون في ميدان عام، ثالث شيء يُنقل لوسائل الإعلام، أناقشكم فيها على أن يحضر من يشاء من داخل مصر وخارجها، وأنا أقبل أي حكم في نهاية المناظرة.

فقالوا له الحوار في بناء أمن الدولة، فرفض، فأتوا به ووضعوه على الأرض ما نطق، وقال لهم لماذا أناقشكم بدون فائدة. فهذه عمليات مسح المخ، هذا لأن حسني مبارك أخبل من حسين ومن حافظ الأسد، ما زال يهتم بأن يأتي بالناس ليتحاوروا.

حافظ الأسد وضع الناس وفرمهم دون حوار. لكن حافظ الأسد أخبل من صدام حسين الذي عنده في محل التحقيق بركة أسيد، يتكلم المتهم مع المحقق كلمتين ثم يُدخله بها ولا يخرج.

وفرعون بجانب هؤلاء محترم جدًا!؛ جمع العالم وقال نتحاور، وقيل للناس هل أنتم مجتمعون، هو حقير ولكن عندما تقيسه مع هؤلاء يكون محترمًا من الصنف العاطل، وهذه مراتب النجاسة. لكن هذا المهبول أتى بمن لم يستوثق منهم {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}[٨١]، انتهت بأن هؤلاء صاروا مؤمنين فانتهى دور السحرة.

وجاء دور الأعوان {قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ}[٨٢]، وجاء بالإعلام {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ}[٨٣]،

---

[٧٩] سورة الشعراء، الآية: ٥٥.

[٨٠] سورة الشعراء، الآية: ٥٦.

[٨١] سورة الشعراء، الآية (٤٦-٤٧).

[٨٢] سورة الشعراء، الآية: ٤٩.

[٨٣] سورة الزخرف، الآية: ٥٢.

انظروا {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي}[٨٤]، هذا دور وسائل الإعلام.

تفتح وسائل الإعلام تجد أغنية، "وبنحبك يا أبو عبد الله وما في غيرك ما شاء الله"، تجد لحافظ الأسد أغنية، وغيره أغنية، كله يغني ويطبّل، الرسام يرسم صورًا ويعلقها في الشوارع. نزلت بغداد جلست بها شهرين، عدد صور صدام حسين مهولة!، على اليمين صدام حسين، وعلى اليسار صدام حسين، صدام حسين طويل، صدام حسين صغير، صدام حسين بالألوان، وبالأبيض والأسود، وتماثيل، لماذا كل هذا التعظيم للطواغيت؟! إذا قسّمت صور صدام حسين يكون لكل شخص في العراق ٣٠ صورة وتمثالًا!

فهي آلية معروفة في النفس البشرية، (كوكاكولا) هل هناك أحد لا يعرفها؟ قبائل (الماو ماو) يعرفونها، وأهل الصين يعرفون (كوكاكولا)، لكن إلى الآن تدخل الملاعب، والمسارح، وملابس الرياضة، بل المكوك الفضائي تجد مكتوبًا عليه (كوكاكولا)، لا أحد يعرف كم دفعوا حتى صعد هذا للسماء، فكثرة القرع على العقل البشري لإقناعك بشيء لا سلطان له وهو تافه، ولكن تراه في كل مكان.

حافظ الأسد عمل تمثالًا على جبل قاسيون فاتحًا يديه باتجاه دمشق يباركها!. ولما تم الإفراج عن البقية الباقية من الإخوان المسلمين بسبب المفاوضات وأخرجوا المريض والتّعب والميت خرج ١٢٠٠ واحد من أصل ٣٠٠٠٠، كان من شروط الإفراج أن يأخذوهم في الحافلات ويُفرجوا عنهم عند قدمي التّمثال، هذه من مراسيم الإفراج، انظر كيف يكون العلو في الأرض!.

وهذه قصص موسى وفرعون –نرجع للمسألة الأساسية– أن فرعون له طريقة في الدعاية وله طريقة في السلطة، من يقف ضده يجد إما الساحر أو الجندي يقطع الرؤوس، لكن أيهما أشد وأيهما أنكر وأيهما أكثر إقناعًا لكمية أكبر من الناس صاحب السيف أم المفتي؟

المفتي أدخل في دين الطاغوت آلافًا مؤلّفة، فيما لم يستطع صاحب السيف أن يقتل إلا العشرات ويُرعب بضعة آلاف، أما من دخل طواعية كثير، ولا أريد أن أضرب لك أمثلة واقعية لأنه ليس هناك مجال.

ذهب الفرعون، وذهبت حضارة النصارى، وجاءت حضارة الإسلام، وصدق رسول الله ﷺ واتّبع الناس سنن الذين من قبلهم.

ومرة كنت أقرأ كتابًا في شروح الحديث فذكر الكاتب أنَّ من لطائف الرسول ﷺ أنه قال: (حتى إذا دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه)، ولو فعلوا كذا وكذا لفعلتموه، يذكّرك بكل القبائح والعادات والأمور التي يعملونها، ثمّ قال: وذكر الضَّب لأن الضب من الحيوانات التي تعمل جحرها بالضبط على حجمها، الأرنب يعمل جحرًا كبيرًا، الفأر يعمل جحرًا

[٨٤] **سورة الزخرف، الآية: ٥١.**

كبيرًا، أما جحر الضب لا يسع معه أحدًا أصلًا، ومع ذلك يأتي المسلمون ويحشرون أنفسهم في جحر الضب النصراني رغم أنه لا يتَّسع، وهذا من بلاغة الرسول ﷺ.

ومن ذلك أتباع الأحبار والرهبان.

صور من علماء الرحمن وعلماء السلطان في التاريخ والواقع الإسلامي:

كنت أعمل على كتاب وأنا في بريطانيا اسمه (موسوعة الحكام والعلماء)، فيه سير حكام صالحين وعلماء صالحين، وحكام فاسدين وعلماء فاسدين، حكام صالحين وعلماء فاسدين، وحكام فاسدين وعلماء صالحين، هذه الحالات كلها مرَّت في التاريخ الإسلامي، اقرؤوا في سير الرجال، أظن عندكم كتاب (صفة الصفوة)، اقرأ ترجمة الفضيل بن عياض، اقرأ ترجمة الحسن البصري، اقرأ مواقفه مع هارون الرشيد، ورجاء بن حيوة مع عمر بن عبد العزيز، ستجد العلماء.

ولكن مع هذا الصنف الخبيث الذي حلَّ فينا في آخر الزمان: حكام فاسدون مع علماء فاسدين، هذا مر في التاريخ، حكام فاسدون ولكن ليسوا كفرة، حكام ظلمة كأبي جعفر المنصور، وعبد الملك بن مروان.

خرج عبد الملك بن مروان للمسجد النبوي في زيارة للمدينة أول ملكه، ثم قال: "يا أهل المدينة لا يقول لي رجل اتَّقِ الله إلا ضربت عنقه" قمة الظلم، وهو كان من قرَّاء المسجد النبوي، وكان هو وعبد الله بن الزبير –رحمه الله– يسمَّيان حمامتا المسجد، لكثرة جلوسهما في طلب العلم، ثم صار أحدهما خليفة والثاني خرج على الخليفة، واقتتلا على الملك، وكان الحق مع عبد الله بن الزبير.

فالشاهد لما كثرت المشاكل قال لهم: "لا يقول لي رجل اتق الله إلا ضربت عنقه"؛ لا أحد يقول لي صح أو خطأ، وكان في زمانه سعيد بن المسيب.

فهناك كنوز يجب أن تُجمع. هناك كتاب لكاتب اسمه: عبد العزيز البدري، عراقي قتله صدام حسين، رحمة الله على عبد العزيز البدري ولعنة الله على الآخر، والكتاب اسمه (الإسلام بين الحكام والعلماء)، هذا الكتاب بديع جدًا، وهذا الكتاب على قِصره أوحى إلي أن الموضوع لأهميته يجب أن يُكتب فيه موسوعة.

قلَّد المسلمون النصارى في عاداتهم ومن ذلك اتخاذ الأحبار والرهبان، وظهور ظاهرة علماء السلطان، لما تبحث في سير الرجال وتقرأ كتبًا مثل (سير أعلام النبلاء)، أو (صفة الصفوة)، أو (طبقات الشافعية)، (طبقات الحنفية)، أي سير

العلماء، والحمد لله أغلب السير المكتوبة هي سير الصالحين، لكن أحيانًا في معرِض سير الصالحين يكتبون لك عن أحد آخر.

علماء السلطان موجودون منذ بني أمية، منذ ذهبت الخلافة الرَّاشدة وظهرت أول وأخطر بدعة في الإسلام وهي تحوّل الخلافة إلى ملك وتحوُّل الشورى إلى وراثة. وهذه كانت أسوأ بدعة جاء بها بنو أمية، كان المسمَّى خليفة وهو الملك أو السلطان يورثها ابنه، وصل الأمر إلى أن عبد الملك بن مروان أن جمع العلماء وأخذ منهم البيعة لأربعة أبناء وليس لواحد، إذا مات فمن بعده هشام بن عبد الملك، إذا مات فمن بعده الوليد بن عبد الملك، ومن بعده سليمان بن عبد الملك، ومن بعده يزيد بن عبد الملك.

لذلك سمَّاه النبي ﷺ (المُلك العضود)، من العضّ بالنَّواجذ، يعضّ عليها بأسنانه ولا يتركها لأحد، بعضهم يسلم لبعض، ولا يمكن لأحد أن ينزع منه ملكه إلا بالعض أيضًا، لا بد للآخر أن يعضه ويتعاضضوا حتى يستقر بهم الحال، ما عادت شورى ولا عادت بالطريقة التي جاء بها الإسلام.

وهذا في بعض بلاد المسلمين إلى الآن، الملك حسين إلى ابنه عبد الله بن حسين، والملك حسن إلى ابنه محمد بن الحسن، فهذا الملك أدرك مِن السنن وتجارب مَن قبله، وكل ملك يعلّم ابنه، حسين قبل أن يموت جلس جلسات طويلة مع ابنه وعلَّمه كيف يخون البلد، وكيف يخون المسلمين، وكيف يعمل العلاقات، وكيف يدخل في الماسونية، وكيف يكون مثل أبيه، وعلَّمه أيضًا أنه يجب أن يتخذ علماء سوء، يسبّحوا بحمده، ويجعلوا المسلمين يُطيعونه.

فظاهرة علماء السوء ظهرت منذ ظهور بني أمية، كنت أقرأ في (صفة الصفوة) في سيرة الحسن البصري -رضي الله عنه-، وكان مما ذكر عنه أنه مرَّ بباب الأمير فوجد مجموعة من العلماء، فوبَّخهم وقال لهم كلامًا من أبدع ما يكون.[٨٥]

وإذا جئت إلى ظاهرة علماء السوء تجد أنه من خطورة علماء السوء تجدها خُطَّت في آيات من القرآن مهمة جدًا {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}[٨٦].

وكيف شبَّه بني إسرائيل؟ {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا

---

[٨٥] أخرجه أبو نعيم في (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) ٢/١٥٠ فقال: "خَرَجَ الْحَسَنُ مِنْ عِنْدِ ابْنِ هُبَيْرَةَ فَإِذَا هُوَ بِالْقُرَّاءِ عَلَى الْبَابِ فَقَالَ: «مَا يُجْلِسُكُمْ هَاهُنَا؟ تُرِيدُونَ الدُّخُولَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْخُبَثَاءِ؟ أَمَا وَاللهِ مَا مُجَالَسَتُهُمْ بِمُجَالَسَةِ الْأَبْرَارِ، تَفَرَّقُوا فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ أَرْوَاحِكُمْ، وَأَجْسَادِكُمْ قَدْ لَقَّحْتُمْ نِعَالَكُمْ، وَشَمَّرْتُمْ ثِيَابَكُمْ، وَجَزَزْتُمْ شُعُورَكُمْ، فَضَحْتُمُ الْقُرَّاءَ فَضَحَكُمُ اللهُ، وَأَمَا وَاللهِ لَوْ زَهَدْتُمْ فِيمَا عِنْدَهُمْ لَرَغِبُوا فِيمَا عِنْدَكُمْ، لَكِنَّكُمْ رَغِبْتُمْ فِيمَا عِنْدَهُمْ فَزَهِدُوا فِيمَا عِنْدَكُمْ، أَبْعَدَ اللهُ مَنْ أَبْعَدَ» اهـ.

[٨٦] سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[87]، يحمل العلم لكن لا يقوم بحقه، كالحمار العطشان يحمل الماء ولا يشرب.

كالعيس في البيداء يقتلها الظَّما   والماء فوق ظهورها محمولُ

خُطَّت في القرآن بآيات كريمة: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث}[88]، هذه الآية في كتب التفسير أنها نزلت في علماء بني إسرائيل، وفي بعض التفاسير سموه بلعام بن باعوراء، وكان في قوم موسى، أو في زمن يوشع ذي النون، النبي الذي جاء بعد موسى -عليه السلام-.

وكان حسب الرواية معه اسم الله الأعظم، ولما ذهب جاء موسى ليحارب القوم الجبَّارين في فلسطين، ذهب هو مع ملك من ملوك الجبَّارين، فقيل له: "أنت معك اسم الله الأعظم فادعُ على قوم موسى"، فخرج إلى الجبل ليدعو على قوم موسى وهو يدفع دابته وهي تستعصي عليه، وكان من قوم موسى ومن علمائهم، ومعه اسم الله الأعظم ومستجاب الدعاء، فاستخدم أعظم سلاح أنعم الله به عليه ضد قوم موسى -عليه السلام- ومن معه.

فلما أخذ يدعو صار ينقلب لسانه، يريد أن يقول: "اللهم أهلك قوم موسى"، فينقلب لسانه إلى: "اللهم أهلك القوم الجبَّارين"، فلا يسيطر على لسانه. علم أن الله قد فتنه، فالتفت إلى القوم الجبارين -انظر الإصرار على الضلال- وقال: "أنا أُخذ مني الدعاء وفُتنت فما لكم إلا حيلتي، أطلقوا فيهم النساء، فيفشو فيهم الزنا فيسخط الله -عز وجل- عليهم فيهلكهم".

فأرسلوا النساء في شكل بائعات خبز لجيش موسى، فوقعوا في الزنا، فأرسل الله عليهم الطاعون، فهلك سبعون ألفًا، فهذه كم معركة تحتاج لإهلاك سبعين ألفًا؟!

فلما علموا قام صلحاء بني إسرائيل ينهون عن المنكر حتى كان الصَّالحون يأتون إلى الزاني والعاهرة فيغرزونهم بالرمح ويرفعونهم ويقولون هكذا نفعل فيمن عصى الله، فرُفع عنهم العذاب.

فهذا الذي نزلت فيه الآية: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}[89]؛ انسلخ من نعمة الله -سبحانه تعالى-، فمثله كمثل الكلب، اطلب منه فتوى يصيح، اتركه يصيح، اطلب منه رأيًا

---

[87] سورة الجمعة، الآية: ٥.

[88] سورة الأعراف، الآيات: (١٧٥-١٧٦).

[89] سورة الأعراف، الآية: ١٧٥.

يصيح، لا تطلب منه رأيًا يتكلم. {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث}[90]، على كل الأحوال شر لسانه سيطولك.

نأتي إلى الآية الأخرى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا}[91]، المثال واضح، من يحمل العلم ولا يستفيد منه.

في الآية الأولى قوله تعالى: {أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}[92]، ذكر الإمام ابن تيمية في (الفتاوى) قال: "فتركُ أهل العلم للعلم، ولما يُوجبه العلم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أضرُّ على الأمة من ترك أهل الجهاد للجهاد؛ فتركهم للعلم ووقوعهم في المعاصي وإعطاؤهم المثل السيء صدٌّ للناس عن سبيل الله، فمن فعل هذا يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، لأنهم بسبب ضلالهم عصى الناس الله، ومُنع القطر ووقع البلاء، ومسَّ حتى النباتات والحيوانات، فيلعنهم كل مخلوق، بسبب معاصي البشر تتضرَّر الحيوانات والنبات والأرض فيلعنهم اللاعنون"[93].

ذكر سيد قطب وقال في تفسير هذه الآية عن العلماء الذين وقفوا في المنتصف: "فكأنها نزلت في أشخاص نراهم بأعيننا، تجد أحدهم يعضّ بأيديه وأرجله يريد أن يحجز لنفسه مكانًا في النار، فصار واحدهم كأنه مَلْعَنَة -هدف للَّعن-، تتساقط عليه اللعنات، فيلعنه الله ويلعنه اللاعنون ومنهم الملائكة الصالحون، والإنس والجن، حتى العوام"[94].

هذا في الآيات، وهذا حصل ويحصل في الأمة.

ثم تأتي إلى السنة فنجد فيها أحاديث كثيرة حول علماء السوء، وفي كتاب (التذكرة) للقرطبي ذكر من أصناف أهل النار العلماء الذين لا يعملون بعلمهم، والذين يأمرون بالمعروف ويأتون المنكر، وذكر أحاديث للرسول ﷺ قال: (ديديان القرَّاء)، شبَّههم بالديدان لأنهم يعبثون في النَّجس. وأن هلاك الأمة سيكون مثل اليهود والنصارى على يد أحبارها، وروايات وآثار كثيرة في السلف بهذا المعنى[95].

---

[90] سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

[91] سورة الجمعة، الآية: ٥.

[92] سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

[93] لا يوجد بهذا النص والظاهر أن الشيخ نقله بالمعنى، يقول شيخ الإسلام في (مجموع الفتاوى) ٤٢/٤: "وَعَكْسُهُ كَاتِمُوا الْعِلْمِ فَإِنَّهُمْ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللَّاعِنُونَ قَالَ طَائِفَةٌ مِنْ السَّلَفِ: إذَا كَتَمَ النَّاسُ الْعِلْمَ. فَعُمِلَ بِالْمَعَاصِي احْتَبَسَ الْقَطْرُ فَتَقُولُ الْبَهَائِمُ: اللَّهُمَّ الْعَنْ عُصَاةَ بَنِي آدَمَ فَإِنَّا مُنِعْنَا الْقَطْرَ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ." اهـ.

[94] الكلام منقول بالمعنى؛ يقول سيد قطب في (الظلال) ١٥٠/١: "«أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ»؛ كأنما تحولوا إلى ملعنة، ينصب عليها اللعن من كل مصدر، ويتوجه إليها– بعد الله– من كل لاعن! واللعن: الطرد في غضب وزجر، وأولئك الخلق يلعنهم الله فيطردهم من رحمته، ويطاردهم اللاعنون من كل صوب. فهم هكذا مطاردون من الله ومن عباده في كل مكان.. "اهـ.

[95] قال القرطبي في كتابه (التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة) ص ١٢٣٠: "وقد خرج الترمذي الحكيم في نوادر الأصول قال: «حدثنا أبي رحمه الله قال: حدثنا حوشب بن عبد الكريم: حدثنا حماد بن زين عن أبان عن أنس قال: قال رسول الله يكون في آخر زمان ديدان القراء فمن أدرك ذلك الزمان=

والحديث المشهور: (يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ)[٩٦].

فهذا مذكور في القرآن ومذكور في الحديث.

ثم نأتي إلى مواقف السَّلف؛ فمن هذا موقف الإمام أحمد بن حنبل من علماء السلطان في زمانه، وموقف سفيان الثوري من علماء السلطان في زمانه، موقف الحسن البصري من علماء السلطان في زمانه.

في سيرة عبد الله بن المبارك تجد قصيدة كتبها لأحد الفضلاء من أهل الحديث في عصره، حيث أصبح هذا الرجل الذي –نسيت اسمه الآن–[٩٧] مسؤولًا للوالي عن توزيع أموال اليتامى، فكتب له عبد الله بن المبارك قصيدة مطلعها:

يا جاعل الدين له بازيًا ... يصطاد أموال المساكينِ

فعنَّفه، وكان رجلًا صالحًا، مع أنّ كل الذي عمله أنه صار واليًا لأموال عند الحكومة، فكتب له وذكَّره بأحاديث مخالطة السلطان، فبكى واستعفى. وهناك قصص جميلة كثيرة جدًا، تحتاج لمحاضرة من ٣ أو ٤ ساعات لوحدها حتى نعلم حال علماء السلف.

سفيان الثوري –رحمه الله– كان فقيه صاحب مذهب، بقي من مذهبه آراء له في كتب الفقه ولكنّه لم يُكتب، رغم أنه في مستوى أبي حنيفة والأوزاعي وعلماء عصره من الأئمة، عصى سفيان الثوري عدَّة خلفاء من العباسيين، أولهم أبو جعفر المنصور، ففرَّ منهم ولم يلِ لهم شيئًا، ودعوه بكل الوسائل حتى عجزوا.

وهذه القصة فيها أمر عجيب جدًا، أبو جعفر المنصور خليفة بني العباس العظيم، الذي أسَّس دولة بني العباس، يريد أن يدخل سفيان الثوري في طاعته حتى لا يقول الناس: "لولا أنه سيء ما هجره"، فهرب في الصحراء حتى لا يكون في حاشية السلطان.

فجاءه في بيته، ضُرب الباب ففتح سفيان فوجد أبا جعفر المنصور، فبدل أن يرحّب به ويقول له أهلًا وسهلًا، سأله أول سؤال: "ماذا جاء بك؟"، فالخليفة كان رجل ذو أعصاب هادئة، رجل سياسي، فقال له: "جئت لأنظر هل لك

=فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهم الأنتنون، ثم تظهر قلانس البرد فلا يستحى يومئذ من الزنا والمتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمرة والمتمسك يومئذ بدينه أجره كأجر خمسين قالوا: منا أو منهم؟ قال: بل منكم». "اهـ.

[٩٦] صحيح البخاري (٣٢٦٧).

[٩٧] هو إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُلَيَّةَ.

حاجة؟" قال له سفيان: "أوَتقضيها لي؟"، ففرح الخليفة وظنَّ أنه دخل في الخط، فقال له: نعم أقضيها، ما هي؟" قال له: "لا تأتيني حتى أدعوك، ولا تدعوني حتى أرفع إليك أنَّ لي عندك حاجة"، لا تأتيني ولا تناديني!.

فخرج أبو جعفر وكان رجلًا لبيبًا عظيمًا رغم ما عنده من ظلم، خرج يضرب كفًّا بكفّ، ويقول مقالة جميلة تأمّلوها: "كل الطيور علفناها فالتقطت إلا سفيان"؛ شبَّه نفسه برجل يرشُّ الأرز للطيور، فكل الطيور تقع وتأخذ. والعلف طعام الدواب، فرششنا العلف فكل الدواب من طير وحمار وإبل أكلوا إلا سفيان[٩٨].

فحتى الملك الذين ينصر نفسه بهم يعلم أنهم طبقة علف. وكان المعلوفون في ذلك الزمان نوادر، ولكثرة ما أزعج سفيان أبا جعفر المنصور حكم عليه بالإعدام، ففرَّ إلى مكة، ولقدر ما أفتى في مسائل ضد أبي جعفر حلف أبو جعفر أن يذهب إلى مكة معتمرًا، ويصلب سفيانًا على باب الكعبة.

فلما جاء وانتشر الخبر، كان سفيان واضعًا رأسه في حِجر واحد من التابعين من أئمة الحديث في الحرم، أظنه ابن معين، فقال لسفيان أن الرجل جاء فارحم نفسك وارحمنا واخرج من مكة حتى لا تقع المصيبة، فقال: "أتخشوا أن يدخل علينا أبو جعفر؟"، وقام إلى أستار الكعبة وقال: "برئت منه إن دخلها علينا أبو جعفر"، هذا الكلام ظاهره كفر؛ معناه إن دخل علينا أبو جعفر برئت من الكعبة، فأعظم الناس القول جدًا، وقعدوا ينتظرون فلما وصل أبو جعفر إلى ميقات الحرم ووضع رجله فيه توفيّ!

مات أبو جعفر في ميقات الحرم، ميقات أهل العراق، فعلم الناس ماذا قصد سفيان، فهو قال قول المتيقّن يقينًا أن أبا جعفر لن يدخل، كالذي يتيقّن أن اللبن أبيض، وهذا من كرامات الصالحين وخصوصياتهم، وهذا كان نموذجًا من نماذج العلماء الذين عاشوا في هذا العصر.

فذهب سفيان وجاء أبو حنيفة –رحمه الله–، وأبو جعفر يريد من يسند الحكم. فأرسل لأبي حنيفة أمام كل الناس وطلب منه أن يتولَّى القضاء، فأخبره أمام كل الناس أنه لا يصلح، فقال له: كذبت بل تصلح، فقال له أبو حنيفة: حكمت على نفسك؛ إن كنت صادقًا فلا أصلح، وإن كنت كاذبًا فلا يصلح قضاء الكذاب، ففي الحالتين لا أصلح!.

---

[٩٨] لم أجد مصدر هذه القصة وقد ذكرها الشيخ عبد الله عزام في تفسيره لسورة التوبة، وروى الذهبي في كتابه سير (أعلام النبلاء) قصة قريبة ٦/ ٦٤١ ط دار الحديث: "لَمَّا اسْتُخْلِفَ المَهْدِيُّ بَعَثَ إِلَى سُفْيَانَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ خَلَعَ خَاتَمَهُ فرمَى بِهِ إِلَيْهِ، وَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ هَذَا خَاتَمِي فَاعمَلْ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. فَأَخَذَ الخَاتَمَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: تَأْذَنُ فِي الكَلاَمِ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ؟ قُلْتُ لِعَطَاءٍ: قَالَ لَهُ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَتَكَلَّمُ عَلَى أَنِّي آمِنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لاَ تَبعثْ إِلَيَّ حَتَّى آتِيَكَ، وَلاَ تُعْطِنِي حَتَّى أَسْأَلَكَ. قَالَ: فَغَضِبَ، وَهَمَّ بِهِ فَقَالَ لَهُ كَاتِبُهُ: أَلَيْسَ قَدْ آمَنْتَهُ؟ قَالَ: بَلَى. فَلَمَّا خَرَجَ حَفَّ بِهِ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: مَا مَنَعَكَ، وَقَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَعْمَلَ فِي الأُمَّةِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؟ فَاسْتَصْغَرَ عُقُوْلَهُم، وَخَرَجَ هَارِبًا إِلَى البَصْرَةِ." اهـ.

فسأله ماذا تقول فيّ؟ فقال له أبو حنيفة: أعفِني، قال له: بل ما تقول فيّ؟ قال: "والله يعلم كل من عليها أنك ظالم، ولو أنكم طلبتم مني أن أعدّ لكم لَبِنات المسجد وأنا جالس ما عددتها لكم"؛ أي لا أساعدكم في بناء المسجد.

وفي الروايات القوية ضُرب وعُذب، وخرج من السجن ثم مات بعد أيام، وغالب الظن أنه سُمّ في عهد أبي جعفر، أو أنه مات من الضرب، أو مات من السم، هذا أبو حنيفة.

ثم مالك مع أبو جعفر نفسه، أفتى مالك بالخروج على أبي جعفر، وكان قد خرج عليه أخوان، الولد الرابع أو الخامس لعلي بن أبي طالب محمد بن النَّفس الزكيَّة من أئمة أهل البيت. وخرج أخوه إبراهيم في الكوفة، فأفتى لهم أبو حنيفة بالخروج على أبي جعفر. وأما محمد في المدينة فأفتاه مالك بالخروج، وتم الإفتاء بالإيحاء؛ قالوا في عنقنا بيعة لأبي جعفر، فكان درس الإمام مالك في ثاني يوم عن إسقاط طلاق المُكرَه، قال: "إذا طلَّق الرجل وهو مُكرَه لا يقع"، ففهم الناس المقصود من المكره، وخرجوا مع محمد النفس الزكية.

فهناك تاريخ طويل عريض يجب أن تقرأوه، والجهل في التاريخ والواقع له انعكاسات، لم نعد نفهم ماذا نصنع، وما الصواب وما الخطأ. فهذه نماذج.

في زمن العباسيين كان ظهر رجل في خراسان وكان الوالي اسمه: عبد الله بن طاهر، وكان في ظلم مثل الحجّاج، ولكن الحجّاج أشهر، وفي زمانه تعارك السلفية والجهمية، وكتبوا كتبًا ضد بعضهم، فأصدر مرسومًا يمنع أن يتكلم أحد في الموضوع.

(...) من الجماعة اليوم؟ قال له: محمد بن أسلم ومن معه، أراد الخليفة أن يستفزه، وكان الحكام حينها ذوو فهم وقرأوا التاريخ، فقال له: ما لك لا تنظر إلى السماء، وقد كان عمر بن الخطاب وشراك نعله خير منك يطيل النظر إلى السماء؟ فقال دون أن ينظر إليه: وَلِمَ لاَ أَرفَعُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ؟ وَهلْ أَرْجُو الخَيْرَ إِلاَّ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ؟! وَلَكِنِّي سَمِعْتُ مُؤَمَّلَ بنَ إِسْمَاعِيْلَ يَقُوْلُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُوْلُ: "النَّظَرُ فِي وُجُوْهِكُمْ مَعْصِيَةٌ"!.

فأمر بحبسه، فحُبس اثني عشر شهرًا، وكان في زمانه يحيى بن معين من أئمة الحديث، وكان له مكانة، فقال له التلاميذ اكتب إلى الحاكم ليُخرج محمد بن أسلم، فقال: والله إني لأكره أن يدخل خطّي على السلطان!، يعتبرها مذمَّة في الدين، لأن الرسول ﷺ قال: (لا تأتوا أبواب السلاطين فتُفتَنُوا)[٩٩]، هذا الحديث يوضّح لنا هذه الظاهرة.

فأبى وقال اكتبوا على لساني، فكتبوا، فلما ذهبت الرسالة للرجل أطلق محمد بن أسلم، فلما خرج قال: "مكثتُ في السجن اثنا عشر شهرًا ما سألتُ الله أن يُطلِقني"، يحتسب ذلك عند الله.

---

[٩٩] لم أجده بهذا النص، أخرج النسائي (٤٣٠٩) وأبو داود (٢٨٥٩) عن النبي ﷺ: (..وَمَنِ اتَّبَعَ السُّلْطَانَ افْتُتِنَ)، الحديث صححه الألباني.

يحيى بن معين هذا عندما حصلت الفتنة الكبرى لأحمد بن حنبل ضعُف فوَارَى ولم يقف موقف أحمد ابن حنبل، انظر هذا الذي لم يقبل أن يدخل خطّه على السلطان، في لحظة ضعف لم يقف موقف الإمام أحمد ابن حنبل، ثم عندما خرج أحمد بن حنبل لم يقبل أن يسلّم عليه، ولما حضرته الوفاة جاء له يحيى بن معين وقال له: "ألم يقل الله: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}[100]؟" فلم يردَّ عليه، فخرج وهو يبكي، فقال أحمد للناس وهو على فراش الموت: "يقول لي أُكره ولم يضرب سوطًا واحدًا!".

الآن الواحد يقول لك: "فلان مُكره"، تسأله لم؟ فيقول: "معاشه ٣٠٠ ألف فإذا ذهب فسيصبح معاشه ١٠٠ ألف"، فهل هذا مكره؟!، كل واحد تسأله يقول لك مكره.!

فهذه نماذج من العلماء، وكتب الرجال مليئة بمثل هذه القصص، في المقابل تجد من ضعُف ضعفًا بسيطًا، هذه القصص تحتاج لمن يفردها.

المنذر بن سعيد البلوطي من علماء الأندلس، ومن عظمته فللشيخ سلمان العودة شريطان يتكلم عنه، عاصر واحدًا من خيار ملوك التاريخ الإسلامي هو عبد الرحمن الناصر، هو الذي حفظ الإسلام في القرن الرابع الهجري، لكنه كان صاحب قمار ونساء وغزو، ومات وترك لابنه الحكم بن عبد الرحمن ألفي ألف دينار ذهب غير ما في الخزينة، غير الأملاك من الجزية، حتى عجز النصارى في عهده عن القتال، قالوا نترك القتال حتى يموت.

ملك مجاهد لكنه صاحب الدنيا، فبلغ المنذر بن سعيد البلوطي قاضي قرطبة وإمام الجامع أنّ هذا الملك اشترى جارية اسمها الزهراء، وإكرامًا لها عمَّر مدينة (الزهراء) قرب قرطبة، مدينة تحدَّث عنها التاريخ أنها آية في العمران، بالطبع الملك أخذ أرضًا وعمّر قصرًا، والوزراء أخذوا أراضٍ وعمَّروا قصورًا، وعِلية القوم والتجار، فأصبحت مدينة.

فأمر أن تُعمَّر له قبّة لبِنة فضة ولبِنة ذهب، ويزينها بالجواهر، وعمل تحتها عرشًا، ودعا كل عِلية القوم ومنهم المنذر بن سعيد البلوطي، وجلس تحت الذهب والجواهر، وسأل الناس قائلًا: "هل سمعتم بملك جلس في مجلس مثل مجلسي هذا؟" قالوا: "ما سمعنا"، فلما رأى سعيد بن المنذر ذلك بكى، فقال له: "ما يبكيك وهذا مجلس فرح؟" قال: "رحمتك يا أمير المؤمنين أن يُنزلك الله منازل الكافرين"، قال: "كيف؟" قال: "ألم يقل الله تعالى: {وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ}[101]"، فبكى وأمر بنقض القبة وهدمها، ومرض شهرًا!.

وهناك قصص كثيرة جدًا، هذه القصص يجب أن ننبِشَها، ليس لنبحث عن مثل هؤلاء الناس، هؤلاء لن يأتي مثلهم..

ذهبَ الذينَ يعاشُ في أكنافهمْ وبَقيتُ في خَلْفٍ كجِلدِ الأجرَبِ

---

[100] سورة النحل، الآية: ١٠٦.

[101] سورة الزخرف، الآية: ٣٣.

كانت عائشة تقول بيت لبيد هذا؛ أي ذهب الرسول ﷺ، وذهب أبو بكر، وذهب عمر، تقول ذلك وهي ما زالت مع الصحابة، وهي بقيت مع الصحابة!.

لا ينفعون ولا يُرجّى خيرهم وَيُعَابُ قائِلُهُمْ وإن لَمْ يَشْغَبِ

إنَّ الرزيَّةَ لا رزيَّة مثلهَا فقدانُ كلِّ أخٍ كضوءِ الكوكبِ

ننبش هذه القصص حتى يشمّ الناس رائحة العفن بالمقارنة؛ عندما يقارن هذا الكلام بما يراه فيعرف أن هذا عفن، فتسقط شرعيّة (ديدان القرّاء) هؤلاء عند الناس، ويسقط كلامهم ويظهر كلامنا، فيدخل الناس في دين الجهاد أفواجًا.

فهذا الكلام ليس للتسلية، لأن هؤلاء هم الذين غلّوا أيدي الشباب عن الجهاد.

فالشاهد، ظهرت طبقة علماء السلطان وديدان القرَّاء وجماعة (يلعنهم اللاعنون) والحمير الذين يحملون الأسفار، والكلاب أصحاب اللهاث، وملأت التاريخ قليلًا فقليلًا.

ولا تظنوا أن أئمة الصلاح كانوا فقط في بني العباس بل إلى أيامنا هذه لكن قليل، الشيخ سليمان الحلبي كان إمام الجامع الأزهر في عهد الملك فاروق، وذكر القصة الشيخ عبد الله عزام. دخل فاروق ومعه الحاشية إلى المسجد، وكان الشيخ مادّا لرجليه، فمر الملك وهو يمد رجله، فغضب، فأراد أن يبطش به، فجاء واحد من علماء السلطان فقال له أعطني كيس دنانير وغدًا يأتيك، فأعطاه الكيس وذهب للشيخ الحلبي وقال له: "هذه أرسلها الملك فاروق"، فنظر إليه وقال له: "قل لسيدك الذي يمد رجله لا يمد يده"، وأرجع المال[١٠٢].

هذا نفسه أو آخر من شيوخ الأزهر، دُعي إلى وليمة وكان هناك أحد الأغنياء، فوضعوا الأرز والملك فاروق جالس، فقيل للشيخ: "كل من الأرز"، فقال: "كلوا أنا لا آكل"، قالوا: "بلى لتأكل"، فأخذ مسحة من الأرز وقال: "عصرتم في هذا دماء الفقراء، وعصر الأرز ونزل الدم على الأكل"، وخرج.

*[١٠٣] فكان العلماء كثيرون؛ سفيان وأحمد وابن معين..، ثم بدأوا يقلّون كما قال الرسول ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ)[١٠٤]. وارجعوا لقصة الإمام أحمد، ممكن تُحكى قصة الإمام أحمد في عشرة أشرطة متتالية، ولكن اقرأوها، ارجعوا واقرأوا سير الرجال.

---

[١٠٢] القصة في المسجد الأموي وليست في الأزهر وصاحب القصة هو الشيخ سعيد الحلبي –رحمه الله–.

[١٠٣] بداية تفريغ الملف السابع.

[١٠٤] صحيح البخاري (١٠٠)، صحيح مسلم (٢٦٧٣).

فبدأ يقلّ هؤلاء الصالحين، حتى صِرت تقول في مصر في سنة كذا كان هناك العالم الفلاني، في ١٩٩٠م وما حولها خرج الشيخ عبد الله عزام، ثم قُتل فبقي الناس مثل الأيتام، يريدون رأسًا في الساحة ولا يوجد. فبدأوا يُكاتبون الشيوخ، كاتبوا الشيخ أحمد نوفل، وهذه شهادتي الله يرحم الشيخ عبد الله، والله يهدي الشيخ أحمد والله إني أحبه في الله وكنت أزوره في البيت وكنت أتأمل فيه خيرًا كثيرًا، وإن شاء الله فيه خير.

قلت للشيخ عبد الله: "يا شيخ قبل أن تمضي والدنيا خطر أحضر الشيخ أحمد هنا"، فالحاضرون قالوا: "يجب أن ندعوه"، فالشيخ الله يرحمه صار يضحك، فأنا قلت له ليأتي، فكان بيده خبزة فأخذ قطعة وقال: "بسم الله لن يأتي الشيخ أحمد"، وأكلها. هذه على شهادتي أنا، (...).

فالمهم لم يأتِ أحد، حتى أن جماعة من الأفغان العرب من الحماقات التي خطرت في بالهم أن يُكاتبوا الشيخ أحمد القطَّان الكويتي ليأتي يسدّ مسدّ الشيخ عبد الله. تصوروا إلى أين وصلت فيهم الحال!

قال تعالى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}[١٠٥]، فالشيخ أحمد قطّان لا أقول فيه إلا أن اسمعوا ما قال وكتب قبل حرب الخليج وما قال وكتب بعد حرب الخليج، في الفيديوهات والأشرطة والخطب، هذا فقط يكفي!.

الشاهد في الموضوع بدأت تقلّ طبقة الصالحين وتكبر طبقة ديدان القرّاء، حتى حلّ بنا زمان (حرب الخليج). وخذ نماذج من الذي نعيشه نحن، فهذه هي جماعات الباباوات الذين باعوا الجنة حتى وصلنا إلى هذا الزمان. خذ هكذا مقتطفات سريعة.

قلت لك البارحة في شريط مسجّل أن الشيخ البوطي شيخ الشام وأعلم علماء الشام يقول: "إن يكن صلاح الدين في هذه الأمة فهو حافظ الأسد!"، وحافظ الأسد نصيري ذبح من المسلمين ما الله به عليم، وعنده أكثر من مائة ألف قتيل ما بين السجون وحماة فقط، سوى التعذيب البلاوي الكفر جهارًا نهارًا.

في عهد حزب البعث في سوريا يخرج شاعر يكتب في الصحف أمام الناس:

"آمنت بالبعث ربًا لا شريك له وبالعروبة دينًا ما له ثانِ"

---

[١٠٥] سورة آل عمران، آية: ١٧٩.

فهذا هو الدين الذي صار في سوريا؛ "آمنت بالبعث" حزب البعث الحاكم. هذا في سوريا وأما في العراق فخرج من حزب البعث لصدام حسين شاعر آخر، وصدام حسين أصلًا ممقوت، ما أظن أن هناك بني آدم وجهه أسوأ منه، قال له الشاعر وهو داخل على القصر في الحفلة:

"تبارك وجهك القدسي فينا كوجه الله ينضح بالجلال"!!

وهذه القصة ذكرها الشيخ عبد الله وذكر فيها كرامة جميلة حصلت حرب الخليج، وهذا الشاعر نفسه قال في مجلس سكر من مجالسهم أنه عرضت علينا إيران أن تقف الحرب مقابل استقالة الرئيس، والرئيس أفضاله كبيرة على الأمة فلو يستقيل ويحقن دماء الناس.

فبلغ صدام حسين هذا الاقتراح العظيم فدعاه، وما غفر له قوله: "تبارك وجهك القدسي فينا"، وصدام حسين مشهور بتنفيذ الأحكام بيده، جاء إليه وقال له: "أنت قلت هكذا؟" فسكت، قال له: "مدّ لسانك"، فطبعًا مدّ لسانه، فأخرج مقصًا وقصّ له لسانه. فمن كرامة الله -سبحانه وتعالى- أن هذا اللسان الذي قال: "تبارك وجهك القدسي فينا"، قطع لسانه هذا (الوجه القدسي) نفسه في حياته!

فخرجت هذه الطبقة، ويا ليتها توقفت على المغنيين والمطربين ولاعبي كرة القدم والممثلين والممثلات، بل الآن دخلت في طبقة المشايخ! ماذا أقول لك، أنا مثلما جمعت قصص سعيد البلوطي جمعت قصص الشيخ البوطي الذي خرج في زماننا، قصص عجيبة!.

أنا صلّيت في سنة ١٤٠٣هـ في رمضان في الحرم المدني، وكان شيخ الحرم المدني عبد العزيز بن صالح توفي وأفضى إلى ما قدّم، والشيخ عبد العزيز بن صالح إمام الحرم المدني مدة أربعين أو خمسة وثلاثين سنة، يصلي ووجه للكعبة وظهره عشرة أمتار قرب قبر الرسول ﷺ، حتى تعرفوا الذي جرى لنا، فأنا نعِست في التراويح فقلت أرقد كم ركعة وأصلي معهم الوتر.

رقدت ثم سمعت الشيخ يقول: صلاة الوتر أثابكم الله، فقمت توضأت ودخلت في الصلاة، انتهت ودخلنا في القنوت، فبدأ يدعو لفهد، ويدعو لفهد، وبالغ جدًّا حتى أنا نظرت بطرف نظري إلى طول الصف هل ممكن أخرج من الصلاة؟ فكان لا يمكن أخرج من الصلاة، وأريد أن أنزل يدي مشكلة أيضًا.

بعض أئمة الضلال الذين يدعون للملوك يقولون: "اللهم اهدِه، هيّئ له البطانة الصالحة" مثلًا، هو كلام صحيح ولكنه لا يجوز أصلًا لأنه تدليس على المسلمين، فعندما تقول: "هيّئ له البطانة الصالحة" يظن الناس أن الملك حسين ينقصه البطانة الصالحة فقط! هذا الكلام ضلال أصلًا، وإضلال للناس، وتدليس على المسلمين. وعندما تقول: "اللهم انصره لخدمة دينك"، فهذا كذب، فهل هذا وجه يمكن أن يخدم دين الله –سبحانه وتعالى–؟!

فهذا تجاوز هذه التعليقات لما هو أعظم من هذا؛ فأصبح يقول: "اللهم انصره، اللهم احفظه، اللهم أيّده"، ثم في النهاية قال: "اللهم من أراد به سوءًا فردَّ كيده في نحره"!!.

ويؤمّن على دعائه مليون مصلٍّ في المسجد، والذي يشد رحاله من باكستان وهؤلاء (جماعة الحملة) يقولون: آمين آمين، اللهم احفظه اللهم انصره اللهم أيّده!، نحن كلنا نريد به سوءًا، وابن لادن يريد به سوءًا، وكل الصالحين يريدون به سوءًا، فقال "فرد كيده في نحره"!.

قصص كثيرة جدًّا ولا أريد أن يكون الشريط كله يدور في هذه القصة الحزينة، يكفي أن أقول لك أنه بعد انفجار الخُبر والرياض خرج عميد جامعة الإمام محمد بن سعود، التلميذ الأول لابن عثيمين –واسمه عندي في البحث، أذكره لكم عندما نتكلم في بحث الجزيرة –، وقف في صلاة الجمعة يقول: "اللهم اشفِ جرحى الأمريكان ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا"!!

طبعًا ليس هناك أدب فوق القرآن أدبًا، فعندما تقرأ: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ}[106] وتقول: هذا العالم كلب، يأتيك خمسون مؤدبًا يدّعوا أن أدبهم أكثر من القرآن ليقول لك: "بلاش هذه الألفاظ يا أخي!" ويستكبر كلمة كلب ولا يستكبر أن يقف واحد في منبر الرسول ﷺ منبر الجمعة ويقول: "اللهم اشفِ جرحى الأمريكان ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا"، هذه الكلمة كلمة كفر أصلًا، والكلب أشرف من الكافر. ولا يقول أحد أني كفّرت الرجال، فليذهب لمحكمة وينظر في تحقق الشروط وانتفاء الموانع والقصص الطويلة العريضة ويحكموا عليه.

أنا لم أكن أتصوّر أن يخرج واحد يُرفع به الرأس في بلاد السعودية تحت هذا الحكم، ولكن خرج الحمد لله بعض صالحين، وخرج في هذه الأمة سفر، وسلمان، وناصر العمر، وبشر البشر، وابن قعود، الذين نرجو أن يكونوا على خير.

---

[106] **سورة الأعراف، الآية: ١٧٥.**

والشيخان سفر وسلمان للحق -وأنا أحبهم في الله- قالوا جزءًا من الحقيقة وما قالوا كل الحقيقة، هو بالنسبة لآل سعود وشعبهم وعلمائهم يُعتبر إبداعًا، يعني يُعتبر أنهم اخترقوا جدار الصوت فوق السعودية، أما بالنسبة للحق الذي نحن كنا وصلنا له من ثلاثين وأربعين سنة من الجهاد في مصر والشام فهذا يُعتبر كلامًا عاديًا جدًّا، عندنا العامي يقول عن الحكام: "أصلًا ولاد كلب كفرة"، وهو عامي جاهل أصلًا. وهذا الذي يعلم الأدلة ولا يعرف أنّ الملك كافر وغير كافر، وإذا عرف لا يتكلم، فهم يُعتبرون قد تكلموا بأمر عظيم جدًّا.

فماذا كانت نتيجة هذا الحق الذي قالوه جزاهم الله ألف خير وجزاهم عنا وعن الإسلام والمسلمين خيرًا؟

النتيجة انظرها في وسائل الإعلام السعودي، كتاب مرفوع من معالي وزير الداخلية نايف بن عبد العزيز إلى سماحة الأب الوالد عبد العزيز بن باز، نشرت وسائل الإعلام الرسالة، أنه يا سماحة الإمام ظهر عندنا فلان وفلان يقولون هكذا وهكذا والقضية كذا، لنرى ما هذا الأمر فبعثنا لمعاليك. هذه الرسالة الأولى من نايف إلى عبد العزيز بن باز.

الرسالة الثانية: من الإمام عبد العزيز بن باز إلى معالي وزير الداخلية كذا كذا قرأنا كتابكم رقم كذا إلى آخره والذي نقترحه أن يُوقفوا عن الخطابة ويُستدعوا إلى تحقيق.

والآن لا أحفظها حتى ما يقول واحد النص غير هذا، لكن خلاصة الوثيقة أن تُشكّل لجنة من اثنين من وزارة الداخلية، واثنين من هيئة كبار العلماء للتحقيق معهم، فإن رجعوا عن أقوالهم وإلا تُتخذ فيهم الإجراءات اللازمة. هذه فتوى!

الرسالة الثالثة: بناءً على كتاب من سماحة الأب الوالد تم توقيف واعتقال الشيخين!.

وهذا كله منشور في وسائل الإعلام، فاعتُقلوا بفتوى ودخلوا السجن ست سنين، ودخلوا بظلم أميري وخرجوا بمكرمة ومنّة أميرية، لم تتحرك الأمة لتخرجهم، تقبل الله -سبحانه وتعالى- منهم..

(...) وعندما صار انفجار الرياض أُعدم الذين قاموا به بفتاوى. وعندما صار انفجار الخُبر خرجت فتوى عبارة عن طامة كبرى -سأحضر لكم الوثيقة فالأرشيف يصل قريبًا إن شاء الله -، الوثيقة الخاصة بانفجار الخُبر هكذا مربّع فيه نص الفتوى، هذه الفتوى تكفي عن كل ما يدور من أمثلة.

وطبعًا أنا أتكلم لك عن (هيئة كبار العلماء) وهؤلاء يُرجى فيهم الصلاح، لا أحكي لك عن الأزهر وعن البوطي وعلى ناس لا نختلف على نفاقهم وضلالهم؛ الطنطاوي سمعتم ببلاويه، وكما أن قصص الصالحين تحتاج موسوعة، قصص هؤلاء تحتاج موسوعتان حتى تجمعها.

فتوى انفجار الخُبر عبارة عن نص الفتوى، ثم عمود لأسماء العلماء هيئة كبار العلماء، ثم عمود أختامهم الشخصية، ثم التوقيع، هكذا منشورة، واحد وعشرون شيخًا، أعلاهم سماحة سيدنا ابن باز، ثم سيدنا ابن عثيمين، ثم تنزل إلى آخر اسمين السدلان واللحيدان، وما بينهما وأسماء هذا ابن فلان وأبو علان، واحد وعشرون اسمًا.

تقول الفتوى: "بناءً على دعوى من وزارة الداخلية انعقد مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الطارئة"، لأن عندهم الاجتماع كل خميس، ولكن هذا الاجتماع بنص الفتوى كان في دورته الطارئة غير العادية، بتاريخ كذا وكذا للنظر في هذه القضية، وبدأوا في ذكر المصائب، وأنا أخرجت منها ثلاثة وعشرين فتوى وهي نصف صفحة وفصّلتها.

فمن أهم ما ذكروا في ذلك قالوا: "هذا قتل لدماء المستأمنين، وهتك للأموال المعصومة، وترويع للنفوس الآمنة، وفاعل هذا الفعل لا يروح رائحة الجنة"، هذا حكم في الآخرة وليس الآن..

"وأنهم لو قُبض عليهم الآن فحكمهم معروف في الشريعة: أن يُقتلّوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض".

"وواجب الأمة أن تكشف سرّهم، وتفضح حالهم، وتدعو الله -سبحانه وتعالى- أن يساعد في القبض عليهم"، هنا فتاوى أمن الدولة، فيريدوا أن يحوّلوا الأمة إلى مُخبِرين. فتوى وقّع عليها واحد وعشرون اسمًا، وهي فتو عن قتال الأمريكان، لم نتكلم بعد عن هذا (طويل العمر) ولا (طويل الذنب)، هذا في قتال الأمريكان! وليس في أناس مُختلف عليهم مسلمين أو غير مسلمين. بل في قتال الأمريكان وتنظيف الحرم (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)[١٠٧] أخرجوا هذه الفتوى. هذه الفتوى كانت في عام ١٩٩٦م أو ١٩٩٧م وأنا كنت في لندن.

[١٠٧] صحيح البخاري (٣٠٥٣)، صحيح مسلم (١٦٣٧).

طبعًا {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا}[١٠٨] أنتم ترون هذه الفتوى كبيرة، هذه فتوى صغيرة، الفتوى بإباحة احتلال الحرم التي صارت ١٩٩٠ هي الكبيرة وهي التي قدمت لهذه الفتوى. هذا واحد وعشرون اسمًا في هذه القضية. ثم يأتي واحد يقول لي: "لماذا تتكلم في العلماء"؟!، هذه المصيبة.

سألني واحد من الشباب: لماذا يحدث هذا؟، الشيخ البوطي شيخ الشام أرسلوه بطائرة إلى الجزائر، يعني لا يكفي أن ينافق في الشام والله يعين أهل الشام!، فذهب للجزائر وأخرجوه على التلفزيون الجزائري ساعة ونصفًا، وحكم بأن مجاهدي الجزائر هؤلاء شر من الخوارج. ولم تكن قد حصلت الانحرافات والبلاوي الأخيرة بعد، ما زالوا في البداية والعمل في الخير، وقال أيضًا: "أشباه هؤلاء ظهروا عندنا في الشام وخربوا ديارنا، وهؤلاء يجب أن يُضربوا.. إلخ"، هذا على تلفزيون الجزائر.

ثم أخذوه من الجزائر للمغرب وبُعث في (الندوة الحسنية) في رمضان في مراكش، وجلس شهرًا يظهر على التلفزيون عند الملك الحسن، طبعًا (الندوة الحسنية) لعل بعضكم سمع بها، يجمعون علماء المغرب وعلماء من العالم الإسلامي ويعطون كل واحد سبعة آلاف أو خمسة آلاف دولار مع الإقامة الدائمة في القصر، ثم يرجع إلى بيته وسط حفاوة وتكريم.

هناك أناس صالحون أو تحسبهم صالحين ذهبت لهذا المجلس، مثل أبي الحسن الندوي، أسماء يعني تحس أنها ليست متّسخة، فخرج البوطي وكانت له محاضرة ودعاء، وبعد ذلك عملوا معه مقابلة صحفية في (جريدة الأنصار) المغربية، جريدة رسمية مغربية، فكان خلاصة الذي قاله البوطي –وعندي نص المقابلة في الأرشيف أنا مهتم بهذا الموجز الخاص بالعلماء، عندي الأرشيف كله–، فكان خلاصة ما قاله: "أنا كانت محاضرتي كلها منصبّة على أنه يمكن أن نصلح من الرعية ما نصلح، ولكن الأهم صلاح الحاكم، فإذا صلح الحاكم صلحت الرعية، ولذلك أحمد بن حنبل كان يقول –رحمه الله–: إذا كان عندي دعوة مستجابة علمتها سأوفرها للحاكم".

أحمد بن حنبل يتكلم عن المأمون وهؤلاء الحكام، وهؤلاء يتكلمون عن الملك الحسن الذي ذكرت (بريجيت باردو) في مذكراتها أن أفضل لياليها الحمراء كانت بين يدي الملك الحسن الثاني، هذا الذي يريد أن يوفر له دعوة صالحة!، هذه واحدة من المآثر اليهودية له.

---

[١٠٨] سورة الشورى، الآية: ٤٠.

قال: "لذلك أنا كان كل قضيتي أن أهتم على أن الدعوة في المغرب كان ممن دفعها ونشَّطها جلالة الملك الحسن، وهو له الفضل على أهل الدعوة، وعلى حكام المسلمين أن يتأسّوا بهذه السيرة العطرة للملك الحسن في نشر الدعوة في المغرب".

ثم روى الرواية التالية –وممكن الذي يلبس عمامة يحس أن شعر رأسه وقف تحتها–، قال: "أنا أضرب لكم مثالًا عن أهمية صلاح الحاكم وخوف العدو من صلاح الحكام"، خوف عدونا أن ينصلح حافظ الأسد فجأة، فأمريكا ستموت من الرعب!.

ثم ذكر له الحديث التالي!، وانظر هذا السند الذهبي الذي يستحق أن يوضع في (البخاري)، سلسلة ذهبية!!، قال الشيخ البوطي ما نصه كذا: "حدثني سيادة الرئيس حافظ الأسد أنّه عندما زاره ريتشارد مورفي مبعوث أمريكا اشتكى له من عودة الأصولية إلى شوارع دمشق". مورفي خائف ويشتكي لحافظ الأسد من عودة الأصولية.

"فقال سيادة الرئيس له: هل تعلم يا سيد مورفي أننا بعد البحث وجدنا أن مشاكل كل هذه الأمة هي نتيجة البعد عن الكتاب والسنة. فوجدنا أن الحل في العودة للكتاب والسنة". من صاحب الحديث الشريف؟ حافظ الأسد. رأى الحل في العودة للكتاب والسنة!.

قال: "فرأينا أن أفضل وسيلة للعودة إلى الكتاب والسنة هي إطلاق يد الأصولية في سوريا".

فقال البوطي: "فقلت له ماذا كان جواب مورفي؟ فقال حافظ الأسد: تغيّر وجهه واحمر وخرج ولا أدري على أي لون استقرّ وجهه". خرج مورفي غضبان!.

نحن طبعًا نضحك نعتبره من أعدائنا، هذا الحديث لما يخرج ويسمعه بائع الخيار في الشام يقول لك: "والله جزاه الله خيرًا البوطي لأنه هذا إذا أسلم كم سيهتدي"!

فعلّق البوطي قال: "ولذلك العدو يعرف خطورة صلاح الحاكم. ونحن نعرف فائدة صلاح الحاكم. ولذلك نحن جهودنا كلها منصبّة على صلاح الحاكم، وأنا معظم تلاميذي في الدروس في الخطوط الأولى هم أولاد الوزراء وسيادة الرئيس وأعضاء القيادة القومية والقطرية" لحزب البعث الاشتراكي!

أتيت بسيرة البوطي حتى لا يحسب أحد أن عندي ضغينة خاصة تجاه علماء الخليج، ويأتي من يقول لي: "أنت تكره علماء الخليج"!. أنا أتكلم عن علماء الخليج لسبب واحد: أن كل الإخوة الصالحين فرغوا من تكفير أئمة الشام ومصر وأنّهم منافقون كافرون.

الإخوة المجاهدون في جلال آباد جالسون في جلسة تكفير فكانوا يقولون: حافظ الأسد كافر، وصدام حسين كافر، ومبسوطين. فقام أخ وقال: "أصلًا فهد تبعكم كافر أيضًا"، فقال له: "اذكر الله يا أخي"، صار وقت أذكار المساء!.

أبو محمد المقدسي كتب لهم –جزاه الله خيرًا– كأني أول مرة أقرأ الآية، قال لهم: {أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ}[109] هي في القرآن. لما كتبها في كتاب (الكواشف) أنا كأني أول مرة أسمع هذه الآية، وكأنها نزلت في هؤلاء الناس، أن كفار غيرهم كفار لكنّ كفّارهم مسلمون، وعلماء غيرهم منافقون لكن علماءهم أئمة السلف الصالح. لذلك أركّز على هذه القضية. فالشاهد يا أخي أريد أن ألفت نظركم إلى قضية أن هناك بعض العلماء وبعض الهياكل أصبح اسمها إرهابًا.

هناك شاعر مصري قال:

وكم ذا بمصر من المضحكات	ولكنه ضحك كالبكا

واحد من شيوخ الأزهر –أظنه الباقوري– أفتى بإعدام الإخوان وقال: "هؤلاء لا توبة لهم لأن التوبة تكون قبل أن يُقدر عليهم، وهؤلاء قُدر عليهم ثم تابوا"، فأفتى بإعدام الإخوان المسلمين.

وليته اقتصر على إعدام المسلمين، أعدم من الأحكام الشرعية ما لا يعلم به إلا الله. أفتى أنه يجوز للمرأة أن تتحجب بالشعر المستعار، قال إذا لبست شعرًا صناعيًا مستعارًا وستر شعرها فيُعتبر بمثابة الحجاب! وصدق الله القائل: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ}[110]! هذه واحدة من الفتاوى.

الثانية قال: "الربا في البنوك نوعان؛ ربا بسيط وربا مركّب، فالربا البسيط أن تأخذ فائدة خمسة بالمائة، والربا المركّب أن تأخذ نسبة عالية، فالربا البسيط حلال، والربا المركب حرام، بدليل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا

[109] سورة القمر، الآية: ٤٣.

[110] سورة الشعراء، الآية: ٢٢١.

أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً}[111] فإذا أكلتم ضعفًا واحدًا فهو حلال".

ومن البلاوي التي أخرجها قال: "يجوز للمرأة بلباس السباحة على الشاطئ إذا كانت بعيدة عن المدينة مسافة العمران أن تجمع وتقصر في الصلاة في لباس السباحة!".

هذه فتاوى مشايخ في الأزهر وغيرهم. فهمت كيف صار الدين في النهاية؟ فخرجت هذه الفتاوى وخرج هؤلاء العلماء، حتى صرنا في هذا الوضع في النهاية. فلا تسأل لماذا حصل كل هذا؟!

وخذ الفتاوى الأخيرة، آخر هذا فتوى عظيمة جدًّا، وهي أن هذا سيدنا ابن عثيمين يردّ إجماع الصحابة وحديث عبادة بن الصامت المتفق عليه وعلماء الأمة ألفًا وأربعمائة سنة ويقول: "هب أن الحاكم قد كفر فلا يخرج عليه بالكلام"، بالكلام وليس بالسلاح!.

ومن الفتاوى هذا سيدنا السدلان أو اللحيدان في السعودية - أحدهما وكل واحد منهما أسوأ من الذي بعده-، قالوا له: "أمن الدولة يعرّون المعتقلين"، قال لهم: "يجوز". قالوا له: "كيف يجوز؟" قال: "علي بن أبي طالب لما أمسك المرأة التي تحمل رسالة حاطب قال لها: لتخرجنّ الكتاب أو لننزعنّ الثياب. إذا كان علي بن أبي طالب سيجرّد مرأة لأخذ الأسرار فيجوز لولي الأمر أن يجرّد الإخوة المجاهدين حتى يأخذ المعلومات"!

على كل حال فهناك فصل خاص ذهبي في ملف الجزيرة أحدّثكم عنه لاحقًا، ولكن حتى لا يظنّ أحد أن القضية خاصّة بعلماء الجزيرة؛ أقول: مفتي اليمن زارته بناظير بوتو، فوضعوا صورته على غلاف مجلّة (الوطن العربي) هكذا شيخ مكبوس صغير، وكتبوا تحتها (مفتي اليمن: ولاية المرأة جائزة في الإسلام!)، هذا ما الذي حشره في المسألة؟ واحد يمني قاعد مخزّن ما الذي أتى به على أمور باكستان؟!

بناظير بوتو زارت اليمن فكل واحد صار يُقدّم لها الذي عنده؛ علي عبد الله صالح ممكن يجلس يخزّن معها ساعتين، هذا الذي عنده. رئيس البنك المركزي ممكن يعطيها هدية من أموال المسلمين، هذا الذي عنده. مطرب ممكن يطلع يغني لها بيتي شعر على التلفزيون هذا الذي عنده. الشيخ ما الذي عنده؟

[111] سورة آل عمران، الآية: ١٣٠.

يجب أن يخرج لها قطعة من دين الله ويهديها إياها، فهذه بضاعته. فنظر في الدين فوجد أحسن شيء يقدمه لبناظير بوتو أن يقول لها: "ولاية المرأة جائزة في الإسلام". وهي مرأة جعلوها حاكمة للمسلمين وهي شيعية شيوعية داعرة فاجرة كافرة، يعني ماذا ناقصها؟ وفوق هذا هي امرأة، فأخرج لها فتوى!

فليست القضية خاصّة علماء الجزيرة ولا بمفتي المغرب بل المشكلة أن السوس ضرب في كل الأمة، فهي مصيبة يا جماعة!

هذا رجل يقول لك: طيب من بقي لنا، إذا نحن تكلمنا في هؤلاء العلماء، من نتبع؟ نتبعكم أنتم أصحاب الجهاد الذين ليس فيكم عالم ولا فيكم أحد؟

يا أخي هذا اسمه تهويش، أنا لا أقول لك اتبعنا ولا اتبع غيرنا، اتبع الحق. إذا لم يبقي علماء حق فهذه مشكلة حدّث عنها الرسول ﷺ، فانظر لك طريقة واتبع الحق. وليس لأن علماء الحق قلوا فهو مبرّر أن نتبع علماء الضلال.

قال: من أين نأخذ العلم؟

قلت له: هنا مسألة أخرى، العلوم تؤخذ من أصحابها بصرف النظر عن حالهم. أنا ممّن درست شرح (العقيدة الطحاوية) بأشرطة ابن عثيمين، ستة وثلاثون شريطًا، كانت مجموعة عندي، فنحن جالسون في لندن فمن أين أدرس ومن أين نأتي بعلماء؟ فأخذت هذه المجموعة ودرستها، وكل المجموعة علمٌ صِرْف، ثم عندما تأتي إلى توحيد الحاكمية والحكام تبدأ الكهرباء!، فهذا الشطر أنا أخذته ورميته وراء ظهري. عندما يتكلم عن العقائد وتوحيد الأسماء والصفات فهو ينقل علوم السلف.

ولكن قلت له: ألفت نظرك إلى مسألة؛ إذا أمكن أخذ هذه العلوم المجرّدة من علماء صالحين أو من كتب موثوقة فهذا أحب إليّ من أن آخذها منه، رغم أنّها حق يجري على لسان منافق! فلا أريد آخذ أحكام الصلاة من (صفة صلاة النبي) لعبد العزيز بن باز، يا أخي آخذ صفة صلاة النبي من أي عالم آخر، أما إذا لم يبق إلا هو فسآخذها منه.

ولكن جُعل هذا السيف المسلّط: إما أن نترك العلوم أو نسكت عن النفاق. النفاق خرّب ديارنا، سُجن العلماء بفتواهم، وقُتل الصالحون بفتواهم.

قلت له: انظر الآن ماذا حدث عندما قُبض على الأربعة الذين قاموا بعملية الرياض وقُتلوا، تعال نمسك المسرحية من بدايتها إلى الشهادة ومماتهم رحمة الله عليهم. من قبض عليهم؟ رجل الاستخبارات السعودية، فأخذهم للتعذيب

وعذبهم محقق سعودي، ثم أخذوهم للمحكمة وقضى فيهم قاضٍ سعودي، ثم عندما أرادوا أن يقطعوا رؤوسهم احتاجوا المفتي السعودي، وعندما جاؤوا ليقتلوهم ضرب رؤوسهم سياف سعودي، وعندما أرادوا أن يغسلوهم ويدفنوهم دفنهم حفّار قبور سعودي.

فالقصة كلها ملخّصها أن هناك سلسلة من الناس، واحد أمسك، وواحد ضرب، وواحد عذّب، وواحد حكم، وواحد قطع الرأس، فلماذا تحذف من السلسلة أن هناك واحدًا أفتى بدمه؟! هي أهم نقطة في هذه العملية، لو توقف عن الفتوى لما مرّ الحكم، كلّ الباقين عمّال وهناك اثنان فقط يأمروا؛ حاكم أمر ومفتٍ أفتى، والباقي كلهم عمال؛ من حفار القبور، إلى قطاع الرؤوس، إلى المعذب بالكهرباء، كلهم عمال.

فالفتوى خرجت من هنا سواء في مصر أو في سوريا أو من الباقوري أو الذي أفتى بإعدام سيد قطب وكل هؤلاء الناس، هي الفتوى خرجت من شيخ فشارك في القتل، ثم عندما يموت واحد من هؤلاء الفسقة المنافقين من العلماء يترحّمون عليه ويزكّونه!.

قلت مرة وأنا غضبان على أحد هؤلاء: "الله لا يرحمه". قال لي: "الرجل أفضى لما قدّم لماذا تقول الله لا يرحمه؟" قلت له يا أخي: الرسول ﷺ قال: (مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)[112]. هذا فيمن ساعد في قتل مسلم بنصف كلمة، يعني قالوا لك: "نقتله؟" قلت لهم: "اق" نصف الكلمة، أو قال لهم: "نع" يعني نعم أو أشار بيده هكذا يعني اقتله، هذا حكمه أنه لقي الله مكتوب على جبينه آيس من رحمة الله.

فأفتى واحد وعشرون عالمًا من (هيئة كبار العلماء) بقتلهم، ثم حكمت بخروجهم من الجنة كأنّهم يعلمون السر وأخفى!، وليس هذا فقط، بل كما باع البابا أراضي الجنة، هؤلاء أيضًا جعلوها إقطاعات. وانظر كيف فعلوا عندما وفاة الملك خالد، ودعاء إمام الحرمين للملك خالد لما مات.

عندما مات باسل ابن حافظ الأسد، خرج وفد من خمسمائة سيارة مرسيدس سوداء ليعزّوا فيه، وكان في الوفد البوطي، فوقف يقول لحافظ الأسد: "أما يرضيك أن يبدله الله بيده التي انكسرت في الحادث جناحان يطير بهما في

[112] سنن ابن ماجة (٢٦٢)، الحديث ضعفه الشيخ الالباني وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط "إسناده ضعيف جدًا".

الجنة؟!"، فجعله يطير مع عصافير الجنة وهو ما زال في دمشق!، هذا حجز مقعد في الجنة لابن حافظ الأسد، بينما حجزوا لشهداء الرياض أن لا يدخلوا الجنة، وحكموا عليهم بالقتل.

فقلت له: الرسول ﷺ قال: (آيس من رحمة الله)، فإذا صرفناها للعامية تطلع (الله لا يرحمه)، فلماذا أنت مستاء؟

الرجل أفضى إلى ما قدَّم وذهب، ولكن مما يدمي القلب ويحزنه أن تجد أناس من أئمة الجهاد ونشرات من نشرات المجاهدين وأناس ما علمنا عليهم إلا خيرًا؛ تترحم عليه وتذكر كل مناقبه وكل محاسنه وأنه جزاه الله خيرًا وصحب الشيخ فلان ودرس في الشيخ علان ودرّس وقدَّم، وهذا من التدليس على المسلمين ألَّا يُذكر أن هذا الرجل مات وهو وزير الدولة لشؤون الدعوة والإرشاد والإفتاء والقضاء!

تعرف ما معنى وزير؟

الوزير من وزر يزر يعني يحمل الأوزار، يعني أوزار وأعباء الحكم؛ لأن الملك يحملها على ظهره فيريد كم يحمل معه، {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ}[113]، {وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ}[114].

فإذا كان الملك يحكم بالخير فيحمل الخير معه، مثل أن يكون ملك صالح يقوم الغزو مثل نور الدين وصلاح الدين، فهو موزور في الغزو محمّل أحمالًا من الغزو، فيأتي وزير له ليزِر معه بالخير فيؤجر معه بالخير، فهو وزير خير ويحمل أحمال وأثقال خير.

أما هذا الوزير ماذا يحمل؟ يقوم الليل ليدعو الله للتطبيع في مدريد، ويفتي في قتل شهداء الخُبر والرياض، والمصيبة يفتي باعتقال سفر وسلمان، وماذا تعدّ له أيضًا؟!

كنت جالسًا مع الدكتور سعد الفقيه، وهو أحد رؤساء المعارضة السعودية، فقال لي: "أنا عندي أرشيف سأريك إياه، هيئة كبار العلماء ليس لها فتوى سياسية واحدة في نصرة دين الله من ست سنوات إلى الآن، منذ أن دخل الأمريكان إلى الآن، ليس لها فتوى إلا في ميزان العدو".

---

[113] سورة العنكبوت، الآية: ١٣.

[114] سورة النحل، الآية: ٢٥.

فلما تأتي إلى هذه الفتوى تجدهم يقولوا أنّهم بناءً على طلب الوزير الداخلية اجتمعوا هذا الاجتماع غير العادي الدَّوري، وإذا تقرأ القرآن تجد هذا مكتوبًا فيه: {وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ}[١١٥]، و{فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ}[١١٦]، أليس هذا من جمع السحرة لميقات يوم معلوم؟! {وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ}[١١٧]؟

ألم يجمعوهم حتى يُصدروا هذه الفتوى فصدرت هذه الفتوى، والفتوى مكتوبة عند الله -سبحانه وتعالى- وعند الناس.

فأنا أطلت هنا جدًّا، ولن أقف مع فقرات أخرى إلا نادرًا للتفصيل في مثل هذه الفصول، لأن هذه أصبحت معضلة وسآتي عليها إن شاء الله في قضية (مفتاح الصراع)، وأقول لكم خلاصة المسألة: أننا في معركتنا مع الصائل أمام الناس؛ إما أن يقف الناس معنا ضد الصائل، أو أن يقف الناس مع الصائل ضدّنا، أو في أحسن الأحوال تعرض الناس عن المسالة فلا تقف معنا ولا مع الصائل.

فالصائل عنده مليون جندي، ومليون جندي من الدول العربية، ومائة ألف جندي من السعودية. وفي الطرف الثاني: ابن لادن وثمانية سعوديون، حتى الآن ثمانية سعوديون في المعلوم -وإن شاء الله يكون المجهول مائة ألف!-، حتى الآن الذين نفروا ليؤيّدوا هذا الرجل في العمل الصالح -الذي نسأل الله يفتح عليه- كلهم من خارج الجزيرة، لماذا؟ هل كل سكان الجزيرة منكوبون؟ هذا الكلام غير معقول، أكيد فيهم صالحون وطلبة علم، لماذا لم يجاهدوا؟ لأن أيديهم كُفّت وغُلّت.

من كفَّ أيديهم؟ الجواب -يرحمك الله- قاله لي خالد الفواز -الله يفرج عنه-، قال لي: "المشكلة عندنا ليست مثل المشكلة عندكم، الذي يُقبض عليه في مصر وسوريا والأردن فهو في نظر أبيه مجاهد، في نظر جيرانه بطل، في نظر الشارع شهيد، في نظر الأمة رفع رأسنا"- رأيتم الدقامسة على التلفزيون ماذا عملت أمه-.

قال: "المشكلة بسبب فتاوى العلماء الذي يُمسك عندنا فهو في السجن مع اللواطين وأصحاب المخدرات والمفسدين في الأرض".

لأن سيدنا ابن عثيمين أخرج فتوى -بعد تلك الفتوى- قال: "يحرم قراءة النشرات التي يصدرها سعد الفقيه والمسعري وابن لادن، لأن هؤلاء يفسدون في الأرض". ابن لادن مفسد في الأرض!.

---

[١١٥] سورة الشعراء، الآية: ٣٦.

[١١٦] سورة الشعراء، الآية: ٣٨.

[١١٧] سورة الشعراء، الآية: ٣٩.

وعلى سيرة ابن لادن -لأني أحبه من بين المشايخ-، الشيخ الوادعي في اليمن أخرج صفحة كاملة عبارة عن مقابلة مع جريدة (الرأي العام الكويتية)، صفحة كاملة يقول بالخط العريض في أعلاها: "هذا الجهاد الذي يحصل إرهاب وإفساد في الأرض، وأنا بريء من ابن لادن وأفعاله إلى يوم القيامة"!.

فعنده الإخوان حزبيون، والسرورية ضالون، والصوفية مشركون، والسلفية ضائعون، والمجاهدون بغاة وخوارج، فكل هؤلاء في طرف، و"الأخ" علي عبد الله صالح: "ولي الأمر في اليمن"! ما هذا الميزان!! كل هذه الأمة من ابن لادن للإخوان للصوفية للتبليغ كل هؤلاء ضائعون والأخ علي عبد الله صالح على الجادَّة؟!

فالمشكلة أن الأمة كُفّت أيديها، إما صُرفت في طرف العدو أو صُرفت عن المعركة، فأصبحنا عشرين واحدًا هنا وثلاثين واحدًا هنا وعشرة هناك وخمسة هنا، وهذا ليس معيارًا أن يكون ابن لادن معه سبعة والأردنيون عشرة والسوريون كانوا خمسة!، فهذا هو واقع الحال وحسبنا الله ونعم الوكيل؛ قلّة أهل الحق.

المهم المختصر يا شباب. كما قلت لكم قصص الخير في التاريخ كثيرة وقصص المصائب في الحاضر كثيرة أيضًا.

سؤال مهم: أن الواحد أحيانًا قد يشكّ في نفسه، أن كل العلماء والمشايخ الظاهرة والحركة والقواد هذا كله معوَّج وفقط نحن الجالسون هنا في رأس الجبل على المنهج الصحيح؟! فيأتي الشيطان يقول لك: قد تكون أنت الغلط أصلًا وركبت رأسك!.

حتى مرة كنت أتكلم مع أحد الإخوة في قضية الطالبان، فكان غير مقتنع وأريد إقناعه، فقلت له: "هذه الأفكار أصلًا في عدم القتال والخروج أثيرت ضد أفكار الحرورية والخوارج"، فقال كلمة عجيبة جدًّا بالبداهة، التفت للذي بجانبه وقال له: "يا رجل والله لازم نبحث ليكون نحن فعلًا خوارج وما لنا خبر"!

ففعلًا وقعت في نفسي المسألة، أنه فعلًا هل هذا الكلام الذي يقولونه عنا صحيح ونحن خوارج ولسنا ندري؟!. ولكن عندما ترجع إلى النصوص والقرآن والآيات والأحاديث والمواقف ثم ترجع إلى أهل الحق المشهود لهم في هذا الزمان -وهم موجودون- وترى يتبيّن لك الأمر.

إذًا يُطرح سؤال: **لماذا هؤلاء الناس على علم وفهم وإيمان وعقائد، ونحن تعلمنا منهم أصلًا، وهكذا حالهم في الوقوف مع الباطل؟!**

ومن الآخر هذه مصيبة الألباني، وأنا إلى الآن رأسي يدور منها، ذكرتها لكم سابقًا، خرج الشيخ الألباني بفتوى يبيح فيها استسلام المجاهدين لكفار الجزائر، وهذه ليست المصيبة وربّما لو اقتصر على هذا لما كانت محنة فقد يكون وجد أن هذا هو المخرج، ولكن هو يضع قاعدة عامة يقول: "قلت لكم وأؤكد الآن أن الخروج على الحكام في هذا الزمان -ليس فقط في الجزائر-، هو في حقيقته خروج على الإسلام ذاته"! يعني نحن كلنا الآن خارج الإسلام، والإسلام ذاته مع الملك حسين وبناته!.

والمشكلة أنتم لا تعرفون الشيخ جيدًا؛ هذا الكلام ليس جديدًا، الشيخ الألباني في شرح (العقيدة الطحاوية) وهي من أهم المواضع التي يمكن أن يكتب فيها شخص، فقال وهو يقدّم لشرح العقيدة الطحاوية وذكر هذا الكلام بهذا المدلول في الحاشية!، قال: "الانقلابات والثورات والخروج بالسلاح على الحكام هو بدعة لم تكن في زمن الإسلام الأول"!.

وطبعًا لما قال هذا الكلام كان المجاهدون أقوياء وعلى سروج خيلهم كما يُقال، فقاله مجملًا، أما الآن في مرحلة الانكسار واللجوء للزاوية ورؤوس الجبال فكما يقال: "خلا لكِ الجو فبيضي واصفِري"..

فأنا لا أريد أن يهوّش علينا أحد باسم فلان أو اسم علان ثم يأتي يدرّسنا ويقول لي: "نعرف الرجال بالحق وليس الحق بالرجال"، تريدون أن تضعوا هذه القوانين تعالوا وأنزلوها على ميزان الأرض.

ومع ذلك حتى لا ييأس أحد، ما يزال في هذا الزمان بقع مضيئة في هذه الظلمات، ناس صادعة بالحق، طلبة علم ومشايخ فيهم خير، انظر الذي حصل مع سفر وسلمان، بالرغم أني قلت ولا يفهم واحد مني أن هذا الكلام قدح؛ أنا هذا قلته لأني أعتقد أن ما طرحه المشائخ هو جزء من الحق، وربما عُذر الناس أن يتدرَّجوا ببني قومهم، لأنهم لن يستطيعوا أن يستوعبون فيُعطونهم الحق على دفعات، ربما هذا عذر لهم.

ولكن قناعتنا نحن أن الحق يُعرف دفعة واحدة وجملة واحدة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيَّ عن بينة. لأن الأزمات أكبر بكثير، والبلاء نازل أعظم بكثير من أن يتدرج فيه بربع الحق ونصف الحق.

ولكن مع ذلك فالموقف الذي وقفوه عظيم جدًّا ومشكور جدًّا في عمومه، وإذا قِيس إلى حال أهل الجزيرة وعلماء الجزيرة يزداد عظمة.

مما أُثر عن الشيخ سفر -فرّج الله عنه ورحمه-، وقد أفرج عنه كما سمعنا في الأخبار الأخيرة، قالوا له: "إذا عندك شيء في السجن تطلبه؟" قال لهم: "انكسرت النظارات الخاصة بي فأريد أن ترسلوا لي نظارات"، فقالوا له: "اكتب كتابًا

لإدارة السجن". قال لهم: "أنا لا أكتب لكم حرفًا واحدًا". قالوا: "ألست تريد نظارات؟" قال لهم: "أنا دخلت السجن منذ أربع سنين، ولما وضعت رجلي في باب السجن نويت على عشرين سنة، الآن مضى أربعة فلم أتعب حتى تظن أني سأكتب لك".

فلا تزال هناك مواقف مضيئة من هؤلاء الناس، ومعهم رجل رابع لم يُفرج عنه، فايد بن زايد[118] وهو دكتور في الإعلام، فكتب المشايخ توصيفًا للوضع في السعودية وما يرون أنّه المخرج، فقيل لهم: "هذا كلام جميل ولكن رقّقوا العبارة ولو حافظتم على الفحوى"، فالمشايخ رقّقوا العبارة حتى يحصل الخير، فهو رفض وقال لهم: "كيف نرقّق العبارة وأنا أول شيء أريده أن يبلغ هذا الكلام لهم ولكل الناس، ولا أخرج من السجن إلا باعتذار رسمي من الدولة على اعتقالنا". فقالوا: "إذًا لن تخرج"، قال لهم: "لا أخرج"، وما زال في السجن.

فلا تزال هناك بقع مضيئة، حصل مثل هذا في بلاد الشام في جهاد النصيرية، فهناك علماء وقفوا مواقف عظيمة جدًّا. عندما تسمع في القصص الأولى تجد أناس وقفت كذلك، كان هناك قاضٍ للقيروان في تونس وكان يفتي بكفر العبيديين حكام مصر، ففي حملة من الحملات دخلوا على تونس فأسروه، وهو كان له فتوى أنه إذا كان عند المسلم عشرة أسهم فيرمي تسعة أسهم على هؤلاء الشيعة النصيرية الكفرة ولو بقي سهم فقط للنصارى.

فلما دخل العبيديون قبضوا عليه، وهؤلاء معروفون أنهم أشرار حتى سنّوا قوانين من الظلم تعجب منها، حتى كان عند الحاكم بأمر الله الفاطمي أنّ من يغشّ في العصير فعقوبته أن يُلاط به في الساحة العامة! هذه من الأحكام التي سنَّها في الدولة، فتصوَّر هذه العقلية! فكان الذي يغش العصير يأتوا به للساحة العامة ويعملوا فيه هكذا، فما بالك قبضوا على عالم يقول فيهم هكذا!.

فأتوا به وجاء الحاكم وقال له: "سمعنا أنك أنت أفتيت إذا واحد عنده عشرة أسهم يرمي خمسة على النصارى وخمسة علينا، صحيح؟" قال له: " لا، ليس صحيحًا، الصحيح أني أنا قلت إذا واحد كان عنده عشر أسهم يرمي عليكم تسعة ثم يرمي العاشر أيضًا فيكم!".

---

[118] غير متأكد من الاسم (المفرغ).

فجاؤوا بجزار يهودي وقالوا له: "اسلخ جلده أمام العامة"، فجلس الجزار يسلخ جلده وهو ساكت، يسمعون تلاوة القرآن من بطنه. حتى أنّ الجزار اليهودي لما وصل في السلخ إلى صدره رحمه ووخزه كأنه أخطأ وطعنه في قلبه حتى يموت ويستريح ويتخلص من هذه المهمة[١١٩].

فهذه المواقف حصل مثلها في هذا الزمان، عندنا نحن في جهاد النصيرية خرجت مواقف عجيبة جدًّا، في المغرب الآن هناك علماء، فيه رجل قبل أيام كنت أسمع له شريطًا ما شاء الله في المغرب نسيت اسمه، وسمعت أن هناك غيره، ففي كل مكان موجودون.

ولكن هناك قضيتان: أول شيء أنهم قلائل جدًّا جدًّا، ثانيًا وهذه مشكلة أنهم لا يُنصرون من قِبل العامة بحيث يقوى ويتشجَّع غيرهم حتى يقف هذا الموقف. الأمر الثالث أن إعلام الجهاديين ضعيف جدًّا فلا تُسلّط الأضواء على طلبة علم الموجودين في التيار الجهادي، ولا على الذين عندهم مواقف وعندهم علم، ولكن يقول لك: (طالب علم)، بالله عليك واحد مثل أبي محمد (طالب علم)، والألباني (شيخ)؟! لا والله الشيخ أبو محمد وهذا طالب علم، بأي مقياس تُقاس الأمور؟!

واحد مثل الدكتور فضل (طالب علم) وشيخ الأزهر (شيخ)؟! الموازين مقلوبة رأسًا على عقب. فيقولوا: (الشيخ الأب الوالد)..إلخ، فعلى أي أساس تسلّط كلّ الأضواء على هؤلاء، ولا تسلَّط الأضواء على أولئك، فهذا تقصير منَّا يجب أن يُتلافى.

فالشاهد خلاصة الأمر: هذه قضية الثالوث وقضية (فرعون ثم ساحر ثم أعوان) مشت حتى حصل في أهل الإسلام مثلما حصل مع موسى.

قال لي واحد من الشباب: لماذا يحصل هكذا؟ يعني كأنه مستنكر، كأن الكلام غلط.

قلت له: الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى قال: (لا تأتوا أبواب السلاطين فتُفتنوا)[١٢٠]، هذا الكلام أنت كيف تفهمه؟ يعني الذي يأتي يُفتن. الرسول ﷺ قال: (مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ

---

[١١٩] صاحب القصة هو الإمام ابن النابلسي (محمد بن أحمد بن سهل بن نصر، أبو بكر الرملي) تقبله الله، والذي قتله هو جوهر الصقلي في القاهرة.

[١٢٠] لم أجده بهذا النص وفي سنن النسائي: (٤٣٠٩) عنه ﷺ: (وَمَنِ اتَّبَعَ السُّلْطَانَ افْتُتِنَ). والحديث صححه الألباني.

لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ)[١٢١]، فلو جاء أحدهم وقال: "أنا لا أُفتن بالدجال" وذهب فسيُفتن، النبي ﷺ قال أن الذي سيذهب سيُفتن. فما هو الأمر الشرعي مع الدجال؟ الفرار منه.

ومثل هذا حادثة؛ أنّ رجل سوري في السنة الثالثة في كلية طب في إسبانيا قال: "هؤلاء الذين يتناولون المخدرات فترة ثم لا يستطيعون تركها كاذبون، هم لا يريدون أن يتركوها، الذي يريد أن يترك سيترك"، قالوا له: "غير صحيح"، فقال لهم: "أنا سأشربها أمامكم شهرًا ثم سأتركها". فذهب وتعاطى المخدرات شهر فلم يستطع أن يرتكها، شهدته بعد سنتين مع المشرّدين مخاطه وبصاقه على وجهه وحالته رثّة ويشحت ثمن المخدرات على إشارة مرور!. فقالوا له: "يا أخ لا تأخذ فلن تستطيع أن تترك"، فأخذها تحدّيًا ثم لم يستطع أن يتركها.

فالذي يأتي الدجال يُفتن، والذي يأخذ مخدرات يُدمن، والذي يأتي أبواب السلاطين يُفتن. هذا حديث الرسول ﷺ، فأنت لماذا تستعجب أن ابن باز جاء وفُتن؟ وجاء البوطي وفُتن؟! أصلًا ثلاثة أرباع هؤلاء المستعجبين لو يُدفع لهم الذي دُفع لابن باز يمكن أن يُفتنوا!.

فأنتم لا تتصوّروا كم يُدفع لهم على هذه القضايا، الشيخ السديس الذي خطب خطبة انفجار الخُبر وظهره لباب الكعبة، يعني ظهره متّكئ على باب الكعبة!، يدعو الأمة كلها والأرض إلى التّعاضد في مكافحة الإرهاب، وأن هذا الإرهاب الذي خرج وقتل الأمريكان هنا هو شر مقبل على الكرة الأرضية كلها، وأنها ليست مهمة المسلمين فقط أن يكافحوه، هذه القضية تحتاج مكافحة عالمية.

فيحرّض الأرض كلها علينا، وبعد ذلك يوزّع الناس ويقف في الحرم يدعو ويبكي، ولا أحد يعلم لماذا يبكي، هل تعرف لماذا يبكي؟

قال لي كثير من الإخوة السعوديون أن أجر الذي يقوم بالدعاء ليلة السابع والعشرين لختم القرآن مليون ريال. أجرة الدعاء مليون ريال!، وهذا غير أجرة إمام الحرم خمسون ألف ريال شهريًا! يعني بمعدل ألفيّ ريال في اليوم تقريبًا. هذا غير العطايا والمنح والهدايا الملكية، وغير أنه يبيع أشرطة قرآن، وغير الذي يخطر على بالكم.

*[١٢٢] المهم -كما قلت لكم- وقفنا هذه الوقفة لأنّها مهمّة جدًا، وأنا مقتنع كما أراكم **أن قتالنا بالسلاح هو مع من يقاتلنا بالسلاح، وهم اليهود والنصارى والمرتدون**، ولا يكاد ينفك قتال اليهود عن النصارى عن المرتدين؛ لأنك لو

---

[١٢١] سنن أبو داوود (٤٣١٩)، والحديث صححه الشيخ الألباني.

[١٢٢] بداية تفريغ الملف الثامن.

قاتلت اليهود وهربت إلى البلاد العربية فسيطاردك المرتدون، وإذا هربت منهم إلى أوروبا ستمسكك الـ CIA ومخابرات النصارى وسيُرجعونك لليهود ليُعطوك للمرتدين. فهو حلف عسكري أمني متّحد، وهم يقاتلوننا بالسلاح فلا بد أن نقاتلهم بالسلاح.

وهذا سماه ابن تيمية "**جهاد السنان**" أي جهاد الكفار والمرتدين بالسنان، وسمّى جهاد المبتدعة والمنافقين بالبيان والحجّة والقرآن بـ"**جهاد البيان**"؛ فجهاد المؤمن جهاد سنان وجهاد بيان؛ جهاد سنان للكفار والمرتدين واليهود والنصارى والناتو والموساد والحكومة وأمن الدولة، فهم يحاربوننا بالسلاح.

أمّا هؤلاء العلماء المنافقون فقتالهم بالحجة والبينة، وأني أسمّيهم (منافقين) لأنه وصف فعل فلا يمكن أن يُسمَّى فعلهم إلا نفاق؛ يعني ماذا يمكن أن أسمي من يقول "اللهم اشفِ جرحى الأمريكان"؟! هل أسميه قيام ليل؟! ماذا تريدني أن أسميه؟!

ولكن (منافق) ليس معناها (كافر)، هناك نفاق عمل وهناك نفاق اعتقاد، واسألوا علماء السلف الذين تنتسبون إليهم واسمعوا قضايا (تحقيق الشروط وانتفاء الموانع) حتى تعرفوا أن هناك (كفر دون كفر)، وهناك (فسق دون فسق)، وهناك (نفاق دون نفاق). فبعضهم واقِع في نفاق العمل، وبعضهم واقع في نفاق الاعتقاد، وبعضهم كافر، وبعضهم بالدين متاجر!.

فلا يقول أحد أنّي أكفّر فلان أو علّان، أنا لا أكفّر أحدًا، بل قناعتي وما أعتقده أنّ أغلب هؤلاء مسلمون ولكنهم منافقون. وقد يقول لي أحدكم: "ممكن جاهل؟"، أقول ممكن {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[١٢٣]، يمكن أن يُمسخ الإنسان إلى قردة وخنازير وحمير، وهو جاهل ليس له خبر إلى الآن..

ولكن هل يُعقل أنّه ليس هناك أحد عنده خبر أن الحرم احتُلّ، أو أنّ فلسطين راحت، أو أنّ أهل الخير والصلاح اعتُقلوا، أو أن الجهاد قد قام وأن هناك (أفغان عرب)، وأنّه قد بُعث ابن لادن في أهل الجزيرة ينادي للجهاد من خمس سنين ولم يتبعه أحد..؟!

---

[١٢٣] سورة التين، الآية: ٥.

يعني ليس له خبر بكل هذا، ولكن له خبر هذا السديس أن يأخذ مليون ريال، ثم تقول لي جاهل؟! ثم تقول لي: "لماذا يبكي في صلاة التراويح؟"؛ طبعًا يجب أن يبكي لأنّه إذا قالوا لك: "عند الصبح ستأخذ مليون ريال" فربما تجلس وتبكي طوال الليل!

فالشاهد في الموضوع أن الجماعة جاؤوا أبواب السلاطين وأكلوا من خبز السلاطين ومن سحت السلاطين ففُتنوا..

الإمام أحمد بن حنبل لما حضرته الوفاة وفرّج الله عنه المحنة بعد أن استمرّت عشرين سنة ثم فُرجت في زمن (المتوكل بالله)؛ حملوه وكأنّه أمير الدولة وأخذوه هو وأولاده، وأرسل له الخليفة يقول له: "هؤلاء نفوس بغداد ستة آلاف ألف نسمة -يعني ست ملايين رجل- اعزل من تشاء، ووَلِّ من تشاء". هذا في نهاية المحنة.

ثم أرسل له تجار بغداد الذهب والدنانير بالأطنان حتى يقوم بالإصلاح، حتى يعطي ويساعد في عملية تنظيف الدولة من المعتزلة ومن ولاة السُّوء، وأصبح الحاكم هو أحمد بن حنبل.

قال الراوي: كان أحمد بن حنبل يقوم الليل قبل المحنة ثلاثمائة ركعة، فبعد الضرب كان يقوم الليل مائة وخمسين ركعة قاعدًا، فكان يقول: "اللهم غفرانك هذه أشدّ عليّ من تلك". يعني أنّي تولّيت أمور الناس أسوأ من ضرب السّياط.

فلما حضرته الوفاة بعد فترة قصيرة أتوا له بخبز، قال لهم: "من عند من جاء هذا الخبز؟"، قالوا له: "من ولدك صالح". قال لهم: "لا تخبزوا عجيني في تنّور ابني صالح فإنه يدخل على السلطان"!.

وهذا السلطان هو الذي كان يقول عنه الإمام أحمد نفسه: "مثله في بني العباس كمثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية"، وهو الذي حلّ المشكلة وأزال المحنة، ولكن مع هذا لم يدخل عليه حتى لا يقع فيما أخبر عنه النبي ﷺ: (لا تأتوا أبواب السلاطين فتُفتنوا)[١٢٤]، فكان الناس ينظرون إلى باب السلطان وكأنه لسعة عقرب!.

الآن صارت القضية بالمقلوب، فجاء الناس لأبواب السلاطين ففُتنوا، وجَرَت علينا سنن الأمم من قبلنا ودخلنا جحر الضَّب وحصل الذي حصل. فلا بد من تبيان هذه المسألة حتى تسقط شرعية هؤلاء العلماء المنافقين؛ فيأخذ الناس

[١٢٤] لم أجده بهذا النص وفي سنن النسائي: (٤٣٠٩) عنه ﷺ: (وَمَنِ اتَّبَعَ السُّلْطَانَ افْتُتِنَ). والحديث صححه الألباني.

دينهم عن علماء الحق على قِلَّتهم وعن طلبة علم الجهاد، فيتّبعوا السُّنن ويتّبعوا القراطيس كما قال الرسول ﷺ عن مؤمني آخر الزمان: (وجدوا قراطيس آمنوا بها)[١٢٥].

فالعلم موجود، ومواقف الحق موجودة، هل هناك أحد لا يعلم أن جهاد اليهود وجهاد أهل الكتاب فيه أجر شهيدين؟ هل هناك أحد لا يعرف أن جهاد المرتدين واجب؟

فالقضية لا تحتاج إلى علماء ولا إلى أحكام، هي قضية دفع صائل، ويجب نقوم بدفع الصائل، فلا تحتاج القضية إلى (أفتاني الشيخ فلان) و(أفتاني الشيخ علان). وإلى لحظتنا هذه تجد أناسًا يجاهدون في الخط ثم تجدهم يقولون: "قال ابن جبرين أن الجهاد صحيح فيبقى، وقال ابن فلان أن هذا الجهاد مشكوك فيه، فينزل"!، فيجب ألَّا ترتبط القضية بالفتوى.

في كل بعثات الأنبياء ﷺ كان شعار الكفرة وشعار أحفاد قابيل: {لَأَقْتُلَنَّكَ}[١٢٦]، {لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا}[١٢٧]، ثم لخّص القرآن هذا فقال: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ}[١٢٨]. ليُثبتوك: السجن، أو يقتلوك: القتل، أو يُخرجوك: الطَّرد.

فنجاوز هذه الفقرة عن قضية الفرعون والساحر والأعوان لننتقل إلى الخريطة مرة أخرى.

نظرية ابن خلدون في نشوء وزوال الممالك:

عندما بدأت البشرية وتعقّدت وكثُرت الممالك أصبحت كل الممالك وكل الأديان وكل الأحوال وكل الرهبان والسلطات والأعوان يسيرون بنفس الطريقة، سواء عند الروم أو عند المسلمين، ثم بعد ذلك قامت الحضارات القديمة.

نقف هنا وقفة لأشرح لكم نظرية ابن خلدون حتى تفهموا شيئًا مما دار في التاريخ؛ توجد هناك كتب مهمة جدًا للتاريخ في المكتبة الإسلامية؛ مثل كتاب (تاريخ ابن كثير)، (تاريخ ابن الأثير)، (تاريخ الطبري)، فمن جملة هذه الكتب يوجد كتاب (تاريخ ابن خلدون) من سبعة أو ثمانية مجلدات، هذا التاريخ له مقدمة مشهورة سمّيت (مقدمة

---

[١٢٥] لم أجده بهذا النص ولكن أخرج البيهقي في دلائل النبوة ٥٣٨/٦ عن الرَسُول ﷺ: (إنَّ أَعْجَبَ الْخَلْقِ إِلَيَّ إِيمَانًا لَقَوْمٌ يَكُونُونَ بَعْدَكُمْ يَجِدُونَ صُحُفًا فِيهَا كِتَابٌ يُؤْمِنُونَ بِمَا فِيهَا). والحديث حسّنه الألباني في السلسلة (٣٢١٥).

[١٢٦] سورة المائدة، الآية: ٢٧.

[١٢٧] سورة إبراهيم، الآية: ١٣.

[١٢٨] سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

ابن خلدون). وابن خلدون هو أحد كبار علماء التاريخ والسياسة وهو من علماء المسلمين، وُلد وعاش أكثر عمره في تونس ثم نزل مصر والشام فيما بعد.

فابن خلدون كتب هذا الكتاب ومداره على كيفية نشوء الأمم ودمار الأمم؛ أي كيف تنشأ الدول وكيف تموت الدول. وهناك شريط مهم جدًا لناصر العمر سُجن بسببه اسمه (سقوط الأمم)؛ كان يتكلم ويُعرّض أن الأمم تقوم هكذا وتموت بهذه الأسباب، فكل الأسباب التي ذكرها هي أسباب متحقّقة في آل سعود، فكانت إشارة أن هؤلاء ميتون لا محالة فأخذوه وسجنوه.

الإنسان له مسار في الحياة؛ يولد ضعيفًا رضيعًا يزحف على الأرض، ثم بعد ذلك يمشي على أربعة، ثم يمشي على رجليه، ثم يكبر هكذا وتصبح له عضلات كبيرة ويصير رجلًا، ثم بعد ذلك ينحني ظهره قليلًا ويمشي على عكّاز، ثم بعد ذلك يتعب ويصبح لا يستطيع الحركة إلا أن يزحف على أربع حتى يصل للمطبخ ليأتي بالأكل إذا لم يجد من يساعده، ثم بعد ذلك يجدونه ميتًا، فهو يتطوّر بهذا المنوال. ومنهم الذي يموت في الأول ومنهم الذي يموت في نصف الطريق ومنهم الذي يموت في الآخر.

فقال ابن خلدون أنّ الدول والحكومات والممالك مثل الإنسان؛ تُولد بسيطة ناشئة فيها عنفوان الطفولة، ثم تنمو وتشتد، ثم تستوي قويَّة، ثم تدخل عليها الدنيا والتجارة والنساء والجواري والأموال فيبدأ الناس يسترخون ويتركون الجهاد فتنشأ أمة مسترخية، وينشأ أولاد الملك الذين لم يتعبوا مع أبيهم في إنشاء المُلك إلّا قليلًا، ثم ينشأ أحفادهم الذين لم يروا القتال ولا قيام الدولة ولا الجهاد، وإنما رأوا القصور والجواري والحريم فتنشأ أمة ناعمة، فالأمة ناعمة تضعف، فتقوم عليها الثورات والبلاوي.

ويكون إلى جانبهم مملكة جديدة قوية في مرحلة القوة والعضلات، فترى أمة منحنيّة فتضربها وتستلم مكانها، وهكذا تتصارع الدول وتسقط ممالك وتقوم ممالك. هذه خلاصة نظرية ابن خلدون.

فهو وضع أسباب النهوض للدولة القوية فذكر منها: الخشونة، والبداوة، وقلّة الدنيا، وحبّ القتال، ومنها العصبية؛ أن يكون هناك عصبية يجتمع عليها الناس. ولو تأملت تجد كل الدول اجتمعت على عصبية؛ سواء كانت عصبية عائلة مثل آل سعود فقاتلوا واستلموا الحكم، أو مثل النصيرية أسرة قاتلوا واستلموا الحكم، بني عثمان أسرة. أو عصبية دينيّة مثل بني العباس قام داعية للدين ودعا الناس للرضا من آل البيت.

وكذلك الطالبان عصبيَّة، فهي أمر اجتمعوا عليه فصارت رابطة وعصبية، فجمعوا بعضهم وأخذوا السلاح رفعوا الأعلام وقالوا نحن طالبان، ما الذي جمعهم على القضية؟ العصبية.

فالعصبية قضية مهمة لنشوء الدول، أن يتعصّب الناس لمبدأ يجتمعوا ليقاتلوا عليه. عندنا الدين هو الأصل، والقوميّة تدعم الدين، عندما وجد خالد بن الوليد –رضي الله عنه– أنّ الناس بدأت تنهزم في حروب الردّة سحب المسلمين وقال لهم: تمايزوا على رايات القبائل؛ بنو تميم وبنو فلان وبنو علان، حتى نعرف من أين يؤتى المسلمون.

فهم يقاتلون على الدين ولكن يقولون: يا بني تميم لا يؤتى الإسلام من قِبلكم، فيجتمعون على عصبية الدين وعصبية القبيلة. فهذه العصبية أتت بقيام الدولة.

فشرح ابن خلدون في نظريته أسباب قيام الدول وأسباب فناء الدول؛ وذكر أنّ أهم سبب لفناء الدول هو دخول المال والنساء؛ الترَف، وهذا ما ذكره الرسول ﷺ[١٢٩].

عندما كنت أدرس التاريخ كانت عندنا مادة لدراسة كتاب اسمه (الأدب الاجتماعي منذ الألف الرابعة قبل الميلاد)، يتحدث عن الحضارة منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد يعني في ستة آلاف سنة، فأخذوا بعضًا من النصوص السومريّة وترجموها للغة العربية، ففي أحد هذه النصوص كتب أحدهم: "المرأة المبذّرة لأموال زوجها أشرّ من جميع الشياطين داخل البيت"! هذا الكلام قبل ستة آلاف سنة!.

وكذلك في أدبيات الحضارة الرومانية من أيام قيصر؛ كتب أحد الأدباء الرومان يقول: "حسبت الأموال التي تنفقها نساؤنا على العطور فوجدت أنها تجهّز عدة جيوش للإمبراطورية". ثم يقول: "إني أعتقد أن هذا سيكون سببًا لفناء الإمبراطورية الرومانية؛ كثرة بطر النساء فيها". هذا الكلام منذ ألفيّ سنة!.

الشاهد أنّ أسباب الانحلال يعرفها المؤرخون؛ **فالحضارات تنحلّ عندما يدخل المال والدنيا إلى قلوب الناس.**

وإذا نظرت في التاريخ الروماني أو الإسلامي ستجد أن هذه السُّنّة لم تتخلّف أبدًا؛ سترى أنّ سقوط بني العباس بناءً على نظرية ابن خلدون، وسقوط بني أمية كذلك، آل عثمان، آل سعود سائرون نحو السقوط بنفس الطريقة؛ أنّه طلع الجيل الثالث الجيل الناعم..

---

[١٢٩] أخرج البخاري (٣١٥٨) ومسلم (٢٩٦١) عن النبي ﷺ: (فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم)

فكما أنّه في بني الإنسان هناك إنسان يعمّر سنتين وهناك إنسان يعمّر مائتي سنة، فكذلك في الحضارات ما يعمّر عشرين سنة ومنها ما يُعمّر ألف سنة. الرومان حضارتهم عمّرت ألفيّ سنة، الفراعنة سبع آلاف سنة، الروس الأكاسرة ست آلاف سنة، حضارات الصين بآلاف السنين. هناك حضارات معمّرة. الإسلام حضارة ألف وثلاثمائة سنة. أمريكا عمرها الآن مائة وثمانين سنة.

الحضارة الغربية مائتي سنة وفيها علامات الموت. كل المؤرخين يقولون: أن الحضارة الغربية في مرحلة الشيخوخة والموت. فالحضارات أيضًا لها أعمار.

وسنتحدث لاحقًا عن نظرية توينبي وهي بشرى لنا وهي صحيحة والآن يُكتب في أوروبا كتابات كثيرة.

لننظر الآن إلى هذه الخريطة، فاعتبارًا من هذه المحاضرة لا بدّ أن تفهموا أنّ هذه الخريطة الملوّنة أمامنا هي خريطة العالم، ومعرفة الجغرافية أمر مفيد جدًا في معرفة السياسة؛ لأن التاريخ دار على الأرض فلا بد أن تأخذ فكرة عن الأرض.

فهذا الأزرق بحر، والملون يابسة، وهذه اليابسة مُقسّمة إلى خمس قارات رئيسية: آسيا، إفريقيا، أوروبا، أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأستراليا؛ أربعة قارات كبيرة واعتبروا أستراليا قارة باعتبارها بعيدة لوحدها وإن كانت هي دولة واحدة، فاعتبروها قارة خامسة.

وهناك قارة سادسة غير مسكونة هي القطب الجنوبي. ولأن الناس ظنّوا أنّهم قادرون على الأرض كما قال تعالى: {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا}[١٣٠]؛ قسّموا هذه المنطقة التي لم يكن فيها إلّا الثعالب والدببة والأسماك والجليد، فتجدهم قد قطّعوها هنا فرنسا وهنا إنجلترا وهنا أعلام وهنا كذا. فالأرض كلها مُقسَّمة وخاضعة للنظام، فهنا ليس هناك بشر ولكن هناك سلطات، القمر نفسه قسموه إلى نصفين: أمريكا وروسيا! فهم قسّموا الكون على أساس أنه يسير على النظام الدولي.

فالأرض هذه كلها مقسَّمة، فيجب أن تفهموا هذه الأشياء، فأحيانًا يأتيني واحد ويقول: "يجب أن نذهب إلى جزيرة ونعمل دولة إسلامية على عقيدة السلف، والجماعة الطالبان مبتدعة وكذا"!.

---

[١٣٠] سورة يونس، الآية: ٢٤.

هذه الأرض والبحار الزرقاء التي أمامك ليس فيها سنتيمتر مربع إلا وهو خاضع لقانون النظام الدولي، ليس هناك متمرّد على هذا النظام الدولي إلا هذه الأماكن التي نجلس عليها نحن والطالبان فقط، هذه البقعة الآن متمرّدة على النظام الدولي وباقي الأرض تحته. مرّة قال لي أحدهم: "لماذا لا نشتري أرضًا في جزر المالديف ونعلن فيها دولة إسلامية لوحدنا!" تخرج معهم أفكار عجيبة!.

فمن الأشياء التي يجب أن تفهمها كيف تقوم الدول؛ قال المتنبي:

خير الممالك ما يُبنى على الأَسَلِ..

الأسل هي الرماح، يعني يقصد القوة. فالدول تقوم بالجُهد وبالحرب، سواء كانت دولًا مؤمنة أو كافرة، وليس هناك أحد سيكون له ملك وقوانين مطبّقة إلا أن يكون بالقوة، ويحافظ عليه بالقوة، ويُنزع منه بالقوة، الأمر لا يقوم إلا هكذا.

فهذه هنا قارة آسيا، وهذا بحر قزوين، وبجانبه هناك بحر اسمه بحر آرال بينه وبين البحر الأسود، وبينهما توجد سلسلة جبلية تخرج من بحر آرال إلى القطب الشمالي اسمها سلسلة جبال الأورال، فسلسلة جبال الأورال هذه يعتبرها السياسيون والجغرافيون فاصلًا بين آسيا وأوروبا.

يعني أوروبا تبدأ من سلسلة جبال أورال إلى مضيق جبل طارق، ومساحة أوروبا ١٤ مليون كيلو متر. مساحة الوطن العربي كله ١٤ مليون كيلو متر مربع. مساحة وسط آسيا –هذه الدول الخمس– التي نقاتل حتى نستولي عليها الآن تُعتبر نصف مساحة أوروبا وبالتحديد ٨ ملايين كيلو متر مربع، كازخستان فيها ٣ مليون كلم مربع.

هذه المعلومات الجغرافية ستمرّ معنا في البحث ولكن مهم جدًا أن تعرفوها؛ نسب السكان، الأعداد، الاقتصاد، البترول، هذه القضايا تلزمنا جدًا حتى نفهم طبيعة هذا الصراع.

نحن نتكلم الآن عن قيام الدول، اختلف المؤرخّون من أين بدأ انتشار بني آدم، ولكن كان هناك بؤر بشرية، فهناك بؤرة في الجزيرة مثلًا، تقول بعض الروايات أن سيدنا آدم نزل من الهند أو نزل من اليمن والله أعلم، ثم انتشر البشر فصارت هناك مناطق فيها كثافة بشرية مثل آسيا؛ ألف وخمسمائة مليون في الصين.

كل الأرض خمسة مليار نسمة؛ ربع مسلم، وربع نصراني، وربع صيني وربع باقي السكان، هكذا نسبة الأرض.

طبعًا التاريخ بدأ بطريقة غير معروفة، ولكن هناك بعض الآثار والرسوم نستدل بها أنه كانت هناك ممالك، ثم عندما اكتشف البشر الكتابة بدأ التاريخ، فالمؤرّخون يعتبرون بداية التاريخ هو الكتابة، عندما كتب الفراعنة والسومريّون صرنا نعرف ماذا حدث.

فهذه الممالك نشأت بعد بداية التاريخ نعرف تاريخها، فنعرف أنه في فترة ما قبل التاريخ كانت هناك حضارات راقية في الهند وكثافة بشرية، نشاط بشري كثير، أنهار كثيرة، زراعة كثيرة، جو مناسب. بينما كان معظم أوروبا في العصر الجليدي معظمها متجمّد ليس فيه بشر، والحركات قليلة جدًا.

في الصين كانت هناك حضارات قديمة جدًا، وفي قلب إفريقيا، والفراعنة وهذه الأشياء؛ فكما ترى هناك زحام حضارات قديمة جدًا، فهذه الحضارات القديمة بدأت تزدهر في الشرق، فحسب المؤرّخين كان معظم الحضارة في الشرق؛ حضارة الهند، حضارة الصين، حضارة اليمن، سبأ، حِمير، سد مأرب.. إلخ.

فبعد فترة خَبَت الحضارة في الشرق، وبدأت تزدهر في الغرب؛ فنشأت في اليونان حضارة مثل حضارة أثينا، وحضارة إسبارطة، وكانت حضارات فلسفية قام فيها أرسطو وأبقراط وسقراط؛ فنشأت الفلسفة، ونشأ الطب، ونشأ علم الرياضيات، ونشأ الفلك، ونشأ السحر، ونشأت العلوم التي كانت متعارف عليها في ذلك الزمن؛ النحت، التماثيل، القلاع، البيوت، فنشأت حضارة.

فالحضارات بدأت تخبو في الشرق وتزدهر في اليونان، ثم حضارة اليونان كانت قسمين: حضارة الفكر، وحضارة العضلات. أهل إسبارطة كانوا محاربين بينما أهل أثينا كانوا فلاسفة وعلماء، فكان عندهم حضارة راقية وشعر وفنون ونحت وجمال ومسرح وهذه القصص التي تعرفوها، يعني شيء راقي.

أمّا أهل إسبارطة فكانوا حضارة عسكرية، حتى كانوا عندما يولد عندهم المولود يأخذوه من أمه ويضعوه في البرد، فتصيبه الحمّى ويمرض، فإما أن يموت فيقولون: "هذا لن يكون محاربًا"، وإمّا أن يعيش فيقولون: "هذا مؤهَّل أن يكون محاربًا"، فيأخذوه ويعلّموه المصارعة الرومانية.

ففي النهاية غلب أهل العضلات أهل الفكر، فإسبارطة دمّرت أثينا، وحصلت القصة المعروفة بـ(حصان طروادة) فدخلوا القلعة وأخذوهم، فالمهم أخذوا الحكم، ثم انهار اليونان فكانت حضارة روما، حيث بُنيت روما وقامت حضارة الروم ثم احتلوا اليونان والسواحل فنشأت الحضارة الرومانية.

فأصبحت الحضارة في الغرب بعد أن كانت في الشرق وهذا هو الانتقال الأول.

قال توينبي: فكانت الحضارة الأولى في الشرق والحضارة الثانية في الغرب، ثم جاء الإسلام وقامت الحضارة في الشرق وبدأت أوروبا تدخل في عصور الانحطاط والملك والبابا الذي باع الجنة، ولم يعد هناك علم ولا شيء ودخلوا في التخلّف. فقامت حضارة الإسلام وهي الحضارة البشرية رقم ثلاثة.

ثم انهار المسلمون وتخلّفوا وجاء العثمانيون وكانوا حضارة عسكرية ليس فيها عقل ولا فهم ولا عقائد ولا اهتمام بهذه القضايا، فتخلّفوا واندثروا بسرعة نسبيًا، وبدأت الحضارة الغربية التي ابتلعت العثمانيين وصارت الحضارة رقم أربعة.

فقال توينبي: التبدُّل رقم خمسة آتٍ لا محالة، وهو انتقال الحضارة إلى الشرق، وهذه خلاصة نظرية توينبي. فلذلك ظلمه الغربيون واتهموه أنه متعاطف مع الإسلام، وكتب كتابات معتدلة نوعًا ما وهو صاحب القول: "ما عرف التاريخ فاتحًا أرحم من العرب".

الآن هناك كتّاب كثيرون يكتبون مثل هذا، هناك كاتب ألماني كتب كتابًا اسمه (سقوط الحضارة) أيضًا في سنة ١٩٦٥م بشّر به بسقوط الحضارة الغربية، وأن النِّدِّية لها موجودة كلّها في عالم الإسلام.

ثم بشّر آخر من سنتين أو ثلاثة وقال لهم: "الحضارة الغربية منهارة لا محالة وسبب انهيارها أمران اثنان، فإمّا أن ترفعوهم الآن وإلّا فالحضارة الغربية ساقطة من عشرة إلى عشرين سنة. سبب بلاء الحضارة الغربية أمران: النظام الاقتصادي القائم على الربا، وعمل المرأة".

وكلا الأمرين جاء الإسلام بإبطالهما. قال تعالى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا}[١٣١]، ولعلنا نحتاج لفصل اقتصادي؛ فحضارة الربا أكلت أوروبا، واليهود أكلوا أوروبا، الآن أمريكا مديونة بسبعمائة مليار دولار!، فهذه الدولة العظمى مديونة، الدولة الوحيدة غير المديونة في كل العالم وليس عليها ديون خارجية هي دولة الطالبان؛ لأنه ليس عندها أموال ولا بنوك، فلا تستدين ولا تشتري، فتُعتبر أغنى دولة في العالم حقيقة.

ليس هناك دولة إلا ولصندوق النقد الدولي عليها قروض وفوائد إلا طالبان، كل الدول من السعودية لأمريكا ولإسرائيل كلها مرتبطة بصندوق النقد الدولي بالقروض والديون والفوائد إلا أفغانستان، وهذه من الحسنات أننا نحن نتنشّق هواءً ليس فيه ربا، وهذا ليس موجودًا إلا في أفغانستان.

[١٣١] سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

فالشاهد أنّ هذا الباحث قال أن الحضارة ساقطة، فالسبب الأول الربا، والسبب الآخر عمل المرأة؛ بسبب عمل المرأة انتشرت البطالة، عدد النساء العاملات بعدد الرجال العاطلين. فلو لم تعمل النساء لاشتغل الرجال وانتهت البطالة وارتفع الإنتاج، لأن النسوان أكثر ما يُضيعون الوقت في الدوائر والمؤسسات بينما الرجال يُنتجون.

إذا رجعت المرأة إلى البيت يتربّى البيت ويقوم نشأ صالح، فيخرج عمَّال صالحون وأولاد عندهم أخلاق، بينما إذا ذهبت النساء إلى الدوائر تزداد الفواحش ويكثر الطلاق فيكثر الأيتام، فمن الناحية الاجتماعية عمل المرأة يهدم حضارة. وهذا كلام صحيح جدًّا.

فقال لهم: "إمّا أن ترفعوا عمل المرأة والربا وإلّا فالحضارة الغربية ميتة"، طبعًا هم لا يستطيعون أن يرفعوا هذا لأنّ اليهود يمسكون السياسة والاقتصاد. فحضارة الغرب منهارة، ولا بد أن تعود الحضارة إلينا.

وهذا الذي اكتشفه فلاسفة الروم المعاصرون مُسجَّل عندنا في الأحاديث النبوية، أنّهم سينهارون وأننا نحن سنبتلعهم، والآن الحضارة الرومانية تسعى لأن تتوحَّد وقرّروا أن تصبح عاصمتهم في روما خلال خمسة وعشرين سنة، بحيث عندما يأتي المسلمون لغزو روما تكون هي عاصمة الروم، فكل هذا وأسباب السقوط كلّها موجودة في البشائر، يعني الآن السياسة والبشائر النبوية يسيران جنبًا إلى جنب.

تاريخ الممالك القديمة حتى البعثة النبوية:

الآن ندخل عميقًا –إن شاء الله– لنتحدَّث عن قضية الحضارة، وصلنا إلى تاريخ الكتابة، بعد هذا كان هناك حضارات داخل التاريخ، يعني استطعنا أن نعلم عنها شيئًا، منها حضارة الفراعنة في وادي النيل يعني مصر والسودان وقليل من ليبيا، والفراعنة كانوا أحيانًا يأخذون بلاد الشام وبعض الجزر هنا.

قبلهم كانت هناك حضارة تجارية نشأت في بلاد الشام يسمونها (حاضرة الفينيقيين)؛ هم مجموعة من التجار نزلوا على سواحل الشام للتجارة، ثم عملوا سفنًا ثم عملوا أسطولًا ثم احتلّوا شمال سواحل البحر المتوسط كله، ثم تجرّأوا وعبروا المحيط الأطلسي ودخلوا أمريكا، والآن هناك شيء من آثارهم في أمريكا، وحتى أنّ المسلمين دخلوها وفيها آثار محاريب ومساجد وأملاك، فالتجار المسلمون نزلوا سواحل أمريكا ولكن هذا من التاريخ المطموس.

فالشاهد أن حضارة الفينيقيين قامت هنا، كذلك من الحضارات التي قامت حضارات في قلب أفريقيا يدل عليها العمران والآثار ولكنها مجهولة لأنه لم تكن عندهم كتابة.

كذلك هناك حضارات سبأ وحمير وحضارات اليمن، وهي حضارات مهمة لأن منها خرجت الدفعات البشرية العربية التي استوطنت العراق والشام وشمال إفريقيا. فالعرب أصل منبتهم من اليمن حيث كانت هي أرض حضارة، لأنّه لم يكن قد ظهر (القات) ولا التخزين فكانت أرض حضارة، مثل سد مأرب وحمير، وقصصهم مذكورة في القرآن.

بعد حضارة القدماء، جاءت الحضارات التي عاصرت الرسول ومنها حضارات فارس، كانت فارس الأولى في العراق وإيران وامتدت إلى وسط آسيا ثم إلى بلاد السند والهند وباكستان، بلاد -إيران كانت تُسمى مناطق أصفهان- ومناطق خراسان ولم تكن توجد هذه التسميات، ثم بلاد ما وراء النهر التي هي وسط آسيا، ثم في الشرق بلاد التركستان، كانت كلها هذه المنطقة تسمّى التركستان حيث يبدأ العرق التركي بعد العرق الفارسي. -ولعلنا نشرح لاحقًا على الخريطة التركيبة السكانية لمنطقة وسط آسيا في وقفات إن شاء الله تعالى-.

وكذلك هناك حضارة الهند وحضارة الصين، وهي من الحضارات القديمة، تقريبًا أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة آلاف سنة قبل الميلاد. فكانت حضارات قوية جدًّا في كل المعاني حتى العسكرية والسلاح وهذا باقٍ إلى الآن، دخلت أنا المتحف الفرعوني فوجدت أشياء عجيبة جدًّا، كان هناك حضارات عسكرية وكتب مكتوبة عن المعارك التي دارت وتكتيكات المعارك، شيء عجيب جدًّا وعقليات فذّة.

دولة فارس القديمة كانت تغطّي إيران والعراق وبلاد الشام إلى سواحل المتوسط وتركيا، هذا في أوج امتدادها الأوّل، ففارس أخذت بلاد الشام، وسبحان الله بلاد الشام لها مزيّة خاصة في التاريخ، ولها مزيّة خاصة حتى في النصوص؛ فهي مقرّ الأنبياء؛ معظم الأنبياء المذكورون بُعثوا هنا، وعندما يقوم الناس لرب العالمين سيُحشرون إلى الشام.

ففي التاريخ تجد أن كل الحضارات تصارعت في بلاد الشام؛ اليونان والفرس تصارعوا في بلاد الشام، والروم والفرس تصارعوا في بلاد الشام، والمسلمون والروم والفرس تصارعوا في بلاد الشام، والعثمانيون والروم تصارعوا على بلاد الشام، ثم الآن أتى اليهود والعرب.

فالصراع الآن في بلاد الشام، والنظام الدولي كله في بلاد الشام، ثم يتصارع المسلمون في آخر الزمان بقيادة المهدي وسيدنا عيسى -عليه السلام- مع الدجّال في بلاد الشام، وتنتهي المعركة كلها في بلاد الشام، ثم تقوم القيامة ثم

يُبعث الناس في بلاد الشام. فهذا سبحان الله اختصاص من الله –سبحانه وتعالى–. وهذا الأمر لا يرفع من ناس ولا يضع من آخرين، التقوى هي التي ترفع وتضع.

الشاهد في الموضوع أن الفرس امتدّوا فأخذوا بلاد آسيا الصغرى (تركيا الحالية) وسوريا والعراق وإيران ووسط إفريقيا ووسط آسيا، كل هذه المنطقة كانت تحت حضارة الفرس، وأخذوا السواحل ومنها سواحل الجزيرة واليمن، وعندما بُعث الرسول ﷺ كان عامل اليمن تابعًا للفرس، وهو الذي أرسل لكسرى: "ظهر نبي صفته كذا وكذا"، فقال له: "ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين عندك جلدين، فليأتياني به"، على عقلية الملوك الحمقى.

وفي ذلك الوقت كانت الحضارة اليونانية نشأت في أوروبا، ولكن الفرس كانوا مثل أمريكا دولة عظمى فكانوا يتحكمّون في النظام اليوناني، وكان تدخّل فارس في اليونان مثل تدخّل أمريكا في الأردن وموريتانيا، نفس الشيء، دولة عظمى تتحكّم في الممالك الصغيرة وتضع وترفع كما تريد.

ثم ظهر ملك مشهور جمع الفلاسفة والعلماء وكوّن مملكة قويّة، ووُلد له ولد قوي فذّ عبقري اسمه (الإسكندر المقدوني)، وكان إسكندر المقدوني من تلاميذ سقراط الفيلسوف الكبير، فعلّمه العلوم والقضايا، ومن الأشياء الجميلة التي قرأتها عنه أنّه دخل مرّة على مجموعة من الفلاسفة مجتمعين ليضعوا نظرية لتخليص كرة من الصوف داخل فيها أربعون ألف خيط صوف، فيريدون أن يضعوا نظرية كيف يُخرجوا كل خيط لوحده..

فقال لهم هذه تعلمتها أنا من سقراط، هناك طريقة سهلة جدًّا لحلّها، فقالوا له: "وما هي؟"، قال لهم: "ضعوها على الطاولة"، فوضعوها فقام وأخرج سيفه وضربها خمسين ضربة فسقط كل خيط لوحده، ثم قال لهم: "خذوا كل خيط لوحده"، هكذا مشاكل تُحل بالسيف، هذه هي فلسفته أن كل المشاكل والعقبات تُحلّ بالسف والقوّة.

فالمهم أنّه بدأ الغزو وعمره واحد وعشرون سنة، فوحّد اليونان ووحّد ممالك اليونان، ثم هزم الفرس في آسيا الصغرى ودفعهم إلى شمال سوريا، وحصلت معركة مشهورة جدًّا في منطقة قرب مدينتنا حلب هذه المدينة التي ننتمي إليها، في الشمال على حدود تركيا في مكان اسمه (مرج دابق)، والمرج هو العشب الكبير فهي ساحة كبيرة ومنطقة مستوية جدًّا.

ومرج دابق هذا كان من المناطق العجيبة؛ حصلت فيه قتال ومعارك حاسمة بين الفرس واليونان، ثم معارك حاسمة بين الفرس والروم، ثم معارك حاسمة بين المسلمين والروم، ثم معارك حاسمة بين العثمانيين والمماليك، فهو منطقة معارك،

وقال الرسول ﷺ في فتن وملاحم آخر الزمان: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ)[١٣٢]، فيكون القتال بين الروم والمسلمين في دابق قرب حلب.

فالمهم التقى إمبراطور الفرس واسمه (دارا) مع الإسكندر المقدوني في مرج دابق، فهُزم ملك الفرس وسحب عسكره إلى منطقة الرقة حتى يتجهز لمعركة أخرى، وكان المتوقّع من الإسكندر المقدوني أن يتبعه ليحطم الجيش ثم يفتح فارس، ولكنه تركه وذهب احتلّ سواحل الشام وأخذ مصر، ولقّبه أهلها بالفرعون ورجع مرة أخرى إلى الشام، وأخذت معه هذه الرحلة عدّة سنوات، وبعدها غزا الفرس فأخذ فارس وإيران ثم أخذ كل هذه البلاد وبقي يتمدَّد حتى وصل أفغانستان حيث خسر أول المعارك في أفغانستان ثم رجع.

فهذه من الشواهد على أفغانستان أنه حتى الآن ما دخلت جيوش هنا إلا ابتُلعت؛ كل الناس الذين دخلوا هنا تعبوا جدًّا، ومنهم الإنجليز والروس واليونان..

وعلى الهامش؛ في النظريات العسكرية يشرحون الآن لماذا فعل الإسكندر المقدوني هذا ولم يذهب مباشرة لاحتلال فارس؟ حتى تعرفوا أنّه كان في التاريخ عباقرة كبار، قالوا كان هناك أسطول فارسي قوي في البحر المتوسط فلو تبع الفرس فكان من الممكن أن يرجع الأسطول ويعمل إنزالًا في سواحل الشام فيقع هو بين القوة البحرية الفارسية على السواحل والقوة البرية الفارسية..

ولهذا ذهب واحتلّ السواحل أولًا وترك الجيش الأساسي، فالأسطول بقي بلا مدد وبلا غذاء وبلا أكل سنة ونصفًا في البحر فاضطر أن يأتي للسواحل ويستسلم حتى يأكل ويشرب. فهو أمّن ظهره ثم بعد ذلك أخذ المناطق الأخرى. فكانت هناك عقليات عسكرية قديمة وحضارات.

المهم أن اليونان تقدّموا على فارس وأصبحوا هم الذين يحكموها، وكان لهم آثار كثيرة في الأردن وسوريا وبلاد الشام في المرحلة اليونانية، وحكموا هذه المناطق ومنها قرية عمان، كانت اسمها مدينة عمون.

وعلى الهامش عمان هذه من المدن التي صُنعت بسبب السياسة، كان عدد سكان عمان سنة ١٩٢٠م أي قبل سبعين سنة ألفين نسمة! فكانت قرية صغيرة ضائعة، ثم بعد ذلك بسبب هجرة سكان فلسطين صار عدد سكانها أكثر من نصف مليون بعد الدفعة الأولى من الهجرات سنة ١٩٣٠م و١٩٣٦م و١٩٤٠م و١٩٤٧م، ثم بعد حرب

[١٣٢] صحيح مسلم (٢٨٩٧).

لبنان سنة ١٩٧٠م هاجر تجار لبنان وتجار الشام فارتفع عددها إلى مليون ونصف، والآن سكانها حوالي مليونين منهم مليون وثمانمائة ألف فلسطيني..

فالمهم على الهامش أنه أحيانًا تحصل أمور تغير الوضع، فلم تكن الدنيا هكذا.

فالشاهد أن اليونان جاؤوا هكذا. بعد ذلك تقوّى الفرس واستقّلوا عن اليونان، ورجعت فارس مثلما كانت ولكن وقفت على حدود العراق. لماذا؟

لأنه كان هناك مجموعة من الناس هاجروا بسبب الحروب الأوروبية ونزلوا في قرية صغيرة اسمها روما، وعمروا مدينة روما سنة ٥٠٠ ق.م، ونتيجة أنها شريط زراعي ضيّق تحركوا وحصلت حروب داخلية فأخذوا خبرة عسكرية.

وهذا هو نفس الأمر الذي حصل مع العرب وحصل مع الأفغان، فنتيجة الحرب قبل البعثة تقوَّى الناس، يعني قبل استعداد أفغانستان لمناطحة النظام الدولي أعدّها الله في حروب داخلية، فتكوّنت فيها مجموعة كبيرة من المحاربين والمتمرّدين والمسلحين..

ونفس الشيء حصل مع العرب، فقبل البعثة كان هناك غزو وسلب ونهب فجعلهم هذا محاربين، فلما جاء الإسلام كانت أمة محاربة. ونفس الشيء حصل مع العثمانيين، ونفس الشيء حصل مع الأمريكان، طحنوا بعضهم طحنًا كما في أفلام الكاوبوي حتى تهيأوا لأن يكونوا أمة محاربة ثم بعد ذلك حاربوا الأمم.

فتتهيأ الدول بالحروب فتنشأ طبقة عسكرية، فهكذا قام الرومان وأخذوا إيطاليا ثم أخذوا السواحل، ثم أخذوا شمال إفريقيا وأخذوا بلاد الشام، فنشأت الحضارة الرومانية في أوروبا وشمال إفريقيا ومصر، وكانت الحبشة تابعة لهم، فالنجاشي كان تابعًا لروما.

هكذا تكوّن النظام الدولي، ونحن حديثنا كله عن النظام الدولي في كل مرحلة وكيف تطوّر النظام الدولي بسرعة، فالفرس كانوا يحكمون فارس والعراق وسواحل اليمن إلى مناطق السند والهند وآسيا الوسطى. بينما كان الروم يحكمون تركيا وبلاد الشام ومصر إلى الحبشة إلى شمال إفريقيا وكل أوروبا.

هكذا كان النظام الدولي عندما بُعث الرسول ﷺ فارس والروم، وكانت بينهما الحروب على نقاط التَّماس في بلاد الشام، فمرة يأخذوها ومرة يدفعوها، فحتى تُريح الدّول العظمى نفسها من الحروب ولا تبعث أولادها تقوم بتكوين بعض العملاء من أهل المنطقة حول نقاط التماس.

فجاء الفرس بالعرب المناذرة في العراق وجعلوهم تابعين لفارس وسلّحوهم ووضعوهم في مواجهة الروم، وجاء الروم فأدخلوا عرب سوريا من الغساسنة في النصرانية وسلّحوهم بسلاح الروم، وكان الروم والفرس يتقاتلون بالغساسنة والمناذرة.

هذا ما يسمّى بمبدأ (الحرب بالوكالة)، واستمر هذا المبدأ معنا طوال التاريخ إلى الآن؛ فتجد فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية، وسنتكلّم عليه في السياسة. فتجد جمال عبد الناصر وهو يتبع الاتحاد السوفييتي يحارب الملك فيصل والسعودية تتبع أمريكا، فهي حرب بالوكالة، فتتحارب روسيا وأمريكا بعبد الناصر والملك فيصل في اليمن.

وكذلك الآن النظام الدولي يحارب المسلمين والطالبان في أفغانستان عبر مسعود الذي يسلّحه ويموّله الغرب، فالحرب بالوكالة كانت منذ ذلك الوقت.

وحضارة الفرس كانت حضارة عريقة جدًّا، مُنظّمة، الزراعة أفضل من الآن بكثير، ومُنظّمة الري، ومنظمة التَّسليح، ومنظمة الحملات العسكرية، ومُنظّمة في جبي الضرائب، حتى أنّ أحد الأكاسرة الفلاسفة العلماء قال قولًا عظيمًا مهمًا في فهم الدول، وأظنّ أنّه كسرى أنو شروان، قال: "إنما الملك بالأعوان، والأعوان بالمال، والمال بالخراج، والخراج بالرعية، والرعية بالعمارة، والعمارة بالعدل، فالعدل أساس الملك".

يعني الملك يقوم بالأعوان، ولكن ليس هناك أعوان بدون مال فالأعوان إنما يكونون بالأموال، والمال إنما يأتي من الخراج يعني الضرائب، والضرائب تُجمع من الناس فالخراج يأتي من الرعية، فإذا كان عندك رعية تأخذ منها الجباية، وبالأموال تأتي بالأعوان، وبالأعوان يقوم المُلك.

ثم قال: "إنما الرعية بالعدل، فالعدل أساس الملك"؛ فانظر كيف كان الناس عندهم سياسة وجناية، هذا الكلام هو أساس الحكم، بدون عدل في الرعية يثور عليك الناس فإمّا أن تُهزم فيزول ملكك أو تقضي على الناس، فمن أين ستأتي بالخراج، وبدون خراج ليس هناك مال، وإذا أفلست الدولة فليس هناك رواتب وليس هناك جنود. فهذا من سياسة الأكاسرة.

الروم كانوا حضارة وثنية، أمّا الفرس فكانوا مجوسًا يعبدون النار كما حدّث سلمان الفارسي -رضي الله عنه-، وهي من الأديان الشرقية مثل (المزدكيّة)، وأديان جاءت من الصين مثل دين كونفوشيوس، فالأديان الشرقية اللاهوتية تقوم أغلبها على القضايا الروحانية.

أنا قرأت كتابًا لكونفوشيوس، هو عنده أفكار جيدة جدًّا، وطبعًا كانت هناك نبوات قديمة في هذه المناطق، فمن آثار النبوات بقيت أحكام صحيحة فأخذوها الفلاسفة وخلطوها، ولكن هي آثار نبوات قديمة والله أعلم، تشوّهت فصارت هكذا.

فالمهم أنّ الروم كانوا وثنيّين مثل اليونان، يعبدون آلهة متعدَّدة ويعبدون الأوثان، وآلهة اليونان هي نفس آلهة الروم؛ إله الرعد وإله المطر وإله الأرض وإله الحرب وإله السِّلم.

قبل بعثة الرسول ﷺ بفترة خرج في الشرق رجل اسمه (مزدك) مؤسّس الديانة المزدكيَّة، وتُعتبر هذه الديانة نوعًا من الاشتراكية حيث قامت على الإباحية؛ أن الناس تشترك في الأرض والماء والنساء.

فجاء كسرى وتبنّى هذا الدين الذي يقول أنّ كلّ الناس مشركة في كل شيء، فانتشرت الدَّعارة واختلطت الأنساب، فقام واحد من أولاده قبل بعثة الرسول ﷺ بفترة وقتله وأعاد الدين إلى المجوسية التي تقوم على المبادئ واحترام الأسرة وعبادة النار.

قام الروم حوالي ٥٠٠ ق.م وكانوا وثنيين، وبقوا وثنيين إلى سنة ٢٨٠م حيث دخلوا في النصرانية، ونحن تهمّنا حضارة الروم لأن مشكلتنا معهم فيجب أن نعرف شيئًا من المعلومات عنهم، دخلت النصرانية روما في ٢٨٣ ميلادي وكان قيصر الروم المعاصر لهذا اسمه (ديوكلتيانوس)، فقام ديوكلتيانوس هذا وذبح النصارى مذبحة عجيبة جدًّا، حتى أنّ هذا العصر يسمّى في التاريخ النصراني بـ(عصر الشهداء). وفي عصره حصلت قصة أهل الكهف، حيث ظهر أهل الكهف في زمانه فهربوا منه واختبأوا، فهو الذي طاردهم.

بعده بفترة جاء قسطنطين، وكان وثنيًا، فتنصّرت امرأته أو أنّها كانت نصرانية أصلًا، فالمهم بقيت كل الوقت تدعوه للنصرانيّة حتى تنصّر ودخل في النصرانيّة، ثم دخل الروم في النصرانية في عصر قسطنطين.

وقسطنطين هو الذي في إحدى رحلاته للأناضول فنزل في منطقة فعَمَّر مدينة القسطنطينية في تلك المنطقة، وسميت بهذا نسبة له، وصار ملوك الأقاصرة بعد هذا مرّة يقيمون في روما ومرة يقيمون في القسطنطينية، فبدأ يكون للروم عاصمتين (قسطنطينية) و(الرومية)، وهما المدينتان اللتان ذكرهما النبي ﷺ كما روى عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنها–: (بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَكْتُبُ، إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا:

قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا» يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ)[١٣٣]. وقد فُتحت القسطنطينية، وهناك خلاف هل هو الفتح المعني، وربما يكون هناك فتح آخر فيما بعد في آخر الزمان.

فالشاهد في الموضوع أن الروم أخذوا هذه المناطق كلها وأخذوا السواحل وكانوا حضارة بحرية حضارة أسطول، وسنلاحظ أن كل الدول العظمى إلى الآن كان من أسباب قوتها أنها حضارات بحرية عندها أساطيل قوية؛ الفراعنة، الإسبان وماجلان ورحلة رأس الرجاء الصالح، وكذلك الأسطول الإنجليزي والأسطول الفرنسي والأسطول الروسي والأسطول السادس الأمريكي، كلّها أساطيل قويّة.

وبالمناسبة عدد القوات العاملة في الأسطول الصيني ستة مليون نسمة، منهم مليونان نائمون على البحر، هذه من الإحصائيات العسكرية. ستة مليون يشمل كل العاملين في الخدمات البحرية من الموظفين وغيرهم، أمّا الاثنين مليون فهؤلاء جنود في البحر.

المهم أن هؤلاء الروم كان وضعهم هكذا، وجاء قسطنطين فأدخل النصرانية مع الوثنية فكان هناك دِينان مُعترَف بهما من الحكومة، ثم بعد ذلك أُلغيت الوثنية فأصبح الدين النصراني هو الدين الرسمي.

ومما فعله قسطنطينية وهذا يهمنا حتى نفهم الصليبية أنه جمع النصارى وأمرهم بأن يكتبوا له إنجيلًا واحدًا فقط بدل الأناجيل الكثيرة. كما تعلمون المسيح –عليه السلام– وُلد في السنة الأولى للميلاد، وبُعث ﷺ وكانت بعثته قصيرة حصل فيها الصراع مع الرومان وأحبار اليهود ثم رُفع المسيح –عليه السلام– وقُتل بدلًا منه يهوذا، واختلط الأمر على النصارى فظنوا أنه صُلب، وكان هناك حواريون فهموا المسألة..

والآن اكتُشفت أناجيل صحيحة كتبها بعض الحواريين في زمن المسيح فيها بشائر بالنص باسم الرسول ﷺ، اكتُشفت وأخفاها النصارى في الفاتيكان، وبعضها اشتهر مثل (إنجيل برنابا)، وبرنابا هو أحد حواريي المسيح، واكتُشف هذا الإنجيل قبل فترة وحصلت مناقشة بين العلماء وبين النصارى، فزعم النصارى أن المسلمين كتبوا هذا الإنجيل ودسّوه في المدينة.

من الأشياء الغريبة سمعت مرة في الأخبار وتابعت الخبر في النشرة التي بعدها فلم يُذيعوه، قالوا أنّ أحد الرعاة في عمّان اكتشف مخطوطات من زمن المسيح قرب أحد جبال عمان، وذكرت إذاعة لندن بالحرف وأنا سمعتها: أن في

[١٣٣] مسند الإمام أحمد (٦٦٤٥)، والحديث صححه الذهبي في التلخيص، والألباني في السلسلة الصحيحة.

المخطوطات أمور خطيرة يمكن أن تغير كيان عقائد النصارى، فأُخفيت واشترتها الفاتيكان واستوردتها من عمان وكأنّ شيئًا لم يكن.

هذا كان قبل سنة فقط، فقبل سنة فقط اكتُشفت نسخ من أناجيل مكتوبة في عهد المسيح -عليه السلام- في مغارة قرب عمان فأخذوها وأخفوها.

وهناك حديث لا أدري مدى صحته قرأته في كتاب (عقد الدرر في أخبار المنتظر)[١٣٤] أن الرسول ﷺ قال: (إِذَا افْتَتَحْتُمْ رُومِيَّةَ فَادْخُلُوا كَنِيسَتَهَا الْعُظْمَى الشَّرْقِيَّةَ مِنْ بَابِهَا الشَّرْقِيِّ، فَاعْتَدُّوا سَبْعَ بَلَاطَاتٍ، ثُمَّ اقْتَلِعُوا الثَّامِنَةَ، فَإِنَّ تَحْتَهَا عَصَى مُوسَى وَالْإِنْجِيلُ طَرِيَّةً، وَحُلِيُّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ)[١٣٥].

لا أدري صحة الحديث، ولكنه بيّن أنّ النصارى أخفوا الإنجيل الصحيح في مكاتب الفاتيكان، فبيّن لنا أين نبحث إذا دخلنا روما حتى نجد إنجيل المسيح الأصلي.

أول إنجيل كُتب في النصرانية كان بعد ٢٠٠ سنة بعد المسيح، وهذا سبب التَّحريف، أنه بسبب قتل واضطهاد الرومان لم يُكتب الإنجيل، ودخل اليهود في النصرانية وكان البلاء الأكبر من بطرس الأكبر هذا، وهو حاخام يهودي كان يشرف على تعذيب النصارى، فدخل في النصرانية في النهاية، وكان كاتب أحد الأناجيل الأربعة، وهو ممّن نزل روما وعمّر كنيسة القديس بطرس التي هي الآن في الفاتيكان، وذهب آخر وعمّر كنيسة مشهورة جدًا في سنتياغو (...).

*[١٣٦] فعندما استلم قسطنطين الحكم وأراد أن يدخل في النصرانية وجد أن النصارى عندهم أربعمائة إنجيل منسوب للمسيح!، وهذا معترف به في تاريخ النصارى، فقال لهم: "كيف تريدونني أن أوحّد الإمبراطورية على أربعمائة إنجيل؟!"، والملوك دائمًا يحبّون أن تجتمع الناس على مبدأ واحد.

ولهذا جاء أبو جعفر المنصور إلى الإمام مالك وقال له: "اكتب لي كتابًا وتجنّب فيه شدائد ابن عمر ورخص ابن عباس حتى أجمع عليه الأمة". فكتب له الإمام مالك (الموطأ) ثم نصحه بعد ذلك أن يترك الناس على مذاهبها لأن صحابة رسول الله ﷺ تفرّقوا والناس أخذت العلم منهم، ونهاه أن يجمع الأمة على مذهب واحد.

---

[١٣٤] غير متأكد أنه الكتاب الذي ذكره الشيخ، والكتاب للشيخ يوسف بن يحيى بن علي بن عبد العزيز المقدسي السلمي الشافع، من علماء القرن السابع الهجري. (المفرغ)

[١٣٥] أخرجه نعيم بن حماد في كتابه الفتن (١٣٢٦)، وهذا الأثر ليس بحديث مرفوع للنبي ﷺ بل هو مروي عن التابعي أبي قبيل، والحديث إسناده ضعيف، ففيه الوليد وهو ابن مُسلم وهو مُدلس وقد عنعن، وفيه رشدين وابن لهيعة وهما ضعيفان، وفيه أبي قبيل وفيه مقال.

[١٣٦] بداية تفريغ الملف التاسع.

ولكن قسطنطين أراد أن يجمع النصارى فجمع الرهبان والقساوسة في مكان وقال لهم: "إمّا أن تتفقوا على إنجيل واحد وإلّا أقتلكم كلّكم ولا أدخل في النصرانية"، فاجتمعوا في أول مجمع مشهود للنصارى، ثم بعد أن لخصوا وجمعوا وشطبوا وحذفوا واختصروا وأضافوا قالوا له: "لا يمكن أن نختصرهم لأقل من أربعة أناجيل"، فلخّصوا أربعمائة إنجيل بأربعة أناجيل: إنجيل لوقا، وإنجيل مرقس، وإنجيل بطرس، وإنجيل يوحنا.

فالمعتمد عند الكاثوليك هو إنجيل بطرس ولكنهم يأخذون من باقي الروايات كلها، فتصور ماذا بقي من الأصل الأول بعد هذا الحذف والإضافة.

بعد ذلك افترقت أديان النصارى واختلفوا على التفاصيل واختلفوا على التثليث، وكانت منهم فرقة ترى نبوّة المسيح وليس ألوهيته، أظن كان اسمهم (الأريسيّون)، وهؤلاء أفضل أنواع النصارى. ولكن الكاثوليك والآخرين حاصروهم وذبحوهم ولم يبقَ منهم أحد، فالكاثوليك ذبحوا باقي المذاهب كلها، وبقوا هم المذهب الرئيس على مدار تاريخ الرومان، وسنتكلم لاحقًا عن ولادة البروتستانت وبعض المذاهب الجديدة.

النظام الدولي زمن البعثة النبوية وتاريخ الدولة النبويّة:

المهم أصبحت حضارة الصليب هنا، وحضارة المجوس هناك، وفي ذلك الزمان وفي ٥٧٠ ميلادي حصل الميلاد الشريف، وبالأمس كنت أقرأ في كتاب (الرحيق المختوم) عن السيرة، فرجّح كاتبه أن الميلاد النبوي كان يوم الاثنين في التاسع من ربيع الأول الموافق لـ ٢٦ أبريل سنة ٥٧٠م[١٣٧]، هذا هو التاريخ الذي رجّحه صاحب (الرحيق المختوم) لميلاد الرسول ﷺ.

فوُلد الرسول ﷺ سنة ٥٧٠م والنظام الدولي هكذا: روم وفرس يتطاحنون، جنوب الجزيرة تابع للفرس، غرب البحر الأحمر في أفريقيا تابع للروم، نجد وهذه المناطق كان فيها أعراب يتطاحنون فيما بينهم، وأعراب الشمال بعضهم يتبع للروم وبعضهم يتبع للفرس.

---

[١٣٧] أخطأ الشيخ هنا في النقل، يقول المباركفوري في (الرحيق المختوم): "وُلد سيد المرسلين ﷺ في شعب بني هاشم بمكة في صبيحة يوم الإثنين التاسع من شهر ربيع الأول، لأول عام من حادثة الفيل، ولأربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان، ويوافق ذلك العشرين أو الثاني وعشرين من شهر أبريل سنة ٥٧١ م حسبما حققه العالم الكبير محمد سليمان المنصور فوري والمحقق الفلكي محمود باشا." اهـ.

وكل الحضارات كانت ذاهلة عن قلب الجزيرة، فهي مناطق ليس فيها شيء أصلًا؛ صحارى وفيافٍ ومجاهيل، والقبيلة الفلانية تقاتل القبيلة الفلانية، وحرب الفجار وحرب البسوس، وحروب طاحنة بين العرب، فوُلد الرسول ﷺ في هذه الأجواء.

وكانت مكة والمدينة على طريق التجارة الدولي، والاقتصاد أبو السياسة والسياسة أمّ العسكرية، فالأسباب الاقتصادية هي الأسباب الأساسية للصراع، فالبشر يحاولون أن يتفاهموا ويتناقشوا، فإذا فشل الحوار يأخذ كل طرف سلاحه ويتحاربون مع بعض، فهي الصورة الأخيرة للحوار، الحرب هي الصورة الأخيرة للنقاش، فالاقتصاد هو أبو المسائل، ولذلك يجب نفهم الاقتصاد.

كانت هناك ثلاثة طرق للتجارة: الطريق الأول (طريق الحرير)، يبدأ هذا الطريق من الصين حيث يوجد الحرير والتوابل والعطور والأخشاب والسجاد والمصنوعات، وكان يلزم نقلها لأوروبا. فكان هناك طريقان؛ الطريق الأول يتحرك من الصين إلى إيران فالعراق فالشام حتى يصل لمدينة حلب ثم يتحرك لأوروبا، فهذا هو طريق الحرير.

الطريق الثاني (طريق التوابل)؛ يمرّ بالهند ثم بالبحر يصل لليمن ثم يخرج بالبر فيمر بالجزيرة العربية، أو يمرّ بالبحر الأحمر إلى منطقة السويس، ثم يُنقل من هنا إلى أوروبا. أو يذهب إلى اليمن وتجّار اليمن، ولذلك تجد كثيرًا من اليمنيين يسكنون في سواحل الهند وإفريقيا، فتجد كثيرًا من الأفارقة والهنود من أصول يمنية، ولذلك السلالات مختلطة في هذه المناطق، فتجد سحنات البشر مختلطة ما بين العرق الإفريقي والعربي نتيجة تداخل الناس.

فهذه الطرق التجارية كانت تمرّ من هنا، فكان عرب مكة والمدينة وتجار الحواضر والقرى الموجودة وأمها (أم القرى) يعني مكة؛ كانوا يأخذون البضائع من اليمن إلى الشام في الشمال صيفًا حيث البرودة، ثم يأخذون بضائع الروم من أهل التجارة في الشام فينزلون بها إلى اليمن حتى يحملها التجار إلى الطرف الآخر، وهذه هي رحلة الشتاء والصيف التي ذُكرت في القرآن: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ}[١٣٨].

فكان يظنون أن هذا الخير الذي يأتيهم هو من رحلة الشتاء والصيف، فأنكر الله -سبحانه وتعالى- عليهم وقال: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}[١٣٩].

---

[١٣٨] سورة قريش، الآيات: (١-٢).

[١٣٩] سورة قريش، الآيات: (٣-٤).

فالشاهد في الموضوع أن هذا الطريق التجاري سبَّب وجود مدن، فوُلد الرسول ﷺ في حاضنة تجارية مرفَّهة، فكان هناك أموال وتجارة والحرم.

هكذا كان الوضع الاقتصادي والعسكري عند ميلاد النبي ﷺ، أما الوضع الاجتماعي فقد كان عند العرب مكارم للأخلاق من الكرم والشجاعة والمروءة والأشياء التي تعرفونها عن العرب، إلى جانب رذائل معروفة: قطع الطريق، وسفك الدماء، وقتل البنات.. إلخ.

فوُلد الرسول ﷺ في سنة ٥٧٠م، الآن سنختصر ونقفز قفزات حتى نصل إلى النظام الدولي. بُعث الرسول ﷺ بعد أربعين سنة أي في سنة ٦١٠م، وعاش ﷺ في المرحلة المكيّة في الفترة (٦١٠ - ٦٢٢)م أي ١٣ سنة، بعد ذلك جاءت المرحلة المدنية (٦٢٢ - ٦٣٢)م ونسميها نحن سياسيًا مرحلة (نشوء الدولة).

انتهت المرحلة المكية ومع الرسول ﷺ ١٧٠ رجلًا تقريبًا فيما أذكر، ثم غزا الرسول ﷺ في بدر بـ ٣١٤ رجلًا، وفي أحد غزا بألف فرجع منهم ٣٠٠ مع المنافقين وبقي ٧٠٠، في الخندق كان المسلمون ٣ آلاف وفي الحديبية كان عدد الصحابة الذين شهدوا بيعة الرضوان ونزلت فيهم الآية ١٤٠٠.

ولننظر في مراتب الصحابة حسب أهميتهم وفضلهم، فنحن يهمنا أن نعرف البنية التي كانت في طرف المسلمين في كل مرحلة، والبنية التي كانت في طرف الكافرين في كل مرحلة، منذ أن كان الصراع بين الرسول ﷺ ضد الروم، حتى وصل الأمر الآن للطالبان ضد الروم، هكذا كان النظام الدولي دائمًا يتحارب بهذه الصورة، الآن نحن في طرف والناتو في طرف، فهو نفس المسار.

فكان أفضل الصحابة -رضي الله عنهم- أبو بكر ثم عمر ثم الخلفاء الأربعة -رضي الله عنهم-، ثم العشرة -رضي الله عنهم-، ثم أهل بدر وكان يجمعهم عمر للشورى -رضي الله عنهم-، ثم أهل بيعة الرضوان، وهؤلاء معظم الروايات والدين والسنة قائمة عليهم تقريبًا ولا يشذ عن هذا إلا شيء قليل والباقي كله عليهم.

هذا بالنسبة للصحابة الألف وأربعمائة، ثم جاء الفتح ففتح الرسول ﷺ مكة بعشرة آلاف. ولهذا قال أبو سفيان للعباس -رضي الله عنهم-: (لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عَظِيمًا) فقال له العباس: (إِنَّهَا النُّبُوَّةُ)، فقال له: (فَنَعَمْ إِذَنْ).

فالشاهد أنّ عددهم كان عشرة آلاف، ثم حجّ الرسول ﷺ بعد سنتين في حجة الوداع بـ ٩٠ ألفًا، وقيل ١٠٠ ألف وقيل ١٢٠ ألفًا، والله أعلم.

ثم بعد حجّة الوداع جاء ما يُعرف في السيرة بـ(عام الوفود)، فبدأت تأتي وفود العرب وتُسلم، المقتنع وغير المقتنع والخائف، كلهم جاؤوا وأسلموا، فناس آمنت إيمانًا وجاهدت جهادًا، ثم لاحقًا جاء الأعراب، ودليل ذلك أنه ما أن توفي الرسول ﷺ حتى اجتاحت الردّة معظم الجزيرة.

وكان منشأ الردّة في بؤرتين أساسيتين: خرج الأسود العنسي في اليمن، وخرج مسيلمة الكذاب في بني حنيفة في وادي اليمامة الذي هو الخليج العربي بلاد النفط. وهناك أمر أريد أن أتأكّد ولعلّه يكون صحيحًا لأن مؤشّراته صحيحة، وهي أن آل سعود وآل مكتوم وآل نهيان وآل بوسعيد وكل هذه العوائل المالكة هي من بطون بني حنيفة جماعة مسيلمة الكذاب.

وإذا كان هذا الكلام الذي ذكره أحد المؤرّخين صحيحًا فهذا يدلّ على عبقرية الإنجليز، وهناك كتاب درسناه في التاريخ اسمه (نشوء الكيانات في الجزيرة العربية)، مع أن كاتبته امرأة لبنانية منافقة للعوائل الموجودة ولكن فيه حقائق تاريخية، فيبدو أن الإنجليز عندما اختاروا آل صباح وآل فلان وآل علان اختاروهم على دراية ودراسة للأنساب والواقع فعلموا من هو المُؤهّل ليكمل رسالة مسيلمة الكذاب.

فالشاهد في الموضوع أنه لا خلاف أن الردة خرجت من وادي اليمامة في شواطئ الجزيرة، ومسيلمة الكذّاب خرج في عهد الرسول ﷺ في حياته، أمّا الأسود العنسي فقام عليه انقلاب وقُتل في آخر أيّام حياة النبي ﷺ.

فقامت ضدّه حرب عصابات جميلة جدًّا حيث اتّفق رجل مؤمن مع ابنة عمه التي كان الأسود العنسي قد رصدها واستباها وهي مؤمنة، فرتّبت قتله مع ابن عمها واسمه فيروز الديلمي، وهو رجل فارسي من أصول فارسية في اليمن، حيث كانت هناك علاقات بين اليمن وفارس.

فاتفق فيروز الديلمي مع ابنة عمه أن تفتح له كوّة بينما الرجل نائم، فدخل عليه وقتله ورفع رأسه فوق الحصن، فصاح الناس: "قُتل الأسود العنسي"، فهرب أصحابه وعاد الإسلام. وكان هذا في آخر حياة الرسول ﷺ،

وجاء جبريل وبشّر الرسول ﷺ وهو على فراش الموت، فقال الرسول ﷺ: (قُتِلَ الأسود العنسي البارحة، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين)، وهكذا انتهت قصة الأسود العنسي وانتهت الردّة في اليمن.

أما ردّة مسيلمة فقُضي عليها بعد وفاة ﷺ سنة ٦٣٢م، وذلك في خلافة أبي بكر الصدّيق –رضي الله عنه– (٦٣٢-٦٣٤)م، حيث توفي أبو بكر الصديق سنة ٦٣٤م الذي يوافق سنة ١٣هـ.

المهم الذي نقوله على النظام الدولي في مرحلة الرسول ﷺ أنه لما جاء عام الوفود أطبق الإسلام على الجزيرة، فقال النبي ﷺ حديثًا هو أحد أهم مرتكزات النظرية التي أشرحها لكم وهو حديث الروم وسنرجع له عدّة مرات..

قال الرسول ﷺ: (تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله لكم، وتغزون فارس فيفتحها الله لكم وتغزون الروم فيفتحها الله لكم، وتغزون الدجال فيفتح الله لكم)[١٤٠].

ثم قال الرسول ﷺ: (فَارِسُ نَطْحَةٌ أَوْ نَطْحَتَانِ ثُمَّ لَا فَارِسَ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ أَصْحَابُ بَحْرٍ وَصَخْرٍ كُلَّمَا ذَهَبَ قَرْنٌ خَلَفَ قَرْنٌ مَكَانَهُ، هَيْهَاتَ إِلَى آخرِ الدَّهْرِ هُمْ أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ)[١٤١].

فبيَّن النبي ﷺ أن فارس نطحة أو نطحتان ثُمَّ لَا فَارِسَ بَعْدَهَا أَبَدًا، أي معركة أو معركتان، وفعلًا كانت القادسية ونهاوند وقضى المسلمون على فارس، وطبعًا المقصود قادسية سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– وليس قادسية صدّام حسين!.

ومن المضحكات المُبكيات أن الشيخ الألباني أفتى بإسلام صدام وحزب البعث بسبب حربهم للشيعة وقال: "هؤلاء الناس بدأوا يعيدون أسماء الصحابة وذكريات المعارك ويسمّون الشوارع باسمها القادسية وكذا.. إلخ"، فأفتى بإسلام حزب البعث العراقي، ومنهم صاحب المقولة:

"تبارك وجهك القدسي فينا كوجه الله ينضح بالجلال"

ثم قال: (وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ.. أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ)[١٤٢]. فحدّد الرسول ﷺ طبيعة المعركة الأزلية من بعثته إلى نهاية البشرية وهي القتال مع الروم؛ فنحن قاتلنا التتار ثم ذهبوا، وقاتلنا اليهود وسيذهبون. وقاتلنا الروس والهند وسيذهبون، كلها مراحل مؤقته، حتى يأجوج ومأجوج سيأتون ثم يذهبون، ولكنّها الروم ذات القرون نقاتلهم إلى قيام الساعة.

---

[١٤٠] مسند الإمام أحمد (١٥٤١) وصححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه.

[١٤١] مصنف ابن أبي شيبة (١٩٣٤٢).

[١٤٢] مصنف ابن أبي شيبة (١٩٣٤٢).

ويؤكّد هذا حديث لعمرو بن العاص عندما جاءه صحابي فقال له: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: (تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ)[١٤٣]، وهذا يدلّ على أن الساعة تقوم على بقاياهم، مما يدلّ على أنهم باقون أصلًا، فتُقبض أرواح المؤمنين آخر الزمان وتبقى حثالات البشر ومنهم الروم فتقوم عليهم الساعة.

وقول الرسول ﷺ: (وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ) يعني أنهم سيكون لهم دول، فتقوم لهم دولة وراء دولة، كلما انكسر قرن يخرج قرن آخر، فتقاتلونهم إلى قيام الساعة.

فكيف بدأ التّماس بين الرسول ﷺ والمسلمين مع الروم؟

بدأ هذا بالمراسلة، فبدأ الرسول ﷺ يحتكّ بالنظام الدولي بعد أن سيطر المسلمون على الجزيرة فحقّقوا الشطر الأول (تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله عليكم)، فأرسل الرسول ﷺ إلى كسرى رسالة، وإلى قيصر في القسطنطينية رسالة، وأرسل إلى المقوقس عظيم القبط وهو من الولاة التابعين للروم في مصر، وأرسل إلى والي اليمن، وأرسل إلى الحبشة، وأرسل إلى والي أطراف الشام.

أمّا نجاشي الحبشة فأسلم، وأما والي اليمن فبلغ سيّده كسرى فقال له هذا المهبول: "ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين عندك جلدين، فليأتياني به". وأما المقوقس فكان ردّه لطيفًا وأرسل جاريتين للرسول ﷺ هدية، واحدة منهما هي أم المؤمنين مارية القبطية، وابنة خالتها التي أعطاها الرسول ﷺ لأحد الصحابة وهو حسان بن ثابت –رضي الله عنه– الأنصاري، فأخذ ابنة خالتها.

وأرسل إلى هرقل وكاد هرقل أن يسلم ولكن منعه الطمع في الملك، فأراد أن يقول أمام الروم أن هذا الدين حقّ فهاجوا، فخاف وقال لهم: "أنا أمتحن ثباتكم على دينكم"، وبقي على دينهم، ولكنّه كان يعرف أنّ الحقّ في الإسلام، كما في حديث أبي سفيان –رضي الله عنه– المشهور.

أما كسرى هذا المستكبر فجنى على نفسه عندما مزّق رسالة النبي ﷺ، فدعا عليه الرسول ﷺ وقال: (مزّق الله ملكه). وفعلًا مزّق الله فارس، ولم يأتِ زمن عثمان بن عفّان –رضي الله عنه– إلّا وقُتل آخر الأكاسرة.

[١٤٣] صحيح مسلم (٢٨٩٨).

أما من الناحية العسكرية فأرسل الرسول ﷺ في سنة ٨هـ جيشًا فحصلت موقعة مؤتة، وكانت أول تماس مع الروم، والقصة مشهورة وتعرفون كيف تولَّى خالد بن الوليد –رضي الله عنه– وانسحب، فعلم المسلمون أن النظام الدولي ليس لعبة وقضية بسيطة، فتتنبّه المسلمون أن القضية كبيرة جدًّا، ومع ذلك قام الرسول ﷺ بعمل **أول تماس مع الروم** حتى يجرّئ المسلمين على هذه القضية ويرسم مسار المعركة التي ستستمر إلى قيام الساعة.

فكان أول تماس الروم، وعدد جيش الروم ١٠٠ ألف وفي رواية ٢٠٠ ألف، وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف، وكان النصر أن استطاع خالد بن الوليد الانسحاب بالجيش.

بعد ذلك أعدّ الرسول ﷺ جيش أسامة، وكان جيشًا كبيرًا ربّما أربعين ألفًا أو كذا، جهزه وتوفي الرسول ﷺ وبعث أسامة يتجهّز للمسير، فأنفذه أبو بكر، –وهذا نكمله إن شاء الله تعالى غدًا عندما نبدأ من مرحلة أبي بكر.

فتوقفنا عند النظام الدولي في هذه المرحلة أن الرسول ﷺ توفي وقد بدأ التماس مع الروم، وأبو بكر الصديق بعد وفاة الرسول ﷺ بأشهر أخذ الأردن وفلسطين.

فالآن نقف إن شاء الله هنا ونتابع غدًا، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت.

***

نتابع اليوم ١٠ جمادى الأولى سنة ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠ سبتمبر ١٩٩٩. اليوم إن شاء الله اليوم الثالث من الكورس.

وصلنا البارحة إلى نهاية المرحلة النبوية وتكلمنا عن النظام الدولي في تلك المرحلة وبيّنا أن الرسول ﷺ بعث الرسائل، فأول تماس مع النظام الدولي كان للدعوة إلى هذا الدين، ولم تكن فحوى الرسائل تهديدًا ولا إعلان حرب، وليست التخيير بين الإسلام أو الجزية.

بل كانت كما في رسالة هرقل: (أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين؛ فإن أبيت فإنما عليك إثم الأريسيين) يعني تسلم تأخذ الأجر، لا تسلم تحمل الإثم. لم يكن فيها عملية صِدام بل هي عملية إخبار.

بعد ذلك وقف الروم موقف الرافض للدعوة وبدأوا يحسّون بخطورة الإسلام ويعدّون الجيوش للتحرش بالدولة الناشئة، فأحسّ الرسول ﷺ بذلك فأراد أن يريهم بأس الإسلام فأرسل سرية مؤتة، فحصلت القصة المعروفة، وكان أمراؤها ثلاثة: زيد بن حارثة ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة –رضي الله عنهم–، ثم قُتلوا فأخذ الراية خالد بن الوليد وانسحب بالجيش. فهذا كان التماس الأول.

التَّماس الثاني: أعدّ بعث أسامة بن زيد بن حارثة القائد السابق، واعترض بعض الصحابة على إمرته وقالوا: "كيف يتأمَّر على جيش فيه كبار الصحابة وهو ولد صغير؟!". والسيرة يجب أن نقرأها عدة مرات؛ نقرأها قراءة عسكرية ونقرأها قراءة سياسية.

من الحِكم في هذه المرحلة أنَّ أبا بكر الصديق خرج -رضي الله عنه- يمشي إلى جانب فرس أسامة. وأسامة كان عمره ١٨ سنة، فقال أسامة: "يا أمير المؤمنين إما ان أنزل وإما أن تركب"، فقال: "لا تنزل ولا أركب"، ومشى معه، وفي الجيش كبار الصحابة.

الدولة الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين:

فالشاهد توفي الرسول ﷺ قبل انطلاق الجيش وذلك في سنة ٦٣٢م فخلفه أبو بكر الصديق في القصة التي تعرفوها، ومن المهم جدًّا في قراءة السيرة أن تتأمل مرحلة انتقال السلطات والفتن التي كادت تحصل، فهذا يعطينا فكرة في قضية طرق تولية الخلافة إذا مات الخليفة، كيف يأتي الذي بعده وكيف تنشأ الفتن وكيف تُدرأ، ففي هذا دروس سياسية كثيرة.

فتولّى أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- الحكم سنة ٦٣٢م وبقي فيه سنتان ثم توفّي -رضي الله عنه- عام ٦٣٤م، فكانت فترة حكمه قصيرة، وسيدنا أبو بكر الصديق كان مدرسة عظيمة، وكل واحد من الصحابة وخاصة الخلفاء الأربعة لوحده مدرسة عظيمة جدًّا، وهناك كتب كُتبت في سيدنا أبي بكر الصديق جديرة بأن تُدرس.

وأهم ما في هذه المرحلة أن أبا بكر -رضي الله عنه- ثبّت الدولة وخلّصها من الأخطار الداخلية، فبعد وفاة الرسول ﷺ ارتدّ معظم الجزيرة، فلم يثبت على الإسلام إلا أهل المدينة ومكة وبعض المناطق، وصارت حركة ردّة قويّة جدًّا، وخرج مسيلمة الكذاب خاصة في منطقة الخليج العربي التي كانت تُسمّى وادي اليمامة.

فتولّى أبو بكر الصديق شدّ همة الصحابة، وأغلبهم كان يرى أن ينكمشوا في المدينة ولا يرسلوا البعث ولا يخرجوا بعيدًا ولا يقوموا باصطدام حتى تتماسك الدولة، ولكن أبا بكر -رضي الله عنه- وقف موقفًا حازمًا، فمن ناحية واجه المرتدّين ومن ناحية أنفذ جيش أسامة.

وحركة المرتدين قُضي عليها في عهد أبي بكر وكلّفت الكثير جدًّا، حتى أنّها كانت سببًا في بداية كتابة وجمع القرآن لكثرة ما قُتل فيها من الحفّاظ. المهم ثبتت الدولة فبدأت تتوجّه إلى الخارج للتوسّع والفتوحات.

وأرجع بكم للوراء قليلًا، في مرحلة الرسول ﷺ كانت المعركة داخليًا مع اليهود والمشركين والمنافقين، هذه كانت المعارك الداخلية لدولة الإسلام الأولى، أما في التّماس الخارجي فكانت معركة الإسلام هي ضدّ الروم، فبدأت تتبلور المعركة كما أخبر النبي ﷺ: (وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ.. أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ)، فبدأت المعركة تأخذ شكلها الطبيعي: الإسلام ضدّ الروم.

في مرحلة أبي بكر الصديق توجّه جيش أسامة ثم تبعه كبار الصحابة، ثم آلت القيادة إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم خالد بن الوليد، وبدأ كبار الصحابة يزحفون إلى الشام، وقبل أن يُتوفّ أبو بكر الصدّيق كانوا تقريبًا أشرفوا على اليرموك في جنوب سوريا، معناها كانوا قد أدخلوا الأردن ومعظم فلسطين في دولة الإسلام.

هذا كان في مرحلة أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– التي انتهت سنة ٦٣٤م يعني سنة ١٣هـ، من ١٠ إلى ١٣ هجري، وكان الرسول ﷺ قد رأى رُؤية مشهورة عن الخلفاء الراشدين فقال ﷺ: (أُرِيتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أَنْزِعُ بِدَلْوِ بَكْرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا، أَوْ ذَنُوبَيْنِ نَزْعًا ضَعِيفًا، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى رَوِيَ النَّاسُ، وَضَرَبُوا بِعَطَنٍ)[١٤٤]. فأوّله الرسول ﷺ أن مدّة أبي بكر قصيرة، ومدّة عمر طويلة، وهكذا.

فخلفه سيدنا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، ومن ناحية النظام الدولي الذي يهمنا يعتبر سيدنا عمر بن الخطاب هو رجل الدولة الذي أرسى دولة الإسلام. يعني هناك عقليات عسكرية، وهناك عقليات دعوية، وسيدنا أبو بكر هو أفضل الصحابة باتفاق علماء أهل السنة، ويكفي أن الرسول ﷺ جعل إيمانه يزن ويرجح إيمان الأمة كلّها من عصر النبي ﷺ وحتى آخر مسلم قبل قيام الساعة، إذا جُمع إيمانهم في ميزان يرجحهم إيمان أبو بكر![١٤٥].

والآن ليست مرحلة الدخول في الفضائل، حتى أنّ عمر بن الخطاب كان يسابق أبا بكر إلى أن جاء في يوم تجهيز جيش العسرة كما تعلمون، فقال عمر: اليوم أسبق أبا بكر، وكانوا يتسابقون في الفضائل، فجاء بنصف ماله وقال

---

[١٤٤] صحيح البخاري (٣٦٨٢).

[١٤٥] أخرج أبو داود (٤٦٣٤) والترمذي (٢٢٨٧) عن أبي بكرة أن النبي ﷺ قال ذات يوم: (من رأى منكم رؤيا؟) فقال رجل: (أنا رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان). فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ.

للرسول ﷺ هذا نصف مالي وتركت لأهلي نصف المال. فقال له الرسول ﷺ (بارك الله لك فيما أنفقت وما أبقيت). فجاء أبو بكر بكل ماله، فقال له الرسول ﷺ (ما أبقيتَ لأهلك؟)، قال: (أبقيتُ لهم الله ورسوله). فقال عمر: (لا أسابقك إلى شيء أبدًا)[١٤٦].

سيدنا عمر هو الذي أرسى الدولة ونظَّم الدولة من الناحية الإدارية، فتلاحظ في التاريخ أن دولة بني عثمان التي استمرت ٥٠٠ سنة تجد خليفة أو اثنين من أصحاب العقليات العظيمة، وفي دولة بني العباس كلهم تجد فيها واحدًا أو اثنين، وفي بني أمية كلهم تجد فيهم واحدًا أو اثنين من رجال الدولة، في كل دولة تجد شخصًا أو شخصين من رجال الدولة.

يعني الآن الطالبان قامت دولة ولكن تجد أنها في فوضى؛ الإدارات فوضى، الوزارات فوضى، الجهاز فوضى، الجيش فوضى، فيأتي –إن شاء الله– رجل أو رجلان في الدولة ليبدأوا وينظّموا الدولة.

ففي مرحلة الخلفاء الراشدين كان رجل الدولة سيدنا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، كان ذو عقلية إدارية فذّة جدًّا؛ رتّب البريد، ورتّب أنظمة المال، ورتّب الأجناد، وانتبه إلى أبناء المدن في المناطق المفتوحة، حظر على كبار الصحابة جميعًا الخروج من المدينة المنورة.

ولذلك قال حذيفة بن اليمان –رضي الله عنه– عندما سأله عمر بن الخطاب عن الفتن التي تموج كموج البحار، قال له: (إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا)، قَال عمر: (يُفْتَحُ البَابُ أَوْ يُكْسَرُ؟) قَالَ: (لاَ، بَلْ يُكْسَرُ)، قَالَ: (ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لاَ يُغْلَقَ)[١٤٧]، وكان الباب عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– كما علم الصحابة.

كذلك أخرج قانونًا بمنع الزواج بنساء الشام، دخل أهل الجزيرة بلاد الشام مثلما دخل المجاهدون الآن إلى بلاد (الفرسوان)، حتى أنّ الملا عمر نهى عن الزواج في أهل الشمال، لم يمنعهم ولكن حذّر.

فتجد أنّه رجل يعرف المشاكل التي يمكن أن تأتي، حتى أنّ المسلمين عندما فتحوا فلسطين وجدوا سهولًا زراعية خصبة جدًّا، فبدأوا يزرعون وخرجت لهم محاصيل غير طبيعية، أول مرة يراها العرب، فسمع عمر أن الناس بدأت تزرع، فأرسل لهم رسولًا جمع المحصول وأحرقه كله، وقال لهم: إنما بُعثتم أجنادًا وإنما الزراعة وهذه الأمور للموالي والعبيد وليست لكم، أنتم للجهاد والفتوح.

---

[١٤٦] انظر مستدرك الحاكم (١٥١٠).

[١٤٧] صحيح البخاري (٣٥٨٦).

فرتّب كل الدولة حتى عمل قوانين للمحاسبة، وجعل المحاسبة في مناطق فارس باللغة الفارسية، وفي مناطق الشام باللغة السريانية، وقال لهم استعملوا كُتّابًا، ومنع استعمال كتّاب النصارى. وقصة أبي موسى الأشعري معروفة عندما منعه عمر بن الخطاب من استخدام كاتب من أهل الكتاب فقال له أبو موسى: "له دينه ولي كتابته"، فقال عمر: "لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزّهم إذ أذلّهم الله، ولا أُدنِيهم إذ أبعدهم الله"، قال أبو موسى: "لا يتم أمر البصرة إلا به"، فقال عمر: "مات النصراني والسلام"[١٤٨]، يعني لنفترض أن النصراني مات فهل ستبقى بدون كاتب؟ فما تعمله بعد موته فاعمله الآن واستغنِ عنه بغيره.

وهذه الأمور ضاعت الآن وأصبح النصارى يتولّون الولايات وكذا، وأحكي لكم قصة واحدة حتى أبين هذا، حضرت مؤتمر (الحوار الإسلامي المسيحي) في مدريد، والذي كان على رأسه من طرف المسلمين خمس شخصيات من أخبر الناس بدين الإسلام في هذا الزمان، وأنا شهدت المؤتمر ورأيت بعيني وسمعت بأذني.

جاء وفد من الفاتيكان والكرادنة والقساوسة، وجاء وفد المسلمين على رأسه رئيس (رابطة العالم الإسلامي) عبد الله نصيف، والثاني دكتور في الشريعة موريتاني، والثالث معروف الدواليبي وكان رئيس وزراء سوريا سابقًا، وهو دكتور مشهور جدًّا، وكان مستشارًا للملك عبد العزيز بعد أن ترك السياسة في سوريا، ثم مستشارًا لابنه فيصل، ثم لابنه خالد، ثم لابنه فهد الملك الحالي، فكان مستشارًا لكل ملوك آل سعود، رجل كان عمره أكثر من تسعين سنة. وجاء للمؤتمر كذلك وزير الأوقاف الأردني السابق كامل الشريف، وهو من جماعة الإخوان المسلمين وممن شارك في جهاد الإخوان في فلسطين.

فجاؤوا للمؤتمر وكان لمدة ثلاثة أيام، فكانت محاضرة (كامل الشريف) عن حقوق أهل الذمة في دولة الإسلام، فقام رجل وعرّف بنفسه وسأل سؤالًا، وطبعًا كان هناك ترجمة فورية لخمس لغات، كان مؤتمرًا راقيًا جدًّا، وأنا كنت أسمع المؤتمر باللغة الإسبانية وبالعربي حتى أتأكد من أمانة الترجمة، فأسمعه مباشرة بالإسباني وعيني على الترجمة العربي، يعني مجتهدون في خداع المسلمين ورفع النصارى.

فقام الرجل وعرّف بنفسه أنه مسؤول التّبشير في شمال إفريقيا ومركزه في (وهران)، وقال بلغة عربية جيدة جدًّا: "أريد أن أسأل عن الحقوق السياسية للنصارى في تولية المناصب في دولة الإسلام؟".

---

[١٤٨] انظر تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) عند سورة المائدة آية رقم: **٥١**.

فكانت إجابة كامل الشريف أن قال له: "أنا كنت وزيرًا لـ ٣٠ سنة في حكومة جلالة الملك حسين في المملكة الأردنية الهاشمية، وخلال هذه المرحلة كانت نسبة النصارى الذين وصلوا إلى وزارات سيادية ٣٠% على طول الفترة من حكومة الأردن مع أنّ نسبة النصارى في الأردن لا تصل لـ ١٥%، وهذا يدلّ على أن النصارى يستطيعون أن يتولّوا كل المناصب باستثناء المنصب الأول في دولة الإسلام". فصفّق النصارى وجلسوا فرحين!

فأنا سألته وهو خارج، سألت رجل المقاومة من الإخوان المسلمين هذا، قلت له: "الرجل سألك عن حقوق أهل الذمة في دولة الإسلام فأنت أجبته عن حقوق النصارى في دولة الملك حسين، والرجل يسألك على حقوق أهل الذمة في دولة الإسلام، فأين تذهب بالنصوص والآيات؟"، وقمت أعدّد له الآيات والنصوص.

فوالله قال لي بالحرف: "هذه الآيات معروفة أحكامها ولكن كل هذه الأحكام أصبحت لاغية في إطار قانون الدولة الوطنية التي لا تقوم عليها".

في حين سيدنا عمر -رضي الله عنه- لم يرتضِ كاتبًا محاسبًا نصرانيًا وقال له لا يجوز، ولذلك فالمرشد العام للإخوان المسلمين عندما قال: "إخواننا النصارى لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ولهم كافة الحقوق المدنية والسياسية" يعني يتولّون الوزارات، "ونحن نبرأ من كل من يفعل غير ذلك"؛ لم يعلم هذا المعتوه أنّه يبرأ من عمر بن الخطاب ومن الرسول ﷺ فمَن بعده إلى يومنا هذا من الذين لا يرون ولاية النصارى، ويقول بغير هذا القول!.

فالآن النصارى تولّوا المناصب والوزارات، وكان فارس الخوري رئيس وزراء لسوريا لفترة طويلة وهو نصراني، والآن هناك وزراء في مصر نصارى مثل وزير الخارجية بطرس غالي.

وللأسف بدأ هذا الانحراف كما سنرى في مرحلة بني العباس، ووجد الخلفاء من علماء السلطان من يجيز لهم هذا الموضوع، وبعضهم للأسف كانوا علماء أجلّاء، فأُدخلت مسألة ولاية النصارى في كتب السياسة الشرعية عند علماء أجلّاء مثل الماوردي وأبي يعلى الفرّاء الذي كان من كبار علماء السياسة الشرعية، فتجد أنّهم قد اخترعوا في كتبهم من أجل الخلفاء مصطلح (وزارة التفويض ووزارة التنفيذ).

في كتب السياسة الشرعية القديمة اخترعوا شيئًا أسموه وزارة التفويض ووزارة التنفيذ، وزارة التفويض يعني أن الوزير مُفوّض من الإمام الأعظم الخليفة في كل شيء فله الأمر، فقالوا: "هذه لا تجوز للنصارى وأهل الذمة"، أما ولاية

التنفيذ مثل وزير مواصلات ووزير المطاحن ووزير الاقتصاد، يعني وزارات تنفيذ الأوامر؛ فقد أجازوها علماء السنة في مرحلة بني العباس.

وهذا كان من الدجل، وإن كان مرّ على لسان علماء كبار، وهو غير صحيح، ومردود بالقرآن، ومردود بالسنة، ومردود بفعل الصحابة، ومنهم رأي عمر الذي هو لنا تشريع، قال الرسول ﷺ (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)[١٤٩]، فتصرّفات الخلفاء الراشدين ملحقة بالتشريع.

فالشاهد في الموضوع أن أهل الكتاب أصبحوا يتولّون المناصب، حتى أنّ إمام الحرمين الجويني في كتابه العظيم عن السياسة الشرعيّة شنّع جدًّا على الماوردي وشتمه في الكتاب بسبب اختراعه لمصطلح وزارة التفويض ووزارة التنفيذ، وقال: "هذا خطأ ولا يجوز".

ولكن لماذا قاموا بهذا؟

لأن خلفاء بني العباس استخدموا وزراء من اليهود والنصارى، وأغلب أطبّائهم كانوا من اليهود والنصارى، وأدخلوا الشيعة وأدخلوا المجوس، وبدأ يدخل الدَّخن في الإسلام من الوقت الذي بدأ به السلاطين يتحكمون في الحكم.

وهناك شريط للشيخ سلمان العودة نسيت اسمه، وأنا أعددت دراسة على خمسة وتسعين شريطًا للشيخ سلمان، فرّغتها وقسّمتها إلى أبحاث، ففي هذا الشرط ذكر الشيخ نصًا للإمام ابن حزم في رسالة أسماها (التلخيص لوجوه التخليص)، فذكر الشيخ مقطعًا من هذه الرسالة، فأنا أخذت هذا المقطع وعملت عليه مقالة في إحدى النشرات الجهادية.

يقول الإمام ابن حزم وهو من علماء الأندلس في القرن الخامس الهجري:

"وعمدة ذلك أن كل مدبّر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه، أولها عن آخرها، محارب لله تعالى ورسوله وساعٍ في الأرض بفساد؛ للذي ترونه عيانًا من شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضارّهم، وإباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي يقضون على أهلها، ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين، مسلّطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله، غرضهم فيها استدام نفاذ أمرهم ونهيهم.

---

[١٤٩] سنن ابن ماجة (٤٢).

فلا تغالطوا أنفسكم ولا يغرَّنكم الفسَّاق والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن على قلوب السّباع، المزيّنون لأهل الشَّر شرهم، النَّاصرون لهم على فسقهم.

فالمخلص لنا فيها الإمساك للألسنة جملة واحدة إلا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذم جميعهم؛ فمن عجز منا عن ذلك رجوت أن تكون التقية تسعه، وما أدري كيف هذا، فلو اجتمع كل من ينكر هذا بقلبه لما غلبوا."[١٥٠]

وهذا الكلام عن حكام الأندلس في القرن الخامس، فتجد المقطع وكأنه على حكّام وعلماء زماننا.

فالشاهد في الموضوع أن سيدنا عمر بن الخطاب كان ذا عقلية إدارية وتنظيمية فذّة جدًا، إضافة إلى ما كان عليه –رضي الله عنه– من المناقب، فنظّم الدولة وبدأ الفتوح، طبعًا فتوح الشام والروم بدأت قبله ولكنه كان أول من تجرّأ وأنزل المسلمين لقتال فارس، وكان العرب يتهيّبونهم جدًّا[١٥١].

كانت فارس تتدخل في أطراف الجزيرة، ولم تقم بينهم إلا معركة واحدة بين العرب وفارس وهي معركة (ذي قار) قبل البعثة بفترة قصيرة جدًّا، والذي انتصر في معركة (ذي قار) هم العرب، جمعوا بعضهم القبائل المتحاربة ووحّدوا أنفسهم، فانتصروا في هذه المعركة وكانت فاصلة في التاريخ بين العرب والفرس، حتى قال فيها الشاعر من شعراء الجاهلية:

لَوْ أنّ كُلّ مَعَدٍّ كانَ شارَكَنَا   في يومِ ذي قارَ ما أخطاهمُ الشّرفُ

أي لو أنّ كلّ (معدّ) يعني كل عربي من أبناء معدّ شاركنا في هذه المعركة لكان ناله شيء من الشرف.

فالشاهد أنّهم كانوا يتهيَّبون فارس، فانتدبهم لقتال فارس فلم يقم أحد، ثم انتدبهم فلم يقام أحد، ثم قام المثنى بن حارثة الشيباني –رضي الله عنه– فولّاه إمارة فتوح فارس جزاءً لقيامه، وقُتل المثنى وخلفه سعد بن أبي وقّاص.

فمنذ زمن عمر أصبحت المعركة مع النظام الدولي هي: الإسلام ضدّ الفرس من طرف العراق، والإسلام ضدّ الروم في بلاد الشام. ثم تجرّأوا مرة أخرى وعبروا منطقة صحراء سيناء، حيث أقنع عمرو بن العاص عمر بن الخطاب –رضي الله عنهم– أنَّ بإمكانه أن يفتح مصر، ففُتحت مصر في عهد عمر بن الخطاب، وانتُزعت من الإمبراطورية الرومانية، ودخلوا قليلًا في حدود ليبيا.

---

[١٥٠] (رسائل ابن حزم) ت إحسان عباس ١٧٣/٢. وقد ذكرنا نص كلام ابن حزم الذي نقله الشيخ بالمعنى.

[١٥١] الصواب أن فتح العراق وغزو فارس بدأ في خلافة أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–.

وأقول –رغم أنّ هذا يمكن أن يُغضب أهل ليبيا–؛ ليبيا لم تكن أبدًا دولة في تاريخ الإسلام والذي جعلها دولة هم الطليان، ليبيا من الدول المحشورة حشرًا في العالم العربي والإسلامي مثل الأردن، ليس للأردن مقوّمات دولة وإنّما اقتُطعت الأردن حتى تكون ملجأً لمن يُنفى من فلسطين، حتى تكون فلسطين خالصة لليهود مع الوقت، وأسموها الوطن البديل، فأُنشئت من أيام الملك عبد الله لتكون وطنًا بديلًا كمنفذ.

فهي وادٍ غير ذي زرع وليس فيها مقوّمات أي دولة، حتى كنا نناقش الإخوان المسلمين فنقول لهم: "لماذا تقومون بالجهاد في سوريا من دون الأردن؟". فيقولون: "الأردن وادٍ غير ذي زرع ولا يمكن أن تقوم فيها دولة، وخزينة الأردن هي جلالة الملك حسين، يطلع يشحت فلوس ويقوّم الدولة وإلّا ليس هناك دولة".

فليبيا مثل ذلك؛ في كل مراحل الإسلام كان جزء منها يتبع مصر وجزء منها يتبع ولاية إفريقيا التي هي تونس وما وراءها، واستمرت هكذا حتى فترة الدولة العثمانية، وبقيت هكذا في كل مراحل التاريخ الإسلامي إلى أن جاء الطليان عند تقاسم الدولة الغربية لأراضي المسلمين فأخذوها وجعلوها دولة، ثم ورثناها دولة الآن، دولة مساحتها مليون وتسعمائة وستين ألف كيلو متر مربع، يعني حوالي مليونيّ كيلو متر مربع، وفيها ثلاثة ونصف مليون نسمة!.

فعلى الهامش عندما نتحدث عن جدوى العمل نريد –إن شاء الله– أن نفتح عقول الشباب ونبيّن لهم أنه من الخطأ كون الواحد منّا يصرّ على العمل في منطقته ولو لم يكن فيها أي مقومات للعمل.

فنرجع إلى فترة سيدنا عمر –رضي الله عنه–، فتح المسلمون مصر وجزءًا من ليبيا واستمروا في فتوح الشام، وأصبحت هذه المعركة تمثل الجهد العسكري الأساسي، حتى أنّه سحب خالد بن الوليد –رضي الله عنه– من جيش العراق وأرسله للشام حتى ينصر أبا عبيدة في فتوح الشام، ودخل أبو عبيدة وخالد بن الوليد دمشق، دخلها خالد فتحًا وأبو عبيده صلحًا، حتى حصل فيها خلاف وجدال.

فالشاهد في الموضوع أن المعركة تبلورت بصورة أكثر في عهد سيدنا عمر، وكانت فترة حكمه اثني عشر عامًا (٦٣٤ – ٦٤٤) م، يعني (١٣– ٢٣) هـ. فكانت المعركة الأساسيّة هي معركة المسلمين ضدّ الروم.

ولنرجع للخريطة قليلًا حتى نرى كيف صارت حدود الدولة:

- في **مرحلة الرسول** ﷺ كان الإسلام في حدود الجزيرة.
- في **مرحلة أبي بكر** أخذ المسلمون قليلًا من جنوب الشام خاصّة الأردن وفلسطين.

- ثم **مرحلة عمر بن الخطاب** امتدّت الدولة، فضمّ العراق ومضى المسلمون باتجاه إيران، وضمّت مصر وجزء من ليبيا مع بلاد الشام ونصف تركيا الشرقية يعني بلاد كردستان كلها، ثم خرج المسلمون من جهة البحر الأسود إلى الشيشان وأذربيجان وأرمينيا، فُتحت أرمينيا في عهد عمر -رضي الله عنه-.

قام المسلمون بطلعة سريعة فدخلوا بلاد الشام؛ فتحوا حمص ثم حلب، أي ضموا سوريا، ثم عندما علم سيدنا خالد بن الوليد والمسلمون -رضي الله عنهم- أنّ الروم قد جمعوا لهم جيشًا ضخمًا، قاموا بقضية عسكرية عجيبة؛ هم كانوا قد أخذوا حمص وأخذوا الجزية من أهل حمص ونظموا الولايات والإدارات فعندما وجدوا أن سهول سوريا لا تصلح للقاء الروم قاموا وانسحبوا عن كل سوريا!.

وعندما قاموا لينسحبوا من حمص قالوا لأهلها: "نحن أخذنا منكم الجزية، ومن شروط الجزية أن نحميكم والآن نحن لا نستطيع حمايتكم، فهذه جزيتكم تفضلوا خذوها فنحن منسحبون". فكان هذا سببًا في دخول كثير من أهل حمص في الإسلام.

فأرجعوا لهم أموالهم وانسحبوا إلى وادي اليرموك على حدود الأردن عند نهر اليرموك الذي اتفق الأردنيون والإسرائيليون الآن أن يتقاسموه فيجعلوا قطعة صغيرة للأردن والباقي لإسرائيل، -وسنتكلم لاحقًا عن مشاريع التطبيع إن شاء الله-.

المهم حصلت (معركة اليرموك) وخسر الروم، ثم انتصر المسلمون على الروم في (معركة أجنادين) وكانت معركة فاصلة، وهناك كتاب اسمه (فتوح الشام) يمكن أن تقرأوا فيه، وهناك كتاب اسمه (فتوح العراق)، فهناك كتب عن مراحل الفتوح والغزوات والسير.

ففي زمن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أخذوا كل هذه المنطقة ووصلوا إلى آخر حدود الروم من طرف أذربيجان وأرمينيا، فأصبحت المعركة هي معركة بين الروم والمسلمين.

هذا عن مرحلة عمر التي انتهت في ٢٣ هـ -رضي الله عنه-، وطبعًا فارس ذهب معظمها في خلافة عمر وبقي منها جزء يسير قُضي عليه في مرحلة عثمان بن عفان.

قُتل سيدنا عمر -رضي الله عنه- في الحادثة المشهورة، وفعلًا كان قفلًا وبابًا يمنع الفتنة وكُسر، وبكسره بدأت مرحلة الخلافات والفتن والأَثَرة، حتى قال بعض الصحابة: لو صبر الناس على الأثرة لما كان حصل الذي حصل.

ولخطورة هذه المشكلة كان الرسول ﷺ يبايع الناس على السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله، يعني أن الأمير يؤثر غيري عليّ دون سبب؛ لأنه إذا خرج الإنسان ليطالب بحقه ويرفض الأثرة تصبح التّبعات على المجموع أكثر من الأثرة، فتبدأ الفتن.

فمنازعة الحكام والأمراء الشرعيين لمشاكل بسيطة ولو كانت عادلة يُسبّب خرابًا في أصل الإسلام ودولة الإسلام وديار المسلمين.

فقُتل سيدنا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– وجاءت مرحلة عثمان بن عفان.

- ففي **مرحلة عثمان بن عفان** –رضي الله عنه– قُضي على فارس وقُتل (يزدجرد) آخر كسرى في دولة الأكاسرة، وحصل ما تنبّأ به الرسول ﷺ عندما قال: (مزّق الله ملكه)، فتمزّق ملكه وابتلعته دولة الإسلام.

ودخل الفرس في الإسلام وتحقّقت نبوءات الرسول ﷺ عندما أخبر في بعض الأحاديث فقال: (لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَذَهَبَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ فَارِسَ –أَوْ قَالَ– مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ)[١٥٢]، ولو كان الحديث: (رجل من فارس) فلعله الإمام أبو حنيفة إذا كان من فارس.

فدخل الفرس في الإسلام وكان منهم كبار العلماء؛ كبار علماء اللغة، كبار علماء الفقه، كبار العلماء الحديث، ابن المبارك، الإمام أبو حنيفة، سيبويه إمام اللغة العربية.. إلخ، أسماء كبيرة وعظيمة جدًا، قال تعالى: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}[١٥٣]، فالعرب لم يكونوا {خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} بالدم والنسب وإنّما: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ **تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**}[١٥٤]، هذا السبب.

فإذا ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتركوا الجهاد في سبيل الله لا يعودون أهلًا لهذا الشرف الذي انتُدبوا إليه، مثلهم مثل غيرهم، وسبب شرفهم هو القيام بهذا الواجب..

*[١٥٥] أخبر الرسول ﷺ: (أن الله –سبحانه وتعالى– اختار من بني آدم العرب، واختار من العرب هاشمًا، ومن هاشم قريشًا، ثم اختار من قريش بني عبد المطلب، ثم اختارني منهم، فأنا خيار من خيار من خيار).

---

[١٥٢] صحيح مسلم (٢٥٤٦).

[١٥٣] سورة محمد، الآية: ٣٨.

[١٥٤] سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

[١٥٥] بداية تفريغ الملف العاشر.

فقضية الاصطفاء هذه هي للتكليف، أن الله -سبحانه وتعالى- اختار أقوامًا وأشخاصًا وأراضٍ، فجعل الكعبة أفضل مكان وأفضل بيت، وجعل اليمن فيها حكمة، وجعل الشام فيها بركة، وهكذا.

يقول تعالى: {وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم} في بعض التفاسير أن النبي ﷺ كان يجلس معه سلمان الفارسي، فوضع ﷺ يده على كتفه وقال: (هذا وقومه)[١٥٦]؛ أي: إن تتولّوا أيها العرب يستبدل قومًا غيركم؛ أي الأعاجم.

وهذا حدث عندما انتكست راية الإسلام في فترة بني العباس فانتقلت إلى الفرس، ثم انتقلت إلى الترك، وبقي الدفاع عن دين الإسلام ٧٠٠ سنة بيد الأتراك، ثم ٢٠٠ سنة في دولة الطوائف، و ٥٠٠ سنة في دولة بني عثمان. وبقي الأتراك هم حاملو الراية إلى أن ضعف الأتراك، ثم عاد الإسلام مرة أخرى إلى بلاد الأعاجم من بلاد الفرس والترك.

ففي تلك المرحلة دخل الفرس وكانوا جزءًا هامًا وأساسيًا من جغرافيا الإسلام، وتاريخ الإسلام وسياسة الدولة. وسوف نتكلم عن دولة بني العباس، وما حصل فيها من مشاكل عرقية وطائفية.

فعندما انتهى المسلمون من فارس وصلت المعركة إلى صورتها الطبيعية والنهائية، فلم يبقَ في الميدان أمام المسلمين إلا الروم، وأصبحت المعركة من زمن عثمان -رضي الله عنه-: (**الإسلام ضد الروم**)، وهذه المعادلات تهمّنا جدًا.

في مرحلة عثمان بدأت غزوات البحر؛ فغزوا جزر البحر المتوسط، وفي منتصف مرحلة عثمان بدأ الغزو يخبوا وظهرت الأَثَرة وأقبلت الدنيا، حتى أنّه في من زمن عمر بن الخطاب حُمل إيوان كسرى، وكان فيه سجادة واحدة، قطعة واحدة على قدر الإيوان كله، مصنوعة من الحرير ومزركشة بالذهب والفضة والمجوهرات، وكان التاج ثقيلًا جدًا جدًا، محمولًا بالسلاسل إلى سقف القصر، فيأتي كسرى يجلس تحته!، فعلى ما فيه من الضخامة وما به من الذهب والمجوهرات قُسّم كله قطعة قطعة، حتى جاؤوا بهذه السجادة العظيمة وقطّعوها قطعًا ووُزّعت على الناس في الغنائم.

ففتحت الدنيا حتى جاء رجل إلى عمر بن الخطاب بصحن كبير من مجوهرات كسرى يحملها طوال الطريق، ووضعها أمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال: (إن رجالًا أدوا إلينا هذا لأُمناء)، يعني من يأتي بكل هذه المجوهرات كل هذه المسافة ويضعها في بيت المال يجب أن يكون أمينًا، لأنها تغريه أن يأخذها.

فعندما جاءت مرحلة عثمان كان الخير قد دخل على المسلمين كما بشّرهم الرسول ﷺ وقال: فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لاَ الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ

---

[١٥٦] أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧١٢٣) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠١٧). ونصّه: [عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد: ٣٨]، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتُبْدِلُوا بِنَا، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَنَا؟ فَضَرَبَ عَلَى فَخِذِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا وَقَوْمُهُ لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسٍ»].

قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ)[١٥٧]، أي أن تتنافسوا الدنيا كما تنافسها النصارى واليهود وأهل الدنيا فتُهلككم كما أهلكتهم؛ **فالمال والنساء أسباب فناء الحضارة**، وهكذا كان في أهل الإسلام كما في غيرهم.

المهم في مرحلة عثمان حصلت بعض الأثرة وبعض الخلاف والشِّقاق؛ بدايةً بين بعض أبناء الصحابة، ثم كانت السبئيّة وعبد الله بن سبأ ومن معهم من بعض الفرس الذين دُمّرت مملكتهم ودخلوا في الإسلام كُرهًا وبعض الموالي.

ومن عبقرية عمر أنه كان يمنع إدخال الموالي الأعاجم إلى المدينة، وكان يريد أن تبقى المدينة صفوًا لخلاصة أبناء الصحابة حتى لا تتأثر وتبقى الجزيرة صافية. وهو أخرج النصارى كما قال الرسول ﷺ: (لئن عِشتُ إلى قابل لأُخرجنَّ اليهود والنصارى)[١٥٨] وقال: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)[١٥٩]، وقال: (لا يُترك بجزيرة العرب دِينان)[١٦٠] وهذا في (صحيح البخاري)، فعمر بن الخطاب نفّذ وصية الرسول ﷺ، وحمل ما بقي من نصارى نجران وأبدلهم عن أرضهم في الجزيرة أرضًا في أذرع في جنوب الشام، أعطاهم أرضًا أفضل منها حتى يرضوا ويخرجوا.

وهنا هامش يهمنا جدًا في المعركة: **لماذا يجب أن تبقى جزيرة العرب للمسلمين فقط، ولا يدخل فيها دين آخر؟**

هناك حِكم وأسباب كثيرة، من الأسباب التي تصوّرها العلماء -ولم يتصوروا أنه كان سيظهر البترول والأموال- قالوا حتى **تكون صفوًا لأهل هذا الدين**، لا يعكّر عليهم وجود أي شيء يشوّش عليهم معتقداتهم، ولا نرى ظاهرة من ظواهر الأديان الأخرى، فتبقى صفوًا لأهل الإسلام.

ومن الأشياء التي وقعت في نفسي، لم أقرأها ولكن استنبطتها وأعتبرها من الحِكم: **أن فيها بيت مال المسلمين؛** فيجب ألَّا يشاركهم فيه أحد، لأن الرسول ﷺ انتدب الناس للجهاد، وانتدبهم للعبادة، وانتدبهم للدعوة، فحتى يتفرَّغ الإنسان لكل هذه الأمور من أين سيتكسَّب؟

كثير من المسلمين لم يكن عنده وقت ليعمل، الرسول ﷺ ندَّد بالزراعة ووجد سكّة مِحراث، فرفعها وقال: (ما دخلت دار قوم إلا دخلها الذلُّ)[١٦١]؛ فهذا فيه نوع من الزَّجر عن العمل بها، مع أنه يوجد أحاديث في إعمار الأرض، لكن

---

[١٥٧] صحيح البخاري (٣١٥٨)، صحيح مسلم (٢٩٦١).

[١٥٨] صحيح مسلم (١٧٦٧).

[١٥٩] صحيح البخاري (٣٠٣٣)، صحيح مسلم (١٦٣٧).

[١٦٠] مسند الإمام أحمد (٢٦٣٥٢)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط صحيح لغيره.

[١٦١] الحديث رواه البخاري (٢٣٢١) بلفظ: (عن أبي أمامة الباهلي قال ورأى سكة وشيئا من آلة الحرث فقال سمعت النبي ﷺ يقول لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل).

هذا لعموم المسلمين من مواليهم وعبيدهم وهكذا، ولكن شعار أهل الإسلام هو الدعوة والجهاد، ومن هنا جاء عمر بن الخطاب بتحريق المحصول الذي زرعه المجاهدين في فلسطين، فحرق المحصول وقال لهم لا تزرعوا.

والتجارة التي هي من الأعمال الشريفة، قال الرسول ﷺ في الزجر عنها: «إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَيْسَ قَدْ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ، وَيَحْلِفُونَ، وَيَأْثَمُونَ»[١٦٢]، فهذا جعلهم فجّارًا إلا النادر وهو من برَّ وصدق.

فإذا كان عموم رجال أهل الإسلام سيعملون في الغزو والدعوة، فمن أين سيأكلون ويشربون؟ يجب أن يكون بيت المال عامرًا، من أين سيكون عامرًا؟ من موارد الدولة، ما هي موارد الدولة الإسلامية من أين تأتي؟

إذا فتحت كل كتب السياسة الشرعية وتنظيم وتقسيم المال تجد أن موارد الدولة الإسلامية الأساسية من الجهاد، وكتب السياسة الشرعية الأساسية التي يجب أن تقرأوها هي:

- كتاب (السياسة الشرعية) لابن تيمية مطبوع لوحده وهو جزء من (مجموع الفتاوى).
- كتاب (الطُّرق الحكميَّة) للإمام ابن القيم أكبر منه وفيه تفصيل.
- ومنها أشهر كتابين في السياسة الشرعية: كتاب (السياسة الشرعية) لأبي الحسن الماوردي كُتب في مرحلة الدولة العباسية، وكتاب (السياسة الشرعية) لأبي يعلى الفرَّاء. ويبدو أنه حصل من الكتَّاب تداخل، لأن هناك صفحات كثيرة من الكتابين هي نفسها، أو أن أحدهما أخذ من الثاني، لكنهما كتابان جليلان جدًا باستثناء صفحات قليلة جدًا من توليَّة النصارى.
- كتاب الإمام الجويني في العصر المتأخر في دولة الطوائف في القرن الخامس اسمه (غياث الأمم في التياث الظلم).

هذه الكتب الأساسية الخمسة؛ لأن بعد ذلك كل الكتب بَنَت عليها.

فالشاهد في كل كتب السياسة الشرعية تجد أن من أهم مهمات أمير المؤمنين هو تقسيم المال؛ تحصيله وتوزيعه، فبيت المال موارده الأساسية في كل كتب السياسة الشرعية هي من الفتوح وأراضي الفتوح ومن الفيء والغنيمة، ثم العشور وهي نوع من الجزية تؤخذ من التّجار غير المسلمين الذين يعبرون دار الإسلام، وجزء من زكاة مال المسلمين.

---

[١٦٢] مسند الإمام أحمد (١٥٥٣٠)، مستدرك الحاكم (٢١٤٥) صححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة.

فثروات المسلمين هي من أهم موارد بيت المال، وقد حسبت لكم في دروس سابقة أن عندنا مليار مسلم ومليار دولار تأتي يوميًا من النفط فقط، يعني عندنا دولار في اليوم للشخص، يعني ٣٠ دولارًا في الشهر، يعني عائلة من خمسة أفراد أب وأم وثلاث أطفال لهم ١٥٠ دولارًا، فهذه تكفيه للعيش في بلاد الفقر ولا يضطر للسفر للعمل.

ولذلك هنا يحضرني من عقلية عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– العجيبة الفذَّة أنه لما فُتحت العراق وقُسّمت الغنائم، وجد أنّه لو قسّم سواد أراضي العراق –كل هذه الأراضي الزراعية– على القوّاد، فمن أين يأكل الناس؟ وماذا سيبقى للمسلمين؟ فقسَّم عليهم غنائم الفتح، أما سواد العراق فله –رضي الله عنه– فيه كلام عظيم جدًا، قال القائل: سمعت عمر –رضي الله عنه– يجمع الصحابة لينظروا في أمر هذه الأموال والأراضي.

فلو وُزّعت هذه الأراضي الكثيرة على ٤٠ واحدًا لصاروا إقطاعيين، واحد يمسك لبنان، وواحد يمسك نصف سوريا والآخر يمسك ربع العراق، فكيف بباقي أهل الإسلام؟ مع أنّها لم يكن فيها نفط بل هو توزيع لغنائم الحروب فقط، هذه المدن والقرى والأراضي فيها موارد.

من أسباب حرب الخليج أنه يوجد في جنوب العراق ٣٠ مليون شجرة نخيل مثمرة، من أفضل أنواع التمور، فمال عليها القصف وأحرق كثيرًا منها؛ لأن التمور لوحدها تشكّل غذاءً كاملًا، في الحديث قال الرسول ﷺ: (أَكْرِمُوا عَمَّتَكُمُ النَّخْلَةَ، فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الطِّينِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ آدَمُ، وَلَيْسَ مِنَ الشَّجَرِ يُلْقَحُ غَيْرُهَا)[١٦٣]، فيها تركيب الإنسان، فهذه أحرقوها.

فلما فُتحت كل هذه الأراضي ووجد عمر النيل والفرات وكل هذه الأراضي، جمع الصحابة وقال: "اجتمعوا لهذا المال فانظروا لمن ترونه، وإني سمعت الله يقول: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ}[١٦٤] إلى قوله تعالى: {أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}[١٦٥]، وقوله: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ}[١٦٦]، إلى قوله: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ}[١٦٧]،

ثم يقول: والله أن هذا المال المذكور في الآية للمؤمنين الصادقين، فقد ذكر في الآية المهاجرين والأنصار، ثم الذين جاؤوا من بعدهم"؛ فاستنبط بدقة فقهه –رضي الله عنه– وعقليته العجيبة، "والله ما من أحد المسلمين إلا له حق في

---

[١٦٣] مسند أبي يعلى الموصلي (٤٥٥)، يقول المحقق حسين سليم أسد: إسناده ضعيف.
[١٦٤] سورة الحشر، الآية: ٦.
[١٦٥] سورة الحشر، الآية: ٨.
[١٦٦] سورة الحشر، الآية : ٩.
[١٦٧] سورة الحشر، الآية: ١٠.

هذا المال أُعطي منه أو مُنع، حتى راعٍ بعَدَن"[168]، حتى الراعي الجالس في عدن ليس له علاقة بالفتوح، له حق في هذا المال الذي خرج من فتوح العراق، وذراريهم لهم حق في هذا المال.

لأنه من أكبر الفساد الذي نزل في بلاد المسلمين -كما ذكرت لكم- **هو سوء توزيع الثروة**؛ زرع الأحقاد، وزرع الغنى فأبطر في مكان، وزرع الفقر في مكان آخر، وكاد الفقر أن يكون كفرًا، ناس كفرت بالغنى وناس كفرت بالفقر لسوء توزيع الثورة.

وفي بعض الروايات يقول عمر: "والله لئن بقيت لكم ليأتينَّ الرَّاعي من جبل صنعاء حظَّه بهذا المال، وهو يرعى في مكانه"[169]، يعني إذا بقيت لكم سأُريكم تقسيم المال حتى يأخذ الراعي بصنعاء لا علم له بالفتوحات حظَّه من هذا المال.

وفي رواية أخرى يقول: "لئن عشت ليأتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه منها لم يعرق فيه جبينه"[170].

"لئن عشت ليأتينَّ الرَّاعي وهو بسرو حِمير -في اليمن- نصيبه منها لم يعرق فيها جبينه، وما على الأرض مسلم إلا وله في هذا الفيء حق أُعطيه أو مُنعه إلا ما ملكت أيمانكم"؛ أي إلا العبيد ليس لهم حق لأنهم مملوكون، ولكن باقي المسلمين كلهم لهم حق في سواد العراق.

فإذا كان هذا في بعض الأراضي الزراعية، فماذا تقول في النفط والغاز والحديد واليورانيوم؟!

باكستان تسبح على بحر من اليورانيوم، طاجكستان منجم يورانيوم، لذلك ترك الاتحاد السوفييتي كل الأراضي وبنى له قاعدة نووية في طاجكستان. فهذه الخيرات كلها يجب أن تعود.

فسيدنا عمر -رضي الله عنه- وضع هذه القوانين، فرأيت في ذهني أن من حِكم أن تكون الجزيرة العربية لأهل دين واحد حتى لا يُشاركهم في دينهم أحد، ولا يشوّش عليهم أحد، ولا يقاسمهم مالهم أحد، فهذا البترول موجود تحت رجله كلما احتاج منه أخذ ليسد مصارف المسلمين.

يكفي أنه من بترول الجزيرة وحدها -دون العراق والجزائر وغيرها- يخرج ٢٠ مليون برميل بترول يوميًا، أي مليار دولار على سعر الخمسين دولار للبرميل، فإذا ملكنا القوة العسكرية وفرضنا سعر النفط على سعر باقي بضائع التكنولوجيا،

---

[168] روى الشيخ هذه الآثار بالمعنى، انظر (كنز العمال) للبرهان فوري عند باب أحكام الجهاد-الأرزاق والعطايا، ومن هذا (١١٦٥٥): عن عمر قال: لولا أن أترك الناس ببانا ليس لهم شيء ما فتحت علي قرية إلا قسمتها كما قسم النبي ﷺ خيبر، ولكني أتركها خزانة لهم.

[169] أخرج الإمام البرهان فوري في (كنز العمال): (١١٦٤٦): عن عمر قال: لئن بقيت لأجعلن عطاء الرجل أربعة آلاف: ألف لسلاحه، وألف لنفقته، وألف يخلفها في أهله، وألف لفرسه.

[170] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للإمام علاء الدين البرهان فوري (١١٦٩٨).

وأصبح سعر النفط بمائتي دولار، اضرب عشرين مليونًا بمائتين وانظر الرقم الذي ينتج معك، أربعة مليار دولارًا إذا صار بالسعر الطبيعي!.

فهذا كله ضائع ونعيش نحن نتغذى على القليل والناس تموت من الجوع!.

فسيدنا عمر تنبه لهذا الأمر، ووضع قوانين لتوزيع الغنائم، ثم أقام مدنًا عسكرية سماها جند الشام، جند طرابلس، جند حلب، جند قنّسرين، جند دمشق، حتى يفصل الأجناد وعائلات الأجناد، والمدن العسكرية عن باقي الناس، حتى يعيشوا في صفوة كعسكريين؛ محترمون، لهم مدن بمفردهم، مع عوائلهم، تقوم لهم تجارة، ولهم أسواق وتقوم لهم مدن، مثل هؤلاء الانكشاريين أهل الحرب، هذا تأسس من زمن عمر –رضي الله عنه–.

ففي زمن عمر ابتدأت المعركة مع الفرس وكادوا ينتهون، وصارت مع الروم، وفي زمن عثمان أصبحت المعركة مع الروم فقط، ثم جاءت الفتنة المحزنة المصيبة، ووُضع السيف كما أخبر الرسول ﷺ في أمة الإسلام عقوبة على هذا التنافس على الدنيا.

لما قال الرسول ﷺ: (سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا)[١٧١]، فهذا من عقوبة ومِحن أهل الإسلام.

فوُضع السيف في أهل الإسلام وحصلت الفتنة، سيدنا عثمان –رضي الله عنه– حكم من (٢٣–٣٥)هـ الموافق (٦٤٤–٦٥٥)م. ثم جاء علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وبقي خمس سنوات (٣٥–٤٠)هـ، الموافق (٦٥٥–٦٦١)م، ٦٦١م قُتل سيدنا علي –رضي الله عنه–.

في مرحلة علي –رضي الله عنه– عندما تقاتل الناس وقفت الفتوح ووقف الغزو ووقفت الأمور على حالها، وأحب قيصر الروم أن يستفيد من الفتنة في بلاد المسلمين، وأراد الروم أن يتحركوا، وكان معاوية –رضي الله عنه– في الشام، وكان داهية، دهاة العرب المعروفون أربعة: معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه–، عمرو بن العاص –رضي الله عنه–، المغيرة بن شعبة –رضي الله عنه–، وزياد بن أبيه من التابعين.

هؤلاء الدهاة الأربعة كلهم كانوا في معسكر معاوية، فكانت من الأسباب التي جعلت هذا المعسكر ينتصر، عقولهم تعمل بشكل جيد، وجيشهم متماسك، وابتُلي سيدنا علي كما ابتُلي سيدنا موسى بجيشه وقومه، أمة تافهة، كما ابتُلينا نحن بهذه الأمة التي نعيش فيها الآن.

---

[١٧١] صحيح مسلم (٢٨٩٠).

وكان ابتلاء سيدنا موسى الأكبر مع بني إسرائيل، يتركهم قليلًا فيعبدوا العجل، يقول لهم: ادخلوا الأرض التي كتب الله لكم فقالوا: لا، اذهب أنت وربك فقاتلا، هؤلاء أناس لا يتحرّكون فتعب معهم جدًا جدًا، فكان بلاؤه من قومه.

وجاء سيدنا علي نفس المشكلة، خرج إلى العراق فكان أهل الكوفة وأهل العراق وأهل الفتح أمة تعيسة تعبانة، حتى أن النصوص المنسوبة لعلي بن أبي طالب مجموع بعضها في كتاب (نهج البلاغة)، عنَّفهم مرة تعنيفًا شديدًا حتى قال لهم: "يا أشباه الرجال ولا رجال، ملأتم قلبي قيحًا"، أنتم المصيبة!، قال لهم: "انظروا إلى تجاذب أهل الباطل بباطلهم، وانظروا إعراضكم عن حقّكم، تقولون لا رأي لي بالحرب".

كما يحدث مع كل الناس؛ يأتي واحد يقول: "فلان لا يفهم بالجهاد"!، تضطر أن تقول له: "أنا لما حملت البارودة كنت تلبس الحفاظة!". يقولون الآن: "فلان يفهم، وفلان لا يفهم، فلان أقوده، وفلان لا أقوده"، هذا الكلام قيل لعلي بن أبي طالب، فقال: "تقولون لا رأي لي بالحرب، ويحكم ومن للحرب إلا أنا؟! حملت راية رسول الله ﷺ ولي من السنين عشرون، فكيف بي وقد بلغت الستين؟!".

فالمهم أنهم أتعبوه جدًا، وكان سبب خسارة فريق علي –رضي الله عنه– بالحرب هو تفاهة الجيش.

الذي يهمنا في النظام الدولي أن قيصر الروم همّ بالمسلمين، ولكن كان معاوية –رضي الله عنه– داهية، فأرسل له كلمتين، قال: "سمعت أنكم تتحركون إلينا، فوالله إن لم تكفّ لأصطلحنَّ مع ابن عمي ونجمع الجيشين ونأتيك"، فارتبك قيصر الروم، وظن أنه إذا دخل سيحلون المشكلة التي بينهم، فكفَّ عن المسلمين.

ولا أدري لماذا لم ينفذها –رضي الله عنه–؟!، لو كانوا اصطلحوا ثم قاتلوا الروم، ولكن سبحان الله الفتن! نسأل الله العافية، عندما تقرأها ينقلب رأسك.

خلاصة الفتنة وهو ما لخصّه ابن تيمية –رحمه الله– وهو ما قرَّره أهل السنة، أن الحق كان مع سيدنا علي –رضي الله عنه– والنصوص في ذلك واضحة، ومعاوية –رضي الله عنه– ومن معه كانوا فئة باغية، وهذا لا ينفي عنهم الإيمان والإسلام، قال تعالى: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا}[172].

وفي الحديث عن الحسن –رضي الله عنه– قال الرسول ﷺ: (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[173]، وهذا حصل سنة ٤١ هـ.

لما قُتل علي بايع أصحابه الحسن، وأصبح معظم الصحابة يرى الخلافة للحسن، في حين معاوية وأصحابه في الشام، وبعد أن بايع الصحابة الحسن سنة ٤٠ هـ، وكان حكيمًا لبيبًا رضي الله عنه، ولأن القضية قد طالت جدًا، وأهل

---

[172] سورة الحجرات، الآية: ٩.

[173] صحيح البخاري (٢٧٠٤).

الشام منظّمون، ولو كان هو على الحق، وجيشه لما أخبره الناس بمقتل علي –رضي الله عنه– دخل بعض أصحاب علي وسحبوا البساط من تحت الحسن، ودفعوه وطعنه واحد منهم بسكين في صدره!، فماذا هذا الجيش الذي سيقاتل بهم وهم يتقاتلون معه على البساط؟!

فكان الفريق الذي معه ليس صالحًا فرأى أن يصالح معاوية، فعرض على معاوية الصلح، فاجتمع المسلمون على بيعة معاوية، وبُويع معاوية وابتدأت دولة بني أمية سنة ٤١ هـ. وسمّيت تلك السنة –سنة ٤١هـ– لما اصطلح الحسن مع معاوية (عام الجماعة).

قيل أن الحسن اشترط على معاوية أن تُردّ الأمور شورى بين المسلمين، ولكن بني أمية ما نفذّوا هذا، وكان ذلك من أسباب خروج الحسين؛ أن معاوية لم ينفّذ الاتفاق الذي تمّ مع الحسن، ولم يردّها شورى بل ولى ابنه يزيد.

الشاهد أن سيدنا الحسن ولي بعد سيدنا علي الذي قُتل في سنة ٤٠ هـ. وما كان هناك أي معارك مع النظام الدولي. فبعض المستشرقين الذين يزعمون أنهم ثوريون وحتى الشيعة لا يحترمون ذرّيته كثيرًا، فحصروا الإمامة في ذرية الحسين، وفي بعض كتبهم تجد أنهم يطعنون به لأنه صالح بني أمية.

تاريخ المسلمين والروم خلال مرحلة الخلافة الأمويّة:

الشاهد أن الحسن بايع معاوية، فأصبح المُلك في بني أمية، **فبدأت مرحلة بني أمية**. وأول شيء عملوه أنهم نقلوا الخلافة من المدينة التي كانت عاصمة الإسلام إلى دمشق، فأصبحت دمشق عاصمة الإسلام، ثم بقيت مدة حكم معاوية ١٢ سنة تقريبًا، ثم بعد ذلك خرج على الناس بأول مشكلة وقعت في الإسلام وامتدّت إلى أيامنا هذه، وهي قضية بيعة يزيد، وكانت أول مشكلة في الإسلام وهي تحويل الشورى إلى ملك عضود.

فانتهت مرحلة الخلافة ثم أصبحت ملكًا عضودًا، قال الرسول ﷺ: (الخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ عَامًا، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ الْمُلْكُ)[١٧٤] عدَّ المؤرخون الخلافة من زمن أبي بكر –رضي الله عنه– إلى مقتل علي –رضي الله عنه– فوجدوها ثلاثين سنة بالتمام والكمال.

وفي حديث حذيفة: (تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ

[١٧٤] مسند الإمام أحمد (٢١٩١٩).

اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ)"[175].

فبدأ الملك العضوض، ومن فضائل مرحلة معاوية –رضي الله عنه– أنه منذ أن كان والي دمشق دفع الناس للغزو، وخرجت سرايا البحر، وعندما أصبح الخليفة تابع الفتح، وفتح عددًا من الجزائر منها قبرص، وكان على رأس بعض السرايا ابنه يزيد، ولهذا بعض الناس ممن يدافع عن يزيد ينزّل عليه حديث النبي ﷺ: (أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا)[176]، كما في بعض الحديث عن الصحابية أم حرام بن ملحان التي بشرها النبي ﷺ أنها تركب البحر، فكانت في هذه السرية، وكان قائدها يزيد بن معاوية، ولذا دافع بعض العلماء عنه، لأنه قائد السرية التي قال الرسول ﷺ أنها مغفور لها.

الشاهد أن بني أمية تابعوا الغزوات على الروم، ومن أفضل ما يميز بني أميّة أنّ ٩٩% من أراضي الإسلام التي فُتحت عنوة بالسيف والجهاد فُتحت في عهدهم، فاستمرّ بنو أمية في مجموعهم في الفتوح، ففتحوا السِّند، وفتحوا شمال الهند من الشرق، ووصلوا إلى حدود الصين، وفتحوا كشغر ودخلوا تركستان.

فتحوا كل هذه المناطق، وكل آسيا الوسطى، ودخلوا سمرقند وترمذ وهذه البلاد شمالًا. ثم استكملوا الفتح من آسيا الصغرى، وامتدوا امتدادًا عظيمًا، فأخذوا شمال إفريقيا عن طريق عقبة بن نافع، ثم تابع إلى أن أخذوا الأندلس إلى نصف فرنسا. فوصلوا إلى منتصف فرنسا، إلى مدينة تور حيث (معركة بواتييه)، فأصبحت إمبراطورية الإسلام من الصين إلى البحر. هذا كله في مرحلة بني أمية.

حتى أن عقبة بن نافع لما وصل إلى آخر مراكش هنا بالبحر، خاض البحر بالفرس وكان اسمه (بحر الظلمات) على أساس أنه نهاية الأرض، حيث كانوا يتصورون أن الأرض مسطَّحة يحيط بها البحر، فقال: "اللهم إنك تعلم أنا لو كنا نعلم أن وراء بحرك هذا بشرًا لذهبنا إليهم".

وبعد فترة جاء موسى بن نُصير ومولاه طارق بن زياد فعبروا البحر إلى الأندلس وإلى نصف فرنسا، حتى مدينة مرمرة – أنا جلست فيها ستة أشهر–، إلى مدينة تور وسط غرب فرنسا، كل هذا أخذه المسلمون في عهد الأمويّين. حتى أنّ هذا كان أهم الملامح في تاريخ بني أمية.

تحدثنا عن علاقة المسلمين بالنظام الدولي في مرحلة الرسالة ومرحلة الخلافة الراشدة، فماذا كان من شأن الروم، ماذا حدث مع الروم من مرحلة البعثة إلى مرحلة بني أمية؟

[175] مسند الإمام أحمد(١٨٤٠٦).

[176] صحيح البخاري (٢٩٢٤).

الروم حصل معهم كما حدث تقريبًا مع الإسلام؛ الروم كانوا إمبراطورية هرِمة ومشاكلها كثيرة من دخول الدنيا والصراع على الملك، فالذي حصل أمر تاريخي مهم، حصلت هِجرات بشريَّة، تضخمت القبائل وأصبحت كثيرة في وسط آسيا في التِّبت ومنغوليا، فهاجرت دفعات إلى أوربا وأخذوا أراضٍ من قوم آخرين. فالأقوام الآخرون فرّوا منهم ودفعوا أقوامًا آخرين..

فهؤلاء الأقوام الآخرون دفعوا مجموعة في الناس في الشمال وهم (الفايكينج) الشقر البيض أصحاب العيون الزرقاء الطوال الضخام، الذين ترونهم في بعض الأفلام ويضعون لهم قرونًا، وكانوا أولي بأس وأمة محاربة شديدة، فذهب برابرة وسط آسيا وشمال آسيا ودخلوا شمال أوروبا، فدخلوا إلى السويد والنرويج ونزلوا أوروبا من بحر الشمال، وكان أوروبا تحت حكم الروم، فبدأت مشاكل البرابرة في الشمال مع الروم.

فهاجم الروم البرابرة في القرن الثالث والرابع الميلادي، وكانوا أمة محاربة شديدة ذات بأس شديد، حتى أن عندهم أن المرأة للولادة والعمل والحقل وكل شيء، والرجل للقتال، حتى يجب أن يموت الرجل في القتال، وإذا بلغ الستين أو السبعين ولم يمت فيجب عليه في دينهم أن يأخذ السيف ويذهب إلى جبل عالٍ ويطعن نفسه بالسيف، حتى يموت بالسيف.

فهؤلاء بهذه العقلية شكّلوا جيوشًا حتى خرج منهم ملك اسمه (أتيلا)، تسمعون عنه في الأفلام، وكان له راية عليها خنجر، فأحد رعاته رأى الخنجر مغروسًا في الأرض فاعتبرها كرامة وإشارة من آلهته أنه ينبغي أن يثقب الأرض ويحرقها، فعمل راية عليها خنجر مطعون في الأرض وكتب عليها: "الأرض التي تطؤها خيلي لا ينبت فيها العشب"، هذا كان شعار الدولة.

فهاجم روما بربع مليون فارس غير المشاة، فبدأوا يهاجمون الإمبراطورية الرومانية من الشمال إلى أن جاء أحد الأباطرة فوجد أنه لا حل معهم، فاتفق مع ملوكهم أن يجلسوا يزرعوا ويفلحوا الأرض ويكونوا مجاورين للإمبراطورية الرومانية شمال نهر الدانوب.

نهر الدانوب يمر بسبع دول أوروبية، فاستوطنوا هناك فترة، ولما رأوا الإمبراطورية الرومانية ضعيفة غزوها وأسقطوا روما، وبدأوا يتدفّقون نحو غرب أوروبا، ولم تستطع الإمبراطورية الرومانية إلا أن تدافع عن شرق أوروبا وأصبحت عاصمتها (القسطنطينية).

فسقطت روما وأصبحت القسطنطينية عاصمة الروم، وباعتبار هؤلاء الفرنجة قبائل أيضًا، نزلت كل مجموعة منهم على بلد، فكانت من قبائلهم (السلاف) التي نزلت تشيكوسلوفاكيا، ومنهم (التشيك)، ومنهم (الجرمان) أجداد الألمان،

ومنهم (الفرنجة)، ومنهم (الغال) الذين هم أجداد الفرنسيين، ومنهم (القوط)، ومنهم (الوندال). والوندال الذين نزلوا في أسبانيا، ولذلك سُميت (بلاد الوندال) وفي لغتهم اللاتينية وندالوس تعني (بلاد الأندلس).

فنزل القوط ودفعوا الوندال، فنزل الوندال شمال أفريقيا، فاختلطوا مع العنصر العربي والبربر، ومنهم برابرة شمال أفريقيا، هؤلاء جاؤوا من وسط آسيا إلى هنا فنزلوا شمال إفريقيا، وكان منهم النسل الأشقر المتميز، وهذه الأشكال شمال أفريقيا هي نتيجة الهجرة والسلالات، لاختلاط الأعراق كما حدث معنا نحن في الشام، وجود الروم ووجود الإغريق ووجود الفرس ووجود العرب، فاختلطت الأجناس.

فالشاهد أن هذه القبائل نزلت من شمال أوروبا، ثم فيما بعد تشكّلت منهم الدول الأوربية، وانكمشت الإمبراطورية الرومانية إلى شرق أوروبا، يعني أنها امتدت في أوروبا الشرقية وأصبحت عاصمتها القسطنطينية.

المسلمون عندما دخلوا الأندلس كان فيها القوط، وكان الغال في فرنسا، وبدأت دولة الفرنجة فيما بعد، وكان هناك أيضًا الطليان والجرمان والسلاف، وبعض هؤلاء الناس دخلوا إلى بريطانيا أيضًا، ولذلك شرق أوروبا يتكلم بلغة لها أصول، وغرب أوروبا يتكلم باللغة التي أصولها لاتينية، وشمال أوروبا يتكلم باللغة التي أصولها من هؤلاء، والفرنجة والبرابرة في الشمال.

الشاهد أن الإمبراطورية الرومانية صارت في نهايتها، حتى أن بعض القساوسة اعتبروها نهاية العالم، وأنها قد قربت القيامة بسقوط روما، لم يتخيلوا أن هذه الإمبراطورية التي استمرت ١٥٠٠ سنة سوف تسقط! فأسقطها البرابرة، وسقطت أوروبا، وأصبحت الإمبراطورية الرومانية هي بهذه الحدود التي تواجه دولة الإسلام، شرق أوروبا إلى اليونان إلى البحر الأسود هذه أصبحت روما.

وهنا بدأت تقوم دولة القياصرة، وبدأ ينتشر المذهب الأرثودوكسي هنا، والمذهب الكاثوليكي من مذاهب النصارى، هذا في مرحلة بني أمية.

فبنو أمية في بداياتهم غزوا القسطنطينية، وكان معهم بعض الصحابة مثل أبو أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- الذي وصل إلى القسطنطينية وتوفي هناك، وقبره الآن موجود فيها قرب اسطنبول، وبسبب حديث الرسول ﷺ وبشراه بفتح القسطنطينية حاول كل المسلمين فتحها، من أول بني أمية إلى البقية.

فوصلنا إلى بني أمية والحالة هكذا، الإمبراطورية الرومانية قد انكمشت، والمسلمون أخذوا منها شمال أفريقيا والشام، يعني خلاصة الإمبراطورية أخذوها منها، والبرابرة أخذوا غرب أوروبا، وأهل غرب أوروبا لم يكن عندهم هم في حرب المسلمين إلى أن دخل عليهم المسلمون الأندلس فأصبحوا على تماسّ معهم، لكن الحرب الأساسيّة كانت في القسطنطينية، وسمُّوا (الروم البيزنطيين)، أو سميت بيزنطة، وهي تعني الروم الشرقيين وعاصمتها القسطنطينية.

ونتيجة التَّماس دول غرب أوروبا مع المسلمين نشأت الحركة الصليبية، ومنهم نتجت الحملات الصليبية فيما بعد، فأصبح عندنا نوعان من الروم: روم غرب أوروبا –التي أرسلت الحملات الصليبية–، وروم بيزنطة. وصار هناك تحالف صليبي بين البيزنطيين الروم مع ممالك غرب أوروبا؛ مملكة بريطانيا، مملكة الأندلس، مملكة فرنسا، ومملكة ألمانيا وهكذا، هذا كان الوضع إلى أن وصلنا إلى بني أمية.

بدأت دولة بني أمية مع معاوية –رضي الله عنه– في سنة ٤١هـ، واستمرت إلى سنة ١٣٢ هـ، ٩٥ سنة. وكان من أبرز معالمها ما يلي:

معاوية ثم يزيد ثم أظن معاوية الثاني، ثم بسرعة خرج المُلك من أسرة إلى أسرة وهم أولاد عمّهم وهم بنو مروان. مروان أتى بابنه عبد الملك، عبد الملك بن مروان.

جاء عبد الملك بن مروان فابتدع بدعة جديدة، جمع العلماء وأخذ بيعة لأبنائه الأربعة مع بعضهم البعض، وليس لواحد، فقال يخلفه هشام بن عبد الملك، ثم الوليد بن عبد الملك، ثم سليمان بن عبد الملك، ثم يزيد بن عبد الملك، فبقي الملك بهذه الصورة، وتابعوا الفتوح، وأحدثوا مشاكل.

عبد الملك بن مروان هو مؤسس بني أمية، هو العقلية الإدارية في بني أمية، فعل أفعالًا شبيهة بالتي فعلها عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–. أول شيء عمله أنه عرَّب الدواوين، وهذه كانت مهمة، وكانوا يحسبون بالسريانية ويحسبون بالفارسية، ويكتبون بلغات البلاد المفتوحة لأنه لم يكن عندهم حضارة ولا علوم، فعرّب الدواوين كلها. ثم نظَّم البريد، ونظَّم مرتبات الدولة، ونظم هيكل الدولة، وأصبحت الدولة دولة عظمى في عهد عبد الملك بن مروان.

عبد الملك تولَّى وهو شاب صغير في السن، وبقي في الحكم حوالي ٢٠ سنة أو ما يقرب من هذا مع أنه توفي صغيرًا وعمره ٤١ سنة. ومما يُذكر عن هذا الرجل أنه كان وعبد الله بن الزبير يلقبَّان بحمامتي المسجد؛ كانا من طلاب العلم الكبار، فلما تولى الملكَ خرج عليه عبد الله في هذه المرحلة.

فجاء معاوية بيزيد، ويزيد حسب معظم الروايات –ويبدو أنها الأصحّ– كان فاسقًا، حتى قرأت في تفسير ابن كثير أثرًا عن الحسن البصري، لا أدري صحة الحديث، لكن تأخذ منه مشكلة يزيد: قال: "أربعٌ فعلهن معاوية لو لم يفعل إلا واحدة منهن لكانت موبقة"؛ وذكر منهن: "توليته يزيد وهو فاسق..".

رغم أن هناك كتابًا للقاضي ابن العربي وهو عالم من أجلّة العلماء اسمه (العواصم من القواسم)، حاول فيه أن ينتصر لرأي بني أمية، وكان من علماء بني أمية في الأندلس، فأثبت فيه أن يزيد من أولياء الله الصالحين والقادة المجاهدين، وخرج فيه عمَّا اتفق عليه جمهور أهل العلم.

المهم أن يزيد في مرحلته خرج عليه اهل الجزيرة فغزاهم، خرج الحسين -رضي الله عنه- على يزيد، ولا يمكن أن نقارن الحسين -رضي الله عنه- بيزيد، لا شك أن روايات (العواصم من القواصم) مردودة، رغم أن العالم جليل ولكن الكتاب فيه تحيُّز لبني أمية.

فالشاهد في الموضوع أن الحسين خرج وحارب يزيد، ورفض هذه البيعة لأنها كانت بيعة قصرية، حتى جاء يزيد بن المقنّع -فيما أظن أو أحد كبار زعماء العرب-، وجلس في مجلس معاوية، وجمع كل الناس والصحابة وأبناء الصحابة، وقال لهم أربع كلمات: (أمير المؤمنين هذا- وأشار إلى معاوية- فإن هلك فهذا- وأشار إلى يزيد- فمن أبى فهذا- وأشار إلى سيفه)[١٧٧]، فسكتوا، وهكذا انتقلت البيعة إلى يزيد.

وخالف البيعة الحسين بن علي -رضي الله عنه- وعبد الله بن الزبير، وقيل عبد الله بن عمر، ومجموعة من كبار الصحابة، ولكن أشهرهم الحسين وعبد الله بن الزبير. فلما قُتل الحسين استمر عبد الله بن الزبير في القضية، والتفَّ حوله الصحابة وأبناء الصحابة. وشاع الفسوق والعصيان في بني أمية من البدايات، وأخذوا الذهب والفضة من غنيمة المسلمين، حتى ربما من عهد معاوية نفسه -رضي الله عنه-، وبدأت أمور الدنيا تدخل.

كانوا من قبل لما يأخذون الغنيمة توزَّع، فأصدر بنو أمية قانونًا أن يؤخذ الذهب والفضة للخليفة أولًا ثم توزَّع، فسلبوا الناس حقهم من الذهب والفضة في الغنائم. وبدأت تحدث أشياء ودخلت الدنيا. هذه الإمبراطورية الممتدة التي تحوي كل الأجناس من أبيض وأسود وأحمر وأشقر، والتجارة تأتي من البحر والبر، والناس بطِرت معيشتها، لأنه فعلًا قد دخلت عليهم الدنيا وفُتحت عليهم كنوز الأرض وكنوز الحضارات من الهند والسند والصين وأوروبا. حتى لما تقرأ في غنائم الأندلس لما فُتحت تجد مبالغات بلغت التَّخريف في كتب التاريخ، فهذا يدل على أن الغنائم كانت شيئًا عظيمًا جدًا.

فالشاهد من الموضوع أنه من البدايات ظهرت المشاكل، فكبار الصحابة رفضوا، وهناك عذر يمكن أن يعتبر مقبولًا لسيدنا معاوية إذا كان هذا قصده فعلًا في توليته يزيد، ذكره صاحب (العواصم)؛ قال: أنه بعد الفتنة هدأ الناس وصاروا جماعة والوضع استتب وتأمَّنت السُّبل ونشأ العلم والفقه. فوجد معاوية -رضي الله عنه- أنه إذا رد الأمر شورى بين المسلمين فهناك على الأقل سبعة من أبناء الصحابة كلهم يتطلَّع إلى الخلافة؛ سعيد بن أبان بن عثمان بن عفان، عبد الله بن عمر، عبد الله بن الزبير، وأبناء أبي بكر، جيل كله يتطلَّع إلى الخلافة.

فوجد أنه إذا تركها لهم شورى ستنتج فتنة، كانت بين اثنين، الآن ستصبح بين تسعة أو عشرة، فستتفكَّك الأمة، فرأى أن الميزة الوحيدة لابنه أن معه الجيش ومعه عسكر الشام وأهل الشام على عكس الحال الآن، فهم كانوا أناسًا منظّمين

---

[١٧٧] انظر (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي ٥/١١٩.

محصّنين ومرتّبين. فقال إذا وضعت الجيش، وفرضت خلافة يزيد سأقطع على الطريق على الفتنة. فهذا يُذكر للإنصاف.

مع أن يزيد كان مشهورًا بأنه استكثر من الجواري، وقرّب الشعراء، حتى أن هناك بيتًا في الشعر العربي منسوب إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان يعتبره الشعراء أجملّ وأرقّ وأبلغ بيت قيل في الغزل في الشعر العربي. يقول عن جارية أراد أن يشتريها فأَبَت عليه، فمرِض، فأخبرها الأطباء أنه مرض، فزارته فرأته في هذه الحالة، فضربت يدًا بيد، وحزنت وبكت، فأنشد يزيد يقول:

وأمطرتْ لُؤلؤًا من نرجسٍ وسقتْ ... وردًا، وعضَّتْ على العِنابِ بِالبَرَدِ

في هذا البيت خمس صور بلاغية:

- أمطرت لؤلؤًا: أي بكت، نزل الدَّمع مثل اللؤلؤ.

- من نرجس: النرجس هو الزهر الأبيض، فشبَّه بياض العيون بالنرجس.

- فسَقَت وردًا: نزل على خدودها الحمر.

- وعضَّت على العنّاب: عضَّت على إصبعها الصغير الذي مثل نبات العنَّاب دقيق جميل عقدة عقدة.

- بالبَرَد: بأسنانها التي مثل بَرَد الثلج.

وهذا هامش لمحبّي الشعر بعيدًا عن السياسة، والأفضل أن يُمسح من الشريط.

وفي كثير من كتب التفسير والعلم تجدها تستشهد ببيوت أثخن من هذا من أجل الصور البيانية، فهذا بيت مؤدب جميل.

المهم أن هذا يزيد الذي كان مشهورًا بهذه الأمور وكان يخالط الشاعر الأخطل، وهو شاعر نصراني يدخل عليه وهو سكران لحيته مخضلَّة بالخمر ويعلق صليبًا على صدره ويدخل على الخليفة!. فهذه من المشاكل التي ظهرت عند بني أمية.

والتاريخ الذي كُتب في بني أمية كان في مرحلة منافسات، فالله أعلم بصحته، وهناك كثير من الروايات موضوعة، ولكن من كثرة الروايات لا بد أن لها أصلًا في ذلك المكان. مثل الأشياء التي حاول أن يثيرها النصارى بين المهاجرين والأنصار، والعرب والقيسية واليمنية، والفتن.

قال هذا الأخطل بيت شعر، يذمّ الأنصار ويمدح المهاجرين الذين منهم بنو أمية، هذا النصراني الخبيث قال:

ذهبت قريش بالمكارم كلها   واللؤم تحت عمائم الأنصارِ

فدخل عليه أحد الأنصار متأثّرًا ورفع عمامته وقال: هل تجد هنا لؤمًا يا أمير المؤمنين؟!

فبدأ دخول المفاسد والفتن حتى أرادوا أن يقتلوا هذا الأخطل فأجاره يزيد. المهم القصص كثيرة عن يزيد ويكفي أنه في مرحلة يزيد لما تولَّى قام أهل المدينة لا يريدون هذه الخلافة. ثم قُتل الحسين من قِبل جيش بني أمية وحصلت المصيبة، *[١٧٨]وحصلت مقتلة في أبناء الصحابة، وفي أبناء المدينة، وحصلت أعمال فاحشة ذكرها التاريخ، ونرجو ألَّا تكون صحيحة؛ لأنها فوق الخيال من الأسى. حتى دخل هذا قائد الجيش بعدما ذبح أهل المدينة، وذهب ليؤدي عمرة!، فداهمته الوفاة على طريق العمرة، فقيل له انطق الشهادتين فقال لهم: لا أجد عملًا أتقرب به إلى الله أفضل من قتلي لأهل المدينة، ومات!.

فحصل بلاء من بني أمية في المدينة، وحصلت معركة في منطقة (الحرَّة) قرب المدينة، ثم خرج عبد الله بن الزبير بعد فترة على عهد عبد الملك بن مروان، رفض القضية وانفصل في جزيرة العرب وجزء من العراق (الموصل)، أي أنه أخذ منطقة أكبر بكثير من التي في ملك بني أمية، والتي هي الشام فقط إلى حدود تركيا، حتى يعتبرها بعض الناس من مراحل الخلافة الراشدة. وحكم بالعدل وكان -رضي الله عنه- رجلًا صالحًا في الحكم.

واستمرت هذه الصورة حتى جاء عبد الملك بن مروان فرتَّب أوراق بني أمية ورتب الأمور، أتى بقوات كبيرة جدًا، وبعثهم للفتوح منهم قتيبة بن مسلم الباهلي الذي انطلق بالفتوح وكان من قادة الحجَّاج، ومحمد بن القاسم الذي فتح بلاد السند، -وهذا سنكتبه في الكتاب إن شاء الله-.

والحجاج كان من قادة الفتوح، كان أمير أمراء فتوح الشرق، وكان بليغًا في العربية، حتى اختلف العلماء في عصره أيهما أبلغ الحجَّاج أم الحسن البصري؟

وهو الذي شكّل القرآن، وله أعمال جليلة، وهو خبيث بلا شك ولكن له أعمال جليلة في الفتوح، وأقصد أن أقول لك أن عبد الملك بن مروان اعتمد على رجال أشدّاء في إدارة الدولة. فولّى الحجاج مشكلة عبد الله بن الزبير، فنزل الحجاج إلى مكة وضرب الحرم بالمنجنيق لما تحصَّن به عبد الله بن الزبير، وهدم جزءًا من الكعبة، فأرعدت السماء ونزل عليهم رعد، ونزلت عواصف وصواعق، فقالوا له: غضبت السماء، قال لهم: هي أرض آبائي وأنا أعلم بأمورها، يقصد أن هذا من الطقس.

---

[١٧٨] **بداية تفريغ الملف الحادي عشر.**

ثم قُتل عبد الله بن الزبير في هذه الواقعة المشهورة المعروفة، عندما ثبّتته أمه أسماء بنت أبي بكر، وهو ابن الزبير بن العوام حواريّ رسول الله ﷺ، وهو الذي حضر الفتوح، وهو من فرسان المسلمين الأشداء. فحكم وعدل، وانتهت هذه المرحلة، وغلب أهل الدنيا فيها، وهذه عبرة: ليس من الضروري أن ينتصر أهل الحق دائمًا، فهي دول.

وعبد الملك بن مروان لما أخذ الجزيرة واستتبَّت الأمور، خرجت بالفتوح نحو الشرق ونحو الغرب. وكان خليفة دنيا ودين وعلم وجهاد وكل شيء. ولكن سمعت رواية في شريط مهم لعائض القرني، وهو رجل كنت أحبه لكن لم أعد أحبه؛ لأنه أصبح من علماء بني سعود، ولكن هو من الوعّاظ الممتازين جدًا، أشرطة عائض القرني تسمع وفيها فائدة كبيرة جدًا، ولكن صار يمدح الأمراء في قصائد -نسأل الله السلامة لنا ولهم وللمسلمين-.

بالنسبة لي -إن شاء الله- من الأمور التي أُقيم عليها حياتي وأظن أن يكون فيها مماتي قضية أن الحق لا يُجامل فيه أحد. حضر عائض القرني في آخر أيام أفغانستان، وجمعوا الناس، وكانت أيام حرب الخليج، وجاء إلى هنا لصرف الناس عن مشكلة السعودية، وجلس وألقى درسًا خلاصته: من أين جئتم ببدعة أن العلماء القاعدين عن الجهاد لا يُسمع رأيهم؟! أنت تسمع رأي العالم القاعد والمجاهد وتأخذ منه الحق وليس لك علاقة بجهاده. طبعًا هذا كلام صحيح ولكن أُريد به باطل؛ أن لا تتكلموا عن العلماء الذين وقفوا مع المصيبة الكبرى وهي غزو الحرم.

فلما قام تجمَّع حوله المجاهدون يريدون أن يسألوه أسئلة عن قضية الحملة، وهو قادم من الجزيرة، فرتّب بعض العناصر من الاستخبارات السعودية أسئلة لإضاعة الوقت، وهذه المشكلة يعرفها من حضرها، فالأول سأله: أعطِنا فكرة عن (صحيح البخاري)، فإذا تكلم عن (صحيح البخاري) سيضيع الوقت وتضيع المحاضرة، وقام آخر يسأله عن (العقيدة الواسطية)، يريدون أن يضيّعوا الجلسة.

فقام أحد الإخوة من الذين كان لهم بلاء حسن -نسأل الله أن يهديه ويصلح حاله- وكانت رجله مقطوعة في الجهاد فقام وقال له: "يا شيخ، تأتينا من حرب الخليج والناس لديها أسئلة، بدل أن تحكي لنا عن (صحيح البخاري) والعقيدة، احكِ لنا الآن عن احتلال الحرم والقضية الأولى".

فقام رجل من مرافقي الشيخ فقال له: اسكت من أين أتيت بهذا الكلام؟ هل أنت أصلًا في الجهاد؟ أنا لم أرك في كل أيام الجهاد!، فقال له: "ما رأيتني كل أيام الجهاد"، قال له: "لا"، فقال له: "الآن تراني"، فخلع رجله المقطوعة وضرب بها الشيخ!، رمى رجله من فوق الناس إلى طاولة الشيخ، فرآها الشيخ، وانقضت الجلسة وقاموا، فهو جاء ليدافع عن آل سعود.

من آخر مناقبه أن واحدًا من عتاة أمراء آل سعود المجرمين واسمه خالد بن فيصل وهو أمير منطقة عسير (نجران وجيزان)، من الظَّلمة وضعوه على أهل اليمن، فنجران وجيزان تُعتبر من اليمن ولكن غصبها عبد العزيز من أهل اليمن.

فالشاهد أن خالد بن فيصل غار من كثرة جماهير وحضور الشيخ، فلفَّق له تهمة بذيئة وأتى بشهود زور، وأراد أن يلفّقوها للشيخ ليسيء إلى سمعته. لكن الحمد لله انقلبت خيرًا لصالح أهل العلم، واجتمع الناس، وأخذ فترة للتحقيق أو شيء كهذا، فلما خرج وذهب الناس ليهنئوه تعطل الطيران بين جدة وأبها لكثرة من ذهب لتهنئة الشيخ، حتى ترى أن الناس تريد العلم وتريد العلماء، لكن من يجمع هؤلاء الناس ويمشي فيهم؟!

فذهب الناس وطلبة العلم وبعض الشباب المجاهدين لينصروا؛ حتى قالوا له بعضهم: "إذا أردت نأتِ لك برأس خالد ونقتله، قل أنه يجوز ونفعل"، ولكن بعدما وضعوه في فترة التحقيق بالسجن، خرج على الناس بقصيدة مديح -لا أذكر في كم بيت- يمدح فيها خالد بن فيصل، الذي اتهمه في هذه القضية. وانطفأت المشكلة، ورجع وتفرَّغ للوعظ، نسأل الله أن يعظنا ويعظه، ويصلح حالنا وحاله.

فالرجل كما ذكرنا له سلبية -نسأل الله أن يغفر لنا وله-، نذكر من إيجابياته أنه واعظ بليغ جدًا، لذلك أقول لكم اسمعوا أشرطته مفيدة جدًا جدًا، حقيقة في الرقائق، في البلاغة، في الأدب، شيء بديع جدًا، واسمه (عائض القرني)، غير (علي القرني)، رجل أشرطته ما عُرف عنه إلا الصلاح.

الشاهد، أن من أشرطة الشيخ شريطًا اسمه (ساعة الاحتضار)، سمعته وهو شريط جميل جدًا، ويلزم أمثالنا وأمثالكم جدًا، من لا يبكي في هذا الشريط لا أظنه يبكي على شيء، شريط بديع جدًا، ذكر احتضار الرسول ﷺ، ثم احتضار الصحابة والخلفاء الراشدين، ثم احتضار الملوك الصالحين، فاحتضار الملوك الطالحين، واحتضار من الوقت الحاضر بعض الصالحين وبعض الطالحين، ماذا يقول الإنسان وما يحضره ساعة الوفاة.

والذي ذكّرني بالشريط قضية عبد الملك بن مروان، ذكر احتضاره، وقال أن عبد الملك بن مروان أوّل ما ولي الملك وكان من طلبة العلم، أخذ القرآن ونظر إلى المشاغل التي ستكون عليه، فقرأ القرآن ووضعه على الرّف وقال هذا آخر العهد بك، أنه بسبب الحكم هجر القرآن!، هذا أول شيء.

ثاني شيء تولية الحجاج والمصائب التي حدثت، الشيء الثالث ما تذكره كتب التاريخ وهو الاستكثار من الجواري والبلاوي؛ اشترى جارية مشهورة جدًا، وكانت شاعرة جميلة مؤرّخة فيها من كل ما يلزم، فاشتراها بعشرين ألف دينار، وغاب عن الحكم -كما تذكر كتب التاريخ- أسبوعين ما خرج عنها.

حتى ضجّ الناس، وقالوا له: "الحكومة يا عمي! اتركك من الجارية"، فعندما خرج قال لهم: "لا يضيرني ما فاتني من أمر الدنيا بعدها"، فالرجل كان يجمع الأدب والطرب والغناء. هذه صورة عما حصل في القصور.

ذكر عائض القرني في الشريط أنه لما كان يوم وفاته، كانت هذه الجارية تسرّح له شعره صباح ذلك اليوم، فنظر في المرآة وقال: أنا الملك الشاب، فمات عصر ذلك اليوم!.

فلما حضرته الوفاة، قالوا له ستموت اليوم، وهم يحضّرونه فقالوا له: أوصِ يا أمير المؤمنين، سمع من يقول المواويل من أسفل القصر، فسألهم عنه، قالوا له: الغسّال لا يدري أن أمير المؤمنين يموت، فقال: "يا ليتني كنت غسالًا، ليتني ما وليت الخلافة"!، هذا كان من آخر ما قاله، نسي الجارية ونسي الدنيا ونسي الخلافة.

فالشاهد ذكرت لك هذا حتى تأخذ فكرة عن تحوّل المُلك، وما هي طقوس الملك. فهذا الشخص ولّى هشام، والوليد، وسليمان، ويزيد.

في مرحلة هشام والوليد وسليمان امتدَّت الفتوح امتدادًا عجيبًا جدًا، من الصين إلى الأندلس، دخلوا الأندلس في آخر عهد الوليد وأول عهد سليمان، سليمان الذي عمَّر المسجد الأموي في دمشق، اشتراه من النصارى وكان كنيسة، وفيه قبر سيدنا زكريا كما يزعمون -والله أعلم-.

وإذا تأملت القصص التي تُذكر عن تلك المرحلة تجد تنافس الناس في الدين والدنيا، وحتى تأخذوا فكرة أقول كنت في البداية ترى الإنسان صحابيًا صالحًا ليس بدينه شائبة، ثم تأتي إلى التابعين فتجد أغلبهم صالحين وتجد فيهم شائبة. ثم تأتي بعد هذا فتجد إنسانًا فيه صلاح ومجاهد وعالم فذ إلى آخره، وفيه غيرة وتنافس مع العلماء وصراع على الحكم والدنيا وضغائن ومكائد، **حتى لا تستكبروا ما يحصل في هذا الزمان**.

جاءني واحد يقول: كيف الطالبان يأخذون أموالًا غلولًا، ويسرقون أموالًا، كيف نجاهد معهم؟ نحن نروي لك التاريخ حتى تستوعب أن هذا أمر عادي، كان هناك غلول في جيش الرسول ﷺ، وهو قليل. ثم أذكر لك التاريخ حتى تستوعب كيف كان الناس، وتستوعب الوضع كما هو، وتأخذ أحسن ما فيه، لنصدّ به أعداء الله -سبحانه وتعالى-، وليس أن نتركه لأن فيه بعض المشاكل.

في يوم الفتح أمرهم الرسول ﷺ ألَّا يدخلوا عنوة ولا يقتلوا أحدًا ولا يغنموا شيئًا، ولا يُحدثوا أي قوة أو بأس في فتح مكة. فخرج ليستقبل جيش مكة أبو قحافة والد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-؛ عبد الله بن أبي قحافة. فأبو قحافة خرج ومعه بنته وهي أخت أبي بكر، وكان ضريرًا، فدخل جيش الفتح، فأُخذ منها العقد.

فلما علموا خرج أبو بكر يقول: يا أيها الناس أنشدكم الرَّحم وعقد أختي، لا يجوز هذا، لا يحل، وكررها ولم يُرجعه أحد. فقال قولًا ضعوه في بالكم وقيسوا عليها كل جيوش بني عثمان وبني طالبان.. إلخ، قال: "احتسبي عقدك يا

أخية، فإن الأمانة في الناس اليوم قليل"، هذا صبيحة فتح مكة!، جيش به ١٠ آلاف مقاتل، فيه المهاجرون والأنصار وهم بأخلاق الملائكة، ولكن هناك جمع من الناس أمانتهم قليلة.

في حروب الردة، وهذه من الوصايا التي عُرفت بعد الوفاة، أن أحد الصحابة قُتل في المعركة، فرآه أحد الصحابة في المنام فقال له: "أنا قُتلت وغلّ فلان درعي، وتجده مستورًا بترس له في آخر المعسكر، فخذه واقضِ به دين كذا وكذا"، رآه في الرؤية، فقصَّها على أبي بكر –رضي الله عنه– فأجازه، وهذا حصل في جيش الصحابة وكله من القرّاء!.

وهكذا مضت الأمور حتى تجد في زماننا إنسانًا أغلبه شر وفيه خير، وإنسانًا أغلبه خير وفيه شر. لذلك قال الرسول ﷺ هذا الحديث الذي يلزمنا الآن لفهم الطالبان وغير الطالبان، في حديث حذيفة حين قال: (يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟) قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: (وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟) قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: (وَمَا دَخَنُهُ؟) قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»)[١٧٩].

فالخير الذي فيه دخن مثل الحالة التي نراها ومثل حالة بني عثمان؛ أن أصله خير وفيه دخن، وليس أصله دخن وفيه خير. وهذه التعابير لها مدلولات شرعية، أصله خير فيه دخن؛ أصله شريعة وفيه أمور خبيثة. مثل أيام بني أمية، فتجد بعض المخالفات في القبور والنساء وبعض المشاكل، ولكن الأصل شريعة وخير ودفاع وحرب على أعداء الله، فيجب أن نأخذه لأننا إذا ما أخذنا هذا الخير الذي فيه شر، سيأتينا شر أسوأ منه بمائة مرة. فتقارن بين هذا وذاك وتتصرف.

والذي يساعدك على هذا الفهم معرفة التاريخ وما كان فيه، ومن التاريخ أن أبطال المسلمين الذين فتحوا شمال إفريقيا، فوصلوا إلى هنا منهم رجل من التابعين –رضي الله عنه– اسمه موسى بن نصير، يكفي أنه مات عن بضع وثمانين سنة يقول: "أحمدُ الله غزوتُ بضعًا وأربعين غزوة ما نُكب المسلمون تحت رايتي في معركة واحدة"!.

وعندما يقول (غزوة) فهي ليست مثل خروجنا للخط ساعتان؛ غزوة في ست أشهر أو سنتين، يخرج من المدينة لشمال إفريقيا، أي يركب الحصان سنتان ليصل مكان المعركة، فهذا موسى بن النصير أرسل مولاه طارق بن زياد وفتح الأندلس.

فتوح الأندلس جميلة وهناك كتاب جميل لمؤرخ عراقي، وهناك بعض المؤرّخين العراقيين المهمين جدًا، منهم المؤرخ (عبد الرحمن علي الحجّي)، من الإخوان المسلمين، وهؤلاء الناس من الأشياء التي أبدعوها على ما فيهم أن عندهم كوادر عظيمة جدًا، وفيهم مؤرخّون في الحركة الإسلامية حقيقة تقدَّر جهودهم، كما نقدّر للشيخ عائض على أخطائه – نسأل الله له المغفرة–، نقدّر لهؤلاء الناس على بلاويهم أنهم دفعوا في الإسلام دفعة.

---

[١٧٩] صحيح البخاري (٣٦٠٦).

فالشاهد أن عبد الرحمن الحجي له كتاب اسمه (تاريخ الأندلس) مهم، كتاب ضخم تجد فيه هذه البلاوي كلها من فتوح الأندلس إلى سقوط غرناطة.

الشاهد أن موسى بن النصير رجع بالغنائم، ويقول ابن كثير في الروايات أن فيها مائدة سليمان التي جلس عليها الإنس والجن، وحتى فيها القمقم الذي حبس فيه الجن، وفتحوه وخرج الجني وتكلموا معه، وقصص ومن الروايات والمجوهرات شيء عجيب.

فجاء بهذا الموكب عند الوليد، وكان الوليد بن عبد الملك تحضره الوفاة فجاء بعده سليمان، فأرسل لموسى بن النصير أن أخّر دخولك بهذه الغنائم لأن كافة أهل الخلافة يريدون أن يروا هذه الأعاجيب التي تأتي، أعاجيب، لا يعرف العرب حيوانًا أكبر من الجمل، وهم أتوا بالفيلة مزينة بالمجوهرات، ومن إسبانيا أتوا بالأحمر والأصفر والمزركش.

فخرجت الناس تنظر، فقال له سليمان أخّر هذا الموكب حتى يكون فاتحة عهدي، فيكون هذا بشرى للناس، فقال له: "هذا خير حصل في زمن الوليد، والوليد حي"، فدخل بالغنائم على الوليد، فغضب سليمان، وما لبث الوليد أن مات، فأخذ سليمان هذا القائد العظيم وعرّوه من ثيابه، ودهنوه بالزيت ووضعوه في الشمس، وهو رجل عمره بضع وثمانون عامًا، حتى مرض وجلس في بيته وأدركته الوفاة فيما بعد، فهذا الجنرال العظيم قتلوه من أجل إدخال الغنائم!.

فلذلك قد حصل قديمًا مثل الذي نجده اليوم من الكيد بين المجاهدين والقواد؛ أنت تدخل من هنا ويُمنع أن تدخل من هنا، وأنت اخرج للخط وأنت لا تخرج، وهذا قائد يريد شيئًا من الدنيا وشيئًا من الآخرة. ممّا نجده بين قوات الطالبان، وحتى الأحزاب فيما مضى، واحد أخذ موقع والثاني أخذه منه، وخلافات في المناصب، وتمشي الأمور حتى ندفع أعداء الله، وإلا إن لم تكن ستجاهد إلا بصحابة رسول الله اجلس في البيت، لم يعد هناك صحابة!.

يجب أن تدفع أعداء الله بما يتوفر من المسلمين؛ خير فيه دخن، مناوشات ومشاكل حاصلة، ما حصل مع موسى بن نصير لم يحصل معنا ولا مع قادة المجاهدين.

فالشاهد في الموضوع أنه كان هناك خير وشر، واختلاف في أمور الدنيا وأمور الآخرة، وسبحانك {أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}[١٨٠]، هذه أمور فقط وفقط الله -سبحانه وتعالى- وحده هو يحكم فيها، يجب أن نقدّم دفع أعداء الله على أي مشكلة أخرى، فيجب أن يتسّع صدرك وعقلك ونستعين بفهمك للتاريخ لتتقبّل الأوضاع وتفهم الأمور.

فجاء سليمان بن عبد الملك فلما حضرته الوفاة، كان من مستشاريه واحد من خيار التابعين اسمه (رجاء بن حيوة)، فجاء يستشيره أنني حضرتني الوفاة وأريد عملًا أتقرب به إلى الله، بعدما عمل وفعل مثلما عمل الخلفاء الأمويون.

---

[١٨٠] سورة الزمر، الآية: ٤٦.

من مصائب بني أمية أنهم كانوا يأخذون الجزية من مسلمي الفتح!، دخلوا كل هذه المناطق تركستان وكازاخستان وطاجكستان، وكل هذه المناطق أخذوا الجزية من كل أهلها، مسلمين على نصارى على بوذيين، لا يريدون خسارة مُدخلات بيت المال. فهم ظلموا وكانت بداية دخول النَّعرة على الأعاجم، أنهم يشعروا أن العرب في عهد بني أمية فوقهم.

واستغل المؤرخّون هذه الفترة، أنا درست التاريخ في بعض الجامعات العلمانية في الأردن وغيرها، فكان من المناهج تقسيم التاريخ الإسلامي إلى ثلاث دول: الدولة العربية، الدولة الفارسية، الدولة التركية. والدولة العربية هي: مرحلة الرسول ﷺ والخلفاء وبني أمية، حيث كان العرب فوق الناس. ثم الدولة الفارسية عندما دخل الفرس في بني العباس. ثم الدولة التركية عندما دخل بنو عثمان، هكذا قسَّم القوميون التاريخ لأنهم كتبوا المناهج، فوجدوا ثغرة لأن من أعمال بني أمية تفضيل العرب على الأعاجم، وإحداث النَّعرة الشعوبية في الناس.

الشاهد في الموضوع أنَّ رجاءً هذا –رحمه الله– نصح سليمان بنصيحة تُعتبر طفرة في التاريخ الإسلامي، قال له: "إذا أردت أن تلقى الله يا أمير المؤمنين، فقد دفنَّا عددًا من أمراء بني أمية ممن سبقك كلهم تحوّل وجهه عن القِبلة قبل أن نخرج من القبر –إشارة لفسادهم– فإذا أردت عملًا تلقَ الله –سبحانه وتعالى– به فولِّ عمر بن عبد العزيز".

ولم يكن عند عمر بن عبد العزيز طمع في الخلافة، فهو وإن كان من الأسرة ولكنه ابن عمهم، فأبوه عبد العزيز بن مروان أخوا عبد الملك، فحدثت هنا طفرة بأن ولّي عمر بن عبد العزيز –رضي الله عنه–، ومع ذلك ما أراد أن يغير كلام أبيه الأعوج، فقال لهم بعد عمر يزيد، وفعلًا جاء يزيد بعد عمر.

أم عمر بن عبد العزيز هي ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، عاصم هذا زوج صاحبة الحليب، تعرفون قصة غش الحليب، لما أمر عمر –رضي الله عنه– الناس ألَّا يغشوا في الحليب، فمرَّ في السوق فسمع امرأة تقول لابنتها: اخلطي الحليب، فقالت: أمر عمر بعدم خلط الحليب، فقالت لها: وأين عمر حتى يراكِ الآن؟ فقالت: إذا كان عمر لا يرانا فربّ عمر يرانا.

فعلم عمر –رضي الله عنه– أن هذه البنت فيها تقوى فجمع أولاده، وقال لهم: يا بني لو كان لي حركة إلى النساء ما سبقكم إليها مني أحد، أي: كنت تزوجتها أنا، فهل أحد منكم يريد زوجة؟ فكان عاصم أصغر أولاده ليس عنده زوجة، فتزوج صاحبة الحليب، فجاء منها ليلى، وليلى لا أدري من زوجها، جاءت بعمر بن عبد العزيز، فهو جده لأمه.

وكان عمر -رضي الله عنه- قد رأى في رؤية أنه يجيء من ولده حاكم أو رجل يملأ الأرض عدلًا، وكان من علاماته أنه مشجوج. ولما كان عمر بن عبدالعزيز غلامًا يلعب ضربته دابة فشجَّت رأسه، فكان في جبينه علامة، فكان يسمى (أشجَّ بني أمية)، وكانوا يعرفون أنه سيأتي رجل من بني أمية يملأ الأرض عدلًا. فجاء عمر بن عبد العزيز.

وعلى سيرة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وقضية النساء، كان لعمر أربع زوجات، وأحد عشر جارية، فكان يُحصن خمسة عشر امرأة، وله قول جميل جدًا يقول: "منذ وليتُ الخلافة ما جئت النساء لولا أن لهنَّ عليَّ حق"؛ أنه يجب أن يأتي أهله أو جاريته لأن لها حقًا كامرأة وإلا فليسه له حركة إلى النساء، يعني: أنا عن نفسي ليس لي شهوة للنساء.

في أيام مشاكل بيشاور بعد الجهاد، مرَّت علينا سنة شيطانية، الواحد كان سابقًا يتمنى أن يأتي الجهاد فصار يتمنى أن يخرج منه لكثرة الشياطين والفتن والبلاوي في الوسط، فصار همّ الجهاد في الداخل، وهمّ الفتن في الخارج، فكان الواحد فعلًا لا يشتهي أن يأتي أهله، فلمَّا قرأت هذا القول -سبحان الله- ونحن نحس بهذا الحال.

فجئت لأبي عبيدة البنشيري -رحمه الله- فقلت له: تعال أحكي لك عن قول قرأته، قال عمر: "لولا أن للنساء حق، وإلا ليس لي حركة إلى النساء"، فقال لي: "أنا عن نفسي صار لي أربعة أو خمسة أشهر هكذا"، وهذه المسكينة المظلومة.

فقال لي: "هكذا قرأت؟" فقلت له: "نعم"، فأسند رأسه للجدار، وكان أبو عبيدة من خيار المجاهدين ما رأيت مثله، كنت أقول له: "كلما رأيتك أشعر بالإحباط، أشعر أني لن أكون مثلك"، رجل حافظ لكتاب الله، من أبطال مصر في المصارعة، من أسرة مجاهدة، بعضهم شارك في قتل السادات، وأسرة مبتلاة رجالًا ونساءً، ومن أوائل من حضروا الجهاد، وحضر المعارك الشهيرة هنا، وكان من مؤسّسي هذا الجمع -رحمه الله-.

وهؤلاء الناس يجب أن نذكرهم في تاريخنا، عملوا كل هذا العمل ليلًا نهارًا، كان ينام ثلاث أو أربع ساعات في اليوم، كان ينام من التَّعب وهو جالس، ومع ذلك كان له جزء أو جزء ونصف من القرآن يقوم الليل به ولا يتركه.

بعد هذا أحكي لكم عن عمر بن عبد العزيز، وكيف كانت فترة حكمه، حكم ٢٩ شهرًا، ثم وضع له بنو أمية السم وقتلوه، أولاد عمه، نتيجة الصلاح الذي أحدثه في الإمارة.

وعلى سيرة النساء والجواري، سألوا زوجته، وزوجة عمر بن عبد العزيز هي فاطمة بنت عبد الملك، وهناك كتاب مهم جدًا، لأنه لو أردنا أن نتحدث عن عمر بن عبد العزيز يمكن أن نأخذ كورسًا من عشرين شريطًا، فقط نقتطف قصة أو قصتين حتى تروا الصَّلاح الذي حصل من الحاكم الصالح، الحاكم الصالح الحقيقي.

فاطمة بنت عبد الملك أبوها خليفة، وأخوها خليفة، أخت ثلاثة خلفاء، وزوجها خليفة، هي بنت خليفة، أي متأصّلة في الملكيّة. فسألوها بعد مقتل عمر بن عبدالعزيز عن صلاحه، طلبوا منها أن تحكي عن خاصة أموره، حتى أن بني أمية أرادوا أن يطعنوا عليه مطعنًا، لأنه رجل كل حياته صلاح، أرادوا أن يطعنوا عليه مطعنا، قالوا: "سمعنا أنه كان عنده صندوق لا يعطيه لأحد"، فأرادوا أن يفتحوا الصندوق لعلهم يجدوا فيه بعض الشيكات أو كروت الفيزا!

قالت لهم تريدون الصندوق خذوا وانظروا ما فيه، فوجدوا فيه حبلًا، فسألوها عنه، قالت: كان يقوم الليل يربط نفسه ويتمثَّل ما يكون به يوم القيامة ويسأل الله العون؛ لأن الأمير يؤتى به مغلولًا يوم القيامة، فكان يربط نفسه، ويبكي على ما سيكون من حاله يوم القيامة.

ثم سألوها عن حاله، فقالت: "أما وقد سألتم، فما اغتسل عمر من جماع ولا جنابة منذ ولي الخلافة"، لا أتى أهله ولا احتلم من كثرة الهمّ الذي كان فيه، هم الخلافة وهموم المسلمين.

وحاكم هكذا حاله، لك أن تتصوّر كيف كانت سيرته. ٢٩ شهرًا = سنتان وخمسة أشهر. ماذا يستطيع الشخص أن يعمل فيهم؟ انقلبت الخلافة رأسًا على عقب.

أولا: فاضت الصدقات حتى كان يُنادي المنادي: يا فقير، يا صاحب الدَّيْن، يا صاحب الحاجة، تعالَ في بيت المال هناك زكاة، فلا يأتي أحد!، فاضت أموال الزكاة حتى ما عاد يأتي أحد، فعمَّر بها -رضي الله عنه- أسطولًا بحريًا.

أرسل قاضي دمشق إلى الأندلس فقال: سمعت أن وراء البحر مسلمين، وخشيت أن يكون بيني وبينهم بحرًا فيُحجبوا مع الكفار، فاذهب فأتِ بهم كلهم، لا أريد فتوحًا بعد البحر وأرجع كل أهل الأندلس. فذهب القاضي فرأى كل أهل الأندلس في خير حال، وهم يغزون النصارى، وحالتهم قوية، فعمّر لهم جسر قرطبة على نهر الوادي الكبير، وهو موجود إلى الآن.

أنا سكنت في إسبانيا عشر سنوات، وسكنت في غرناطة والأندلس سنتين، فتمشي ويتقطّع قلبك، إلى الآن أسماء القرى وأسماء الطرق أسماء مسلمين وأسماء عربية، إلى الآن تدخل في كثير من كنائسهم فتجد أنها كانت مساجد وتحولت إلى كنائس.

هم أنفقوا ميزانية في هدم المساجد، ثم لم يبقَ مال فصاروا يمحونها ويكتبون فوقها، إلى الآن هناك بعض مساجد الصُّلبان موضوعة فوق الآيات مباشرة، لم يجدوا وقتًا ولا مالًا لمسحها. تجد الآيات يوضع عليها الجير ثم الصليب، فقط الجير، لكن ما تزال الآيات موجودة إلى الآن، الآيات وبيوت من الشعر العربي.

عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- كان حاكمًا عادلًا، خليفة راشدًا، وهناك كتاب اسمه (سيرة عمر بن عبد العزيز)، يجب أن تقرأوه، كتاب جميل جدًا، يُعتبر كتابًا في الرقائق لكثرة القصص التي فيه.

فالرجل أبعَدَ الشعراء والمطربين والمفسدين، وقرّب العلماء، حتى جاء الشاعر جرير، يريد أن يمدح عمر في أول ولايته، على طريقة الخلفاء أن يمدحه فيعطيه بعض المال، فلما دخل عنده، قال له: من أنت؟ قال: شاعر، قال: ماذا تريد؟ قال له: تعطيني مالًا، قال له: ليس لك في بيت المال حق، {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ}[١٨١].

فقال: اعتبرني ابن سبيل، فقال له: هذه حصة ابن السبيل ولا تأتي مرة أخرى. فخرج الشاعر فوجد العلماء والعمائم جالسة تنتظر الاجتماع، فقال قصيدة يقول في أولها:

يا أيّهَا الشيخ المُرْخي عِمامَتَهُ   هذا زمانكَ إني قدْ مضى زمني

فمن هذا البيت تعرف أنه عندما حلَّ زمن عمر حلَّ زمن الدين، وذهب الشعراء وجاء العلماء. ومضى عهد عمر على هذه الصورة.

استخار عمر اللهَ -عز وجل- أربعين يومًا في كتابة الحديث، وبدأت كتابة الحديث في عهد عمر، لأنهم كان يتهيّبون كتابته حتى لا يختلط بالقرآن. فبدأت العلوم، واستمر الغزو، وساد العدل. وكان في حياته الكثير من المقتطفات البديعة، لكن ليس هناك وقت.

فلما رأى بنو أمية أنه ردَّ كل شيء إلى مكانه، حتى أنّ زوجته ابنة الخليفة عبد الملك وأخت ثلاث خلفاء، كان لديها من الهدايا والجواهر ما لا يعلمه إلا الله، فقال لها: "اختاري أنا أو جواهرك، واحد منا في البيت"، فقالت: "أختارك"، قال: "فأما جواهرك على بيت المال".

وجمع الجواري وقال لهن: من كان لها حظ في فلتستيئس الآن، التي تريد المكوث فلتمكث، والتي تريد أن تكون حرة تذهب، لست متفرغًا لأحد، فسُمع الصراخ والبكاء في بيت عمر.

ولما كان عمر أميرًا -وكان أميرًا على المدينة من أمراء بني أمية-، كان إذا مشى في الشارع يعرف الناس بعد ثلاثة أيام أنه مرَّ من هنا من رائحة العطر المميز له من الرفاهية، فجمع كل شيء وانتقى من ماله بضعة دراهم متأكد من حِلّها، فاشترى ثوبًا من الصوف وحمارًا وعبدًا يخدمه، هذا كان ملك الخليفة!.

وكان له سراجان؛ سراج لأهله وضيوفه، وسراج يحسب عليه أمور بيت المال والحكومة، فإذا جاءه ضيف من الليل سأله أأمر للمسلمين أم لي؟ فيقول له: لك، فيطفئ سراج المسلمين، ويُشعل سراجه.

---

[١٨١] سورة التوبة، الآية: ٦٠.

وله قصص كثيرة جدًا، ومن القصص العجيبة أنّه عندما كان أميرً قبل أن يكون خليفة، كانت لزوجته فاطمة جارية جميلة، فقال لها بيعيني إياها، فكانت تمنعه من الغيرة، وجارية الزوجة لا تحل للزوج، فلما صار خليفة، وعزف عن الدنيا وما فيها، ولم يعد يأتي أهله ولا غير أهله، فزيّنت الجارية وأدخلتها عليه، وقالت: وهبتها لك.

فلما جاءت قال: من أين أنت؟، قالت: أنا جارية فاطمة، قال: من أعطاكِ لفاطمة؟ قالت: أبوها عبد الملك، فقال: من أين جاء بك أبوها؟، قالت: أخذني من فلان، قال لها: فكيف أخذك هداية أم بيعًا؟ قالت له: حياءً، فقال لها: أنت مغصوبة، وأنتِ حق بيت المال، احملوها لبيت المال!.

فكان رجلًا –رضي الله عنه– ذا حالة عجيبة، تقرأ الكتاب (سيرة عمر) تتعجب، وهذه فصول منه.

وعلى الهامش كحكم شرعي –لم يعد يلزمنا الحمد لله–: الرجل إذا أتى جارية زوجته، وهو محصن، هي لا تحل له، فهي حالة زنا، ولأن هناك شبهة مُلك، الحد لا يُطبقّ عليه، وإنما يُجلد مائة جلدة، فالمرأة إذا أرادت أن توقع زوجها تُرسل له جاريتها، فإذا أتاها يُجلد.

الشاهد أن عمر أراد أن يرتّب الأمور لإعادة الخلافة شورى بين المسلمين، وينزعها من بني أمية، فأخذ الأراضي والأموال وأرجع كل شيء إلى أصحابه. فوضعوا له السم وقتلوه، وعلى فراش الموت –في إحدى الروايات– أتوا بالقاتل فقال: لم وضعت لي السم، قال له: فلان أمرني، سأله كم دفع لك؟ قال: كذا، فقال له: انطلق وأحضر المال، فلما جاء به قال: هذا المال حق لبيت المال، لآخر لحظة وهو يموت أخذ ثمن قتله ووضعه في بيت المال!، وقال: هذا غريمي وأنا حي، لا يؤذيه منكم أحد، اذهب.

فقالوا له: "جوّعت أولادك وتركتهم بدون أموال ولا أملاك، انظر هشام ترك لأولاده ضياعًا وقصورًا، أولادك أحد عشر ذكرًا، تركتهم ليضيعوا في هذه الدنيا"، فقال: "ردّوهم عليّ"، وهو في آخر لحظاته يموت، فقال لهم:
"يا أولادي لقد خُيِّر أبوكم أن يعطيكم ما ليس لكم ويدخل النار، أو يمنعكم هذا الحق ويدخل الجنة، فاختار أن يدخل الجنة. يا بني إنما أنتم أحد رجلين، إما رجل عاطل فما كنت لأعينه بمالي على معصية الله، وإما رجل صالح فالله يتولى الصالحين". وصرفهم وما أعطاهم شيئًا.

قال الراوي: أدركت من أبناء هشام –ممن كان عنده من الضِّياع والقصور– من يتسوّل الناس بعد صلاة الجمعة في المسجد، وأدركت من أبناء عمر من يحمل ألف فرس في سبيل الله.

فالشاهد، هذه صور من العلماء والحكام، فلك أن تبصق على هذه النماذج التي أرانا إياه الله الآن من الحكام والعلماء والمصائب!.

وهذه ومضات من تاريخ عمر، والحقيقة حين تقرأ الكتاب تحفظه من جماله، تحفظ مائتي قصة مباشرة من جماله.

قُتل عمر –رضي الله عنه– وجاء يزيد، وانتكست الأمور مثلما كانت وأشد، حتى جاء من أمراء بني أمية –والله أعلم بصحة هذه القصص لأنها كُتبت في مرحلة الشيعة ودسّ الطرفين على بعضهما–، كان اسمه الوليد بن الوليد حلف أن يأخذ الكلاب –وله كلاب صغيرة مدلَّلة– وأن يذهب ويبني قبة ويسكر على ظهر الكعبة.!

ثم وضع بحيرة من الخمر يسبح فيها والجواري، فسكر، فقام يستفتح القرآن، أي: يفتح ليرى الآية التي تُعجبه، وهذا منهيٌّ عنه، ففتح القرآن ليرى ما حظه من القرآن فكانت آية: {وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ}، وذكرت كتب التاريخ أنّه غضب، فقال للقرآن: تهددني، فوضعه وبدأ يرمي عليه بالسهام ويمزّقه ويقول:

تهددني بجبار عنيد	فها أنا ذا جبار عنيدُ
إذا ما جئتَ ربَّك يوم حشر	فقل يا ربّ مزَّقني الوليدُ

أي أنه كفر، فقام عليه أولاد عمه فقتلوه وخلعوه ووضعوا غيره. وكان الفساد في الملك لا يُتخيَّل، وبالطبع دولة كهذه ينطبق عليها قانون ابن خلدون: تتفكَّك، تفسد، الناس دخلت في الدنيا، الملك يتعطّل. فبدأت الثورات والانقلابات والخوارج.

حتى اتَّفق بنو عبد الله بن العباس أن يستغلّوا فساد بني أمية وأن يقنعوا الناس أن هذا الحكم هو حق لمن يرتضيه آل البيت، وبالطبع الناس تحب آل البيت، وهذه أول دعوة لآل البيت، يدعون لمن يرتضيه آل محمد، فأوهموا الناس أنهم من بني أبي طالب من سلالة الحسين بن علي –رضي الله عنهما–.

فلمَّا أيَّدهم الناس ودعموهم استعانوا بأهل خراسان، وهجموا على بني أمية وذهبت دولتهم، هذه الدولة الفاسدة التي لم يكن فيها إلا ومضات من الصلاح في فترة معاوية –رضي الله عنه–، وفي فترات قليلة من بعض الملوك، ثم فترة عمر بن عبد العزيز، والباقي كله تاريخ أسود.

ولكن يمكن أن نميز عدة أشياء من مرحلة بني أمية، آخر ملوك بني أمية واحد اسمه على اسم جده (مروان)، وكان يسمى مروان الحمار، والحمار صفة مديح لصبره في الحرب، لأن الحمار عُرف بصبره وتحمّله لبني آدم، –الذين لا يحتملهم إلا حمار–، فعُرف بالصبر فسموه مروان الحمار، وكان فارسًا شديدًا، لكن لم ينفعه هذا.

هاجم العباسيون بني أمية، ووقعت معركة شديدة في جنوب سوريا على حدود الأردن، معركة يسمونها (معركة المِيزاب) لأن فيها ينابيع وشلالات، فانكسر بنو أمية، وكان من الغنائم التي أخذها العباسيون من بني أمية خمور ومعازف وآلات موسيقية خرجوا بها للغزو!

فزالت دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس، وشدّدوا السلطة العسكرية (أمن الدولة، ومكافحة الشغب)، وجمعوا أمراء بني أمية، يريدون أن يذبحوهم حتى لا يكون هناك أمل أن تقوم دولة بني أمية.

وكان رجل اسمه عبد الله بن علي، جمع ٦ آلاف أمير من بني أمية في دمشق، وأمر غلمانه أن يذبحوهم عن بكرة أبيهم، فقتلوهم كلهم، وجعلوهم بين قتيل وجريح يموت، وفرش عليهم بساط الملك، وعزم كل الجيش وعمل غداءً، على أنين الجرحى وخروج أنفاس الموتى!.

وقال هذا أجمل غداء أكلته في حياتي، وأنشد يقول:

بني أمية قد أفنيتُ جمعكم فكيف لي منكم بالأول الماضي

يتأسَّف أن هناك من بني أمية من لم يدركهم ويقتلهم.

مُنيتم لا أقال الله عثرتكم بليثِ غابٍ إلى الأعداء نهّاضِ

يعني الله ابتلاكم، والله لا يصلح حالكم بأحد ينصركم!.

فما بقي منهم إلا أمير واحد هو عبد الرحمن من سلالة هشام، سموه عبد الرحمن الداخل، وسمي (صقر قريش) لأنه هرب من المذبحة، وفرّ من دمشق، عبر كل هذه المفاوز ودخل المغرب، وكانت هناك بعض آثار بني أمية، فالتفَّ حوله بعض الناس وعبر البحر ودخل الأندلس وسمي (عبد الرحمن الداخل).

سلطة بني العباس شملت كل المنطقة ووقفت عند البر، كان عبد الرحمن الداخل داهية من دهاة العرب والحكام، فأعاد ترتيب صفوف الأمويين، وأقام خلافة في الأندلس، فأقام حضارة فيها، ومن أبنائه عبد الرحمن الناصر، وتاريخ الأندلس.

وأبو جعفر المنصور كان رجلًا ذكيًا، لما علم أن هذا وصل هناك، جمع الناس، ورأى القضية بهذه الصورة، قال للناس لا تتبعوه واتركوا الحراسة عند البحر، "الحمد لله الذي جعل بيني وبينه بحرًا"، يعني أن هذا إذا كان هنا كان تصدَّى لهم.

فالرجل كان داهية أقام مملكة واستمرت هذه المملكة ٧٠٠ سنة، ١٠٠ سنة في قبضة بني أمية، و٧٠٠ سنة بعدها، فبقي المسلمون في الأندلس ٨٠٠ سنة، وهذا عبد الرحمن الداخل الذي فرّ من بني أمية.

الذي نميزه من مرحلة بني أمية: شيئان جيدان جدًا، وشيئان سيئان جدًا.

أما الشيئان السيئان جدًا هما: **فساد الحكم والملك**. الأمر الآخر هو **فساد الناس ودخول الدنيا** والتجارة والفنون والطرب والموسيقى والعود والشعر وكتابة الأغاني وهذه القصص، والكلام الذي ترونه الآن في كتب التاريخ.

أما الشيئان الجيدان جدًا هما: **ازدهار العلم الشرعي وانتشاره**؛ كتابة الحديث، ونشوء المذاهب، وكثرة الفقهاء، عندما تدخل في الطبقات هذه المرحلة وهي نهاية القرن الأول، لما قال الرسول ﷺ: (خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)[١٨٢].

قيل أي ٣٠٠ سنة وهذا ليس صحيحًا لأنّ المراد القرن في العرف وليس القرن بمعنى المائة سنة، ففي الحقيقة لم تمضي ٣٠٠ سنة إلّا والقضية خراب، والصحيح أن خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم أي: الصحابة، فالتابعين، فتابعي التابعين.

وكل جيل هو قرن ال ٣٠ سنة، أي هو القرن الأول، ثم يدب الفساد. وإذا فهمت الحديث هكذا ستجد التاريخ صحيحًا، لأنه على رأس مائة سنة كانت خربة. فالشاهد هو جيل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، التابعون، فتابعو التابعين.

فمرحلة التابعين وتابعي التابعين هي مرحلة بني أمية، وتجد فيها كثرة العلماء، والرجال والصالحين؛ والحسن البصري، رجاء بن حيوة، الأوزاعي، وكل هذه الأئمة.. إلخ، قائمة طويلة عريضة، وأخبرتك أن بداية كتابة الحديث كانت في هذه المرحلة. فانتهت دولة بني أمية على هذا الحال.

والأمر الثاني العظيم جدًا: هو **انتشار الفتوح**؛ كل عالم المسلمين الذي فُتح بالسيف فُتح في عهد بني أمية، لأن بعد ذلك جاءت دولة بني العباس فحفظوا الثغور هنا مع الترك والروم، ووقفت الفتوح هنا، وأصبحت علاقات دولية وتجارة وصناعة وزراعة مع دول الفرنجة، مع بعض الغزو للقسطنطينية وحدود تركيا. وأصبح القتال في العواصم في حدود الشام وبلاد الأناضول، وباقي الأمور بقيت على حالها، وامتدَّت الفتوح قليلًا هنا، وهي عملية محافظة على الإطار في مرحلة بني العباس، أما الفتح الذي تم فهو في مرحلة بني أمية، فهذا من مميزات بني أمية.

فكان أهل العلم والجهاد في وادٍ، وأهل الملك والدنيا في وادٍ، وكما قال الرسول ﷺ للصحابي -وأظنه عبد الله بن مسعود: (ألا إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ، فَلَا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ، أَلَا إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَقْضُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَقْضُونَ لَكُمْ، إِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: «كَمَا صَنَعَ أَصْحَابُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ، وَحُمِلُوا عَلَى الْخَشَبِ، مَوْتٌ فِي طَاعَةِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ»)[١٨٣].

---

[١٨٢] **صحيح البخاري** (٢٦٥١).

[١٨٣] **معجم الطبراني الكبير** (١٧٢)،

هذا من الأحاديث المهمة جدًا في كتب السياسة الشرعية، قال: (ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان)؛ أي: سيكون أهل السلطان والدنيا في وادٍ، وأهل القرآن والصلاح والعلم في وادٍ، وهذا كان على مدار تاريخ الإسلام، أهل العلم والصلاح اعتزلوا السياسة وكان هذا خيرًا لهم وشرًا على المسلمين.

فعندما اعتزل أهل الصلاح والعبادة وتركوا القضية وعملوا بأمور الدين والصلاح وعنوا بأنفسهم؛ بقي الملك للفساد والفاسدين، واستولوا علينا؛ لأن كل الصلحاء حتى في حاضرنا قالوا: "دع الخلق للخالق، وما لقيصر لقيصر، وما لله لله"، فترسَّخ مفهوم العلمانية من هنا، أن الدين لأهل الدين والحكم لأهل الدنيا.

فالمهم افترق الكتاب والسلطان كما أخبر الرسول ﷺ، فنأتي إلى **بني العباس**.

تاريخ الدولة الإسلامية في زمن الخلافة العبّاسيّة:

*[184]وصلنا إلى بني العباس، والذي في الذاكرة أن بني العباس بدأوا في التهيئة للانقلاب من عهد عمر بن عبد العزيز وكانوا سيقومون فيه، ولكن لما جاء عهد عمر بن عبد العزيز قالوا نؤجل هذا الموضوع حتى يذهب أشج بني أمية، فهو رجل صالح فكيف سيحوّلون الناس للقيام عليه، ثم تأخر الموضوع حتى أيام مروان الأخير فقُضي على بين أمية.

الملاحظ -وهو أمر يهمنا- أن الذي وضع مخطط انقلاب بني العباس عندما كان يرسل قادته الأساسيين كان يوصيهم بوصية تهمنا، قال للقائد الأساسي: "تجنَّب أهل مكة فإنهم غلب عليهم حب الشيخين -يعني أبا بكر وعمر والسيرة الأساسية الصحيحة-، وتجنّب أهل المدينة فإنّ أغلبهم على حب عليّ، وتجنب أهل الشام فما زال في قلوبهم حب بني أمية، وتجنب أهل العراق ففيهم كذا..".

ففصّل الأمم -وسبحان الله- الوصف الذي وصفه إلى يومنا هذا صحيح. ومما قال له: "عليك بأهل خراسان"، اعتمد عليهم في أساس الدعوة، فوصفهم ومما وصفهم أنهم أطوع الأجناد للقادة، وأنه يأخذهم ويحركهم كما يشاء، كما رأينا الأفغان ورأينا غيرهم، يقال لهم: قاتلوا الروس يقاتلون الروس، قاتلوا رباني يقاتلونه، قاتلوا حكمتيار يقاتلونه، فهم جنود أشداء وأصحاب بأس[185].

[184] بداية تفريغ الملف الثاني عشر.

[185] جاء في (عيون الأخبار) للدينوري ٣٠٣/١ أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قال لرجال دعوته عندما بعثهم: "أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة عليّ بن أبي طالب. وأما البصرة فعثمانيّة تدين بالكفّ وتقول: كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل. وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى. وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان، عداوة لنا راسخة وجهلا متراكما. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تتقسّمها الأهواء ولم تتوزّعها=

وخرج منهم أبو مسلم الخراساني، وتجنَّد كثير من أهل خراسان في دعوة بني العباس، ونزلوا بهم إلى الشام وانتصروا في هذه المعارك.

ثم بعد ذلك تخلّص أبو جعفر المنصور من أبي مسلم الخراساني، وحصلت مرحلة اضطرابات، حصل فيها قتل وتصفيات بين الأوائل، ثم آل الأمر أبو جعفر المنصور الذي يُعتبر تولّيه بداية بني العباس.

أبو جعفر المنصور هو أول خلفاء بني العباس عمليًا، وكان قبله أبو العباس السفاح لفترة قصيرة، سمّي بالسفاح لأنه سَفَح كل الناس وقتل منهم مقتلة عظيمة، ويقال كان له ٦ آلاف عبد في جنوده، فخرجت عليه امرأة من نساء بني هاشم قالت له: "ويحك قتلت أولاد عمك لعبيدك"، فأخذته النخوة، فأمر بقتل العبيد وذبحهم الستة آلاف!، يذكرني به أبو عبد الرحمن أمين في الجزائر[١٨٦]، فكنت أقول هذا أبو عبد الرحمن السفاح.

الشاهد أنه خرج أبو العباس السفاح ثم بعد فترة قصيرة آل الأمر إلى أبي جعفر المنصور. وقلت لكم في كل دولة هناك رجل إداري مؤسّس، فمن حسن حظّ بني العباس أن هذا الرجل الإداري المؤسِّس الملك الحقيقي الذي تستطيع أن تعتبره منشئ الدولة هو أبو جعفر المنصور.

أول شيء عمله أبو جعفر المنصور أنه نقل العاصمة من دمشق إلى بغداد، واختص نفسه بقصر، وبنى بجواره مسجدًا، وديوانًا للحكومة، وشق منه شوارع وعمل في كل شارع منه مسجدًا، وقطّع الأقسام، ومكّن الأمراء، وبنى مدينة بغداد وسماها (دار السلام)؛ فهو مهندس بغداد الأساسي.

وانتشرت قوّاته وتشعّبت في بغداد، فوصلت بغداد في نصف مرحلة بني العباس في عهد الإمام أحمد إلى ملايين، لما كُشفت المحنة أرسلوا لهم نفوذ بغداد ٦ آلاف ألف الرجال، أي ستة ملايين نسمة، الرجال المؤرشفون في الدائرة المعروفون.

فأصبحت بغداد مدينة عظيمة جدًا. منطقة البحر المتوسط حسب بالتقسيم الحالي، سوريا، لبنان، فلسطين، البحر الأحمر، الأردن، قناة السويس، العراق، الخليج العربي، قطر. من هنا يمر نهر الفرات، ومن هنا يمر نهر دجلة، وهنا مدينة بغداد على دجلة، وتركيا، البحر الأسود، بحر مرمرة. وكانت العاصمة الرابعة للإسلام في بغداد.

=النّحل ولم تشغلها ديانة ولم يتقدّم فيها فساد وليست لهم اليوم همم العرب ولا فيهم كتحازب الأتباع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبيّة العشائر، ولم يزالوا يذالون ويمتهنون ويظلمون ويكظمون ويتمنّون الفرج ويؤمّلون الدول وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أفواه منكرة، وبعد فكأني أتفآل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق." اهـ.

[١٨٦] أمير الجماعة الإسلامية المسلحة (الجيا) في الجزائر والذي انحرفت الجماعة في عهده وأخذت منحى الغلو في التكفير واستباحة دماء وأعراض المسلمين.

فكانت العاصمة الأولى المدينة ومكة، والعاصمة الثانية دمشق، ثم انتقلت دمشق إلى بغداد، هذه المنطقة أصبحت قلب العالم وفيها كل تاريخ الإسلام تقريبًا؛ العراق مصر، الشام. عمليًا من خراسان إلى مصر إلى اليمن إلى حدود الأناضول هي تاريخ الإسلام.

كان أبو جعفر المنصور رجلًا عبقريًا مثل عبد الملك بن مروان، أسس الأمة ورتبها، وكانت عقليته كبيرة جدًا، ومثلما حاول هرقل الذي كان يريد أن يجمع الأناجيل، حاول أن يجمع الأحكام ويوحّد الفقه ويجعل الناس على مذهب واحد. فأرسل إلى الإمام مالك ليكتب له (الموطأ) ليوحد الأمة على أحكام معيّنة.

وفي عهده تقريبا بدأت المذاهب، وكان سفيان الثوري صاحب مذهب، وكان أبو حنيفة صاحب مذهب، وفي آخر عهده كان الإمام مالك، ففي هذه الفترة الذهبية بدأت المذاهب.

فرتب أبو جعفر المنصور الدولة تمامًا، وتخلّص من خصومه، وحاول أن يجبر العلماء، فامتُحن في عهده الإمام مالك، والإمام أبو حنيفة، وأراد الطالبيون (بنو الحسين) بعد ذلك أن يقوموا بانقلاب ويستردوا الحكم من بني العباس بعد أن خدعوهم، وحدثت عدة ثورات من بني الحسين بن علي -رضي الله عنهما- على بني العباس وأبي جعفر المنصور.

فخرج محمد النفس الزكية في المدينة، وخرج أخوه إبراهيم في الكوفة على أبي جعفر المنصور، الأول اعتمد فتاوى الإمام مالك، والثاني اعتمد فتاوى الإمام أبي حنيفة، ولكن كما حصل دائمًا في دنيا السياسة غلب أهل السياسة المشايخ، ففي أغلب الاشتباكات التي حصلت نتج هذا عن تصرف كلا الطرفين.

هناك كتاب لرجل لا أحبه في الله، ولا أحب كتبه اسمه محمد العبدة، والكتاب اسمه (هل يعيد التاريخ نفسه؟)، وهو كتاب قيم، وفكرته جميلة وخاصة الآن، لا بد أن نقتبس من التاريخ دروس وعبر، وله كتاب اسمه (حركة النفس الزكية) كتاب جيد. كتاب (هل يعيد التاريخ نفسه؟) يوضح وضع الأمة مع الصليبيين، وهو نفسه وضع المسلمين الآن.

المهم من الأشياء التي عملها أبو جعفر المنصور لما علم أن محمد النفس الزكية يعد للثورة، رأى أن أفضل طريقة لإفشال هذه الثورة هو أن تخرج قبل أن تنضج، لاحظ أن هذه الطريقة يعملها كل الملوك، حتى أن الملك حسين أستاذ في هذه الطريقة، يعرف أن الناس يريدون أن يتسلَّحوا، فيسلّحهم ويجعلهم يخرجون قبل أن تُعدّ القضية بشكل جيد.

أرسل أبو جعفر المنصور رجلًا من خواصه فأعلن حب آل البيت، واندس في جماعة محمد النفس الزكية، وكان له مهمة واحدة هي: أن يقنعه بالخروج، كل الملوك تخاف أن يخرج عليها الناس، وهذا ذهب ليقنعهم بالخروج قبل الوقت، ولما علم أبو جعفر المنصور أن محمد النفس الزكية خرج -وكان يعلم أن حركته لم تنضج بعد- من فرحته قذف عمامته في السماء وقال: أخرجت الضَّب من جحره.

لذلك جماعة حافظ الأسد لما أرادوا أن يدمّروا الجهاد اضطروا أهل حماة للخروج إلى المواجهة العلنية. وفي كتاب (حرب العصابات) لجيفارا هناك فصل اسمه (الدفاع الذاتي)؛ أي أن تخرج العصابات وتحتل منطقة تدافع عنها وتعتبرها منطقة محرّرة، فاعتبرها جيفارا واحدًا من أساليب حرب العصابات، وهذا علم عسكري نأخذه من أبي جعفر أو من أي واحد كعلم عسكري.

فقال: "إذا قفزت العصابات إلى المرحلة الثالثة قبل نضج المرحلة الأولى والثانية، انتقلت لمرحلة المنطقة المحرّرة قبل أن تتهيأ فهذا سبب لدمار الثورة". فهذا حصل في حماة، وحصل مع محمد النفس الزكية، أنهم خرجوا ليُدافعوا عن المدينة قبل أن تُعد الثورة بشكل جيد.

وكما ذكر محمد العبدة فقد كان هناك نوع من التخلّف في إدارة الحركة، حتى أنهم حفروا خندقًا حول المدينة في حين الحروب تطورت وأصبح هناك أساليب أخرى. ومن الأشياء والدروس التي حدثت أن القائد العسكري لمحمد النفس الزكية أراد أن يهجم على حامية بني العباس في المدينة ويقتلهم، فقال له: :لا أريد أن أبدأ حركتي بسفك الدماء"، –رضي الله عنه–، قيل له: "نحن في حرب فكيف نتركهم؟ لو ترُكوا لذهبوا والتحقوا بجيش بني العباس"، فقال له: "اتركهم"، فتركهم، فذهبوا والتحقوا بجيش العراق، وكانوا هم طليعة جيش أبي جعفر المنصور في دخول المدينة.

فلما عرف القائد العسكري ذلك، خرج من عنده يقلّب كفَّيه ويقول: "يريد الحكم ولا يسفك الدماء!"، يعني: كيف تتوافق هذه مع هذه؟!

السلطة والحكم والجهاد وقيام الدول لا يكون إلا بالدماء، وهذه فقهها الناس، الشيخ الزنداني عندما جاء إلى هنا وكان من أصحاب الشيخ عبد الله عزام كان له تسجيلات بهذا المعنى عن الجهاد والعبادة الجماعية...إلخ. وأخيرًا هذا الشخص نفسه يقول في خطبة جمعة حضرها عشرون ألف شخص: "لا نريد في اليمن دماء، لا نريد أشلاء، لا نريد دمارًا، لا نريد إرهابًا، هي ورقة نضعها في الصندوق تُقيم بها دولة الإسلام"!.

فالشاهد في الموضوع أنّه هنا سأل نفس السؤال، يريد الحكم ولا يريد سفك الدماء؟! كيف تريد أن تنتزع الحكم من علي عبد الله صالح أو فهد أو غيره؟ يقال أن نايف عبد العزيز عندما أراد قتل عبد الله الحضيف أول شهداء الحركة الجهادية في السعودية، ذبحه بنفسه وقال لهم: "هذا المُلك جاءنا بالسيف، لا يُحافظ عليه إلا بالسيف"، فحتى هؤلاء الكفرة واعون لهذه المسألة.

فعبد العزيز عندما أقام ملك آل سعود وصار سلطان الحجاز بالسيف –كما سندرس في تاريخ الجزيرة–، وحارب آل الرشيد وإلخ.

فالشاهد في الموضوع أن أبا جعفر المنصور أقام ملكه ووطّده، وأصلح الدولة، فخلفه من بعده ابنه الهادي، ومن بعده المهدي، ومن بعد المهدي ابنه هارون الرشيد، وهارون الرشيد كان له ولدان: الأمين والمأمون.

وهنا ملاحظة كما قال ابن خلدون: كل دولة لها صعود ثم لها هبوط، فهذه المحلة قمة مرحلة الصعود وبداية النزول، وأحيانًا بعض الدول تنهار ثم يكون لها قيام آخر كما حصل في الأندلس أن وجود المسلمين أوشك أن ينتهي على رأس الأربعمائة سنة ولكن قامت معركة (الزلّاقة) ونصرهم مسلمو شمال إفريقيا المسلمين في تلك المعركة، فقامت الدولة مرة أخرى، واستمرت حوالي أربعمائة سنة أخرى، أي أنها قامت وانهارت ثم قامت وانهارت، أي كان لها نهضتان.

الشاهد في الموضوع أن هذه القصة تفيدنا جدًا في أفغانستان.

على الهامش بعيدًا عن بني العباس، دعونا نهاجر قليلًا إلى الأندلس. معركة الزلاقة على رأس الأربعمائة سنة يعني في القرن الحادي عشر، كان المسلمون قد وصلوا إلى مرحلة من الانهيار فطمع بهم النصارى، فوحّدوا جيوشهم وأجمعوا أمرهم وهجموا على قرطبة، ليُسقطوا عاصمة المسلمين في الأندلس.

وكان في الحكم المعتمد بن عبّاد، شاعر نبيل، فجاءه الرسل من عند يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين في شمال أفريقيا يعرضوا عليه النصرة، وكانت دولة المرابطين قامت هناك؛ لأنه الدولة العباسية ضعفت فتحرّرت هذه الدول وأصبحت ممالك، وفي الشرق أصبحت هناك ممالك، وأصبحت بغداد هي قلب العالم الإسلامي فعلًا، ويرتبط بها باقي العالم الإسلامي اسمًا.

فقامت دولة المرابطين ثم دولة الموحدين ودول في شمال أفريقيا، ودولة المرابطين دولة قامت على جهاد النصارى، فكان من أمرائهم ومن الملوك الصالحين يوسف بن تاشفين، وكانوا يشدّونه من على الفرس من هرمه خشية أن يسقط، عمره ٩٣ سنة.

فعرض عليهم أن ينصر المسلمين، فجاء حاشية الأندلس وقالوا للمعتمد بن عبّاد: "إذا جاء هؤلاء البدو أهل الصحراء الذين لا يرون النعيم، سيأتون فينصرونك على النصارى لكن سيأخذون منك الملك"، فقال لهم: "سأنظر ماذا أرى"، فبات تلك الليلة يفكر هل سيأتي هؤلاء ويأخذون منه الملك أو يأتي هؤلاء أو يصالح النصارى؟!

فلما كان الصباح وكان شاعرًا أديبًا سياسيًا لبيبًا، قيل له: ماذا رأيت؟ قال: "رأيت رعي الإبل لا رعي الخنازير"، أي: يأتي يوسف بن تاشفين فأسوأ ما يكون أنه يأخذ دولتنا ويجعلنا عبيدًا، وإذا كان ذلك سيأخذنا نرعى الإبل في الصحراء، وإذا جاء النصارى وغلبونا، سيأخذوننا على أوروبا نرعى الخنازير، فرعي الإبل ولا رعي الخنازير.

أمس حصلت معي مشكلة إدارية مع بعض صغار الطالبان هنا، وحدث تصرّف غير صحيح، فجاء الشيطان وضاقت نفسي من هذا الجهاد وهذه الردود وحصلت مشكلة، فقفز إلى ذهني مباشرة: "رعي الإبل ولا رعي الخنازير"،

ففكّرت أننا قد نُهان هنا، وقد يُداس لنا على بعض الشيء، لكن الطالبان رجال والله أخلاقهم تذكّرك بأخلاق السلف الأول، أناس كبار، وهناك أناس بدوٌ تذكّرك أخلاقهم بالأعرابي الذي جذب الرسول ﷺ، فيحصل هذا ويحصل هذا.

ف"**رعي الإبل ولا رعي الخنازير**"، هذا أقول لكم ولكل من يريد أن يوطّن نفسه على الإقامة هنا إلى أن يقوم المهدي -إن شاء الله-، أو يترك هذا الخيار ويقول أنا عندي خيار آخر وهو اللجوء السياسي لدولة الملك حسين، وإهانات أمن الدولة. أو يذهب يجلي صحون أهل النصارى، حقيقة نصف من أعرف من إخواننا من الفقراء الذين يعملون في المطاعم ويغسلون الصحون التي كان يؤكل فيها الخنزير ويُشرب الخمر، فلا والله إهانات البدو هنا وجذبهم العنيف ولا رعي الخنازير!.

لما تكون المفاضلة للدين، تكون المفاضلة هكذا، بعض الناس قالوا لي: "كيف نعيش هنا والأحوال كذا وكذا؟!"، قلت له: أنت تقدّم الرفاهية والكرامة على الدين، هنا تحفظ دينك ويمكن أن تُهان، وفي أوروبا يذهب دينك وتحفظ كرامتك، فرعي الإبل ولا رعي الخنازير، لهذه العبرة ذكرت هذه القصة.

فقال لهم ذلك، فجاء جيش المرابطين وجاء يوسف بن تاشفين، وانضموا إلى جيش ابن عبَّاد وتوحّدوا في معركة الزلاقة ضد النصارى، وسَحَقَ المسلمون النصارى في معركة مشهورة عجيبة جدًا، ثم امتدَّ مُلك الإسلام في الأندلس بعدها أربعمائة سنة.

فكان موقفًا صحيحًا للرجل الذي فضَّل رعي الإبل على رعي الخنازير، وكان من المناقب أن يوسف بن تاشفين بعد المعركة جمع جيشه وأقسم عليهم ألَّا يأخذوا شيئًا من الغنائم ثم رجع إلى المغرب، فلم يحصل ما خافوا منه.

نرجع إلى مرحلة أبي جعفر المنصور، هذه المرحلة هي المرحلة الذهبية لصعود الدولة العباسيّة، ثم جاءت مرحلة ضعف الخلافة التي بدأت سنة ٦٣٢هـ أو ٦٣٥هـوانتهت بسقوط بغداد في ٦٥٦ هـ.

المهم أنها بلغت الذروة في عهد هارون الرشيد وامتدّ الملك من أقصى الصين إلى أقصى المغرب، وأسرد لكم قصتين حتى تروا عظمة الملك:

تعرفون القصة المشهورة عندما مرَّت غيمة فوق هارون الرشيد، فمضت ولم تُمطر فحزن الناس لاحتياجهم للمطر، فهارون الرشيد تحدَّى الغيمة وقال لها: أمطري حيث شئتِ فسوف يأتيني خراجك؛ ذهبت شرقًا أو غربًا ستمطر ويخرج الزرع، وحصيلة هذا الزرع سيرجع إلى بيت المال، فأمطري حيث شئتِ الملك كبير وممتدّ من الصين وإلى آخر أفريقيا.

وأما على الصعيد العسكري فكانت الدولة قوية خلافًا لما يُشاع، مع أن هارون الرشيد عند علماء عصره الصالحين يعدّ من ملوك الجور، فسفيان الثوري رفض أن يكون في حاشية أبي جعفر المنصور أو الهادي أو المهدي، وله مساجلات معهم.

ومرة بحث عنه الهادي وأتى به، فقال الناس يحكم عليه، فلما جاء بين يديه قال له: ماذا تريد مني؟ قال له: ولَّيتك القضاء، وأعطاه كتاب تولية القضاء، قال له: خيرًا، أنظر في الأمر، فتبعه الناس، فسألهم الهادي هل نشره؟ قالوا له: رماه في دجلة، ورجع إلى الصحراء مرة أخرى. هذا في مرحلة الهادي، وفي مرحلة المهدي نفس الشيء.

أمّا في مرحلة هارون الرشيد؛ كان هارون الرشيد فترة صديقًا لسفيان ودرس معه عند نفس المؤذن ونفس الشيخ، فأرسل له رسالة رائعة جدًا موجودة في الكتاب الذي ذكرته لكم (الإسلام بين الحكام والعلماء) لعبد العزيز البدري.

فذكر هذه القصة من ضمن القصص، أنه أرسل له كتابًا يقول له قد آل الملك إليّ، وعملت حفلًا كبيرًا جدًا، وبعث الرسالة مع رئيس الحرس الملكي، رجل يخاف منه الناس خوفًا أعمى، فبحث عنه في الصحراء فلما وجده جاء ودخل المسجد، فلما رآه وجده يصلّي مع الناس، فلما سلَّم سفيان ورآه قال: "نعوذ بك اللهم من شر طارق إلا طارق يطرق بخير يا رحمن"، لما رأى ساعي الخليفة.

فرمى له الرسالة فتباعد منها كما يتباعد الإنسان من العقرب، وقال لهم: انظروا ما فيها، فأخذوها وقرأوها فأمسكها بطرف ثوبه ولم يمسكها مباشرة، فقرأ فيها: "أني هارون الرشيد قد وليتُ الملك ودعوت الصلحاء والعلماء، وآسفني أني ما رأيتك بينهم، وأكرمتهم وأعطيت هذا كذا، وهذا كذا، ولو كنت موجودًا لأكرمتك..".

يعني رسالة تغريه ليأتي، فقال لهم: "اكتبوا لهذا الظالم على ظهر كتابه، سنشهد عليك كما شهدت أنت على نفسك بأنك هجمتَ على بيت مال المسلمين، أخذت مالًا ووزّعته"، فكتب له رسالة تعنيف، وأخبره أن هذه آخر مرة تبعث لي بالكتب.

وبعد أن رأى السَّاعي وكان رئيس القوات الخاصة هذه القضية بهذه الصورة، فذهب وباع أسلحته وأموره واشترى لباسًا من الصوف والتحق بالصالحين، فلما رآه سفيان بلباسه قال لهم: "فاز الرسول وخاب المرسِل"، انظر من فقهه أن الرسول دخل في أهل القرآن والصالحين وترك أهل السلطان، وهو بقي على هذه الحال.

ورغم ما نسبوه إليه من الظلم والجور كان هارون الرشيد يحجّ سنة ويغزو سنة.

ومن معالم الدولة في تلك المرحلة أنه كان هناك إمبراطورة للروم –والقصة مشهورة–، وكان النّزاع بين الإمبراطورية العباسية الإسلامية، وكان كل من يريد الغزو ويريد الجهاد يذهب إلى هذه المنطقة: شمال العراق، بلاد الأكراد، شمال سوريا، طرطوس، لواء الإسكندرون، هذه المناطق.

فكانت إمبراطورة الروم في بيزنطة امرأة تدفع الجزية لهارون الرشيد، ثم جاء من بعدها رجل اسمه (نقفور) وهو رجل عسكري انقلب عليها وأخذ الحكم، فأرسل إلى هارون الرشيد يقول له: "علمتَ سفه النساء، وكانت من قبلي ترسل لك الجزية وهذا من قلّة عقل النساء، فكل الجزية التي دفعتها لك اجمعها وتردّها لي أو نأتيكم بالحرب".

فكتب له هارون الرشيد: "من هارون الرشيد إلى نقفور كلب الروم، بلغني كتابك يا ابن الفاجرة، والجواب ما ترى لا ما تسمع"، وركب في الغزو إلى نقفور. فهذا كان وضع المُلك في تلك المرحلة.

والقصد أنه لما وصلت القضية لهارون الرشيد كانت الدولة في قمة القوة وقمة العلم؛ عندما تقرأ في كتب الطبقات تجد تلك الفترة وهي نهاية القرن الهجري الثاني تجدها مرحلة ازدهار؛ عبد الله بن المبارك عاصر هارون الرشيد وكان من فقهاء المرحلة ومن غزاة المرحلة، هو كان يغزو في مرحلة هارون الرشيد. وهناك كتاب لا أذكر من كتبه، عبارة عن سلسلة (سلسلة الأعلام) أو شيء من هذا القبيل، كتب فيه عن أبي حنيفة، وعن عبد الله بن المبارك فسيرته تُقرأ جميلة جدًا.

فالشاهد هارون الرشيد خلّف المأمون، والمأمون أمه فارسية، تعرفون أن الملوك بجانب الملك يحبّون أن يُكثروا من النساء، فبعضهنّ من سلالة الفرس، وبعضهن من سلالة الترك، وبعضهن من سلالة العرب. فكانت أم المأمون فارسية، وأخواله فُرس. وأم الأمين عربية، فأخواله عرب. فلما مات هارون الرشيد اقتتل هذان الأخوان على الملك، ثم انحسمت المعركة لصالح المأمون فقرَّب أخواله فصار قادة الجيش من الفرس، وبدأ دخول الفرس.

لذلك القوميّون والمستشرقون يجعلون هذا بداية ما يُسمى (الدولة الفارسية)، فيعتبرون أنّ الدولة العربية انتهت هنا؛ تغلغل الفرس وتغلغل الشيعة وقامت (الدولة البويهية)، وهي عبارة عن السلطة التي يعتمد عليهم الخليفة، حتى كانوا ينافسون الخليفة؛ مثل (البرامكة) وغيرهم، فعندما أصبحوا أقوياء في الحكم بطش بهم الخليفة من الغيرة، إذ نافسوه في السلطة.

فلما جاء المأمون كان الحكم في قمّته، وكان المأمون عالمًا وفيلسوفًا محبًا للكتب والعلم، أي من أهل التفكير والمعارف، واحتكّ المسلمون بحضارة الهند، والصين، والروم، واليونان، وكل الحضارات احتكّت بهم، وهذا من روائع الحضارة الإسلامية.

وهناك كتاب من الضروري أن تقرأوه للشيخ مصطفى السباعي، كان مسؤول الإخوان المسلمين في سوريا، وحضر الجهاد في فلسطين، وعاصر حسن البنا في مرحلته -رحمة الله عليه-، هو كتاب صغير لكنه مفيد اسمه (من روائع حضارتنا)، من الكتب التي يدرسها الإخوان المسلمون لكنه كتاب جميل تحدّث فيه عن صور من الحضارة.

فمن فضائل حضارة المسلمين أنهم جاؤوا بالحضارات كلها وخلطوها ومزجوها ثم طبعوها بطابع الإسلام وأخرجوها حضارة ممتازة جدًا.

العرب ليسوا أهل حضارة، سبحان الله أقارن جدًا بين نهضة العرب، ونهضة العثمانيين، ونهضة الطالبان الآن؛ أن الناس التي تنهض عادة في تأسيس حركة يكون قد سيطر عليهم العسكريون، ليسوا أهل حضارة، وإنما أهل قتال، ليسوا أهل معارف وفلسفات وكذا.

العرب كان قوتهم القمح والبُرّ، ورأوا الأرز لأول مرة بعد فتح الحِيرة في جنوب العراق، حتى أنهم خافوا أن يأكلوه، فأطعموه لخيولهم وصبروا عليها أربعة وعشرين ساعة فعندما لم تمت صاروا ينقعون الأرز ويطبخونه!.

المهم لما دخلوا على هذه البلاد وأخذوا الجواري، جواري الفرس وجواري الروم، تعرّفوا على الطبخ، وتعرفوا على الحلويات وتعرفوا على العمران وهندسة البناء، وبنوا القصور، وعمّروا المسجد الأموي بعشرة آلاف مهندس روماني، مهندسو الروم أصلًا من أهل الشام، فهم أخذوا الحضارات، فمنها جاءنا خير كثير وشر كثير.

من الشر الذي جاءنا في عهد المأمون أنه عمل حركة ترجمة، فأتوا بكل الكتب الهندية والصينية والفارسية والرومية، وبدأوا يترجمون حتى يُخرجوا المعارف للغة العربية، فتُرجمت أمور عظيمة في الطب والفلك، وطوّروها وأصبح هناك علماء عظام جدًا، في الفلك والطب وأمور عظيمة جدًا.

وحضارة أوروبا قامت على نفس الشيء وهو ترجمة كتب حضارة المسلمين، فالمسلمون لخّصوا حضارات العالم، وكانت مرحلة عبور إلى الحضارة الغربية، وسلموهم إياها ممزوجة جاهزة، فأخذها الغرب فطوّروا منها العلوم المعاصرة.

فالمأمون أنشأ دارًا وسماها (دار الحكمة)، ودار الحكمة من أكبر مكتبات المسلمين، كان أي إنسان يترجم كتابًا يدفع له وزنه ذهبًا أو مجوهرات، تشجيعًا على العلم والمعرفة. فسمع بمكتبة موجودة في بيزنطة عند الروم فيها كتب الأوّلين من الروم واليونان، وبها فلسفة أرسطو وسقراط، وكتب الرياضيات وغيرها، فعرض على إمبراطور الروم أن يأخذها، فأمسكها إمبراطور الروم خشية أن يتطوروا بها.

فسبحان الله كان هناك رجل ذكي جدًا، تجد أصحاب العقول عباقرة، كان راهبًا خبيثًا قال له: "هذه كتب فلسفة اليونان عندما دخلت النصارى جعلت الإنجيل أربعمائة، فعندما دخل علم الكلام على النصارى شوّه الدين واختلف النصارى على الصورة والإله وأفسدت الدين، فأعطِها للمسلمين ليفسدوا دينهم"، فأعطاهم إياها بثمن بخس.

فأخذها المأمون، وبدأت ترجمة فلسفة اليونان. وفلسفة اليونان أوجدت علم الكلام والفلسفة في الدين الإسلامي، فظهر المعتزلة وظهرت الفِرق وبدأوا يتحدّثون، وظهرت الجهميَّة، وظهرت البلاوي بسبب إدخال فلسفة اليونان في

الدين. حتى أصبح بين العلماء وبين أهل الكلام حربًا ضروسًا، وهناك أقوال كثيرة للإمام أحمد، وللشافعي إلى آخره – رحمهم الله– في ذمّ أهل الكلام وهم أهل الفلسفة.

فبدأ ينشأ في عهده مشكلة المعتزلة، وخلاصة مشكلة المعتزلة بكلمتين: تقديم العقل على النقل، ولسنا بصدد هذا الآن، فليس موضوعنا. وتقديم العقل أي يأتوا بالقرآن والحديث ويحاولون تطويعه لما يستسيغه العقل، إذا تمّ ذلك قبِلوه، وإلّا يُعوجونه أو يردّونه.

وكان منهم أئمة وعلماء كبار، منهم أناس أجلاء لكن دخلت عليهم هذه المصيبة، وكان الانحراف في أهل الشيعة هو في الرَّفض، والانحراف في أهل السنة هو في الاعتزال. فكان البلاء وبدأت الفِرق.

وهنا مشكلة لن ندخل في تفصيلها، وهي أنه في عهد المأمون امتُحن الإمام أحمد من أجل مسألة (خَلْق القرآن) التي تبنَّاها المعتزلة؛ فالمعتزلة تبنّوا قضية خلق القرآن بسب علم الكلام، ووقف الإمام أحمد هذه الوقفة، وبقيت المشكلة قائمة، فالإمام أحمد عاصر المأمون، والمأمون كان ذاهبًا للتصييف، والملوك هكذا من قديم الزمان، هذا يصيّف في (ميامي) وهذا في (الريفيرا)، فالمأمون كان يصيّف في طرطوس في شمال سوريا على حدود تركيا، وكان رجلًا جبارًا، فقال لهم ائتوني به. فحُمل الإمام أحمد بسلاسل قيل أن وزنها ثمانون كيلو، حُمل في المركب حتى يقابله جناب المأمون.

وهنا قصة جميلة جدًا حيث عبر إليه رجل اسمه أبو علي القالي وقال له: "يا إمام إنما أنت اليوم رأس في الدين، وإنما هي موتة واحدة، ضربة سيف وتكون في الجنة فلا تُجِبهم إلى ما أرادوا"، فشجّعه أن يقف وقال للإمام: "إنك اليوم رأس والناس لك تَبَع فإن اهتديت اهتدى بك قوم كثير، وإذا ضللت ضلَّ بك ناس كثير"، فقال له الإمام أحمد: "سبحان الله أعِد عليَّ هذا"، فيُعيد عليه.

وهذه القصة ذُكرت في شريط جميل عن الإمام أحمد للشيخ سلمان، ذكر فيها القصص في صمود الإمام أحمد.
واستمرت القضية، وبعد المأمون جاء المعتصم، واستمرّت المحنة.

وكان المعتصم خليفة جاهلًا، وقِيل أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، وكان شخصية عسكرية، عندما تحدَّاه الناس جوّع أسدًا فترة ثم صارعه أمام الناس في وسط بغداد حتى لا يشكّك في قدراته العسكرية أحد. فكان ضابط في الجيش من العسكرية، ولا يفهم في مسألة خلق القرآن، لكنه كان يقدّس آباءه.

وقال للإمام أحمد: "لولا أن من سبقني أخذ في هذه القضية لتركتك"، لكن من سبقني كان يفهم فأنت المخطئ .
فامتُحن الإمام أحمد أشدَّ محنة في زمن المعتصم، وهي المرحلة التي ضُرب فيها، وقصص تجدها في كتاب (سير أعلام النبلاء) حوالي ثلاثين صفحة.

فالمعتصم كان كذلك من الخلفاء الأقوياء، ولم يكن الانحدار قويًا بعد، في عهده حدثت القصة المشهورة للمرأة التي أخذها الرّومي فنادت وقالت: "وامعتصماه"، فقال لها الرومي: "ليأتيك المعتصم على فرس أبلق"، أي: أبيض اللون، فذهب المعتصم وجمع من أسواق المسلمين ثمانين ألف فرس أبيض، وركب فيها إلى عمورية –التي كانت المرأة مأسورة فيها وهي من مناطق الروم–، ودخل وخلّص المرأة، وقال: جئتك على ثمانين ألف فرس أبيض.

ورافقهم في الرحلة الفارس أبو تمام، وكتب القصيدة المشهورة:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْباءً مِنَ الكُتُبِ　　　في حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ

بيضُ الصَّفائِحِ لا سودُ الصَّحائِفِ　　　في مُتونِهِنَّ جَلَاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ

وخرّب المعتصم عمورية، وترك التلال محروقة. تذكرت –سبحان الله– لما دخلنا مناطق مسعود التي عمل فيها الطالبان، فقلت لهم هذه كتائب المعتصم تمشي وتحرق، وتكوّن تلالًا. فمن جملة القصيدة أبيات يتغزّل فيها بفتح عمورية[١٨٧].

فالشاهد أن العلماء أجازوا الجهاد معه المعتصم في فتح عمورية، فانظر إلى تقدير العلماء للجهاد والمجاهدين على ما فيهم من العوج. قلت للإخوة في الكتاب الذي كتبته عن الطالبان في الأدلة على جواز بل وجوب دفع الصائل مع أهل البدع: الطالبان يعملون بعض البدع ولنفرض أنهم يقولون: "يا الله يا محمد"، مع أنّه ليس جميعهم يفعلون ذلك، لنفرض أن فيهم صوفية، هل أمسكوا الناس على مفارق الطرقات، وهل أمسكوا العلماء فسألوهم: تقولون بالبدع أم نذبحكم؟ بل هم مبتدعون لوحدهم، ويدافعون عن دين الله، ولا يجبرون أحدًا على بدعتهم.

فقلت: ما رأيك في بني العباس الذين كانوا يمسكون الناس على الطرقات ويمتحنوهم إما بالقتل أو الضرب أو القول بخلق القرآن وهي بدعة مكفّرة.مع ذلك سئل الإمام أحمد فكان يصلي ويغزو ويحج مع المأمون، ويأمر الناس بذلك، وعندما استُشير في الخروج على المأمون عندما أراد أحمد بن نصر الخزاعي الخروج عليه، لم يُجِز ذلك، وعندما قُتل ترحَّم وبكى عليه، بمعنى أنه كان راضٍ عن عمله ولكن لم يرَ الخروج عليهم.

ولما سألوه عن الغزو مع بني العباس في زمن المعتصم، وهم يفعلون كذا وكذا، روى ابن قدامة قال: لما سئل الإمام أحمد قال: "سبحان الله مثبّطون قَعَدة جهّال"؛ الذين منعوا الغزو مع بني العباس لأجل بدعة، "ماذا كانت تفعل الروم لو تُرك الغزو مع بني العباس؟".

---

[١٨٧] **فَتْحُ الفُتوحِ تَعَالَى أَنْ يُحيطَ بِهِ　　نَظْمٌ مِن الشعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ**
فتحٌ تفتَّحُ أبوابُ السَّماءِ لهُ　　وتبرزُ الأرضُ في أثوابها القُشُبِ
يَا يَوْمَ وَقْعَة عَمُّوريَّة انْصَرَفَتْ　　منكَ المُنى حُفَّلاً معسولةَ الحلبِ
أبقيْتَ جدَّ بني الإسلامِ في صعدٍ　　والمُشْرِكِينَ ودَارَ الشرْكِ في صَبَبِ

والشاهد الآخر: عندما فُتحت عمورية على يد المعتصم أُثر عن الإمام أحمد: "اللهم إني أحللته من ضربي لما فُتح على يديه للمسلمين"، وانظر لما فعله المعتصم وعذّبه بنفسه، لو عُمل بك ستكفّره إلى يوم يُبعثون، فلما فُتح عليه للمسلمين أحلَّه من إثم ضربه؛ لأنه فُتح عليه في دفع البلاء عن المسلمين، فهذا أحد الشواهد التي ذكرتها في كتاب (أفغانستان والطالبان ومعركة الإسلام اليوم)، فكان في صدر الأدلة كلام الإمام أحمد في الغزو مع بني العباس وفيهم هذه البدعة المصيبة. فعندما ترى انحرافات بني العباس وبني عثمان ودول الطوائف تجد أن الطالبان والأفغان من أهل خير القرون بجانبهم.

الشاهد، أن الإمام أحمد امتُحن في زمن المعتصم، ثم ذهب المعتصم، فجاء الواثق بالله واستمرّت المحنة. ثم حصلت مناظرة بين أحد العلماء، بعض الكتب تذكر اسمه، وبعضها تذكر أنّه شيخ من (أضنة)، وهي مدينة في شمال تركيا بين حلب وإسطنبول في الوسط.

ففي السّير مذكور أن شيخًا من أضنة ناظر أحمد بن أبي دؤاد -الذي قاد المحنة- وجماعته أمام الواثق، وانتهت المحنة لما اقتنع الواثق بهذه المناظرة.

لما جاء شيخ من أضنة يناظر أحمد بن أبي دؤاد، كان قد مات وعُذّب علماء كثيرون جدًا، فجعل الله انتهاء هذه المحنة على يد هذا الرجل، مع أن الإمام أحمد هو المشهور بمواجهة المحنة، ولكن من واجه المحنة والفتنة ليس الإمام أحمد فقط، إنما طبقة من العلماء، ولكن ذُكر العَلَم الأساسي الذي استندت الناس إليه.

المهم أن خلاصة المناظرة أن سأله الشيخ: أمر خلق القرآن هل علمه رسول الله أم جهله؟ قال له: علمه، قال له: هل قال به أم سكت عنه؟ قال: سكت عنه، فقال: أمر وسِع رسول الله ﷺ أن يسكت عنه ألا يسع أمير المؤمنين؟ فسكت، فقال له: يا أمير المؤمنين هذه واحدة، ثم سأله هل علمه أبو بكر وعمر، وعدَّ الخلفاء.

وفي النهاية قال له: يا أمير المؤمنين أمر وسِع رسول الله ﷺ أن يسكت عنه، وأبا بكر وعمر كذلك، فلا وسَّع الله على أمير المؤمنين إذا لم يسعه ما وسع الرسول ﷺ والخلفاء. فقال له الخليفة: نعم، لا وسّع علي إن لم يسعني ذلك، يعني أقرّ. فلمح المتوكل ابن الواثق أنه قد بدأت نهاية المحنة.

فلما تولى المتوكل بعد أباه، كان أبوه قد رتَّب لنهاية المحنة، وانتهت في عهد المتوكل، وقُبض على المعتزلة وقُتل معظمهم، وانتهت القضية بأن ساد مذهب الإمام أحمد، وساد مذهب أهل السنة، وفوّض إليه نهاية القضية، وقد استمر في المحنة عشرين سنة. وبعد أن جاء الفرج بسنة أو سنة ونصف توفيّ الإمام أحمد. فالشاهد في الموضوع أنها قصة جميلة جدًا تُقرأ.

تفكّك الخلافة العباسيّة والغزو الخارجي:

فلما جاء المتوكل بدأ الانهيار، وبدأ ضعف الخلفاء، وبدأت تتفكَّك الدولة، ونزل الأتراك المسلمون من أواسط آسيا، وصاروا هم القوة العسكرية للدولة، وبدأوا يُحاربون الروم، ووُجد منهم السلاطين، فكان هناك ما يسمى الخليفة وما يسمى السلطان، والسلطان هو القائد العسكري، والخليفة هو الحاكم.

فنزلوا بغداد، وكان هناك تزاوج بين أسرة السلطان والعباسيين، لكن لم يجرؤ الأتراك أن يجعلوا الخليفة منهم، لأن القضية شرعيّة أنّه يجب أن يكون الخليفة من قريش، فيجب أن يكون من بني العباس، فتركوه خليفة في القصر ديكورًا، ولكن الحكم الفعلي كان للأتراك.

فبدأ الأتراك يدخلون في الدولة العباسية في تلك المرحلة وبعدها -أظن من مرحلة المعتصم أو من بعده-، فبدأت **(الدولة التركية)** في النصف الثاني لمرحة بني العباس حيث بدأت سيطرة الأتراك على شرق بلاد المسلمين.

أما في الغرب وشمال إفريقيا ووسط آسيا والهند فقامت ممالك ونشأ ملوك مسلمون صالحون أقوياء، مرتبطون بالخليفة بالاسم، ولكنهم ملوك وسلاطين؛ سلطان مصر، سلطان المغرب، سلطان بغداد، سلطان وسط آسيا.

ومن الملوك الصالحين الذين ظهروا في هذه المرحلة السلطان محمود الغزنوي، المتوفَّى سنة ٣٩٥ هـ، أي في نصف مرحلة بني العباس كانت الأطراف قد تفكّكت، وضعفت الخلافة، حتى كنت أقرأ في تاريخ بني العباس في (تاريخ ابن كثير) قصصًا طريفة، لكن تعطيك فكرة عن ضعف الخلافة، والقلاقل والقتال على الملك..

قرأت أنه في سنة ٣٦٥ كان خليفة لا أتذكر اسمه، دخل عليه أولاد عمه، فخلعوه وأدخلوه السجن وأعدموه، بعصر خصيتيه، هكذا مكتوب في كتب التاريخ، فتصور حالة الدولة التي وصلت إليها بعد هذا الخليفة المعصور!

وذكروا من الخلفاء واحدًا مشهورًا من المخلوعين اسمه الظاهر كذا، ذكره ناصر العمر في شريطه (سقوط الأمم)، قال أن الرجل دخلوا عليه وهو يحفر بركًا في القصر، فسألوه ماذا تعمل في البرك؟ قال لهم: أريد أن أملأها ذهبا وفضة حتى لا يدرك أولادي الفقر. فثار عليه أولاد عمه، وسملوا عينيه بالحديد المحمَّى، وشُوهد هو يتسوّل في حياته ولم يأتِ أولاده بعد في مسجد بغداد، خليفة يتسوّل الخبز وكان يحفر البرك للذهب والفضة!.

فهذه العبرة على فساد الملك، فيها عبرة لما يدور في القصور والانقلابات والمشاكل، وبدأت تنهار الخلافة، فتفكَّكت الدول.

وقامت دول جهادية في الغرب، ثم استولى القرامطة والعبيديون الفاطميون على الشام ومصر، ثم نزلوا عن الشام إلى مصر واستمرت دولة العبيديين مائتي سنة، دولة شيعية ملحدة كافرة، قامت على السحر والجن، وعقائدهم قريبة جدا من عقائد الدروز، لذلك يعتبرونهم أجدادهم، خلطت عقيدة مزدكيَّة براهميّة إسلاميّة مسيحيّة.

أما في الشرق في منطقة آسيا وأفغانستان ظهر ملك اسمه محمود الغزنوي أصله من أوزبكاستان، وقد اشتُهر أنه من أفغانستان، لكن هو أوزبكي من الترك، وكان مولى –عبدًا– باعوه وهو صغير إلى ملك من ملوك الأفغان، رباه عنده ثم أخذ الملك في (غزنة) وصار هو الملك، ووحَّد الأفغان وأخذ البشتون وفتح بهم أفغانستان وفتح بخارى ووسط آسيا، ثم إلى حدود الصين، ثم نزل إلى الهند.

ومعظم مناطق الهند التي دخلها الإسلام، دخلت بواسطة هذا الرجل من الملوك الصالحين واسمه محمود بن سبكتكين الغزنوي –رحمه الله–، وقبره موجود على طريق قندهار، تجد هناك قبة ومجموعة قبور على اليمين، مررنا عليه وقرأنا له الفاتحة على خلاف. نحن كنا نمر من الطريق، لم نشدّ الرحال له، فرأينا لفضله على المسلمين أن نقرأ له الفاتحة ونزوره.

الشاهد في الموضوع، أن الغزنوي هذا أدخل الإسلام إلى الهند، وحتى تعلم صلاحه، رغم أنهم كانوا أتراكًا وجهلة في الدين، لكن كانوا يقرّبون العلماء والمؤمنين والصالحين.

سمع بصنم بوذا الأكبر، وهو صنم بداخله معبد، والهندوس من مناسك حجّهم أن يحلقوا شعرهم عند قدمي التمثال، فلما علم أن عند قدمي التمثال عشرون ألف حلّاق للحجيج، فتصور كم حاج يحج لهذا الصنم، يعني في اليوم قرابة مليونيّ حاج!.

فلما سمع قرَّر أن يغزو أعماق الهند ليكسر هذا الصنم، وبالفعل غزا غزوة عميقة جدًا حتى وصل للصنم، فخرج الهندوس بالجزية والذهب والمجوهرات، وعرضوا عليه ذهبًا عظيمًا جدًا، يأخذه مقابل أن يترك لهم الصنم. وأنا قارنت بين هذه الحادثة والحادثة التي قام بها الطالبان –جزاهم الله خيرًا–.

فجمع الجيش، وقال لهم أنهم أتوا بكل هذا المال، فقالوا له: "نأخذ المال نستعين به على الجهاد في سبيل الله ونترك لهم الصنم"، فقال لهم: "أفكر للصباح"، فلما أصبح قال لهم أكسر الصنم، فسألوه لماذا نترك المال؟ قال لهم: رأيت أنه لو يُنادى عليّ يوم القيامة: "أين محمود الذي كسر الصنم"، أحبّ إليّ من هذا المال.

فكسروا الصنم، ولما خلعوه وجدوا تحت قدميه كنزًا يعادل عشرة أضعاف المال الذي عُرض عليهم، فحاز المال، وكسر الصنم، وفتح الهند –رحمة الله عليه–. قرأت في القبر هناك أنه توفي سنة ثلاثمائة وكذا وتسعون هجريًا، أي كان في وسط مرحلة بني العباس.

فالشاهد أنه قد ضعفت الخلافة وأصبح هناك ممالك وسلاطين، وظلت الخلافة تضعف شيئًا فشيئًا حتى بدأ الصليبيون يهدّدون مملكة الإسلام، وهجموا عليها في أوائل القرن الثالث. وبدأ الغزو الصليبي ولن أفصّل فيه الآن؛ لأنّنا عندما ننتهي من عرض التاريخ كله سنقف عند ثلاث محطات وهي الحملات الصليبية.

وكان هنا بابا أظن اسمه يوليو الرابع[١٨٨]، جمّع أهل الصليب وقال يجب أن نخلّص الصليب الأساسي الذي صُلب عليه مسيحهم من أيدي الكفار –يقصد المسلمين–، وهو موجود في القدس ويجب أن تحتلّوها. وكان هناك مشاكل للملكيَّة والبابوية، مشاكل سندرسها في التاريخ الأوروبي، أراد أن يحلّها بأن يصرف الناس نحو المسلمين.

وبالفعل جاءت الحملات الصليبية في القرون الهجرية: *[١٨٩] الخامس والسادس والسابع تقريبًا، وهي القرون الميلادية الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر. فجاء الصليبيون من الغرب في الوقت الذي كان فيه التتار يتحرّكون من الشرق حتى أسقطوا بغداد في سنة ٦٥٦هـ، أي أن بينهم وبين التتار ٧٠ سنة تقريبا.

كان هناك في وسط آسيا ديانات البوذية وديانات الصين والمغول هذه، ووُلد لامرأة راعية ولد من الزنا فزعمت لقومها أنها حملت به من الشمس، فصدقوها واعتبروا المولود ابنًا للشمس، وكان هذا المولود الملعون هو جنكيز خان، فظهر جنكيز خان وكانت له صفات الشياطين من صغره، حتى أنّه قام بأول حملة عسكرية له وعمره ١٣ عامًا!.

فقاد مجموعة من العصابات والبشر، واستولى على مملكة وهو بعمر ١٣ عامًا، فكان شيطانًا مريدًا، فجمع البشر وصنع جيشًا قام على النهب والدمار، واستطاع أن يفتح مدنًا كثيرة في هذه المنطقة، ثم بدأ زحفه باتجاه بلاد المسلمين، فوصل ابنه هولاكو بغداد سنة ٦٥٦هـ، وكان العالم الإسلامي متفتّتًا.

حتى عندما تدرس الحملات الصليبية تجد أن الإمام ابن الجوزي الحفيد، حفيد ابن الجوزي المشهور، له خطبة في المسجد الأموي يقف لها شعر بدنك عندما تسمعها، بالطبع الدولة تفكّكت فصارت دولًا ثم ممالك ثم صار هناك أمير لحلب، وأمير لحمص، وأمير لكل مدينة ولكل قلعة، فكل عشرين شخصًا عندهم أمير ودولة، فتفتت ممالك الإسلام كما هو الحال الآن..

فذكر ابن كثير أن العلماء كانوا يخرجون إلى المساجد ويحرّضون الناس بسبب قدوم الصليبيين، وكان التتار قد قاربوا على الوصول إليهم، فكانوا يحرّضون الناس على الجهاد، فكان الناس يأخذون في البكاء ويتأثّرون، فإذا خرجوا من المسجد خرجوا للجواري والتجارة، كما يحدث الآن..

---

[١٨٨] **البابا الذي أعلن الدعوة للحروب الصليبية في القرن الخامس عشر الميلادي هو البابا أوربان الثاني (في نوفمبر ١٠٩٥) وهو حيث عقد مجمع في مدينة كليرمونت في فرنسا.**

[١٨٩] **بداية تفريغ الملف الثالث عشر.**

ويجمعون من الناس التبرعات فيأخذون مالهم ولا يساعدهم أحد، فجمعوا القليل من المال، ثم سألوا عن بقية أهل الخير من فرسان المسلمين، فذهبوا لأحد الأمراء فتّشوا عنه شهرًا في بادية الشام وهو في الصيد، له قصور ويخرج للصيد، مثل أمراء الخليج هؤلاء الذين جاءوا لباكستان!

فبحثوا عنه شهرًا، وجمعوا له مال المسلمين ثم قالوا له: "ما رأينا أفضل منك حتى نعطيه هذا المال لتقيم جيشًا يقاتل الصليبيين". وكان الصليبيون قد نزلوا شمال غرب سوريا في تركيا، فأخذ المال وقال لهم: "تعالوا بعد شهر"، فلما رجعوا بعد شهر لم يقابلهم، فلما سألوا عنه وجدوا أنه بنى بأموال الجهاد قصرًا في الصحراء لأجل الصيد!، فهذه من الأشياء التي ذكرها المؤرّخون.

فهذا النَّجس الذي يحكم بلادنا الآن ليس غريبًا، بل مرَّ مثله عدة مرات في تاريخنا الإسلامي بهذه الصورة. وإذا كان هو يلحق بالصيد، فالآن يلحقون وراء (مارادونا) و(مايكل جاكسون)، والمباريات، فأخذ الأموال.

وبعد ذلك ذكرت كتب التاريخ أنّ ابن الجوزي الحفيد خطب في المسجد فأراد أن يؤثر بهم تأثيرًا جيدًا، فقال لهم أن الجهاد قد حضر فهل يُرضيكم أن ينام إخوانكم على الجمر والنار وأنتم في ألوان الأطعمة والجواري.. إلخ.

ثم أخرج لهم من جيبه ضفائر وقال لهم: إذا كنتم أنتم لا تستطيعون الغزو، فهذه والله ضفائر المخدَّرات –أي ضفائر النساء في خدورهنّ– لم تكن تراها عين الشمس، جعلوا منها أعنَّة للخيل، وأرسلوها لكم حتى تربطوا بها الخيل؛ ليس لهم مال ليعطوكم إياه فقصّوا شعورهنّ وأرسلوها لكم.

ثم رماها على المصلّين وقال: خذوها واربطوا الخيل، فإن لم تفعلوا فاجعلوها ذوائب لكم يا نساءً بعمائم ولحى، وخذوا المجامر والمكاحل.. ثم قال: ميدي يا عمد المسجد، وانقضي يا رُجوم، –أي: خرّب الله المسجد فوق رؤوسكم–، لقد أضاع الرجال رجولتهم..[١٩٠]

ولم يقل أضاع الناس دينهم، فدينهم كان ضائعًا أصلًا، فانظر إلى خطابات العلماء وكيف كان حال الناس في تلك الفترة؛ ولذلك جاءهم السيل العرم، جاءهم من الشرق ومن الغرب.

---

[١٩٠] الخطبة المنسوبة لسبط ابن الجوزي هي من تأليف الشيخ علي طنطاوي، يقول الشيخ في كتابه (ذكريات) صـ ٣١٤: "ومن هذه القصص ما ذكره المؤرخون من أن امرأة من دمشق رأت انقسامَ المسلمين وتقاعسهم عن قتال الصليبيين، وأرادت المشاركة في الجهاد، فعملت ما تقدر عليه: قصَّت ضفائرها، وبعثت بها إلى سِبط ابن الجوزي (أي ابن ابنته) خطيب الجامع الأموي في دمشق؛ ليكون منها قيدٌ لفرسٍ من خيول المجاهدين. ويقول المؤرِّخون: إنه خطب خطبةً عظيمة ألهبت الدماء في العروق، وأسالت الدموع من العيون، وأثارت الحماسة وأيقظت الهِمم، فلما كتبتُ القصة على طريقتي، ألَّفتُ أنا خطبةً قلت: إنها التي ألقاها على الناس، وحَسِبَ الناس أن هذه هي الخطبة الحقيقية، حتى أن خطيب المسجد الحرام الرجل الصالح الشيخ عبد الله خياط نقل فقرات منها في خطبة الجمعة على أنها خطبةُ سبط ابن الجوزي" اهـ.

زحف النصارى وأخذوا سواحل الشام، النصارى نزلوا أول مملكة التي سموها إمارة الرها وهي منطقة لواء الإسكندرون. ثم نزلوا وأخذوا سواحل لبنان وسوريا وفلسطين إلى صحراء سيناء، وقام الجهاد هنا، وإن شاء الله أحكي لكم بالتفصيل في الحملات الصليبية، أنه قامت الدولة الزنكية بعماد الدين زنكي، ثم ابنه نور الدين الشهيد زنكي، من ملوك المسلمين الصالحين، وهذه الدولة وحّدت سوريا ووحّدت الممالك، ووصلت إلى شمال العراق في الموصل، ثم أخذت الأردن إلى أطراف فلسطين، ثم أصبحت بلاد الشام يحكمها الدولة الزنكية.

والدولة الزنكية أفرزت الدولة الأيوبية، والدولة الأيوبية أفرزت دولة المماليك -كما سنشرح-، وهذه الدول الثلاثة: الزنكية- الأيوبية-المماليك، هي التي قادت القتال ضد الصليبيين، ثم المماليك ضد التتار.

أما في الشرق فزحف التتار ودخلوا بغداد، وكانت الخلافة قد بلغت درجة من الفساد وأصبح الشيعة هم وزراء البلاط، وكان وزير البلاط هو ابن العلقمي الشيعي المشهور، وهو الذي سلّم مفاتيح بغداد لهولاكو. ويكفي أن تعلم من فساد الخليفة -كان اسمه المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس- أنّه بينما كان القتال يدور على أسوار بغداد مع التتار، دخل سهم من شباك القصر فقتل راقصة ترقص بين يدي الخليفة، فبكى عليها وأمر بنسج أستار لا تخترقها السهام، فانظر كيف كانت حالة البلد!

فسقطت البلد، وكان أول ما فعلوه أن أخذوا ثلاثة من بنات الخليفة سبايا لأولاد هولاكو، {وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ}[١٩١]، وذُبح من العلماء ومن البشر ما يشيب له الولدان، ويكفي أن تقرأ لابن كثير حتى تعجب، ولكن تطمئن أننا لسنا في أسوأ حال الآن، كان هناك حال أسوأ وبعد ذلك حدثت نهضة، فهذا يبشّر أنه من الممكن أن تحدث نهضة.

فذُكر عن التتار ودخولهم بغداد أنّ أول شيء فعلوه أنّهم قتلوا ألفا ألف خلال الأسبوع الأول، أي: مليونيّ نسمة، ورُميت الكتب في دجلة حتى اسوَّدت المياه ثلاثة أيام من الحبر، ثم رُمي من الدم وذُبح في بغداد حتى صار ثلاثة أيام أحمر. وذكر ابن كثير من الروايات ما تجعلك تعجب! هل من المعقول أن يفعل بشر هكذا؟!

يُقال أنّ واحدًا من فرسان التتار أخذ مائة أسير من المسلمين، وقال لهم: سأذبحكم، فدبّ فيهم الرعب، فلم يجد سيفه، فقال لهم: ابقوا في مكانكم حتى آتي، فذهب وأتى بالسيف ورجع فوجدهم مكانهم، ما حملتهم أرجلهم من الرعب على الفرار، فذبحهم واحدًا واحدًا!.

وقصص عجيبة جدًا، تقرؤها في ابن كثير، وتعجب هل من المعقول أن البشر قد وصلوا إلى هذا الهزال! ولكن كانت قد دخلت فيهم الدنيا والمال والجواري حتى أصبحوا في هذه الحال.

---

[١٩١] سورة هود، الآية: ١٠٢.

وبعد ذلك ذهب التتار إلى الممالك الأخرى، فكان الناس قد هربوا من التتار في الأقبية والقبور وفي كهاريز الماء، فبقوا فيها أيامًا حتى خرجوا منها وشكلهم أقرب إلى الأموات من الأحياء، ودبَّت فيهم الأمراض، وبقيت الجثث، فخرج الطاعون بسبب كثرة الموتى، وهبَّ على الشام، فمات من الطاعون أكثر ممن مات من الغزو!

وبعد ذلك بدأ أهل الشام يفرّون من طرف إلى طرف، وكلَّما اقترب التتار فروا، ونُصروا عليهم بالرعب، وأصبحت الناس تشيب. وفي تلك المرحلة خرج الإمام ابن تيمية –رحمة الله عليه– وتعرفون القصص في (الفتاوى) وغيرها، وهو يثبّت الناس ويثبّت العسكر الشامي، ويستدعي العسكر المصري لأنه كانت قد ظهرت دولة المماليك[١٩٢].

فهذا كان حال دولة بني العباس وسقطت الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ رسميًا، تقريبًا القرن الحادي عشر الميلادي.

***

الآن نرجع إلى الأمويين –لأني لم أذكر لكم شكل النظام الدولي في تلك المرحلة–، **كيف كان نظام الدولة في عهد الأمويين؟**

كان في غرب أوروبا دول صليبية ليس لها تماس حربي مباشر مع المسلمين، وكان هناك مشاكل بينها وبين مسلمي شمال أفريقيا ومسلمي الأندلس، وكان الجهاد قائمًا بين مسلمي الأندلس مع أوروبا. وأما نصارى بيزنطة فكانوا على قتال مع الأمويين، في جزر البحر ومناطق الحدود.

وكان النظام الدولي في المرحلة الأموية أن المسلمين وصلوا إلى حصار القسطنطينية، وفي الطرف الثاني فتحوا إلى أن وصلوا إلى وسط أوروبا، وكانت إمبراطورية الروم قد سقطت وأصبحت دولتان.

فلما سقطت دولة بني أمية وقامت دولة بني العباس، استمر نظام الدولة على نفس الحال، لكن العباسيين أقاموا علاقات سلمية وتجارية مع دول وسط أوروبا، وهناك مكاتبات ومراسلات بين شارلمان ملك فرنسا، وهارون الرشيد، وهدايا متبادلة بين الطرفين، وكانت هناك علاقة نظام دولة.

أما العلاقة مع بيزنطة فكانت علاقة حرب في الثغور، وكان الرباط موجودًا في بلاد الشام والعراق ومن يريد أن يرابط يذهب لهذه المنطقة.

أما القتال في بلاد الترك فاستمر للمحافظة على الثغور فيما كان يسمى قتال الترك، حتى أسلم معظم الترك وأصبحوا في قلب الإسلام، وجاء منهم (السَّلاجقة) الذين كان لهم دور في عصر بني العباس، ويجب أن نتكلم عنهم لأنهم ولّدوا الدولة العثمانية.

---

[١٩٢] لم يكن خروج ابن تيمية في اجتياح التتار الأول بقيادة هولاكو وإنما كان في الاجتياح الثاني بقيادة حفيده غازان.

والسلاجقة نسبة إلى أبيهم (سلجوق الأول)، هم من أتراك وسط آسيا، أي: مناطق تركستان الشرقية وتركستان الغربية. فشا فيهم الإسلام على طريقتهم وكانت حالتهم مثل حالة مسلمي وسط آسيا الآن، أي: إسلام وبعض البدع وبعض الأصول القديمة، أي: ليس الإسلام الصافي الصحيح.

لكن لضعف المسلمين كانت مهمتهم أن يقاتلوا الروم، فكان معظم قتال الروم في النصف الثاني من دولة بني العباس على يد السلاجقة والسلطان السلجوقي. وظهر في السلاجقة ملوك صالحون نذكر شخصًا واحدًا منهم هو: السلطان ألب أرسلان، من ملوك الأتراك المشهورين ومن السلاجقة، حتى سموهم أولًا سلاجقة الترك ثم سموهم سلاجقة الروم، وكانت ساحة القتال لهم تركيا والتي كانت تسمى الأناضول.

وكان السلطان قد ملك بغداد عمليًا، فكان هناك خليفة شكليّ وهذا قبل سقوط الخلافة، وهناك سلطان عسكري هو الذي أمسك التاريخ والقوة العسكرية. وكان إمبراطور الروم في عهد ألب أرسلان اسمه: رومانوس. وهذه محطات في التاريخ تعطيك فكرة عن نظام الدولة وليست لتوضيح التفاصيل. وكانت غزوات الغزنوي مثل غزوات ألب أرسلان.

فأرسل ألب أرسلان لرومانوس يعرض عليه الصّلح والهدنة لتقف الحرب، فأرسل رومانوس إلى ألب أرسلان يقول: لا صلح إلا في الرِّي. وهي منطقة شمال العراق وجزء من تركيا وكردستان كان اسمها (منطقة الرِّيّ)، وفي الخرائط القديمة تُسمّى الرِّيّ؛ لأنها مناطق مروية بأنهار كثيرة.

أحد الكتَّاب المؤرخّين العسكرين المعاصرين سوري اسمه: بسام العسلي، له كتب جيدة، يروي التاريخ والغزوات بنَفَس إسلامي، له كتاب عبارة عن دراسة عسكرية لعشرة حروب صليبية[١٩٣]، منها معركة ألب أرسلان مع رومانوس التي سميت معركة (ملاذكرد)، وهو اسم المنطقة التي حدثت فيها المعركة، أي: ملاذ الأكراد.

هذا الكاتب بسام العسلي إذا وقعتم على كتبه فاقرأوها، وهناك الكاتب العراقي المشهور -رحمه الله- توفي قبل سنة وهو الشيخ محمود شيت خطاب، وله أيضًا دراسات عسكرية مكتوبة بطريقة إسلامية.

فأرسل ألب أرسلان له يطلب الهدنة، فقال رومانوس: "لا تكون إلا في الري"، وقيل وكب رومانوس في ٢٢٥ ألفًا من الجيش الرومي الذي جاء يأخذ شمال الخلافة، فركب ألب أرسلان ولما وصلوا رأى هذا الرقم العظيم من الجنود، فاستشار شيخه، فقال له: "اجعل المعركة يوم الجمعة، وقت الصلاة، حيث الأئمة في المساجد يدعون للمجاهدين".

ثم جمع الناس وأخذ تاجه ورماه في الأرض تواضعًا لله -سبحانه وتعالى-، وقال لهم: "ليس هاهنا ملك يأمر فيُطاع"، أي: لا أحد يطيعني بصفتي ملكًا إذا لم يُنفذ أمره يعاقِب، "من كان منكم قد بعث تجارة ينتظر عودتها فلا يخرج، ومن

[١٩٣] اسم الكتاب: (فن الحرب الإسلامي في أيام الحروب الصليبية).

كان خطب امرأة ولم يبنِ بها فلا يخرج، ومن كان قد اشترى أرضًا يريد أن يزرعها وينتظر محصولها فلا يخرج، -وعدَّد بعضًا من أمور الدنيا- فلا يخرج معي إلا رجل يريد الجهاد"، فتهيَّب النَّاس اللقاء ورجعوا، وبقي معه ١٥ ألفًا.

وذكر بسام العسلي خطة هذه المعركة، وكان خلاصتها أنه قال لهم: نحن في هذا العدد لا نستطيع أن نعمل شيئًا إلا أن أحمل على خيمة رومانوس فاحملوا معي، فوقّت وقت صلاة الجمعة وحمل على خيمة رومانوس بالخمسة عشر ألفًا!، فلم يؤذّن العصر إلا وقد أخذ رومانوس أسيرًا، ونادى الناس أن ملك المسلمين أخذ رومانوس. فانهار الجيش وبدأوا يفرّون إلى هضاب الأناضول، والمنطقة كلها جبلية، فلحقهم السلاجقة، فلم يصل منهم أحد إلى حدود القسطنطينية إلا مئات، وفني الجيش كله.

فأخذوا رومانوس، وقال لهم: "تعالوا نكتب الصلح"، فقالوا له: "أنت قلت لا صلح إلا في الرِّي"، فربطه وسحبه معه إلى الرِّي، ثم وضع عليهم شروطًا مثل الشروط الآن: أن تدمَّر أسلحة الدمار الشامل؛ أن تخرّب كل حصون الروم والقلاع في مناطق آسيا الصغرى، ويقتصروا على المناطق البعيدة ولا يكون لهم تواجد عسكري.

أي: اتفاقية عسكرية مذلَّة للروم، وقال له: "لا أقتلك حتى لا تكون عادة الملوك أن يقتلوا الملوك"، فللإهانة قالوا: نبيعه، فنادوا في الجيش من يشتري رومانوس؟ فلم يشتره أحد، حتى أتوا براعٍ من رعاة السلاجقة قالوا: نبيعك إياه بكلب؟ قال: "لا أشتريه، هذا ينبح وهذا لا ينبح!"، وسُجّل هذا في التاريخ.

فربطوا رومانوس، وعملوا له حرسًا من السلاجقة حتى لا يقتلوه، وأرجعه إلى حدود القسطنطينية، أركبه مركبًا إلى القسطنطينية، فاستقبله القساوسة ليحاسبوه على هذه المذبحة، بعثوا معه ٢٠٠ ألف فما رجع منهم ألفًا، فأخذوه وفقأوا عينيه، وقطعوا أذنيه، وتركوه في السجن حتى مات.

فهذا من سلاطين المسلمين الذين ظهروا قبل أن تسقط الخلافة، وهذا من بشرى الرسول ﷺ أن الله -سبحانه وتعالى- وعده ألا يفنى المسلمون بجيش يجتاحهم من خارجهم، تجد قام ناس وضعف ناس، في هذه المرحلة كان هناك ممالك إسلامية قوية كثيرة.

تاريخ المسلمين خلال مرحلة دول الطوائف:

ثم كما قلنا جاء التتار وزالت الخلافة العباسية، وأصبح السلاجقة يملكون الدولة التركية وشمال المنطقة، والغزنويون والأيوبيون والمماليك من بعدهم يملكون الشام ومصر، وكان هناك دول في شمال أفريقيا، فسمى المؤرخون هذه المرحلة بـ(دول الطوائف)؛ يعني أن كل طائفة تمسك ملكًا، ودول الطوائف هذه سبقت مرحلة العثمانيين.

مع بداية زحف التتار كانت قد زالت المملكة الزنكية والأيوبية، وبدأت دولة المماليك، وكان هناك ملك صالح من أوائل ملولك المماليك اسمه (قُطُز)، فخرج إلى الشام وانتظر التتار في جنوب الأردن في منطقة تسمى (عين جالوت)، وحدثت موقعة هزم فيها التتار هزيمة منكرة.

وعاصر هذا الرجل سلطان العلماء العز بن عبد السلام، وكان هو الذي حرَّض المسلمين معه على القتال، وطلب منه فتوى أن يأخذ أموال المسلمين حتى يجاهد، فقال: "لا أبيحك حتى تأخذ أموالك وأموال الأمراء". فجمع أموال الأمراء واستولى عليها غصبًا بفتوى الشيخ، وجهز الجيش ثم بدأ يأخذ من أموال المسلمين.

وكان من الخطط الجميلة التي قام بها أن ملك التتار أرسل يهدد قُطز لتسليم مصر، يقول له أخذنا الشام وسنأتي لنأخذ مصر فارحلوا عن مصر قبل أن نصل، كما رحل الذين قبلكم عن الشام، وبعث الرسالة مع اثني عشر شخصًا من التتار ضخام الجثث حتى يرهب المسلمين.

فدخلوا القاهرة، سلموا الرسالة ثم مشوا في الأسواق، فاستفتى قطز العلماء ورأى أن هؤلاء عرفوا مداخل ومخارج القاهرة وأوقعوا الرَّهبة في نفوس المسلمين، حتى كانوا يظنون من شدة الرعب أن التتار لا يموتون، فطلب منهم فتوى بقطع رؤوس الرسل، مع أن الرسل لا تُقتل، لكن هذه هي الحال، فأجازوه.

فقطع رؤوسهم وعلقها على أبواب القاهرة، وترك رسولًا واحدًا، وكتب له في الرسالة: "من قطز أمير المسلمين إلى ملك التتار، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: {ارجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ}[194].

وأُعجبتُ بهذه الرواية وكتبتها في آخر إهداء كتاب (التجربة السورية)؛ فنحن يجب أن نسعى إلى أن نرجع إلى حكّامنا بجنود لا قِبل لهم بها -إن شاء الله-. وحدثت موقعة عين جالوت وهُزم التتار، وكانت نهايتهم.

وعلى سيرة التتار هناك أمر مهم جدًا في تاريخ الإسلام، يجب أن تعرفوه؛ بعد أن انكسر التتار هنا اختلطوا بالمسلمين وكانوا قد جاؤوا بلا أديان، ففشا فيهم الإسلام، فهم جاؤوا ليغزوا بلاد الإسلام فغزاهم الإسلام، وكان لهولاكو أربعة أبناء[195]، واحد منهم كانت قبيلته تسمى القبيلة الذهبية، دخل الإسلام، فأسلم نصف التتار وبقي نصف على الوثنية.

فعزى مسلمو التتار أولاد عمّهم وإخوانهم الكفار، ففشا الإسلام في التتار، ووجَّهوا جهدهم بعد ذلك نحو وسط آسيا، فنشروا الإسلام في الصين، وصعدوا إلى منطقة تتارستان الموجودة في الاتحاد السوفييتي، وبنوا ممالك إسلامية.

---

[194] **سورة النمل، الآية: ٣٧.**

[195] **بل هؤلاء هم أبناء جنكيز خان، وكان هولاكو حفيد جنكيز خان.**

ومن الأشياء العجيبة التي عرفتها مؤخرًا، أن التتار لما خرجوا وفتحوا هذه الممالك وأدخلوا الإسلام إلى بكين وحكموا بكين فترة، وكان هناك ملوك مسلمون أدخلوا الإسلام في تلك المناطق، وطبعًا الآن في التبت هناك أكثر من ١٤٠ مليون صيني مسلم، منهم ٤٠ مليون في تركستان، ومائة مليون موزّعون في التبت، هؤلاء من أحفاد التتار.

ومما نجهله -وعرفته مؤخرًا- أنهم أنشأوا ممالك منها مملكة قازان على بعد ٨٠ كيلو من موسكو حاليًا، وصعدوا إلى مناطق القطب، ووصلوا إلى القطب الشمالي وحكموا كل المناطق التي تسمى (سيبيريا).

والجميل في القصة أن أصل تسمية سيبيريا، هو أن أحد ملوك التتار المسلمين -وكان اسمه (صابر)- أنشأ عاصمة له وسماها (الصَّابرية)، فتُرجمت الصابرية في اللغة اللاتينية فصارت سيبيريا، فأصل سيبيريا هي الصابرية عاصمة المملكة التترية التي وصلت إلى القطب الشمالي، وإلى حدود كوريا التي تسمى في خرائط المسلمين (بلاد يأجوج ومأجوج).

وسمعت أن هناك قبائل في كوريا الآن اسمها يأجوج ومأجوج، ذكرت إحدى الصحف أن هناك قبائل في كوريا اسمها يأجوج ومأجوج.

فالشاهد في الموضوع أن هذه منطقة حكمها الإسلام، فهم جاؤوا إلى بلادنا ثم رجعوا بالإسلام، فأصبحت آسيا كلها مسلمة على يد التتار. لذلك -بإذن الله- لما أقرأ لكم في الإحصائيات أن جمهوريات وسط آسيا نسبة الإسلام فيها من ٨٠-٩٠%، وجمهوريات الاتحاد السوفييتي إلى الآن نسبة الإسلام فيها من ٢٥-٦٥%، حتى جورجيا وأوكرانيا فيها نسبة كبيرة جدًا إلى اليوم.

ولذا فهذه البلاد من ميراثنا الحقيقي، يجب أن نرث الاتحاد السوفييتي عسكريًا ثم نقاتل بهم الغرب، هذا أسلحته المفاعلات النووية وغيرها كلها باقية هنا ليس لها صاحب، تخرج تمشي الآن تجد ٦٠-٧٠ صاروخًا (سام ٦) مرميًا تحت الشمس، لأن أجهزة الكمبيوتر وقواعد الإطلاق له قد تدمرت. الشاهد في الموضوع أن التتار بعدما دخلوا رجعوا، وفشا الإسلام في هذه المنطقة.

أخذ المسلمون عبيدًا من أتراك وسط آسيا وأخذوهم إلى مصر؛ فهم كانوا عبيد الأيوبيين فقامت عليهم دولة المماليك، لاحظ قامت دولة المماليك من ملوك أتراك، فالملك التركي بدأ من أواسط الدولة العباسية إلى أواخر المماليك، أي أن الأتراك يحكمون دولة الإسلام ٧٠٠ سنة.

الأتراك حملوا لواء الإسلام والجهاد والحكم ٧٠٠ سنة من تاريخ المسلمين، فألف وأربعمائة سنة منها سبعمائة سنة تركي، ومائتين في دول الطوائف، وخمسمائة في دولة العثمانيين.

إذًا زالت الدولة وبدأت الطوائف، وجاء التتار وذهب التتار، وجاء الزنكيون والأيوبيون والمماليك، ولن أتكلم عليهم لأن الحديث عنهم سيمر عند الحديث عن الحملات الصليبية.

وصلنا إلى دولة المماليك وأصبحنا في سنة ١٤٠٠ ميلادي، كان السلاجقة قد انقسموا إلى ممالك وبطون وظهرت ثلاث قبائل سلجوقية في تركيا، والعالم العربي الإسلامي كله مفكَّك جدًا، وكان المماليك قد أجلوا الصليبيين، وفتحوا آخر مملكة صليبية (مملكة عكا) في زمن الظاهرة بيبرس الذي عاصر الإمام النووي[١٩٦].

وحتى تعرف أنه كان ملكًا مجاهدًا عجيبًا؛ لم ينزل الظاهر بيبرس من على فرسه ٢٧ سنة من الغزو، تقرأ في تاريخه هذا الملك الذي لم يأخذ إجازة عسكرية وظلّ يتنقل من الشام إلى مصر إلى الإمارات حتى أخرج الصليبيين، مع ذلك لم يكن الإمام النووي يحبّه وكان يعتبره ظالمًا جاهلًا.

ومن محنة الإمام النووي أنه أرسل له يريد فتوى ليأخذ مال التجار يجاهد بها، يعني نفس مشكلة قطز، فقال له الإمام النووي: "جئتنا مملوكًا عبدًا لا تملك شيئًا، واليوم لديك ألف عبد، لكل عبد ألف فرس، سرجها من الذهب مرصّع بالجوهر، وعندك كذا جارية لكل جارية حق من الجوهر، -يعني: صحن مليء بالجواهر-، فلما تُخرج أموالك هذه أُفتيك بأخذ أموال المسلمين للجهاد".

فغضب منه وقال له: اخرج من دمشق، فخرج إلى مدينته نوى جنوب الشام، فخرج العلماء للظاهر بيبرس وقالوا له: "يجب أن تُرجعه"، فلما أمر بإرجاعه قال: "أخرجتنا منها والله لا أدخل دمشق والظاهر فيها"، فبرّ الله قسمه، ومات الملك الظاهر ودخل النووي دمشق، توفي الملك الظاهر بعد كلام النووي هذا بأسبوعين أو ثلاثة، ودخل النووي دمشق.

فهؤلاء كانوا من الملوك المجاهدين الصالحين، ولكن لم يكونوا على الصراط الصحيح في كل شيء، والعلماء لم يغفروا لهم ذلك.

الدولة الإسلامية في مرحلة سيطرة العثمانيّين:

نرجع إلى أن السلاجقة انقسموا إلى ثلاثة أسر، أسرتان تطاحنوا، وكان في الأسرة الثالثة شخص عاقل ذكي اسمه (عثمان) انتظر حتى قتلوا بعضهم بعضًا، فخرج على القبيلة المنتصرة فسحقها وأخذ ملك السلاجقة، فأصبح الملك في أولاده، وأصبحوا آل عثمان، وقامت (الدولة العثمانية)[١٩٧].

[١٩٦] الصواب أن إمارة عكّا قد تحررت نهائيًا من الصليبيين في سنة ٦٩٠هـ في زمن السلطان الأشرف بن قلاوون.

[١٩٧] لم يكن العثمانيون من السلاجقة بل كانوا من أمرائهم وأجنادهم، وعندما سقطت دولة السلاجقة في الأناضول على يد التتار سنة ٦٩٩هـ استقّل بني عثمان وأصبحوا إمارة مستقلة.

وكان ذلك في أواخر القرن الرابع عشر، اتخذ أولاد عثمان مدينة بورصة عاصمة لهم، وهي في شمال تركيا قرب اسطنبول في القسم الآسيوي، والذي زار اسطنبول ما حولها يعرف، ضربها الزلزال الشهر الماضي في جملة ما ضرب، وكان زلزالًا عظيمًا جدًا.

ولهم مسجد عظيم جميل جدًا بنوه في زمانهم، به آثار البناء الشرقي للتتار وعقليات وسط آسيا، يشبه المساجد القديمة، فبنى مسجدًا وأقام حكمه في بورصة، ووضع نصب عينيه جهاد الروم مثل أجداده السلاجقة.

فجاء حفيده الثالث أو الرابع السلطان (محمد الفاتح)، فغزا القسطنطينية وقدَّر الله أن تُفتح على يديه، وكانت محاولات فتح القسطنطينية تتم من أيام الصحابة فالأمويين فكل الملوك، حتى الروس غزوا القسطنطينية، وغزتها القبائل والفرنجة، فما استطاع أحد أن يفتحها لشدة حصانتها من طرف البحر، فالقسطنطينية شريط ساحلي وخلفها خلجان كثيرة.

خلاصة سبب فتح العثمانيين للقسطنطينية أنهم طوّروا سلاح المدافع، وصنعوا مدافع ليضربوا بها القسطنطينية من المضيق من بعد ألف وستمائة مترًا، فضربوا الشاطئ بمدفعية زنة القنبلة ٣٤٠٠ كيلوجرام، وطوّروا أسلحة ضخمة جدًا، موجودة في المتاحف الآن.

وكانت المدينة حصينة جدًا، وكان هناك سلاسل يربطها الروم في الجزر حتى يقطعوا الملاحة، فإذا أرادوا أن يعبروا يفتحون السلسلة وقطر الحلقة ٢٥ سم من الفولاذ، فحضارة الروم كلها مركَّزة هنا، وعمّرت ٢٠٠٠سنة، من ٥٠٠ قبل الميلاد إلى ١٤٥٠م، ففتح الله على يدي محمد الفاتح القسطنطينية في قصة عجيبة جدًا، حتى تعرف أن الأوليين لم يكونوا بسيطين في العلوم العسكرية.

عبر في الليل بالسفن في البحر الأسود ونزلت على الشاطئ، وكان يعرف أن هناك خليج خلف القسطنطينية ولكنه لا يستطيع أن يصل إليه بسبب اليابسة، فكيف يعبر اليابسة؟

حمل سفنه على جذوع الأشجار، واستخدم شحم الحيوانات، وأخذ معه نارًا، ونزلوا بالليل في المنطقة البرية ورصف الطريق بالأشجار من اليابسة إلى الخليج، وصبّوا عليها الشَّحم المحمَّى، وزحلقوا سفن الأسطول كلها فوق الشجر، وأنزلها في الخليج خلف القسطنطينية.

وفي الناحية الأخرى كانت المدافع ترمي حتى أوحى لهم أن الهجوم من البحر، فحشد الروم كل قواتهم هناك، فعند الفجر وجدوا السفن في الخليج خلف القسطنطينية.

فوجدوا أن أسوار القسطنطينية من هذه الجهة منخفضة وليست مثل أسوار البحر، فدخلوا القسطنطينية من الخلف في مكان موجود إلى الآن، تركوا السور مهدمًا مثلما كان، فدخل مباشرة إلى كنيسة آيا صوفيا أكبر كنيسة للنصارى

وحوّلها إلى مسجد، فاعترض النصارى وقالوا: "أخذتموها غصبًا"، فأرضاهم في اليوم التالي ودفع لهم ثمنها، ورفع عليها أربع مآذن فأصبحت مسجدًا، مقابل مسجد السلطان أحمد ذي الست مآذن في إسطنبول.

وهناك قضية مهمة؛ أنه عندما سقطت القسطنطينية، كان علماء النصارى البيزنطيون مجتمعين في الكنيسة يتناقشون في ألوهية المسيح، هل هو واحد أم ثلاثة أم ماذا؟

فلاحظت أن من خصائص الأمم المنهزمة أنها وهي تسقط حصونها وتدك وتسقط، علماؤها مشغولون بالسَّفاسف. الآن انظر إلى أمة الإسلام وإلى الأبحاث الدائرة في المجلات العلمية، انظر لمجلة المسلمين والفتاوى التي تُطرح على هيئة كبار العلماء، حالة من السُّخف!

تصور أن تُثار قضية آدم -عليه السلام- هل هو أبونا أم نبينا؟ كتب رجل لبناني كتابًا أن آدم هو أبونا وليس نبينا وأنه ليس له رسالة وليس نبيًا، وأن الرسالة بدأت من سيدنا نوح. وهذا ليس صحيحا، وردّ عليه العلماء وكفَّروه، وأصبحت هناك مساجلات في الصحف أخذت عدة شهور. تصوروا تركوا فلسطين والأمة والقدس والحملات والبترول وجعلوا يتناقشون في قضية: أبونا أم نبينا!

فلاحظت أن الأمم تنشغل بالسفاسف عندما تنهار، وسُمي هذا بالجدل "الجدل البيزنطي"؛ وهو جدل النصارى في ألوهية المسيح، دولتهم تسقط وهم جالسون يتناقشون في كلام ليس له أهمية!.

قرأت في مجلة (المسلمون) رجل يسأل: هل يجوز للمرأة البوسنية المسلمة أن تضرب بطنها حتى تُجهض وليدها من اغتصاب الصِّرب؟!، فما هذه الأمة، وما هذه الجرائد وما هذه الصحف، وما هؤلاء العلماء، وما هذا الحال الذي وصلنا له..؟!

فهذا من خصائص الأمم المهزومة، واقرأ في (أنت تقرأ وابن عثيمين يجيب)، وانظر لطبيعة الأسئلة وما يهم الأمة، واقرأ نصف الفتاوى المطروحة على الشيخ الألباني، الذي يقول: "يجب على عرب فلسطين أن يهاجروا من دار الكفر في فلسطين التي يحكمها الآن اليهود إلى دار الإسلام عند الملك حسين"!.

فالأمم عندما تنهار؛ تنهار كليًا؛ ينهار الفقه، وينهار الوضع العسكري، وتنهار الأخلاق، وتنهار الرجولة، وتنهار المروءة، وتنهار النظافة وتظهر القذارة، فتصبح أمة منهارة، حتى لا تستطيع أن تضبط موعدًا مع خيار الناس، لأن الناس في حالة انهيار.

فالمسألة بحاجة إلى نهضة وإصلاح على كل الأصعدة، حتى أنّ هناك انهيار في الفسوق والعصيان، شكل الغناء أيام آبائنا في شعر أحمد شوقي، شكل الغناء الآن: "يا شبشب الهنا، يا ريتني أكون أنا"!!، حتى الغناء والفسوق منهار، الأمة تنهار على كل الأصعدة.

هذه الأمة كان حال الفسوق فيها:

أمطرت لؤلؤًا من نرجسٍ وسَقَتْ   وردًا وعضَّت على العِنَّابِ بالبَرَدِ

وصار في الآخر كما قلت لك!.

فالشاهد في الموضوع أن الذي ذكرني بهذا الانهيار انهيار البيزنطيين؛ تنهار الدولة ويتناقشون في المسيح هل هو واحد أو اثنين أو ثلاثة –عليه السلام–؟! {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا}[١٩٨].

المهم قامت دولة بني عثمان ودخلوا القسطنطينية، هذا الحدث مهم جدًا، هذا كان في سنة ١٤٥٢م، فبدأت نهضة الدولة العثمانية عمليًا من سنة ١٤٥٢م، وانقلب الوضع الدولي رأسًا على عقب بسبب هذه الحادثة.

في سنة ١٤٥٢ فُتحت القسطنطينية خلال هذه الحقبة ١٤٩٢ اكتُشفت أمريكا، وهي نفس السنة التي سقطت فيها غرناطة وأُجلي المسلمون عن أوروبا نهائيًا، ودخل المسلمون في محاكم التفتيش وبقوا من سنة ١٤٥٢ إلى ١٥٥٢ مائة سنة في رؤوس الجبال حول غرناطة، ينتظرون أن ينجدهم أحد، فما جاءهم أحد، وذُبحوا عن آخرهم، أو أُجبروا على الدخول في النصرانية، ومُسح الإسلام من إسبانيا.

فالشاهد في الموضوع أنّه من سيئات الدولة العثمانية أن هذه المائة سنة ١٤٥٢–١٥٥٢ في أوج عزّهم العسكري وملكهم للبحر المتوسط ولم يُنجدوا مسلمي الأندلس غيرةً أن يقوم دولة أخرى للمسلمين غير العثمانيين.

وعملوا مصيبة أخرى، رغم المجد انظر للصراع على الملك وما يُذكر في التاريخ؛ قام دولة للمسلمين في أفغانستان، وكان اسم الملك –فيما أذكر– أحمد شاه مسعود، وانظر إلى المتوافقات العجيبة، فأقام دولة إسلامية سنية، فمسح إيران وأنهى مذهب الشيعة والدولة الصفوية ووصل إلى حدود العراق، وأقام دولة سنية، وكدنا أن نتخلص من مشكلة الشيعة.

فاحتلّ الأفغان معظم إيران وشمال إيران، فلما رأى العثمانيون أن هذا يهدّدهم، وأصبح هناك مملكة في وسط آسيا، وستقوم دولة أخرى سنية، دعموا الشيعة وأمدّوا إسماعيل الصفوي بسلاح عثماني، وأقاموا دولة شيعية حاجزة بينهم وبين الدولة السنية في أفغانستان!.

فلما ضعف حال هؤلاء، أصبح هذا الكيان الشيعي في خاصرة العثمانيين إلى الآخر، ولم ينتهوا من مشاكله، وأصبحوا يحاربون الدولة العثمانية، وكان قد رسخ المذهب الشيعي في إيران، هذا من القضايا.

---

[١٩٨] **سورة الكهف، الآية: ٥.**

من القضايا الأخرى، فرَّ المسلمون من غرناطة إلى جبال جميلة جدا، الآن اسمها جبال (البُخرّى) وأظن أن أصل اسمها جبال (بخارى)، وهي سلسلة جبال قرب غرناطة، مكثوا فيها يقطعون الطريق ويمارسون حرب العصابات مائة سنة، ويُرسلون لأهل المغرب، ويرسلون للعثمانيين أن أنقذونا نحن في الجبال بجانب غرناطة ومن الممكن أن نرجع ولكن ما أنجدهم أحد!.

المهم كان هذا بداية التاريخ الحديث؛ فالمؤرّخون يقسّمون التاريخ إلى العصور القديمة، ثم العصور الوسطى؛ القرن الحادي عشر والثاني عشر- عصور الظلام لأوروبا، ثم يؤرّخون لبداية العصور الحديثة بـ ١٤٥٢: سقوط القسطنطينية، سقوط غرناطة، اكتشاف أمريكا، فانقلب التاريخ.

وهناك سنة أخرى انقلب فيها التاريخ سنحدثكم عنها بالتفصيل، وهي سنة ١٩٩٠، انقلب التاريخ وبدأ النظام العالمي الجديد، وانتهت العصور الحديثة، التي بدأت سنة ١٤٥٢م، وانتهت في سنة ١٩٩٠ وبدأ النظام العالمي الجديد، وهو لب الموضوع، كل هذه المقدمة حتى تستطيعوا أن تستوعبوا كيف قام النظام العالمي الجديد.

بدأ النظام العالمي الجديد عمليًا سنة ١٩٩٠م، لكن بالطبع جذوره القديمة في موقعة مؤتة، ولكن جذوره فعليًا من صراع العثمانيين مع الأوروبيين. فزال الروم وسقطت بيزنطة وانتقلت الحضارة الرومانية كلها وتوزعت في ممالك أوروبا، ونشأت الدول القومية: ألمانيا، فرنسا، إسبانيا، إيطاليا..

أهم أسباب نهضة الروم المعاصرين:

نشأت الدول الأوروبية، وكان من أسباب نهضتها ما يلي:

- **أولًا: التَّماس بحضارة الإسلام.**

الحروب الصليبية التي سنتكلم عنها، أسفرت عن اكتشاف الصليبين أنفسهم، وأنهم كالحيوانات؛ تصور أنّ أوروبا لم يكن فيها حمامات!، ما كانوا يعرفون الحمامات، ولا يعرفون الغسل، وهذا إلى عهد قريب، البيوت التي زرتها في أوروبا -فرنسا وإسبانيا- بناؤها منذ أكثر من خمسين سنة، ليس بها حمام ولا خلاء!.

فهي أمة متخلفة جدًا، فعندما ذهبوا إلى بلاد الإسلام ورأوا الحضارة والعمران وكل شيء، نقلوا هذه الحضارة والكتب والترجمات إلى أوروبا، فمرت فترة تهادنت الممالك الصليبية مع المسلمين فصار هناك تجارة وزيارة، فأخذوا الحضارة وذهبوا لبلادهم.

- **ثانيًا: سرقة كتب المسلمين وترجمتها.**

لما سقطت غرناطة أخذوا مكاتب غرناطة ومكاتب الأندلس وكان فيها شيء غريب عجيب، كان هناك مدينة اسمها (الإسكوريال) قرب مدريد، زرتها عدة مرات، بها مصيف جميل، فيها الآن ٥٠ ألف مخطوطة باللغة العربية، هي أكبر مجمع مخطوطات في العالم. خمسون ألف مخطوطة باللغة العربية، في كل أنواع العلوم التي تخطر على بالك. هذا غير (كامبريدج) و(أمستردام) ومجمعات المخطوطات.

فأخذوا كتب هذه الحضارة التي خرجت وترجموها، وأخذوا كثيرًا من علوم العرب وسرقوها، وهناك مخطوطات مزفّتة بالزفت الأسود فيها نظريات علمية سرقوها ونسبوها إلى علماء أوروبيين، منها اكتشاف الجاذبية الأرضية الذي نسبوه لنيوتن، ومنها عدة معادلات في الرياضيات نسبوها لديكارت، ومنها الدورة الدموية واكتشاف الطب والتشريح نسبوه إلى علماء من عندهم.

منها في الرياضيات شيء اسمه ثنائي حد نيوتن؛ معادلة: [(أ+ب)^{٢}= أ^{٢}+٢أب+ب^{٢}]، فهي الآن مشهورة في كتب الرياضيات باسم (ثنائي حد نيوتن)، وأذكر لما درَّسنا معلم الرياضيات في البكالوريا وكان عالم مخطوطات غير كونه مدرس رياضيات، كتب: (ثنائي حد الكرجي) وكتب نيوتن وشطب عليها، وقال: هذه المخطوطات مكتوبة الآن في بريطانيا، والعالم الكرجي من علماء المرحلة العباسية هو الذي كتبها.

وهم الذين اخترعوا اللوغاريتم، واخترعوا استقلاب البحَّارة، واخترعوا معظم الاختراعات، وهي أصول الاختراعات الحديثة، والكيمياء، وجابر بن حيان...إلخ. هذا كله في النهاية صفّى عند النصارى..!

كان ملوك أوروبا يرسلون أولادهم للدراسة في قرطبة وجامعات قرطبة، وسنتكلم بإذن الله في نبذة عن الأندلس عند حديثنا عن الحملات الصليبية، فهذا كله آل إلى النصارى من الشرق ومن الغرب.

- **ثالثًا: انهيار بيزنطة.**

والذي كمَّل الحضارة انهيار بيزنطة أو القسطنطينية التي كانت قلعة للعلماء، فعندما انهارت فرَّ العلماء إلى أوروبا، وصار سباق عند ملوك أوروبا من سيشتري كتبًا أكثر من كتب الروم التي خرجت من بيزنطة، ومن سيأخذ علماءً أكثر، كما حدث بالضبط عندما فرَّ علماء ألمانيا من هتلر، اشترتهم فرنسا والدول الأوروبية فصاروا دولًا عظمى، وهم علماء ألمان.

فعلماء بيزنطة ذهبوا إلى أوروبا ودخلوا في الممالك الأوروبية، فسبَّب هذا نهضة أوروبا، لذلك اعتبروا بداية العصور الحديثة ونهاية العصور الوسطى سنة ١٤٥٢م.

- **رابعًا: ثورة الشعوب على الملوك والكنيسة.**

بالفعل الملوك والباباوات حجَّموا عقول الناس، حتى أنه كان يُمنع البحث العلمي بفتاوى البابا، وتعلمون الصراع بين جاليليو والبابا من أجل كروية الأرض، وقُتل لأجل أنه يقول بكروية الأرض. فكل العلوم التجريبية الحديثة كانت ممنوعة بأمر البابا، وكانت محصورة على الكنيسة، والذي يدرس كان يدرس اللاهوت في الكنيسة، والذي خارج جهلة.

فبالثورة على البابا وعلى الكنيسة بدأت مبادئ الديموقراطية في بريطانيا، وأصبح هناك برلمان من القرن الخامس عشر، ألف وخمسمائة وكذا بدأت الديمقراطية في بريطانيا.

تطور ذلك إلى الثورة الفرنسية في ١٧٨٩م فبدأوا يُسقطون الملوك، وتأخذ الشعوب حريتها في البحث والحضارة والتطور وتجاوزوا هذه الظروف.

- **خامسًا: ظهور أفكار مارتن لوثر والتجديد الديني:**

من الأمور التي طورت أوروبا وكانت سببًا في سيطرة اليهود ظهور أفكار مارتن لوثر والتجديد الديني وظهور مذهب البروتستانت في ألمانيا كنتيجة من نتائج الثورة على الفاتيكان، فأصبح هناك مذهب قوي أفكاره متحرِّرة، ومقتبس كثير منها من الإسلام مثل إباحة الطلاق، وإباحة الزواج للخصوص، الكاثوليك لا يتزوجون علنًا، وأشياء كثيرة.

فالشاهد في الموضوع تطور الدين المسيحي، ولكن من النكبات التي حدثت أن البروتستانت هو دين مسيحي يهودي، دخلت فيه كثير من مبادئ اليهود، ومن الأشياء التي يجب أن تفهموها أن المذهب البروتستانتي خرج من ألمانيا واستقر في بريطانيا وأمريكا؛ ولذلك حكم بريطانيا وأمريكا اليهود، والمذهب البروتستانتي هو الذي ينادي بمعركة (هرمجدون) والقتال بين المهدي وملك النصارى وملك اليهود في فلسطين، وهم الذين تبنوا صراع الحضارات، وتركّز الحقد اليهودي الصليبي الآن في لندن وواشنطن بسبب الدين البروتستانتي.

- **سادسًا: اكتشاف أمريكا.**

هناك أناس فروا من الكنيسة وفروا من الملوك، عادة الإنسان الثوري يكون إنسانًا ذكيًا ومنتجًا، لم يعجبه الحال فأخذ سلاحه وحارب. حتى المجرمون واللصوص قد يكونون أذكياء، فكل المجرمين والأذكياء وأصحاب المغامرات "طفشوا" من أوروبا إلى أمريكا، وبدأوا بإبادة البشرية الموجودة هناك، وفرضوا سيطرة العِرق الأبيض، وأخرجت الأرض كنوزها لهؤلاء الرَّحالة، الذين أرجعوها في النهاية إلى أوروبا، فأصبحت في حال من الغنى.

ثم خرج بعض الرحالة، مثل ماجلان، ثم كريستوفر كولومبوس، أرادوا أن يصلوا إلى الهند من الطرف الآخر، وهذا سبب اكتشاف كروية الأرض، خرجوا ليدوروا حول الأرض ويصلوا إلى الهند من الطرف الآخر، لماذا؟

كان وراء هذه الكشوف حقد صليبي؛ فطريق الحرير يمر بأرض المسلمين فيدفعون لهم الضرائب، وطريق التوابل يمر على بلاد المسلمين فيدفعون لهم الضرائب، العالم الإسلامي يعيش على حدود التجار بين الشرق والغرب، وحقوق الترانزيت، فقالوا: يجب أن نصل من الطرف الآخر ونحرم المسلمين من هذه العائدات.

فينما كان ذاهبًا من هنا اكتشف أمريكا، فتسبَّب بخيرات كثيرة لأوروبا، والذي أشرف على هذه الكشوف العسكرية الجغرافية العلمية التبشيرية النصرانية هو البابا.

وكانت هناك دول بحرية، وقلت لكم كل دولة قوية لها أسطول قوي، فكان هناك الأسطول الإنجليزي، والأسطول الفرنسي، والأسطول الإسباني، والأسطول البرتغالي، والأسطول الهولندي، وأساطيل أخرى، فالبابا أعطى حق التبشير والتنصير إلى إسبانيا والبرتغال، فبدأت حركة الكشوف وتنصير الناس.

وأبادوا الأجناس البشرية هنا، وعملوا فظائع في أمريكا، لا تُقاس بها الفظائع في المسلمين، أعظم بكثير جدًا!، وهناك الآن حركات كثيرة في أمريكا اللاتينية تنادي بدحر العرق الأبيض بسبب الجرائم التي فعلها في هذه المناطق وبسبب النهب الاستعماري.

*[199] فهذا الجنس الأبيض الذي حمل الحضارة الأوربية خرج في حركة الكشوف الجغرافية؛ وحركة الكشوف بدأت في القرن الخامس عشر ثم تطوَّرت، وحصل معهم شيء مهم جدًا وهو تطوير واكتشاف البارود والديناميت وتصنيع المتفجرات، فتطور السلاح، وطوَّروا استخدام قوة البخار فطوروا القاطرات البخارية والسفن البخارية فزادت سرعة الحركة..

وعندما تزيد السرعة تزيد الحركة التجارية وتزيد حركة الجيوش فينتقل الناس بسرعة، ثم بعد ذلك تطور الأمر إلى التَّعدين؛ فحصل في القرن الثامن عشر ما يسمّى (الثورة الصناعية).

ونحن يهمنا جدًا أن نعرف تاريخ الروم المعاصرين؛ لأنّ هذه الدول هي الدولة التي استعمرتنا والتي نتصارع معها الآن. نحن نتحدث الآن عن الفترة من سنة ١٤٥٢م وإلى سنة ١٩٢٤م وهي السنة التي سقطت فيها الخلافة العثمانية، لنذكر ماذا حدث مع الروم في هذه المرحلة ثم ماذا حدث مع العثمانيين..

---

[199] **بداية تفريغ الملف الرابع عشر.**

فالروم تطوروا لهذه الأسباب، فقاموا بالكشوف الجغرافية وطوّروا السفن البخارية، بعد هذا قاموا برحلة مهمة جدًا حيث داروا حول شواطئ إفريقيا ليذهبوا إلى الهند، واكتشفوا أسفل إفريقيا في طريق جنوب إفريقيا الذي يسمّى (رأس الرجاء الصالح)، وباكتشاف رأس الرجاء الصالح علموا أنّهم يستطيعون أن يصلوا للهند في رحلة بحرية. (..).

اكتشف (ماجلان) وجماعاته جزر الفلبين والتي كانت تسمّى (جزر المورو)، ونصب ماجلان الصليب عليها فقتله أهل الفلبين لذلك. وكان ملك إسبانيا اسمه (فليب)، فأعطى اسمه إلى تلك البلاد فسميت (جزر الفلبين).

فبدأت حملات تبشير وتنصير واستعمار، فتماشى التَّبشير مع الاستعمار، وهناك كتاب مهم جدًا اسمه (التبشير والاستعمار)[٢٠٠] لعمر فروخ يتحدث عن اقتران التبشير بالاستعمار، وكان معظم شباب الحركة الإسلامية يدرسون هذا الكتاب.

من الأمور التي قام بها الصليبيون بعد الحملات الصليبية الأولى دراسة العالم الإسلامي، الروم شعب عريق وإن كانوا أعداءنا، شعب يُعمل عقله، قاموا بحملة لاستغلال الأرض تمامًا واستخدموا عقولهم بأقصى الدرجات.

وهنا أرجع لحديث عمرو بن العاص عندما قَال له المستورد القرشي -رضي الله عنهما-: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ) فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: (أَبْصِرْ مَا تَقُولُ)، قَالَ: (أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ)، قَالَ: (لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ)[٢٠١].

وسبحان الله الأولَّون لهم فراسة عجيبة جدًا، عندما تنظر لوصف عمرو بن العاص لأهل مصر تجدهم إلى الآن كما وصفهم -رضي الله عنه-، وعندما وصف العباسي أهل خراسان تجدهم إلى الآن كما وصفهم[٢٠٢].

---

[٢٠٠] التبشير والاستعمار في البلاد العربية (عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي) للمؤلفين: الدكتور مصطفى خالدي والدكتور عمر فروخ.

[٢٠١] صحيح مسلم (٢٨٩٨).

[٢٠٢] يشير الشيخ إلى ما روي عن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كما جاء (عيون الأخبار) للدينوري ٣٠٣/١، قال: " عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تتقسّمها الأهواء ولم تتوزّعها النّحل ولم تشغلها ديانة ولم يتقدّم فيها فساد وليست لهم اليوم همم العرب ولا فيهم كتحازب الأتباع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبيّة العشائر، ولم يزالوا يذالون ويمتهنون ويظلمون ويكظمون ويتمنّون الفرج ويؤمّلون الدول وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أفواه منكرة، وبعد فكأني أتفآل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق." اهـ.

فعندما وصف الروم ذكر أربع خصال فذكر منها: (وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ)، وهذه من صفات الأمم الحيّة، وقال: (وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ)، يعني يُعينوا الفقير؛ والذي يزور أوروبا يرى نظام التكافل الاجتماعي وكيف يحفظ حقوق الفقراء من الأغنياء.

ثم قال: (وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ) يعني ينتكس قليلًا ثم يقوم، الألمان في الحرب العالمية الأولى مُسحت بهم الأرض، ثم خلال ٢٥ سنة جاءت الحرب العالمية الثانية وكانوا قد وقفوا على أرجلهم كدولة عظمى.

فالشاهد في الموضوع أنهم يُعملون عقولهم بطريقة جميلة جدًا، فمن الأمور التي أعملوا فيها عقولهم أنهم عندما انهزموا في الحرب الصليبية الأولى رجعوا إلى أوروبا وأخضعوا العالم الإسلامي لحركة تبشير واستشراق ودراسة، فدرسونا كما ينبغي.

قبور المنصّرين الأوائل في عُمان مكتوب عليها تواريخ من ١٥٦٠م، يعني من عام ١٥٦٠م والمبشّرون داخلون في أطراف الجزيرة يبحثون ويدرسون.

في بريطانيا مكتبة اسمها (مكتبة الدراسات الشرقية) وهي خاصّة بدراسات دول الشرق، وأنا دخلتها فسألت: "كم كتابًا فيها؟"، فقالوا لي: "فيها ١١٤ كم من الرفوف"، فإذا كان المتر يتسع لعشرين مجلدًا فيكون في المكتبة أكثر من مليونيّ كتاب!.

وأنا كنت أريد كتبًا عن الجزائر، فسألت في الكمبيوتر عن عدد الكتب التي عن الجزائر فخرج لي ٦٠ ألف كتاب عن الجزائر بكل لغات العالم، فحدَّدت الكتب التي باللغة العربية فخرج معي ٥ آلاف كتاب، فحددت: في اللغة العربية في التاريخ المعاصر في السياسة والتاريخ من سنة كذا إلى سنة كذا، في المرحلة التي أريدها وهي مرحلة استعمار فرنسا والاستقلال، فخرج معي ٢٥٠ كتابًا بهذه المواصفات، فقلت له أين توجد؟ فقال لي: في الممر الفلاني في الرف الفلاني، فانظر للعقلية التي يعمل بها هؤلاء!، هذا عن موضوع واحد بكل اللغات.

وتجد كل ما يخطر في بالك من أي مجلة أو جريدة يومية أو أسبوعية باللغة العربية في قضايا الشرق، فتجد السلسلة كاملة لمجلة (المجتمع)، ومجلة (العالم العربي)، ومجلة (الأزهر) لمائة سنة، ومجلة (المقتبس) وهي قديمة من أيام كرد علي، كل المجلات التي يمكن أن تخطر على بالك تجدها.

حتى علمت أن فيها ٦ آلاف مخطوطة بالبشتو، فعندما درسونا هذه الدراسة العظيمة جدًا استطاعوا غزونا، بدأت الحملة الصليبية الثانية من سنة ١٨٠٠م بعد أن خرجوا في سنة ١٣٠٠م في الحملات الأولى، يعني هناك خمسمائة سنة بين الحملتين، ففي هذه الفترة أعملوا عقولهم ودرسونا دراسة عميقة.

ونحن لم نقصر معهم؛ مكتبة الدراسات الشرقية هذه المكتبة العجيبة جدًا عجزت قبل سنتين ولم تعد قادرة على الصرف على موظفيها فدعم الملك فهد بن عبد العزيز -عليه من الله ما يستحق- مكتبة الدراسات الشرقية بمليون باوند حتى تحدّث أنظمة الكمبيوتر وتقف المكتبة على رجليها!.

فالشاهد هذه إحدى المكاتب، وزرت مكتبة أخرى في باريس اسمها مركز (جورج بومبيدو)، فيها مثل هذا الكلام وأعجب منه، لأن مركز (جورج بومبيدو) فيه كل هذا الكلام من كتب و(كاسيت) و(فيديو)، كل موضوع يخطر على بالك تجد فيه كتب و(كاسيت) و(فيديو).

الإنجليز احتلوا العالم الإسلامي ٥٠٠ سنة فأخذوا كل شيء منه، فالشاهد في الموضوع أنهم أقاموا حضارتهم على طريقة الأبحاث والعقلية التجريبية، استخدموا هذه المنحة من الله تعالى وهي العقل بأقصى درجاتها، خاصّة بعد أن تخلصوا من الملوك ومن الكنيسة، فحصلت الكشوف الجغرافية ثم تطورت الثورة الصناعة.

من أسباب الحضارة أنهم انطلقوا نحو تحقيق حقوق الإنسان وإعطاء الشعوب حقوقها، فقامت الثورة الفرنسية وقام النظام الديمقراطي، فيما كان الشرق ينقض ما بقي من النظام الإسلامي ويدخل في نظام التخلف الديكتاتوري، فهذا كان من أسباب انطلاق الحضارة أن الناس أخذوا راحتهم في التفكير والأمن.

ومن أسباب انطلاق الحضارة الأوربية حملة توحيد الإمارات؛ إيطاليا كان فيها أكثر من ثلاثمائة إمارة، فقامت حركة لتوحيد إيطاليا فنشأت الحركات القومية. ومثل ذلك حصل في ألمانيا، ومثل ذلك حصل في الثورة الفرنسية، فزال التأثير الإمبراطوري ونشأ الشعور القومي ولكن على أساس صليبي، فالروم الجدد هم الدول الأوروبية.

الآن الدول الأوربية تسعى للخطوة الأخيرة نحو توحيد دول أوروبا واتخاذ روما عاصمة لهم، فكانت الخطوة الأولى توحيد الإمارات نحو الدول، فنشأت الدول القومية وكان هذا من أسباب التقدُّم.

أمّا أهم نتائج النهضة التي حصلت معهم فهو التطور الصناعي، فبالتطور الصناعي بدأوا ينتقلون من النظام الإقطاعي الزراعي إلى النظام الصناعي فنشأ النظام الرأسمالي البرجوازي، فبدأت تهبط الزراعة وتقوم الصناعة.

السيطرة اليهودية على الروم المعاصرين:

وهنا حصلت مشكلة ليست لصالحهم ولا لصالحنا، أنّه بسبب أهميّة الأموال للصناعة نشأت طبقة المُرابين اليهود وسيطروا على حركة البنوك، ومن هنا امتلك اليهود أوروبا، ومن هنا سيطروا على السياسية.

ظهر اليهود في الدين البروتستانتي، ثم ظهروا في البنوك وبدأوا يُقرضون الدول ويقرضون المصانع ويقرضون الحركات والحروب، فهم الذين أشاعوا الحروب ليقرضوا الطرفين؛ يُقرضوا بريطانيا ويقرضوا فرنسا في حرب المائة سنة، مائة سنة تتحارب بريطانيا وفرنسا ويموّل الحرب يهود أوروبا.

حتى ضاق الأوربيون ذرعًا باليهود ثم ظهرت في النهاية مصيبة ألمانيا، عندما أرادوا أن يُخرجوا اليهود، وحصلت عدة ضغوط على اليهود في أوروبا وأُخرجوا بسبب هذه المشاكل المالية التي أنشأوها، فكانوا يلجأون للدولة العثمانية وهذا خلق لنا مشكلة أخرى.

ففروا من أوروبا بسبب محاكم التفتيش فلجأوا إلى المغرب ونشأت طبقة يهود المغرب، فرّوا من الصليبيين فآواهم ملوك المغرب، والآن أصبح اليهود ملوك المغرب!، فيجب أن تعرف الجذور التاريخية لكل هذه البلاوي.

فظهر النظام الإقطاعي؛ والنظام الإقطاعي يعني أن يكون هناك أمير عنده أراضٍ فيُقطعها للجنود، فيقوم النظام على استعباد البشر والأرض، يعني الأمير يملك الأرض ومن عليها. فزال النظام الإقطاعي بسبب اتحاد الإمارات وقيام الدول، وبزوال النظام الإقطاعي قام النظام الصناعي البرجوازي، وظهر الرأس مال اليهودي.

ومن نتائج التطور الصناعي أن العالم الغربي احتلّ الكرة الأرضية وليس العالم الإسلامي فحسب؛ نتيجة الكشوف الجغرافية وحركات الاستعمار التي بدأت من سنة ١٥٠٠م واستمرت حتى سنة ١٩٩٠م حيث استقلت آخر الدول استقلالًا.

فكان من نتائج التطور اقتسام الغربيين للعالم؛ فالصين كانت مستعمرة إنجليزية، وأستراليا مستعمرة إنجليزية، والهند مستعمرة إنجليزية، وبنجلاديش والسند مستعمرة إنجليزية، يعني ٨٠% من بشر الأرض تحت التاج البريطاني!.

هذه الدولة الصغيرة التي فيها ٤٥ مليونًا كانت تحتل الهند والصين التي فيها أكثر من مليار؛ فكيف وصلوا إلى ضبط هذه الأعداد السكانية؟!

هم فتحوا جزيرة العرب كلها بلورانس، وكان لورانس يقول: "أفتخر على التاج البريطاني أني أخضعت له كل هذه المنطقة المهمة من العالم ولم يُرَق فيها دم جندي بريطاني واحد"..!؛ فتحها فقط بالجاسوسية والذهب.

نريد أن نقف فقط عند هذه المحطة؛ ظهور الرأس مال اليهودي، ظهور التنافس الاستعماري؛ إنجلترا احتلت ثلثي العالم والباقي احتلَّت أغلبه فرنسا فيما بعد، هذا كله حصل بعد سقوط الدولة العثمانية..

فأريد أن أرجع رجعة في التاريخ؛ فأقول: هذا كان حالة الروم من سنة ١٥٠٠م إلى نهضتهم في سنة ١٨٠٠م. فماذا كان حال المسلمين في (١٤٥٢–١٨٠٠)م وهي مرحلة زهوة الدولة العثمانية قبل أن تبدأ بالانهيار من ١٨٠٠م حتى إعلان السقوط في سنة ١٩٢٤م؟ يعني هذه الأربعمائة سنة (١٤٥٢–١٨٠٠م) والخلافة العثمانية تحكم العالم الإسلامي، –فهذا نكمله إن شاء الله غدًا، وجزاكم الله خيرًا–..

***

تاريخ الدولة العثمانية من سقوط القسطنطينية حتى قيام الثورة الصناعة في القرن الثامن عشر الميلادي:

نتابع، نحن استعرضنا ما حصل مع الروم منذ سقوط القسطنطينية في سنة ١٤٥٢م وحتى قيام الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر، في هذه المرحلة كان لواء الإسلام تحمله الدولة العثمانية.

الدولة العثمانية بدأت بالسلطان عثمان والذي استطاع أحد أحفاده فتح القسطنطينية وهو محمد الفاتح في سنة ١٤٥٢م، ثم توجّهت الدولة العثمانية في ثلاثة محاور في الفتوح؛ توجهوا في اتجاه روسيا فأتموا فتح محيط البحر الأسود، فأصبح محيط البحر الأسود كله عثمانيًا. ثم توجهوا غربًا ففتحوا اليونان ورومانيا وبلغاريا وهنغاريا، ومشوا إلى البوسنة وصربيا وألبانيا، وتابعوا زحفهم حتى وصلوا إلى النمسا فحاصروا فيينا تقريبًا في سنة ١٥٢٩م.

وعلى صعيد البلاد الإسلامية والعربية نزلوا مبكرًا في فترة السلطان (سليم الأول) في سنة ١٥١٦م دخلوا حلب، وكان المماليك يحكمون مصر وبلاد الشام، وآخر ملوك المماليك اسمه (قانصوه الغوري)، والمماليك هم من العبيد الذين جيء بهم من وسط آسيا، فهذا قانصوه الغوري أصله من (غور) في أفغانستان.

فتحرك قانصوه الغوري من مصر حتى يقاتل العثمانيين، فالتقى العثمانيون والمماليك في موقعة (مرج دابق) على بعد ٤٥ كلم من حلب، فجاء المماليك بالسيف والرمح وهم معروفون بالفروسية، والعثمانيون جاؤوا بالمدافع، فانتصر

العثمانيون وقضوا على المماليك وقُتل قانصوه الغوري وخلفه السلطان طومان باي الذي هزمه العثمانيون وقتلوه ودخلوا مصر بعد فترة.

وعندما دخل العثمانيون بلاد الشام كانت في حالة فساد وفوضى، وهم كانوا قد فتحوا القسطنطينية، ففُتحت لهم قلوب العلماء والعامة؛ أن هؤلاء الناس فيهم خير وتحقَّقت فيهم نبوءة النبي ﷺ: (لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ)[٢٠٣]. فالناس لم تقاوم العثمانيين.

ثم امتدَّ الفتح العثماني فدخلوا العراق وأطراف الجزيرة، أما قلب الجزيرة نجد وهذه الصحارى فتركوها، وأخذوا الكويت وأطراف الجزيرة، ثم حاولوا أن يأخذوا اليمن فاستعصت عليهم اليمن كثيرًا، وهذه ميزة لليمن فهي مثل أفغانستان؛ أن معظم المستعمرين والفاتحين لم يستطيعوا أن يدخلوها بسهولة؛ انكسر فيها البرتغاليون ثم انكسر فيها الإنجليز ثم انكسر فيها العثمانيون حتى أسموها (مقبرة الأتراك) من كثرة الأتراك الذين قُتلوا في محاولة تثبيت ملك العثمانيين في اليمن.

وحتى عندما قامت الحرب بين الملك فيصل وجمال عبد الناصر في اليمن هُزم الجيش المصري، إلى أن جاء علي عبد الله صالح فنظم القبائل واستخدم العلماء ليوطَّد ملكه، وإلّا فهي بلد صعبة المراس لم يستطع أحد أن يدخلها.

فالعثمانيون لم يستقروا في اليمن ولكن عظَّموا قضية الحجاز والحرم، فأخذوا الحجاز وولّوا عليها الأشراف وأعطوهم ولاية مكة والمدينة، وكان آخرهم الملك الشريف حسين والد الملك فيصل الذي تعاون لاحقًا مع الإنجليز ضد العثمانيين. المهم أنهم أخذوا سواحل البحر الأحمر من الحجاز إلى اليمن إلى عمَّان، حتى حاولوا إنشاء سكة حديدية تربط دمشق بالحجاز.

فسيطر العثمانيون على سواحل الجزيرة، ثم انتقلوا من مصر للسودان، ودخلوا ليبيا والجزائر. وفي المغرب كانت هناك الدولة العلوية وهم أجداد الملك الحسن الحالي، وكانت دولة صالحة في البداية، وكان فيهم بعض الملوك الصالحين، ثم نشأ فيهم الفساد عندما دخل فيهم التأثير الإسباني والفرنسي ودخل اليهود فحصل الذي حصل فيما بعد..

المهم صارت مراسلات بين الدولة العلوية والعثمانية فأقرّوهم على حكم المغرب فصار هناك نوع من التَّبعية، فعمليًا تبع مسلمو العالم العربي كلهم للدولة العثمانية وعاصمتها القسطنطينية أو (إسلامبول) ثم تحوَّلت إلى (إسطنبول)، وسميت الباب العالي أي الخليفة الأعظم.

---

[٢٠٣] مسند الإمام أحمد (١٨٩٥٧)، مستدرك الحاكم (٨٣٠٠).

والعثمانيين مثلهم مثل كل الدول العظمى اهتمّوا جدًا بإنشاء أسطول بحري، فكان عندهم أسطول بحري قوي جدًا، وملكوا البحر المتوسط، وكان خير الدين بربروسا أحد المشهورين في تاريخ البحرية العثمانية وهو سلطان البحر المتوسط، فلا يسمحون لسفينة أن تمر إلا ويأخذون منها ضريبة.

ومن مآثر العثمانيين وإنجازاتهم أنهم سمّوا البحر الأحمر (بحر الحرم)؛ لأن جدة في الحرم وهي على البحر الأحمر، فقالوا كيف تمر سفن النصارى قرب جدة والحرم لا يدخله النصارى، فمنعوا سفن النصارى من المرور بالبحر الأحمر.

وفرضوا على النصارى أن يسلّموهم البضائع في مضيق باب المندب فتنقلها السفن العثمانية شمالًا، فيسلموهم البضاعة قرب قناة السويس حتى لا يمروا بالبحر الأحمر.

فهم ملكوا البحار، فسموا البحر الأحمر بحر الحرم. أما البحر الأبيض المتوسط فكتبوا عليه (بحيرة عثمانية)، حتى أن صحفيًا إنجليزيًا سأل السلطان عبد المجيد –وهو من السلاطين المتأخرين–، فقال له: "كيف تسمّون البحر الأبيض المتوسط بحيرة عثمانية وشماله للروم وفقط تسيطرون على جنوبه؟"، فقال له: "نحن نسيطر عليه ولهذا نسميه بحيرة عثمانية"، فقال له: "إذا كان البحر الأبيض المتوسط بحيرة عثمانية فماذا تسمي البحر الأسود؟" وهو كله داخل الحدود العثمانية، وكان عنده قصر على ساحل البحر الأسود في إسطنبول فقال له: "هذا مسبح قصري"، وفعلًا كان بعض السلاطين ومنهم هذا السلطان عبد المجيد –وكان عملاقًا– يعبرون مضيق البسفور ذهابًا وإيابًا سباحة في "مسبح قصره"!.

المهم أقام العثمانيون حضارة عسكرية قوية جدًا، فأصبح كل مسلمي العالم من الهند للمغرب يشعرون بالانتماء للعثمانيين، حتى أنه عندما غزا الروس سنة ١٨٤٠م مسلمي وسط آسيا أرسل إليهم أنور باشا وزير الحربية العثماني مندوبين فقاتلوا مع الإمام شامل، وكان هناك خبراء عسكريون عثمانيون يقاتلون إلى جانب الأوزبك ضد الروس، يعني شعروا بمسؤوليتهم عن كل العالم الإسلامي، حتى أن هذا المندوب الذي أرسلوه قُتل في المعارك.

فالعثمانيون قاتلوا في فرغانة وقاتلوا في أوزبكستان وقاتلوا في الهند وقاتلوا في اليمن ودافعوا عن الحرم وقاتلوا في الجزائر، **فكانوا هم يحملون راية الجهاد، وهذا من مآثرهم.**

فبعد دول الطوائف والضياع الذي حصل أن الأتراك استطاعوا أن ينشئوا الخلافة العثمانية، وتجرأوا على مسألة لم يتجرأ عليها أحد قبلهم، فقاموا وأخذوا مصحف عثمان وجبّة الرسول ﷺ والعصا والسيف التي كانت رموزًا عند كل خليفة، وأعلنوا خليفة عثمانيًا، فصار الخليفة ولم يعد فقط السلطان.

وإلى جانب الخليفة كان هناك (شيخ الإسلام) وهو مفتي الدولة العثمانية، وكان من أواخرهم في آخر الدولة العثمانية الشيخ مصطفى صبري، وله كتاب مهم جدًا في كشف الحركات القومية والعلمانية التي ظهرت في آخر الدولة العثمانية، وهو كتاب (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين).

فالدولة العثمانية كان من مآثرها أنها حملت راية الجهاد. ولكن إذا جئنا إلى تحليل وضع الدولة العثمانية نجد أنها كانت **حضارة عسكرية محضة، وعلى المناحي الأخرى كانت متخلّفة جدًا،** ففي مرحلة العثمانيين نقصت الحضارة وقلّ العلم وجمدت المذاهب.

وطبعًا حُكم المذهب الحنفي خلال دولة بني العباس، ثم كان خيار الأتراك فحُكمت الدولة الإسلامية كلها بالمذهب الحنفي، ولذلك انتشر المذهب الحنفي وتطوَّر وتشعَّب، وهو من أثرى المذاهب خاصة في المعاملات.

حتى في جامعة الأزهر يدرَّس الفقه الشافعي في العبادات والفقه الحنفي في المعاملات، فتطور المذهب الحنفي في المعاملات في الكتب الفقهية والسبب أنه مذهب حكم أكثر من ألف سنة.

ومن الأمور التي حصلت أنه طُرح مبدأ **(وقف الاجتهاد)،** فأُقفل باب الاجتهاد وسبَّب هذا تخلفًا ولم يعد هناك اجتهاد في الأمة من الناحية الفقهية. ثم انتشر التصوّف انتشارًا كبيرًا جدًا في مرحلة الأتراك وشُجِّع من قِبل الدولة. فعلى كل الأصعدة العملية ضعفت الدولة وبدأت بالتخلف، ودخلت الأمة كلها في حالة من التخلف.

الأمر الآخر أن **النَّفَس التركي كان طاغيًا،** حتى أنهم في المراحل الأخيرة فرضوا سياسة التتريك، فأقطعوا الأراضي للضباط الأتراك وفرضوا على الناس قائمة من الأتاوات، وظهر نظام الباشا والأفندي، وبالتالي أثاروا العرب والأكراد والقوميات الأخرى، وشعروا أنهم محاصرون، فكان هذا سببًا لانطلاق القومية في آخر أيام الدولة العثمانية.

من السلبيات الأخرى الهامة جدًا في مرحلة الضعف: **تدخّل الدول الأوربية في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية؛** والدولة العثمانية بلغت القمة في سنة ١٦٨٠م عندما وصلوا إلى أسوار فيينا، ثم بدأوا في التراجع بينما بدأ الأوربيون صعودهم وكان من أهم همومهم أن يحاربوا الدولة العثمانية حربًا صليبية..

وكانت الدولة العثمانية مشغولة في جبهة في حرب القياصرة، وتضيع منها الأراضي حول البحر الأسود شيئًا فشيئًا، حيث أن الروس انطلقوا من سنة ١٧٦٠م من موسكو وكانت الأراضي تحت الحكم الروسي صغيرة جدًا فتمدَّدوا.

فنزلوا للعالم الإسلامي فأخذوا منطقة وسط آسيا منطقة منطقة وكان هذا في زمن القياصرة، ثم قامت الثورة البلشفية في سنة ١٩١٧م فورِث الشيوعيون القياصرة وأصبحت روسيا القيصريّة: روسيا الشيوعية.

ففقد العثمانيون هذه الممالك وحصلت لهم حروب كثيرة مع الروس تحت شعار صليبي. وعلى الجانب الآخر حصلت كذلك حروب طويلة ففقدوا جزءًا وراء جزء حتى كادت تسقط إسطنبول لولا الصراع الدولي، حيث كانت الدول الاستعمارية الكبيرة الأساسية هي روسيا وبريطانيا وفرنسا، ثم تأتي بعد ذلك إسبانيا وهولندا وبلجيكا وإلخ..

فحصل الصراع بين فرنسا وبريطانيا وروسيا من يسيطر على المضائق البحرية، فتعاون الإنجليز مع العثمانيين، وبسبب هذا التعاون حُفظت إسطنبول بعد أن كادت تسقط بيد الروس، فصار شيء من الحلف بين الإنجليز والعثمانيين.

فخلال هذا الصراع الدولي في تلك الفترة كانت الخلافة العثمانية تصارع النفوذ الأوربي، والذي ساعد على بقائها أن النظام الأوربي كان فيه صراع داخلي؛ الأسطول الإنجليزي دمّر الأسطول الإسباني في معركة شهيرة اسمها (أرمادا)، وكان الأسطول الإسباني أكبر أسطول أوروبي، واعتُبرت من المعجزات العسكرية.

فدخل الإنجليز والفرنسيون في حرب المائة سنة، ودخل الحلف الأوربي في مشاكل مع ألمانيا، وهذه ولَّدت فيما بعد الحرب العالمية الأولى، وهؤلاء في مشاكل مع القياصرة، فهم كانوا جميعًا ضد الدولة العثمانية ولكن هذه المرحلة كانت غنيّة بالصراعات الأوربية–الأوربية..

ضعفت الخلافة العثمانية فكان من أكبر مظاهر تخلفها **التدخل الخارجي في شأن الأقليات**، هناك أقليات في الدولة العثمانية مثل النصارى والدروز، فبدأت الدولة الأوروبية تفرض تدخلها في الأقليات داخل الخلافة العثمانية..

فصار الروس يريدون أن يفرضوا حمايتهم للأرثوذوكس في لبنان، وصار القنصل الروسي يدافع عن الأقلية الأرثوذكسية، والقنصل الفرنسي يدافع عن الكاثوليك، والقنصل الإنجليزي يدافع عن البروتستانت. وشيئًا فشيئًا أخذوا حقوق تدخل رسمية.

إذًا ضعفت الخلافة العثمانية وفقدت كل هذه الأراضي وتدخَّلت الدول الأوربيّة في الشؤون الداخلية للخلافة العثمانية ففرضت عليها قوانين تخصّ الأقليّات لإعطاء حرية الأديان للنصارى في لبنان وحقوق للدروز، وهذا منذ مائة سنة قبل سقوط الخلافة، وأصبح النظام الأوروبي يطلق لقب (الرجل المريض) على الخلافة العثمانية، فأصبحت مثل الكعكة كل واحد يريد أن يأخذ قطعة منها، ولكن لأن النظام الأوربي الصليبي كان متناحرًا فيما بينه أُجّلت هذه القضية إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية.

السلبية الأخرى أنه في الفترة الأخيرة من الدولة العثمانية احتكّ الأتراك بالأوروبيين، فصار عند الجيل الجديد من الأتراك شعور بأن الأوربيين تحرّروا من الدين فتقدّموا؛ فصار هناك تفلُّت من الدين وميل للاستغراب، وظهرت الماسونية بين الشباب.

وكان اليهود الذين فرّوا من أوروبا ولجأوا إلى الدولة العثمانية فآواهم الخليفة واعتبرهم أهل ذمّة؛ دخل كثير منهم صوريًا في الإسلام وظهر ما عرف بـ(يهود الدونمة) ومنهم مصطفى كمال أتاتورك، وهم أناس تصنّعوا الإسلام ودخلوا بصورة منظمة في الماسونية، وأمسكوا كثيرًا من المناصب في الدولة العثمانية.

فأُدخلت القوانين والتشريعات الوضعية على أيديهم، وبعض متأخري السلاطين العثمانيين عندما أراد أن يُحدّث الجيش أتى بخبراء ألمان، وعندما أراد أن يحدّث الإدارة أتى بخبراء فرنسيين، فشرّع قوانين وضعية، فبدأت تدخل القوانين الوضعية في الدولة العثمانيّة.

ولذلك فهناك بعض طلبة العلم وبعض السلفيين المتأخرين، وأنا سمعت من بعضهم هذا وأنا لا أقرّ هذا الكلام؛ كلام بتكفير آخر خمسة خلفاء عثمانيّين بما فيهم السلطان عبد الحميد الثاني -رحمه الله-، وسبب التكفير أنهم أدخلوا القوانين الوضعية.

أنا الذي أعتقده أنه لم تكن مخالفة القوانين في تلك الفترة بهذا الوضوح من ناحية، وكان هناك جهل كبير جدًا من قِبل العثمانيين، وكان هناك تدخل دولي ضاغط عليهم، ومع ذلك كان الحكم الأساسي بالشريعة الإسلامية طبعًا على طريقة الأتراك.

الشاهد في الموضوع أن الدولة بدأت بالسقوط من سنة ١٨٠٠م، يعني ١٤٥٠- ١٧٠٠م والدولة في صعود، ومن ١٧٠٠-١٨٠٠م بدأت تتأرجح الدولة، ومن ١٨٠٠م بدأت الدولة بالسقوط وبدأت تفقد أطرافها؛ فقدت أوروبا وفقدت محيط البحر الأسود وفقدت وسط آسيا، ثم بدأ النظام الغربي يحتلّ العالم، فدخلوا أمريكا اللاتينية ودخلوا سواحل إفريقيا ثم تمدَّدوا للداخل، فهم احتلوا العالم من أقصاه إلى أقصاه، ومن جملة هذا أطراف العالم الإسلامي.

وكما سنشرح في الحملات الصليبية؛ دخلت فرنسا مصر في حملة نابليون في سنة ١٧٨٩م، ودخلوا فلسطين، وكان لا بد له أن يأخذ فتوى من شيخ الأزهر فادَّعى الإسلام وتزوج مسلمة مصرية، ثم دخل جنوب فلسطين وأخذ إمارة عكّا وحصل قتال بينه وبين الأتراك. وفي الطرف الثاني بعد ثلاثين سنة في سنة ١٨٣٠ دخلت فرنسا الجزائر، ثم فرضت الحماية على شمال إفريقيا.

أما الإنجليز فقد كانوا مسيطرين على الهند فتوسعوا شيئًا فشيئًا حتى أخذوا إيران ثم أخذوا أطراف الجزيرة، فبدأوا يختارون عوائل للحكم تنوب عنهم، والإنجليز دهاة في الخطط، يجب أن نتعلم دروسًا من طريقة احتلالهم لنا؛ فلم يتجرّأوا أن يقولوا نحن نحتل الجزيرة، فهم يعلمون بحكم الدراسة الطويلة أن قضية الجزيرة والحرم هي قضية حساسة عند المسلمين، وبسببها قد يقوم الجهاد والخليفة ما زال موجودًا. فأخذوها من دون أن يقولوا أخذناها.

فهنا بدأوا إنشاء عملاء من العرب، من أحفاد بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب، فجاؤوا بآل الصباح وولّوهم على الكويت واشترطوا عليهم ألَّا يخرجوا عليهم، وكانت هناك حكومة اسمها (حكومة الهند الشرقية) تشرف على عملائهم في الجزيرة، فربطوا الشريف حسين معهم، وربطوا معهم مشيخات اليمن، ومشيخات عمان، ومشيخات الإمارات، ولم يكن البترول قد ظهر بعد، فربطوا كل إطار الجزيرة العربية معهم.

ثم سنة ١٩٢٠م أخذوا الأردن وفلسطين معهم، فعمليًا طوّقوا كل منطقة الحرم وأخذوها. ثم اختاروا آل عبد العزيز في نجد وآل شريف حسين في الحجاز، وكان كل عميل تابع للتاج البريطاني مرتبطًا بحكومة الهند الشرقية أو مرتبطًا بوزارة المستعمرات البريطانية.

وانظر لضخامة المستعمرات البريطانية، البريطانيون أخذوا الصين والهند وأستراليا وهذه الجزر وأطراف من أفريقيا وأمريكا، فعمليًا سيطروا على ٨٠% من الكرة الأرضية، ولهذا لقّبت بـ(الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس)، لأنه إذا غابت الشمس عن أمريكا تشرق في الصين وهكذا، فعمليًا الشمس مشرقة دائمًا على التاج البريطاني.

والدولة الاستعمارية الثانية في هذه المرحلة كانت فرنسا؛ فرنسا كانت لها حصة ضخمة جدًا في إفريقيا، معظم إفريقيا (فرنسيون)؛ فالجزائر فرنسية وغرب إفريقيا فرنسي. وبعض الدول سيطرت عليها دول أخرى مثل بلجيكا. والتبت في الصين فرنسية، وأخذوا طرفًا من أمريكا.

الإسبان في فترة من الفترات كان عندهم أسطول عظيم فأخذوا أمريكا اللاتينية، ولهذا معظم أمريكا اللاتينية يتحدثون بالإسباني، والبرتغال أخذت البرازيل فالبرازيليون يتحدثون باللغة البرتغالية.

فقسّموا كل العالم وبدأوا بأخذ أطراف العالم الإسلامي وكانت العثمانية تشاهد ما يجري في العالم، وأصبح الفساد الإداري عظيمًا جدًا ونتيجة هذا بدأت النَّعرات القومية تظهر، فنتيجة الماسونية واليهودية ظهر حزب ماسوني اسمه (حزب تركيا الفتاة) يطرح القومية الطورانيّة ورفع العرق التركي على العرب.

وفي المقابل نشأت الحركة القومية العربية، والذين أنشأوها هم أيضًا الماسون، فهنا ماسون العرب وهناك ماسون الأتراك، فأنشأ ماسون العرب القومية العربية في بلاد الشام في سوريا ولبنان، ثم نتيجة ضغط الأتراك هاجر كثير من الكتّاب والمفكّرين إلى مصر، فنشأت الحركة الثقافية المصرية على أهل بلاد الشام.

فبدأت الحركة في مصر على يد النصارى والقوميين، وغالب من حمل الحركة القومية العربية هم النصارى، ولكن وجدوا متكأً من ظلم الأتراك فحرّضوا العرب على هذا، ثم قامت حركة الشريف حسين لإسقاط الخلافة.

وقفة مع الاستعمار الأوربي:

وكنا نتحدث عن الحضارة الأوربية وانقطع بنا الحديث، قلنا أن الحضارة الأوربية هي حضارة متوحشة جدًا، عندما دخل الإسبان أمريكا الجنوبية ثم دخل بعدهم الإنجليز والفرنسيون في الشمال؛ دخلوا في حرب مع الأجناس الأصليّة، وكذلك عندما دخل الإنجليز أستراليا دخلوا في حرب مع سكان أستراليا الأصليين. أما سكان أستراليا الأصليون فقد أُبيد أغلبهم تقريبًا، وسكان هذه الجزر أُبيد معظمهم، وهناك جزر أُبيد سكانها عن آخرهم..

ثم اجتمعت الدولة الاستعمارية حتى يقنّنوا الاستعمار، فوضعوا قانونًا اسمه قانون (حق الاستعمار) حتى لا يتصارعوا فيما بينهم، فقالوا يحق لكل دولة أخذ أراضٍ بعدد جيوشها وأساطيلها، فالأسطول الإنجليزي كان أعظم الأساطيل فأخذ أعظم حصة، فقسّموا الكرة الأرضية فيما بينهم.

فعندما دخلوا إلى أمريكا كان من الفظائع التي ارتكبوها إبادة الأجناس البشرية، ثم سعوا لتغيير أجناس السكان الأصليين، فأخذوا سبايا ونساء من تلك المنطقة وأصبحوا يتزوجون ويغتصبون النساء ضمن مخطط لإنتاج ذرية أوروبية في أمريكا اللاتينية.

فمن الأشياء التي حدّثني عنها بعض الأصحاب من أمريكا اللاتينية عندما كنت في إسبانيا؛ حدثوني عن فظائع الأوربيين في بلادهم أبشع مما حصل معنا، فيقول حتى كانت الكنائس فيها بيوت للتهجين، فتجد عند القسيس خمسمائة امرأة محبوسة للحمل، يأتي كل واحدة منهن مرة أو مرتين حتى تحمل من أجل أن ينتج ذرية أوروبية، حتى حدَّثني أن أحد القساوسة كان محبوس على ذمته ألفين امرأة، فقط بغرض التهجين وتغيير الذرية.

فمسحوا أجناس هذه المنطقة بالقتل والاغتصاب والتهجين، ثم مسحوا أديانهم بالتنصير والتبشير فنشروا النصرانية والآن هذه القارة قارة نصرانية.

ومثل هذا قاموا به في إفريقيا، وقاموا بجريمة تاريخية نكراء هي تجارة الرقيق؛ يحاولون أن يلصقوها الآن بالعرب فيقولون أن العرب شاركوا في تجارة الرقيق، وهي عملية أوروبية محضة، إنجليزية بالدرجة الأولى.

وهي أنهم أخذوا أبناء أفريقيا وخاصّة أفريقيا الغربية للعمل في حقول القمح والقطن في أمريكا الشمالية، فرحّلوا كميات ضخمة من الزنوج، يأتون و يأخذون الأفارقة ويملأون السفن ويرحلون، ولعلكم شاهدتم بعض المسلسلات عن هذه المسألة، وهناك مسلسل جيّد مشهور اسمه (الجذور) تحدَّث عن هذه العملية البشعة التي حدثت.

فكانت الحضارة الغربية حضارة وحشية منذ البداية، حضارة تقوم على الربا وعلى سيادة الجنس الأبيض وسحق الأجناس الأخرى.

بعد ذلك عندما دخلوا أمريكا اللاتينية شقّوا المناجم والذهب، حتى حكى لي رجل من بوليفيا أنهم اقتلعوا سلاسل جبلية من الذهب بأكملها من المنطقة ورحّلوها، وهذا كله صبَّ في هذه الدول الاستعمارية، وكذلك خيرات أستراليا والشرق الأقصى والهند والصين كلها صبت بهذه الدول الاستعمارية.

فكيف استطاع أربعون مليون إنجليزي أن يحكموا كل هذه المليارات؟!

ببساطة كان عندهم عقلية إدارية جاسوسية؛ فكانوا يأخذون من الهند عملاء ليحاربوا في مصر، ويأخذون من مصر عملاء ليحاربوا هنا وهكذا، فالقواد إنجليز والجنود من المستعمرات.

هناك مجلة عسكرية تصدر في أوروبا بعدة لغات اسمها مجلة (الكوماندوز)، تتحدث عن آخر الأسلحة والتدريبات والقضايا الخاصة بالكوماندوز، فكل مدة تصدر سلسلة، فأصدروا سلسلة فيديو عن تمارين أرقى كوماندوزات العالم، كان فيها بعض الأشياء العسكرية المفيدة..

فمن الجملة كان فيها بحث عن القوات الخاصة البريطانية والفرنسية، الفرنسيون عملوا فرقة كاملة من شباب المستعمرات أسموها (الفرقة الأجنبية)، فدربوهم على الوحشيّة..

قلعة (ديان بيان فو) التي خسرها الفرنسيون في فيتنام كان المدافعون الأساسيون عنها جنود جزائريون، والحرب العالمية التي دارت بين الإنجليز والألمان كان الجنود الأساسيون فيها من شمال إفريقيا، وفي سوريا كانت هناك كتيبة سنغالية كاملة تحتل سوريا، فهم حاربوا الشعوب بشعوب أخرى.

وبنفس العقلية أداروا حرب الخليج، فدخل الجيش المصري والسوري ففتحوا الألغام، ثم قصفت الطائرات ثم تقدَّمت القوات الأمريكية والغربية.

في الصومال عندما حارب الإخوة الجيش الأمريكي لم يروا الأمريكان بل في أكثر العمليات قتلوا فيها الجنود البنجلاديش في قوات الأمم المتحدة، وعندما قصف مبنى الأمم المتحدة في (قانا) في جنوب لبنان وقُتل حوالي ٢٠ موظف من الأمم المتحدة، فإذا كل الجنود أشكالهم هندية، ونظام الأمم المتحدة هو نظام استعماري. والآن يشكَّل (جيش إفريقيا للسلام) من أجل قتال الحركات الأصولية، وسيشكل من الدول الإفريقية.

فهذا النظام الاستعماري يقوم على أخذ الشباب من المستعمرات ليقاتلوا في مستعمرات أخرى، وبهذه الطريقة احتلوا معظم العالم، وكانوا فقط الإرشاد والتوجيه من الضباط الإنجليز.

انهيار الخلافة العثمانية وأحوال المسلمين بعد إلغاء الخلافة:

*[٢٠٤] المهم نرجع للدولة العثمانية، نحن الآن في الفترة (١٨٠٠-١٩٠٠)م، بقيت الدولة العثمانية تضعف وتضعف، ثم أسفر الصراع الأوروبي- الأوروبي على المستعمرات عن حدوث الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤م، لم يستطيعوا أن يمتنعوا عن الحرب، فانقسمت الدول الأوروبية إلى محورين: محور ألمانيا ومحور الحلفاء وفيه باقي الدول.

وكان (الماسون) واليهود قد سيطروا تقريبًا على الدولة العثمانية فعُزل الخليفة وجاء بعده خليفتين أو ثلاثة صوريين، والسلطان عبد الحميد طال حكمه إلى ٣٠سنة، ولكنه كان ضعيفًا، وحاول أن يقوم بمحاولة إصلاح.

ومن يقرأ مذكرات السلطان عبد الحميد يجد أن الرجل كان مدركًا لما يحدث، وحاول أن يقوم بنهضة وإصلاحات وأن يغير بعض الفساد الإداري، لكن كانت المصيبة أكبر من أن تُصلح؛ حيث جاء بعد قرون من التَّخلف والتَّبعية والتَّدخل الماسوني ونشوء الحركات القومية ودخول البلاوي.

---

[٢٠٤] بداية تفريغ الملف الخامس عشر.

حتى الشيخ مصطفى صبري له كتاب حول قضية القوانين وفصل الدين عن الدولة، وله كلام جميل جدًا في محاربة فصل الدين عن الدولة؛ فبيّن أنّ هذه الحركات الناشئة لفصل الدين عن الدولة هي عملية كفر علني، وقال: "للأسف الكفر يكون عادة من أفراد الشعب والدولة هي التي تقمع الشعب عن الكفر، أمّا في هذه الفترة فعملية فصل الدين عن الدولة هي كفر من قِبل الحكومة على الشعب". وله كلام جميل جدًا في هذا الكتاب، استشهدت ببعض فصوله في كتاب (التجربة السورية).

الشاهد أنّ الماسون أدخلوا الدولة العثمانية في حلف مع ألمانيا في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)م. ومن مآثر الدولة العثمانية أن الحركة الصهيونية وُلدت في مؤتمر بال في سويسرا سنة ١٨٩٧م يعني قبل الحرب العالمية بـ ١٥ سنة، فاجتمع الصهاينة وقرروا أن يجعلوا من فلسطين دولة يهودية.

وحقيقةً من الكتب التي تستحق أن تُقرأ وهو من آخر الكتب التي قرأتها كتاب لنتنياهو اسمه (مكان تحت الشمس)، وأنا أنصحكم أن تقرأوه وهو موجود عندنا في المكتبة، شرح فيه نتنياهو أفكاره وأفكار الليكود وأفكار المتعصبين اليهود، وحقيقةً أوّل مرّة أطّلع على العقلية الصهيونية بهذه الصورة، فالرجل صريح جدًا.

وعندما تقرأ لواحد مثل نتنياهو ثم ترى بعض المقابلات الصحفية التي يقوم بها أمثال عبد الرحمن خليفة المراقب العام للإخوان المسلمين تحزن؛ تعلم ضحالة الثقافة عند معظم مشايخنا وقادة الحركة الإسلامية، وكمية الجهل عمّا يدور في كل شيء، ليس في الدين فقط وإنّما في كل شيء من أمور الدنيا والسياسة أيضًا!.

فعندما تقرأ في الصفحات الاقتصادية تجد أنّ (نتنياهو) الملعون خبير اقتصادي، وتقرأ في الصفحات العسكرية فتجده جنرالًا عسكريًا، وتقرأ في الصفحات السياسية فتجد مصيبة؛ ومن الأشياء المهمة في الكتاب أنه شرح نظرية (هرتزل) وعمل ملخصًا لفكر الحركة الصهيونية الأولى، وتحدث عن (هرتزل) كمؤسّس حركة.

فأحيانًا يجب أن تتجرّد عندما تدرس تاريخ بعض الشخصيات الكافرة، وتبحث كيف أسَّست حركاتها وكيف قامت لتحقيق دول، مثل (ماو تسي تونغ) أو (جيفارا) أو (كاسترو). (كاسترو) هذا ظل يصارع النظام الكوبي ٧٠ سنة وهو حليف أمريكا، وكوبا تبعد عن أمريكا بالبحر ٦٥ كيلو، فأقام نظامًا شيوعيًا وخالف كلّ النظام العالمي.

فهناك أناس صامدة في مبادئها، فنأخذ دروسًا وحكمًا من صمودها بعد أن نأخذ دروسًا من الإيمان ودروسًا من القرآن ودروسًا من السنة، بعد كل هذا نستشهد على المسلمين بما يعمله الكفرة، فنقول لهم: "انظروا كيف فعل الكفّار وهم على باطل لا يعتقدون بجنة ولا نار".

فعندما تقرأ في حركة (هرتزل) تتعجّب من صمود هذا الملعون حتى يحقّق الدولة الصهيونية وأحلامه، وكثرة أسفاره وكثرة الأبواب التي طرقها وكثرة الأموال التي صرفها حتى يؤسس الحركة الصهيونية، حتى أنّ اليهود في المرحلة الأولى كانوا يتّهمونه بالجنون ويقولون: هذه الأفكار لا يمكن أن تتحقق..!

حتى كتب نتنياهو أن هرتزل زار أحد الشعراء في ألمانيا ليدعوه للحركة الصهيونية، فقال له: "يقولون عني مجنون"، فقال له وكان أحد أعمدة الصهيونية: "تستطيع أن تعتبرني يا مستر هرتزل المجنون الأول على يمينك".

فأصلًا لا تقوم الحركات إلا على أناس مجانين؛ يعني تكون أحلامه هي مثل الجنون بالنسبة للباقين. ونحن الآن في هذه المرحلة من الانحطاط بحاجة إلى مجموعة من الشباب تكون آمالهم على مستوى أحلام المجانين.

لأنّنا نريد أن نُرجع دولة الإسلام والمسلمين من هذا الحضيض، فبدون هذه العزيمة وهذه العقيدة وهذه الروح وهذه النفسيات لا يمكن أن ننهض بهذه الأمة.

لن ننهض بهذه الأمة إلا بأناس تذوب في قضاياها وتضحّي لها -على الأقل- مثل ذوبان هؤلاء الكفرة في قضاياهم وتضحياتهم لها، أما إذا أردت على الأكثر فمثل تضحيات الأنبياء وتضحيات الدعاة وتضحيات الجيل الأول.

وتأمّل كيف دخل المسلمون كابول هذه القلعة البعيدة بالخيل، الكمين الذي حصل لنا قبل فترة في (..)[٢٠٥] فقُتل فيه مجموعة من الإخوة؛ حصل مثله للمسلمين عند فتح بانشير، وهناك مقبرة للصحابة بقرب المكان الذي قُتل فيه الإخوة في الكمين.

فهذه الأراضي فُتحت شبرًا شبرًا حتى وصل إلينا هذا الدين، عندما تقرأ في الفتوح ترى كيف تعنّى المسلمون حتى يُوصلوا الدين لهذه الأماكن، فلا تقوم الدَّعوات إلا على مثل هؤلاء الناس.

هرتزل هذا الملعون من جملة أسفاره ذهب وطرق باب السلطان عبد الحميد لأجل أن يعطيه فلسطين، وهذا من آخر مآثر الدولة العثمانية، الدولة العثمانية كانت منهارة وعلى وشك السقوط في حوالي سنة ١٨٩٠م، وكانت ديون الدولة العثمانية بالمليارات، فعرض هرتزل على السلطان عبد الحميد أن يبيعه فلسطين مقابل سداد كل ديون الدولة العثمانية..

لذلك تستغرب عندما ترى بعض الناس لأجل بعض القوانين الجامدة يكفّرون السلطان عبدالحميد!، أنا لا أكفّر السلطان عبد الحميد وغير مقتنع بهذا الأمر لأنّه عبارة عن حكم شرعي معزول ومقطوع عن حيثياته الواقعية، فيقولون: "قوانين غير شرعية يعني كفر"، ولا ينظرون للواقع وأنها ليست مثل قوانين حسني مبارك.

---

[٢٠٥] الاسم غير واضح.

السلطان عبد الحميد جاءه هرتزل وقال له: "تعطينا فلسطين وأسدد كل الديون ونعطيكم بالليرة العثمانية الذهبية"، فقال له: "أنا أحتاج كل ما تقوله لكن لا يمكن أن أدنّس تاريخ آبائي وأجدادي فيقال أني بعت قطعة من دار الإسلام"، وطرده من إسطنبول، وسجل هرتزل نفسه أنه طرد من باب السلطان عبد الحميد.

وعندئذ أدرك اليهود أنه ليس هناك مجال لإقامة إسرائيل إلا بإسقاط الخلافة؛ فاتُّخذ القرار الصليبي اليهودي لإسقاط الدولة العثمانية، واتفق اليهود مع بريطانيا التي كانت فلسطين من حصتها بعد الحرب العالمية الأولى، حصلت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م وانتهت سنة ١٩١٨م، وقبل نهايتها تحديدًا سنة ١٩١٧ قام بلفور وزير المستعمرات البريطاني بإبرام وعد سمَّوه (وعد بلفور).

وكان وعد بلفور المشؤوم -كما يقول عنه القوميون- وعدًا بإعطاء فلسطين كوطن قومي لليهود، وفي هذه السنة صارت معاهدة (سايكس بيكو) قبل أن تنتهي الحرب العالمية؛ حيث جلس الفرنسيون والإنجليز وقسموا هذه الخطوط التي ترونها.

أحيانًا ترى بعض الدول حدودها معرّجة، بسبب نهر، أو سلسلة جبلية، أو قبيلة منتهية هنا أو بادئة هنا، هذا مقبول، ولكن انظر لحدودنا تجد أنّها خطوط مضحكة وكأنها مقسّمة بمسطرة، ليبيا، تونس، الجزائر، لبنان، البحرين. فوضعوا الحدود على الخريطة ثم وضعوا مخططًا لإنفاذ هذه الخريطة، لأنهم يعلمون أنهم يستطيعون هذا.

وصلنا الآن إلى سنة ١٩١٧م، وأصلًا الإنجليز تبنَّوا عبد العزيز آل سعود في سنة ١٨٩٩م، فبدأت جهود عبد العزيز في الجزيرة لصالح الإنجليز في سنة ١٩٠١م، يعني قبل عشرين سنة كانوا قد وضعوا عبد العزيز هنا، ووضعوا في الكويت مبارك الصباح -لا بارك الله فيه ولا في ذريته-، وكان يسمّى في التاريخ الصليبي (مبارك العظيم).

وهناك محاضرة للشيخ سلمان العودة اسمها: (صانعوا الخيام)، ذكر فيها صراحة أن المنصّرين دخلوا جزيرة العرب بجهود مبارك العظيم وعبد العزيز آل سعود، فمبارك العظيم هذا أدخل النصرانية وبنى أول كنائس للتنصير في الكويت، وكانت قد دخلت في دبي وغيرها.

وهناك كتاب درسته لكاتبة لبنانية نسيت اسمها، كتبته لصالح (جامعة بيروت) اسمه (قيام الكيانات السياسية في جزيرة العرب)، يعني يتحدَّث عن كيفية قيام الكيانات في هذه الدول. فمع أنه كان مزوَّرًا خبيثًا لكن ذكرت فيه قصصًا..

فذكرت قصّة عن جد السلطان قابوس البوسعيد سلطان عُمان، والسلطان قابوس هذا يتغدَّى ويتعشّى ويفطر بوجبة ساخنة تأتيه بها طائرة خاصة من لندن كل يوم!، المهمّ أنّ جدّه كان أمير عُمان ولكن يُسيّرُهُ البريطانيون كما يريدون، وهذا هو الواقع إلى الآن. فالشاهد زاره مرّة رئيس المستعمرات البريطانية، وكانت هناك جزر تتبع لعمان تراكم فيها

روث الطيور، ومعروف أن روث الطيور هو أفض أنواع الأسمدة، مئات السنين تترك فيها الطيور فضلاتها، فصارت هناك أمتار من سماد الطيور.

فقال له رئيس المستعمرات: "أن جلالة الملكة ترغب بإلحاق هذه الجزر بالتاج البريطاني مباشرة وليست تبعًا لكم"؛ فقام جنابه وأهدى لجلالة الملكة إليزابيث في جلسة واحدة خمسة جزر على سواحل الجزيرة.

فقام وزير المستعمرات وأهداه علبة (عطّوس)، والعطوس هذا نوع من البودرة يستخدمها الإنسان عندما يكون عنده نوبة من العطاس!. يعني أعطاه علبة (عطوس) بخمسة جزر، يعني كل عطسة مقابل جزيرة! فيعني تقرأ في التاريخ قصصًا مضحكة..!

وهذا لم يكن في بلاد العرب فقط، قام التاج البريطاني بإهداء منطقة طويلة عريضة في كينا لدولة أخرى، فقامت دولة بإهداء دولة لدولة أخرى!، قطعوا جزءًا من كينيا وأضافوه لدولة أخرى، فهم يمسكون بالمسطرة ويقسمون العالم كما يريدون.

وكذلك قسّموا بلاد الشام التي قال الرسول ﷺ عنها: (إنّ اللّهَ تَعَالَى بارَكَ مَا بَيْنَ العَرِيشِ والفُراتِ)[٢٠٦]، فبلاد الشام من الفرات للعريش، أي من نهر الفرات إلى العريش في صحراء مصر، سواء راق ذلك للإخوة المصريين أو لم يعجبهم فصحارى سيناء من بلاد الشام، العريش في آخر سيناء.

ولذلك سيدنا موسى –عليه السلام– عندما تسلم الألواح في طور سيناء فقد تسلّمها في بلاد الشام، فكل الرسالات نزلت في بلاد الشام بما فيها التي نزلت في صحراء سيناء؛ لأن صحراء سيناء من بلاد الشام.

وبلاد الشام كلها لا تعادل ثلث أفغانستان، أفغانستان ٦٥٠ ألف كيلومتر مربعًا، بينما سوريا مساحتها ١٨٥ ألفًا، الأردن فيما أذكر ٣٤ ألفًا، فلسطين ٢٧ ألفا، لبنان ١٠ آلاف كيلومتر مربعًا، ننجرهار مساحتها ٥٠ ألف كيلومتر مربعًا، أي ما يعادل خمسة أضعاف لبنان. –وإن شاء الله نُفْرِد فصلًا خاصًا ببلاد الشام وماضيها وحاضرها والجهاد فيها–.

الشاهد هم قسّموا بلاد المسلمين هكذا، فأخذت بريطانيا مصر وسيناء وفلسطين والأردن والعراق والسودان، وأخذت فرنسا سوريا ولبنان، وأخذت إيطاليا ليبيا، بينما أخذت فرنسا تونس والجزائر والمغرب، وأخذت إسبانيا جزءًا من المغرب (الريف مع الصحراء)، وأخذت فرنسا كذلك موريتانيا ومالي ومعظم دول قلب أفريقيا.

---

[٢٠٦] أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (٣٥٠٠)، والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف الجامع الصغير (١٥٧٦).

انجلت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م عن خسارة ألمانيا وحلفائها ومنهم الدولة العثمانية، فأعلنت الدول الأوروبيّة أنها قسّمت ممالك الدولة العثمانية بهذه الصورة، ثم اصطنعوا مصطفى كمال أتاتورك الذي أعلن أنه يريد إقامة (جمهورية تركيا) قبل إعلان إنهاء الخلافة.

فاصطنعوا له حروبًا كاملة وسجّلوا له فيها انتصاراتٍ عسكريةً على الجيش البريطاني والفرنسي في مناطق تركيا وبلاد الشام، وصنعوا منه بطلًا قوميًا تركيًا، وإلى الآن هو فرعون يُعبد في تركيا من دون الله، أينما ذهبت تجد له تمثالًا وصورة. وهناك كتاب اسمه (الرجل الصنم) يتحدَّث عن مصطفى كمال أتاتورك وقيامه.

المهم في الفترة (١٩١٨- ١٩١٩)م نزلت القوات الفرنسية في سواحل الشام، وفي عام ١٩٢٠م دخلوا دمشق، وفي عام ١٩٢١م دخل الجيش الإنجليزي فلسطين، ثم دخل شرق الأردن، ثم تتابعت المصائب ودخلت الجيوش الأوروبية بهذه الصورة.

أول شيء عمله الجنرال غورو- وإن شاء الله نشرحه في الحملات الصليبية- أنه ضرب قبر صلاح الدين بالسيف وكسر منه قطعة من الحجر وقال: "ها قد عدنا يا صلاح الدين"، معلنًا بهذا هويّة الحملة وأنها تابعة للحملة الصليبية الأولى وإن كان قد مضى عليها ٥٠٠ سنة.

ودخل الجنرال ألنبي وصعد جبل الزيتون في القدس ورفع علم بريطانيا وقال: "الآن انتهت الحروب الصليبية"، فكما قال الرسول ﷺ: (وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ أَصْحَابُ بَحْرٍ وَصَخْرٍ كُلَّمَا ذَهَبَ قَرْنٌ خَلَفَ قَرْنٌ مَكَانَهُ، هَيْهَاتَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ هُمْ أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ)[٢٠٧]، كما تلاحظ استمرت هذه الملاحم في فترة الأمويين والعباسيين والطوائف والسلاجقة والأتراك والعثمانيين.

الجيش الإنجليزي كان قد أخذ الهند والباكستان قبل ذلك بمائتين سنة، وحاول أن يدخل أفغانستان، ولكن قاتلهم الأفغان وأبادوهم في ممر خيبر، حيث بعثوا لهم رجلًا ذكيًا من وزراء الملك الأفغاني فقال لهم: "أنا أدلكم على طريق يُوصل لكابل حتى تفتحوا كابل ولكن تعطوني مالًا مقداره كذا وكذا"، وفعلًا أعطوه المال، هذا التاريخ حكاه لي رجل أفغاني -على ذمته- وهو أستاذ في التاريخ، فأدخلهم في ممر خيبر من جهة بيشاور، فعندما صاروا في نصف ممر خيبر خرج عليهم الجيش الأفغاني وأبادهم.

وطبعًا أفغانستان حدودها تنتهي عند قوس منتصف الطريق لإسلام آباد حيث نهاية (صوبه سرحد) وبداية (البنجاب)، هذه هي نهاية بلاد الأفغان ولكنّ الإنجليز اقتطعوا هذه السهول وأعطوها للباكستان، لذلك هناك مشاكل بين الباكستان والأفغان.

---

[٢٠٧] مصنف ابن أبي شيبة (١٩٣٤٢).

حتى تُحسن فهم السياسة الباكستانية في أفغانستان يجب أن تعرف كل هذه الخطط، لا أن نتكلم على طريقة بعض الإخوة: "باكستان عميلة أمريكا، والباكستان تساعد الطالبان، إذًا الطالبان عميلة لأمريكا"!!.

والآن القوات الباكستانية تحتل أراضٍ أفغانية حول خوست وتقترب من معسكر خلدن القديم، فهم يتوسّعون في الأراضي كل يومين داخل أفغانستان.

الشاهد في الموضوع أن هذا الرجل أدخل جيش الإنجليز المكون من ٢٦ ألف جندي وفي رواية ٣٦ ألف جندي في ممر خيبر، فنزل عليهم الجيش الأفغاني فذبحوهم عن آخرهم، وأخذوا عشرة آلاف أسير ثم ذبحوهم أيضًا ولم يتركوا إلّا كولونيل واحدًا فقط حيًا من ٣٦ ألف جندي، وقطعوا له أذنيه وقالوا له: "تركناك حيًا حتى تحكي للملكة إليزابيث ماذا صار للجيش الإنجليزي"، وتركوه يذهب.

وهذا الرجل البطل الذي عمل هذه العملية هو وزير أكبر خان، الذي نسكن في حارته الآن، هو الذي أدخل الإنجليز هذه الدخلة السوداء وذبحهم.

فوقف التمدّد الإنجليزي عند أفغانستان فلم يدخلوها، وكان الروس قد جاؤوا من جهة الشمال، لاحظ أنّ العالم الإسلامي كله ابتلع من الشمال ومن الجنوب ومن الشرق ومن الغرب، وبقيت أفغانستان فقط تحارب الاحتلال.

فأفغانستان لم تُبتلع في هذه الحملات، إيران وقعت في يد مع الإنجليز، والصين كلها وقعت تحت نفوذ البريطانيين وإن كانت لم تحتل مباشرة وإنّما السفير الإنجليزي الحاكم بأمر الله في الصين، وقاموا بحرب الأفيون حيث أدخلوا الحشيش والمخدرات في كل الصين حتى يفتوا في عضد الصينيين بحيث لا يُقاموا النفوذ البريطاني في الصين، فجعلوا الشعب (محشَّشًا)، فمليار (حشّاش) لا يستطيعون أن يقاوموا الاحتلال.

فالآن هم يدّعون أنّهم يريدون مكافحة المخدرات وهم (حشّشوا) أممًا بأكملها!، والآن هم المسيطرون على توزيع المخدرات في كل أنحاء العالم.

فالشاهد في الموضوع أن أفغانستان بقيت بقعة لم تدخل في نظام العالم القديم، والآن لم تدخل في نظام العالمي الجديد، فهذه حِكم لله -سبحانه وتعالى-، فلم تصبح أفغانستان أول دار للإسلام بعد مائة سنة من سقوط الخلافة عبثًا، لم يكن هذا (ببلاش).

يعني لماذا لم تقم في الجزيرة؟ لماذا لم تقم في حلب؟ لماذا لم تقم في تونس؟ لماذا لم تقم في البحرين؟ لماذا لم تقم دار الإسلام هناك؟ قامت دار الإسلام هنا؛ لأنها دولة تحارب وتجاهد منذ أربعمائة سنة.

الشاهد في الموضوع، أنّهم قسّموا العالم الإسلامي بهذه الصورة، ثم قالوا في النهاية: "دعونا نتخلَّص من هذه القصة مرة واحدة"، فأُعلن إلغاء الخلافة العثمانية رسميًا سنة ١٩٢٤م، وكانت سقطت واقعيًا قبل أكثر من خمسين سنة.

فالإنجليز أخذوا الأردن وفلسطين، فصنعوا مملكة الشريف حسين، ثم جاء بعده ابنه عبد الله، ثم جاء طلال ابن عبد الله، ثم جاء حسين ابن طلال، ثم جاء ابن حسين هذا عبد الله (المفعوص الأخير) زوج رانيا، فالآن رانيا وزوجها أخذوا الأردن، لأن الأردن صنعها الإنجليز بهذه الصورة، وأخذوا فلسطين ثم بدأت الهجرات الفلسطينية.

دعونا نقف عند العثمانيين، فالعثمانيون بدأوا ١٤٥٢م وانتهوا ١٩٢٤م. وكان المسلمون قد دخلوا في صراع مع النظام الدولي منذ معركة مؤتة وتتابع ذلك إلى ١٩٢٤م. وكان الصراع الدولي في هذه المراحل: (أمة الإسلام ضد أمة الصليب). وكذلك استمرّ الأمر في عصر الأمويين والعباسيين والطوائف والعثمانيين: (أمة الإسلام ضد أمة الصليب).

ثم عندما خرج العثمانيون من مسرح الحركة الدولية، أصبح النظام الدولي: (أهل الصليب ضد أهل الصليب)، فلم يعد للمسلمين وجود أصلًا لا في الحرب ولا في غيرها. أصبحت القضايا مقاومة داخلية لأهل الصليب، ولكن لم يعد هناك كيان سياسي يمثل الإسلام، وأصبح الإسلام دينًا ومذاهب وعلماء وشعوبًا، -وهذا سنتحدث عنه عند كلامنا عن الحملات الصليبية إن شاء الله-. هذه خلاصة مرحلة العثمانيين.

النظام الدولي في فترة ما بين الحربين (١٩١٨-١٩٤٥)م:

فالآن تحدثا عن التاريخ منذ هابيل وقابيل حتى وصلنا إلى سنة ١٩٢٤م، ودعونا الآن نتابع الحديث عن النظام الدولي ثم نرجع للحملات الصليبية.

وانتبهوا الآن جيدًا لأنّنا لا يمكن أن نفهم (النظام العالمي الجديد) إلا إذا فهمنا (النظام العالمي الحديث) الذي كان قبله، والنظام العالمي الحديث قام بعد الحرب العالمية الأولى، بدأت **الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م** وانتهت في عام ١٩١٨م، وأسفرت الحرب العالمية الأولى عن ظهور قوى دولية جديدة.

هذه القوى الدولية الاستعمارية العظمى في النظام الدولي في ذلك الزمان هي: بريطانيا، فرنسا، روسيا، وأمريكا، ولم تكن أمريكا دولة استعمارية لكن كانت قوة صليبية تنشأ، هاجر إليها البروتستانت.

وهاجر اليهود وبدأوا يدخلون في الدولة الأمريكية حتى يكونوا جزءًا أساسيًا، وهناك وثيقة تاريخية محفوظة في الكونجرس الأمريكي للجنرال (روزفلت) يحذّر فيها الشعب الأمريكي من اليهود ويقول: "هذا الجنس اللعين الذي حلَّ في أمريكا

وكان قد خرّب أوروبا من قبل، إذا لم نتنبه ونخرجه خلال خمسين سنة، فسنجد أبناءنا عبيدًا يعملون عند رؤوس أموالهم".

وهذا الكلام كان قبل الحرب العالمية الثانية، والآن بالفعل الشعب الأمريكي كله يئن تحت وطأة الديون لليهود في أمريكا، فدخلوا في أمريكا وأصبحوا الآن هم أصل الحضارة، فالآن مستشار الأمن القومي يهودي، ووزير الدفاع يهودي، ووزيرة الخارجية يهودية، والتخطيط لهذا بدأ من تلك الفترة.

فالقوة الاستعمارية الرئيسية كانت (فرنسا، إنجلترا، روسيا) ثم الدول الاستعمارية الأخرى الملحقة؛ إيطاليا، هولندا، إسبانيا. وبقي التنافس بين الدول الاستعمارية على كل العالم، **وكان الهدف من الاستعمار شيئان: نهب الثروات وبيع المنتوجات.**

وافهموا هذه النقطة جيدا؛ **لأنه لا يمكن أن نخرب بيوتهم إلا إذا عرفنا كيف يخربون بيوتنا،** هم يريدون نهب ثرواتنا ثم تصنيعها ثم إعادتها كمنتوجات وبيعها لنا، فالاستعمار كله قائم على نهب الثروات وبيع المنتوجات، **ولا يمكن خراب بيت الاستعمار الحديث إلا بقطع دابر (نهب الثروات) أو قطع دابر (بيع المنتوجات) أو الاثنين معًا، وعند ذلك ينهار النظام الغربي،** لأنه نظام ليس عنده موارد أصلًا، بل هو نظام رأسمالي قائم على المال.

تفاعلت الصراعات الأوروبية مرة أخرى خلال عشرين سنة في الفترة (١٩١٨-١٩٣٩)م، ثم انفجرت في الحرب **العالمية الثانية ١٩٣٩م،** واستمرت حتى انتهت في سن ١٩٤٥م.

هذه العشرون عامًا يسمونها (**فترة ما بين الحربين**)، وهي قمة الاستعمار، بعد الحرب العالمية الأولى في فترة ما بين الحربين أخذوا كل الدنيا، وبدأت الشعوب تحارب الاستعمار، فقامت حركات تحرُّر -كما تسمّى- في فيتنام وفي كوريا وفي أفريقيا وفي العالم العربي، ونشأت ثورات كثيرة ضد هؤلاء المستعمرين، إما دينية أو قومية وطنية على أساس التحرر.

النظام العالمي الحديث [نظام القطبين] (١٩٤٥-١٩٩٠):

جاءت الحرب العالمية الثانية فكان أوّل إنجاز عظيم لأمريكا هذه الحضارة المتوحّشة حيث ضربوا القنابل الذرية على اليابانيين، واخترعوا نظام دكّ المدن وضرب المدنيين، والآن يقولون لنا: "لا تضربوا المدنيين".

والحقيقة أن أوّل من اخترع نظام ذبح المدنيين في الحروب هم الأوروبيون في الحرب العالمية الأولى والثانية!؛ كانت الطائرات تخرج من ألمانيا لتدكّ لندن كما رأيتم في الأفلام، وتخرج من لندن لتدك برلين، فخرّبوا ديارهم وكانت حصيلة

الحرب العالمية الثانية ٤٢ مليون قتيل، وكان ختامها مسكًا أن ضربوا قنبلتين ذريتين على اليابان، فأظهرت الحضارة الغربية وجهها الذي يستحي منه جنكيز خان، وبالنسبة لما فعلته الحضارة الغربية لم يفعل جنكيز خان والتتار شيئًا!.

في سنة ١٩٤٥م قام (النظام العالمي الجديد)، هكذا أسموه في ذلك الوقت، وقامت (عصبة الأمم المتحدة) ثمّ تحوّلت إلى (هيئة الأمم المتحدة)، ويجب أن تقرأوا في الكتب السياسية والمعلومات التاريخية، وبرز لأول مرة نواة لحكومة اليهود العالمية التي تحكم العالم من مبنى الأمم المتحدة في أمريكا، بحيث يكون الاستعمار عبر واجهة دولية.

وصُنع (مجلس الأمن)، وصُنعت (الجمعية العامة) لهيئة الأمم المتحدة، وفُرض مبدأ (الاستكبار العالمي) وقامت دولة الشيطان، وصار هناك خمس دول دائمة العضوية في (مجلس الأمن) تحكم العالم بحق (الفيتو)، وهي الدول الكبيرة: فرنسا، بريطانيا، روسيا، أمريكا، الصين.

ولكن كيف قام هذا النظام الدولي الجديد؟

النظام الذي قبله كان يقوم على فرنسا وبريطانيا والدول الاستعمارية الأوروبية، ثم عندما دمّرت أوروبا نفسها في الحرب العالمية؛ حيث دمّرت البنية التحتية للصناعة والمدن والبشر، وقُتل ٤٢ مليون إنسان، وكان عدد سكان أوروبا ٢٠٠ مليون يعني ذهب ربع القارة في الحرب وكان أغلبهم من الرجال، فتدمير أوروبا لبعضها أبرز النظام الدولي الجديد القائم على روسيا وأمريكا.

روسيا وأمريكا دخلوا في الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا، فأخذت روسيا نصف ألمانيا وصارت أوروبا الشرقية تابعة لروسيا وأوروبا الغربية تابعة لأمريكا، فقام النظام العالمي الحديث (١٩٤٥-١٩٩٠)م.

ومن المهم جدًا فهم السياسة والتاريخ على التفصيل في هذه الخمس والأربعين سنة، نحن كنا نتكلم عن التاريخ منذ قابيل وهابيل بالعشر آلاف سنة، أمّا هنا فيجب أن ندرس الأحداث بالشهر والسنة.

قامت أمريكا وقامت روسيا وضعفت أوروبا فصارت أوروبا الغربية ذيلًا لأمريكا وأوروبا الشرقية ذيلًا لروسيا، وقام حلف وارسو وحلف الناتو. وحاولت أوروبا أن تجمع نفسها بطريقة من الطرق لتظهر كقوة دولية فأسّسوا السوق الأوربيّة المتّحدة وبدأوا في إحياء فكرة (توحيد أوروبا) و(أوروبا الموحَّدة)، وطُرحت فكرة إعادة الدولة الرومانية مرة أخرى.

وبالطبع هم أناس عقلاء وليسوا مثلنا!؛ نحن إذا أرادت دولتان منّا أن تتوحدا يجتمع الملك حسين وحافظ الأسد كما حصل في سنة ١٩٧٦م، ثم في اليوم الثاني يخرج المهرجون والممثلين والراقصات في التلفاز ليصيحوا: "شعب واحد لا

شعبان، وطن واحد لا وطنان"، وكلما فتحت إذاعة عمان أو إذاعة الشام تجد: "شعب واحد لا شعبان وطن واحد لا وطنان"، ثم بعد شهرين يختلف الملك حسين مع حافظ الأسد، فتبدأ تسمع السب والشتم في الإذاعات..!

خمسون وحدة عربية قامت في هذه المرحلة بينما الوحدة الأوروبية يمضون فيها خطوة خطوة؛ توحيد العملة، فك الحدود، توحيد الجيوش.. إلخ، أمّا نحن فعندنا دول (مجلس التعاون الخليجي)، ودول (اتحاد شمال أفريقيا) الخمسة، وقامت محاولة للوحدة بين سوريا ومصر وفشلت، وبين ليبيا والسودان ومصر وحدة أخرى، حاولوا وحدات كثيرة، بينما الأوروبيون يمشون بعقل لإعادة الدولة الرومانية.

في هذه الفترة قام قطب دولي آخر وفرض نفسه على الساحة وهو الصين، وأصبح معيار الدول العظمى امتلاك السلاح النووي.

عندما دُمّرت ألمانيا في الحرب العالمية الثانية كان العلماء الألمان قد اخترعوا القنبلة الذرية، ولكن من حماقة هتلر وخطأ بعض العلماء ظنّوا أنهم إذا ضربوا القنبلة الذرية سوف ينتشر الحريق في كل الأرض عبر الغازات والإشعاعات وغيرها، فأحجموا عن استخدام القنبلة الذرية في الحرب العالمية.

فعندما تدمَّرت ألمانيا تخاطفت الدول العظمى العلماء الألمان بسرعة وأنشأت قوى نووية، فأصبح علماء الألمان هم مولِّدُو القنبلة الذرية الفرنسية والإنجليزية والأمريكية والروسية، فأصبح عندهم قنابل ذرية، وتجرأت أمريكا على استخدامها ضد اليابان.

فأسرعت الصين وأنتجت قنبلة ذرية، وقالت لهم نحن أيضًا نمتلك قنبلة ذرية، و٦ ملايين جندي في البحريّة منهم مليونيّ جندي على الماء، فيجب أن ندخل الأمم المتحدة ونصبح عضوًا دائمًا أو ندمّر العالم، فصارت عضوًا دائمًا وأصبحت دول (الفيتو) خمسة دول، وقام النظام على أن يصمت الضعيف بينما يمتلك القوي حقّ (الفيتو).

هكذا قام النظام العالمي الحديث -قبل الأخير- على نظام القطبين، ونتيجة هذين القطبين ورثت أمريكا وروسيا مستعمرات أوروبا، ولكن كانت حصّة أمريكا أكبر؛ لأن فرنسا وبريطانيا وأوروبا الغربية في حلف الناتو، وكانت بريطانيا قد جهزت كعكة محترمة ومرتبة وعليها شموع، وهي آل سعود وآل قابوس وآل سعيد وهذه الآلات، رتّبوها لأجل النفط فجاءت أمريكا ودفعتها من على الطاولة وأخذت كل الكعكة وصارت من الميراث الأمريكي.

وأصبح كل هؤلاء تابعون لأمريكا بدل تبعيتهم لبريطانيا، ولأجل الذَّوق تركت أمريكا بعض النفوذ لفرنسا وبعض النفوذ لبريطانيا في بعض المناطق غير المهمة كثيرًا، مثل (جزيرة الفوكلاند) التي تقاتلوا عليها مع الأرجنتين، وهذه الجزيرة في عرض البحر، فقال البريطانيون: "هي بريطانية" وقال الأرجنتينيون: "هي بجوارنا"، فقامت حرب، فترك الأمريكان بعض الفتات للفرنسيين والإنجليز، والروس تمدَّدوا بهذه الصورة إلى أوروبا الشرقية.

ونشأ مبدأ مهم جدًا في مرحلة النظام الدولي الحديث وهو ما يسمى (**الحرب بالوكالة**)، يعني أمريكا وروسيا تريدان أن تتحاربا، ولكن لا يريدان أن يُحدثا خلافًا عالميًا بسبب (الرّدع النووي)؛ فإذا احتدمت الأمور قليلًا ستقصف كل منهما الأخرى بالصورايخ النووية العابرة للقارات وسيدمّرون بعضهم، فنشأت نظرية الردع النووي؛ أن الحرب يجب أن لا تصل لمستوى الاشتباك بين الدولتين والجيشين والقنابل النووية العابرة للقارات وهذه البلاوي..

فقالوا نتحارب عبر العملاء فنشأ مبدأ (الحرب بالوكالة)، فكوريا الشمالية تابعة لروسيا وكوريا الجنوبية تابعة لأمريكا، فيتحارب الكوريون لحساب الدول العظمى، وكذلك فيتنام الشمالية وفيتنام سايغون يتحاربون لحساب روسيا وأمريكا، عبدالناصر يحارب لحساب روسيا في اليمن، وأمريكا يتحارب عنها الملك فيصل في اليمن، فيتحارب المصريون والسعوديون في اليمن، وكذلك أثيوبيا والصومال، فهي حرب بالوكالة..

أنشأت روسيا نظام الأحزاب الشيوعية في المستعمرات لتطالب بالاستقلال وتحارب النظام الغربي والأمريكي، فتقوم وتعطي السلاح والمال والمستشارين للثوار في أنجولا وموزمبيق وسيراليون وهذه الدول التي سمعتم بثوراتها، وإلى الآن هناك ثورات، فتَحَارب حلف (الناتو) مع (حلف وارسو) في دول العالم الثالث؛ في أمريكا اللاتينية وأفريقيا لصالح مصالح القطبين.

من سوء حظ الروس أن آخر حرب بالوكالة كانت في أفغانستان، فدعم الروس الحزب الشيوعي ودعمت أمريكا الأفغان والجهاد الأفغاني والحركة الإسلامية، وهذه التفاصيل تحتاج إلى أن تُحكى ببطء، أقصد قضية أفغانستان والصراع الدولي في أفغانستان؛ لأن الحركة الإسلامية كلها دخلت في جانب أمريكا في الحرب من حيث المفهوم السياسي، وهذا لم يكن حرامًا بل كان أمرًا واقعًا، وكان هناك دفع صائل، فإن الصائل يُدفع بما تيسّر ولا يشترط له شرط .

الخطأ كان -كما سأشرح- **في طريقة إدارة الحرب؛** حيث كان العمل مطلقًا لصالح الأمريكان، في حين عندما أردنا نحن أن نعمل لصالحنا قتلوا من قتلوا وضربوا من ضربوا، ونشرح لكم التفاصيل فيما بعد، فنظام الحرب بالوكالة انتهى وأُعدم في أفغانستان.

حروب العالم كلها ربحتها روسيا ضد الناتو بالنقاط؛ فربحوا حرب كوريا، وربحوا حرب الفيتنام، وربحوا الحروب في أفريقيا؛ فقد تحرَّرت كل الدول ودخلت في منظومة (وارسو)، وربحوا الحرب في كوبا، وربحوا الحرب في الصومال، وربحوا الحرب في أثيوبيا، وربحوا الحرب في اليمن الجنوبي، ربح الروس كل هذه المعارك وأصبح العالم الثالث برمته تابعًا لروسيا.

وفي سنة ١٩٥٥م أُنشئت (منظمة دول عدم الانحياز) في مؤتمر باندونج في أندونيسيا، واشترك فيه (نهرو) من الهند و(تيتو) من يوغسلافيا، وعبدالناصر من مصر، فأوجدوا منظومة دول عدم الانحياز، يعني لا لروسيا ولا أمريكا، لكن عمليًا اخترعوا مبدأ (الانحياز الإيجابي)، أي لصالح روسيا.

فكل الحروب بعد حرب ١٩٤٥م ربحت فيها روسيا بالنقاط، وتفوَّقت في غزو الفضاء، وتفوَّقت في البحرية، وتفوَّقت في القوة البرية، ولم يتفوَّق عليهم حلف الناتو إلّا في الطيران ومنظومة الصواريخ، فكان الانتصار عمليًا لصالح الروس بكل معنى الكلمة، ولكن كانت كلها انتصارات بالنقاط.

أما في أفغانستان فحُسمت الحرب لصالح الأمريكان، أولئك ربحوا كل المعارك هؤلاء ربحوا معركة واحدة ولكن بالضربة القاضية، لأن الملاكم هنا كان (المسلمين)، فأتوا بالمسلمين ليضربوا الروس فسقطت روسيا في أفغانستان بالضربة القاضية..

وبعد ذلك على نظام (المافيا) حيث يُرسلون القاتل ليقتل رجلًا ثم يقفون وراءه حتى يقتلوا القاتل، على هذا ربحت أمريكا المعركة وانتهت القضية؛ فهم أرسلوا الأفغان والعرب فقتلوا روسيا، ثم وقفوا وراءهم فقتلوهم، وظلت أمريكا رابحة. وهذا ما حدث.

خلاصة حرب أفغانستان: انهزم الروس مات المسلمون وانتصر الصليب، ولكن الله–سبحانه وتعالى– هو وحده من عدّل المعادلة فأخرج دولة إسلامية لم تكن في حسابات أمريكا، كان المخطّط له أن يقضي المسلمون على الروس ثم تقضي أمريكا عليهم، وتقوم دولة علمانية، وهذا سنشرحه في قضية أفغانستان، –فدعونا نقف هنا عند عام ١٩٩٠م، ونكمل غدًا ما بعد ١٩٩٠م–..

في ١٩٩٠م انتصر الأمريكان على الروس بالضربة القاضية في أفغانستان وسحقوا الجيش الأحمر، وتبعًا له هُزمت المؤسسة السياسية لروسيا فسقطت هيبة الجيش الأحمر، فقامت أوروبا الشرقية وقالت: "إذا قهر بعض الحفاة العراة المتسولون الجيش الأحمر في أفغانستان، فلماذا نظلّ نحن تحتهم في تشيكوسلافيا ورومانيا وبولندا وغيره؟!".

فقاموا وتركوا روسيا وتفكّك حلف وارسو، واستقلَّت دول أوروبا الشرقية وأصبحت تنادي بالانتماء إلى حلف الناتو، وتوحَّدت ألمانيا وسقط جدار برلين، فحصلت تحولات دولية أعظم بكثير من سقوط القسطنطينية..

فسقط حلف وارسو، **وبقيت أمريكا لوحدها على النظام الدولي، وهذا حدث لأول مرة في تاريخ البشرية المعروف،** طيلة عمر البشرية كان هناك: فرس ويونان، فرس وروم، روم ومسلمون، عثمانيون ودول أوروبية، دول أوروبية قويّة تتنازع فيما بينها..

الآن لما طحن الأمريكان كل الناس خرج فيلسوفهم يقول: "هذه نهاية التاريخ، الآن سيطر الصليب وسيطرت الديموقراطية وسيطرت الرأسمالية، ولم يعد لنا خصوم".

ثم انتبهوا أن هناك خصومًا فاخترعوا نظام (صراع الحضارات)، وقالوا أن خصومهم هو العالم الإسلامي، وسُئل رئيس حلف شمال الأطلسي: "لماذا لا تحلون حلف شمال الأطلسي وقد حُلَّ حلف وارسو؟"، فصرّح رئيس حلف شمال الأطلسي وقال:

"لم تنتهِ المعركة، الآن لدينا الأصوليّة الإسلاميّة التي حلّت مكان روسيا والقوى العظمى، والصين لا تشكل خطرًا في الوقت الحالي، الخطر الحالي هو تحرك الأصوليون وقيام العالم الإسلامي؛ ممّا يقتضي وجود حلف شمال الأطلسي وتشكيل جيوش أخرى"..

فتشكل الآن الجيش الأوروبي الموحَّد، والبوليس الأوروبي الموحَّد، ونظام مكافحة الإرهاب الدولي، وسنتحدث –غدًا إن شاء الله– عن قيام نظام العالم الجديد، الذي يرعاه كلينتون، حيث حلَّ محلَّ قابيل ونظر إلى كل الحضارات وقال: "لأقتلنكم"؛ يجب أن لا يبقى إلا حضارة واحدة في هذا العصر.

فهذه كانت خلاصة مسار التاريخ من قابيل إلى كلينتون، ثم نتكلم غدًا عن النظام العالمي الجديد، ونأخذ من كل التاريخ ثلاث محطات، وهي الحملات الصليبية الثلاثة، الأولى بإيجاز، والثانية بإيجاز، والثالثة بالتفصيل إن شاء الله.

وجزاكم الله خيرًا..

***

وقفة ومراجعة للفصل الثالث:

نتابع في الفصل الثالث الذي وضعناه تحت عنوان (**مسار الصراع من قابيل إلى كلينتون**)، فنحن تحدثنا عن النظام الدولي أو بالأحرى عن (جذور وقيام النظام الدولي) وصولًا إلى (النظام الدولي الجديد) في سنة ١٩٩٠م.

وكانت فلسفة الصراع بين الحق والباطل على طول هذا المسار من قابيل إلى كلينتون: {لَأَقْتُلَنَّكَ}[٢٠٨]، ثم صار مسار الصراع مع الأنبياء: {لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا}[٢٠٩]، ثم عبّر عنها القرآن: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ}[٢١٠].

والآن عندما انفرد كلينتون بالعالم ودمّر النظام القديم وصار النظام العالمي الجديد رجع النظام الدولي إلى شعار قابيل الأوّل {لَأَقْتُلَنَّكَ}، ولم يعودوا يريدون {لِيُثْبِتُوكَ} ولا {يُخْرِجُوكَ}.

---

[٢٠٨] سورة المائدة، الآية: ٢٧.

[٢٠٩] سورة إبراهيم، الآية: ١٣.

[٢١٠] سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

ثم بعد سقوط جدار برلين وتوحّد النظام العالمي تحت قيادة أمريكا جاؤوا بفلسفة (نهاية التاريخ)؛ أي لم يعد هناك منافس ليتصارعوا معه، والتاريخ عادةً هو تاريخ المنافسات وصراع الأقطاب المتعددة، فعندما لم يعد هناك أقطاب فلم يعد هناك تاريخ، فهذه نهاية العالم.

ثم انتبهوا الآن أن هذا ليس نهاية التاريخ بل هناك صراع مع الحضارة الإسلامية فخرجت نظريّة (صراع الحضارات)، وهي آخر فلسفات الغرب؛ وفلسفة (صراع الحضارات) تعني أن الأرض لا تتّسع لفلسفتين ولا تتّسع لدينين ولا تتّسع لمبدأين، وهذا صحيح وجاء الإسلام به. فنحن من طرفنا نرى أن الارض لا تتسع لحق وباطل ويجب أن يزيل أحدهما الآخر.

فخرجت النظرية الأمريكية (صراع الحضارات)، وخرج كلينتون بـ (مكافحة الإرهاب)، وآخر ما خرج به ضرورة إلغاء (الملاذات الآمنة للإرهاب)، فرجع شعار كلينتون: {لَأَقْتُلَنَّكَ}.

فنحن رصدنا مسار الصراع عبر التاريخ، ونذكّر بعناوين ما مرّ معنا:

- نشوء الحضارات القديمة؛ كما في الصين والهند والفرس القدماء والفراعنة.. إلخ.
- نشوء الحضارات المعروفة بعد الكتابة، وكان النظام الدولي آنذاك: يونان ضد الفرس، ثم روم ضد المسلمين.
- وفي ذلك الوقت بينما كان الروم يتصارعون مع الفرس حصلت البعثة الشريفة سنة ٦١٠م، وبعد ذلك أصبح النظام الدولي: إسلام ضد الروم، لأن الإسلام قضى على الفرس وأصبح الفرس ضمن حضارة الإسلام كما بشّر الرسول ﷺ.
- وهذه المرحلة؛ مرحلة الإسلام ضدّ الروم شملت: المرحلة النبوية، ثم مرحلة الخلفاء الراشدين، ثم المرحلة الأمويّة، ثم المرحلة العباسيّة، ثم مرحلة الطوائف من سلاجقة وزنكيين وأيوبيين ومماليك، وتحدثنا عن هذه المراحل، ثم مرحلة العثمانيين حيث: العثمانيون ضد دول أوروبا.
- ثم أزالت الحضارة الغربية الخلافة العثمانية، فأصبح الصراع في النظام الحديث: أوروبا ضد أوروبا، يعني روم ضد روم، وزال المسلمون من المسرح الدولي.
- صراع الدول الأوروبية ضد بعضها ولّد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)م، ثم ولّدت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)م.

- وهذا التاريخ منذ فترة العثمانيين يسمّى **التاريخ الحديث**، منذ سقوط القسطنطينية ١٤٥٢م وسقوط غرناطة واكتشاف أمريكا ١٤٩٢م.

- استمر التاريخ الحديث حتى سقوط الخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، ويشمل مرحلة ما بين الحربين (١٩١٨-١٩٣٩)م، وهذه المرحلة كانت أوروبا تتصارع ضد أوروبا، وكان تسلسل الدول العظمى في ذلك الوقت: إنجلترا وفرنسا وروسيا، ثم باقي الدول الاستعمارية مثل: إسبانيا والبرتغال وهولندا وبلجيكا.. إلخ.

وكانت روسيا القيصرية ضمن الدول الاستعمارية الأوربية وتمثل الجناح الشرقي من الروم، حيث يمثلون امتداد الحضارة البيزنطيّة الذين أخذوا منها المذهب الأورثوذوكسي من الديانة النصرانية، بينما غرب أوروبا أخذ بالمذهب الكاثوليكي، بينما ولد المذهب البروتستانتي في ألمانيا، وعاش وترعرع ووُجدت كنيسته الأساسيّة في إنجلترا وأمريكا.

وقلنا أن المذهب البروتستانتي قام على دخول اليهود في النصرانية، فهو دين يهودي نصراني، وبذلك نفسّر العداء الشديد للمسلمين، واعتماد اليهود على بريطانيا وأمريكا، بسبب أن الدين البروتستانتي نصفه من اليهوديّة، ومن معتقدات الدين البروتستانتي أنه يجب أن يقاتل اليهود المسلمين، وتأول لهم فلسطين حتى ينزل المسيح عيسى ابن مريم..

*[٢١١] فكانت هذه هي القوى العظمى المُتحكِّمة في النظام الدولي، الصين قوة دولية كاملة، اليابان قوة دولية كاملة تنشأ، فجاءت الحرب العالمية الثانية فغيَّرت النظام الدولي؛ فنشأ ما سُمِّيَ حينه بـ(النظام العالمي الجديد)، ولكن الآن تمييزًا له عن (النظام العالمي الجديد) الحالي سنسميه (النظام العالمي الحديث)، فهي تسمية من عندنا حتى نميّزه عن النظام العالمي الجديد.

فتكوّن النظام العالمي الحديث بعد الحرب العالمية الثانية؛ حيث دُمِّرت فرنسا ودُمِّرت إسبانيا ودُمِّرت البرتغال ودُمِّرت إنجلترا كقوى دولية، وظهر على ساحة الأحداث روسيا وأمريكا.

روسيا كانت روسيا القيصرية قديمًا حتى سنة ١٩١٧م حيث ظهرت روسيا الشيوعية يعني (الاتحاد السوفييتي)، فظهر بعد الحرب كقوة عالمية رقم واحد، وظهرت أمريكا كقوة عالمية رقم اثنين، وتحوَّل العالم من نظام متعدِّد الأقطاب إلى نظام القطبين، لأن سابقًا كان هناك بريطانيا وفرنسا وروسيا والصين ودول كثيرة، فتحوَّل العالم إلى نظام القطبين فأصبحت عندنا أمريكا و روسيا فقط منذ عام ١٩٤٥م.

---

[٢١١] بداية تفريغ الملف السادس عشر.

ونلاحظ في هذه الحضارات ميّزات أساسية مهمة؛ فهي الحضارة التي جزَّأتنا واحتلتنا وعانينا معها في الخمسين سنة الماضية (١٩٤٥-١٩٩٠م)، خلال هذه الخمسين سنة الماضية تعايشنا مع هذه الحضارات؛ الروسية والأمريكية..

الملاحَظ أنّ روسيا أسَّست (حلف وارسو)، وأمريكا أسّست حلف (الناتو)، فتكوّن حلف الناتو من أمريكا وأذيالها في أوروبا الغربية، يعني تحوَّلت بريطانيا إلى ذيل أساسي لأمريكا، وتحولت فرنسا إلى ذيل، ومع ذلك ضمن هذا النظام كانت دائمًا أوروبا تحاول أن تلمّ نفسها وتكون قوة دولية متميزة، ولكن عجزت وبقيت تابعة لنظام القطبين.

أهم ما يُلاحَظ في نظام القطبين أن اليهود ملكوا فيه العالم منذ الحرب العالمية الثانية، فأجبروا الألمان على دفع ضرائب باهظة عن المجازر التي تعرّض لها اليهود، وهي قصص مفتعلة زيدت كثيرًا عن أصل الموضوع.

وفي الأسبوع الماضي سمعت أن اليهود طالبوا الشركات الألمانية التي كانت تستخدم اليهود في السُّخرة أيام المجازر وفي مرحلة الحرب؛ طلبوا منهم تعويضات عن حقوق العمال وأولادهم وأولاد أولادهم، فطالبوهم بستين مليار دولار، أي ستين ألف مليون دولار.

فالشركات الألمانية الآن راضخة، وقالت لهم: ندفع على شرط واحد فقط وهو أن تحدّدوا لنا أين تنتهي هذه التعويضات؟ أي إلى أي حد سندفع؟ يعني إذا قلتم لنا مائة مليار سندفع مائة مليار وخلاص.

وذكر أن مجموع ما دُفع لليهود من التعويضات حتى الآن (١٩٤٥م -١٩٩٩م) بلغ سبعين مليار، فألمانيا لوحدها دفعت لإسرائيل حتى سنة ١٩٩٠م سبعين مليار دولار وما زالوا يطالبونهم بستين مليار دولار، فقالوا لهم: ندفع ولكن فقط حدّدوا لنا الرقم وحدّدوا لنا نهاية المبلغ ونحن سندفع!. فهذه أحد مظاهر سيطرة اليهود.

الحرب العالمية الثانية أفرزت نظامًا دوليًا، وصار مؤتمر اجتمع فيه المنتصرين بالحرب تشرشل وروزفلت وستالين وديغول، اجتمع هؤلاء الناس وأرسوا دعائم النظام الدولي في (عصبة الأمم المتحدة)، وإن شاء الله في الكتاب سنرجع للمراجع ونؤرّخ لها بصورة جيّدة.

و(عصبة الأمم المتحدة) أفرزت (هيئة الأمم المتحدة) على أساس أن تشكل نواة حكومة عالمية تفرض السلام وتفرض التعاون الحقيقي بين الشعوب، وتفرَّع من (هيئة الأمم المتحدة) عدة مؤسسات دولية للسيطرة على الدول الصغيرة؛ فكان من أهمّ هذه المؤسسات ما سُمِّي (مجلس الأمن الدولي).

(مجلس الأمن الدولي) يتكون من ١٥ عضو لمدة سنتين ثم يتجدَّد، ولكن هؤلاء الخمسة عشر فيهم خمسة دائمو العضوية وعشرة دراويش يتبدلُّون، الخمسة الدائمة العضوية هم المنتصرون في الحرب؛ أمريكا وروسيا أو الاتحاد

السوفييتي وفرنسا وإنجلترا، ولتحول الصين إلى قوة نووية وعسكرية كبيرة فرضت بعد عدة سنوات وجودها فأصبحت ضمن الدول الدائمة العضوية.

أسوأ ما في هذا النظام الاستكباري العالمي أنّ هذه الدول لها حق (الفيتو)، لأنهم يعتبرونهم أعضاء مؤسّسِين، فيجب أن يفرضوا السيطرة والقانون على هذه المسألة. فالأمم لها صوت لتتكلم وتصوّت، ولكن إذا أجمعت كل أمم الأرض وكل الدول فتستطيع أي دولة من هذه الدول الخمس أن تستخدم حقّ النقض.

المؤسسة الثانية: (الجمعية العمومية للأمم المتحدة) وهي تضم في عضويتها كل الدول المستقلة ذات السيادة، وكان عددهم تقريبًا مائة وكذا وخمسين دولة في حينها، وكلمّا استقلّت دولة تدخل في هذا المجلس.

فهؤلاء محكومون بالدول دائمة العضوية، فلو كل هذه الأمم اجتمعت فرفعت (الجمعية العمومية) قرارها إلى مجلس الأمن ثم استخدم أحد هؤلاء الأعضاء الخمسة حق (الفيتو) أي قال: "هذا الكلام لا يعجبني"؛ يسقط القرار. فيسمُّوه (حق الفيتو) وهو إلغاء إرادة أمم الأرض، فقام النظام أساسًا على هذه الصورة.

وتفرَّع عن الأمم المتحدة مؤسسات أخرى منها (صندوق النقد الدولي)؛ من أجل الحفاظ على التوازن المالي والقضايا المالية في العالم، ونشأت (اليونسكو) وهي مختصّة بقضايا التعليم والبرامج والمناهج، ونشأت مؤسسات كثيرة مثل مؤسسات اللاجئين وغيرها.

فمنذ سنة ١٩٤٥م بدأ الاستعلاء اليهودي الذي تحدّث عنه القرآن[٢١٢]، (صندوق النقد الدولي) تتحكم فيه شبكة من البنوك الدولية، وهذه مسألة يجب أن نفهمها، فيجب أن تفهموا في الاقتصاد قليلًا..

في كل الدنيا هناك بنوك إلا في أفغانستان، هذه البنوك تأخذ من الناس فلوس وتضع ودائع مقابل فوائد ٣-٦%؛ فكل واحد يضع أمواله في (بنك الملك حسين) أو في (بنك الإسكان) أو أي بنك من هذه البنوك فيأخذ فائدة ٣-٦%. هذه البنوك تقوم بمشاريع وتعطي أرباحًا ثابتة ليس لها علاقة بالربح والخسارة، وطبعًا هي تربح ١٠% أو ١٥% أو ٢٠%.

---

[٢١٢] قال تعالى في سورة الإسراء: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا}.

فالبنوك الصغيرة وجدت أنها إذا اشتغلت في التجارة فيمكن أن تخسر، فقامت البنوك الصغيرة ووضعت أموالها في البنوك المتوسطة، فهذه تعطي هذه فوائد ١٠%، فالبنك يأخذ ٧ % ويعطي العميل ٣%، فصار البنك مرابيًا عند البنك الأكبر منه.

وكذلك فعلت البنوك المتوسطة، فجزء يُدخلوه في المشاريع وجزء يُعطوه للبنوك الأكبر منهم، وهذه البنوك الأكبر استعملت الشركات الكبرى فنشأ نظام البورصة..

ونظام البورصة هو أن الشركات لها أسهم، فالشركة تقول: "نحن رأس مالنا ٢٠٠ دولار مقسَّمة على مليون سهم، فالسهم بمائتين دولار"، فتستطيع أنت أن تشتري سهم لشركة (سوني) عبر البورصة العالمية، فإذا ربحت سوني ينزل في حسابك في البنك أرباح على قدر أسهمك، وإذا خسرت سوني يقولون لك خسرت كذا..

ولكن من أين تأتي شركة (سوني) أو شركة (أي بي أم) أو شركة (ماكنتوش) وهذه الشركات الكبرى بالأموال حتى تعمل مشاريع وتنتج؟

هذه الشركات الكبرى تقترض من هذه البنوك، وهذه البنوك حتى تضمن حقوقها قامت ووضعت ودائع في بنوك دولية، فهناك أربعة بنوك دولية كبرى تمسك كل بنوك العالم، كل حكومات العالم تقترض منها، وكل الشركات الكبرى تقترض منها، وهذه البنوك الأربعة كلها يهودية، منها (بنك روتشل) الذي موَّل الحركة الصهيونية العالمية، وهو أكبر بنك في العالم.

فعبر النظام المالي أمسك اليهود كل الدنيا، فتحكَّموا في نظام البورصة فيرفعون الدولار ويخفضون كما يريدون، وهم يعرفون ألاعيب السياسة؛ أنه ستصير حرب أو ستصير قضية وأن البورصة ستصعد أو سُتخسف، فهم يعرفون ماذا سيصير فيلعبون في الناس عبر نظام البورصة..

فبالمختصر أمسكوا الشركات الكبرى وأمسكوا البنوك، فصاروا في الآخر يموّلون الحكومات، الحكومة الأمريكية أقوى حكومة في الأرض مديونة لهذه البنوك بـ ٧٠٠ ألف مليون دولار، هذه حكومة الولايات المتحدة، فما بالك بحكومة اليمن وحكومة موريتانيا وحكومة الجزائر..!

السعودية كان رصيدها في أمريكا ٣٠٠ مليار دولار، فبعد حرب الخليج خرج بوش رئيس أمريكا وقال لهم: "أنتم مدينون لنا بـ٥٦٠ مليار دولار، فذهبت الثلاثمائة وبقي ٢٦٠ مليار دولار بفوائد البنك الربويّة المركَّبة٢١%".

فعمليًّا لن تستطيع السعودية أن تدفع الفوائد بواردات النفط، فقالوا لها: الحل أن نشتري مخزون النفط، فتبيعوا لنا آبار النفط بيعًا.

فالمهم قضايا الاقتصاد هي أم قضايا السياسة، وقضايا السياسة هي أبو قضايا الحرب، والحرب هي بسبب قضايا الاقتصاد باختصار. **فاليهود سيطروا علينا وعلى الأرض ماليًا وسيطروا على الإعلام.**

هناك كتاب نسيت اسمه عن السيطرة اليهودية على وكالات الأنباء الدولية؛ رويترز، فرنس برس، إنتر برس، هوليوود بكل مؤسساتها، كل المؤسسات السنيمائية، كبار المخرجين، كبار الممثلين؛ تجد أن نسبة السيطرة اليهودية عالية لأنّها تعتمد على الأموال.

شريط واحد لمايكل جاكسون يكلف إنتاجه ١٥٠ مليون دولار، فلا يستطيع أن يمول هذه البهرجة إلا البنوك اليهودية، ولذلك يصبح واحد مثل مايكل جاكسون صوته مثل الديك أكبر مطرب في العالم، لأنه كل السيطرة لهم، فهم أنتجوها بـ ١٥٠ مليون ثم باعوها بسبعمائة مليون.

فكل قضايا الإعلام والتلفزيون والدشوش والقنوات الفضائية والستالايت الفضائي وهوليوود والمؤسسات الإعلامية والجرائد الكبرى؛ كلها مملوكة لليهود بنسبة لا تقل عن ٧٥-٩٨ %.

فإذا أرادوا أن يتحدَّثوا عن (شارلوك هولمز) تجد حتى الصغير يلبس قميصًا فيه (شارلوك هولمز)، وكل الناس تتعلق به، لأن الإعلام (أكل مخّهم).

فتجد حتى النساء والأطفال كلهم يعيشون على الإعلام، فتجد في كل الإعلام (كوكاكولا)، ينزل على الملعب فيجد (كوكاكولا)، وينظر لمارادونا فيجد (كوكاكولا)، يطلع المكوك الفضائي (كوكاكولا)، فالناس كلها تشرب (كوكاكولا).

فبعد أن سيطروا على الأموال سيطروا على الإعلام، ثم سيطروا على ثالوث ثالث فسيطروا على العالم برمته، **حيث تغلغلوا في المؤسسات الرسمية** للدول الكبرى للنظام الدولي؛ الاتحاد السوفيتي، أمريكا، فرنسا، إنجلترا..، هناك دراسات أن نسبة اليهود في المؤسسات الحكومية السيادية الأمريكية مثل الكونجرس والأمن القومي، تصل إلى ٧٠-٩٠%.

نسبة اليهود في المجلس السوفيتي الأعلى ٧٢%؛ فماركس يهودي ولينين يهودي وإنجلز يهودي. فالشيوعية تأسّست وقامت على اليهود. وكذلك تجدهم سيطروا على الأمم المتحدة وعلى مجلس الأمن.

أنا كنت في فرنسا في ١٩٨٣-١٩٨٥م، ففي هذه الفترة رفع اليهود شعارًا في حينه وهو بالفرنسي: (L an 2000 La France est juif) يعني (سنة ٢٠٠٠م فرنسا يهودية)، وفعلًا جاءت سنة ٢٠٠٠م الآن وكان من نتائجهم ارتفاع نسبة اليهود في: رؤساء الدولة ورؤساء الوزراء والوزراء والأقل من الوزراء إلى الوزراء الفرعيين، يعني نسبة اليهود في فرنسا أعلى بكثير من أمريكا.

حتى تذمر الفرنسيون ونشأ حزب هتلريّ اسمه (الجمعية الوطنية الفرنسية) يكره الأجانب؛ سواء كانوا عربًا أو يهودًا أو زنوجًا، ورئيسه واحد مجرم اسمه (جان ماري لوبان)، وهو كان من الجنرالات الذين كانوا مسؤولين عن التعذيب في الجزائر، وشارك في الحرب في فيتنام، رجل لئيم هتلري، ولكن من حسناته إنه من ضمن حملة الكره التي عنده أنه يكره اليهود.

فحصلت مشكلة قبل أربع سنوات أنه نُبِشَت بعض مقابر اليهود في فرنسا في قضية عنصرية، فهاجوا وكأنّه قامت الدنيا، فقامت كل الأحزاب وعملوا مآتم ودقيقة صمت وحداد وقامت الدنيا لمدة أسبوعين من أجل قصة اليهود. ولم يغِب عن هذه الاجتماعات إلّا (جان ماري لوبان).

فعملوا له مؤتمرًا صحفيًا، وجاؤوا له بصحفية يهودية جميلة، فجلست أمامه على التلفاز وقالت له: "سيد لوبان أنت غبت عن القضية، يعني هل هذا عداء للسامية من طرفك؟". يعني إحراج على البث المباشر.

فقال: "لا أنا ليس عندي عداء للساميَّة".

قالت له: "الناس تكلمت عليك خطأً وفهموك خطأ، فلذلك الآن أنت ستبين لهم موفقك، ونحن نعرف أن موقفك سليم، فالناس كلها وقفت لحظة حداد، والآن أنت أظن ستقف معنا وقفة حداد حتى تبين أنك غير عنصري، وشغلوا الوقت لحظة حداد..".

فقام الرجل ووقف وقفة حداد في البث المباشر، فوقف على رجليه ووقف لحظة حداد وركع لليهود..

أحد كبار ساسة الألمان قال نص كلمة: "إلى متى قضية هولوكوست هذه؟"، فاعتذر ثاني يوم وقدّم استقالته وأعلن اعتزاله للسياسة الألمانية.

في إنجلترا في الانتخابات التي صارت بين (جون ريجر) و(توني بلير)، خرجت في (مجلة المشاهد) وهي النسخة العربية من (بي بي سي) تُصدرها هيئة الإذاعة البريطانية (البي بي سي)، فعملوا استطلاعًا عن لوبي اليهود في الحزبين: المحافظين والعمال، فطلع كل واحد أسوأ من الثاني؛ الحزبان تحت التمويل والسيطرة اليهودية.

فاليهود مسيطرون على السياسة العالمية، وهم مسيطرون على الأذناب وليس على الرؤوس فقط، فيسيطرون على الملك الحسن وعلى الملك حسين وحسني مبارك والملك فهد، ويسيطرون على الأمة كلها إمّا بالمال أو بصور الدعارة أو بالأفلام التي أخذوها للملك فهد مع مضيفات الطيران أو بأي طريقة..

فبما أنهم سيطروا على الدول فبالتالي سيطروا على (مجلس الأمن) وعلى (الجمعية العامة) للأمم المتحدة، وسيطروا على (صندوق النقد الدولي)، وإذا أردنا أن نتكلم عن تحكمهم عبر صندوق النقد الدولي بالدول الفقيرة فسنخرج بمصائب كبيرة.

حكومة السودان أرادت أن تتصرَّف بنوع من الاستقلال، فوضعت مخططًا لزراعة القمح واستخراج النفط بصورة قومية سودانية، وكان الترابي والبشير مخلِصين في تحسين الاقتصاد السوداني وأن يكون فيه نوع من الاستقلال..

فقال لهم صندوق النقد الدولي: "قيمة الجنيه السوداني لا تتحمَّل أن تزرعوا القمح، فعليكم أن تأخذوا مساعدات بالقمح ونحن نتابع القضية". فردَّت الحكومة أنها ستزرع القمح. فبدأوا يضربون قيمة الجنيه، أنا دخلت السودان في سنة ١٩٩٣م في الشهر العاشر والدولار ٨٠ جنيه، فصار الدولار أربعمائة جنيه، والآن يمكن صار ألفين أو أكثر.

هذا بالتهديد، الأمر الآخر بالترغيب قالوا لهم: "خذوا أربع سنين قمح بفوائد بسيطة"، ثم قالوا لهم: "خذوا أربع سنين مجانًا"، ثم "خذوا عشرة سنين مجانًا"، المهم لا تزرعوا القمح.

السودان كان فيها خبز سيء جدًا من الذرة، وأنا عشت في السودان واسألوا الإخوة الذين كانوا في السودان، فتحوَّل السودان بعد أربع سنين من الزراعة إلى دولة مصدّرة للقمح.

السودان ومصر كانوا يعتبرونها سلة غذاء الإمبراطورية الرومانية، كل الإمبراطورية الرومانية التي تكلَّمنا عنها كانت تأكل القمح من مصر والسودان، فالروم كانوا يحتلون شمال السودان.

الآن مصر تأخذ قمحًا أمريكيًا ثلاثة شهور بثلاثة شهور، يعني إذا أمريكا أوقفت القمح عن الشعب المصري يتوقف الخبز بعد ثلاثة أشهر ويأكل الشعب المصري الطعمية بدون عيش!.

فالصندوق الدولي يمسك الناس من رأسها ويمنع الدول الفقيرة من التَّنفس، وهو بيد اليهود يتحكمون فيه، ولذلك قال القرآن: {وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا}[٢١٣]، فهذا هو العلو الكبير؛ أمسكوا الإعلام، وأمسكوا الأموال، وأمسكوا الحكومات.

---

[٢١٣] سورة الإسراء، الآية: ٤.

حتى على الصعيد الصغير؛ يهود من المغرب يسيطرون على وزارة الاقتصاد ووزارة الإعلام ومستشاري الملك، وهم يهود بالاسم من يهود من المغرب، فبهذا المخطط أمسكوا كل العالم.

فمن إفرازات النظام الدولي في مرحلة ما بعد الحربين أنه أُعلنت دولة اليهود، ولذلك بدأ النظام في سنة ١٩٤٥م وفي سنة ١٩٤٧م أُعلنت دولة إسرائيل، أي بعد سنتين من قيام هذا النظام.

فدرسنا مرحلة (١٩٤٥-١٩٩٠) م فكان النظام العالمي قائمًا على نظام القطبين.

كثير من إخواننا في حديثهم عن الباكستان والطالبان تجد أنهم يتصوَّرون أن العميل هو مثل الشراب أي يلبسه السيد ثم يرميه، العميل ليس هكذا، يعني نحتاج أن نأخذ محاضرة عن (فلسفة العمالة والعملاء)..

صدام حسين عميل ولكنه ليس مثل ملك البحرين وليس كأمير الكويت، والشاه عميل ولكنه ليس كحسني مبارك، وحسني مبارك عميل ولكن ليس كقابوس، فكل واحد له هامش من السيادة والحرية يتحرَّك فيها.

عبد الناصر كان عميلًا ولكنه كان رجل قوميًا عربيًا يريد أن يحقّق مجموعة من المبادئ ضمن قضايا عمله، فقام هو ومجموعة من الناس منهم (نهرو) الهندي فأقاموا مؤتمرًا حتى يجمعوا الدول الفقيرة ككتلة موازية لكتلة روسيا وأمريكا، فأقاموا (منظمة عدم الانحياز).

وأقاموا كذلك منظمة الدول (الأفروآسيوية) الفقيرة من الأفارقة والآسيويين، وأقاموا منظمة الوحدة الإفريقية. وحاول العرب أن يجمعوا بعضهم فأقاموا (الجامعة العربية)، على أساس يكون لهم شيء من الاستقلال، ومع ذلك ظلت معظم الدول الفقيرة إما في فلك هؤلاء أو في فلك هؤلاء.

وكما شرحنا عن نظام الحرب بالوكالة؛ أنّ هؤلاء السَّيدين يريدون دائمًا أن يتحاربوا مع بعض، فيأتون بالملك فيصل وبعبد الناصر ليتحاربوا في اليمن، ويأتون بفيتنام الشمالية والجنوبية ليتحاربوا بدلًا عنهم.

ووصلنا البارحة إلى أن الاتحاد السوفييتي ربح كلّ أشواط نظام الحرب بالوكالة في كل أماكن التَّماس ولكنّه ربحه بالنقاط كما يحدث في لعبة الملاكمة، إلى أن جاءوا قدرهم ولعبوا آخر حرب وكالة في أفغانستان، فقامت أمريكا وانتصرت على روسيا ولكن ليس بالنقاط وإنّما بالضربة القاضية.

روسيا ربحت كل المعارك السابقة بالنقاط؛ في كوريا وفيتنام واليمن الجنوبي والصومال والجزائر وسوريا وحروب التحرير في إفريقيا وحروب التحرير في أمريكا اللاتينية، فالشاهد ربحت روسيا كل هذه المعارك في كل أماكن التماس بالنقاط ولكن جاءت الحرب في أفغانستان فربحتها أمريكا بالضربة القاضية.

وسبب انتصار الأمريكان على الروس بالضربة القاضية أنهم جاؤوا بالملاكِم المسلم فضرب الروس ضربة قاضية فربحت أمريكا، وكان المقرَّر في تلك اللعبة أن تقوم أمريكا بعد المباراة بإعدام اللاعب المسلم وتأخذ الجائزة التي حصل عليها، وحصل هذا تقريبًا؛ أُجهض الجهاد الأفغاني، وأُجهض (الأفغان العرب) وفُرِّقُوا في الأرض، وكادت أن تكون المعادلة كما رسمتها أمريكا؛ خسر الروس ومات المسلمون وربح الأمريكان.

نحن دخلنا خوست بعد فتحها الساعة ١:٣٠ ثم في الساعة ٨:٣٠ افتتح الصليب الأحمر مركزًا له في خوست، حتى قبل أن تصل أي جماعة عربية وأي مكتب خدمات، ففتح (الصليب الأحمر) له مقرًا ورسم عليه صليبًا أحمر طوله ستة أمتار وعرضه أربعة أمتار.

فكادت تكون المعركة هكذا لولا أن الله -سبحانه وتعالى- قيَّض قضية الطالبان التي لا نريد أن ندخل في تفاصيلها وتفاصيل أفغانستان الآن، فهي تحتاج لبحث مستقل.

هذا كان خلاصة ما ذكرناه البارحة فرجعت وأعدته حتى تركّزوا، لأن هذا (النظام العالمي الحديث) هو الذي أفرز (النظام العالمي الجديد)، فهذا هو الملخَّص للتذكرة وللإخوة الذين حضروا الآن.

الفصل الرابع: فلسفة الصراع مع الروم ومعادلاتها

الآن وصلنا إلى سنة ١٩٩٠م سنتحدث عن النظام الدولي في ١٩٩٠م:

١٩٩٠م هو باختصار بداية **الحملة الصليبية الثالثة على العالم الإسلامي**، وهي الحملة التي ذكرها الرسول ﷺ في بعض أحاديث الفتن والملاحم فقال: (تنزل الروم جزيرة العرب يأتونكم تحت ثمانين راية على كل راية اثنا عشر ألفًا)[٢١٤].

والنظام العسكري الغربي يقوم على نظام الكتيبة، وهي تتكوَّن من ٥٠٠ مقاتل، ثم تجتمع عدة كتائب لتشكل لواء، واللواء يتكون من ٣-٤ آلاف، وبعد ذلك تأتي الفرقة التي تتكون من أربعة أو ثلاثة ألوية، يعني الفرقة فيها حوالي ١٢ ألف، وتكون لها قيادة ولها راية، ففي نظام الناتو الفرقة فيها ١٢ ألف مقاتل، وهم نزلوا الجزيرة العربية بهذا النظام فعلًا: (تحت كل راية اثنا عشر ألفًا).

الأمر الآخر: أن عددهم كان كما حدّد الرسول ﷺ حيث قال: (ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفًا)؛ يعني ٩٦٠ ألف جندي، فأعلنت قوات الناتو أنها أنزلت في الجزيرة مليون جندي، فنزلوا جزيرة العرب على هذه الصورة وكانت هذه هي الحملات الصليبية الثالثة.

فنحن سنأخذ وقفات للبحث من كلّ مسار التاريخ، وذلك في الفصل الرابع: (فلسفة الصراع ومعادلاتها)، لأنّ هذا هو أهم أمر يعرفه المقاتل، وليس كيف يقفز على الدبابة وكيف يرمي، ليس هذا هو الصراع، هذه آخر صورة بسيطة من صور الصراع.

فنكبّرها قليلًا؛ نحن الآن نتقاتل مع مسعود، والذي جاء بمسعود ودعمه وسلَّحه وموّله هو النظام الدولي، فما هو النظام الدولي؟ فيجب أن يكون عندك تصوّرٌ عن فلسفة الصراع حتى تتحرَّك على بصيرة في الصورة الأخيرة، وحتى لا نلعب لصالح فلان وعلان ثم نجد أنفسنا في النهاية خارج اللعبة.

---

[٢١٤] لم أجده بهذا النص، وقد أخرج البخاري (٣١٧٦) عنه ﷺ: (..ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا). والظاهر أن الشيخ وهم هنا، فالملحمة المذكورة في الحديث هي الملحمة التي تكون بعد خروج المهدي ويكون بعدها فتح القسطنطينية وروما كما جاءت الأحاديث بهذا.
أخرج البخاري (٣١٧٦) ﷺ: (..ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا).

فلسفة الصراع ومعادلاتها وجدتها مختصرة في حديث الرسول ﷺ الهام رغم أنّه غير مشهور، يقول الرسول ﷺ: (تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله لكم، وتغزون فارس فيفتحها الله لكم وتغزون الروم فيفتحها الله لكم، وتغزون الدجال فيفتح الله لكم)[215]، قال الرسول ﷺ: (فَارِسُ نَطْحَةٌ أَوْ نَطْحَتَانِ ثُمَّ لَا فَارِسَ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ أَصْحَابُ بَحْرٍ وَصَخْرٍ كُلَّمَا ذَهَبَ قَرْنٌ خَلَفَ قَرْنٌ مَكَانَهُ، هَيْهَاتَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ هُمْ أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ)[216].

(فارس نطحةً أو نطحتان)؛ يعني معركة أو معركتان وتنتهي فارس وكان كما قال ﷺ؛ فانتهت فارس بعد نهاوند والقادسية، والذي يهمني الجزء الأخير: (وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ أَصْحَابُ بَحْرٍ وَصَخْرٍ كُلَّمَا ذَهَبَ قَرْنٌ خَلَفَ قَرْنٌ مَكَانَهُ، هَيْهَاتَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ هُمْ أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ).

وهذا حصل واستمر طوال تاريخنا معهم خلال ١٤٠٠ سنة، فكان أولها مؤتة، وآخرها حرب الخليج في ١٩٩٠م.

وقد تحدثنا عن معادلات الصراع على طول مسار التاريخ: أمويّون ضد وروم، ثم عباسيّون ضد الروم، ثم دول الطوائف والسلاجقة ضد الروم، ثمّ الزنكيّون والأيوبيّون ضدّ الروم، ثم المماليك ضدّ الروم، ثم العثمانيون ضدّ الروم، ثم المسلمون ضدّ الروم من الأوربيين والأمريكان.

ثم جئنا إلى النظام العالمي الجديد لنجد أنفسنا أمام نفس القضية؛ (الصحوة الإسلامية) أو ما سمِّي (الأصولية) أو ما سمِّي (الإرهاب الإسلامي) ضد (النظام العالمي الجديد) الذي أقام (نظام مكافحة الإرهاب). نفس المعادلة التي كانت في عهد النبي ﷺ ضدّ الروم.

ولكن هنا تهمنا قضية، قد يأتي من يقول: "ولكن في معركتنا مع القذافي أين الروم؟"، أو "في معركتنا مع مسعود أين الروم؟". **فيجب أن نوضّح معادلات الصراع حتى نتلمّس فعلًا وجود الروم في هذه المعارك.**

وقد تقول لي: ولكن أين اليهود؟ أقول: منذ قيام الحضارة الغربية تغلغل اليهود في البروتستانت والدين النصراني فدخلت اليهودية في الروم، فأصبحت الحضارة الغربية صليبية يهودية.

نحن تحدثنا عن مسار التاريخ وعن الأمويين والعباسيين وكل المراحل، فنريد الآن أن نقف عند ثلاث محطات أساسية جدًّا وهي الحملات الصليبية، وأنا قفزت عليها سابقًا حتى نقف عليها هنا وقفة مفصّلة.

---

[215] مسند الإمام أحمد (١٥٤١) وصححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه.

[216] مصنف ابن أبي شيبة (١٩٣٤٢).

فنريد أن نبين معادلات الصراع، وهذا مهم جدًّا حتى نعرف أطراف الصراع؛ لأنه يا أخي الكريم أحيانًا أنت ترمي بعيدًا عن اتجاه الهدف، لأن العدو استطاع أنه يُخرج لك ساترًا من بين الأعشاب، فظننت أنه الهدف، فقمت ورميت على هذا الهدف وكشفت نفسك، فصرت مكشوفًا لجهة العدو الأساسي واشتغلت بهذا الهدف.

وحتى يخدعنا العدو جاءتنا هذه الخدع أحيانًا تحت بعض المسميات الشرعية، فيوهموننا فيها، أو يوهمونا تحت بعض المبادئ العسكرية، فغفلنا عن أشياء مهمة سأشير إليها الآن، فنحن أخطأنا في تصور حقيقة المعركة.

الحملات الصليبية الأولى (١٠٩٦-١٢٩١)م (٤٨٩-٦٩٠)هـ

جاءت الحملة الصليبية الأولى في بداية القرن السادس الهجري تقريبًا، في سنة ٤٨٩هـ تقريبًا، فجاء الصليبيون ونزلوا في منطقة الشام. (...).

في فترة الحملات الصليبية كانت بغداد تمر بحالة من الضعف الشديد جدًّا، فقد جاءت الحملات الصليبية قبل مائة سنة من سقوطها، فبغداد سقطت في عام ٦٥٦هـ، وكان للمسلمين دول وإمارات؛ إمارة حلب، إمارة حمص، إمارة دمشق، إمارة بيروت، إمارة طرابلس وهكذا.

فجاء الصليبيون ووحَّدهم البابا أوربان الثاني، وتحرَّكوا في الحملات الصليبية عبر البحر وعبر أوروبا، وكانوا كلّما مرّوا بمملكة يأخذون بعض البشر، فعبروا من هنا لبلاد الشام، فأقاموا أول إمارة صليبية وهي إمارة الرها، ثم تبعتها إمارات سواحل الشام، فأخذوا تقريبًا ما يوازي لبنان وفلسطين، هذه هي دائرة الصراع في الحملات الصليبية الأولى.

الحملات الصليبية الأولى استمرت تقريبًا (١١٠٠-١٣٠٠)م[٢١٧] يعني مائتين سنة، فخلال هذه المائتين سنة حصلت أشياء مهمة جدًّا تفيدنا في وضع تصوراتنا لصد الحملة الصليبية الثالثة.

الأمر الأول: توحُّد أهل الإسلام على مدى تاريخهم على ثلاث مرجعيات:

---

[٢١٧] أو بصورة أدق: (١٠٩٦-١٢٩١)م.

المرجعية الأولى: هي المرجعية السياسية؛ يعني حكومة أو حاكم أو خليفة مسلم شرعي، في فترة يكون خليفة واحد يحكم كل الدنيا، في فترات تكون هناك دول طوائف؛ يعني مثل الموحّدين والمرابطين، وقد تعارف الفقهاء أنّه إذا تعدّد الأمراء وكان كلّ واحد يحكم بشرع الله فلا مانع من تعدّد الممالك، فكان هناك حاكم شرعي وهذه المرجعية الأولى.

المرجعية الثانية: هي المرجعية الدينية؛ وعلى مر تاريخ الإسلام ومنذ القرن الثاني أو الثالث الهجري كانت المرجعية الدينية للمسلمين هم أئمة المذاهب الأربعة وأئمة الطرق الصوفية.

فكان الناس متحدّون على هؤلاء الرؤوس؛ حاكم ومشايخ.

المرجعية الثالثة: هي البِنية القَبَلِيَّة؛ أن الناس قبائل ولكل قبيلة شيخ قبيلة.

وعلى هامش أقول هنا: في السنة الماضية دخلت باكستان لأولّد أهلي، فكنت أتكلم مع أحد الشباب، فقال لي أنّ صديقه في الجامعة في إسلام آباد هو ابن شيخ مشايخ قبيلة الأفريدي، فرأى معه ألبوم صور ورسائل، فسأله عنها.

وكان الناس في ذلك الوقت يتحدّثون عن اجتياح برّي للعراق تقوم به القوات الأمريكية البريطانية، فقال له هذا الرجل أن والده شيخ قبيلة الأفريدي أرسل رسالة إلى السفارة البريطانية في إسلام أباد.

وكان نصّ الرسالة أنّ والده يقول للبريطانيين: إذا احتاجت القوات البريطانية جنودًا وبشرًا للهجوم على العراق فهو يضع مائة ألف مسلّح إفريدي بتصرف وزارة الدفاع البريطانية.

وهو أرسل رسالتين؛ رسالة لحكومة الكويت ورسالة لحكومة جلالة الملكة، فجاءته رسالة شكر من أمير الكويت الصبّاح لقائد قبائل الأفريدي أنّنا نقدّر فيكم هذه القضية ولكن الآن ليس هناك حاجة لهذا، ورسالة شكر من الحكومة البريطانية تقول فيها: أنّ هذا تجديد للعهد والاتفاق الذي كان بين جلالة الملكة وأجداد الأفريدي منذ الوجود البريطاني في شبه القارة الهندية.

يعني يا أخي أنتم تعبتم وتخفيتم وجئتم بعشرين جهاديًا من الأردن وسبعة من تونس وثلاثة وثلاثين من ليبيا وخمسين من كذا، وهذا شيخ الأفريدي وضع أمامهم مائة ألف مسلّح تحت إمرة وزارة الدفاع البريطانية!.

وهذا الشيخ الإفريدي يأخذ مقابل ذلك مساعدات عينية وأموالًا من الخليج، عشر أو اثنا عشر مثقف يرسلون أولادهم ليدرسوا في جامعة كامبردج ثم عندما يرجعوا يُصبحون رؤساء للأحزاب، ثم ينتخبه مائة مليون إفريدي ليصبح رئيس وزراء، وهذه واحدة من الأمثلة التي سمعتها قدرًا.

الملك عبد الله كان بيته القديم عبارة عن بيت صغير في جبل التاج من أربع غرف وصالون، فصرفت له الحكومة البريطانية مرتَّبًا شهريًا، فقام ووضع كل الأسرة الهاشمية في خدمة التاج البريطاني. وقِس على ذلك الأسرة العلويّة في خدمة الفرنسيين، المارونيون كلهم في خدمة الفرنسيين، الدروز كلهم في خدمة بريطانيا، **فالقضية أن الاستعمار خرج ولكنه لم يخرج..**

في باكستان جاؤوا ورشَّحوا لاعب كرة (الكريكت) وأوشكوا أن يُنجحوه، وزوجته إنجليزية أمّها يهودية، وأنا كنت في بريطانيا، فجاءوا به وجعلوه يتحالف مع رئيس هيئة الاستخبارات الباكستانية الأسبق، فقال: "اعتمدت على خبرتي السياسية وعلى شعبيته في لعبة كرة الكريكت، ولأنّ كل أهل الباكستان يلعبون كريكت، فسوف ينتخبون رئيس دولة يلعب كريكت"، بضربة قلم صار رئيس دولة!.

فأصلًا الاستعمار لم يخرج، فيجب أن نرجع في التحليل إلى ذلك الوقت لأنّ كل الحالة التي نعيش فيها جذورها ممتدة إلى هناك.

ففي الحملة الصليبية الأولى كانت أوضاع المسلمين هكذا، وإلى مرحلة قريبة جدًّا كانت هذه هي مرجعيات المسلمين.

فعندما نزلت الحملات الصليبية في ذلك الوقت لم يكن هناك مرجعية سياسية للمسلمين، حيث لم يكن هناك خليفة ولا حاكم واحد بل كانت هناك إمارات؛ أمير حلب وأمير حمص وأمير طرابلس، فأخذوا السواحل ببساطة.

فحصل نوع من ردة الفعل عند المسلمين بسبب سلامة المرجعيَّتين الدينية والاجتماعية، فقام الشيوخ وأئمة المذاهب وأئمة المساجد وأئمة الطرق إلى الناس وحرّضوهم على الجهاد، وذهبوا إلى الأمراء وحصلت حالة مقاومة.

ولو ترجعوا إلى كتب التاريخ التي كُتبت في تلك المرحلة والتي أرّخت لتلك المرحلة وبعض دواوين الشعر والأدبيات التي كتبت في تلك المرحلة؛ تعلمون أنه حصلت حالة من المقاومة من المسلمين في تلك المرحلة بدون أن تكون تحت إمارة مركزية، وبقيت المقاومة سنوات طويلة هكذا.

وفي ذلك الوقت كانت هناك حرب صليبية أخرى تدور على سواحل شمال إفريقيا مع الصليبيين، وحرب صليبية أخرى تدور من فرنسا تجاه المسلمين في الأندلس، فكانت هناك عدة محاور، ولكن كانت هذه هي الحملة الصليبية الأولى.

وكانت بيزنطة ما تزال قائمة، وكان الروم قسمان حيث انقسمت أوروبا إلى قسمين؛ أوروبا الشرقية وهي بيزنطة وعاصمتها القسطنطينية، وأوروبا الغربية وكانت مقسَّمة إلى ممالك؛ إمبراطورية ألمانيا، إمبراطورية فرنسا، إمبراطورية إسبانيا، إمبراطورية بريطانيا.

وهؤلاء كلهم كانت لهم مرجعية دينية في روما، فأصبحت (روما) العاصمة الدينية و(بيزنطة) العاصمة السياسية، وكان هناك اختلافات عواصم أخرى، هكذا كان وضع الروم في الحملات الصليبية الأولى.

فتكوّنت الحملات الصليبية من كل ملوك أوروبا، وسمحت الإمبراطورية البيزنطية بمرورهم، فمروا ووصلوا إلى بلاد المسلمين، فصار اشتباك بين المسلمين وروم أوروبا، لأن بيزنطة لم تشارك في الحملة الصليبية الأولى بصورة مباشرة لأنّها كانت في حالة من الضعف.

الحملات الصليبية الأولى هي تسع حملات؛ الحملة الصليبية الأولى ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة إلى آخر الحملات الصليبية التي كانت في زمن المماليك.

المهم أنه في تلك المرحلة قاوم أهل الإسلام –وهذا يهمّنا جدًّا– بدون حكومة، قاومت كل الأمّة، حتى تقرأ في التاريخ أن شيخ النجَّارين في تونس حوَّل ورش النِّجارة لصناعة الأسطول، وكانت مجموعات من الناس تعمل في النجارة وتأتي بالأموال، وقسم من الناس يُقرصِن في سفن النصارى على البحر ويساعد المسلمين في إسبانيا لأنّهم كانوا مضَّطهدين.

فهو شيخ حِرفة، اجتمع الناس عليه وكانوا يجاهدون بدون وجود خليفة.

الأمة الإسلامية كلّها كانت تقاوم وتحارب الروم، الأمة وليست الحكومات ولا الجماعات ولا التنظيمات وليس عشرين شخص فقط، بل الأمة كان فيها حياة وكانت تحارب بنفسها.

بعد فترة وُلد رجل من أسرة كردية، والأكراد هم من بطون الأتراك، تسمّى هذه الأسرة بالأتابكة الزنكيين، الأتابكة هي لقب، فهؤلاء الأتابكة جاء واحد منهم اسمه عماد الدين زنكي، فأقام عماد الدين زنكي إمارة وأسقط إمارة الرها وضمّها، فشعر الناس الذي كانوا يجاهدون بمجموعات صغيرة أنّه صار لهم رأس، فبدأت الناس تفيء إليه.

فنزل هكذا من إمارة الرها وأخذ مناطق الأكراد في تركيا إلى الموصل، ثم نزل إلى بلاد الشام فأخذ سوريا والأردن، وأصبحت مملكة الزنكيين، فهؤلاء صاروا هم أهل السنة في المنطقة.

ثم عندما قُتل عماد الدين زنكي قتله الحشَّاشون؛ جاء ابنه المشهور نور الدين محمود زنكي، ويسمّى نور الدين الشهيد. خلِف نور الدين أباه وكانت عاصمته حلب، ومن هنا بدأ القتال لسنوات طويلة مع الصليبيين كدولة منظَّمة، فرجع للمسلمين ثلاثة مرجعيات؛ سياسية ودينية واجتماعية، وأصبح الناس إمّا أن يجاهدوا مع الجيش وإمّا أن يجاهدوا بصورة فرديّة.

ففي تلك المرحلة شعر الصليبيون أنهم بحاجة إلى الروم ليستعينوا بهم كدولة عظمى، ووجدوا أنه حتى يتوازن ميزان الصّراع يجب أن يأخذوا مصر، لتوفير الغذاء، ولم تكن مصر مثل الآن تأخذ القمح من صندوق النقد الدولي كل ثلاثة شهور، بل كانت مصر تُطعم سواحل المتوسط كلها قمحًا، وكان شمال إفريقيا يُطعم كل الإمبراطورية الرومانية زيت زيتون، فهذه كانت أهمية مصر بالنسبة للإمبراطورية الرومانية.

فأراد الصليبيون أن يأخذوا مصر، فبدأت الحملات الصليبية تنزل إلى مصر من البحر، وأحيانًا تدخل في فروع النيل لتحاول تصل إلى القاهرة، فشعر نور الدين الذي كان يتنقَّل بين ثلاثة عواصم رئيسية؛ (حلب، حمص، دمشق)، بأهمية مصر.

ومصر كان يحكمها الفاطميون، والفاطميون شيعة متَّفق على كفرهم عند ٩٠% من أهل السنة إلا بعض الفقهاء والمؤرخين من شمال إفريقيا، فهم من الشيعة الغلاة المنحرفين جدًّا، ودينهم مثل دين الدروز يقوم على أديان الهند والإسلام والنصرانية. ولكن كانوا عند عموم أهل الإسلام أنهم من أهل القِبلة، والأمور مخلوطة بهذه الصورة.

كان الفاطميون يمرون بآخر مراحل ضعفهم ونهايتهم في تلك المرحلة، فقام نور الدين زنكي وأرسل أحد قواده واسمه أسد الدين شيركوه، ولا أريد أن أضيع الوقت في التفاصيل التاريخية فلعلكم تقرأوها.

أراد أسد الدين وهو ينظّم حملته أن يأخذ معه ابن أخيه، وكان رافضًا للذهاب لمصر فأجبره وجعله يذهب معه، وكان ابن أخيه هذا هو صلاح الدين الأيوبي، فصلاح الدين الأيوبي كان جنديًا عند قائد عند نور الدين.

فذهبوا لمصر وهناك تفاصيل تاريخية لعلكم تقرأونها في كتب التاريخ، المهم انتهت القضيّة بأن اتفق الصليبيون ونور الدين أن يرجع كلا الطرفين عن مصر، لا لنا ولا لكم، وقالوا نرجع وترجعون.

ولكن الصليبيين غدروا وجاءت حملة بحرية بيزنطية مع حملة صليبية، فرجع جيش نور الدين زنكي مرة أخرى ودخل في مصر، وفي تلك المرحلة مات أسد الدين شيركوه فأصبحت قيادة جيش نور الدين إلى ابن أخيه صلاح الدين..

*[٢١٨] ثم في تلك المرحلة مات حاجب آخر خلفاء الفاطميين، والذي كان بمثابة رئيس الوزراء، فنتيجة النفوذ العسكري لأهل الشام في القاهرة كان مرشّحُهم لدعم الخليفة صلاح الدين، فوجد الخليفة الفاطمي أن هناك كثيرًا من المتسابقين من أهل مصر وهو خليفة ضعيف، فخشي أن يضعهم، فرأى أن يأتي بواحد غريب صغير في السن وليس له أهل فيضعه في الحجابة حتى يتحكَّم فيه، ولكن خاب ظن هذا المسكين.

فوضع صلاح الدين على الحجابة، فلعب صلاح الدين بأهل الخلافة وبالفاطميين، واستحوذ على حكم مصر. ثم توفي هذا الخليفة، فصعد صلاح الدين إلى المنبر وأعلن موت خليفة الفاطميين، وخطب باسم خليفة بغداد، وأعلن قيام المذهب الشافعي في مصر، واحتلَّ الأزهر، وأخرج العُبيديين وفرض المذهب الشافعي والعقيدة الأشعرية.

ثم استقدم علماء الأشعرية وعلماء المذاهب وخاصة المذهب الشافعي من بلاد الشام، ومن يومها بقي الأزهر شافعيًا أشعريًا إلى يومنا هذا، إلى أن جاء عبد الناصر فأصبح الأزهر ناصريًا، ثم أصبح ساداتيًا، والآن حسني مبارك!.

فأخذ صلاح الدين مصر في حياة نور الدين، بدأ نور الدين يحسّ -مثل كل الملوك- بالعطب، وأن هناك مملكة قامت، فأمر صلاح الدين بالحضور إليه فلم يستجب صلاح الدين ولم يأتِ، فأحسَّ نور الدين أن صلاح الدين يريد أن يستقل بمملكة في مصر، فقام وجهّز جيشًا حتى يؤدّب صلاح الدين ويُرجعه لحكمه، حتى أنّ والد صلاح الدين كان يقول له: "يا ولدي، لا يحلّ لك إذا رأيته إلا أن تقبّل يده"، يتحدث عن نور الدين.

حقيقة كان الصليبيون قد تعبوا في تلك المرحلة، وفتح بيت المقدس كان عمليًا هرمًا بناه نور الدين وبقي آخر حجر فجاء صلاح الدين ووضعه، وإلا فأغلب الجهد كان للزنكيّين.

أراد الله -سبحانه وتعالى- خيرًا بالناس فتوفّي نور الدين، ولم يصل الجيش، وكان صلاح الدين رجلًا ذكيًا فطنًا، فقال لهم: "الآن الأمير الرسمي هو إسماعيل بن نور الدين، وسوف أذهب إلى الشام حتّى أثبت ملكه وأبايعه".

وإسماعيل كان طفلًا عمره ١١ سنة، فتوجّه صلاح الدين للشام وأخذ معه علماء مصر من أجل أن يبايعوا إسماعيل، فلما ذهب إلى هناك جمع علماء الشام وقال لهم: "أنتم ترون الحرب الدائرة وهذا ولد عمره ١١ سنة وأمه وصيَّة عليه وهكذا ستختلط الأمور"، فقام علماء الشام ومصر وبايعوا صلاح الدين على أن يكون ملكًا على برّ مصر والشام، **وقامت الدولة الأيوبية!**

---

[٢١٨] **بداية تفريغ الملف السابع عشر.**

قبل موت نور الدين بقليل وبعد سيطرة صلاح الدين على مصر جاءت إحدى الحملات الصليبية فغزوا دمياط وكادوا يصلون للعاصمة، فقام الشيعة في الداخل بالتآمر معهم، نور الدين ينتظر الخبر، وكادت تسقط مصر وصلاح الدين في هذه الحالة. فدعاهم نور الدين وردّوا هذه الحملة. هذا من آخر ما حصل في حياة نور الدين.

تحرّك صلاح الدين وأخذ الملك وكان أوّل ما قام به أن أبرم هدنة مع الصليبيين، فهو كان خائفًا، بيزنطة دولة عظمى، والصليبيون هنا يحتلون كل الساحل الشامي، الشيعة في الداخل حيث قاموا عليه بانقلابين أو ثلاثة في محاولة لإعادة المذهب الشيعي إلى مصر.

فقام بعمل معاهدة (هدنة) لمدّة عشرة سنوات مع الصليبيين، وكان هدفه أن يقمع محاولات الانفصال في الشام وفي مصر، ثار عليه أمراء حلب وأمراء حمص، فقام بتصفية الإمارات التي ثارت، فلما صفا له الأمر وصارت المملكة واحدة في الشام ومصر، بدأ يتحيّن فرصة لينقض فيها الاتفاق مع الصليبيين.

طبعًا صلاح الدين وكذلك نور الدين لم يكن عنده جيش من الفقهاء حتى يُوجِعوا رأسه ويقولون له: "كيف نقاتل في مصر مع هؤلاء الشيعة؟ اترك الصليبيين يحتلون مصر، يا أخي الراية غير واضحة"!.

لم يكن عنده هذا النوع من الفقهاء، ولم يكن عنده من يقول له: "أنت كيف تقاتل في هذه البلد وأنت من غير هذه البلد"، ولا كان عنده فقهاء يقولون: "كيف تهادن الصليبيين وتحارب المسلمين؟!".

لم يكن عنده هذه المشكلة، فكان هناك علماء، وهناك قبائل، وهناك أمراء، فكان هناك رؤوس والناس بعد ذلك لهم تبع.

هذه من أهم المعادلات التي انقلبت رأسًا على عقب الآن، فأي إنسان يريد أن يتَّخذ قرارًا عليه أن يحسب حساب جيش الفقهاء القاعدين ليخطّؤوا المجموعة، فهذا لم يكن موجودًا أيام صلاح الدين، فانحلت معه المشكلة..

وحصل أن قطع الصليبيون طريق الحج فاستغل صلاح الدين هذه الفرصة وهاجم الصليبيين، فحصلت موقعة مشهورة مهمّة جدًّا اسمها موقعة (صفورية)، وكانت أهم من (حطين) وكانت مقدمة لحطّين، فانتصر المسلمون في (صفورية) وتحطم الجيش الصليبي عمليًا وتابعوا انسحابهم، فاستغل صلاح الدين الفرصة وقام بتحرير بيت المقدس.

وكان صلاح الدين قد حضرته الوفاة حيث مرض مرضًا شديدًا وحكم الأطباء أنه سيموت، فدعا الله -سبحانه وتعالى- أن يؤخّر وفاته إلى فتح بيت المقدس، وكان صلاح الدين الأشعري -الذي لا يعجبنا الآن ولا يعجب نصف

علمائنا- حافظًا لكتاب الله، فقيهًا من فقهاء الشافعية، رجلًا صالحًا، كان يدور على الخيام في الليل فإذا رأى خيمة لا تقوم الليل يقول: "أخشى أن نُهزم غدًا من هذه الخيمة!"، فهذا كان حال صلاح الدين.

طبعًا بعد أن دخل الشام استقرّ في دمشق وأصبحت عاصمته دمشق، ثمّ توفي بعد أيام من فتح بيت المقدس بعد أن استجاب الله -سبحانه وتعالى- دعاءه.

الذي حصل بعد هذا بسرعة هكذا أنّ صلاح الدين مثله مثل كلّ الملوك؛ له أخطاء الملوك، حيث قام وقسّم المملكة بين أولاده الأربعة، فقسّم المملكة لأربعة أقسام وجعل على كل قسم أميرًا من أبناءه، فهذا أفضى إلى أن يتقاتل الإخوة على الإمارة، واستعان بعض أولاد صلاح الدين بالصليبيين الذين كانوا ما زالوا في سواحل الشام. فجاء أخو صلاح الدين ويُسمى (الملك عادل) وجمع الإخوة الأربعة وقال لهم: "أنا أحكّم بينكم"، فجاء بالأمراء وخلعهم وصار هو الملك، وأصبح الملكُ للملك العادل.

ثم قام الملك العادل بنفس الخطأ حيث قسّم المملكة بين أولاده، فكان في الشام ابنه الصالح إسماعيل، وفي مصر ابنه نجم الدين أيوب (الملك الصالح)، وكان نجم الدين طاغوتًا جبّارًا في الأرض، ومما روي في تاريخه أنّ الأمراء كانوا إذا ذهبوا إلى اجتماعه يُودّعون نساءهم وجواريهم ويُوصون، لأنه غالبًا يقتل أميرًا أو اثنين أثناء الاجتماع! فإذا لم يعجبه رأيهم أو تكلم أحد بدون إذنه يقتله مباشرة، ولكن من حسناته أنه كان صادقًا في حرب الصليبيين.

أما الصالح إسماعيل هذا فذهب للصليبيين ليستعين بهم حتى يعطوه جيشًا ليحارب به أخاه في مصر، ومن أجل هذه القضية أعطاهم مجموعة من القلاع على حدود لبنان وفلسطين وأجاز لهم أن يشتروا السلاح في أسواق دمشق من أجل أن يساعدوه على أخيه!

وكان إمام المسلمين في ذلك الزمان وفقيههم وقاضي الناس الإمام سلطان العلماء العز بن عبد السلام. فخطب خطبة في جامع دمشق مُؤدَّاها ومَفَادها إسقاط شرعية الصالح إسماعيل. فأخذوه ووضعوه في السجن وله قصة. المهم أن الرجل لجأ إلى نجم الدين أيوب في مصر.

وهنا لفتة في العلماء كنا وعدنا أن نذكرها وهي أنّه لم يقل: أنا مستضعف في مصر فأسكت على المفاسد التي عند نجم الدين، بل احتسب وأنكر عليه كما احتسب على الصالح إسماعيل وكان موقفه شديدًا، وقصته جميلة جدًّا ليس هناك مجال لذكرها الآن.

فمن أول نزوله لمصر رأى مصانع للخمور، فأخذ تلاميذه وقاموا بهدمها، وبلغ الخبر نجم الدين -هذا الذي يقطع رؤوس الأمراء- فلم يجرؤ أن يتكَّلم مع سلطان العلماء، ومع ذلك تعرَّض العز بن عبد السلام لموكبه وقال له: "يا نجم الدين -ولم يناده باللقب- كيف تركت الخمور وهذه البلاوي ولم تهدمها؟". قال له: "يا إمام وجدتها من عهد والدي"، قال له: "إذًا أنت من الذين يقولون {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ}[٢١٩]". فسقط من على جواده وتأثر بهذه الموعظة، مع أن هذا العالم المسكين كان هاربًا لا نصير له.

وكان له موقفًا ثالثًا في تلك المرحلة؛ في نهاية الدولة الأيوبية كان الأيوبيون في الشام والأيوبيون في مصر قد استكثروا من المماليك، فكانوا يأتون بالعبيد من أسواق العبيد ومن سبي الفتوح وخاصة من بلاد التركستان وسط آسيا وأوزبكستان وأفغانستان.

فأكثروا من العبيد، وكانوا يأتون بالجواري للبيت والمطبخ، والعبيد للخيل والسلاح، فالذي عنده مائة عبد معناها عنده مائة مقاتل، والذي عنده ألف عبد عنده ألف مقاتل، فكانوا يسلّحون عبيدهم ويصنعون منهم الكتائب.

فانتبه العبيد إلى أن القوة بيدهم والقيادة بيد غيرهم، فعلى ماذا يصير هؤلاء المفاعيص ملوكًا؟ فقاموا عليهم بانقلاب، واستلم المماليك العبيد حكم مصر، وتبع لهم بذلك حكم الشام، فأصبحت الشام ومصر تحت حكم **دولة المماليك**.

انتهينا من دولة الزنكيين التي أتت بدولة الأيوبيين، ومن دولة الأيوبيين التي أتت بدولة المماليك. وفي تلك الفترة كان العالم الإسلامي يتعرض لاجتياح التتار. وأصبح أمام المسلمين في دولة المماليك وآخر دولة الأيوبيين خطران: خطر الصليبيين في الشام، وخطر التتار القادمين من الشرق.

كان الزنكيون ملوكًا ولهم مفاسد، والأيوبيون نفس الشيء، والمماليك كذلك، ولكنهم اجتمعوا على أمر واحد وهو جهاد الصليبيين وجهاد التتار ودفع الصائل. ومما يُقال لفلاسفة وفقهاء هذا العصر أنّ حالة ملوك ذلك الزمان أنّ فيهم مشاكل والحكم فاسد وليس كله على مقتضى الشريعة، ولكن مساره العام وعمومه بالشريعة فهم أمراء شرعيون.

الأمر الآخر كانت البدع والصوفية وبلاويها ضاربة فيهم وفي الأمة وفي مشايخ الأمة، واقرأ تاريخ ذلك الزمان كيف كانوا، وخاصة عندما جاء الأمراء الجهلة، هؤلاء أصلًا أكراد وأتراك، وأجهل منهم المماليك، فهم عبيد جاؤوا بهم من وسط آسيا، يعني لا يفهمون الإسلام والعقائد.

---

[٢١٩] **سورة الزخرف، الآية: ٢٢.**

حتى تجد عندما تقرأ في كتب ابن تيمية وفي كتب الأئمة في ذلك الزمان تجد أنهم سئلوا: كيف نجاهد ونقاتل مع جند الشام ومصر وفيهم البدع، وملكهم في مصر يحج إلى قبر السيد البدوي وكذا؟ وفيهم المنكرات والخمور والمعاصي وفيهم الغلول وفيهم كل البلاوي، كيف نقاتل معهم؟ فهذا موجود في كتب الفقه.

فكان جواب ابن تيمية: ماذا سيصير لأهل الإسلام لو لم ندافع عن بيضة المسلمين وحريمهم وملكهم مع هؤلاء؟! جيش الشام ومصر في هذا الزمان هو الطائفة المنصورة التي تدافع عن أهل الإسلام. فنقاتل معهم ونشتغل معهم.

فهذا من فقه تلك المرحلة وهو يلزمنا جدًّا لهذا الزمان، لأنه من المؤكّد أن هذه الحالات التي نراها الآن هي أفضل من حالة ذلك الزمان، فهذه من وحي التاريخ على الهامش لأنها تلزمنا في العمل.

الأمر الآخر أن هؤلاء الناس على فسادهم في الملك والرشاوي وقطع الأراضي ومفاسد الملكية والبلاط، ومفاسد النساء، والتاريخ سجّل، ولكن على هذا كان لهم فضيلة واحدة وهي إخلاصهم في قضية جهاد الصليبيين.

قطز هذا الرجل الصالح -كما نحسبه ونسأل الله أن يجزيه عن الإسلام خيرًا- حارب الصليبيين من ناحية والتتار من ناحية، وعندما جاء التتار خمدت الصليبية فأصبح الأساس هو قتال التتار.

وهنا لفتة لهذا الشيخ الصالح العز بن عبد السلام نذكّر بها مشايخنا في هذا الزمان، أنه هرب من الشام واحتسب على هؤلاء في مصر، ومن المصائب أنّه ما كاد ينزل في هذه الدولة الجديدة مصر حتى حصل فيها انقلاب وقام المماليك فحكموها، فماذا فعل؟

أمراء المماليك كانوا ضباطًا عسكريين لا علم ولا فهم، جهلة أصحاب سيوف يقتّلون بعضهم على الملك. أصلًا كان هناك قانون عند المماليك أن الملك الذي يتولّى يجب أن يقتل الذي قبله، فغالب ملوك المماليك انتقل لهم الملك بالقتل، فبقتل سيده يصير ملكًا، فبسبب قتله يكبر في عين الأمراء فيحترمونه ويخافون منه ويبايعونه.

فماذا سيصير لو وقف عالم مثل العز بن عبد السلام في وجه أناس جبابرة مجرمين بهذه الصورة وقال لهم: "أنتم لا تجوز ولايتكم لأنّكم عبيد مماليك"..؟!

وله قصة جميلة جدًّا؛ كادوا أن يقتلوا الرجل، فذهب له رجل ليقتله ووقف على باب بيته، فقام ولده واسمه عبد اللطيف وقال له: "يا والدي انجُ بنفسك واحد معه السيف يريد قتلك، واقف على الباب"، فقال له: "إليك عني يا ولدي إن أباك أقل من أن يُقتل في سبيل الله!".

فخرج إلى الرجل، فمن هيبة الشيخ سقط السيف من يده وقال له: "خلاص حسبنا الله ونعم الوكيل نحن عبيد فكيف نصبح أحرارًا؟" قال لهم: "نبيعكم". قالوا له: "من يبيعنا؟"، قال لهم: "أنا أبيعكم". فقالوا: "ومن يشترينا؟"، قال لهم: "اشتروا بعضكم البعض"، فقالوا له: "أين يذهب ثمننا؟"، قال لهم :"يذهب إلى بيت المال".

فأصبح الإمام يخرج وينادي على كل أمير من قيادات الجيش من المماليك ليبيعهم، فباعهم وجعل ثمنهم في بيت مال المسلمين، وبهذا اعتبرهم أحرارًا، فقال لهم: "الآن صرتم أمراء"، ولذلك صار سلطان العلماء، قلت هذا حتى نتذكر خنافيس العلماء في هذا الزمن!.

فالشاهد جاء المماليك وتصدّوا للتتار في موقعة (عين جالوت)، وكانت هذه الموقعة حدًا في تقدّم التتار، بعد ذلك امتد التتار إلى آسيا وفشا فيها دين الإسلام، وتولوا هم فتوح آسيا وأدخلوا الإسلام إلى الصين ومنغوليا حتى وصلوا إلى سيبيريا، وكما ذكرت لكم سيبيريا أصلها (صابريّة) نسبة لملك تتري مغولي مسلم اسمه صابر، فأقام عاصمة سماها (الصابرية) فتحرّفت في لغات الأجانب إلى سيبيريا، وكانت مملكة إسلامية.

فوصل الإسلام إلى آسيا ودخل الصين، وكان قد دخل الهند، فأصبح العالم الإسلام عمليًا ٩٠% من الأرض المعروفة في ذلك الزمان، وذلك على أيدي التتار.

فماذا حصل بعد موقعة عين جالوت؟

في طريق العودة من المعركة قتل بيبرس قطز على الملك، ثم أصبح ملكًا، وهذا الذي قتل سيده على الملك يُعتبر من كبار الملوك المجاهدين في تاريخ الإسلام، وحكم سبعة وعشرين سنة لم يُهزم فيها، وكان هو الذي أزاح الصليبيين نهائيًا من بلاد المسلمين، وكانت قد تحرَّرت معظم الأراضي وبقيت إمارة عكا، فسقطت إمارة عكا في زمن الظاهر بيبرس الذي عاصر الإمام النووي، وبهذا انتهت الحملات الصليبية الأولى[٢٢٠].

فالذي نريد أن نستفيده أنّ معادلة الصراع في الحملات الصليبية الأولى -سواء قبل المماليك أو بعد المماليك- كانت: أن أهل الإسلام أو أمة الإسلام ضدّ أمة الصليب.

هكذا كانت المعادلة، سواء كان المسلمون لوحدهم أو مع الحكومة أو مع المشايخ أو مع القبائل، حتى تقرأ في كتاب (مصارع العشاق) وهو من الكتب التي كُتبت في آخر تلك المرحلة أن الغزو يكون أحيانًا بالشخص والشخصين، رأى

[٢٢٠] **الصواب أن إمارة عكّا قد تحررت نهائيًا من الصليبيين في سنة ٦٩٠هـ في زمن السلطان الأشرف بن قلاوون.**

بعضهم النصارى فقال أحدهم لصاحبه: "أما اشتقت إلى الجنة؟"، قال له: "أي والله"، فأوصوا التجار الذين معهم وذهبوا انغمسوا في عسكر الصليبيين وقُتلوا.

فالناس كانت تقاوم لوحدها دون خبرة، فكانت ظاهرة مقاومة الصليبيين قضية دينيّة تولتها كل الأمة، فلم يكن أحد ينتظر الأمير أو المشائخ أو أي أحد، فكانت أمة الإسلام ضد أمة الصليب؛ فكانت النتيجة على مدى ٢٠٠ سنة أن انتصرت أمة الإسلام.

***

الذي يهمنا من هذا البحث الذي ذكرنا أن نستخلص أمرين اثنين:

الأول: أن معادلة الصراع في الحملة الصليبية الأولى كانت: (كلّ أمة الإسلام ضدّ كلّ أمة الصليب)؛ أمة الصليب قذفت بمئات آلاف الناس فنزلوا بلادنا، وأمة الإسلام قذفت بمئات آلاف الناس فجاهدوا في الشام وفي مصر وفي شمال إفريقيا وعلى الحدود وعلى العواصم، فكانت حرب أمة ضد أمة.

قساوستهم ورهبانهم دخلوا في المعركة وحرّضوا وأفتوا بوجوب هذه المعركة ضدّ المسلمين، ملوكهم قادوا هذه المعركة، فكانت أمة تتحرك؛ مراجع دينية ومراجع سياسية وشعب الأمة النصرانية كله يحارب. بالنسبة للإسلام كان نفس الشيء فشارك أئمة المذاهب وأئمة الطرق الصوفية في ذلك الزمن، واقرأ كتاب ابن النحاس (مصارع العشاق) -وهو من المراجع التاريخيّة المهمّة- حتى تعرف الجو الاجتماعي والفقهي والنفسي للناس عندما دخلوا هذه المعركة.

فكانت المعركة: أمة الإسلام ضد أمة الصليب، وكانت نتيجة المعادلة أن انتصرت أمة الإسلام على مدى مائتي سنة.

الأمر الآخر والملاحظة الثانية التي تهمنا: أن الناس قاتلت بدون مرجعية سياسية؛ بالأفراد، بالجماعات، شيخ العشيرة، شيخ الحارة، كل ثلاثة وكل خمسة قاتلوا لوحدهم.

فهذا يعطينا فكرة أنّه كان هناك مقاومة إسلامية عامّة عالمية، ولم يكن هناك حزب أو جماعة أو تنظيم أو أمير يتولى الجهاد لوحده، بل كان هناك شعور من الناس بوجوب فريضة الجهاد وبوجوب دفع الصائل، فكان كل واحد يساهم بالمعركة سواء كان مبتدعًا أو فاسقًا أو صالحًا أو موحدًا أو سلفيًا أو مذهبيًا أو أشعريًا، كل الناس شاركت في دفع الصائل، فكانت النتيجة أن انتصرت أمة الإسلام على أمة الصليب.

هذا الذي نستنبطه من الحملة الصليبية الأولى والتي استمرّت عملية الدفع فيها لمدة مائتي سنة، وكانت كما أخبر الرسول ﷺ أنّها الروم ذات القرون نقاتلهم إلى قيام الساعة[٢٢١]، فقاتلوهم مائتي سنة في تلك الحملة.

الآن صرنا في سنة ١٣٠٠م[٢٢٢] حيث خرج الصليبيون، وخلال مرحلة قصيرة بدأت المرحلة العثمانية وقام العثمانيون وقويت شوكة الإسلام، وانكفأ النصارى فلم يرجعوا إلينا عمليًا إلا في عند الحملات الصليبية الثانية والتي بدأت في سنة ١٧٩٨م بحملات نابليون الفرنسي على مصر. فتسهيلًا للحفظ عليكم سنضيف سنتين من عندنا ونجعل سنة ١٨٠٠م هي بداية الحملات الصليبية الثانية.

الحملات الصليبية الثانية (١٧٩٨-١٩٧٠)م:

بدأت الحملات الصليبية الثانية في سنة ١٨٠٠م عندما دخل الفرنسيون مصر حيث كانت الخلافة العثمانية ضعيفة، وعندما خرجوا كانوا قد أوجدوا في مصر حكومة مستقلّة عن الخلافة العثمانية، وهي الحكومة الملكية بقيادة محمد علي باشا وخليفته الخديوي إسماعيل، ثم من بعده إلى آخر الخيديويين وهو الملك فاروق.

وهذه الأسرة -أسرة محمد علي باشا- دعمها الإنجليز والفرنسيون ووضعوها في مواجهة العثمانيين، حتى أنّه عندما تحارب العثمانيون مع الدولة السعوديّة الأولى والثانية استعانوا بمحمد علي كما تعرفون في التاريخ، فكانت القضية هي عملية فرنسية إنجليزية لإيجاد دولة غير تابعة للإمبراطورية العثمانية.

طبعًا أنا أستند على الذاكرة في سرد التاريخ خاصّة في التواريخ؛ وشيئًا فشيئًا بدأ الإنجليز باحتلال أطراف العالم الإسلامي، وقلنا أنّ القرون ١٥-١٨ هي قرون النهضة الأوروبية؛ حيث وصل الروم إلى ما وصلوا إليه من الحضارة والقوة، فبدأوا ينزلون مرة أخرى إلى هنا، فأخذوا أطراف العالم الإسلامي.

فأخذوا الجزائر سنة ١٨٣٠م، وقبل هذا أخذوا الهند والسند (باكستان)، وأخذوا إيران، وأخذوا جزر الخليج وأطراف الجزيرة، وفرضوا مجموعة من العملاء المشايخ أمثل آل صباح وآل بو سعيد وآل فلان وعلان على أطراف الجزيرة، وفعلوا في اليمن نفس الشيء.

---

[٢٢١] أخرج ابن شيبة في مسنده (١٩٣٤٢): (وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ أَصْحَابُ بَحْرٍ وَصَخْرٍ كُلَّمَا ذَهَبَ قَرْنٌ خَلَفَ قَرْنٌ مَكَانَهُ ، هَيْهَاتَ إِلَى آخَرِ الدَّهْرِ هُمْ أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ)

[٢٢٢] أو تحديدًا سنة ١٢٩١م الموافق ٦٩٠هـ وهي السنة التي سقطت فيها عكا آخر الإمارات الصليبية في ساحل الشام.

طبعًا كان الإنجليز قد أخرجوا الحملات الفرنسية وورِثوا مصر، وصار فيها نوع من الوصاية مع وجود حكومات الخديوي ولكن كانت عمليًا تُحكم من قبل الإنجليز، وأخذوا السودان كذلك.

فأخذوا كل هذه الأطراف، ثم بعد سنة ١٩١٤م عندما سقطت الخلافة أخذوا بلاد الشام؛ فتقاسم بريطانيا وفرنسا وإيطاليا كل العالم الإسلامي؛ وحتى الصومال قَسَّمُوه إلى أربع أو خمس صومالات؛ الصومال الفرنسي والصومال الإيطالي.. إلخ.

في الجزيرة فرضوا آل سعود من سنة ١٩٠٠م، فقام عملاء الإنجليز (لورانس) من ناحية و (شكسبير) و(فيلبي) من ناحية، ففرضوا آل سعود من طرف وجماعة الشريف حسين من طرف كعملاء للإنجليز، ثم لاحقًا أعطوا جماعة الشريف حسين الأردن والعراق ثم سوريا، وتركوا هذه المنطقة لآل سعود، فصار في الجزيرة آل سعود وآل صباح وآل نهيان وآل بو سعيد، أربع أو خمس من (الآلات) أخذوا المنطقة.

وأخذت بريطانيا إيران والشيعة، وأخذت الباكستان والهند؛ فلاحظ أغلب المناطق الإسلامية أصبحت بريطانية.

تنقسم الحملات الصليبية الثانية إلى مرحلتين:

- الحملات الصليبية الثانية الجزء الأول: (١٧٩٨-١٩٧٢)م.
- الحملات الصليبية الثانية الجزء الثاني: (١٩٧٢-١٩٩٠)م.

الجزء الأول من بداية الحملات الصليبية في سنة ١٨٠٠م وحتى الاستقلال، أو ما أسموه استقلالًا، فهو استقلال شكلي، ولكن عمليًا خرجوا ولكن لم تنتهِ حملتهم، فهم باقون بصورة أخرى.

هم دخلوا بلاد الشام ١٩٢٠م وخرجوا ١٩٤٦م، يعني هنا انتهت الحملات الشكلية (الجزء الأول من الحملات الصليبية الثانية)، خرجوا من الأردن بعد هذا، وخرجوا من فلسطين وسلّمُوها لليهود في ١٩٤٧م، وخرجوا من مصر في الأربعينيات، خرجوا من الجزائر ١٩٦٢م، في المغرب لا أذكر التواريخ بالضبط، فتاريخ المغرب بعيد عنّا أهل المشرق فمجهول.

آخر الاستقلالات التي حصلت هي (استقلال الإمارات العربية المتحدة)، طبعًا هم لم يقولوا أنهم احتلّوا الجزيرة، البريطانيون أخذوا الجزيرة وولّوا آل سعود رسميًا من ١٩٠١م عندما دخل الرياض، ثم أُعلن هذا المفعوص عبد العزيز آل

سعود سلطانًا على نجد والحجاز في سنة ١٩٣٥م، وكان الإنجليز قد قرروا أن ينسحبوا فجاء الأمريكان بعد ذلك وورثوا آل سعود وبقوا في الحكم إلى الآن. فهم لم يقولوا أنهم استعمروا الجزيرة ولكن استعمار الجزيرة المعلن حصل في ١٩٩٠م هذا ينتمي للحملة الصليبية الثالثة.

الآن في المرحلة الثانية استقلّت دولة الإمارات كما يقولون، وكان استقلال الإمارات في آخر ١٩٧٢م، فهذا يعني أن الجزء الأول من الحملات الصليبية الثانية كان من ١٨٠٠م إلى ١٩٧٢م.

فماذا حصل في هذه الفترة من الاحتلال ١٨٠٠-١٩٧٢م؟

نرجع أولًا للمرجعيات؛ المرجعية السياسية، المرجعية الدينية من المذاهب والطرق الصوفية، ثم المرجعية القبلية.

المرجعية السياسية كانت منهارة فالخلافة ماتت أو سقطت عمليًا، وتتابع دخولهم، فالمرجعية السياسية ماتت. المرجعية الدينية من أئمة المذاهب وأئمة الطرق كانت سليمة؛ ولذلك حصل جهاد ومقاومة في المرحلة الأولى من الحملات الصليبية الثانية كما حصل في الحملات الصليبية الأولى، وتعال نمسك الخريطة:

قاتل الديوبندية في الهند من أئمة الأحناف وأئمة الطرق الإنجليز لمدة مائة وثلاثين سنة، ولهم شهداء وتاريخ وجهاد طويل عريض. وقام شيوخ الطرق الصوفية بالجهاد على ما فيهم من البلاوي التي نعرفها ونتفق عليها وليست محل خلاف بيننا، ولكن الشيخ يبايع الناس على الطريقة ويبايع الناس على الجهاد، يستمرون في بدعهم ولكن في النهاية يبايعون الشيخ ويحملون البندقية ويقاتلون الإنجليز، فقاتلوا الإنجليز لمدة مائة وثلاثين سنة.

طبعًا الهند وباكستان كانت تشكّل مع بعضها شبه القارة الهندية، فالمسلمون هناك جاهدوا لمائة وثلاثين سنة الحملة الصليبية، وبقوا مائتين وكذا سنة يواجهون الإنجليز منها مائة وثلاثون عامًا في جهاد فعليّ قاده العلماء الأحناف وعلماء الطرق.

الأفغان نفس الشيء، ذبحوا الإنجليز مذبحتين عندما أرادوا أن يدخلوا أفغانستان، فجاهد الأفغان بملوكهم وأئمتهم وأحنافهم وصوفيتهم ومشايخهم.

نأتي إلى بلاد القفقاس وبلاد فرغانة وأوزبكستان وهذه البلاد؛ أبناء هذه البلاد قاتلوا الروس، فقام الإمام شامل في القفقاس وقاتل الروس لمدة ٤٥ سنة، واستمرت المقاومة في القفقاس ٦٥ سنة، والآن تنطلق حركة الجهاد من وادي فرغانة في أوزبكستان في وسط آسيا، الذين قاموا بالقتال هم أئمة الأحناف وأئمة الطرق.

فحدث ما حصل في الحملات الأولى؛ أنّ المرجعية الدينية على ما فيها من فساد وبدع ومشاكل التي كانت تعتريها؛ لم تكن قضية الجهاد ودفع الصائل محلّ خلاف عند أحد فقاتلوا.

نأتي إلى البلاد العربية، ثورة العراق قامت على علماء الأحناف، فشارك علماء العراق في ثورة ١٩٢٠م وما تلاها، وكان قتال الإنجليز بمفهوم جهادي، فدُفعَ الإنجليز بمفهوم الإسلام والاحتلال والجهاد.

في الشام قاتل علماء الشام الفرنسيين من منطلق الجهاد، وكانوا من أئمة المذهب الحنفي وبعض الشافعية فالمذهب الشافعي قليل الانتشار في سوريا، فهم كانوا مشايخ أشعرية صوفية أحناف وشافعيّة، فهم الذين حرّكوا الناس إلى الجهاد.

في فلسطين حصل نفس الشيء، فالشيخ عز الدين القسام هو أيضًا من مشايخ الشام على طريقتهم وليس مختلفًا عنهم.

في مصر؛ علماء الأزهر هم الذين حرّكوا الناس ضدّ الإنجليز، وهم أيضًا أئمة أشعرية صوفية مذهبية.

نأتي إلى ليبيا؛ الطريقة السَّنوسية التي أخرجت عمر المختار هم الذين حرّكوا الشعب الليبي، ولم يقاتل عمر المختار بتنظيم وإنّما قاتل بالشعب الليبي خمسين سنة.

في تونس قام علماء جامع الزيتونة والقيروان حرّضوا الناس ليقاتلوا من منطلق جهادي أيضًا وهم مالكية أشعرية.

فهذا واقع، ولا يمكن أن نشطب التاريخ لأنّنا سلفية لا تعجبنا الأشعرية والصوفية، رغم أنّ عليهم مآخذ حق صحيحة، بينما أئمة الذين أسموا أنفسهم (سلفيين) قاتلوا لجانب (شوارتسكوف) في هذه الحملة الصليبية الثالثة التي تشاهدونها.

كأمانة للتاريخ فإن أئمة الصوفية والطرق والمذاهب –على العوج الذي هم فيه ونحن متفقون عليه وليس محل نقاش بيننا– حملوا السلاح ودفعوا الصائل، في حين أن أئمة الطرق (السلفية) الجديدة هذه حملوا السلاح ووقفوا مع الصائل ضدّنا، وهذا سنأتي إليه لاحقًا. الآن نحن نسجّل هذه المرحلة كتاريخ.

نأتي إلى الجزائر، في الجزائر بايع كل أئمة القبائل ومشائخ الطرق والد عبد القادر الجزائري على الجهاد، فقدّم لهم ولده فبايعوا الأمير عبد القادر أميرًا على القبائل والمشايخ للجهاد، وحصلت ثورات، حتى أنّ هناك ثورة تسمّى (ثورة أبي عمامة). من أبو عمامة؟ هو واحد من مشايخ الطرق، أقام ثورة طويلة وعريضة.

فبقوا يقاتلون أكثر من سبعين أو ثمانين سنة حتى خمدت ثورات القبائل وخمدت ثورات المشايخ، فبقوا فترة بدون جهاد واستحكم الفرنسيون إلى أن قامت الثورة الجديدة التي حرّرت الجزائر، وهي قامت أيضًا على المشايخ وعلى الجهاد، ولكن دخل العلمانيون فحصدوا النتيجة ووُلدت (جبهة التحرير الجزائرية).

فانتهى الجهاد في كل هذه البلاد بوطني قومي، ولكنّه قام جهاديًا إسلاميًا، **ولكن لعدم وعي الناس وعدم وعي المشايخ حصد القوميون والأحزاب وغيرهم النتيجة**.. وسنشرح الآن لماذا.

في المغرب نفس الشيء؛ من القتال ضد الإسبان وضد الفرنسيين إلى عبد الكريم الخطابي الذي هو صوفي مالكي من أئمة المالكية، مثله مثل الباقين.

فقضية الغبش والدخن الذي لحق بالعقائد والمذاهب هو أمر لا نختلف عليه، وهذا معروف عندنا نحن (السلفيّين) في عقيدتنا وفي فقهنا واعتمادنا الدليل، كل هذا معروف عندنا ولكن هناك أمر في التاريخ؛ وهو أن هؤلاء الناس قاتلوا وجاهدوا.

فهكذا انتهت المرحلة الأولى من الحرب الصليبية بنفس الطريقة التي انتهت فيها الحملة الأولى وهي أن أمة الإسلام قاتلت ضدّ أمة الصليب، وهنا ظهر طرف جديد على المسرح في المعادلة **وهم أمة اليهود**؛ أمة اليهود جاءت في جيوش الأوروبية حتى يأخذوا فلسطين كمكافأة لهم على المساهمة وحتى تتخلّص أوروبا من المشكلة.

فكانت المعادلة الأولى في الحملات الصليبية الأولى كما تذكرون هي: **(أمة الصليب ضدّ أمة الإسلام فانتصرت أمة الإسلام)**. في الحملة الثانية كانت: **(أمة الإسلام ضدّ أمة الصليب وأمة اليهود)**. فدخلت أمة اليهود وعصابات الهاجانا والعصابات المتطرفة الصهيونية في الحرب، وكان هناك جنرالات يهود في الجيش الإنجليزي وفي الجيش الفرنسي وفي الجيش الإيطالي وغيره.

أما أنّ هذه الحرب حرب صليبية فهناك مؤشرات كثيرة. كما قلت لك أن الجنرال (غورو) ذهب لقبر صلاح الدين وقال له: "ها قد عدنا يا صلاح الدين". الجنرال (ألنبي) نصب علم بريطانيا على جبل الزيتون وقال: "الآن انتهت

الحروب الصليبية"، وعلم بريطانيا هو صليبان صليب أول وصليب ثاني، فنصبه وقال قد جئنا وأخذنا سواحل الشام مثلما أخذناها أولًا.

أما النشيد الوطني للجيش الإيطالي فقرأت مرّة ترجمته، فخلاصة ترجمته لما دخلوا ليبيا: "يا أمي لا تبكي عليّ فأنا ذاهب أقاتل الكفار المسلمين وأنصب صليب المسيح على كذا"، يعني نشيد صليبي من أوله لآخره، نشيد الجيش الإيطالي.

فصحيح أنّها حركات استعمار حديث، ولكنها جاءتنا بروح صليبية. فكان القتال مع الروم ذات القرون ضد الإسلام مثل السابق ولكن دخلت معهم أمة اليهود.

كما قلنا خرجت الحملات الصليبية الأولى في ١٣٠٠م وجاءت الحملات الصليبية الثانية في ١٨٠٠م، فكان بينهما ٥٠٠ سنة كانت فيها الدولة العثمانية قويّة ومتقدّمة، فخلال هذه الخمسمائة سنة أخضع النصارى العالم الإسلامي إلى حالة من الدراسة، فقاموا بالدراسات الشرقية وجمعوا المخطوطات وبحثوا في القبائل وعرفوا من يمكن أن يصبح عميلًا لهم، ودرسوا النزاع بين القبائل فيما بينها، ومن يمكن يشتغل ضد من، وقابوس البوسعيد هذا قتل أباه واستلم الحكم بإدارة إنجليزية، وخليفة قطر أزاح أباه ودخل بمؤامرة دولية.

فهم يعرفون كل هذا لأنّهم أخضعونا خلال خمسمائة سنة لدراسة استشراق! أثّرت على التبشير والاستعمار، فهم دخلوا على بصيرة.

فخلال هذه الدراسة لمدة ٥٠٠ سنة علم أهل الصليب لماذا انتصرنا نحن في المرحلة الأولى، وأنه كما دُمرت المرجعية السياسيّة فيجب تدمير المرجعيَّتين الأُخريتين. كيف تُدمّر المرجعية الدينية؟ بتدمير أئمة المذاهب وبتدمير بنية الطرق، هم ليسوا حريصين على الإسلام، ولا يدمّرون الطرق لأن فيها بدع، ولا يدمّرون المذاهب لأنّ فيها تعصبًا مذهبيًا، هم يدمرون هذه المراجع حتى يبقى المسلمون بلا مرجعية.

تدمير أئمة المذاهب يترك المسلمين بلا مرجعية، لأنّ الأمة كلها أحناف ومالكية وشافعية وحنابلة، فبتدمير مرجعية المذاهب الأربعة يجب أن تأتي ببديل؛ أن يذهب مشايخ معوجّون فيجيء مكانهم مشايخ صحيحون، تذهب العقيدة التي فيها دخن لتأتي عقيدة سليمة، يذهب رموز فيهم فساد لنأتي برموز جيدة. ولكن لم يحصل أي من هذا.

هل كان من الصواب أن يتعاون علماء الجزيرة تحت شعار (السلفية) و(الوهابية) مع آل سعود ومع الإنجليز حتى يضربوا الخلافة العثمانية؟! يعني استُبدلت البدعة بكفر الإنجليز، فحصل الخلل!.

ولا يفهم أحد من كلامي أنّ هذا انتصار لعقيدة منحرفة ضد عقيدة السلف، أصلًا هذه هي عقيدتي، ولا أحد يظن أن هذا انتصار للمذاهب لأنّني متمسّك بمذهب الأخذ بالدليل. ولكن هناك أمر مهم جدًّا أنه قامت حركة لتدمير هذه المرجعيات، وهذا سنشرحه لاحقًا.

دُمّرت هذه المرجعيات من باب حرب الإسلام؛ فكان أهم شيء قاموا به لتدمير هذه المرجعيات أن نشروا أفكارًا علمانية ثم أقاموا أحزابًا علمانيّة، خلال الجزء الأول من الحملات الصليبية الثانية فتحوا الجامعة الأمريكية، فتحوا الجامعة الفرنسية، وفتحوا الإرسالات التبشيرية، وجامعة بيروت، الصحف، النشرات، وأخذوا أولاد العوائل وأولاد المشايخ ليدرسوا في أوروبا خلال فترة الاستعمار.

فلم يكن الاستعمار في الحملات الثانية غبيًا مثل الحملات الأولى حيث قام باحتلال عسكري فقط، فانهزم عسكريًا ولم يبقَ له أثر. بينما في الحملات الصليبية الثانية كان له ثلاثة جهود؛ جهد عسكري وثقافي واقتصادي. وهذا البحث لعله من أهم الأبحاث التي سنتكلم عنها فركزّوا معيّ جيدًا.

طبعًا الآن نريد أن نتكلم عن بعض الأمور التي استقرت عندنا أنها من الخير ولكن ليس هناك خير من ورائها، هذا الذي أنتم تظنونه خيرًا نكب المسلمين في مرحلة من المراحل، والآن أقول لكم كيف..

فنحن انهزمنا هزيمة ساحقة تحت مجموعة من الأفكار والمعتقدات والأيدولوجيات، فأول أمر أريد أن نعيد التفكير فيه الآن هو أن نراجع المبادئ التي عملنا على أساسها، فما كان من صواب نُبقي عليه، وما كان خطأ نُرجعه للصواب، فلا بد من البحث. وكما قلت لكم الطريقة الصحيحة أن نضع الحركة الجهادية على طاولة الدكتور وننظر في هذا التيار الجهادي فنبحث عن الخطأ والمرض والعطل في مخه أو قلبه أو حركته.

فالآن يجب أن نفهم هذه المعادلة؛ كان لاستعمار (١٨٠٠-١٩٧٢)م جهد عسكري؛ احتلال مباشر علني، جنود إنجليز، جنود طليان، جنود فرنسيين. وكان له أيضًا جهد ثقافي وهذا مهم جدًا؛ جامعات، إرساليات، هذا الجهد الثقافي ولَّد عندنا أفكارًا علمانية وافدة أفرزت بعدها أحزابًا علمانية؛ فوُلدت الاشتراكية والديمقراطية والشيوعية والقومية

العربية. الأمر الآخر الذي قاموا به تحت الجهد الثقافي أن اختاروا عملاء، فحدَّدوا من العملاء الذين من الممكن أن يستفيدوا منهم.

وكان لهم في المنحى الثالث جهد اقتصادي، الجهد الاقتصادي يقوم على أمرين أساسيين فلا تنسوهم: نهب ثروات، وبيع منتوجات. فرنسا تمرّر كثيرًا من إنتاجها للمغرب والجزائر، بينما ٩٠% من العمّال في إنتاج فرنسا هم من إفريقيا السوداء، فهناك أربعمائة مليون جندي يشتغلون ويأكلون ويشربون على مردود مصانع فرنسا، فهي تعيش على هذا البيع. إنجلترا تصنع وتبيع في كل الدنيا، وكذلك أمريكا وتبيع هنا. وانظر فقط لواردات شركة (كاتربيلر) كم تبيع يوميًا، أو واردات شركة (سيات)..إلخ.

فهذا الجهد بدأ من هنا، وكان أكبر نجاح نجحوا فيه خلال الجزء الثاني من الحملة الصليبية الثانية (١٨٠٠-١٩٧٢)م، يعني خلال ١٧٥ سنة تقريبًا؛ هو في الجانب الثقافي، فصنعوا طبقة تفكر بطريقة عميلة وتخون الأمة لصالح المستعمر، لأنهم علموا أن الاحتلال العسكري سينتهي عاجلًا أو آجلًا بفعل المقاومة.

فبهذا الاحتلال الثقافي وبهذه الأفكار الوافدة ضربوا المرجعية الدينية؛ فأصبح الشيخ غير محترم، شخصية الشيخ في المجتمع العربي أصبحت كاريكاتير ومهزلة، رجل ذو لحية يحضر الولائم ليأكل الطعام، يأكل أموال الناس بالباطل، يكتب تمائم، يعمل حجابات، يغسل أموات، يزوّج العزاب، هذه هي مهمّة الشيخ عندهم، ولم يعد الشيخ هو ذلك الإمام الذي يحمل الناس للجهاد.

وكذلك فعلوا مع الصوفية؛ فأصبح الصوفي منعزلًا في الزوايا، ولم يعد ذلك الصوفي الذي رغم عيوبه يحمل البندقية ليدفع الصائل.

فضربوا المرجعية ودمروها وصُرف شباب الأمة بحركة علمانية عن الدين، ففرّغت المساجد، وكثرت العلمانية، فكان هذا هو نجاحهم الأكبر.

وفي مرحلة من المراحل عندما وجدوا أن المرجعية الدينية والمرجعية القبلية لم تُضرب بما يكفي وأصبحت تكاليف الاستعمار باهظة؛ انتقلت الحملات الصليبية من المعادلة الأولى إلى المعادلة الثانية، وأصبحت المعادلة أخطر من المعادلة السابقة..

في الجزء الثاني من الحملات الثانية كانت أطراف المعادلة كالتالي:

- أمة الصليب.
- أمة اليهود؛ ولكن كبُر دورها فوُجدت إسرائيل في هذه المرحلة وكبر دور اليهود.
- المرتدون؛ فظهرت طائفة جديدة ودخلت في الحملة وهم طوائف المرتدين! دخلوا في الحملة وصاروا واجهة الحملة. وهؤلاء كانوا ثلاثة أصناف:

- المرتدون من أتباع الأفكار العلمانية؛ فوُلدت أحزاب علمانية؛ حزب البعث، الحزب الناصري، الحزب القومي الاشتراكي، الحزب القومي السوري، الحزب الشيوعي الجزائري، فتجد أحدهم اسمه محمد أو علي أو أحمد من أسماء المسلمين، شكله مثل أشكال المسلمين مخّه تجده فرنسيًا أو أمريكيًا أو إيطاليًا أو يهوديًا أو ماسونيًا، ودمه غربي، وحتى في شكله تجد بنطلونه فرنسيًا، وقميصه تايوانيًا، وشكله غربيًا أصلًا.
- والأمر الثاني وهو من أكبر المصائب؛ صنعوا ضباطًا عسكريّين وحكومات انقلابية تقوم على الأفكار العلمانية.
- الأمر الثالث وهو من سوءات هذه الأمة؛ عوائل مالكة عميلة تحمل أفكار الغرب، هذا إذا كان عندها أفكار أصلًا، وأغلبيتهم ليس عندهم أفكار ولا ما يحزنون!.

فأُعطي الحكم في مرحلة ما بعد الاستقلال لهذا الثالوث (أحزاب، ضباط، عوائل)، فأصبح الحكَّام ماسونًا ويهودًا وضباطًا عسكريين أو عوائل مالكة. لو تمسك العالم العربي فقط تجد هذا:

- العوائل المالكة؛ آل مبارك بن الصباح وآل سعود، وآل نهيان، وآل بو سعيد.. إلخ.
- العراق حكمه حزب البعث بانقلاب.
- سوريا حكمها حزب البعث بانقلاب، وآل إليه الأمر. وقبل الانقلاب كانت أحزابًا ماسونية مثل (حزب الشعب) و(الحزب الوطني)، حزبان ماسونيان يتنافسان على الانتخابات في نظام ديمقراطي.
- في الأردن تجد (جلالة الملك حسين المعظم مجدد القرن الخامس عشر الهجري)! كما عند سلفية الأردن.
- فلسطين ضاعت بيد اليهود.

- لبنان أخّروا استقلالها سنة عن استقلال سوريا حتى يفصلوها عن سوريا، فسوريا كانت محافظات؛ محافظة حلب، محافظة دمشق، محافظة حمص، وكانت لبنان محافظة في سوريا، فاستقلّت سوريا سنة ١٩٤٦م واستقلّت لبنان سنة ١٩٤٧م؛ حتى تعطي فرنسا النصارى دولة تكون لهم موطئ قدم كما أعطوا اليهود دولة قومية..*[٢٢٣] فهذا الحال في بلاد الشام.
- نأتي إلى مصر، كانت مصر بيد الملك فاروق وذرية محمد علي باشا وهم مجموعة مرتدين حكموا طوال هذه المرحلة، ثم لمّا فسخوا الملكية أتوا بعبد الناصر وهو ضابط عسكري علماني قومي عربي.
- ليبيا كانت تحكمها العائلة السّنوسية فكانت عائلة مالكة عميلة، ثمّ عندما قاموا عليها بانقلاب أتوا بضابط عسكري، وهنا مسألة عجيبة، القذافي عمل (كورسًا) لستة أشهر في بريطانيا ورجع وقام بالانقلاب، وحافظ الأسد عمل (كورس) طيران لستة أشهر في بريطانيا ورجع وقام بالانقلاب!.
- في تونس قام علماء الزيتونة وعملوا ثورة وانتهى الأمر إلى سيطرة (الحزب الدستوري)، فأتوا برجل علماني متربٍ في فرنسا وهو الحبيب بورقيبة فوضعوه على رأس (الحزب الدستوري)، فأُعطي الاستقلال لهؤلاء الناس، فخرج الاستعمار وسلّم المسلمين لأحد هؤلاء الناس، إمّا أحزاب سياسية علمانية وإمّا ضباط علمانيون انقلابيون، وإمّا عوائل مالكة عميلة، وهكذا نظرنا فيها بلدًا بلدًا.

فجاؤوا وأعطوها للحبيب بورقيبة، وحكى لي أخ من مجاهدي تونس أن مشايخ الزيتونة عندما رأوه يقيم العلمانيّة سعوا لمقابلته، فقام الشيخ محمد صالح النيفر وهو من خيار علماء تونس وأخذ معه المشايخ وذهب إلى بورقيبة حتى يقول له: "كيف تجعلها علمانية ونحن جاهدنا وأخرجنا فرنسا وكذا"..

فأدخلوهم على صالة القصر فانتظروا وانتظروا، فدخل بورقيبة ووجهه ويداه مبّتلّان من الوضوء فقال لهم: "تأخّرت عليكم لأنّني كنت أصلي ثمان ركعات صلاة الضحى"!، فعندما وجد المشائخ أنّه يصلّي الضحى صدّقوا كلامه أنه سيطبّق الإسلام، فخرج المشائخ وطمأنوا الناس أن هذا الرجل سيطبّق الإسلام. حتى تعرف أنّه لابدّ للفرعون من كاهن بجواره.

وأضرب لكم مثالًا بحصار التتار لقلعة دمشق حتى تعرفوا كم أن القضية قديمة، حاصر تيمورلنك قلعة دمشق ولم يستطع أن يدخل، فعندما عجز قال لهم: "أحضروا لي وفدًا من مشايخ دمشق"، فجاء علماء المسلمين فوجدوه يسبّح

[٢٢٣] بداية تفريغ الملف الثامن عشر.

وبجانبه المؤدّبين من الصوفية وحلقات الذكر وجلسات وحضرات، فوجدوا أمامهم رجلًا صالحًا محترمًا. وكان على رأس الوفد واحد من كبار مؤرخي الإسلام عاصر الحادثة، نسيت اسمه[٢٢٤].

فنظروا لهذا الملك الصالح! وتذكّروا أمير دمشق الذي تركوه خلفهم مع الخمور والرقص والموسيقى وكذا، فقال لأهل دمشق: "هذا الذي تحموه وتقاتلون معه هو الفاسد وذلك هو الصالح فافتحوا له أبواب دمشق".

وهي كانت خدعة، ففتحوا أبواب دمشق لتيمورلنك، فاجتاح تيمورلنك قلعة دمشق التي لم يستطِع اقتحامها، وسجّل التاريخ من القصص والمصائب من سفك الدماء وسبي نساء المسلمين، حتى قُتل أكثر من ثلاثين ألفًا في الواقعة وخلت دمشق عن آخرها، وذُكر في كتب التاريخ كلام يستحي الإنسان من قراءته.

وكان سبب دخول التتار فتوى شيخ! أن قال لهم افتحوا قلعة دمشق، فسمع المسلمون كلامه ففتحوها.

وصلنا إلى تونس، في الجزائر قامت (جبهة التحرير الوطني) على أنقاض الجهاد، وأصبحت علمانيّة وسلَّمت فرنسا الجزائر لهواري بومدين، وأقاموا معهم اتفاقية (إيفيان)، وأنا كنت في بريطانيا أعمل مع الإخوة الجزائريين قبل أن يخزينا هؤلاء المجرمون المهابيل أخزاهم الله، وضيعوا علينا قضية من أهم قضايا المسلمين..

كنت أدرس قضية الجزائر فتوصّلت في الدراسة والبحث إلى قيام (جبهة التحرير) وإلى معاهدة استقلال الجزائر واسمها اتفاقية (إيفيان) التي استقلّت بموجبها الجزائر، وهي ٢٣ صفحة، فاستخرجت أصولها الفرنسية في (مكتبة الدراسات الشرقية) التي تكلمنا عنها، وقمنا بترجمتها.

فوجدت أن اتفاقية إيفيان هي تكريس لاحتلال الجزائر مرة أخرى!؛ تبعَّية اقتصادية، علمانية في الحكم، حفاظ على الجنسية الفرنسية الموجودة في الجزائر، فالاتفاق هو عملية تبديل لشكل الاستعمار فقط. فقامت (جبهة التحرير الوطني) علمانية يسارية، ثم خرجت من كفّ فرنسا إلى كف موسكو.

أمّا في المغرب فولّوا الملك وصنعوا قضية الملك محمد الخامس، وهو أحد عملاء أوروبا الذي قبض على عبد الكريم الخطّابي ونفاه، وقُضي على الرجل الذي واجه جيوش خمس دول أوروبية متّحدة في المغرب..

---

[٢٢٤] هو قاضي القضاة تقي الدين ابن مفلح.

ويكفي أن نذكر أنه لما دخلت الجيوش البريطانية لتحارب (جمهورية الرّيف الإسلامية) بقيادة عبد الكريم الخطابي في سنة ١٩٢١م، نزلت معها جيوش إسبانيا وفرنسا وإيطاليا ودول أوروبية أخرى، ثم دخل معهم الطيران الأمريكي، وانتصر عبد الكريم الخطّابي على جيوش خمس دول أوروبية.

انتصر عبد الكريم خطابي في (معركة أنوال) ١٩٢١م على جيوش خمس دول أوروبية متحدة مع بعضها، فقُتل في الحملة عشرون ألفًا أكثرهم من الإسبان والفرنسيين، وأُسر وذُبح من الأسرى ١٢ ألفًا، حتى أن عبد الكريم الخطابي كان ينادي في البربر: "كفوا عن القتل"، فلم يطِعه أحد حتى حصدوا الجيش عن آخره!

وكان في الأسرى مائة جنرال بينهم خمسة برتبة (مارشال) من خمس دول، هذا حصل من قريب، وتنادت أوروبا أنه عاد الفتح الإسلامي مرة أخرى..

فما الذي حصل؟

أتوا بالملك محمد الخامس الذي استطاع بشرعيَّته وبشرعيَّة العلماء الذين معه أسر هذا الرجل ونفيه إلى أوروبا، ففي الطريق هرَّبه بعض الإخوان المسلمين وأنزلوه في القاهرة حتى توفي هناك -رحمة الله عليه-.

فمن الذي قضى عليه؟ المرتدّون.

فأصبح طرف المعادلة الأوّل: أمة الصليب + أمة اليهود + طوائف المرتدين.

وانتبهوا إلى أمر هام جدًّا جدًّا: عندما دخل المرتدّون في الحكم وصاروا يصلّون العيدين ويُحيُون المولد النبوي ويدعون المشائخ في ليلية ٢٧ رمضان، ويعملون بعض الطقوس على أساس أنهم مسلمون، ويخرج بعض المشايخ ليقولون هؤلاء مسلمون، بهذه الصورة اختلّ طرف المعادلة الثاني..

كان الطرف الآخر للمعادلة هو أمة الإسلام، فكانت أمة الإسلام تقاتل أمة الصليب وأمة اليهود، ولكن عندما ظهر المرتدون خرجت أمة الإسلام من المعركة، فحلّ محلها في مواجهة المرتدين: (**الصحوة الإسلامية**).

فالذي واجه عبد الناصر ليس أمة مصر بل (الإخوان المسلمين)، والذي واجه اليهود في فلسطين ليس أمة المسلمين في أراضي ١٩٤٧م وإنّما الحركات الإسلامية من الإخوان ومن معهم في ذلك الوقت. والذي واجه أتاتورك هم قليل من المشايخ مع نفر قليل، والذي واجه عبد العزيز آل سعود بعض العلماء في معركة (السبلة) من (إخوان من أطاع الله)

من علماء السعودية السلفيين -رحمة الله عليهم-، ثم قتلهم وانتهى الموضوع لأن الجزء الأساسي من الحركة الوهابية وقف مع عبد العزيز في معركته (السبلة) التي أرّخ لها الشيخ أبو محمد المقدسي -فرّج الله عنه-.

فالشاهد في الموضوع أن دخول المرتدين أخرج الأمة من المعركة، وانتبهوا فهذا أول وأخطر تحوّل في التاريخ؛ خرجت الملايين وبقي الآلاف.

في الجزائر الذين واجهوا (هواري بومدين) هم قليل من بقيَّة (جمعية علماء المسلمين) وقليل من الحركة الإسلامية. والذين واجهوا (زروال) هم القليل من (جبهة الإنقاذ) الجزائرية وبعض الحركة الإسلامية.

الآن أنا لا أتكلم عن هذه الصحوة وهل هي صحوة صحيحة أو صحوة خاطئة، وهل فيها بدع، -سنتحدث بعد قليل عن تفاصيل الصحوة- ولكن أقول من بقي في باكستان في مواجهة كفر الحكام؟ ومن سيواجه محمد علي جناح وهؤلاء؟

هم طائفة من الحركات الإسلامية من الإخوان والسلفيين وغيرهم، يعني الصحوة ومدارس الصحوة. فنزل مستوى المواجهة من ملايين ضد ملايين إلى ملايين ضد آلاف..

فلما أصبحوا ملايين ضد آلاف كسب المرتدّون المعركة في الشوط الثاني (١٩٧٠-١٩٩٩م)؛ فانحلَّت كل مدارس الصحوة؛ سُجن الإخوان، سجن سيد قطب، انحلَّت الجماعة الإسلامية، صُرفت وتدجَّنت الصحوة الإسلامية في كل الدول دولة دولة، فالآن الصحوة الإسلامية خاسرة في الصِّدام مع المرتدِّين. سواء كانت صحوة إصلاح أو صحوة تبليغ أو صحوة عقائد، خسرت المعركة، خسرت مع الملوك والرؤساء.

فمن الذي كسب المعركة؟

كسب المعركة من وراء الستار: أمة اليهود وأمة الصليب؛ لأنه بعد أن كسب المرتدون المعركة سُرق كل البترول في الجزيرة، وسُرق كل الحديد من موريتانيا وهي من أغنى دول العالم في الحديد، الآن يؤخذ كل الحديد إلى فرنسا أحجارًا ولا يُصنَّع في الأفران العالية في موريتانيا حتى لا يستفيد المسلمون من العمالة، أهل موريتانيا يشتغلون حمَّالين، فهناك سكة حديد من مناجم الحديد إلى نواكشوط على البحر، فيُنقل الحديد كحجارة وتراب إلى فرنسا؛ حتى لا يستفيد أهل موريتانيا وحتى لا يعملوا بالتعدين بل ينقلوه فقط.

فكل ثروات المسلمين ذهبت فنهبتها أمة الصليب وأمة اليهود؛ وعلى مدى هذه السنوات حصلت حرب ١٩٤٧م وحرب ١٩٤٨م وحرب في ١٩٦٧م ثم حرب ١٩٧٣م، وامتدّت إسرائيل لتأخذ جنوب سوريا وجزءًا من تبعيَّات الأردن وجنوب لبنان وصحراء سيناء، وأصبح كل هذا لليهود، فأصبحت الأراضي التي أخذها اليهود من سنة ١٩٦٧م تساوي سبع مرات مساحة فلسطين. فتضاعفت مساحة الأرض التي أخذها اليهود في ١٩٦٧م سبع مرات.

فكسب هؤلاء بينما كانت الأمة وحركات الصحوة تحارب المرتدّين، فلم ينتبه أحد إلى أن يقوم ويحارب اليهود المتواجدين في بلادنا في تونس في المغرب، ولم يقم أحد بمحاربة مصالح النصارى وشركات النهب.

ثم من الصحوة الإسلامية العامة وُلدت الحركات الجهادية، وهذا سنتحدث عنه في فصل لوحده، فالحركات الجهادية أدَّت خيرًا كبيرًا جدًا، ولكن ورّطت نفسها في أخطاء سنتحدَّث عنها بالتفصيل، فمن هذه الأخطاء: شيوع نظرية (قتال المرتدين مقدّم على قتال الكافر الأصلي). هذا الكلام له تأويل صحيح وله تأويل غير صحيح، سنأتي بالنصوص الشرعية ونبيّن هذا الكلام.

فعندما اشتغلنا بقتال المرتدين من الناحية العسكرية وغفلنا عن الخطر الأساسي والشرايين التي تمُد المرتدين انشغلنا بآخر (مخفر) موجود لطليعة الحملة الصليبية، فانحسرت قوانا على المخفر الأول، فنحن نريد أن نحارب الرئيس فوضع الرئيس أمن الدولة، فقمنا لنحارب أمن الدولة فوضعوا لنا الشرطة العسكرية، فقمنا لنحارب الشرطة العسكرية فوضعوا لنا المخبرين، ففي النهاية صرنا نقاتل بائع الجبنة!، حتى أن نساءنا العجائز في الشام كانوا يقولون لنا: "يا أولادي أنتم مساكين، تحاربون ذيل الحية وتاركين رأسها في الشام"..!

الإخوة في الأردن قاموا ليجاهدوا فقاموا ووضعوا عبوة لواحد محقّق، وضاع في هذا أربعة إخوة كل واحد منهم حذاؤه أغلى من أمن الدولة، لأجل محقق؟! وقاموا ليجاهدوا فضربوا السينما، كيف تضرب السينما وتترك الذي فتح السينما والذي أتى بالسينما؟!.

وقاموا ليجاهدوا فضربوا محلات أفلام الفيديو في القاهرة، فانساقت الحركة الجهادية وراء القنوات التي أتاحها العدو للمواجهة. ولاحقًا نتكلم إن شاء الله في التفاصيل.

فالشاهد والمصيبة أن الصحوة الإسلامية والجهادية دخلت في مواجهة كل هذه المصائب وخرجت الأمة فأصبحت المعركة: ملايين ضد آلاف فخسرنا المعركة، وهذا أحد أهم أسباب خسران المعركة، وبهذه الحلقة بدأنا

ندخل في المهمّ، كلّ الذي سبق مقدمات حتى تستوعبوا هذه النقطة، الآن بدأ ما يمكن أن نعتبره نظرية في الفهم للجهاد، فهذه الحملة الأولى.

والحركة الجهادية رغم أنّها انشغلت بأمور فرعية إلّا أنّ لها إيجابيات كثيرة سأذكرها في التحليل، فمن أهم إيجابيات الحركة الجهادية أنها عندما تحوّلت من الدعوة إلى الجهاد هدّدت طائفة المرتدّين فعلًا، في مصر قُتل السادات، وفي الجزائر هُدّد النظام، وصار بعض الشباب يقتل أمريكيًا أو يهوديًا على هامش الجهاد، فبدأ نوعًا ما التفكير السليم يتبلور بأن يتحرّكوا نحو اليهود والنصارى وإن كان جزئيًا.

أسباب قدوم الحملات الصليبية الثالثة:

فحصلت ثلاثة أشياء تاريخية يجب أن تفهموها في المرحلة (١٩٧٠- ١٩٩٠)م، في هذه العشرين سنة المهمة جدًّا في التاريخ والتي مهّدت لبداية الحملات الصليبية الثالثة. **ففي ١٩٩٠ دخلت الحملة الصليبية الثالثة سافرة** بعد أن كانوا مختبئين والمرتدون هم الذين يتولّون كل شيء.

فيجب أن تعرفوا أهمية هذا الكلام فبدونه سنظل نشتغل خطأً، وسنظل نشتغل في صالح العدو، ممكن نطلع في القتال ولكن في أوقات الاستراحة يجب أن نعدّل طريقتنا في التفكير حتى نعمل بالطريقة الصحيحة.

الآن أحد الإخوة أصابه فيروس من فيروسات (المشايخ) فاقتنع بأن القتال مع الطالبان ليس جائزًا وليس شرعيًا، وهو أخ من طلبة العلم كان في الخط، فالآن خرج وشكّل وفدًا وذهبوا ليتكلموا مع أبي عبد الله، هل هو قتال شرعي أو غير شرعي؟!

فعندما تكون رؤوس الناس غير مليئة يتعطّل كل شيء حتى القتال، فالآن ولذلك يجب أن نؤطّر هذه الأطر بحيث تكون هذا الأمور الفكرية مفروغًا منها أصلًا، وإلا ننشلّ عن الحركة.

فمن الاستقلال حتى سنة ١٩٩٠م حصلت ثلاثة أمور هامة جدًّا جدًّا:

الأمر الأول: أن حركات الجهاد المسلّح المتولدة من الصحوة هدّدت استقرار واستمرار المرتدّين؛ يعني الآن لو قام أحدنا وقتل الملك حسين فستسقط كل الأردن وتختلط الأوراق على اليهود، فهم يتعبون عشرين سنة حتى يضعوا حاكمًا هنا وحاكمًا هناك، ثم يُقيموا اتفاقيات يتعبون عليها عشرين سنة حتى ينشئوها ثم يخرج واحد ويخلط كل شيء بقتل شخصين، وهذا من جمال الإرهاب؛ أن تدع العدو يخطّط ويعمل ويبني ثم تأتي وتقتل شخصين فتنهار كل الأوضاع.

فحتى يعمّروا جسرًا يحتاجون إلى مهندسين وعمال وإنشاءات وأسمنت، فتأتي أنت وتضغط على زر واحد فينهار كل الجسر، **فنريد أن نبيّن أن الإرهاب المشروع الصحيح بأصوله الصحيحة –التي سنشرحها إن شاء الله– يستطيع أن يقضي على هذه الدول –بإذن الله–.**

فالمصيبة الأولى التي حصلت على رأس الصليبيين أنّ حركات الجهاد هدّدت الاستقرار.

أما **الأمر الثاني** فكان مصيبة على رأسنا نحن وليس لنا به علاقة: **وهو اقتراب موعد قيام مملكة إسرائيل الكبرى،** هذا الموعد اقترب وهو حوالي سنة ٢٠٠٠م؛ قيل أنه في سنة ١٩٩٧م وقيل ٢٠٠٠م وقيل ٢٠٠٣م وقيل ٢٠٢٣م يعني هو حول سنة ٢٠٠٠م.

واقتراب موعد قيام إسرائيل قضية ليس لنا بها علاقة، يقتضي قدوم قوات صليبية ويهودية لهدم المسجد الأقصى، اليهود قصارى جيشهم حتى لو جنّدوا كل النساء مع الاحتياط ستمائة ألف. فستمائة ألف لا يستطيعون أن يهدموا المسجد الأقصى ويُعلنوا مملكة إسرائيل من الفرات إلى النيل، فيجب أن يكون إلى جانبهم مئات آلاف من النصارى.

فاقتراب موعد الملاحم التي بشّر بها الرسول ﷺ وحدّث عنها المسيح –عليه السلام– وذُكرت في كتب اليهود وفي آثار أنبياء بني إسرائيل –عليهم السلام– كلها تشير إلى وجود ملاحم بين اليهود والنصارى من طرف، والمسلمين من طرف، في هذا الزمان. فهذا يقتضي وجودًا صليبيًا عسكريًا حقيقيًا جاهزًا.

فيجب أن تفهموا لماذا جاؤوا بهذه الكيفية؛ جاؤوا بسبب اقتراب موعد قيام إسرائيل الكبرى فيجب أن يكون هناك وجود نصراني فجاء الحضور النصراني بمليون جندي، جاؤوا معهم بسلاح لمليون جندي، فتركوا عندنا سلاحًا لمليون جندي ورحل سبعمائة ألف وبقي ثلاثمائة ألف معهم سلاح مليون جندي!

فهم جاهزون في أي لحظة أن يأتوا لك بالسبعمائة ألف بالطيران، لأن السلاح موجود، اشتراه محمد بن زايد واشتراه آل صباح ودفع ثمنه فهد بن عبد العزيز، والمباني موجودة، والطرق والمطارات موجودة، وكل الجو مهَّيأ أن تنزل الحملة متى أرادوا، فهذا السبب كان سببًا أساسيًا لقدوم الصليبيين في الحملة الثالثة.

السبب الثالث مهم جدًّا، السبب الأول كان خاصًا بنا، والسبب الثاني خاصٌ باليهود، أما السبب الثالث فهو خاص بالنصارى؛ **وهو أن النظام الاقتصادي الغربي العالمي دخل في أزمة انهيار**، وهذا يقتضي احتلال منابع الثروة وأهمها النفط والغاز، وهذا يحتاج لشرح.

الوضع الاقتصادي الرأسمالي دخل في أزمة ليس لها حل، ولهذا أُسّست قوات التَّدخل السريع من سنة ١٩٧٠م، وهناك كتاب مهم اسمه (قوات التدخّل السريع) مكتوب سنة ١٩٨٣م تحدّث عن أسباب تشكيل قوات التدخل السريع وأن منها احتلال الجزيرة واحتلال النفط..

وهذا الكتاب تحدّث عنه الشيخ سفر الحوالي في كتاب (كشف الغمة عن علماء الأمة)، وكان المفروض أن يسميه "تنبيه الأمة إلى بلهاء الأمة!"، فذكر أمورًا كثيرة تلفت النظر إلى أن الذي حصل هو احتلال ليس له علاقة بالعراق ولا بالكويت، بل له علاقة بأن الغرب أفلس فيجب أن يحتلّ منابع الطاقة.

أمّا لماذا أفلس الغرب؟

فاسمحوا لي أن أعطيكم محاضرة صغيرة جدًّا في الاقتصاد حتى تفهموا لماذا جاء الغرب..

في ١٨٠٠م حصلت الثورة الصناعية فقام النظام الرأسمالي وسقط النظام الإقطاعي، والنظام الرأسمالي قام على أُسس، فمن هذه الأسس؛ الربا، عمل المرأة، الاقتصاد المفتوح، النظام الاستهلاكي.. إلخ من مقومات السوق وعوامل السحق التجاري، فالربا قال عنه الله -سبحانه وتعالى-: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا}[٢٢٥] فهو نظام محق أصلًا، وعمل المرأة بالإضافة لذهاب الدين وفساد الأخلاق سبّب أزمات اجتماعية، انعكس ذلك على الإنتاج القومي، فأصبح الإنتاج القومي قليلًا.

---

[٢٢٥] سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

ومن أسباب انخفاض الإنتاج القومي تحرُّر دول العالم الثالث؛ فتحرُّر دول العالم الثالث يُقلِّل النَّهب الاستعماري، فإذا قامت حكومة مستقلة في فنزويلا فلن تسمح لأمريكا بنهب بترول فنزويلا كما كان يحصل، فبعد مرحلة الاستقلال بدأت تنخفض موارد العالم الرأسمالي شيئًا فشيئًا.

ومن الناحية الاجتماعية هناك مشاكل كثيرة سأذكر لكم أهم الأشياء؛ إذا كان هناك مجتمع من مائة شخص من المجتمعات العادية؛ فستجد منهم ستين شخصًا غير منتجين من النساء والأولاد، وأربعين شخصًا منتجًا بالزراعة، مجالات الإنتاج الاقتصادي هي المجالات التي تستخرج الموارد والغذاء من الأرض، فيُخرجون معادنَ ويخرجون نباتًا ويخرجون طعامًا.

فالاقتصاد الزراعي الحيواني البدائي اقتصاد متوازن لأن ٥٠% من السكان يعمل وينتج، و٥٠% يأكل ولا ينتج من العجائز والنسوان والأولاد، أمّا في أوروبا فهؤلاء الخمسون بالمائة الذين يعملون ويُنتجون خرج منهم التجار، فالتاجر لا يُنتج بل يشتري بضاعة ويبيعها ويربح. وخرج منها المصوّر، فالمصوِّر لا ينتج، وخرج منها الصحفي والراقصة ومردونا وشرطي السير والذي يصعد للفضاء؛ فكل هؤلاء لا ينتجون.

فنتيجة الحضارة أصبح هناك قطاع ضخم جدًّا من المجتمع الغربي يأكل ولا يُنتج، فصار في أوروبا ١٠% من المجتمع يُنتج و٩٠% يستهلك. ونظام كهذا مهما أنتج سيُفلس. فإذا نظرت في المجتمع الفرنسي تجد نصف الشعب عجائز في دور العجزة، والنساء جالسين، والأولاد عندهم مصحات وحدائق، بينما هنا في أفغانستان الولد عمره ثماني سنين يقود سيارة (ميتسوبيشي) ويعمل وينتج، فـ٩٠% بالمائة من المجتمع منتج.

فلهذا السبب تولّدت عندهم الأزمة، فمن أين سيأكلون؟ أوروبا إذا نظرت للخريطة تجد أنها صغيرة، والإمكانيات الزراعية في جنوبها، يعني إسبانيا وفرنسا وإيطاليا فيها زراعة، أمّا دول الشمال فليس فيها زراعة.

ونتيجة الصناعة فسدت البيئة كما قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}[٢٢٦]، فبسبب نشاط الناس ظهر التلوّث في البر والبحر، وسبَّب هذا انخفاض قدرة الأرض على الإنتاج وظهور الأمراض، وهذا الفساد أحدثه الإنسان، وأحدثته الحضارة الحديثة.

---

[٢٢٦] سورة الروم، الآية: ٤١.

من آخر مشاكل هذا الفساد أنه بسبب كثرة الأبخرة الصناعية بدأ ينزل على أوروبا مطر كيميائي فيه أحماض وكبريت، كله ينزل من السماء مع المطر فيقتل الزَّرع، فأصبح الماء العذب نادرًا في أوروبا، ولذلك أغلب الناس في شمال أوروبا يشربون المياه المعدنية ولا يشربون ماء الأرض الذي فيه تلوث شديد جدًّا.

من هذه البلاوي أنه بسبب كثرت الأبخرة ارتفعت حرارة الكرة الأرضية ست درجات، والكرة الأرضية فيها قطب شمالي وقطب جنوبي مليء بالثلج، جبال من الثلج، فعندما ترتفع درجة الحرارة يذوب هذا الثلج، فتتصاعد الأبخرة والغازات من أوروبا وأمريكا، فتختلط بطبقة الغلاف الجوي المتكوّنة من الأوزون وهو أكسجين ثلاثي..

ولنعطيكم شيئًا من الثقافة العامة على هامش السياسة، الأكسجين الذي نستنشقه نحن هو أكسجين ثنائي (O_2)، يعني ذرتَّان من الأكسجين، وهذا الأكسجين الثنائي إذا ارتبط بالهيدروجين يكون الماء (H_2O) فينزل المطر.

وفي السماء فوق هناك أكسجين ثلاثي، فهذا الأكسجين الثلاثي الأوزون يطوّق الأرض وله عدّة فوائد؛ فمن فضل الله -سبحانه وتعالى- أن أشعة الشمس لما تأتي تنكسر الأشعة الضارّة عنده ومنها الأشعة فوق البنفسجية فلا تدخل إلا بكميات على قدر حاجة الإنسان، ومنها أن الشهب والنيازك عندما تسقط على الأرض تدخل بسرعة فتحترق في هذه الطبقة، فهو غلاف جوي مدافع عن الأرض.

وطبقة الأوزون هذه تنزل مع الفجر إلى سطح الأرض، فأنت عندما تقوم وتلعب رياضة بعد صلاة الفجر وتستيقظ ولا تنام؛ تستنشق الأوزون الثلاثي فتحسُّ أن صدرك انشرح، فهذا بسبب الأكسجين الثلاثي، في حين لما تطلع الشمس يرتفع الأوزون إلى فوق فيبقى عندك الأكسجين الثنائي الطبيعي، مخلوط ببعض الدخان.

فنتيجة الغازات الصناعية انثقبت طبقة الأوزون هذه فوق مناطق الصناعة، فانثقبت فوق أستراليا وفوق أمريكا وفوق أوروبا، فبدأت تدخل الأشعة بكميات كبيرة، فأحدثت أمراضًا جلدية من السَّرطانات والبلاوي والمصائب، وأحدثت فسادًا في الزراعة، ومما أحدثته أنها رفعت درجة حرارة الأرض.

فارتفاع درجة حرارة الأرض سبَّب ذوبان الثلوج في القطب الشمالي والقطب الجنوبي، وذوبان الثلوج يرفع مستوى البحر، وارتفاع مستوى البحر من نتائجه غرق كثير من السواحل والجزر، حتى ترى أضرار وشرور الحضارة الغربية وما تسبّبه لبني الإنسان وللبيئة ولكل شيء.

ففي تقدير العلماء أنه بعد ثلاثين إلى ستين سنة ستغرق معظم الجزر السطحية والمدن الساحلية، فمن المناطق التي توقعوا أن تذهب تحت البحر هولاندا بأكملها، وثلاثة أرباع أستراليا، جزر المالديف، بنجلادش كلها، كل هذه المناطق المنخفضة يتوقَّعون أن تغرق. وأنا قرأت تقارير علمية عديدة عن هذا الموضوع، ولكن خلاف العلماء في الفترة اللازمة لهذا، هل هي ثلاثون سنة أو ستون سنة أو أكثر من هذا، والمهم أنه في مدى القرن الحالي ستغرق كثير من المناطق.

وهناك مصيبة أخرى؛ الكرة الأرضية مستقرّة على الوضع الحالي، فالماء له ثِقل والجبال لها ثِقل؛ {وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا}[٢٢٧]، أرساها فأرست معها توازن الأرض، فإذا ارتفع الماء فسيتغيَّر توزيع هذا الثِّقل. ويصبح هناك ثقل زائد في مناطق، فستضطرب الأرض وتحدث الزلازل!، وستتصدَّع الأرض في بعض المناطق فتخرج البراكين. فسيتغير توازن جيولوجيا الأرض كله في أربعين خمسين ستين سنة.

وقد أخبر النبي ﷺ أنه من علامات الساعة كثرة الزلازل والفيضانات والسيول والكوارث الطبيعية، لا أحفظ نص الحديث بالضبط ولكن فيه كثرة الزلازل وكثرة هذه الظواهر.[٢٢٨]

إذًا ستغرق كل هذه المناطق الساحلية، وكذلك ستغرق دلتا كل الأنهار الساحلية، مثل دلتا مصر كل هذه المناطق تغرق، فستحدث سيول وزلازل وبراكين، وهذا من علامات الساعة، ومن علامات آخر الزمان، وهذا كله بسبب الفساد الصناعي وعدم ضبط الإنتاج. والآن هناك مؤتمرات دولية كثيرة جدًّا لضبط الإنتاج، ولكن الأمريكان لا يُريدون إنقاص إنتاجهم، فمن أول الأمور التي عليهم فعلها أن يقوموا بتعطيل ٩٠% من شركات الطيران لأنها تبثّ الغازات المخرّبة أصلًا في الغلاف الجوي، فعوادم الطائرات تبثّ الغازات التي تثقب الأوزون مباشرة، لأنها تحلّق بقرب طبقة الأوزون على ارتفاع ١٠ كيلو متر من الأرض.

فيجب أن يخفّفوا الصناعة، ويخفّفوا الطيران، ولكن هذه الحضارة المتوحشّة لا يهمها هذا، وذلك بسبب نهم الإنسان الغربي إلى المال، فالحضارة الغربية قامت على الماديّة، ولأنه حسب معتقدات البروتستانت سينزل المسيح في سنة ٢٠٠٠م وتنتهي الأرض، فلهذا لا تهمّهم هذه الأرض.

---

[٢٢٧] سورة النازعات، الآية: ٣٢.

[٢٢٨] أخرج مسلم في صحيح (٢٩٠١) أن النبي ﷺ قال: (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ –فَذَكَرَ– وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ)، وفي سنن ابن ماجه (٤٠٥٩) عن النبي ﷺ: (بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مَسْخٌ، وَخَسْفٌ، وَقَذْفٌ) صحّحه الألباني.

وهناك كتاب مهم اسمه (النبوءة والسياسة) يتحدّث عن عقيدة النصارى البروتستانت في نهاية العالم، فذكره أنه قيل لريغان: "لماذا تقطعون غابات الأمازون وهذا يؤثّر على جو الأرض؟"، فقال: "نحن نعتقد أن الأرض لم يبقَ فيها مائة سنة". فقالوا له: "ماذا سيصير بعد ١٠٠ سنة؟".

فقال: "نعتقد أن الأرض لم يبقَ فيها مائة سنة، سيقتتل اليهود والمسلمون ثم يأتي المسيح فيرفع النصارى إلى السماء حتى ينقرض الكفار فتكون الأرض جنة المسيح وأتباع المسيح".

هذه هي عقائد الأمريكان البروتستانت، فهم جالسون يُتلِفون في الأرض لأنهم يعتقدون أن الأرض اقترب زوالها.

فالشاهد نرجع للموضوع؛ هذا الوضع الاقتصادي في العالم: قلة إنتاج، فساد. وعلى الهامش أذكر نقطة متعلقة بالجيولوجيا؛ في الأرض هناك مناطق ممطرة ومنبتة، وهناك مناطق مُقحِلة، وهناك مناطق متجمّدة.

فالآن نتيجة هذه التحوّلات في الطقس يحصل تغيّر في جيولوجيا الأرض، وهذا الموضوع نشرت عنه مقالة أيام حرب الخليج ولكن من يقرأ؟! وأنا سمعته من أخ رآه في تقرير على التلفزيون البريطاني.

الآن في شرق أمريكا توجد مناطق تُسمى (سهول القمح العظمى)، تنتج كمية هائل من قمح الأرض هنا، فتصدّره إلى روسيا وإلى الدول الفقيرة فتتحكَّم به في حكومات العالم عبره وعبر المؤسسات وصندوق النقد الدولي، فنتيجة القمح يتحكَّمون في الناس.

فالآن سخونة الأرض تسبّب تصحّر هذه المناطق وزحف للصحراء، وأنا رأيت في جنوب إسبانيا كيف جفّت كثير من الأنهار والينابيع وتصحّرت الأرض.

لاحظ جو الأرض، هناك مناطق متجمدة مثل شمال أوروبا وشمال أمريكا، وهناك مناطق ممطرة مثل مناطق الأمازون وغابات أفريقيا، وهناك مناطق صحراوية مثل صحراء أفريقيا وصحراء نيفادا صحراء الربع الخالي وصحراء قندهار وصحراء وسط آسيا وصحراء تركستان، هذا الخط كله صحراء. فهذا التوازن الجيولوجي سيتغيّر بسبب تغيّر حرارة الأرض والفساد الذي ظهر في البر والبحر بما كسبت أيدي أهل الصناعة..

فمن نتائج هذا التغيُّر المدروسة علميًا تصحّر مناطق زراعة القمح الكبرى في الأرض وقيام مناطق جديدة للزراعة، فيجب أن تفهم هذا الكلام حتى تعرف لماذا جاؤوا في حرب الخليج، فلم يأتِ الأمريكان في حرب الخليج من أجل

إنقاذ مُلك آل الصباح، ولا جاؤوا لنصرة الشريعة كما قال ابن باز، **وإنما جاء الأمريكان لأسباب خاصة بهم منها أن النظام العالمي الاقتصادي ينهار فيجب أن يأتوا إلى عندنا.**

فمن الأسباب أن هذا التوازن الجيولوجي سيتغير نتيجة تغير الطقس، فأثبت العلماء أن الصحراء ستزحف إلى مناطق سهول القمح الكبرى، فستتصحّر خلال سنوات ولن يكون فيها قمح؛ سهول أوروبا الجنوبية التي هي مناطق الزراعة وأنا رأيتها بعيني كيف زحفت عليها الصحراء، وستنتقل مناطق زراعة القمح الرئيسية من أوروبا وأمريكا لتكون في صحراء الربع الخالي، وصحراء مصر وليبيا والسودان والصحراء الغربية، فهذه الصحارى ستصير مناطق سهول القمح الكبرى.

فسيكون إنتاج القمح في القرن المقبل هنا، ولهذا قام الأمريكان وأرسلوا مناورات (النجم الساطع) في السودان ومصر، وأقاموا مواقع عسكرية حول حدود مناطق القمح من عشرة سنين، واستقروا في جنوب مصر والسودان. وجاؤوا وأخذوا الجزيرة واستقرّوا في المناطق حول الربع الخالي.

هذا الكلام العلمي المثبَت تحدَّث عنه النبي ﷺ فقال: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا)[٢٢٩]. فالآن كثُرت نسبة الأمطار في السعودية وتزحف هذه المناطق لتكون من أنسب المناطق لزراعة القمح، حتى أنّ الحكومة السعودية تشجّع الناس على الزراعة وتقترب من التوازن للتصدير.

الأمر الآخر أن هناك مياهًا جوفية تحت الأرض تمتلئ وترتفع وتمتلئ وترتفع، فهي تسير لأن تصبح أنهارًا، فهناك عدد من السيول والوديان القديمة منها (وادي العقيق) في المدينة، وهو وادٍ قديم جدًا كان يجري في زمن الرسول ﷺ، وقبله كان هناك نهر عظيم جدًّا من حدود الأردن يجري للمدينة ويصب في الكويت، نهر كبير قديم قبل البعثة، وهو مما حدّث عنه الرسول ﷺ أنه سيعود، فقال حتى تعود أرض العرب كما كانت جنات وأنهارًا. هذا النهر اكتُشف عبر القمر الصناعي أن مياهه الجوفيّة أصبحت قريبة جدًا من سطح الأرض، فهذا من علامات اقتراب تحقُّق الحديث.

فالشاهد علامات الساعة توافقها كل التقارير العلمية، وتوافقها كل التقارير السياسية، ومن ذلك أنه سيحدث قحط في أمريكا وأوروبا وتتركّز المياه في مناطق المسلمين. فهذا من أسباب حرب الخليج، ولكن من الأسباب الأساسية:

---

[٢٢٩] مسند الإمام أحمد (٨٨٣٣)، قال الذهبي: "على شرط مسلم".

انهيار بنيان الاقتصاد الغربي. وطبعًا أنا ذكرت لكم سببًا أساسيًا وهو ضعف الإنتاج في الحضارة الغربية، فالناس كلها في الرفاهية، فزاد القطاع الاستهلاكي ونقص القطاع الإنتاجي.

الأمر الآخر: قلة موارد الاستعمار، لأن الناس استقلّت فقلّت الموارد.

الأمر الثالث: نظام المحق الرِّبوي والفساد الاجتماعي أثّر على الإنتاج؛ فكل هذه العوامل جعلت العجلة الاقتصادية للنظام الغربي تتباطأ، فكلّما حدثت دورة من الإنتاج زاد الاستهلاك ونقص الإنتاج، فهم كانوا يكملون هذا الجزء بموارد الاستعمار..

بريطانيا هذه الجزيرة الصغيرة في الخريطة كان يأتيها سيل من الذهب من مستعمراتها؛ من الهند وأستراليا وأمريكا، فحصيلة ملايين البشر بل مئات ملايين البشر تصبُّ لصالح عدد سكان بريطانيا الستين مليونًا.

فرنسا فيها خمسون مليونًا يأتيهم كل حصيلة ذهب إفريقيا، عندما سقط الرئيس السابق للكونغو الجنرال (موبوتو) وجدوا أنه كان قد أخذ على مدى ثلاثين سنة ٤٥% من واردات الكونغو لوحده!، ووضعها كلها في بنوك أوروبا وخاصة فرنسا، والكونغو من أبسط ما تنتجه الألماس والذهب والنحاس، فهذا الكلام يعني أن كل إنتاج الكونغو يذهب لفرنسا، وكذلك كل إنتاج أفريقيا السوداء أغنى قارة في الأرض يذهب لفرنسا ولسكانها الخمسين مليونًا.

وكذلك البترول والنفط ومليار دولار من بترول آل سعود وآل مكتوم كله يذهب لأمريكا لـ ٢٠٠ مليون أمريكي. أمريكا شربت العالم، شقَّت الأرض على مدى هذه السنوات.

فبهذه الواردات يتعجّل احتراق الموارد في الحضارة الغربية؛ فكلما زاد المال يزيد المحق ويقل الإنتاج، فصار كل هذا يحتاج إلى موارد إضافية حتى يحافظوا على نفس المستوى من الدخل القومي، ثم قلّت موارد الاستعمار فأصبحت هناك أجزاء فارغة في عجلة الاقتصاد الغربي، فمن أين سيكملونها؟ صاروا مضطرين أن ينهبوا ويستعمروا، وعلى رأس موارد النَّهب تأتي قضية البترول.

فهذا السَّبب جعلهم يأتون ويقرّرون من سنة ١٩٧٣م احتلال منابع النفط؛ ليس من أجل العراق ولا من أجل الكويت ولا غيره، فقالوا عندنا سيناريوهين حتى نحتل منابع النفط، إمّا أن نختلق تهديدًا إيرانيًا يقنع أهل الخليج بأن يستدعونا، وإما أن نختلق تهديدًا عراقيًا يُقنعهم أن يأتوا بنا، فوقع الخيار في النهاية على التهديد العراقي، فافتعلوا الأزمة وجاؤوا.

فهم يجب أن يأتوا وتعود عملية النهب كما كانت حتى يقوم الاستعمار على أساسها، ولكن غفل المستعمرون عن قضيتين اثنتين:

النقطة الأولى: أنَّ أجدادهم المستعمرون الأوائل الذين جاؤونا في الحملة الصليبية الأولى والثانية كانوا محاربين وكانوا رجالًا وكانوا فرسانًا، فكانوا حضارة عسكرية فيها قوة وقدرة على الغزو، في حين حضارتهم الحالية ليست عسكرية بل هي (شلة حشَّاشين)، فاجتماعيًا الحضارة الحالية ليست حضارة قادرة على الحروب.

لذلك هم يحاولون أن يغطّوا هذا النقص بباقي الجنس البشري، فليس لديهم أعداد كافية من الجنود، ولذلك هدموا جدار برلين ووحّدوا ألمانيا وأدخلوا شعوب أوروبا الشرقية في (الناتو) حتى يصير عندهم عساكر، فأدخلوا ثلاثمائة مليون نسمة في الناتو، وراحوا يشكّلون جيوشًا محلية؛ الجيش الأفريقي للسلام من الأفارقة، جيش الأمم المتحدة وأكثره من بنغلاديش وباكستان، فبدأوا يجمعون الناس من أجل عملية استعمار جديدة.

الأمر الثاني الذي لم يحسبوا له حسابًا: هو أن الوعي الإسلامي بسبب حركات الجهاد أصبح مرتفعًا في مناطق العالم الإسلامي وانتهت حالة الموات، وتوجد الآن حالة من النهضة الجهادية.

فأرجع لأصل البحث، الآن نترك الاقتصاد والثقافة والكيمياء والبحار ونرجع لأسباب قدوم الحملة الصليبية الثالثة، **أسباب قدوم الحملة الصليبية ثلاثة أسباب:** سبب من عندنا، وسبب من عند اليهود، وسبب من عند النصارى.

- **السبب الذي من عندنا: أن حركات الجهاد هدّدت المرتدّين.**
- **السبب الذي من عند اليهود: هو اقتراب قيام إسرائيل فيقتضي هذا وجود جنود نصارى.**
- **السبب النصراني: هو انهيار النظام الاقتصادي العالمي فيقتضي هذا احتلال الموارد ومنابع النفط.**

فلم تمرَّ عشرون سنة على نهاية الحملة الصليبية الثانية في سنة ١٩٧٠م حتى جاءت الحملة الصليبية الثالثة سنة ١٩٩٠م.

معادلات الصراع في الحملات الصليبية الثالثة:

وهنا يا شباب افتحوا أدمغتكم جيدًا، وأرجو من بعض المشايخ وطلبة العلم الذين تحمَّلوا أن يسمعوا هذه الأشرطة إلى مستوى الشريط العاشر أو التاسع الذي نحن فيه أن يفتحوا مخّهم ليسمعوا هذا الكلام جيدًا..

معادلة الصراع في الحملة الصليبية الأخيرة أصبحت كالتالي:

أمة اليهود + أمة الصليب + حكام مرتدين وأعوانهم + طائفة المنافقين من العلماء والفاسدين من أبناء الصحوة الإسلامية × المجاهدين أفرادًا وجماعات = خرجت الأمة من المعركة، فسدت الصحوة أو كادت ودخلت في النظام الدولي، انهزم المجاهدون وحُصروا وطُوردوا..

شوارزكوف كتب في مذكراته: "اكتشفت في آخر الحرب أنَّنا نقاتل لصالح إسرائيل"، فلم تقم كل هذه الحملة إلا من أجل إسرائيل، فأصبحت إسرائيل تتحكَّم في الأمم المتحدة، وتتحكَّم في البنوك، وتتحكَّم في الحكومات، وتتحكَّم الكرة الأرضية، فأصبحت هي التي تقود الحملة. وأصبحت الحملة الصليبية حملة صليبية بقيادة اليهود..

*[٢٣٠] فهذا الكلام مهمّ جدًا لفهم نظرية المواجهة التي نطرحها للتيار الجهادي حتى يتبّاها في المواجهة، فمعادلة فلسفة الصراع ومعادلة المواجهة في الحملات الصليبية الثالثة المعلنة عام ١٩٩٠م؛ أصبح أطرافها كالتالي:

- أمة اليهود تقود الحملات وتشترك فيها عسكريًا.
- بالإضافة لأمة الصليب تمثّل الجسد الأساسي العسكري للحملات وتأتمر بأمر اليهود وقيادات النصارى.
- بالإضافة لأمّة المرتدين الذين شاركوا بجيوشهم في المعارك عمليًا.
- ولكن ظهرت طائفة جديدة، هي طائفة المنافقين..

في المعادلة السابقة ظهرت طائفة المرتدين التي أخرجت الأمة من المواجهة فبقيت الصَّحوة، وهنا ظهرت (طائفة المنافقين) الذين حكموا على المرتدين بأنهم مؤمنون، وحكموا على اليهود والنصارى بأنهم أصدقاء مستأمنون، وحكوا على من جاهدهم بأنهم خوارج وبغاة وتكفيريون ومفسدون..

---

[٢٣٠] بداية تفريغ الملف التاسع عشر.

فظهور هذه الفئة أخرج الصحوة من المواجهة، فلم يبقَ في المواجهة إلّا تيار وجماعات وأفراد الجهاد المسلَّح، فانخفضت المواجهة من آلاف إلى مئات الأشخاص.

فهمتم المصيبة التي حصلت؟!

دخل مليون جندي للجزيرة لم يُضربوا حتى بحذاء!، ولا أريد أن أذكر لكم كيف رحّبوا بهم ترحيبًا، وهنا أشياء مخزية لا نريد ذكرها ولكن ذكر المؤرّخون أسوأ منها في حالات سابقة، انتشرت الدعارة وانتشر التبشير وانتشر التنصير..

وخرج الكويتيون يذبحون الفلسطينيين لأنهم وقفوا مع صدام حسين، فهتكوا أعراضهم وشرّدوا رجالهم وقطعوا أرزاقهم، وخرجت بعض بنات الكويت ليستقبلوا القوات الأمريكية وهم يرفعون العلم الأمريكي على رؤوسهم، ومعهم أوراق ليوقّع عليها الجندي الأمريكي، فبعض الفتيات لم يجدن دفترًا ليوقعوا لهم عليه، فخلعت ثيابها حتى يوقع لها على صدرها!.

هذا أمر يستحي الإنسان أن يقوله ولكنه حصل، رحَّبت الأمّة بالجنود المحتلّين ترحيبًا شديدًا، ولم يقاوم أحد، والآن الاحتلال له عشرة سنوات، وأنا أتحدث بكلام خطير صريح، يمكن أن يُضرب عنق الإنسان بهذا الكلام ولكن هذا الكلام حصل.

الآن مرَّت عشرة سنوات (١٩٩٠-١٩٩٩)م من الاحتلال؛ فما هي حصيلة خسائر الأمريكان فيها؟

انفجار الرياض كان فيه ٤ قتلى، انفجار الخُبر ١٩ قتيلًا، يعني ٢٣ قتيلًا أمريكيًا خلال عشرة سنوات!، وهم يربحون من الجزيرة في اليوم الواحد مليار دولار، فهل سمعتم أن دولة محتلة تأخذ مليار دولار في اليوم، يعني في السنة ٣٦٠ مليار دولار، وفي العشر سنوات ثلاث آلاف وستمائة مليار دولار، ولا تُقدِّم ٢٣ قتيلًا؟!

أصلًا حوادث السير في إسبانيا كل ليلة سبت وأحد من السكارى ١٠٠-١٨٠ قتيل، وفي أمريكا اضربها بعشرة، يعني حوالي ألف قتيل في الأسبوع من حوادث السير، وهناك ثلاثة آلاف قتيل للجرائم، فلا يوجد دولة لا تدفع ٢٣ قتيلًا من أجل ثلاث آلاف وستمائة مليار دولار!

فليس هناك مقاومة أصلًا، كل الذين قاموا في الأمة هم أربعة من تلاميذ الشيخ أبي محمد المقدسي -جزاهم الله خيرًا-، ثم اعتبروهم بغاة خوارج مفسدين في الأرض.

وليس هذا في علماء الجزيرة فقط، بل الهيكل الديني لأهل السنة كله ذهب إلى (مؤتمر مكة) وأجاز احتلال الجزيرة واحتلال الحرمين؛ شيوخ الأزهر، هيئة كبار العلماء، مفتي مصر، مفتي تونس، مفتي اليمن، مفتي الهند، أبو الحسن الندوي، قيادات الصحوة، قيادات الإخوان المسلمين، أربكان، قيادات الجماعة الإسلامية في باكستان، قيادات الإخوان المسلمين في سوريا، الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، كل الصحوة، وكل الهيكل الديني للمسلمين..

الشيخ عبد الفتاح أبو غدة –غفر الله له فقد توفي– أصدر بيانًا وأخرج فتوى يقول فيها: "من حق حكومة السعودية التي تمثّل دولة التوحيد الوحيدة في العالم أن تستنصر بالدول النصرانية الصديقة لتدفع عن نفسها، فهذه حالة استنصار مشروع".

فوجدوا أنه يمكن أن يقاوم بعض الناس، فخرج علماء الجزيرة ليقولوا أن الذين سيقاومون هم مفسدون في الأرض، وخرجت فتوى (هيئة كبار العلماء)، وفتوى الطنطاوي والأزهر..

وخرج السديس في الحرم وظهره إلى الكعبة بعد انفجار الخبر ليقول: "يجب على العالم أن يتّحد ليجفّف مصادر تمويل الإرهاب" وتحوّل إلى منظّر مكافحة إرهاب وهو إلى جدار الكعبة!. هذا هو الشيخ الذي توجد أشرطة تلاوته للقرآن في كل الدنيا!

وخرج عبد الله نصيف يقول: "يقولون أن الجيش الأمريكي يحتل الحرم وأقرب جندي أمريكي للحرم على بعد ألفين كيلومتر"، وهذا الرجل من قيادات الحركة الإسلامية، وهو كذّاب فأقرب جندي أمريكي هو بجدة في البحر يقصفنا بالكروز في أفغانستان.

فالكلام كثير جدًا سأفصله في بحث العلماء..

عندما دخلت طائفة المنافقين أقنعت الصحوة الإسلامية أن تخرج من المواجهة وتنضم للعدو؛ فالصحوة الإسلامية التي كانت تقف نيابة عن الأمة خلال ثلاثين سنة في وجه المرتدين واليهود والصليبيين من ورائهم، الصحوة من الإخوان المسلمين، حركة النهضة، الإنقاذ، الغزالي، الجماعة الإسلامية في باكستان؛ الآن أين تقف؟!

تقف الآن في البرلمان، وجزء كبير منها يقف في الحكومة، والبرلمان هو ليس من مؤسّسات الإسلام وليس من مؤسسات الصحوة بل هو من مؤسسات المرتدين، وأنا لا أحكم بالكفر على من دخل البرلمان من المسلمين، وهذه

القضية فيها تأوّل كبير، وتختلف من شخص لشخص ومن دولة لدولة، والآن ليس معرض الدراسة الشرعية لمن دخل في البرلمان أو لمن وقف من العلماء مع الحكومة، فليس هنا معرض الحكم الشرعي بل هو **معرض التَّوصيف**.

علماء أهل السنة قاطبة وقفوا مع الحملات الصليبية الثالثة في حرب الخليج إلى جانب المرتدين والنصارى واليهود، وقالوا أن من يقف ضدهم مفسد في الأرض، فماذا تريد تعبيرًا أفصح من هذا؟!

هذا أمر نردّ به على كل من يقول أن هذا اعتداء على العلماء، ولحوم العلماء مسمومة، فنقول له: أحد تلاميذ ابن عثيمين عميد جامعة الإمام يقول بعد انفجار الخبر: "اللهم اشفِ جرحى الأمريكان ولا تؤخذنا بما فعل السفهاء منا". فهل هذه الفتوى هي مع أمة الإسلام أم مع أمة الصليب؟ بل هي مع أمة الصليب.

وخرج طنطاوي يقول: "هؤلاء الذين يقومون بانفجارات في فلسطين ليسوا شهداء، وهذا انتحار."، فهل هذه الفتوى لصالح أمة الإسلام أم لصالح أمة الصليب؟

وخرج البوطي يقول: هؤلاء الذي يخرجوا بالسلاح على المرتدين –الذين أسماهم مؤمنين– حكمهم معروف في الشريعة؛ ليسوا بغاة وليسوا شهداء، بل هؤلاء مفسدون في الأرض حكمهم في الشرع {أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ}[٢٣١].

والشواهد كثيرة جدًا، وإن شاء الله نُفرد بحثًا لهؤلاء الذين يُسمَّون علماء ويسمّون صحوة إسلاميّة.

فطائفة المنافقين غلّوا أيدي الأمّة عن الجهاد في سبيل الله، فكيف سيجاهد رجل يقول له المفتي الأعظم لن تروح رائحة الجنة وفي الدنيا ستُقطَّع يدك ورجلك أو تقتل؟! فلن يجاهد أحد..

هذا هو التفسير المنطقي لأنّ هذا الرجل أسامة بن لادن –الذي نحسبه على خير– نادى للجهاد في الجزيرة من أربع سنوات فلم يتبعه أحد من أهل الجزيرة إلّا عدد قليل..!

لماذا؟ هل لأن شباب الأمة فاسدون وعاطلون؟ ليس صحيحًا؛ بل لأن هؤلاء الشباب غُلَّت أيديهم بالفتوى، كما قال تعالى: {فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ}[٢٣٢] فخرج السحرة وقالوا: هذا ليس جهادًا.

---

[٢٣١] سورة المائدة، الآية: ٣٣.

[٢٣٢] سورة الشعراء، الآيات: (٣٨–٤٠).

فمن المعادلة الأولى للثانية خرجت الأمة فبقيت الصحوة، ثم من المعادلة الثانية للثالثة خرجت الصحوة من المعادلة فبقي المجاهدون، فصاروا سبعة أنفار من تونس وتسعة من المغرب وهكذا..

١٥ سنة ونحن نقاتل النصيرية في سوريا فلم يتجاوز عدد المجاهدين ألف شخص من ١٤ مليونًا، وتنظيم الجهاد وتنظيم الجماعة الإسلامية بمجموعهما خلال ثلاثين سنة من الجهاد وستين سنة من الدعوة في مصر لم يتجاوز عددهم بضع آلاف من ستين مليونًا!.

في الأردن ما بين فلسطيني إلى أردني لم يتجاوز عدد الذي جاهدوا في الأردن ٢٥ شخصًا، تونس فيها ١٦ مليون لم يتجاوز عدد من خرج منها ٢٠ شخصًا، المغرب فيها أكثر من عشرين مليون ولم يخرج فيها ٢٠ شخصًا.

في الجزائر عندما قام جهاد مثل الشمس على حكومة ذبّحت الصحوة وقادتها، فخرج بضع مئات، فكل أئمة علماء المسلمين والصحوة ندّدت فيهم حتى جرّتهم المخابرات للتكفير ثم قضوا عليهم..

فيجب أن نفهم هذه المعادلة السياسية لهذا الجهاد الأخير لأنّه من هنا نبدأ بالتصحيح، لا يمكن لنا أن ننتصر في الصراع إلّا بردّ المعادلة إلى أساسها: (أمة ضد أمة)، وليس عشرون واحدًا ضد أمم.

وهذا الأمر يقتضي تحويلًا في طريقة التفكير، وتحويلًا في طريقة الدعوة، وتحويلًا في طريقة الإعلام، وتحويلًا في طريقة الحركة، وتحويلات كثيرة هي لبّ البحث، ولم يكن يمكن أن تقبلوا مني هذا الطرح دون هذا الكلام الذي سبق.

إذا لم تتّفق معي أن طائفة المنافقين هم في جهة الأعداء فلن نتفق على طريقة المواجهة. وأنا أقول (منافقين) لأن العمل نفاق بغض النظر هل بلغ نفاق اعتقاد أم ما زال في مرحلة نفاق العمل، فندع هذا لتبحث فيه المحاكم الشرعية، فهو حكم على العمل بالنفاق وليس حكمًا بالكفر على أئمة الصحوة والعلماء، فليس هذا بالضرورة، ولكن العمل هو لصالح الأعداء.

فأصبحت المعادلة:

أمة اليهود + أمة الصليب + حكام مرتدين وأعوانهم + طائفة المنافقين من العلماء والفاسدين من أبناء الصحوة الإسلامية × المجاهدين أفرادًا وجماعات

وهناك منافق عامد وهناك منافق جاهل، ولكن العمل نفاق، فأنا لا يمكن أن أسمّي فتوى الألباني بأن ينزل المسلَّحون المجاهدون الجزائريون من الجبال ويدخلوا في قانون (الوئام الوطني) ويستسلموا تحت حكومة مرتدة ذبحتهم عن آخرهم،

ثم يقول عن الجزائر وغير الجزائر: "الخروج على الحكّام هو في حقيقته خروج عن الإسلام"؛ لا يمكن أن أسمّي هذا إلّا أنه فتوى نفاق، ولكن هذا النفاق يغلب على الظن أنه نفاق جاهل..

ولا يمكن أن أسمّي قول من قال: "اللهم اشفِ جرحى الأمريكان ولا تؤخذنا بما فعل السفهاء منها"، هو يتكلم عن خيرة الأمة في هذا البلد إلا نفاقًا، وهو نفاق عالم متعمّد قتله الرياء.

وبدون تسمية الأمور بمسمياتها لا يمكن أن نتحرَّك، فمن أول أعمال إبليس تغيير المسميّات، قال الرسول ﷺ: (يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا)[٢٣٣]، يسمّونها المشروبات الروحية.

والآيات والأحاديث التي تحدثت عن الربا غاية في شدّة الألفاظ، قال تعالى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا}[٢٣٤]، وقال الرسول ﷺ: (دِرْهَمٌ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ، أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً)[٢٣٥]. ومع هذا أسموا الربا (فائدة) فغيّروا اسمه.

إبليس أراد أن يدلّ آدم على المعصية فقال له: {يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى}[٢٣٦]. فجاؤوا الآن وسمّوا الجهاد (إرهابًا)، وجاء العلماء ليقولوا عن الخروج على المرتدين وجهادهم: (لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا)، فهؤلاء هم الذين تتنزَّل عليهم الشياطين كما قال تعالى: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ}.[٢٣٧]

الشاهد في الموضوع أصبحت أمة اليهود تقود أمة الصليب ينصرهم المرتدون وينصرهم المنافقون ضد جماعات الجهاد المسلحة، فكانت النتيجة أن وصل الجهاد إلى قعر الأزمة في سنة ١٩٩٩م.

أمة اليهود تقودها إسرائيل ثم الصهيونية العالمية ثم صهاينة النصارى البروتستانت في أمريكا، فميزانيتهم بالمليارات وأعدادهم بمئات الآلاف.

أمّا أمّة الصليب (الروم) فتقودها أمريكا ثم بريطانيا ثم فرنسا، هؤلاء هم الذي جاؤوا في حرب الخليج ويشكّلون ٧٠% من عدد القوات، ٥٠% من أمريكا لوحدها، و٢٠% بريطانيا وفرنسا، والباقي من بقية الدول. ووراء أمريكا وبريطانيا وفرنسا يأتي (حلف الناتو) أي دول أوروبا الغربية؛ يعني إيطاليا وألمانيا وإسبانيا وبلجيكا روسيا وغيرها.

[٢٣٣] سنن النسائي (٥٦٥٨)، سنن أبي داود (٣٦٨٨). صححه الألباني وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: "صحيح لغيره".

[٢٣٤] سورة البقرة الآية ٢٦٧.

[٢٣٥] مسند الإمام أحمد (٢١٩٥٧)، قال الألباني في (مشكاة المصابيح) (٢٨٢٥): صحيح.

[٢٣٦] سورة طه، الآية: ١٢٠.

[٢٣٧] سورة الشعراء، الآية: ٢٢١.

أما المرتدون فيشملون كل حكام بلاد الإسلام باستثناء مناطق الطالبان التي تُحكم بالشريعة -نسأل الله أن يثبتهم-، وعلى من يردّ هذا الكلام أن يُخرج لنا دليله، باستثناء هذا ليس على وجه الأرض إلا حاكم كافر مرتد يحكم بغير ما أنزل الله، والذي يقول غير هذا عليه أن يأتي بالدليل.

أمّا من ناحية الأهميّة العسكريّة فيأتي على رأس هذه الدول السعودية؛ لأنها لم تترك عدوًا من أعداء الله إلّا دفعت له أموالًا؛ دفعت السعودية للحكومة الجزائرية في مرحلة الجهاد الجزائري أربعة ملايين دولار من أجل تحديث أجهزة الأمن في الجزائر، ودفعت ٤ مليار دولار لروسيا في قمّة حرب كابول، ودفعت لحافظ الأسد في قمة اشتعال الجهاد في الشام، ودفعت حتى لـ(ماركوس)[٢٣٨] لقتال المسلمين في الفلبين.

السعودية تموّل حرب الإسلام والمسلمين بأمر أمريكا من ثلاثين سنة وحتى الآن.

ثم تأتي الدول حسب أهميتها؛ مصر، تونس، الباكستان، ولعل حكومة الباكستان أهم من مصر وتونس في حرب الإسلام والمسلمين، -وهذا له تفصيل إن شاء الله-. ثم تتابع الدول بحسب أهميتها؛ ليبيا، المغرب، الجزائر.. إلخ. فهؤلاء المرتدون مشاركون في الحملة.

أما المنافقين فيأتي على رأس أئمة النفاق (هيئة كبار العلماء) في السعودية، هؤلاء رأس النفاق في العالم الإسلامي، وخطورتهم تأتي من حيث أن منافق سوريا خطره في سوريا، ومنافق مصر خطره في مصر، ومنافق المغرب خطره في المغرب، ومنافق تونس خطره في تونس، ومنافق اليمن خطره في اليمن..

أما منافق الجزيرة فلأنّه يقود مذهب السلف زورًا وبهتانًا، ولأن الحركة الجهادية طُبعت بمذهب السَّلفية في غالبها فأصبح هؤلاء أئمة مقدَّسون لا يُردّ لهم كلام، أصبح أحدهم إذا ذكرت له أي حاكم قال: كافر منافق، فإذا ذكرت له حاكم السعودية يسكت ولا يستطيع أن يقول شيئًا.

ففتاواهم على مستوى العالم الإسلامي، وأصبح للمسلمين (بابا) مثل النصارى اسمه عبد العزيز بن باز، فتجد كل الصحف السعودية تقول: (إمام المسلمين)، (أكبر مرجع ديني في العالم)، (سماحة الإمام الوالد)؛ والد لمن؟ ووالد ماذا؟ والد هذه الفتاوى الضَّالة التي باعت القدس وأدخلت الأمريكان لجزيرة العرب؟ ذهب الآن وأفضى لما قدّم ولذلك لا نطيل الكلام حوله، ودعنا مع ابن عثيمين وفتاويه.

---

[٢٣٨] الرئيس الأسبق للفلبين.

فهذه الهيئة نكبت الأمة نكبة لا يعمل بها إلا الله –سبحانه وتعالى–.

ثم يأتي بعدها من حيث الأهمية علماء الأزهر، ثم يأتي بعدهم علماء الشام، ثم العلماء المنافقون من كل حدب وصوب، وخلاصة مذهبهم أن المرتدين مؤمنون، واليهود والنصارى مستأمنون، ومن جاهدهم فهم خوارج بغاة مفسدون في الأرض.

فهل نحن تكفيريون!؟ مرّة قال لي أحدهم أن فكر الجهاد قام على التكفير، فقلت له تعال نتحاسب بالرياضيات بالورقة والقلم.

نحن نكفّر كل رؤساء الدول الإسلامية وهم ٥٣ رئيسًا، ونكفّر كل وزرائهم؛ يعني حوالي ٢٠ وزير× ٥٣ دولة أي حوالي ألف وزير، ونكفّر معهم كم واحد من المشرّعين في كل بلد، فهؤلاء عندنا كفار أعيان فقط. ثم بعد ذلك جنود يقاتلون على الكفر، سواء كانوا مسلمين أو جاهلين أو مكرهين أو كافرين.

هذه هي العقيدة الأساسية للتيار الجهادي كله، يعني الواحد منّا يكفّر حولي ١٢٥٠ بني آدم من أمة فيها مليار مسلم، فيا جماعة استكثرتم علينا أن نُكفّر من أمة فيها مليار مسلم ألف شخص، والبارحة الشيخ الألباني قال: "كل الذين خرجوا على الحكام بالسلاح خرجوا من الإسلام"، يعني كفّر له حوالي عشرة آلاف شخص!، فنحن كفَّرنا ألف شخص هم عتاولة مرتدون يقاتلون إلى جانب اليهود والنصارى، وأصلًا لو تأتي للمليار مسلم فالله وحده يعلم كم كافر فيهم.

وهل نحن مفسدون في الأرض لأنّنا نقاتل أمريكا!؟

ولماذا نحن خوارج وعلى من خرجنا؟! الخوارج خرجوا على علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– فخرجوا على إمام شرعي، والخوارج قال فيهم النبي ﷺ: (يتركون أهل الأوثان ويقتلون أهل القرآن)[٢٣٩]، فهؤلاء تركوا أهل القرآن ويحاربون اليهود والنصارى وأهل الأوثان..

يحاربون حزب البعث الذي قال قائله: "آمنت بالبعث ربًا لا شريك له"، ويحاربون وثنية السعودية.

فخلاصة الموضوع الذي يجب أن تفهموه أن هذه الدعاوى أخرجت الأمة ثم أخرجت الصحوة من المواجهة، فأصبحت الصحوة في البرلمان، وإذا نريد أن نتحدث عن نكبات الصحوة فسنحتاج (كورسًا) لوحده، وآخر هذا: قبل

[٢٣٩] صحيح البخاري (٣٣٤)، صحيح مسلم (١٠٦٤).

ثلاثة أيام أخرج الإخوان المسلمون بيانًا يشجبون فيه "الاعتداء على سيادة الرئيس حسني مبارك"! وذلك عندما حاول واحد من عوام الأمّة اغتيال حسني مبارك.

فقبل أن يطلب أحد رأيهم أخرجوا بيانًا يستنكرون فيه محاولة اغتيال حسني مبارك، وحسني مبارك قتل على الأقل عشرة آلاف شخص في مصر، ونصر اليهود والنصارى والكفر، ووضع في السجون ٦٠ ألف سجين بعضهم انتُهكت أعراضهم وأعراض أهاليهم، ثم خرج أحد الصالحين وحاول اغتياله، فأخرج المرشد الأعلى للإخوان المسلمين بيان شجبٍ ينصرون فيه هذا المجرم ويشجبون فيه هذا المجاهد الذي حاول اغتياله!

وعندما حاول الإخوة في أديس أبابا اغتيال حسني مبارك جاؤوا بالشيخ محمد الغزالي والشعراوي وشيخ الأزهر وبابا الأقباط، جاء الأربعة ليهنّئوا حسني مبارك بنجاته، فصار شيوخ المسلمين مثل شيوخ الأقباط!

والغزالي هذا هلك ولقي ربه وهو في كرسي حفل الجنادرية في الرياض!، في حفلة خطابات ثقافية ضمن الجنادرية، والتي كان يرعاها من ضمن من يرعاها هيلاري كلينتون، فمات في رعاية هيلاري كلينتون.

فالشاهد جاء هؤلاء الأربعة على شاشات التلفزيون وبالفيديو فكان ممّا قال الشعراوي: "يا سيادة الرئيس كيف كنّا سنفهم قول الله تعالى: {وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}[٢٤٠]، لولا أن أخزى هؤلاء الماكرين وردّ كيدهم في نحرهم وأنجاك"، وعرضوا صور الإخوة وهم مجندلون بالدماء!!.

فهل هذا هو دور علماء أهل السنة وقادة الصحوة؟!

وجاء الغزالي وقال مثل هذا الكلام، وجاء شيخ الأزهر وقال مثل هذا الكلام، ثم وقف بابا الأقباط ليلقي علينا خطبة التوحيد!، فقال: "يا سيادة الرئيس لقد كانت آلة الموت في أيدي الناس وكان قدر الحياة في يد الله، فغلب ما في يد الله ما في يد الناس".

والكاميرا مسلّطة الشعراوي يهزّ رأسه هكذا يؤمّن على كلام البابا، ومعهم مائة من علماء الأزهر بالعمائم البيض ومائة من علماء النصارى بالعمائم السود والصلبان، مختلطون ببعض..

هذا وضع العلماء الذين قال فيهم ﷺ: (صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَ النَّاسُ: السُّلْطَانُ،

[٢٤٠] سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

وَالْعُلَمَاءُ)[٢٤١].

فهذا الوضع جعل الذين في مواجهة الحملات الصليبية هم مجرّد عشرات، فحُسمت هذه الجولة من المعركة لصالح الأعداء، فكان عنوان هذه الفقرة من البحث (فلسفة الصراع ومعادلاته)، وحديث النبي ﷺ: (وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ أَصْحَابُ بَحْرٍ وَصَخْرٍ كُلَّمَا ذَهَبَ قَرْنٌ خَلَفَ قَرْنٌ مَكَانَهُ ، هَيْهَاتَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ هُمْ أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ)[٢٤٢].

فآلت القضية في صورتها النهائية إلى ما كانت عليه أيام الرسول ﷺ؛ كان أعداؤه اليهود والنصارى والمرتدون والمشركون والمنافقون، ورجع في مواجهتهم أهل الجهاد.

وأرجع وأؤكّد تأكيدًا شديدًا جدًا، **لا تعتقدوا أن هذا حكم بالتكفير على العلماء وأقطاب الصحوة، بل أعتقد أن أكثرهم ليسوا كفرة.** ولو كنت أعتقد بكفرهم لصرّحت بهذا، فلا يهمويي لا هم ولا غيرهم، فأصلًا أمة الصليب و(CIA) واليهود و(الموساد) تخوّف أكثر من شلّة هؤلاء المشائخ.

فلست خائفًا من أحد، ولكن حقيقةً أنا غير مقتنع أنهم كفرة، ففي زمن القهر قد يظنّ جزء من المسلمين لإخلاصه أنّه ليس هناك ملجأ إلّا أن يذهب للبرلمان ليدعو ويفعل ما يستطيع، فهو مخطئ عاصٍ يظن أنه يطيع الله تعالى بما حرّم، فنتيجة حالة التأويل هذه لا أعتقد أن هؤلاء كفرة، ولكن أعمالهم كلها نفاق في نحر الإسلام والمسلمين والمجاهدين.

فأنا لا أعتقد أن عباس مدني كافر –حاشا لله–، ولا أعتقد أن علي بلحاج كافر –حاشا لله–، ولا أعتقد أن صلاح أبو إسماعيل –رحمه الله– كان كافرًا، ولا أعتقد أن الندوي الذي جاء وأفتى باحتلال الجزيرة كافر، ولا أعتقد أن عبد الفتاح أبو غدة كافر، ولا أعتقد أن ابن باز كافر، ولا أعتقد أن ابن عثيمين كافر.

لا أعتقد بهذا، بل أعلم من قرائن الإيمان ومن حالهم أنهم مؤمنون، ولو اعتقدت هذا لسمعتموه، ولكن هذا العمل نفاق، وهذه الأعمال هي نحر للمسلمين، وعلينا –كما سأذكر لكم في النظرية– أن نواجه حلفًا متكوّنًا من أربعة أطراف؛ اليهود يحاربوننا بالسلاح فنحاربهم بالسلاح، و(الناتو) يحاربنا بالسلاح فنحاربه بالسلاح، والمرتدون يحاربوننا

---

[٢٤١] انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١١٠٨).
[٢٤٢] مسند ابن أبي شيبة (١٩٣٤٢).

بالسلاح فنحاربهم بالسلاح، فهذا الثالوث نحاربه بالسلاح وهذا -كما أسماه ابن تيمية- **(جهاد السِّنان)**، فقال -رحمة الله عليه-: "جهاد السنان للكفار والمرتدين"[٢٤٣].

وأمّا المنافقون من قوّاد الصحوة وعلماء أهل السنة الذين نُسبوا للعلم بحق أو باطل سواء كانوا عامدين أو جاهلين أو متأوّلين؛ هؤلاء يحاربوننا بـ(قال الله، وقال الرسول)، فيحاربوننا بالحجة والبينة، فيجب أن نحاربهم بالحجة والبينة وبـ (قال الله، وقال الرسول).

فهم يقولون لنا: "قال الله أنتم مفسدون"، ونحن نقول لهم: "قال الله أنتم منافقون"، وهم يقولون: "دليلنا كذا"، ونحن نقول: "دليلنا كذا"، وهم يقولون: " قال الرسول ﷺ أنتم مفسدون غلاة"، ونحن نقول: "قال الرسول ﷺ أنتم منافقون خونة ودليلنا كذا وكذا".

فهذا المجال ليس مجال سلاح، وإدخال السلاح داخل هذا المجال ضد أقطاب الصحوة والعلماء حتى ولو صحّ في حالات بسيطة، سيكون منه مفسدة لا يعلم مداها إلا الله في هذا الحال.

فهذا ليس من التفكير السليم، والذي يفكّر فيه إما خوارج وإما مجانين، وسيأتي بنحرنا في النهاية. المنافقون هؤلاء جهادهم أسماه ابن تيمية -رحمة الله عليه- **(جهاد البيان)** وكذلك معظم العلماء، فقالوا أن **جهاد السنان للكفار والمرتدين وجهاد البيان للمبتدعة والمنافقين**.

فهؤلاء جهادهم جهاد بيان، وهذا سنشرحه -إن شاء الله- في نظرية المواجهة؛ سنبيّن أن جهاد اليهود والنصارى هو في الجبهات والإرهاب، وأن جهاد هؤلاء في الإعلام والتحريض، قال الله تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ}[٢٤٤].

فيجب أن نقاتل هؤلاء بالسيف والسنان، وهؤلاء بالحجة والبيان، ثم نحرّض المؤمنين على هذا القتال، فهؤلاء يقاتلونهم ويقتلونهم، وهؤلاء يلعنونهم ويتركون دروسهم حتى يرجعوا إلى الحق أو يذهبوا "إلى حيث ألقت أم قشعم"..

---

[٢٤٣] انظر كلامه في (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) ١/٢٣٩.

[٢٤٤] سورة النساء، الآية: ٨٤.

هذه خلاصة المعادلات، وذكرت هذا الكلام من فصل آخر حتى لا تختلط الأمور ويقول رجل: "أنا سمعت أبا مصعب يكفّر العلماء ويدعو إلى قتل العلماء وأئمة الصحوة"!، أنا لا أكفّر هؤلاء ولا أدعو لقتالهم، ولكن أدعو لمواجهتهم بالحجّة والبيّنة حتى تسقط شرعيّتهم.

فإذا سقطت شرعيّة هؤلاء يرجع الجهاد من التيار الجهادي فقط إلى الصحوة الإسلامية، فإذا سقطت واستبانت أكثر ترجع المعركة من أهل الجهاد والصحوة الإسلامية فقط إلى الأمة، وهو شعار النظرية الجديدة التي أدعو إليها وهي: **إعادة المعركة إلى الأمة حتى تكون معركة أمة وليست حروب وصراعات نخب.**

نتوقف هنا، سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك..

****

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

نحن وصلنا في الشرح إلى المعادلة الأخيرة للحملات الصليبية الثالثة وهي أنّ:

أمة اليهود + أمة الصليب + حكام مرتدون وأعوانهم + طائفة المنافقين من العلماء والفاسدين من أبناء الصحوة الإسلامية × تيار الجهاد المسلَّح أفرادًا وجماعات.

طبعًا بالتسلسل التاريخي يبدو هذا الكلام مقنعًا، ولكن ربّما بعض الناس يستكبر على هذا؛ لا أحد سيختلف معنا في قتال اليهود والنصارى، فهذا متفق عليه، وهناك جزء من الحركة الإسلامية أصلًا لا تتفق معنا أن الحكام مرتدون، وهي حركات كبرى جدًا.

ولذلك عندما حصل انفجار الخبر على الأمريكان في السعودية صرّح الناطق الرسمي لحركة حماس، وهي على العموم حركة جهادية تقاتل اليهود، صرّح فقال: "نحن ضدّ هذا العمل الإجرامي الذي حصل في السعودية، ونحن مستعدون أن نتعاون مع الحكومة السعودية في الكشف عن الجناة إن استطعنا، فنحن والحكومات العربية في خندق واحد ضد إسرائيل"!

فهذا غير فاهم معادلة المعركة أصلًا، هو يتصور أن اليهود والأمريكان في جهة، والمرتدون والمسلمون والحركات في جهة أخرى.!

وناقشت مرة في أيام حرب الخليج أحد أئمة الجهاد في أفغانستان من الذين قادوا بالجهاد العالمي، فتحدثت معه عن موقف الإخوان المسلمين من حرب الخليج وموقف علماء الجزيرة من حرب الخليج، فقلت له:

"لو وضعنا الآن خطًا بين الحق والباطل، فهل يقع هؤلاء القوم معنا أو مع العدو؟".

فقال لي: "طبعًا الحركات الإسلامية والعلماء معنا، والعدو هم الحكومات وأمريكا".

فهذا أدخل الحكومات في الأعداء ولكن أخرج المنافقين، فوجدت أنّه ما زال هناك فوضى في التصورات الإسلامية في مسألة من معنا ومن علينا.

والآن هناك مجاهدون يقولون بالجهاد في السعودية، فأناقشهم في مسائل حول فلسفة المعركة ومن معنا ومن ضدنا، فأجدهم الآن لم يتصوَّروا فلسفة المعركة ومن معنا ومن علينا.

السعودية أنشأت عدة مؤسسات إسلامية مثل (رابطة العالم الإسلامي) و(النَّدوة العالمية للشباب الإسلامي) و(هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية) و(الهلال الأحمر السعودي) و(لجنة البرّ)، وبعضها حكوميّة رسميّة مثل الإغاثة والندوة والهلال وبعضها أهلية مثل لجنة البرّ..

فالسعودية أنشأت مؤسسات كثيرة من أجل ربط المسلمين والحركات الإسلامية بالحكومة السعودية عبر المساعدات والرسائل والمراكز، وهذا لهم فيه أهداف كثيرة جدًا؛ من التجسّس إلى ضم الحركات وشرائها واحتوائها واختراقها.

إحدى هذه المؤسسات الخبيثة (رابطة العالم الإسلامي) يرأسها عبد الله نصيف وهو رجل من الإخوان المسلمين، وكذلك (الندوة العالمية) يرأسها شخص من الإخوان المسلمين وهو ضابط في الاستخبارات السعودية.

فهناك تداخل بين الحكومة والحركات الإسلامية خاصّة في السعودية وفي الدول الملكيّة، في المغرب والكويت والإمارات، تجد شخصيات هي من الحكومة وهي من قيادات الحركة الإسلامية، فتجد الوضع في الدول الملكية يختلف عن الدول العسكرية، ففي الدول الملكية غالبًا الحركة الإسلامية متداخلة مع الحكومة.

فجئت لبعض الإخوة الذين يريدون أن يجاهدوا في السعودية فقلت لهم:

"هذا الرجل أصلًا أنا سمعته بأذني ورأيته بعيني في لقاء أرشيفي يقول كلامًا لصالح النصارى، وفوق هذا أنتم تريدون أن تقاتلوا الحكومة السعودية وهذا الرجل منصبه نائب رئيس مجلس الشورى، والمجلس كله معيَّن من قِبل فهد، فهو بمثابة برلمان، ولكن في السعودية البرلمان بالتعيين وليس بالانتخاب، فهذا الرجل من صلب المؤسسة التشريعية الحاكمة".

فيقولون: "هو في النهاية معنا وليس علينا"!.

فشعرت في النهاية أن هناك ضياع في مفهوم فلسفة الصراع ومن معنا ومن علينا، فوجدت أنه لا بدّ من وضع خطّ فاصل بين الحق والباطل، يبيّن من في جهة الحق ومن في جهة الباطل..

فهناك أسئلة ثلاثة يجب أن نجيب عليها، -وهذا سنفصله إن شاء الله في فصل طريقة المواجهة-:

أولًا: من نحن؟ ومن معنا؟

ثانيًا: من عدونا؟ ومن معه؟

ثالثًا: ما هي طبيعة الصراع؟ أي على ماذا نتحارب؟

فإذا لم أحدّد هذ الأمور فلن يتحدّد من معي ومن عليّ، الآن كثير من الإخوة اليمنيّين الذي معنا في الجهاد يرى عبد الله صالح ولي أمر المسلمين في اليمن وتجب طاعته، ويأتيك بكلام لشيخ حزب المؤتمر الذي يرأسه علي عبد الله صالح، ويأخذ بكلام الزنداني بأنها حكومة شرعية ودولة إسلاميّة.

ويوجد عدد قليل مضَّطهد لا يستطيع أن يبدي رأيه يرى أن هذه الحكومة كافرة تحكم بغير ما أنزل الله ويرى جهادها. وكلا الفريقين جاؤوا ليجاهدوا هنا ضد مسعود!.

ونحن جئنا هنا وقاتلنا مسعود لأن النظام الدولي حصرنا ولأنها دار إسلام يجب أن نحافظ عليها، ولكن في النهاية تجمَّعنا حتى ندافع ونقيم دار إسلام نفيء إليها وننطلق منها لتحرير قضايانا في قتال أعدائنا لأنّ النظام الدولي أصبح خطًّا واحدًا.

فلاحظت أنّ هناك خلطًا كبيرًا جدًا في هذه الأسئلة الثلاثة؛ من نحن أهل الجهاد؟ ومن أعداؤنا؟ وعلى ماذا نتقاتل؟

وأضرب لكم مثالًا من اليمن؛ أخونا أبو الحسن المحضار -فرّج الله عنه- حمل السلاح ضد الحكومة اليمنية، فعندما صعد إلى الجبل صعد إليه بعض عملاء المخابرات حتى يُغروا من معه بالأموال حتى ينزلوا، وجاء معهم مشائخ من مشائخ الحكومة، طبيعي أن ترسل المخابرات أناس ليشتروا المجاهدين.

فجاءت الحكومة، وجاء مشائخ الحكومة، وجاء بعض الإخوان المُلتحقين بالدولة، فكل هذا معقول. ولكن جاء علماء محسوبون على تيار الجهاد وجاءت شخصيات من جماعات الجهاد؛ أخذت أموالًا من الحكومة وجاؤوا ليقنعوا المجاهدين بأن يأخذوا هذه الأموال وينزلوا بدون مشاكل..

فيتصرَّف هذا التَّصرف لصالح الحكومة حتى يُنزل المجاهدين، صحيح هو يرى أن هذا من المصالح ودفع المفاسد، ولكنه يعمل في النهاية لصالح معسكر المرتدين.

فوجدت أن هناك خلطًا كبيرًا جدًا، وتجد هناك من يقول: "نحن والمواطنون السعوديون والحكومة السعودية في خندق المسلمين ضد الأمريكان!!".

الآن عندما يقاتل مجاهد الأمريكان في السعودية فمن سيعتقله؟ ومن سيعذّبه؟ ومن الذي انتهك أعراض بعض الإخوة؟

والآن إذا تنزل للمغرب تجدهم يقولون: "نحن والصحوة الإسلامية في معسكر الملك ضد أهل الإلحاد"، وصلت النظرية إلى أن يأتوا في مؤتمر (الحوار الإسلامي المسيحي) في مدريد وقد حضرته، فكان شعار المؤتمر (أهل الإيمان في مواجهة أهل الإلحاد)، ويقصدون بـ(أهل الإيمان) المسلمين والنصارى واليهود!.

ولذلك أحسست أننا يجب ابتداءً أن نرجع للتعريفات الأولية؛ من نحن؟ ومن معنا؟ ومن عدونا؟ وما هي طبيعة الصراع؟ وهذا سنشرحه إن شاء الله في بحث نبيّن فيه ما هو فهمنا لهذا الصراع.

نظرية الخط الفاصل بين الحق والباطل

ولكن حتى تفهموا كلامي الذي تكلَّمت به قبل قليل حول معادلة الصِّراع أريد أن أوضّح لكم قضية، وهي ما أسميه **(نظرية الخط الفاصل بين الحق والباطل)**..

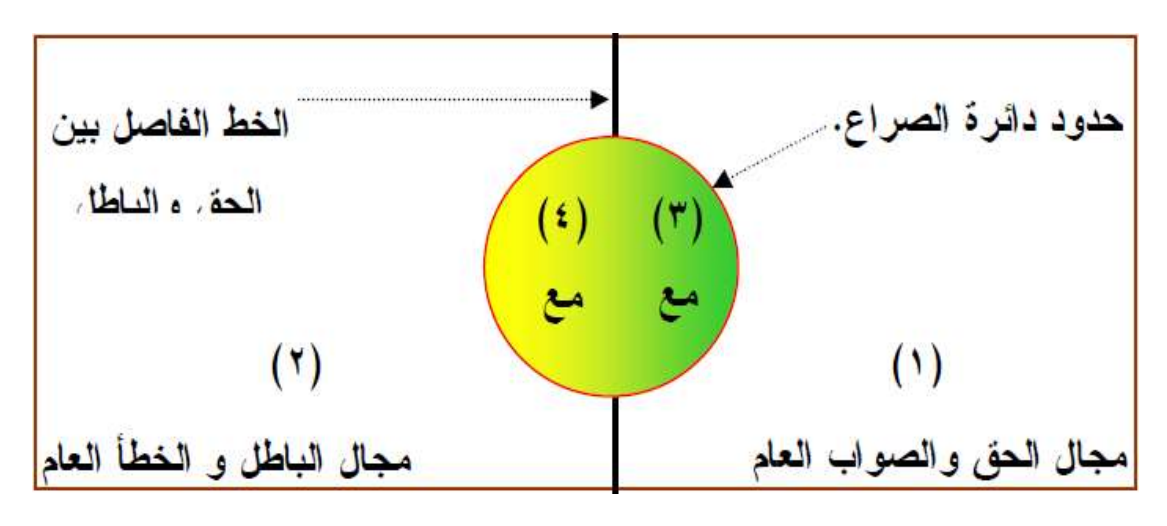
الآن نحن في صراع، فأهل الحق على اليمين وأهل الباطل على اليسار يتصارعون، فيجب أن نضع بينهم خطًا واضحًا رقيقًا كالشعرة حتى لا يستطيع أحد أن يقول أنا في المنتصف لا في اليمين ولا في الشمال، فيجب أن نعرف من هو في اليمين ومن هو في الشمال، حتى نقول نحن مع أهل اليمين ضد أهل الشمال.

فوجدت أنه يمكن أن نرسم مربعًا بحيث يكون في اليمين الحق وأهله وفي اليسار الباطل وأهله..

يعني أي قول أو فعل أو حركة يجب أن تجد لها مكانًا في جهة الحق أو الباطل، ويمكن أن تجد إنسانًا عنده حق في شيء وباطل في شيء آخر، فتجده يقول بعقيدة السلف والتي هي أصحّ من عقائد أخرى، ولكنه يقول بباطل في قضية أخرى.

ولكن قضايا الحق والباطل كثيرة جدًا، فوجدت أننا نحن أهل الجهاد ودفع الصائل إذا تصارعنا مع كل الناس في كل قضايا الحق والباطل فهذا يعني أننا سنتصارع على العقائد وعلى العادات وعلى السياسة وعلى مسائل كثيرة وننشغل عن البلاء القائم الآن وعن دفع الصائل، فعندنا قضايا أخرى نتعامل معها كمسلمين في الدرجة الثانية من الأولوية.

فالآن عندنا قضية دفع الصائل التي تُحدّد لنا داخل قضايا الحق والباطل ما يمكن أن نسميه **دائرة الصراع**، فهناك دائرة للصراع نتصارع نحن عليها..



يعني لو قال أحدهم: "أبونا آدم –عليه السلام– ليس نبيًا"، فهذا كلام باطل لأن أبانا آدم –عليه الصلاة والسلام– قد ثبتت نبوته، فإذا قال: "أبونا آدم ليس نبيًا" فسيقع كلامه في جهة الباطل، ولكنه يقع في المجال (٢) أي مجال الباطل الذي ليس له تعلّق بدائرة الصراع، فهي مسألة باطل لا تدخل في دائرة الصراع.

وكذلك لو تأوّل أحدهم في باب الأسماء والصفات على خلاف مذهب السلف فسيقع كلامه في هذا المجال (٢) أيضًا.

ولو قال قائل عقيدة السلف هي العقيدة الصحيحة. فسيقع كلامه في مجال الحق الذي ليس له تعلق بدائرة الصراع، وكذلك لو قال قائل أن آدم -عليه الصلاة والسلام- هو أبونا وهو نبي.

الآن لو جاء إنسان وقال: "نحن مع المجاهدين في ليبيا قلبًا وقالبًا" فسيقع كلامه في المجال (٣) أي في مجال الحق الذي له تعلُّق بدائرة الصراع، ولو قال قائل: "نحن مع مسعود ضد الطالبان" فسيقع كلامه في المجال (٤) أي في مجال الباطل الذي هو داخل دائرة الصراع، لأن الذي ينصر مسعود ينصر النظام الدولي، وهو قال صراحةً: "إذا انتصرت في هذه المعركة فأول ما سأفعله القبض على الإرهابيين وتسليمهم للنظام الدولي".

قصفت أمريكا أفغانستان بصواريخ الكروز فقال برهان الدين ربّاني: "هو عمل صحيح من أمريكا ولكنه متأخر"، فهذا يقع في (٤) أي في مجال الباطل داخل دائرة الصراع.

قام أحد المشائخ وقال: "اللهم اشفِ جرحى الأمريكان ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا"، فهذا يقع في (٤) أي في مجال الباطل داخل دائرة الصراع.

فعليك أن تحدّد هذه القضايا، فهناك بعض المجاهدين من يريد أن يعمل وينتصر في قضايا الحق ضد الباطل ولكن في المجالات (١) و(٢) التي هي خارج دائرة الصراع ويُشغلنا عن مجالات دائرة الصراع الأساسية (٣) و(٤)، سواء بالكلام أو النشرات..

فيكتب لنا في نشرة (الأنصار) كلامًا ضد صلاح الدين الأيوبي والأشعرية، ثم يقوم الأشعرية فيردّوا، فيفتح لنا معركة مع الأشعرية والأيوبيّين وهي وإن كانت تتعلق بقضايا الحق والباطل ولكنها تشغلنا عن القضايا الأساسية.

فهذه من الأشياء التي أدعو إليها، وهي أنّه **يجب على الجهاديّين أن يركّزوا جهدهم في مسألة دفع الصائل**، وهذا هو الكلام الذي كان يقوله الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله-، وهو مأخوذ من مذهب أهل السنة.

فعندما يقول العلماء: "ليس أوجب بعد توحيد الله من دفع الصائل"[٢٤٥]؛ فهذا يعني أن دفع الصائل من أهم الأوليات ومن أفرض الفروض، فيجب ألَّا تنشغل بالقضايا الأخرى والتي قد يكون اشتغالك بها أحيانًا يصرف الناس عن الدخول في القضية الأساسية، وإن كانت من قضايا الحق والباطل.

فتشغل الناس بقضية حق وباطل تؤدّي لنحر الحق على يد الباطل، فلا يبقى في النهاية حقك ولا باطلهم.

الآن عندنا مشكلة ونازلة وهي دفع الصائل المتكوّن من اليهود والصليبيين والمرتدين بجهاد السنان، والمنافقين بجهاد البيان، فهاتان القضيتان تدخلان في دائرة الصراع..

*[٢٤٦] راشد الغنوشي هو بالإجمال في معسكر الباطل، فله كلام ضد عقائد أهل السنة، وله كلام ينتهك السنن، وله كلام يُسقط حدودًا ثابتة في الإسلام، فيُسقط حدَّ الرِّدة ويُسقط الذمّة.

ولمن يريد أن يتعرَّف على فكر راشد الغنوشي فمن آخر إنتاجه كتاب بعنوان (الحرية السياسية في الإسلام) وهو كتاب مصيبة من ٤٦٠ صفحة بالخط الصغير جدًا الذي يصعب قراءته، يعني لو طُبع طباعة صحيحة يخرج في ألف صفحة، كتاب مليء بالبلاء!

ولكن راشد الغنوشي هذا في موقف من المواقف قال: "أهل الجهاد وأهل السلاح هم أهل الحق، وعلى الحركة الإسلامية أن تقف معهم". فانتصر لنا، فهاتين الكلمتين التي قالهم يقعان في المجال (٣) أي في الحق المتعلِّق بدائرة الصّراع.

جاء صحفي قومي في صحيفة (القدس) أو غيرها سواءً لتحقيق سبق صحفي أو لتحقيق غرض عنده أو للشهرة وأخرج بيانًا لجماعة جهاديّة ونشره في زمن الحصار حيث لا يريد أحد أن يسمع صوتهم، فقام ونشر هذا البيان وأوصله للرأي العام، فهذا عمله في المجال (٣) لصالح أهل الحق.

ولذلك أقول لمن يقول لي: "لماذا تسمي العلماء منافقين؟"، أقول له: عندما يقول أحدهم: "اللهم اشفِ جرى الأمريكان ولا تؤخذنا بما فعل السفهاء منا"، فكلامه في صميم الباطل داخل دائرة الصراع؛ فيجب أن يكون موقفي

---

[٢٤٥] **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فَالْعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ أَوْجَبَ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ دَفْعِهِ فَلَا يُشْتَرَطُ لَهُ شَرْطٌ بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ." اهـ.، انظر (الفتاوى الكبرى) ٥/ ٥٣٨**

[٢٤٦] **بداية تفريغ الملف العشرين.**

من حيث الولاء والبراء في القضايا العامة مع أهل الحق ضد أهل الباطل، وفي القضايا الخاصة مع من ينتصر لأهل الحق، فأُشهره وأشجّع أصحابه وأقول: "في هذه المسألة نصرونا".

الرسول ﷺ عندما رجع من الطائف بعد أن ردّه أهلها وخذلوه وضربوه، وكان الرسول ﷺ يعتبره أشدّ يوم مرّ عليه في حياته، سألته السيّدة عائشة: (هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟)، ففكّر وقال لها أن أشدّ يوم مرّ عليه هو يوم رجع من الطائف، فمن الذهول مشى ﷺ فما وعي إلّا وهو على مشارف مكّة، فنزل عليه ملك الجبال يعرض عليه إنزال العذاب بهم[٢٤٧].

فنزل ودخل مكّة في جوار مطعم بن عدي وهو كافر، فلبس المطعم بن عدي السلاح وألبس أبناءه الاثني عشر السلاح، ثم نزل وطاف بالكعبة وقال: "يا معشر قريش إنّي قد أجرت محمدًا فلا يهيّجه منكم أحد". فحتى أبو جهل قال: "قد أجرنا من أجرت"، فهذه نصرة.

وعندما أخذ الرسول ﷺ أسرى بدر قال: (لَوْ كَانَ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ)[٢٤٨].وهو مات على الكفر، يعني بسبب هذا الموقف لو كان المطعم حيًا وقال: أعطني هؤلاء الأسرى لأعطيته لهم، فحمد له فعلًا معينًا.

ولكن هذا لا يعني أن نحكم للمطعم بن عدي بالإسلام أو الجنّة، فهذه قضايا أخرى فيها حق وباطل، ولكن نحن في قضية دفع الصائل يجب أن لا نجامل أحدًا في حدود دائرة الصراع؛ فأي موقف حق في صالح دفع الصائل عن المسلمين نقول: "هذا موقف حق" ونوالي صاحبه بحسب ضوابط الشريعة لنصرته لنا، ونأخذ بيده ونشجعه أن يدخل شيئًا فشيئًا فعليًا مع أهل الحق.

وأي رجل يقول قولة في نصرة الباطل فلا يمنعنا اسمه أو هيبته أو منزلته أو أي شيء أن نقول: "هذا قول باطل"، وعلى رأس هذا الشيخ الألباني الذي خدم السنة وخدمنا جميعًا، فجزاه الله خيرًا، وفِعله هذا يقع في المجال (١) الحق الذي

---

[٢٤٧] انظر صحيح البخاري (٣٢٣١) صحيح مسلم (١٧٩٥) يقول النبي ﷺ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا).

[٢٤٨] صحيح البخاري (٣١٣٩).

ليس له تعلُّق بدائرة الصراع، ولكن عندما يقول: "الخروج على الحكام خروج على الإسلام"، فهذا يقع في المجال (٤) أي الباطل الذي له تعلُّق بدائرة الصراع، ولهذا الفعل اسم وهو أنّه يسمّى (نفاقًا) ينصر به النظام العالمي.

ومن هذا المنطلق يجب أن تسمى الأشياء بمسمياتها بحيث إذا قال فلان قولة باطلة لا يقال: "فلان في الحد الفاصل ليس على الحق ولا على الباطل"، فهذا الحد الفاصل لا يمكن أن يجلس عليه أحد فيقول أنا معكم ومعهم.

بعض الشخصيات السعودية كان يأتي المجاهدين بالأموال، والسبب في هذا أن أمريكا تحرّك السعودية، والسعودية تموّل الحركات الإسلامية لأن لها مصلحة، ولكن هذا رجل يأتي بمهمة أميريّة، فيمسك يد تركي بن فيصل عبد العزيز رئيس الاستخبارات السعودية من طرف والمجاهدين الأفغان من طرف ويدخل علينا، فأصبح يُمْتَدَح!

فمرة سألت أحد قادة المجاهدين: "هذا مع من؟"، فقال لي: "أنا سألته بنفسي فقال لي: أنا في السعودية مع الإخوان وفي أفغانستان مع المجاهدين"، وطبعًا الإخوان في السعودية مع الملك ومع الأمراء.

فهذه القضايا لا تحتمل، ربما كانت تحتمل سابقًا في الصراع الأفغاني؛ أما في الصراع مع النظام الدولي الآن فيجب أن يُحسب على كل إنسان قوله وفعله فيصنَّف، فيقال له: "أنت هنا مع المسلمين في دفع الصائل" و"أنت هنا مع الصائل".

ونحن الآن في حالة حرب مع الصائل، فأي إنسان له موقع في المجال (٤) فيجب أن يكون لنا موقف منه؛ إمّا جهاد سنان أو جهاد بيان، وأي مسألة خارجة عن دائرة الصراع يكون لنا فيها جهاد بيان ضمن الإمكان بدون أن تشغلنا عن قضيتنا الأساسية.

ثم إذا انتهينا من دفع الصائل وانتهت حدود دائرة الصراع وصرنا دولة أو إمارة مسؤولة عن أهل الإسلام، يصبح عندنا مجالين فقط: حق وباطل، وتصبح مهمتنا نصر الحق على الباطل في كل القضايا، لأن عندنا صفة رسمية وعندنا إذاعة فنستطيع أن ننصر كل أهل الحق.

فالآن عندنا قضية دفع الصائل، فأنبه على أمرين اثنين؛ **أولًا يجب أن يكون عندنا (فقه أولويات) و(فقه بلاء) فلا ننشغل بشيء عن دفع الصائل**، فهذا من فقه البلاء عدم الانشغال بالنقاشات الجانبية، فأحيانًا تكون هناك أسرة واحدة مكوّنة من أب إخواني وأخ سلفي وأخ مجاهد وأخت محجبة وأخت سافرة وأخ شيوعي وأخ قومي، فأسرة

مختلطة مثل هذه، في كل جلسة هناك نقاشات بين أفرادها. فإذا دخل الجيران عليهم في لحظة من اللحظات وكسروا باب البيت وأخذوا غرفة، فماذا يصير في هذه الأسرة؟ يتركون نقاشاتهم ويذهبون لحل هذه المشكلة.

إذا وجدت امرأة تغرق فهل تنقذها من الغرق أو تستر سوأتها ورأسها غاطس في الماء؟

فهناك شيء اسمه (فقه أولويات) و(فقه دفع صائل)، وهذا أمر نريد أن ننبه إليه؛ وهو أن إعلام الجماعات الجهادية كثير منه شذّ إلى أمور فرعيَّة، حتى أصبح همّ الجهاد الجزائري حرب المبتدعة، فقالوا: "جهاد المرتدين مقدّم على جهاد الكفار الأصليين". فقلنا لهم هذا خطأ ولكنه قابل للنقاش، ثم قالوا: "قتال المبتدعة مقدم على قتال المرتدين"، من الذي قال هذا؟!. فهذا أوصلهم إلى العوج.

الأمر الثاني: **هناك جزء من إخواننا لا يريد تسمية الأمور بمسمياتها هيبةً**؛ فهناك أسماء لامعة، وهناك شخصيات كبيرة، وهناك علماء لهم وزن، فيأتي من يقول لك: "ابن عثيمين قال في (العقيدة الواسطية) كلام حق"، كلام ابن عثيمين في أشرطة العقيدة الواسطية هو من المجال (١)، فهو حق ليس له تعلق بدائرة الصراع، ندرسه ونستفيد منه.

ولكن نحن في حالة حرب وهو وقف في المجال (٤) وأطلق لسانه في نصرة أهل الباطل، فبالنسبة لي امتداحه على خيره في المجال (١) يرفعه في أعين الناس فيقبلون منه كلامه في المجال (٤)، وهذا أصل المصيبة.

نشرت إحدى النشرات الجهادية الحبيبة لقلوبنا جميعًا بيانًا بعنوان (مواساة) في وفاة الشيخ عبد العزيز بن باز؛ إذا تدرس هذا الكلام جيدًا تجده يقع في المجال (٤)، فهو كلام باطل في نصرة الصائل من حيث لم يقصدوا قطعًا، لأنهم جماعة تحارب نظامًا من الأنظمة المرتدة فهم على ثغرة في دفع الصائل، ولكن شطح أحدهم شطحة وقال كلمة، ولكن لا يدفعني هذا أن أقول: "يلّا مشّيها".

فإذا صدرت من أخيك الحبيب إلى قلبك وهو من جماعة دفع الصائل فتنصحه وتقول له هذا الكلام خطأ، لأن هذا يؤدي إلى أن أدلّس على المسلمين، فهو رجل مات لا يهمني هل هو في الجنة أو في النار، ولكن تزكيته هي تزكية للأحياء الذي ما زالوا في نفس المعسكر.

فهذه الأمور يجب أن تُسمّى بمسمياتها، فهو عالم من علماء السلطان هلك فيسعني على الأقل السكوت، أما أن أزكّيه فلا يجوز. فيجب أن نكون واضحين تمامًا، وحتى أننا راجعنا إخواننا –جزاهم الله خيرًا– فكان موقفهم طيّبًا، وقالوا هي مسألة عدّت. ولكن عندما أُسأل عن هذه القضية لا أقول هذا أمر جيّد، فالأمور يجب أن تسمّى بمسمّياتها.

رأس من رؤوس الجهاد يُسأل عن الجهاد في بلد من البلدان يقول: "نحن الآن معركتنا مع الأمريكان فلا نريد معركة مع المرتدين"، فقلنا: "طيب إذا قصدنا المرتدون ليأخذونا؟"، قال: "لا نشتبك معهم". فهذا الكلام غير مقبول!.

فنحن يجب أن يكون عندنا فلسفة مواجهة ومنهج صراع وأولويات، فإذا جاء من يسألك: "ما رأيك في حركة حماس؟"، تقول: هم في قتالهم لليهود في المجال (٣).

وإذا جاء لك بقولهم: "نحن والحكومات العربية في خندق واحد وسنساعد السعودية في كشف منفذي عملية الخبر"، فهذا من المجال (٤).

فيجب أن لا نخشى في الله لومة لائم ونقول الحقّ، خاصّة إذا كان الحقّ ينصر المجال (٣) ويحارب المجال (٤)، وإذا كان هناك حقّ قوله يضعف موقفنا في المجالين (٣) و(٤) فنؤجّله الآن كما أجّل الرسول ﷺ أعمالًا واجبة للمصالح والمفاسد؛ فأجّل بناء الكعبة لحداثة الناس بالإسلام، لأنّها قضايا تنتمي لمجالات أبعد من مجالات الصراع والتي هي بناء الدولة الإسلامية وتقويتها.

فيجب أن يكون (فقه الأوليات) عندنا واضحًا، فلا يحتجّ علينا أحد فيقول: "لماذا تسمّي هؤلاء منافقين؟"، والأمثلة كثيرة جدًا، قام أبو الحسن المحضار وجماعته لقتال المرتدين واليهود والنصارى في بلاد اليمن، نسأل الله أن يفتح عليهم ويثبتهم، الآن بغضّ النَّظر عن الصواب والخطأ في أسلوب العمل، فعندما يقوم واحد مثل (عمر سيف) أو (الزنداني) أو مشائخ الإخوان أو مشائخ الإصلاح أو غيرهم فيقولون كلامًا إما شديدًا موغلًا في النفاق، أو خفيفًا يواري في النفاق؛ فهذا الكلام هو لصالح النظام الدولي.

وصل الكلام ببعضهم أن يقول: "هؤلاء مفسدون في الأرض يجب يطبّق عليهم حدّ الحرابة" لأنهم قتلوا نصارى في اليمن!. وجاء واحد من قيادات الإخوان يريد أن يواري فقال: "هؤلاء يجب أن يجري عليهم حكم الظاهر". ولم يقلها صراحة. فهذا الكلام نفاق وينصر الباطل.

الشيخ الوادعي في اليمن عندما يحارب الإخوان ويحارب الصوفية ويحارب السلفية ويحارب كل الصحوة، طيب جيّد ففيها صواب وخطأ، ثم يقول: "أنا بريء من ابن لادن وأفعاله إلى يوم القيامة"!، فيعني لنفترض أن ابن لادن يفسد الآن ثم تاب وأصلح، فكيف تتبرأ منه إلى يوم القيامة؟!

وقطعًا لم يفعل ابن لادن خطأ في الأشياء التي أنكرها الوادعي، فهو أنكر قتال اليهود والنصارى والمرتدين، فهل يعقل أن كل هؤلاء من إخوان ومجاهدين وصوفيين على باطل وبرئت منهم، وعندك الأخ علي عبد الله صالح!؟ فكلامه يقع في مجال الباطل الذي ينصر الصائل.

فيجب أن نفرّق بين هذا وبين رجل خرجت من شطحة أو زلَّة فأصبحت في المجال (٤)، فتقول: "هذا رجل صالح خرجت منه زلة"، كما قلنا عن قضية تعزية الشيخ ابن باز قبل قليل، فعندما تقول (مواساة) فهل تواسي الحكومة؟ أو تواسي أهله؟ أو تواسي المسلمين؟ فهو رجل نكب المسلمين.

فهناك أناس عموم عملها في الحق ثم تقع منه زلّة، ولكن يأتيك شخص يتكرّر منه هذا، فيُخرج فتوى بتهجير أهل فلسطين، وفتوى بأن قتال الحكومات بدعة، وفتوى بأن الخروج على الحكام خروج على الإسلام، وفتوى بأن صدّام حسين مسلم، وفتوى من تلاميذه بأن مجدِّد القرن الهجري الحالي هو الملك حسين، فهذه ليست زلّة عالم بل هذا عالم زلَّال!

وعندما تأخذ الفتاوى السياسية في العشر سنوات الأخيرة لـ(هيئة كبار العلماء)؛ تجدها كلها لصالح النظام الدولي.

فأحيانًا يكون إنسان في صفّ الأعداء مثل شيخ الأزهر ولكنه يقف موقفًا صحيحًا في قضية (التطبيع) فيرفض التطبيع مع إسرائيل؛ مواقف شيخ الأزهر جاد الحق جيدة جدًا في قضية اليهود، هو ينافق وعالم سلطة وإلخ، ولكن أقول كلامه مثل الكلام السابق للغنوشي يقع في المجال (٣) من رجل أغلب كلامه يقع في المجال (٤)، فهو شخص في المجال (٤) شطح له شطحة في المجال (٣).

فهذه الأمور يجب أن تكون محدّدة بصورة عادلة ونهائية، ولهذا نطرح نحن هذه الأمور بكل صراحة ووضوح، فهذه أسميناها (نظرية الحد الفاصل في الصراع بين الحق والباطل)؛ أنه هناك حقّ له علاقة بدائرة الصراع، وهناك حقّ ليس له علاقة بدائرة الصراع، الباطل كذلك. **فنحن الآن مهتمون بالحق والباطل داخل دائرة الصراع، وببعض ما يخرج عن دائرة الصراع دون أن يشغلنا عن قضيتنا الأساسية.**

الآن انتهينا من الفصل الرابع، نحن أخذنا من التاريخ ثلاث محطات هي الحملات الصليبية الثلاث، والذي واجه الشطر الثاني من الحملات الصليبية الثانية هي الصحوة الإسلامية عمومًا، والذي واجه الحملات الصليبية الثانية والثالثة هي الحركات الجهادية المسلحة.

فمن الضروري أن نعزل هذه القضية وندرسها؛ حتى نعرّفكم ونعرّف أنفسنا مسار وتاريخ الصحوة الإسلامية، ثم من هذه الصحوة نأخذ التيار الجهادي وندرس مشاكله حتى نستخلص طريقة للعمل الصحيح كما ذكرنا في المقدمة.

فالآن ننتقل للفصل الخامس والذي هو (**مسار الصحوة الإسلامية**).

الفصل الخامس: مسار الصحوة الإسلامية (١٩٣٠-١٩٩٩)م

مقدمة:

نحن درسنا ملخص التاريخ من قابيل إلى سنة ١٩٩٠م، وأخذنا جزءًا والذي هو الحملات الصليبية، والآن نأخذ جزءًا والذي هو (مسار الصحوة الإسلامية)، لأن كثيرًا من الوجوه الطيّبة التي أمامي هم شباب صغار جدًا، وجاؤوا في الدفعة الثانية أو الثالثة من جيل الجهاد، فأصلًا لا يعرفون ما جرى في مسار الجهاد حتى يعرفوا مسار الصحوة.

أنا لا أريد أن تبدأوا من حيث بدأنا فترتكبوا نفس الأخطاء التي ارتكبناها، بل من الأمانة ومن الواجب الذي يصل إلى حدّ الفريضة الشرعية أن نسلّمكم الرَّاية حيث انتهينا..

فنحن سِرنا ثلاثين سنة، وأنا شخصيًا سرت في الجهاد ١٤ سنة ونصفًا، والشيخ أيمن مشى ٣٠ سنة، وابن لادن مشى ١٦-١٨ سنة وإذا حسبنا له محاولته النفير للجهاد في سوريا فيعتبر كذلك بدأ من ٢٠ سنة. الشيخ عبد الله عزام سار في الجهاد ٤٠ سنة إلى أن قُتل -رحمة الله عليه-.

فالشاهد أنّه من واجب هؤلاء الناس أن يُسلّموا هذا الصندوق الأسود لهذه الطائرة وما فيه من معلومات لمن بعدهم حتى يبدأوا من حيث انتهينا ولا يُعيدوا الأخطاء التي ارتُكبت، فهذا الكلام لم يكن ثمنه مالًا أو ذهبًا، بل كان ثمنه رؤوسًا قُطعت ودماءً سُفكت وأعراضًا انتُهكت وعرقًا سال، فهذا مسار طويل عريض فيجب أن نسلمه لكم كما حصل..

الأمر الآخر أن نفهم مسار الدعوة قبلنا، فلنا ثلاثون سنة في الجهاد وتوابعه على محطّات، وقبل ذلك كان هناك مسار دعوة، فعندما تتبَّع جذورها تجد أن ميلادها كان مع بداية ما يسمى الصحوة الإسلامية في سنة ١٩٣٠م.

المرحلة الأولى من مراحل الصحوة الإسلامية ١٩٣٠-١٩٦٠م:

فنبدأ بإيجاز فنقول أن الصحوة الإسلامية بدأت تقريبًا بعد سقوط الخلافة علنيًا في سنة ١٩٢٤م، فعندما أُعلن سقوط الخلافة سبَّب هذا صدمة كبيرة للمسلمين، فهناك كثير من أهل الخير بدأوا ينتبهون لماذا حصل هذا، فولدت موجة من الصحوة الإسلامية..

فأناس تقول أن الخلافة سقطت لأن عقائد الناس فاسدة فبدأت تقول يجب تصحيح عقائد الناس. وأناس تقول سقطت الخلافة بسبب فسادنا فكما تكونوا يولَّى عليكم، فيجب إصلاح العوام فوُلد التَّبليغ. وأناس تقول يجب أن نرجع للتَّصوف والسُّلوك والعبادة وكذا. فهي إرادات صالحة ولكن في بعض الحالات دخلت في طرق غير سليمة فيها أخطاء تقل أو تكثر.

فأنا أريد أن أقول لكم أني لست بصدد تقييم الصحوة عقديًا، ولست بصدد الحديث عن الخطأ والصواب داخل الصحوة، وإنّما أريد أن أوضّح تاريخيًا كيف وصلنا إلى حمل السلاح.

فتجد أنه منذ سقوط الخلافة سنة ١٩٢٤م تحرَّكت هِمم المسلمين في معظم العالم الإسلامي فنشأت مدارس، وتقريبًا بدأ النشاط في سنة ١٩٣٠م؛ فعندما نقول أن العصور الحديثة بدأ سنة ١٤٥٢م فهذا لا يعني في تلك الليلة في الساعة الثانية عشر منتصف الليل دخلت العصور الحديثة، فهي مرحلة حدثت تدريجيًا ولكن أخذنا أبرز حدث وأرّخنا به. النظام العالمي نشأ في سنة ١٩٩٠م فكذلك لا يعني أنه نشأ في تلك الليلة الأولى من هذه السنة ولكن هو حدث أصبحنا نؤرّخ به، فعندما نقول أن الصحوة نشأت في سنة ١٩٣٠م فهي مرحلة تقريبيّة.

فوُلدت الصحوة الإسلامية ونشأت من سنة ١٩٣٠م، وعندما ننظر في المحطات الرئيسية في عمر الصحوة نجد أن الصحوة نشأت من ١٩٣٠م وسارت حتى سنة ١٩٦٠م بهوية واحدة وبعد ذلك أخذت مسارًا آخر.

ففي الفترة (١٩٣٠-١٩٦٠)م كان أبرز ما يميّز الصحوة أنّها صحوة مختلطة المجالات، فيها عقائد وعودة لعقيدة ومنهج السلف، وفيها (تبليغ)، وفيها (تصوف)، وفيها (جهاد مسلح) ضد اليهود والنصارى المحتلين، فيها (روح قومية) سواء قومية باكستانية أو قومية عربية أو قومية تركية، وفيها (روح وطنية) يعني قطرية يعني في حدود مصر أو السودان أو الجزائر.

وفيها (ديمقراطية)، فدخلوا البرلمانات والانتخابات، ولم تكن الديمقراطية بهذا الوضوح والوساخة التي هي عليه الآن وذلك لسببين، أولًا أن الحكومات لم تكن بنفس مستوى القذارة؛ فلم يكن الملك فاروق مثل حسني مبارك، هو شرير ولكن لم يكن مثل صدام حسين.

والمسألة لم تكن واضحة وفيها تشويش؛ حتى أن هناك أناسًا كبارًا صلحاء من أئمة العلم مثل الشيخ أحمد شاكر لهم تجارب برلمانية، ولكن بعد فترة حكم بكفر الديمقراطية والبرلمان ووضَّح هذه المسألة، وكتب كلامًا جميلًا جدًا، ولكن له تجارب.

وكذلك الشيخ حسبن البنا -رحمة الله- قام بعمل فيه قومية، وفيه وطنية، وفيه جهاد، وفيه سلفية، وفيه صوفية بل كتب: "حركتنا سلفية صوفية" فجمعهما مع بعض، فكان واضحًا على الصحوة أنّها مختلطة، وكذلك مصطفى السباعي -رحمة الله عليه-، وحزب السلامة بقيادة أربكان في بداية صعوده.

فكان ما يميز الصحوة في ذلك الوقت أنها مختلطة؛ فيها نشاط سياسي، وفيها إصلاح، وفيها أدبيات وشعراء، فنشأت حركة مختلطة واستمرت إلى سنة ١٩٦٠م وهي بهذا الاختلاط، فتوسعت وخرج فيها كتاب ومشائخ وقادة تدلّ في مجملها أن هذه الأمة التي نُكبت وانهارت يقوم فيها عملية نهضة.

وأرجع وأكرّر: أنا لا أقيّم هنا تيارات الصحوة، فلا يأتي من يقول لي: "كيف تسمّي التصوّف نهضة وفيه الشرك والبدع وكذا؟"؛ هو نهضة لأن الناس قامت باسم الدين ابتداءً فأخطأوا الطريق، فكما قال علي بن أبي طالب: "**ليس من قصد الحق فأخطأه كمن قصد الباطل فأصابه**".

وهو قول مهمّ جدًا، والشباب أحيانًا يتطرّف ويقوم ويهاجم الحركات ويهاجم كل الناس..

فرجل يذهب للملك ليفتي بحل دماء المسلمين، فهذا قصد الباطل فأصابه، وواحد ذهب للبرلمان ليدافع عن الإسلام، فهو قصد الحق ولكن أخطأه، فلا شكّ عندي أن الأول ليس كالثاني، فعندما تتأمل واحدًا مثل عباس مدني دخل البرلمان في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين، أخطأ الحق ولكن هو رجل قصد الحق.

فلا أستطيع أن أقارن من دخل البرلمان ليأخذ جوازًا أحمر ويناصر الملك ويحكم علينا بالضلالة، برجل ذهب للبرلمان بسبب أن عقله وتأويله أوصله أنه يجب أن يصل للبرلمان ثم عبر البرلمان يُخرج عوارهم للأمة، حتى تقوم الأمة عليهم بعد هذا وتجاهدهم، فهذا قصد الحق ولكن أخطأه.

وهناك رجل خرج ليحارب الحكومة فوصل إلى متاهات التَّطرّف حتى أصبح من الخوارج، فهذا قصد الحق ولكن أخطاه. فهذه الأمور يجب أن تقدَّر بمقاديرها.

ففي هذه المرحلة من مراحل الصحوة تستطيع أن تقول أن أغلب من في الصحوة قصد الحق، فمنهم من أصابه ومنهم من أخطأه.

وهذه الصحوة وصلت بنا إلى سنة ١٩٦٠م وهي في صعود، فكثرت أعداد الملتزمين وكثرت المحجبات وطُبعت كتب ابن تيمية، وخرج فكر الإخوان المسلمين ومن تفرَّع عنهم، وكان شعارهم من أجمل ما يكون: (الله غايتنا، الرسول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجهاد سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا)، وشعارهم فيه سيفان ومصحف وكتبوا في وسطه {وَأَعِدُّوا}.

وطبعًا هؤلاء ليس لهم علاقة بالإخوان المسلمين الحاليين لا من قريب ولا من بعيد، لأن هذا الشعار عند الإخوان المتأخرين تحوّل إلى: (الحكم غايتنا، والديمقراطية دستورنا، والبرلمان والحكومة سبيلنا، والحياة والتخليف والتكريش وجمع الأموال أسمى أمانينا).

فأنا لا أقول أن الإخوان المسلمين ارتدّوا عن الإسلام وخالفوا دين رب العالمين في كثير من الأمور فحسب، بل هم ارتدّوا عن فكر حسن البنا، كما ارتدّ النصارى حتى عن إنجيلهم المنحرف، ولهذا كنت أقول للنصارى عندما أتناقش معهم: لو حاسبكم الله تعالى على الإنجيل المنحرف فستدخلون النار..

فحتى في هذا الإنجيل المحرَّف الأخير هناك شذرات من الحق، فيقول لك: (لا تزني، لا تكذب، لا تقتل)، وهم حضارتهم قامت على الكذب والقتل والزنا والسرقة، فإذا يُحاسَبون على هذا الإنجيل يدخلون النار. وكذلك الإخوان لا تحاسبهم على مبادئنا ولكن حاسبهم على الكلام الجميل الرائع من كلام حسن البنا، تجدهم قد انحرفوا عنه.

المرحلة الثانية من مراحل الصحوة الإسلامية (١٩٦٠-١٩٩٠)م:

فالصحوة نشأت وسارت في هذا المسار حتى سنة ١٩٦٠م ثم تطوَّرت وشبّت، ففي الفترة (١٩٦٠-١٩٩٠)م تمايزت الصحوة إلى مدارسها الأساسية، واعتبرت سنة ١٩٩٠ محطة لأن النظام الدولي الجديد قام فيها.

فبدأت الصحوة تتفرَّع إلى المدارس الأساسية بعد أن كانت مختلطة؛ فخرجت معنا مدرسة (الصحوة الإسلامية اللاسياسية)، و(الصحوة الإسلامية السياسية)، و(الصحوة الإسلامية الجهادية المسلحة)، و(صحوة بأفكار شاذَّة) مثل أفكار التَّكفير والهجرة والتَّوقف والتّبين واعتزال المجتمع، وبعض الأفكار الشاذة.

فهذه هي المدارس الرئيسية التي سارت عليها الصحوة في الفترة ١٩٩٠-١٩٩٩م، وتكاد لا تجد حزبًا ولا جماعة ولا مسجدًا من الصحوة إلّا وينتمي إلى إحدى هذه المدارس الأربعة، فتعال نفصّل في هذه المرحلة لأنّها مهمّة ثم نأخذ منها مدرسة الجهاد المسلّح.

الصحوة اللاسياسية:

هذه المرحلة (١٩٣٠-١٩٩٠)م هي مرحلة الحملات الثانية بقسميها الأول الثاني، يعني مشكلة المسلمين كانت اليهود والصليبيين والمرتدين، فهي مشكلة سياسية، فخرج نوع من الصحوة يقول أننا إذا تدخلنا في هذه المسائل فإما أن يقتلنا الصليبيون أو اليهود أو المرتدون، فعلينا أن نقوم بصحوة ليس لها علاقة سياسية، فلا يتحدَّثون عن البترول ولا عن الاستعمار ولا عن الاحتلال.

فتقسَّمت إلى ثلاث مدارس رئيسية:

- قسم أخذ **بإصلاح الفرد والسلوك** وكان أشهرهم وعلى رأسهم التبليغ، ومنهم بعض الصوفيين، وأخذوا بشعار {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}[٢٤٩]، فأصلحوا أنفسكم ينصلح الرئيس، أما كيف ينصلح الملك فهذا ليس لهم به علاقة. يعني إذا انصلحتم أنتم فالملك خرج من عندكم فينصلح بعد هذا، (فكما تكونوا يولَّى عليكم).
- المدرسة الثانية: **هي مدرسة إصلاح العقائد**، فوُلدت مدرسة ما سمّي (السلفية)، وأنا أحبّ أن أسمّي الأشياء كما آلت إليه وليس على كيفي، فواحد يسمّي نفسه (سلفيًا) فتعارف الناس على أنه سلفي، وآخر قال عن نفسه (إخوانيًا) وهكذا.

[٢٤٩] سورة الرعد، الآية: ١١.

قد يأتي واحد جهادي فيقول: "أنا سلفي"، والأصح أن يقول: "عقيدتي عقيدة السلف"، ولكن عندما تقول (سلفي) فيخطر على ذهني الألباني والمدخلي والوادعي وابن باز و(إحياء التراث)، فهؤلاء هم الذي غلب عليهم الاسم.

وواحد يقول أنا أجاهد ولكنني إخواني مثل الشيخ عبد الله عزام وهو ليس على منهج الإخوان، أبو أسامة المصري كان يقول: "نحن الإخوان الحقيقيون"، فقلت له: "يا أخي الإخوان الحقيقيون ماتوا رحمهم الله، وأنت الآن رجل جهادي تجاهد معنا، والإخوان الآن في البرلمان".

فتجد أنه قد (غلب على المسمّى)، فإمّا أن تسمّي نفسك باسم مُجمل يدل عليك، وإمّا أن تقول: "أنا سلفي فأقصد أن عقيدتي عقيدة السلف، ولكني أجاهد لأن السلف كانوا يجاهدون، "فتقوم بتفصيل طويل، فهناك مسميات غلبت على أصحابها.

فعندما أقول (التيار السلفي) فأقصد طريقة في التفكير والاعتقاد والجهاد والسياسية والأمور، فهذا التيار يجب أن تميّزه عن (السلفية الجهادية)، مع أنّني لا أحبّ هذا المصطلح، واستخدمت هذا المصطلح في بعض كتاباتي.

فكل أمة تميزت بخاصية، الله تعالى يقول: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ}[٢٥٠]، فإذا قال أحدهم: "أنا حنفي" تفهم مباشرة طريقته في العبادة والمعاملات، فنحن (جهاديّون)، صحيح أن عندنا أخلاق وسلوك وتصوف وعقيدة سلفية، ولكن تميَّزنا بخاصية أننا جهاديون، هذا على الإجمال.

فهؤلاء سموا أنفسهم (سلفية علمية) وغلب عليهم ما قالوا به من نظرية (التَّربية والتَّصفية)، فهم قالوا: "كيف ستأتون بحكم إسلامي وعقائد الناس فاسدة؟ إذا لم تصح عقائد الناس فليس هناك جهاد، وكيف نجاهد والناس لا تعرف مفهوم لا إله إلا الله ولا تفهم الأسماء والصفات؟!".

فأخرجوا لنا نظرية عريضة مفادها أنه يجب أن نقوم بتصفية في العقائد وتربية للناس، فبالمختصر تركوا مسألة دفع الصائل والاشتباك السياسي واشتغلوا بزاوية من الصحوة وهي إصلاح العقائد، وهذه حسنة ولكن ناقصة.

- المدرسة الثالثة: **مدرسة اشتغلت بالتصوف**، فهؤلاء يريدون أن يُصلحوا الفرد بالأخلاق والسلوك.

---

[٢٥٠] سورة الحج، الآية: ٧٨.

فالصوفية قالوا: بانصلاح الفرد بالأخلاق والسلوك ينصلح المجتمع، والسلفية يريدون إصلاح العقيدة، والتبليغيون يريدون إصلاح المفاسد الاجتماعية. فبالمجمل بينهم قاسم مشترك هو أنه لا يريدون سياسية ولا اشتباكًا مع أحد، وخلاصة كلامهم أنه عندما ينصلح الإنسان ينصلح الحال.

حتى أنّ هناك كلامًا عجيبًا جدًا للأستاذ الجليل محمد قطب في كتابه (حول تطبيق الشريعة) وكتابه الكبير جدًا (منهج التربية الإسلامية)، فخلاصة نظرية القطبيين الأخيرة أن الشباب إذا لم يشاركوا بالسياسة ولم يُعطوا للحكومات دليلًا أن عندهم مشاكل، وسَعَوا في طريق إصلاح أنفسهم فستمتد الدعوة وتنتج القاعدة الصلبة.

ثم يقول الشيخ: "فإذا تكوّنت القاعدة الصلبة وتمدّدت وأصبحت بندقة تصعب على الكسر، عند ذلك يأتي نصر الله ويدخل الناس في دين الله أفواجًا".

فتقرأ هذه الجملة حتى تعرف كيف سيحدث هذا فلا تجد جوابًا؟ فما هي العلاقة بين انصلاح هؤلاء ومجيء نصر الله؟ فأي منهج عقلي سيسأل كيف ستصير هذه النقلة؟ يعني خلاصة المسألة أنه ليس هناك قتال ولا إعداد وإنما أنتم انصلحوا فيأتي نصر الله.

فهناك قاسم مشترك في هذا الكلام بين القطبية والسلفية والصوفية والتبليغ، فخلاصة كلامهم أنّه: {لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ}[٢٥١] فالله –سبحانه وتعالى– يحلّها!

الصحوة السياسية:

وفي المقابل ظهر (الإخوان المسلمون) وما تفرّع عنهم مثل (جبهة الإنقاذ)، (جماعة النهضة) في تونس، الترابي وجماعته، أربكان وجماعته في تركيا، (الجماعة الإسلامية) في باكستان؛ كل هذه المدارس آلت إلى مشكلة وهي أن قضية الحكم هي الأساس، فيجب أن نصل للحكم حتى نقاتل اليهود والنصارى ونقيم شرائع الإسلام.

أما كيف سيصلون إلى الحكم؟ فقالوا: بالجهاد جرّبناه وذهبنا للسجون، ووُلدت من هنا نظرية تبنّاها الإخوان أخرجها الهضيبي –غفر الله لنا وله– فقال: (نحن دعاة لا قضاة)، والكلمة معبّرة جدًا، فقال نحن ندعو إلى الله –سبحانه

[٢٥١] سورة النجم، الآية: ٥٨.

وتعالى- ولسنا قضاة على الناس، حتى قالت زينب الغزالي وغيرها من المفكرين والكتاب: "نحن نقول للحاكم أن يحكم بشرع الله، فإذا حكم فكان بها، وإذا لم يستجب فلسنا مسؤولين أن نقاتله أو نخرج عليه".

فنظرية (دعاة لا قضاة) انتهت إلى البرلمان وإلى قولهم: "نحن ديمقراطيون، وإخواننا النصارى لهم ما لنا وعليهم ما علينا".

ثم بعد ذلك انتقلوا من البرلمان إلى الحكومة نفسها، فيوسف العظم وزير الشؤون الاجتماعية، ماجد عبد الرحمن خليفة وزير العدل في الأردن. وفي الكويت أخذوا وزارات، وفي سوريا في المرحلة الأولى شاركوا بهذه الصورة.

والآن أنا لا أقيّم ولا أقول: صح ولا خطأ ولا شرك ولا كفر، وإنما أبيّن ماذا حصل في مسار الصحوة. فهذا السلوك هو عبارة عن نشاط سياسي، والأول دعوي تربوي، وهذا كله في الفترة ١٩٦٠-١٩٩٠م.

طبعًا هناك بلاد الدعوة فيها متخلّفة، فأصلًا الدَّعوة وُلدت في السبعينات، ولكن بدأ هذا النشاط في سنة ١٩٦٠م في قلب بلاد العالم الإسلامي في مصر والشام، وفي باكستان وفي تركيا وغيرها...

الصحوة الجهادية:

ففي سنة ١٩٦٠م جاء المودودي -رحمه الله- وكان له أخطاء -غفر الله له-، ولكن في قضية الدعوة طرح أساس أفكار الجهاد والمفاصلة والتّمايز والحاكمية، ويعتبر سيد قطب -رحمه الله- تلميذًا له وأخذ كثيرًا من أفكاره، وإن كان هو أيضًا أستاذًا.

ففي هذه المرحلة طُرحت مفاهيم (الحاكمية) على يد هذين الرَّجلين بصورة أساسية، وطبعًا كان هناك غيرهما مثل عبد القادر عودة -رحمه الله- وغيره، ولكن هذه الموجة قادها هاذان الرجلان، فطُرحت أفكار: الحاكمية، التمايز عن الكفر، المفاصلة للجاهلية، الجهاد وحمل السلاح، وهناك كتب مهمة للمودودي مثل كتاب (المصطلحات الأربعة في القرآن).

ثانيًا: حصل شيء أنه أُخرجت بقدر الله -سبحانه وتعالى- كتب ابن تيمية على يد النظام السعودي وطُبعت، فسبحان الله الذي يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، فسخَّر الله -سبحانه وتعالى- مال النفط من أجل طباعة كتب ابن تيمية، فخرجت كتب الإمام ابن تيمية وتلاميذه كابن القيم.

فبفقه ابن تيمية وإخراج أفكار السلف من طرف، وحركيَّات المودودي وسيد قطب كوّنت القاعدة الأساسية للفكر الجهادي المسلح، إذًا قام الفكر الجهادي المسلح على يد ثلاث أشخاص؛ اثنان من الخلف وواحد من السلف، ابن تيمية -رحمة الله عليه-، والمودودي وسيد قطب -رحمهما الله-.

فتكاد لا تجد كتابًا كُتب في الفكر الجهادي إلا ويستدل في أدلته الشرعية من كتب ابن تيمية، ويستدل بأدلة الحركية من كتب سيد قطب، لأننا نحن في العالم العربي لا نعرف المودودي ولا نعرف أن كثيرًا من أفكار سيد قطب سبقه بها المودودي، فاشتُهر عندنا سيد قطب. فتيارات الجهاد العربية قامت على سيد قطب وابن تيمية.

الفكر الجهادي تحول إلى تنظيمات جهادية مسلَّحة؛ فالكلام يقتضي العمل، فقامت تنظيمات جهادية مسلحة، **وكان أقدمها في المغرب الأقصى حيث قام تنظيم (الشبيبة المغربية) سنة ١٩٦٣م** على يد رجل كان يساريًا ثم هداه الله، وهو رجل عقليته فذَّة جدًا كتب كتبًا جميلة جدًا مع أنّه لضعفه الشرعي كان عنده بعض الأخطاء، واسمه عبد الكريم مطيع، فكان رجلًا ثوريًا جدًا.

يعني حالته الفكرية شبيهة جدًا بفكر منير شفيق فهو كان نصرانيًا شيوعيًا، فدخل في الإسلام، فبفكره الثوري بالإضافة لاعتناقه الإسلام كتب كتابات عظيمة جدًا، وعنده شطحات فالرجل ليس عالـمًا شرعيًا.

فالشاهد في الموضوع أنَّ عبد الكريم مطيع قاتل في سنة ١٩٦٣م.

وأذكر لكم التجارب هكذا بسرعة ثم لاحقًا في الكتاب ندقّق في التفاصيل:

- **١٩٦٠-١٩٦٥م أقام سيد قطب تنظيمًا جهاديًا في مصر** وكُشف وقُبض عليه وأُعدم، فهذا الرجل من الذين جمعوا الفكر مع العمل، فنسأل الله أن يجعلنا من هذه المدرسة؛ مدرسة سيد قطب ومدرسة الشيخ عبد الله عزام، فهؤلاء جماعة (السيف والقلم)، فأهل السيف أهل فضل، وأهل القلم أهل فضل، فلما يُجمع لإنسان السيف والقلم فهذا من المزايا..

وعلى الهامش هناك كتاب جيّد اقرأوه هو كتاب (السيف والقلم)، وهو من نشر مؤسسة نشر لبنانية اسمها (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ومقرها في بيروت، عُنيت بالكتب العسكرية بالدرجة الأولى، والسياسية بالدرجة الثانية، والأمنية والاقتصادية السياسية بالدرجة الثالثة، وتقريبًا كل كتبهم تُقتنى وتُشترى، جميلة جدًا، بعضها مترجم، وعندهم مترجمون جيدون جدًا.

من هذه الكتب كتاب (حرب المستضعفين) وهو مترجم، وهذا الكتاب شرحته أنا في ٣٢ شريط، وهناك كتاب أتمنى أن أقيم فيه (كورسًا) اسمه (الذكاء والقيم المعنوية للحرب)، وهو كتاب عظيم جدًا مؤلّفه جنرال فرنسي، من الكتب التي تنمّي النشاط الفكري والسياسي والإداري في قضايا الحرب. ولهم كتاب أنوي أن أقيم فيه كورسًا اسمه (فن القيادة) إذا يسَّر الله لنا، هو كتاب صغير ولكن يحتاج لشرح.

فهذه المؤسسة من منشوراتها كتاب اسمه (السيف والقلم)، جاء بتاريخ الكتَّاب العسكريين على مدى التاريخ، يعني رجل عسكري محارب ولكنه كاتب، مثل يوليوس قيصر كان كاتبًا وفيلسوفًا وقائدًا عسكريًا.

فسيد قطب كان من جماعة السيف والقلم –رحمه الله–، له كتابات وله فضل علينا وعلى كل الحاضرين، حتى نقل لي أحدهم فقال ذهبنا إلى (نورستان) في أول الجهاد في أفغانستان، وهي منطقة كانت وثنية حتى تجد أنها في الخرائط القديمة تسمى (كفرستان)، فدخل الإسلام فيها حديثًا من حوالي ١٣٠ سنة.

وهي منطقة جبلية صعبة ومنيعة، منطقة بعيدة عن الحضارة والتاريخ وليس لها علاقة بالعالم؛ ليس فيها كهرباء ولا طرق، فقال لي : "ذهبنا إلى نورستان فوجدنا كتاب (معالم في الطريق) لسيد قطب مترجمًا باللغة النورستانية"!.

فسبحان الله كيف تُرجم؟ ومن ترجمه؟!

*[٢٥٢] فالرجل له كتب مترجمة باللغة النورستانية التي لم يدخلها شيء من الحاضرة؛ **فالله –سبحانه وتعالى– يتولَّى إيصال كلمات الحق الصادقة والدعوات**. وفي آخر حياته قبل إعدامه بأيام رأى الشيخ سيد قطب رؤيا، وهو كان يكتب كتاباته على طاولة السجن ويضع الأوراق في درج الطاولة، فرأى أن درج الطاولة مفتوح وتأتي عصافير فتأخذ الأوراق بمنقارها وتطير. فأوّلها هو –رحمة الله عليه– بوصول فكره إلى كل أنحاء العالم.

فربما تكون كتب الشيخ سيد قطب من أكثر كتب المؤلّفين انتشارًا، حتى نصارى لبنان أوقفوا مطابعهم على طباعة (الظلال) لأنها أصبحت أربح تجارة! أكثر ما طبعت مطابع النصارى في العشرة سنين الماضية كتب سيد قطب وكتب ابن تيمية، لأنهم وجدوا أنها كتب رائجة، فلا يوجد معرض أو مكتبة أو رصيف إلا وتباع فيه كتب سيّد.

فالشيخ سيد قطب ومن معه –نسأل الله أن يرحمهم ويجعل أعمالنا كلها في ميزان حسناتهم– اشتغلوا فأُعدم على هذا التنظيم.

---

[٢٥٢] **بداية تفريغ الملف الواحد والعشرين.**

- بعد ذلك في نفس السنة ١٩٦٥م قام رجل من تلاميذ سيد قطب ومن أبناء الحركة الإسلامية ومن أبناء الإخوان المسلمين وهو الشيخ مروان حديد في سوريا؛ مروان حديد -رحمة الله عليه- عمل تنظيمًا عسكريًا وجابه الدولة بخطّة جميلة جدًّا رواها الشيخ كشك -رحمه الله- في أحد أشرطته.

- وفي سنة ١٩٧٣م خرجت حركة الإكنجلار (Ekinciler) في تركيا وتعني الطليعة؛ فقمعته الحكومة وقمعته الحركة الإسلامية.

- في السبعينات (١٩٧٥م) قام تلاميذ الشيخ مروان حديد في سوريا مرّة ثانية.

- في الثمانينات (١٩٨١م) قامت المحاولة الثانية في مصر.

- وقبل هذا في السبعينات (١٩٧١م) قام في الجزائر مصطفى بويعلى -رحمة الله عليه- بالمحاولة الجهادية الأولى في الجزائر.

- وفي سنة (١٩٨٠م أو ١٩٧٥م) بدأت ظاهرة (الأفغان العرب) الشوط الأول أو المرحلة الأولى.

- في (١٩٨٦م) قامت ليبيا الأولى.

هذا مما أتذكره الآن من الذاكرة. هذا في بلاد العرب، وعلى مدى هذه السنوات كانت تقوم في بعض البلاد حركة يقوم بها اثنان أو ثلاثة، ولكنها ليست حركة رئيسية بل هي مبادرات جهادية فردية قد تصلنا وقد لا تصلنا، ولكن هذه أهم التجارب ١٩٦٣-١٩٩٠م، ثم بعد هذا في التسعينات صارت قضايا البوسنة والشيشان، عمليات الإرهاب التي سنتحدث عنها، أفغانستان الثانية، ليبيا الثانية، الجزائر الثانية.

فحركات الجهاد في (١٩٦٠-١٩٩٩)م هي مدرسة قائمة بذاتها، وهذه المدرسة متمايزة تمامًا عن المدارس السياسية واللاسياسية ويُنكرون عليهم وهؤلاء يُنكرون عليهم، فكل مدرسة من هذه المدارس لها شيوخها ولها شعراؤها ولها مفكّروها ولها قصصها ولها مقاتلوها ولها أساتذتها ولها برلمانيها.. إلخ، كل مدرسة لها أصولها وليس لها علاقة بالأخرى، كلها تحت مسمى "الصحوة" ولكن كل واحدة متمايزة عن الأخرى، فتمايزت مدرسة الفكر الجهادي خلال أربعين سنة.

الصحوة الشاذة المنحرفة:

على هامش الخلاف الذي نشأ بين السياسيين والعسكريين نشأت أفكار شاذّة نتيجة الإحباط، وعلى رأس هذه الأفكار مدارس (التكفير والهجرة)، -وهذا سأفرد له إن شاء الله شريطًا فيما بعد خارج (الكورس) لأنه مهمٌّ جدًّا-، **حيث أصبح تيار التكفير هو الخيار الأساسي للاستخبارات الدولية لضرب الجهاد.**

يعني في العشر سنوات الماضية كان الخيار الأساسي لضرب الجهاد هم (الإخوان)، ثم جاء بعد ذلك (تيار السلفية)، ثم بعد ذلك (التكفير). فالآن خيارهم هو (تيار التكفير) حتى يقام حاجز كبير بين الناس والمجاهدين، فيقال هم خوارج تكفيريون، فلا يتبعهم أحد.

فالشاهد كيف قام التكفير؟

قام التكفير على معادلة يجب أن تحفظوها:

كفر الحكّام + ظلم الجلّاد في السجن + نفاق بعض العلماء ورموز الصحوة + إعراض عامة المسلمين عن الحق + جهل الشباب بالدين والسياسة = ميلاد تيار التكفير.

فحاكم كافر، وجلّاد ظالم وصل لهتك الأعراض وفعل المصائب، ونفاق العلماء والصحوة الذي شهدوا على المرتدين أنهم مؤمنون، إضافة لعامل جهل الشباب بالدين والسياسة.

فيأتي الشاب ويجد أمامه حاكمًا يكفر بالله، ويرى جلادًا ظالمًا يكفُر في السجن وينتهك الأعراض، ثم يأتي العلماء فيقولون: "هؤلاء مؤمنون وهؤلاء جنود ولي الأمر"، يأتي البوطي يقول: "حافظ الأسد هو صلاح الدين هذا العصر"، فقالوا له: "حافظ الأسد قتل أهل حماة!" فقال لهم: "وأين الإشكال؟ تترّس المجرمون بأهل البلد فذبحهم ولي الأمر"، فيأتي واحد ولا يتحمل منه أن يقول هكذا فيكفّره. وهكذا يرى أقوال الشعراوي وغيره..

فنشأ هذا التيار في مصر؛ فعندما كفر الحاكم عبد الناصر وفعل الجلّاد ما فعل جاء الشباب ليسألوا حسن الهضيبي: "هل عبد الناصر وهؤلاء كفار أو مسلمون؟"، فقال: "هم مسلمون"، فخرج هؤلاء وقالوا: "بل هم كفار"، فقال لهم: "بل مسلمون"، فدخل عليهم الشيطان بقاعدة (من لم يكفّر الكافر فقد كفر)، فكفروا أولئك..

فمن هنا وبهذه المعادلة بدأت مدرسة التكفير، ولم تخرج عن هذه القاعدة لا في مصر ولا في سوريا، والآن تأتي المخابرات السعودية لتصنع تيار التكفير صناعة عمدًا، والآن سأخبرك كيف.

فبعد كفر الحكام وظلم الجلاد كيف سيتحمَّل شاب جاهل سُجن وانتهك عرضه وذهبت دنياه قول عالم: "اللهم اشفِ جرحى الأمريكان ولا تؤخذنا بما فعل السفهاء منا"؟! فخرج وقال هذا كافر.

وكذلك إعراض المسلمين، فرجل يموت وتذهب دنياه وذهبت جامعته وذهب أهله وخرب بيته، ثم يرى عوام المسلمين يأكلون ويشربون ويذهبون للسينما والسهرات ويشاهدون المسلسلات وليس لهم علاقة بكل ما يحدث، فجاء الشيطان وقال له: "هؤلاء أيضًا كفار"، فاستدرجهم الشيطان وجاءهم بالأدلة والأحكام. ثم جلسوا في السجن مع بعضهم فتطوَّرت أفكارهم حتى صارت مدرسة لها رموز ولها كتب ولها شعراء ولها قضية ولها فكر، وإن كانت هي مدرسة شاذّة معزولة قليلة بالنسبة للصحوة **لكنها موجودة، والآن يستغلها العدو**.

فبسبب جهل الشباب بالدين لم يعرفوا أن القاعدة (من لم يكفر الكافر فقد كفر) هي في الكافر المقطوع بكفره مثل اليهودي والنصراني، وقضية التكفير لها ضوابط كثيرة عند أهل السنة والجماعة، كُتبت فيها رسائل ماجستير ودكتوراة، وهناك كتاب مهم وهو رسالة ماجستير اسمه (ضوابط التكفير عند أهل السنة).

فحتى الذي يأتي بالكفر أو يقول قولة الكفر يجب أن تنظر في تحقُّق شروط التكفير وانتفاء الموانع عنه، التي منها الجهل والإكراه والتأويل، على تفصيل يعرفه أهل العلم، ولذلك هناك فرق كبير عند أهل السنة بين أن يفعل إنسان فعل الكفر أو يقول قولة الكفر وبين أن يقع الكفر على إنسان؛ فقد يقع الإنسان بالكفر بالخطأ أو بالإكراه أو بالجهل أو بالتأويل، ولست الآن بصدد التفصيل، فلو داس رجل على المصحف بدون قصد، ففعله كفر بالدوس على المصحف كفر، ولكنَّنا لا نكفر هذا الرجل لأنه امتنع عنه حكم الكفر بالخطأ.

فهم جهلوا هذه الأمور الشرعية وجهلوا واقع المسلمين وواقع الحركات، ثم ذهبت الحركة الإسلام للبرلمان، وصار ماجد بن عبد الرحمن خليفة ابن المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن وزيرًا للعدل، يحكم بالقانون الإنجليزي باسم العدل، يعني هو وزير الحكم بغير ما أنزل الله، فكيف سيحمل عقل الشاب مثل هذه الأمور؟! وكذلك أفعال ابن عثيمين وابن باز وغيرهم، فخرجوا وقالوا: لقد كفر البشر!، ووجدوا على ذلك أتباعًا، فنشأت مدرسة..

فهذه هي المدارس الأربعة التي تمايز إليها الصحوة في (١٩٦٠-١٩٩٠)م، هذه هي المدارس الأساسية للصحوة.

نقف تقريبًا هنا لأننا يجب أن نتابع في الفصل الخامس التحليل، فنحلل مدرسة الصحوة اللاسياسية تحليلًا سطحيًا، ونحلل مدرسة الصحوة السياسية الثانية تحليلًا سطحيًا، ونحلل تيار التكفير تحليلًا سطحيًا، ولكن سنأخذ مدرستنا الجهادية وندرس مسارها (١٩٦٠-١٩٩٩)م، لأن هذا المسار وصل للأزمة فيجب أن نحلل هذا المسار حتى نستخرج الحل والذي سيكون -إن شاء الله- من مسببات الخروج من الأزمة، -نقف هنا للصلاة ونكمل غدًا إن شاء الله-..

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك..

***

مراجعة وإضافة لما سبق عن مسار الصحوة:

عندما نقول نحن (**صحوة إسلامية) فنعني كلَّ من طرح مبدأ الدعوة للتدين وإلى الإسلام**؛ فالتبليغ صحوة له ما له وعليه ما عليه، والتيار السلفي بكل أطيافه من الصحوة، والتحرير من الصحوة، والإخوان من الصحوة، وحتى الصوفية بكل ما فيهم من المقبول جزئيًا إلى الكافر هم من الصحوة، فسميت صحوة لأن هذه الأمة أرادت أن ترجع للإسلام فأخطأ بعضها وضلّ الطريق، وأصاب بعضها.

فهذه الصحوة وُلدت تقريبًا بعد سقوط الخلافة في سنة ١٩٣٠م، وسارت إلى سنة ١٩٦٠م وهي صحوة صاعدة في خط واحد ومختلطة؛ ففيها دعوة إلى الإصلاح، وفيها دعوة إلى التربية، وفيها دعوة إلى تصحيح العقائد، وفيها دعوة إلى السلوك والأخلاق، وفيها دعوة إلى العمل السياسي والديمقراطية، وفيها شيء من القومية وشيء من الوطنية، وفيها جهاد وقتال اليهود في فلسطين في القناة.

فالصحوة ظهرت في بعض المناطق، فهناك بؤر هامة للصحوة؛ مصر، الشام، شرق آسيا، باكستان، وتركيا، فظهرت الصحوة وكانت مختلطة وهذا شرحناه، وسارت في مسار مختلط حتى سنة ١٩٦٠م حيث تفرَّقت الصحوة إلى أربعة مدارس، فسارت صاعدة إلى سنة ١٩٩٠م.

وهذه المدارس هي:

- صحوة غير سياسية.
- صحوة سياسية.
- صحوة جهادية مسلَّحة.

- صحوة بأفكار شاذّة وعلى رأسها التكفير والهجرة.

الصحوة اللاسياسية:

ثم تكلمنا بإيجاز عن هذه المدارس فقلنا أن الصحوة اللاسياسية شملت ثلاث مدارس وهي:

- (التبليغ).
- ما اصطُلح على تسميته بـ(السلفيّة العملية) أصحاب مبدأ (التصفية والتربية).
- مدرسة الإصلاح السلوكي وتشمل مدارس التصوّف.

وأنا الآن لا أقيّم العقائد، فرأيُنا معروف في هذه المدارس، ولكن أقوم بعملية تصنيف، فرغم الفوارق هناك عامل مشترك بين السلفية والصوفية والتبليغ، وهذا العامل هو البعد عن السياسة، فيرون أن المشاكل السياسية {لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ}[253]، فهم يرون أنه ليس عليهم جهاد ولا إعداد ولا سياسة، وليس لهم علاقة بأن البترول سُرق أو أن فلسطين احتُلّت أو أنّ الحاكم كفر.

حتى أن رجلًا عاميًا عاديًا كان معنا في لندن فذهب للأردن، فقال لي ذهبت لأشتري أشرطة إسلامية عامة للبيت، فذهب لمحل أشرطة إسلامية عامة فقال للبائع: "هل عندك أشرطة للألباني؟"، فقال له البائع: "مش عاوز هذا الشيخ ولا أبيع له أشرطة"، فقلت له: "لماذا؟"، فقال لي: "يا أخي جاءنا من سوريا وله عندنا في الأردن عشرين سنة؛ فعنده أشرطة ضد التصوّف، وعنده أشرطة ضد الإخوان، وعنده أشرطة ضد الجهاديين، وعنده أشرطة ضد كل الإسلاميين الذي يعملون، طيب يا عمّي ما طلع له ولا شريط عن الملك حسين في هذه العشرين سنة؟!". وهو عامي على فطرته..

الشيخ الوادعي وهو من نفس المدرسة، عنده أشرطة في تبديع وتكفير كل هؤلاء وليس له أشرطة في علي عبد الله صالح بل خرج منه: "الأخ المؤمن علي عبد الله صالح"!.

فهذا في (السلفيين)، وتعال انظر للتصوف تجد نفس الشيء، فلا يهتمّون بالاحتلال ولا يهتمّون بالكفر ولكن يسعون للإصلاح على طريقتهم، فهذه المدارس الثلاث -جزاهم الله خيرًا- على شيء من الإحسان حقيقةً؛ فـ(التبليغ) أخرجوا

---

[253] سورة النجم، الآية: ٥٨.

كثيرًا من الناس من الظلمات إلى النور النِّسبي، فأخذوا الناس من المراقص للمساجد، وخدموا دين الله وخدموا الناس بهذه الطريقة، ولكن واضح أنه كان بينهم وبين السياسة حاجز.

أمّا الصوفية؛ فالشيخ عبد القادر عيسى من شيوخ الصوفية السورية بل وعلى مستوى العالم العربي، وهو شيخ الطريقة الشاذلية؛ كان عندنا يلتزم المريد ويريد أن يدخله في الطريقة يقول له: "عليك ركعتين لله تعالى بنية ترك السياسة"، فتتوضأ وتقول: "نويت أن أصلي ركعتين لله بنية ترك السياسة"!. وأنا متأكد أن أتباعه في بلاد الشام أكثر من أتباع الجهاديين والإخوان والسلفيين مع بعضهم.

ومن مدرسة (السلفية العلميّة) خرجت مدرسة (القطبية) التي تقول بنظرية (القاعدة الصلبة)، وهم أناس صالحون ولهم خدمة لدين الله مثل الأستاذ محمد قطب، وخلاصة القاعدة الصلبة هي أن نقوم بتربية وتصحيح للعقائد وطلب للعمل ولكن من دون أن نعطي الحكومات أي دليل أو مُستَمْسَك بأننا نُعدّ ونريد الوصول للحكم، فالآن الصحوة صحوة تربوية.

فمن الملاحظ أن هؤلاء الناس كان فيهم خير وخدمة لدين الله؛ من تصحيح العقائد وإخراج كتب الحديث والسنة. والأمر الثاني أنّ بينهم تباين شديد جدًا -فبين السلفية والصوفية تباين شديد-، ولكنهم اشتركوا في مبدأ واحد وهو (سنة ترك السياسة).

ونلاحظ هذا التوافق بين صوفية المغرب وسلفية المغرب العربي، والصوفية في المغرب -نسأل الله العافية- فيها بلاء كبير أسوأ من الذين في أفغانستان أو تركيا، فهؤلاء (الصوفية) نازعوا (السلفية) في مسألة (أسماء الله وصفاته وذاته)، فاختلفوا على ذات الله، حتى كفَّر السلفية الصوفية في هذا، ولكن صوفية المغرب وسلفية المغرب متفقون -وسبحان مؤلّف القلوب- على أن الملك محمد الثاني هو (أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين)، فاختلفوا في ذات الله -جلّ جلاله- ولكنهم اتفقوا في الملك!.

فهذه المدرسة على ما فيها من خير وشر تشترك في صفة واحدة ولذلك صنفتها أنها (صحوة لاسياسة).

الصحوة السياسية:

الآن نأتي للصحوة المقابلة وهي الصحوة السياسية أي الإخوان المسلمون وفروعهم مثل (جبهة الإنقاذ)، (حزب السلامة) بقيادة أربكان والذي كان يسمى حزب السلامة ثم أصبح (حزب الرفاه) ثم (حزب الفضيلة) وهكذا، (حركة النهضة) والغنوشي في تونس، الترابي وجماعته في السودان، وإخوان الأردن، وإخوان الكويت، وإخوان سوريا، والإخوان في كل الأمة..

هؤلاء الناس رأوا أن خلاص الأمة ومشكلة الصحوة تحلّ في السياسة، أي بتشكيل أحزاب سياسيّة لتصل للبرلمان ثم يصل للوزارات ويستلم السلطة ثم يحلُّ المشاكل، وأنا لست بصدد التقييم العقدي الآن ولكن هم هكذا فكروا.

فشكلوا لذلك أحزابًا، وكان خلاصة نظريتهم كما يقول الإخوان المسلمين: "نحن لا نريد الحكم ولسنا طلّاب سلطة وإنّما نريد أن نصلح الأمة عن طريق البرلمان ضمن (الطرق القانونيّة) و(الشرعيّة الدستورية)"!.

فكانت نتيجة هذه المدرسة أن ملأوا البرلمانات في سوريا والكويت والأردن والمغرب ومصر، ووصلوا القمة في بعض الدول؛ كما حصل مع (جبهة الإنقاذ) حيث أوشكوا أن يستلموا الحكومة، وكما حصل مع (أربكان) الذي وصل فعلًا للسلطة، وكما حصل في الأردن حيث استلموا وزارات منها وزارات سياديّة مثل وزارة العدل التي استلمها ماجد بن عبد الرحمن خليفة ابن المراقب العام في الأردن..

فملأوا البرلمانات والوزارات، ثم صرت تفتح كتب الإخوان فتجد في مجلة (المجتمع) باب (فقه برلماني)، كنا نسمع سابقًا فقه بيوع، وفقه طهارة، وفقه زكاة، وفقه جهاد، فالآن هناك فقه برلماني، ليُجيبوا على أسئلة الناس كيف ينتخبوا ومن ينتخبوا..!

المهم هؤلاء الناس عملوا صحوة يريدون أن ينقذوا المسلمين بالسياسة، ولست الآن في صدد تقيمها شرعيًا. قبل ثلاثة شهور قال عبد الله المطوع رئيس تحرير مجلة (المجتمع) ومسؤول الإخوان في الكويت:

"إمام الحكم كإمام الصلاة، فإمام الصلاة إذا أخطأ نقول له: (سبحان الله) وإذا أحسن صلاته نقول (الحمد لله)، فعلاقتنا مع إمام الصلاة تتراوح بين (سبحان الله) و(الحمد الله)، وكذلك إمام الحكم؛ إذا حكم بما أنزل الله نقول: (الحمد لله)، وإذا أخطأ وشذّ نقول: (سبحان الله)".

هذه خلاصة كلامه، ونسي أنه إذا أخطأ الإمام وكانت تصلي خلفه نساء فإنهن يصفقن كما يقول العلماء، فالآن على الرجال أن يقولوا (سبحان الله) وعلى النساء أن يصفقن.!

وطبعًا أنا أتحدث عن المدارس التي لها أُسس، ولكن خرجت مدارس عجيبة جدًا على الجانب، الشيخ أبو بكر الجزائري من كبار العلماء في السعودية كتب في كتاب له فقال: "الآن الناس يتكلمون عن الحكم والحاكمية، أنا أقترح على الناس أن يخرج الشعب والعلماء في مسيرة إلى باب قصر ولي الأمر، فيجلسوا على بابه وينخرطوا بالبكاء، فإذا سألهم ولي الأمر ماذا يُبكيكم؟ فيقولون: غياب شرع الله. وولي الأمر بشر، وكل بشري في قلبه شيء من الخير، فإذا رآهم يبكون على شرع الله فلا شك أنّه سيطبّق شرع الله".!!

فهذه مدارس عجيبة تريد إصلاح الأمر بهذه الصورة. أما المدارس الأساسية فهي المدرسة السياسة والمدرسة اللاسياسية ثم مدرسة الجهاد المسلّح.

الصحوة الجهاديّة:

وقلت بالملخص أن مدرسة الجهاد المسلَّح ولُدت في سنة ١٩٦٠م على يد مجموعة من الكتاب والعلماء الحركيين وكان على رأسهم المودودي -رحمه الله وغفر الله لنا وله-.

ورغم أخطائه التي لن نتحدث عنها الآن كان المودودي أستاذ سيد قطب في باب التنظير الحركي، وهذا كثير منّا لا يعرفه، فكثير من أفكار سيد قطب أخذها من المودودي ثم أبدع فيها وطوّرها. فطُرحت (المصطلحات الأربع في القرآن) والعقائد ومفهوم (لا إله إلا الله) والحاكمية والمفاصلة والتمايز.

فبحث الجهاديون في قضية الحكم والحكومات وما هو حكمهم؛ فلم يجد التيار الجهادي جواب لهذه المسائل إلا في فقه ابن تيمية، فنُبشت كتب ابن تيمية بعد أن كانت مُغلقة ومدفونة من أيام حياته وحتى العصر الحديث، وشاء الله -سبحانه وتعالى- أن تُخرج كتب ابن تيمية وتُطبع على أيدي آل سعود وعلماء الجزيرة.

وكان هذا نتيجة التزاوج الذي سنتكلم عليه بين الدعوة الوهابية -على صاحبها الرحمة- وبين آل سعود، فأصبحت الدعوة في الجزيرة سلفية، ثم لمّا ظهرت آبار النفط وُجدت أموال لطباعة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ووُزّعت من المغرب إلى العراق، وكما قال ﷺ: (وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ)[٢٥٤]. فوُزِعت هذه الكتب مجانًا عبر السفارات والمؤسسات.

[٢٥٤] صحيح البخاري (٣٠٦٢)، صحيح مسلم (١٧٨).

فوُجد فقه ابن تيمية وطُرحت مقارنة الحكام بالتتار والطوائف الممتنعة بالتفاصيل التي تعرفونها، فأجابت على تساؤلات التيار الجهادي، فأصبح مدار كل فكر وكتب ومؤلفات التيار الجهادي على هذا الثلاثي (المودودي- سيد قطب- ابن تيمية)، اثنان من الخلف وواحد من السلف، كل الذي كتبناه في الطبقة الأولى والثانية مداره على شرح وتفصيل هذا الكلام.

ففي السنوات (١٩٦٠-١٩٦٤)م كانت مرحلة نشأة الفكر الجهادي، ثم جاء بعد هذا مرحلة التنظيمات المسلحة، فأفرز الفكر الجهادي التنظيمات المسلحة، فاستعرضت تاريخ التنظيمات المسلحة:

- وُلد الجهاد في المغرب في سنة ١٩٦٣م على يد تنظيم (الشبيبة المغربية) بقيادة عبد الكريم مطيع.
- ثم في سنة ١٩٦٥م شكّل سيد قطب -رحمه الله- تنظيمًا مسلحًا في مصر وقُتل عليه.
- ثم في سنة ١٩٦٥م قام مروان حديد بأول محاولة جهادية في سوريا.
- ثم في سنة ١٩٧٢م قامت الإكنجلار في تركيا بمحاول مسلحة.
- ثم في سنة ١٩٧٣ قام مصطفى بويعلى في الجزائر بمحاولة مسلحة.
- ثم تتابعت المحاولات، ففي ١٩٧٥م حاول مروان حديد مرة أخرى.
- في سنة ١٩٧٩م قام تنظيم سري جهادي في تركستان كأول محاولة مسلحة ضد الحكومة الصينية.
- وفي سنة ١٩٨١م قامت جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر بمحاولة أخرى.
- وفي ١٩٩٦ قامت في ليبيا محاولة.
- وقبل هذا قامت ظاهرة الأفغان العرب في افغانستان في سنة ١٩٧٨-١٩٩٢م.

ففي هذه المرحلة (١٩٦٣-١٩٩٩)م حصلت التجارب الجهادية في أغلب البلاد، ونستطيع أن نؤرخ لها بلدًا بلدًا، حتى نكاد نقول أنّه ليس هناك بلد إسلامي في الخريطة من تركستان وحتى طنجة ومن شمال تركيا إلى قلب أفريقيا إلّا قامت فيه محاولة جهاديّة.

وأنا أعتبر كل هذه المحاولات من التيّار الجهادي، كما أعرّف الصحوة بأنّها العودة للدين سواء كانت بطريقة صحيحة أو خاطئة، فكذلك أقول أن التيار الجهادي يشمل كل من حمل السلاح تحت مسمّى الإسلام والجهاد، فسيد قطب حمل السلاح وفتحي الشقاقي حمل السلاح، وبينهما حماس ومروان حديد.

وهذه المنهجيّة في التصنيف قد يُختلف حولها، وعقيدتنا فيها معروفة. ولكن عندما نقول (تيار صوفي) فله مميزات، و(تيار تكفير) فله مميزات، و(تيّار سلفي) فله مميزات، وعندما نقول (تيار جهادي مسلح) فمميزاته الأساسية أنهم أناس حملوا السلاح لينصروا دين الله ويقاتلوا اليهود أو النصارى أو المرتدين[٢٥٥].

متابعة الحديث عن الصحوة الشاذّة (تيار التكفير):

وعلى هامش التيار الجهادي والصحوة السياسية واللاسياسية اشتبكت الأفكار بصورة شديدة فظهرت هناك أفكار شاذّة، وعلى رأسها التكفير، ولخصت ميلاد تيار التكفير بالمعادلة التالية:

كفر الحكّام + ظلم الجلّاد في السجن + نفاق بعض العلماء ورموز الصحوة + إعراض عامة المسلمين عن الحق + جهل الشباب بالدين والسياسة = ميلاد تيار التكفير.

فالعامل الأول: حاكم كافر مرتد يحكم بغير ما أنزل الله و{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}[٢٥٦]، ويتولى اليهود والنصارى {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}[٢٥٧]، ونحن والحمد لله قرب كابول على ارتفاع ألفين كيلومتر عن سطح البحر ليس عندنا خلاف حول هذه المسالة.

العامل الثاني: جلّاد ظالم. والعامل الثالث: علماء وقادة عمل إسلامي منافقون شهدوا على هؤلاء الكفرة بأنهم مؤمنون. العامل الرابع: إعراض عوام المسلمين عن نصر دين الله، العامل الخامس: جهل الشباب. فإذا وُجدت هذه الظروف الخمسة وُجد التكفير؛ فالملك حسين كافر رغم أنف الألباني وجماعته، والملك فهد كافر رغم أنف هيئة كبار العلماء، بل هم في مجالسهم الخاصّة يقولون غير هذا، أُثر عن ابن عثيمين أنه قال: "نعم فهد كافر ولكن إعلان هذا فتنة".

---

[٢٥٥] تراجع الشيخ في كتابه (المقاومة الإسلامية العالمية) عن هذا التعريف، ليجعل المصطلح الأوسع عنده هو (الظاهرة الجهادية) وهي كل من حمل السلاح لنصرة دين الله، أما التيار الجهادي فقد عرّفه كالتالي: [التيار الجهادي يشمل التنظيمات والجماعات والتجمعات والعلماء والمفكرين والرموز والأفراد الذين تبنوا فكرة الجهاد المسلح ضدّ الحكومات القائمة في بلاد العالم العربي والإسلامي باعتبارها تمثل أنظمة حكم مرتدة، بسبب حكمها بغير ما أنزل الله وتشريعها من دون الله وولائها لأعداء الأمة من قوى الكفر المحتلة، كما تبنوا منهاج الجهاد المسلح ضد القوى الاستعماريّة الهاجمة على بلاد المسلمين معتبرين تلك الأنظمة التي أسقطوا شرعيتها وخرجوا عليها حلفاء محاربين للإسلام والمسلمين].

[٢٥٦] سورة المائدة الآية: ٤٤.

[٢٥٧] سورة المائدة، الآية: ٥١.

فالحاكم كافر، والجلاد يمارس التعذيب من الكهرباء إلى انتهاك الأعراض إلى الكفر بالله وكل ما يخطر على بالك، فولد التكفير، أما نفاق علماء وقادة العمل الإسلامي فيخرج الشعراء والإعلام ليقولوا لصدّام حسين على شاشات التلفاز:

تبارك وجهك القدسي فينا كوجه الله ينضح بالجلال

ثم يخرج مفتي العراق ويقول هذا مسلم!.

في سجن الرويس في جدّة أخذوا الإخوة وعذّبوهم، وحكى لنا أخ ثقة من غير السعوديين، أُفرج عنه مع دفعة فجاء وحدّثنا ما جرى في سجون السعودية. ففي سجن الرويس يُصنع تيار تكفيري عمدًا، فالبلد ليس فيها تيار تكفير بل حتى ليس فيها تيار جهادي، ففي العادة تخرج صحوة ثم تيار جهادي ثم تيار تكفير، ففي السعودية لم يقطعوا الشوط الأول بعد، ومع ذلك وجدوا من تجربة الجزائر أن أحسن حل لضرب الجهاد هو التكفير، وذلك لإبعاد العامة عن الجهاد، فعُمل الذي عُمل. –وسأفصّل إن شاء الله في هذه المسائل، ونحن وصلنا البارحة إلى هنا–.

فبعد وجود حاكم كافر وجلّاد ظالم وعلماء نفاق وعوام معرضون عن كل هذا، فأكمل الجهل هذا الرباعي فكفّروا الأمّة كلها، فوُلد التكفير من هذ البلاء.

فمن هو المسؤول عن ميلاد تيار التكفير؟ هل هو هذا الشاب الجاهل المسكين؟

هذا الشاب هو ضحية من الضحايا، المسؤول عن التكفير هو كفر الحاكم ونفاق العالم، لأن الرسول ﷺ قال: (**صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلُحَا صَلُحَتِ الْأُمَّةُ وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَتِ الْأُمَّةُ: السُّلْطَانُ وَالْعُلَمَاءُ**)[٢٥٨].

فهذا شاب هو جاهل مسكين خسر حياته ودنياه واعتقله أمن الدولة فعذّبه وانتهك عرضه ثم يخرج فيطرده العالم من المسجد، وطالما طُردنا من مساجد لندن لمناصرتنا الجهاد في الجزائر، ومُنعنا أن نصلي فيها، من مسجد سرور ومن مساجد الإخوان ومن مساجد السلفيين، ممنوع أن ندخل لنستعير كتاب حتى!

فعندما يأتي شاب جاهل لم يعلّمه أحد ولم يُفهمه أحد، ولم يأخذ بيده أحد، ثم ينظر لهذا الثالوث فلا بد أن يقع في الغلو، **لا شكّ أن تيّار التكفير هو تيّار ضالّ جاهل فيه مجرمون وأفعالهم مشهورة، ولكن هذه الظاهرة لها أسباب.**

[٢٥٨] انظر (جامع بيان العلم وفضله) لابن عبد البر (١١٠٨، ١١٠٩).

المرحلة الثالثة للصحوة الإسلامية ١٩٩٠–١٩٩٩م:

هذا هو الطيف الأساسي للصحوة، فأنا أريد كما أفردنا من التاريخ تاريخ الحملات الصليبية ومن هذا تاريخ الصحوة؛ أريد أن نصبّ البحث على التيّار الجهادي حتى نعرف لماذا خسرنا في التيار الجهادي؟

لماذا خسرنا في أفغانستان وانتصر الأمريكان و"خرجنا من المولد بلا حمّص"؟ ولماذا نحن في سوريا بعد جهاد دخل فيه ٥٠ ألف شخص عدد الذي يُريدون إعادة إحياء الجهاد في سوريا لا يتجاوز عدد أصابع الكفّ الواحد؟ ولماذا أعلن أبو عبد الله أسامة بن لادن الجهاد المقدَّس وبلغ وصاح وإلى الآن لم يبلغ عدد المجاهدين السعوديين الذي جاؤوه عشرة؟ ولماذا فشلنا في مصر؟ ولماذا فشلنا في كل هذا لمحاولات؟؟!

فهذا له أسباب تقتضي أن نبحث بهذه الصورة، فقبل أن ننتقل للصحوة الجهادية نريد أن نذكّر ببعض الأمور للتصوير:

فنقول بدأت الصحوة في سنة ١٩٣٠م، وسارت مختلطة ومشتركة إلى سنة ١٩٦٠م ثم انشطرت إلى أربعة مدارس، ثم أكملت هذه المدارس وهي في صعود حتى سنة ١٩٩٠م، ثم بعد هذا بدأت الصحوة بكل مدارسها بالانهيار، والآن الصحوة بكل أنواعها في سنة ١٩٩٩م في حالة أزمة.

فالآن التبليغ يُعتقلون، والديمقراطيون ضُربوا على قفاهم، أحد أعضاء الإخوان المسلمين جاء ليحاور البرلماني رفعت محجوب على التلفزيون عن فكر الإخوان المسلمين فما كان منه إلا أن قال له: "أنتم أولاد كلب"، هذا على التلفزيون المصري في بث مباشر. أما عباس مدني فأخذوه ووضعوه في السجن، وكذلك أربكان، فالصحوة الديمقراطية فشلت..

في الأردن اعتقلوا مسؤول في التبليغ، فقال لهم: "نحن تبليغ ليس لنا علاقة بالسياسة"، فقال له ضابط المخابرات الأردنية: "نعم ولكن أنتم (أتوبيس) تأخذون الناس من الشارع للمسجد، والإخوان يوعّونهم ويعطونهم بعض الأفكار ويأخذونهم على السياسة، ثم يأتي المسلحون فيعطوهم سلاحًا ويأخذوهم للقتال، فأنتم الأتوبيس بين الناس والإرهاب".

وكذلك السلفية والصوفية، عائض القرني زاد عدد تلاميذه فقاموا وعملوا له تهمة وقضية في عرضه حتى ينفّروا عنه الناس، وموقف عائض القرني من الحكومة السعودية معروف. فالصحوة سواء كانت سلفية أو صوفية أو تبليغ أو ديمقراطية أو مسلحة كلها في قعر الأزمة.

وأنا لا يهمني الصوفية ولا التبليغ ولا السلفية، وأقصد هنا السلفية المتعارف عليها، فنحن سلفيّو العقيدة والفكر، ولكن عندما يقال فلان (سلفي) فيقصدون الوادعي والألباني وهؤلاء الذي احتكروا التسمية، وهذا سأفصله فيما بعد.

فقبل أن أنتقل للفصل السادس (الحلول المطروحة لدى الجهاديين للخروج من الأزمة)، وبعده الفصل السابع (مسار التيار الجهادي)، فنتكلم عن التيار الجهادي فقط، فأريد أن أقول لكم قبل أن أترك هذه (الصحوات) أن هذا الكلام له تفصيل، وهنا أختصر حتى لا أطيل الأشرطة، ولكن عندما أكتب الكتاب فهذا الكلام له تفصيل..

القطبيّون ما لهم وما عليهم، السلفية العلمية والتصفية والتربية أين أحسنت وأين أجادت وكيف نستفيد منها وما لها وما عليها، الطرق السلوكية في بعض البلدان التي فيها صوفية حركية معتدلة، وصولًا إلى الصحوة السياسية والإخوان وفروعهم وأين وصلوا..

حتى تصل القضية في النهاية أن يخرج الزنداني وعمر سيف ليُفتوا بالقتل والحرابة على أبي الحسن المحضار تصريحًا أو تلميحًا، وكما قال المرشد الأعلى للإخوان المسلمين في مصر: "نحن ديمقراطيون نقاتل دون الديمقراطية، ومن لا يعرف هذا فهو لا يعرفنا.

أما عن الوحدة الوطنية فنحن نقول إخواننا النصارى في مصر والعالم العربي والإسلامي لهم ما لنا وعليهم ما علينا، لهم كافة الحقوق المادي منها والمعنوي، والمدني منها والسياسي، والبرّ بهم والتراحم معهم فرائض إسلامية لا ينكرها مسلم كامل الولاء"، ثم يكمل البراء فيقول: "ونحن نبرأ من كل من يقول خلاف هذا الكلام"!. فهو بجرة قلم يبرأ من عمر بن الخطاب والصحابة –رضي الله عنهم–، وقبل ذلك يبرأ من السنة والقرآن.

فهذا نهاية ما وصلت إليه الصحوة السياسية، وحكيت لكم صاحب مقولة (الحمد لله) و(سبحان الله)، ثم عباس مدني البارحة يؤيّد قانون بوتفليقة في البرلمان ويقول: "يا سيادة الرئيس إذا مضيت في هذا القانون فنحن معك، وأقول أنّ تسليم السلاح والدخول في الوئام الوطني عليه أدلة قطعية متواترة من الكتاب والسنة"، والنص موجود عندنا نقلته مجلة (المجاهدون)، ثم أتبع هذا بفتوى الألباني فالتقى الحركيون مع الشيوخ.

الشيخ الزنداني في خطبة جمعة حضرها ٢٠ ألف شخص نسي كلامه في التحريض على الجهاد وما دار في أفغانستان أيام صحبته للشيخ عبد الله عزام ومواجهته للنظام الدولي في أفغانستان، فقام في الخطبة فقال: "لا نريد في اليمن دماء، ولا نريد أشلاء، هي ورقة تضعها في صندوق فتعمل على قيام دولة الإسلام".

وأنا جلست مع راشد الغنوشي في سهرة طويلة في مدريد وتحاورنا مباشرة بحضور قيادته السياسية والعسكرية، فقلت له: "اشرح لي مساركم في تونس". فقال بالحرف الواحد: "نحن المسلمون في تونس وكفار تونس من الأحزاب ارتضينا أن تحكم بيننا صناديق الاقتراع، فإذا اختارنا الشعب حكمنا بالإسلام وسمحنا للكفر بأن يكون له جمعياته وأحزابه وصحفه، فيتكلموا كما يريدون في ظل حكم الإسلام، وإذا اختارهم الشعب رضينا حكم الكفر لأنّ الله تعالى يقول: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}[٢٥٩] والشعب اختار الكفر فنحن نسلم باختيار الشعب ثم بعد ذلك ندعو الشعب أن يتحوَّل عن هذا الضلال، فالحَكَمُ الأول والأخير في قضية الكفر والإيمان هو الشعب". وهذا الكلام خرج من فمه لأذني ولمسجّل الكاسيت!.

وحتى لا يقول أحد أنه رجع أو بدّل طبع قبل سنة ونصف كتابًا ضخمًا من ٥٠٠ بالخط الناعم جدًا، فلو طُبع بالخط الطبيعي يخرج بألف صفحة، اسمه (الحريات السياسية في الإسلام)، فوضع فيه كل هذا الكلام، فهذا من نهايات الصحوة السياسية، وتعرفون ما حصل في الأردن، وكل واحد يعرف ما حصل في بلده للصحوة السياسية، وهذا سنتكلم عنه في الكتاب بالتفصيل.

خطورة تيّار التكفير على قضية الجهاد:

أما تيار التكفير والخطورة التي يشكّلها على قضية الجهاد فهذا يجب أن نتحدث عنه بالتفصيل، نحن أهل الجهاد نريد أن نأخذ الناس معنا لنحارب بهم الثالوث: اليهود والصليبين والمرتدين، فهذه خلاصة نظريتنا أن نأخذ الناس لنحارب فيهم الصائل..

خلاصة رسالة التكفير أن يأخذوا الناس فيكفّروهم؛ فيُخرجون الناس من المعركة ويضعون بيننا وبينهم حاجزًا، فلا يبقى إلا أهل التكفير، وهم أصلًا لا يرون جهاد هؤلاء الناس بل يرون جهاد الأمة، بل يرون جهاد حركات الجهاد أولًا، وسمعتم ورأيتم نماذج كثيرة من الأفكار التي تخرج من هؤلاء الناس.!

فنترك التفصيل للكتاب، وتحت مسمى (التكفير) سأُخرج بحثًا وأُثبت أن التَّكفير هو آخر سهام الصائل الدولي في نحر الجهاد، لأن النظام الدولي ضربنا بالنصارى فانتصرنا، وضربنا باليهود فانتصرنا، وضربنا بالمرتدين فانتصرنا..

---

[٢٥٩] سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

ومن آخر ما قيل على لسان (فرانسوا ميتيران) قبل عدة سنوات: "سياستنا في مكافحة الأصوليّة أن نضرب الإسلام المتطرف بالإسلام المعتدل"، فخرجت بعض الصحوة السياسيّة في البرلمان والحكومات لينددّوا فينا ويهاجموننا، وخرجت هجومات من الصحوة السلفية ضد الجهاد..

فهم أرادوا أن يضربوننا بهؤلاء ولكن لم يفلحوا في هذا؛ لأن الأمة بوعيها الفطري صنّفت فتاوى هذه الصحوة أنّها في قاموس العدو، ولم تقبل بها الأمة، فالعامي بحسّه الداخلي وهو يدفع فاتورة الكهرباء ٧٠ دينارًا يحسّ أن جابي المال هو يجمع المال لحاكم كافر، فعندما يسمع فتوى الشيخ بأن هذا مؤمن لا يدخل عقله، فلم يستطيعوا أن يجنّدوا كل الأمة، ربما وصلوا بالأمة إلى الإعراض عن المسألة.

فوجد الأعداء أنّ الجهاد يجنّد الأمّة في وجه الصائل، ووجدوا أنّ الأمّة انتصرت في الحملة الصليبيّة الأولى لأنّ المعركة كانت أمّة ضدّ أمّة، ووجدوا أن الأمّة انتصرت في الشوط الأول من الحملات الصليبية الثانية لأنّها كانت أمّة ضد أمّة، ولكن في المرحلة الثانية خسرنا لأنّ المعركة كانت أمّة ضدّ صحوة، وفي الحملات الثالثة تبهدلنا لأنّ المعركة كانت أممًا ضد عشرات..

فهم وجدوا المفتاح في هذا الحل، ونحن وجدنا المفتاح في هذا الحل.

فهذا (الكورس) الذي أقوم به والنظرية التي أشرحها كلّها من أجل تحقيق معادلة واحدة وهي أنّنا نريد أن نعود بالمعركة إلى (معركة أمّة وليست صراعات نخبة).

فهذا هو الكلام الذي أطرحه للمرحلة المقبلة، فلن تُحل المشكلة بابن لادن وعشرة سعوديين وعشرين يمني وخمسة من جنسيات أخرى، ولا بمروان حديد وسبعمائة واحد تبعوه، ولا بتنظيم الجهاد الذي خلال ٣٠ سنة جهاد وصل لألف شخص من ستين مليونًا، فهذه ليست طريقة لمواجهة العدو!.

فالآن الشعار الذي نطرحه هو: (معركة أمّة وليست صراعات نخبة)؛ وكما فهمنا نحن هذا الكلام فهمه العدو كذلك، وكما نسعى لأن تكون المعركة (معركة أمة وليست صراعات نخبة) يسعى العدو لأن يُخرج الأمة من المعركة..
فكيف سيحقّق هذا؟

ليس هناك طريقة لإخراج الأمة من المعركة إلّا أن يقول قائد المعركة للأمّة أنتم كفرة ولا نريدكم، فيبقى هو ومن على شاكلته ليحارب النظام الدولي..

*[260] ولذلك قال لي أحد أتباع عبد الرحمن أمين في الجزائر عندما كنا نحاول أن نُوقف هذا السيل العرم، وهو رجل كنت قد تركته وهو بعقله!، فقال لي: "في الجزائر، نحن هنا.." وضرب على الأرض والأرض خشب في لندن، فقال: "نحن هنا، وزروال هنا، وبيننا وبين زروال إخوان وسلفيون وصوفيون وتبليغ وقطبيون..، فلن نصل إلى زروال حتى نقضي على كل هؤلاء، حتى تبقى المعركة بيننا وبين زروال"!!.

فقلت له: "تريد أن تقتل كل هؤلاء؟!"، فقال: "نعم"، فقلت له: "لماذا تعذّب نفسك وتضرب على الأرض؟ الرسول ﷺ أخبرنا عن هذا فقال: (يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ)[261]".

وهو كان يتلقَّى العلم عند أبي الوليد الفلسطيني، وكنا جالسين في بيته والشيخ جالس يسمع الكلام.!

فقلت له: "خلاصة كلامك هذا أن يقتل القطبيون الإخوان، ويقتل السلفيون القطبيين، والصوفيون يقتلونهم ونحن نقتلهم، فهذا الطيف سواء أعجبك أو لم يعجبك هم أهل القرآن، فإذا قتلوا بعضهم يصل من بقي منهم بضعة رجال إلى (زروال) تعبانين، فيبصق عليهم فيموتوا فيبقى زروال لوحده".

فقال بلغة أهل الجزائر: "يكون".

فهذه الآلية في التفكير تُخرج الأمة من المعركة أصلًا، فكيف سأُقنع الأمة بهذه المعركة، فيقولون لي: وفي فكركم وفي كتبكم وفي فقهكم تجد كذا وكذا، وفيكم فلان وفلان.

فعندما أمسك النظام الدولي رأس هذا الخيط استفاد منه، والآن فرغت من كتابة كتاب بعنوان (شهادتي على الجزائر) من ٢٠٠ صفحة، فيه ٦٠ وثيقة من البيانات التي صدرت، فوجدت أن النظام الدولي طبّق كل خبراته التي تراكمت في مصر وفي سوريا وفي تونس؛ طبّق كل خبراته في الجزائر.

فضُرب الجهاد في الجزائر بالتَّكفير فكانت عملية من أنجح ما يكون، ضُرب بالإخوان فلم ينجح، وضُرب بالسلفيين فلم ينجح، وضُرب بالتكفير فنجح تمامًا، والآن ٩٠% من الشعب الجزائري يصوّت لرئيس الدورة للقضاء على الإرهاب.!

---

[260] بداية تفريغ الملف الثاني والعشرون.

[261] صحيح البخاري (٣٣٨٨)، صحيح مسلم (١٠٦٤).

والآن تلفزيونات العالم العربي كلها تنقل صور الجزائر وخاصّة في رمضان حتى يُقنعوا الناس أن الجهاد تكفير وذبح لهذه الأمة، وأن الحكومة أمان وهؤلاء المشائخ يقولون هذا. فأمسكوا رأس الخيط وهو أن يذبحونا بالتكفير.

خرج (زروال) في جولة على الخليج فدفعت السعودية ٤ آلاف مليار لتحديث أجهزة الأمن في الجزائر، ولا توجد ساحة معركة بين الإسلام والكفر إلّا وجدت كيس المملكة العربية السعودية يخرج ويموّل المعركة!، حتى في قمة حصار كابول دفعت السعودية والكويت لحكومة موسكو ٤ مليارات دولار.

وفي قمة ذبح (ماركوس) للمسلمين في الفلبين دفعت الحكومة السعودية لدعم ميزانية الحكومة الفلبينية، وفي قمة الجهاد ضد (حافظ الأسد) في سوريا دفعوا له، ودفعوا لزروال في الجزائر، -وهذه القضية إن شاء الله سنفصلها في أمكنة أخرى-.

ففي جولته في دول الخليج العربي قال زروال: "**خرجتُ لنصدّر تجاربنا الناجحة في مكافحة الإرهاب للحكومات العربية**".

فكان من نتائج هذا القصة التي قصصتها قبل قليل عن سجن الرويس، السعودية ليس فيها تكفير ولم يقم فيها جهاد بعد، فيها قليل من الصحوة على يد بقية من أهل الخير من العلماء، فهم يريدون أن يصنعوا في هذه الصحوة الحلقة الأخير حتى تقطع بداية إيجاد الحلقة الطبيعية.

وقد مرّ على سجن الرويس وغيره ١٥ألف مجاهد من الأفغان العرب وكلهم أطلق سراحهم، فبقي منهم مئات، منهم ٨٠٠ في سجن الرويس، وهناك عنبر للنساء، ومنهم سعوديون وغير سعوديين.

فحدَّثنا رجل فقال: في سجن الرويس أُقيمت لنا حملات من التعذيب على أيدي ضباط سعوديين من الشيعة النخاولة أو من شيعة المنطقة الشرقية أو من بدو أطراف نجد الجهلة.

فأقاموا جميع أنواع التعذيب، وتلقوا تدريبات على يد رجال المخابرات السورية والمصرية والتونسية، والآن الطاقم كله سعودي.

فمن حملات التعذيب قال لي: كنا ندخل إلى أماكن التعذيب وكل واحد منا لحيته إلى نصف صدره، ونحن عراة نغطي عوراتنا بأيدينا، داخلين وخارجين مع بعض.

وبعضهم يُربط من رجليه بربطة (الفرّوج) المشهورة فيقلب فتنكشف عورته من الخلف فيعبث بها المحقق بعصا ويهدده باللواط إذا لم يستجِب. هذا في دولة التوحيد!

ثم قال: علمنا أن هناك حالات انتهاك أعراض لبعض المساجين حصلت، ولكن لأنّ القضية خطيرة لا أحد يتكلم حتى يُستر على من وقع فيه هذا البلاء. ولكن هذا حصل.

والأخطر من هذا كيف يُصنع التكفير، قال لي: كان هناك جلسات من التعذيب النفسي غير التعذيب الجسدي، فقال كانوا يجمعوننا في صالة ثم يأتي المحقّقون ومشرف المحقّقين ويبدأون يُسمعوننا الكفر..

فقال لي: كنا نتمنى جلسة الكهرباء بدل هذه الجلسة، لشدّة ما يُسمعوننا به من الكفر.

فقال: في إحدى الجلسات جاء المسؤول عن التحقيق واسمه (أبو نايف) وهو رجل أعرج مسن عمره ٦٣ وهو من شيعة المدينة المنورة، وكان هو المسؤول عن التعذيب.

فقال: جاءنا بعد التعذيب يضحك ويقول لنا ما يلي، وسأنقله بحرفه برغم ما فيه من الضلالة والبذاذة والكفر حتى يعلم الناس الواقع، وهذا الكلام بلَّغته للشيخ أسامة بن لادن والآخرين نقلًا عن الأخ الذي خرج من السجن وأراني آثار التعذيب على يديه وظهره..

قال أبو نايف: "أنتم تريدون أن تقاتلوا في السعودية لإقامة شرع الله، فهذا شرع الله قائم في السعودية، فماذا يضرّكم إذا ولي الأمر يريد أن يقيم الشريعة (بالنيك)". هكذا!، ثم يضحك المحقّقون.

ثم يقول لهم: "ما الذي لا يعجبكم؟ فهذا ابن باز وابن عثيمين وهيئة كبار العلماء يقولون أن هذا توحيد وشريعة".

ثم بعدها يأتي المحقّق ويقول للسعوديين: "توقّع وتقول أمام (الفيديو) أنّك تكفّر الحاكم والحكومة والأعوان والعلماء والشعب السعودي، فإذا قلت هذا تخرج من السجن وإلّا تبقى هنا". وسُجّلت هذه الوثائق وخرج بعضها في التلفزيون. فبصمات (زروال) واضحة في هذا.

لماذا؟!

حتى عندما يبدأ الجهاد تخرج هذه الأفلام لتقول: "أنا فلان بن فلان من قبيلة كذا أرى الحاكم كافرًا، والعلماء والشعب كفّارًا"، فالشعب يبغضه ويتركه ولا يجاهد معه، وفي النهاية تخرج في السعودية نفس النتيجة التي حصلت في الجزائر.

أما الأجانب وكان فيهم من جنسيات متعدّدة فكان مطلوبًا منهم شيء آخر، كان مطلوبًا منهم أن يقولوا أنهم هم الذي جاؤوا بأفكار التكفير للمملكة ودرّبوا شبابًا من السعودية..

مثل ما فعل أصحاب تفجير الرياض فقالوا هذه أفكار أبي محمد المقدسي، حتى يقولوا للسعوديين أن هذا فكر وافد، وعمل وافد.

ومطلوب من غير السعودي أن يقول أنّه أدخل للمملكة سلاحًا ومتفجرات. فإذا وقّع على هذا الكلام يخرج ويُفرج عنه، حتى يُحتفظ بالفيديو في الأرشيف للمستقبل، فيُقال: هؤلاء الشباب متطرّفون وتكفيريّون وجاؤوا بفكر وافد وأدخلوا أسلحة من الخارج، والسبب كما قال ابن عثيمين: "كل هذا البلاء جاء لأن الشعوب الأخرى من حولنا يحسدوننا على نعمة الله في السعودية، لأنّهم بلاد فقيرة"!.

وهناك طلبة علم قالوا أشد من هذا، بعضهم جاء إلى هنا في معسكر (خلدن) قبل سنة ونيّف فقام ونشر منشورًا ووزّعه على الناس، ومفاده نفس الكلام، قال:

"وجدت في معسكر خلدن مجموعة من التّكفيريين من المصريين والليبيين والتونسيين والسوريين، فوجدتُ أن سبب كلامهم في الجزيرة وحكومات الجزيرة هو حسدهم لما أنعم الله علينا من نعم الله وتركهم في الفقر، فجاؤوا ليُفسدوا علينا هذه النعم"!.

فالشاهد أنهم يريدون في الجزيرة وفي غيرها أن يصنعوا تيّارًا للتكفير مخترقًا وقد وُلد بعض هذا التيار في الجزيرة، فهناك بعض الشباب عندما يسمع كلام محقّقي فهد في السجن بهذه الطريقة يبدأ يكفّر الجميع، **فيُصنع التكفير**.

التكفير كان من أهم معوقات الجهاد في مصر، والتكفير كان هو السبب لإفساد الجهاد في الجزائر، **فالسبب الذي جعلنا نتكلم بسرعة عن باقي المدارس ونقف مطولًا في التكفير هو أن خطر باقي المدارس زال، والآن السهم الأخير في جعبة النظام الدولي في نحر الجهاد والمجاهدين هو إدخال أفكار الغلو والتكفير للمجاهدين..**

الآن ننتقل إلى الفصل السادس وهو فصل خطير.

الفصل السادس: الحلول المطروحة لدى الجهاديين للخروج من الأزمة

أهمية مبدأ المراجعة والتقييم:

بدأت الصحوة منذ ١٩٣٠م، وبدأ الجهاد في سنة ١٩٦٥م واستمر حتى سنة ١٩٩٠م، فخلال هذه المرحلة قليل جدًا من مفكّري الصحوة وتيار الصحوة أخذوا بالتوجيه القرآن الذي أمرنا به الله تعالى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٢٦٢].

وقال الرسول ﷺ: (الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ)[٢٦٣].

وكل الشركات تقيّم حالتها كل سنة، فعملية التقييم والمراقبة غائبة عننا نحن المسلمين كأمّة وكصحوة وكحركات جهادية.

الآن منذ أن جئنا في الشوط الثاني من (الأفغان العرب) مرَّت أربعة سنوات، ونحن لنا هنا سنتان ونصف، فهل هناك أحد قيّم وبحث ماذا حصل وما هي علاقتنا مع الطالبان وكذا؟

لا يوجد فعقلية التقييم والمراجعة غير موجودة، وهذا من أهم أسباب القصور والتقصير. فيجب أن نفعل كما فعل العدو؛ العدو من اليهود والنصارى والمرتدين أخضعونا للدراسات على طول مسار الصحوة.

عندما خرج الصليبيون في سنة ١٣٠٠م وحتى عادوا في سنة ١٨٠٠م، في هذه الخمسمائة سنة أخضعونا للاستشراق والدراسات.

وذكرت للإخوة إحدى هذه المكتبات وهي مكتبة (الدراسات الشرقية) في لندن، ففيها مليارات الكتب والمجلات والأرشيف، أي مجلة يومية في أي دولة تجد جميع أعدادها، حتى مجلة (الأزهر) من مائة سنة تجد جميع أعدادها، مجلة (المقتبس)[٢٦٤] ٦٠ سنة جميع الأعداد موجودة فيها.

---

[٢٦٢] سورة آل عمران، الآية: ١٦٥.

[٢٦٣] سنن الترمذي (٢٤٥٦)، سنن ابن ماجه (٤٢٦٠) المستدرك على الصحيحين (١٩١)، مسند أحمد (١٧١٢٣)، والحديث ضعفه الالباني.

[٢٦٤] غير متأكد من اسم المجلة، قد تكون (المفصل).

وأنا سألت عن عدد الكتب فيها، فقيل لي أنّ فيها ١٤٤ كيلومترًا من الرفوف، فإذا قلت في المتر يوجد ٢٠ مجلدًا، ففي الكيلومتر يوجد ٢٠ ألف مجلد، يعني فيها ملايين الكتب.

وكما حكيت لكم ذهبت لأقوم ببحث عن الجزائر، فطلبت الكتب عن الجزائر فقال لي الكمبيوتر هناك ٣٠ ألف كتاب عن الجزائر، فقلت له: أريد الكتب في السياسة والتاريخ الحديث من سنة كذا إلى سنة كذا، فأخرج لي ٥ آلاف كتاب، فقلت له باللغة العربية فأعطاني ٢٥٠ كتاب، هذا عن الموضوع الذي أريده تحديدًا!. فقلت له أين؟ فقال الكمبيوتر في الدهليز الفلاني في الرف الفلاني كتاب رقم كذا.

فهم شغّلوا أدمغتهم في دراستنا تمامًا، وعقلية الروم في هذه المسألة هي عقلية بديعة، ولذلك في الأثر أن أحد الصحابة قال وهو يحدّث عمروًا بن العاص –رضي الله عنهما–: (تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ). فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: (أَبْصِرْ مَا تَقُولُ)، قَالَ: (أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ) [٢٦٥].

فالروم حضارة لا تنتهي، نقاتلهم إلى قيام الساعة، والسبب في هذا أن الروم أمّة فيها مواصفات، اليهود أمة فيها مواصفات، هي أمّة خبيثة ولكن فيها مواصفات، أبو جهل رأس الكفر وفرعون هذه الأمة فيه مواصفات، في يوم بدر يأتي عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– ليذبحه فيسأله: (لِمَنْ الدَّائِرَةُ الْيَوْمَ؟) قَالَ: (للهِ وَلِرَسُولِهِ). فقال له: (بلّغ محمّد أنني ما ندمت على عداوته ولا ساعة).

فعاند الرجل حتى آخر لحظة وثبت على مبادئه، ويا ليت أهل الصحوة بنصف إصراره!، فليبلغ أحدهم حافظ الأسد أني ما ندمت على عداوته وحربه، وسنربي أبناءنا على حربهم.

فالشاهد أن الروم أمة فيها موصفات ولذلك بقيت، فقال له عمرو بن العاص –رضي الله عنه–: (لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ) [٢٦٦].

والذي عاش في أوروبا وعاشر الروم يعرف بعض صفاتهم؛ فمنها استخدام العقل البشري بأعلى قدراته، فعندما واجهوا مشكلة مع المسلمين في الحملات الصليبية الأولى رجعوا وأخضعونا ٥٠٠ سنة للدراسة والاستشراق.

---

[٢٦٥] صحيح مسلم (٢٨٩٨).

[٢٦٦] صحيح مسلم (٢٨٩٨).

قبور بعض المبشرين في عُمان تعود لـ ١٥٠٠م و١٦٠٠م، فلم يتوقّفوا عن الدراسات عنّا وعن معتقداتنا وكتاباتنا إلى الآن، في مكتبة الدراسات ٦ آلاف مخطوطة بلغة البشتو، فهموا كل شيء عنا!، ما هي نقاط قوتنا وما هي نقاط ضعفنا، ومن يصلح لاتخاذه عملاءً؛ ولذلك عندما جاؤوا اختاروا آل الصباح وآل فلان والملك الحسن في المغرب، فهم تعاملوا معنا على بصيرة.

فبهذه العقلية تعاملوا مع الصحوة أيضًا، فخرجت دراسات كثيرة وبعضها باللغة العربية عن الصحوة وكيف يُقاوموها، فخلال هذه السنوات درسوا ووضعوا حلولًا لكل الصحوة، وسنتكلم بصورة خاصة عن الحلول التي واجهوا فيها الحركات الجهادية وهو ما أسموه (النظام الدولي لمكافحة الإرهاب)، فوضعوا نظامًا وخطة دولية، وهذا النظام تابع بالمؤتمرات.

أما الصحوة كحصوة فوضعوا لها دراسات وصنّفوها، وآخر كتاب قيّم عن الإخوان كتبه لواء متقاعد من (أمن الدولة) عاصرهم (..)، فهؤلاء الجماعة وضعوا حلولًا لهذه الصحوة ومارسوا هذه الحلول.

تقييم مسار الصحوة (١٩٩٩م):

والآن لو تنظر كيف وصلت الصحوة لهذا القعر في (١٩٩٠-١٩٩٩)م بعد مرحلة زهوة الصحوة الإسلامية في (١٩٨٠-١٩٩٠) حيث كانت قمّة الجهاد وقمّة (التبليغ) وقمّة الديمقراطيّين وقمّة السلفية؛ نشرات ومجلات ودراسات وكتب ومؤتمرات وعلماء وسفر وسلمان والوادعي والألباني..

أما الآن (١٩٩٠-١٩٩٩)م؛ فالتبليغ يمرّون بحضيض تاريخهم من حيث الكمّ ومن حيث الكيف، التيار الذي غلب عليه مسمّى (السلفيّة) أغلبه في المخابرات، فـ(إحياء التراث) هم مخابرات الكويت، (سلفية) ليبيا هم مخابرات القذافي، والذي ليس في المخابرات ولا يتلقّى راتبًا فمقتضى كلامه وفحوى كلامه ينصر النظام الدولي عمليًا. وهذا جعل كثيرًا من عامّة الناس ينفضّ عنهم.

فالتيار السلفي نفسه يمر بحالة حرجة، حكى لي أخ فقال: كنّا عندما نأتي لابن عثيمين لنسأله سؤالًا؛ نخترق بحارًا من الناس في أروقة الجامعات بصعوبة حتى تستطيع أن تصله وتسأله سؤالًا، أمّا الآن فتذهب لتجد عشرة أو أربعة عشر شخصًا، فهو نفسه كجزء من الصحوة يعاني من أزمة.

فالصحوة كلّها تتردّى، عدد الشباب الذين يرتادون المساجد وعدد الملتحين بلغ الذروة في ١٩٨٠م، أما الآن فحصلت نكبة ونكسة في بلادنا، فنحن الآن فرحون أن المسجد الذي كان فيه مائة صار فيه مائتان، ولكن عدد السكان الذي كان مليونًا صار أربعة ملايين!.

فمن الذي ربح في باب الضلال والهدى؛ نحن أو الكفرة والفسقة والضالون؟ هم الذين ربحوا القضية، فالآن دخلت الدشوش والمجلات والمصائب والفسق إلى البيوت..

أولادنا في المدارس يُرفع عنهم الحجاب، عندما قرّر حافظ الأسد وجماعته منع الحجاب في التعليم كابر الناس في البداية، ثم معظم الناس استجابوا وأفتى لهم المشايخ بأن تخلع الحجاب على باب المدرسة ثم تخرج من باب المدرسة فتضعه.

بالإضافة لمعسكرات الصيف ومعسكرات الاختلاط، فهناك بلاوي في الدول الاشتراكية، ومصائب في التطبيع، -وفي الكتاب سأفصّل إن شاء الله إذا يسر الله، أما الآن فأختصر-، **فأقول أن الصحوة سواء كانت سلفية أو إخوان أو تبليغ وصلوا إلى قعر الأزمة.**

الآن اشترطوا على (جبهة الإنقاذ) حتى تدخل في (الوئام الوطني) ثلاثة شروط؛ الشرط الأول أن يوقع عباس مدني وعلي بن حاج وأي رجل كان قياديًا في جبهة الإنقاذ على اعتزال العمل السياسي. الأمر الثاني من سمحوا له بممارسة السياسية فيمارس السياسة تحت مسمى آخر، والأمر الثالث أنه يعفى عمَّن لم يقع في الجرائم فقط.

فالمسألة أن الحكومة انتصرت وقدرت وحكمت فتنفّذ ما تشاء، وهم انتصروا على كل الصحوة وليس على الجهاديين فحسب، فالصحوة كلها تمر بالحضيض.

البارحة جاؤوا لي بأربعة أوراق من آخر فتاوى القرضاوي، وهي صحوة علمية بالفقه ليس لها علاقة بالسياسة، فقارن هذا بكتبه السابقة. وقارن كتب الشيخ محمد الغزالي ومنها (فقه السيرة) وقارنها بوضعه الآن؛ الرجل مات على كرسي الجنادرية برعاية هيلاري كلينتون. فكان في حفلة وبعد الحلفة محاضرات، وأثناء المحاضرات قام أحد الخطباء فمات في هذه الحالة.

فالشاهد في القضية أن كل الناس تمر بالحضيض، هل الألباني بفتاويه الآن هو الألباني الذي تعرفونه؟ وهل ابن عثيمين الآن هو ابن عثيمين الذي تعرفونه؟ وكذلك ابن باز؛ أصلًا الذي رفع ابن باز هو وقوفه الصلب ضد الملك عبد العزيز في حينه.

فالنتيجة النهائية دُجِّنت الصحوة عبر المال والضرب والتعذيب، فدُجّنت وأُدخلت في القعر في الفترة (١٩٩٠-١٩٩٩)م، وهذا يمكن إنزاله على كل مجالات الصحوة، الذي على حق والذي على باطل.

الآن لننظر ماذا حصل للجهاد:

في سنة ١٩٩٠ وصلت تيارات الجهاد قمة الجهاد على صعيد عمليات المجاهدين في كل الأماكن؛ فقُتل أنور السادات، وقُتل عدة وزراء، وحصلت محاولات اغتيال للقذافي ست مرات، ولحافظ أسد ثلاث مرات، فكانت هناك زهوة في كمية العمليات، فكان التيار يكبر ويصعد كمًا وكيفًا.

فعدد العمليات كان كبيرًا، ونوعية العمليات كبيرة، الإخوة الذي درّبناهم في أفغانستان نزل بعضهم، وقُتل رفعت محجوب فوقف العدو مدهوشًا من مستوى تنفيذ العليمات ودقة إصابة الأهداف.

فكانت القضية تتم على أعلى المستويات، وعدد الناس ٤٠ ألف متدرّب، وكان مستوى التدريب ممتازًا، وأنا وبعض الناس كنا ندرّب الإخوة السعوديين على صور فهد وسلمان وسلطان لكسر الحاجز النفسي بينهم وبين الأمراء، فكان هناك مستوى جيّدًا في التدريب.

وكان مستوى جيّدًا في الفكر، فكتب كتاب (العمدة في إعداد العدة) وكتاب (التجربة السورية) وكتاب (الجامع في طلب العلم)، وكتاب (الكواشف الجلية)، فكان هناك بحث وتأليف وتمدد.

ثم بعد سنة ١٩٩٠م تجد؛ نقصًا في عدد العمليات، وانخفاضًا في نوعية العمليات، وتجفيفًا للمنابع فأفلست معظم الجماعات الجهادية، تشريد الناس فخرجت القيادات الجهادية عن موطن عملها، فابن لادن بعيد عن الجزيرة ونحن بعيدون عن سوريا، وأهل المغرب بعيدون عن المغرب، وأيمن الظواهري بعيد عن مصر، فهؤلاء كيف سيديرون عملهم؟

فمشاكل وبلاوي ووضع غير صحّي، التيار حُصر، والأفكار شُوّهت، والكتب قلَّت فالآن ماذا خرج من الكتب خلال الأربع سنوات الماضية؟ لم يخرج شيء، ولم يخرج شيء من النظريات، وكم شاعر معاصر يوجد في التيار الجهادي؟!

لو تنظر في أبطال ورموز التيار الجهادي في الفترة ١٩٨٠-١٩٩٠م تجد الكثيرين؛ مروان حديد، خالد الإسلامبولي، الدقامسة، رمزي يوسف.. إلخ، بينما الآن ماذا يوجد في هذه السنوات الأخيرة؟!

فنحن في أزمة، والحمد لله الآن كل الناس معترفون بالأزمة..

نظام مكافحة الإرهاب بعد قيام النظام العالمي ١٩٩٠م:

في سنة ١٩٩٠م بدأ النظام الدولي في مكافحة الإرهاب، في سنة ١٩٩٠ وُلد النظام العالمي الجديد، والحقيقة هذه السنة المنكوبة تُعتبر بداية فصل جديد على مستوى العالم والتاريخ البشري لما حصل فيها..

فكان فيها نهاية النظام العالمي الحديث وبداية النظام العالمي الجديد، ودمار الاتحاد السوفييتي، وتعدّلت الحدود واتَّحدت ألمانيا، وقام النظام الاقتصادي على العولمة، فكل الشركات الكبرى والبنوك الكبرى ستُفلس إذا لم تدخل نظام الاتحادات الدولية.

فعندنا بحث لا يهمنا الآن عن آثار سنة ١٩٩٠م على بني البشر، ثم آثار سنة ١٩٩٠م على العالم الإسلامي، ثم آثار ١٩٩٠م على الصحوة الإسلامية، وأهم شيء في سنة ١٩٩٠م هو بداية الحملات الصليبية الثالثة واحتلال الحرم، والآن يدور حديث عن شراء مخزون النفط في الكويت والسعودية.

فبعد سنة ١٩٩٠م تتابعت المؤتمرات الأمنية كل ستة أشهر، مؤتمر ميلانو لمكافحة الإرهاب، مؤتمر باريس، مؤتمر برشلونة، مؤتمر تونس، مؤتمر جدّة..

وُولد نظام يهمنا في العالم العربي وهو اجتماعات وزراء الداخلية العرب، وهي اجتماعات أمنية، ونشأ شيء اسمه (أمن المتوسط) يشمل إسرائيل والحكومات العربية والحكومات الأوربية، وشاركت فيه أمريكا رغم بعد أمريكا عن البحر المتوسط!.

فهذه المؤتمرات وُضعت فيها على الطاولة خبرات الدول العربية والدول الأجنبية وخبرات (السي أي إي) و(الكي جي بي) والموساد وكل الناس، حتى يطبقوا نظامًا أمنيًا عالميًا متماسكًا لمكافحة الإرهاب.

فلم تعد القضية نظام حسني مبارك أو الملك حسين، فإذا ضربت حسني مبارك وهربت يُقبض عليك في الشيشان، وإذا ضربت نظام المغرب وهربت يُقبض عليك في أوروبا..

الأخ أبو طلال قبضت عليه المخابرات الكرواتية في كرواتيا، وسلمته لـ (السي أي إي)، فنقلته بباخرة إلى إيطاليا، ثم جاءت طائرة مصرية واستلمته من إيطاليا، فوصل إلى أمن الدولة في أربعة وعشرين ساعات.

في الشهرين الماضيين قُبض على ٢٧ معتقل من تنظيم الجهاد في أكثر من ١٣ دولة، فقط لأن الحكومة المصرية وضعت اسمهم في نظام مكافحة الإرهاب.

فالقضية الآن أنك وإن كنت تحارب دولة إلّا أنّك في الحقيقة تحارب نظامًا دوليًا كاملًا، ولذلك أثبتنا أن المعادلة الآن أنك إذا ضربت المرتدين فسيطاردك النصارى ويسلّمك الموساد، فهناك اتحاد أمني وعسكري على الأرض بين اليهود والصليبيين والمرتدين.

أمريكا تطلب ابن لادن، والأمير عبد الله سيخلف أخاه الملك فهد، فأخّر سفره أربعة أيام وبعث ابن أخيه تركي بن فيصل إلى أفغانستان ليُقنع الطالبان بتسليم ابن لادن حتى يأخذه في نفس الطيّارة كعربون بداية حكم لأمريكا.

فجاء تركي بن فيصل للملا عمر وحصل بيهم اللقاء المشهور، فجاء هذا الرجل الخبيث الذي يظن أنه يستطيع أن يشتري كل الناس بأمواله، وضعوا له صحن عنب فقال لهم: "وعدتموني بتسليم ابن لادن"، فقالوا له: "لم نعدك بشيء"، فقال: "بل وعدتموني"، فرفس صحن العنب برجله وقام وانسحب، وبهدله أمير المؤمنين بهدلة محترمة، فطُرد سفير الطالبان من السعودية وحصل الذي حصل.

فرجل مرتد جاء لينصر صليبيين حتى يحل مشكلة اليهود، فالقضية قضية حلف متماسك، لأنك إذا أردت أن تضرب هذا المرتد فستجد النظام الدولي كله واقفًا ضدّك.

خالد الفوّاز بترتيب دولي قُبض عليه، لُفّقت له تهمة في لندن، والآن قرّر القاضي ترحيله بتوقيع وزير الداخلية وتسليمه لأمريكا الأسبوع الماضي وليس لديه مشكلة مع أمريكا، وهو مشكلته أنه كان يوزع بعض القضايا الصحفية والأدبية لواحد ضد نظام آل سعود، فتكالب عليه كل النظام الدولي.

وأضرب لكم مثالًا حتى أبيّن لكم من متى والنظام العربي يتعاون مع بعضه؛ ذكرت في كتاب (التجربة السورية) أن النظام في سوريا لم يكن يعرف جماعة مروان حديد، فكشفتها المخابرات الأردنية وقبضوا على شخص وسلّموه للنظام السوري ومنذ ذلك تتابعت الأمور.

في مصر استفادوا من خبرات كل الناس، والتفاصيل كثيرة جدًا، وأضرب لك مثالًا في سنة ١٩٨١م قبل مقتل السادات بفترة قصيرة، كنت أنا في الجهاز العسكري للإخوان المسلمين السوريّين فتقرّر تعديد ساحات التدريب، وهذا الكلام كان من الأسرار كشفته قبل فترة قصيرة..

كنا نتدرّب في العراق فاقترحوا علينا أن نتدرَّب في مصر مستفيدين من خلاف أنور السادات مع حافظ الأسد، وذهبنا وكنت أنا نائب رئيس فريق من ١٠ أفراد حتى نتلقَّى تدريبات عن الإرهاب والتخريب والعمليات الخارجية عند أمن الدولة المصري.

وتلقينا فعلًا دورة مدتها شهرًا ونصفا، والذي كان يدرّبنا هو عميد ركن في الاستخبارات المصرية، وكان مقيمًا معنا كل الوقت، فكان يناقشنا ويتحدث معنا أحيانًا، فاكتشفت أنا من خلال الحوار أنّ كلّ أعداد مجلة (النذير) التي تصدر عن الإخوان، وكل أعداد مجلة (النصر) التي تصدر عن الطليعة، وكل تفاصيل خلافاتنا الداخلية يعرفها هذا الرجل.

يسألنا عنها وكأنه ابن بلد يعرف تفاصيلها، وهو في مصر، ناهيك عن المعلومات التي حاولوا أن يجمعوها من خلال الدورة، فهذا في مصر فما بالك في الأردن التي جلسنا فيها أربعة سنوات وما بالك عن العراق؟!

فهم جمعوا معلومات عن الطليعة وعن الإخوان، وكانت المخابرات الأردنية تساعد السوريين في إدخال الأسلحة إلى جنوب درعا، فداخل الحدود السورية تجد أردنيين مع السوريين.

ناهيك عن تعاون (حزب الله) مع بعض الجماعات الجهادية وإيران وما تعرف..

ففي فترة تنازع الحكومات العربية كانت هناك هوامش تستفيد منها الحركات، وهم كانوا مختلفين لأنهم كانوا أذيالًا لرأسين، فهناك هامش ما بين الرأسين، فعبد الناصر مع روسيا وفيصل مع أمريكا، أما الآن فصارت أمريكا (مايسترو) لمعزوفة واحدة، فأمرت كل الدول العربية أن يصير بينها تنسيق أمني.

فكل المعلومات التي كانت متفرّقة عند حكومات متشاكسة أصبحت في طاولة واحدة يتبادلون فيها الخبرات، فهذه الخبرات وُضعت كلها الآن لتنفيذ مخطط واحد بقيادة (مايسترو) واحد، فنشأ (نظام مكافحة الإرهاب).

أولًا: تجفيف المنابع المالية للإرهاب:

فأول ظاهرة لمكافحة الإرهاب كانت المؤتمرات الأمنية، والمؤتمرات الأمنية تمخّض عنها أولًا مخطّط (تجفيف المنابع المالية للإرهاب) يعني أن لا يصل للإرهابيين أموال، فهذا له تفاصيل، فيتحكمّون في الأرصدة والتحويلات المالية وفي جمع وتوزيع أموال الزكاة.

فالآن في السعودية لا يستطيع أي مليونير أن يتحكَّم في زكاته وصدقاته، فإذا تريد أن تتصدَّق للبوسنة فهناك صندوق للأمير سلمان، وفي أفغانستان هناك صندوق الأمير مشعل والأمير متعب والأمير فلان، فكلهم عندهم صناديق.

وجمعوا آل ابن لادن كلهم رجالًا ونساءً وأخبروهم أنهم إذا ثبت أن أحدهم خرج منه ريال واحد لأفغانستان لهذا الرجل فلا تلوموا إلا أنفسكم.

حتى بعض المؤسسات الفلسطينية الخيرية في لندن كانت تدفع أموالًا للمدارس الفلسطينية في غزة، فاتُّهمت أنها تدعم الإرهاب فأُغلقت أرصدتها، وجاء مكشّف ليحقق في كشوفاتها تسعة أشهر ليثبت في النهاية أنهم لم يدفعوا للإرهاب.

فسياسة تجفيف المنابع المالية لها تفاصيل كثيرة، والمهم أنها في النهاية نجحت، فالآن في سنة ١٩٩٩م التنظيمات الجهادية عن بكرة أبيها مفلسة، ومنها تنظيم الملياردير السعودي أسامة بن لادن وهو أغنى تنظيم وهذا معروف وكُتب في المجلات والصحف.

فالآن الجماعات التي كانت تتموَّل أفلست، فما بالك بالتنظيمات التي أنشأت أصلًا جهادها وحركتها على نظام التَّسول، جفّفت منابعهم ومصادرهم.

فنظام تجفيف المنابع هذا يعني أن هناك أسرًا لن تصلها أموال، ووصل الأمر بالحكومة التونسية في رقابتها على الأموال في تونس أنها إذا رأت أثر نعمة على زوجة رجل مسجون أو أرملة شهيد أو رأت أن أولاده في العيد لبسوا ملابس جديدة أو اشتروا حذاء جديد؛ يستدعوها للتَّحقيق ليعرفوا من أين جاءت بالمال!.

فيأتون بالمرأة ويسألونها من أين جئتِ بالمال؟ فتقول: أعطاني إياها فلان، ويحققوا حتى يصلوا لخيط في الخارج يأتي بالمساعدات؛ فيعتقلوهم على ذمة مساعدة أرامل.

فهناك عملية حصار مالي شديدة، فهذا الحصار جعل الجماعات الجهادية الآن مفلسة من الأموال.

ثانيًا: تصفية الرؤوس:

الورطة الثانية: تصفية الرؤوس، فسعوا لقتل وأسر رؤوس الصحوة الجهادية أو ما يؤيّدها؛ فقُتل عبد الله عزّام، وقُتل الشيخ تميم، وقُتل يحيى عياش، وسُجن أبو طلال، سُجن الدكتور عمر.. إلخ، فهناك أسماء لامعة نسمع بها وهناك أسماء لا نسمع فيهم.

فسعوا لقتل واعتقال كل مفكر أو شيخ أو مفتٍ أو كاتب أو محرر، حتى سفر وسلمان الذين ليسوا من الصحوة الجهادية، ولكن هم على هامش صحوة في مؤدّاها تؤيّد التيار الجهادي. والذي يتّبع أشرطة الشيخ سلمان لا يجد أي سبب سعودي لسجنه، ولكنه بدأ يتكلم عن (التطبيع) وكذا.

فهذه هي تصفية الرؤوس، كما قال تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ}[٢٦٧].

ثالثًا: الخطف والتسليم:

فبعد تصفية الرؤوس بقي الناس بدون رؤوس، بقي الشباب، وهؤلاء الشباب يتحركون من مكان إلى مكان، فطُرح مبدأ ثالث هو مبدأ الخطف والتسليم، نظام التبادل لمكافحة الإرهاب.

حتى أنّ (إمام المسلمين)! في السودان عمر البشير قبض على خمسة مجاهدين، اثنين من الجماعة المقاتلة الليبية وثلاثة منهم من المجاهدين في سوريا، وذلك في العيد الأصغر ما قبل الماضي أي قبل سنتين ونصف.

فقُبض على هؤلاء الخمس وبقوا في السجن فترة، وتوسَّطت كل الجهات لإطلاق سراحهم فلم يخرجوا، وفي النهاية أخذهم الزبير عضو مجلس قيادة الثورة أتباع الترابي في طائرة خاصة وسلّمهم للقذافي وهو يعلم أنّه محكوم عليهم بالإعدام، سلّمهم في ليلة العيد كعربون لإعادة العلاقات بينهم وبين النظام السوداني والنظام الليبي، سلّمهم وهو يعلم أنهم سيقتّلون وتنتهك أعراضهم!.

ثم صارت ضجّة فجريدة (القدس) التي تصدر في لندن عملت مقابلة مع عمر البشير وهي محفوظة عندي في الأرشيف، فسألوه: "هل سلَّمتموهم؟"، فقال: "نعم سلّمناهم بمقتضى معاهدة تبادل المجرمين بيننا وبين ليبيا".

---

[٢٦٧] سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

هذا عن البشير، وحوادث التسليم كثيرة؛ فالأردن سلّمت، والإمارات سلّمت، والكويت سلّمت، وفي الأسبوع الماضي قبضت الإمارات على شخص من الجماعة الإسلامية وسلّمته للحكومة المصرية، وقبل حوالي شهرين سُلّم ١٥ مطلوبًا من الكويت، حتى أنّهم أخذوهم لمصر فحقّقوا معهم ولم يجدوا عليهم أي قضية فأخرجوهم، يعني اعتقلوهم احتياطًا.

ووصل التسليم من تايلند إلى الأرغواي، فقضية الخطف والتسليم ما بين الدول حصلت، وسُلّم أشخاص من مختلف الجنسيات، فهذا من مقرّرات مكافحة الإرهاب.

رابعًا: إلغاء الملاذات الآمنة:

وعندما وصلت صواريخ الكروز إلى هنا أعلن كلينتون البند الرابع فقال: "نحن اتّفقنا في شرم الشيخ على بنود علنيّة وملاحق سرية، فنطالب الدول التي حضرت بالبنود السرية ومنها إلغاء الملاذات الآمنة للإرهاب"، وحضر في شرم الشيخ ثلاثون رئيس دولة عربي وعالمي.

يعني بعد أن أفلس التنظيم، وقُتل القائد والشيخ، وسُلّم العناصر، فمن بقي وخرج إلى مناطق الأطراف يُطبّق عليه بند (إلغاء الملاذات الآمنة للإرهاب)، فلا يُريدون لرجل من جماعات الإرهاب أن يستريح خمس دقائق حتى يفكر ماذا يريد أن يفعل.

ولذلك قلت لكم أُدخل التيار الجهادي في مرحلة أسميها (مرحلة الفئرانيّة في العمل)؛ الفأر عنده همَّان في حياته، الهمّ الأول أنه إذا اكتُشف جحره الحالي فأين الجحر المقبل، والهم الثاني أن يؤمن غذاءه. فهو يختبئ خلف البرّاد ثم يذهب تحت الغسّالة ثم تحت الزبالة ثم تحت السرير وهكذا.

فهذا النظام اسمه نظام (إلغاء الملاذات الآمنة)، فما هي الملاذات الآمنة التي فرّ إليها الجهاديون بعد سنة ١٩٩٠م وخاصّة بعد انتهاء الشوط الأول من ظاهرة الأفغان العرب؟

باكستان، السودان، اليمن، أوروبا واللجوء السياسي، ومن الدول التي أعطت هامشًا للحركة لبعض الجنسيات سوريا، ومن الدول الأخرى تركيا.

فهذه هي الملاذات الآمنة التي لجأنا إليها بعد الشوط الأول من أفغانستان، فالشوط الأول انتهى سنة ١٩٩٠م فدخلنا في مرحلة ما بين الشوطين، فذهبنا إلى هذه المناطق.

فماذا حصل في هذه الملاذات من سنة ١٩٩٠م إلى سنة ١٩٩٩م؟

في باكستان حصلت أربع حملات أمنية خفَّضت عدد الأفغان العرب من ٤٠ ألفًا إلى ٨٠٠ شخص، بعد ذلك ذهب المئات إلى السودان ربّما ألف أو ألفان.

ولا يهم هل دخل السودان في المخطط الدولي عمدًا أو عملوها جهلًا، ولكن ضع في ذهنك أنّهم في سنة ١٩٩٠م فتحوا خطّ طيران كراتشي-الخرطوم بأسعار مغرية وبتشجيع من القنصل السوداني التابع لحكومة البشير في بيشاور، فقالوا للإخوة: "تعالوا فدولة الإسلام مفتوحة وكذا".

وممّن استُدعي استدعاءً رسميًا جماعة الجهاد المصرية والجماعة الإسلامية المصرية وجماعة ابن لادن، فذهبوا، وذهبت معهم بعض الجنسيات.

بعد ذلك وضعتنا الحكومة السودانية في أنابيب اختبار، أمّا ابن لادن فشفطت الحكومة السودانية كل أمواله ولله الحمد، فأخذوهم لحمًا ورموهم عظمًا، وعصروهم كما تُعصر الليمونة ثم تُرمى، ثم في النهاية أخرجوه إخراجًا.

أما الجماعة الإسلامية فطُردت طردًا، وأما جماعة الجهاد فأُخرجت المجموعات الأخيرة بتهديد السلاح وطُردوا من السودان.

وذهبت السودان لتحسّن علاقاتها مع أمريكا، ولم ينفعهم ذلك حتى ضُرب مصنع (الشفاء) للأدوية، وفي الشهر الماضي أعلنت الحكومة السودانية أنّها تدعو الحكومة الأمريكية لافتتاح سفارة وافتتاح مركز لل(سي آي إيه) ومكتب لـ (الإف بي آي) في الخرطوم.

و(الأف بي آي) هو شرطة مدنية، يعني (السي آي إيه) هي مخابرات خارجية ولكن الـ (إف بي آي) شرطة مدنية، ولها في الشرق الأوسط ٢٣ مكتبًا، واحد في الرياض وواحد في عمان وواحد في القاهرة.

فـ(الأف بي آي) لها مكاتب تعمل بالتنسيق مع الحكومات، هذا غير (السي آي إيه)، فالآن تدعوهم السودان رسميًا ليفتحوا مكتب (الأف بي آي)، وهذا بعد ضرب مجمَع الشفاء.

فالآن السودان ألغي كملاذ، وباكستان أُلغيت، فالذين خرجوا من السودان ذهبوا لعدن وخاصة المصريين، والشيخ أسامة ذهب لأفغانستان.

فالذين ذهبوا لليمن تعرضوا لعدّة حملات أمنية، وفي الحملة الأخيرة أخذوا النساء، وهذا جريمة في العرف القبلي، فبعد توسّط من الإسلاميين وشيوخ القبائل أخرجوهم مع نسائهم فذهبوا إلى إيران، وهذا معروف، فبعضهم بقي وبعضهم خرج. فأُلغي اليمن كملاذ.

في أوروبا غُيّرت قوانين اللجوء السياسي في كثير من الدول وضُيّقت ومُنعت كثير من الأمور التي كانت مشروعة ومنها النشاط الأدبي، فوُضع تحت طائلة قوانين مكافحة الإرهاب.

وأنا عندما كنت في لندن بلغني ضابط الأمن الداخلي (M5) فقال: "أنت تفعل كذا وكذا، ولعلمك فإنّه اعتبارًا من تاريخ كذا أصبحت هذه الأفعال تحت طائلة قانون الإرهاب، حتى تكون على بصيرة وأنت تكتب".

*[٢٦٨] فضُيقت طلبات اللجوء السياسي، وحتى الإخوة الذين عندهم لجوء سياسي تحت حماية القانون هم معتقلون الآن في عدد من الدول الأوربية خاصة في لندن، فأصبح الموضوع مرعبًا، وأُغلق باب اللجوء السياسي لمن سينشط في عمل جهادي أو إرهابي بدءًا من الكلمة والتحريض والسياسة وانتهاءً بما هو فوق ذلك.

وقضية اللجوء السياسي تحتاج درسًا لوحدها؛ في أهدافه وأبعاده وأضراره، ولكن الذي يهمنا الآن أنه أُغلق باب اللجوء السياسي كملاذ للإرهاب حتى ولو كان كنشاط أدبي.

سلَّمت سوريا في الشهر الماضي ليبيين وتونسيين وفرّ الباقون فلم تعد ملاذًا.

في تركيا حصلت فيها حملة تفتيش على بيوت ومضافات الناس الذين دعموا الجهاد في البوسنة وصنّفوا الناس حسب انتماءاتهم، فأصبحوا مصنّفين تبحث عنهم الاستخبارات، فأُغلقت تركيا كملاذ.

فما هي الملاذات المتبقية؟

هرب معظم الناس إلى أفغانستان، فضربوا أفغانستان بصواريخ (الكروز) وقالوا: "إذا أصبحت أفغانستان ملاذًا أخيرًا للإرهاب ولم تُحل هذه المشكلة إلّا باستخدام أسلحة الدمار الشامل فسنستخدمها في أفغانستان وسواها".

أما البقية الذين بقوا في إيران فهي طامة لها نتائج أبشع، وهم قليلون على كل حال، الذين بقوا في إيران قليلون ومعظم الناس إمّا جاؤوا إلى أفغانستان أو تشرّدوا في الأرض خفيةً، فالآن هناك ملاذ آخر والذي هو الاستخفاء.

---

[٢٦٨] بداية تفريغ الملف الثالث والعشرين.

والذي يختفي على طريقة الفأر -نسأل الله الفرج- يكون مرعوبًا همّه تأمين نفسه، فهذا لا يستطيع أن يخطّط أو ينظّر أو يدعو، فهو مرعوب همّه أن يؤمّن نفسه وزوجته، والهمّ الثاني: ماذا سيحصل غدًا. فالفأر من أخلاقه المعروفة الحرص، فهو حريص يجمع ويخزّن، فأصبح همّ كل الجماعات أين الكفالة، وإذا انقطعت الكفالة من سيكفلنا ومن أين سنعيش؟!

فضربوا أساس استقرارنا، والرسول ﷺ قال: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)[٢٦٩]، فالعدو ضربنا في الأمن وضربنا في القوت، فالناس أصبحت في حالة من الضّيق لا يعلم بها إلا الله تعالى.

فبعد أن طبّقوا هذه البنود الأربعة؛ تخفيف المنابع، قتل الرؤوس، خطف وتسليم العناصر، إلغاء الملاذات الآمنة، أدخلوا المبدأ الأساسي في مكافحة العصابات -كما في كل الكتب العسكرية- وهو: (الحصار والتجفيف).

فيحصُرون مجموعة في البوسنة ومجموعة في أفغانستان، ثم يقومون بعملية التجفيف عبر قتل الرؤوس وتسليم العناصر، فيُقضى عليهم مجموعة خلف مجموعة. لا يمكن أن تقضي على العصابات إلا هكذا، تقوم بعملية تمشيط فتكتشف مجموعة ثم تطوّق المكان وتدفن الأنفاق وتحرق البيوت، تم تقضي على المجموعة، ويستمر التمشيط فيُقضى على مجموعة فمجموعة.

هكذا فعلوا في حماة، وهكذا فعل الألمان في مجموعات الروس التي قاتلتهم عبر حرب عصابات، وهكذا فعل الأمريكان في فيتنام، تمشيط حصار تجفيف، فالآن يمارسون هذه السياسة علينا؛ تمشيط وحصار وتجفيف، مشّطونا في العالم والآن يقومون بالتجفيف، وهذا التجفيف قد يكون عبر القتل بالتصفية وقد يكون بالإخراج من المعركة، فإذا خرج الرجل ولم يعد له أي نشاط فهذا كتصفيته.

أعراض الأزمة الحالية وأسبابها:

فهكذا وصلنا إلى عقر الأزمة، وهذا هو مصير الصحوة التي وصلت إليه في عام ١٩٩٩م، فالأزمة حصلت بهذه الصورة، فنحن الآن نعيش أعراض الأزمة وهي كالتالي:

[٢٦٩] سنن الترمذي (٢٣٤٦)، والحديث حسّنه الألباني والأرناؤوط.

أولًا: الإفلاس أفرادًا وجماعات.

ثانيًا: نقص في المشائخ والرؤوس. فليس هناك قيادة ولا مشائخ ولا علماء ولا كتّاب، فهذا التيار ليس فيه قيادات تقوده بصورة قوية بحيث أنه تيار غني، بينما لو نظرت للتيارات الأخرى مثل تيار الإخوان المسلمين أو السلفيين، فتجد عددًا من النشرات والشيوخ والشعراء والكتابات، فهناك تيار غني، أما التيار الجهادي فقد دخل في مرحلة نقص الرؤوس.

ثالثًا: قيادات غير ميدانيّة؛ بُعدنا عن بلادنا يعني إعدام الحركة في بلادنا؛ صحيح أنّنا نجونا وتمكّنا أن نعمل في ساحة أخرى، ولكن من سيقوم بالعمل؟ فبعد ثلاثين سنة قتالًا بعد ثلاثين سنة دعوة خرجنا نحن، فهذا هو إفراز الصحوة، فالآن خرجنا من الأرض وخلعونا من البلد فخلا الجو لمشائخ الدولة والحركات المدجّنة وأهل البرلمان ليعملوا بنفس طريقة النظام الدولي.

الظاهرة الرابعة والمميتة: هي العزلة عن عامة الشعب، يعني وإن كنا موجودين إلا أننا تيار غير شعبي وغير محبوب، يعني من ٦٠ مليون مصري كم واحد يحبّ التيار الجهادي المسلّح؟ النسبة الغالبة كارهة للتيار الجهادي اصلًا.

وكذلك الأمر في الجزيرة، أنا سألت أخًا فقلت له: "بالله عليك اشفِ لي غليلي وقل لي: ما هي شعبية الإخوة الذي أعلنوا الجهاد لتحرير الحرم في أوساط الشعب السعودي؟".

فقال لي: "أمّا عامّة الشعب فهو معرض وربّما لم يسمع بالقضية، وفي من سمع فيها فهناك بعض الفسّاق والعامّة متعاطف معها ولكنّه ليس مقتنعًا، وغالب التعاطف سبب مالي بسبب انخفاض في مستوى المعيشة، أما عامة طلبة العلم والعلماء فهم يشتمونهم في حلقات العلم كمفسدين في الأرض وخارجين على النظام والشرعيّة".

ربّما بعضكم يعيش مع تلاميذ سفر وسلمان فيرى أمرًا آخر؛ ولكن كم عدد تلاميذ سفر وسلمان وناصر العمر إلى مجموع تلاميذ أعضاء (هيئة كبار العلماء)؟!، و(هيئة كبار العلماء) أصبحت مؤسسة سرطانية وليست ٢١ عضوًا فقط، بل كل واحد عنده ٢٠ تلميذًا كبيرًا وهؤلاء كل واحد له طلبة علم، وطلبة العلم لهم طلبة العلم، وكذلك الجامعات وأساتذة الجامعات حتى يقول عميد كلية الشريعة: "اللهم اشفِ الأمريكان".

فالمؤسسة الدينية في دولة مثل الجزيرة هي ضدّ الصحوة الجهاديّة شيوخًا وأتباعًا، الوادعي عمل مقابلة مع جريدة (الرأي العام) قبل شهرين أو ثلاثة فجاءتني نسخة هنا، فمكتوب بالخط العريض: (هذا الجهاد إرهاب وأنا بريء من أسامة بن لادن وأفعاله إلى يوم القيامة)، طيب يا أخي يمكن أن يهتدي هذا الرجل ويصير كما تريد قبل يوم القيامة؟!

عمر سيف اليمني يحكم بحد الحرابة على الإخوة الذين قتلوا الأجانب في اليمن.. إلخ

فبما أننا قمنا من أجل إصلاح مسارنا فيجب أن ننتبه أن الحركة آلت إلى كونها معزولة عن الشعب، وغير محبوبة من عامة المسلمين.

الأمر الخامس: تيه فكري ونفسي، فهناك حالة من القلق والتِّيه النفسي والعاطفي لدى الجهاديين، فالشباب غير مستقرين على مفاهيم شرعية محددة، وهو قلق بسبب موارده المالية لأنه يعيش على نظام الكفالة، وقلق لأن معظم الشريحة الجهادية الموجودة أمامي هم في أعمار ٢٨-٣٠ وهم غير متزوجين نتيجة تبعات الحالة المادية.

والمتزوج غير قادر على الإنفاق على نفسه فمهدّد في كرامته ومهدّد في أصل مقوّمات القوامة، كما قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ}[٢٧٠]، فهو يُنفَق عليه وليس عنده أمل أن يُنفِق على نفسه.

والجهاد أصلًا المفروض أن يجعل طبقة المجاهدين أغنى أغنياء الأمة، وهذا سنتحدث عنه في فصل التمويل، أغنى ثلاثة من الصحابة كانوا عثمان بن عفان –رضي الله عنه– وكان تاجرًا ثم عبد الرحمن بن عوف –رضي الله عنه– وكان تاجرًا ثم الزبير بن العوام –رضي الله عنه–.

والزبير بن عوام كانت ثروته تعادل ثروة عثمان بن عفان؛ بيع له حائط بعد وفاته بألفي ألف دينار وكان سهمًا من أحد الغزوات، قطّعت ثروته بالفؤوس من الذهب وكانت كلها من الغنيمة، وحصل هذا الغنى للمجاهدين على مرّ التاريخ الإسلامي حتى عصر العثمانيين، حيث كان القادة وطبقة المجاهدين هم أغنى شريحة في الأمة، والآن طبقة المجاهدين هي أفلس شريحة في الأمة، بل إنّ القعدة الذين ذمّهم القرآن والسنة هم الذي صاروا ينفقون على المجاهدين، فهناك حالة من القلق في التيار الجهاد.

---

[٢٧٠] **سورة النساء، الآية: ٣٤.**

القضية السادسة: هناك أزمات تنظيميّة شديدة جدًا؛ هذه المشاكل بمجموعها ولّدت أزمات تنظيمية، على رأسها عدم سيطرة القادة على القواعد والتخلّف والانشقاق وتشرذم التنظيمات. فهذه خلاصة ظواهر الأزمة.

***

الحلول المطروحة من الجهاديين للخروج من الأزمة

الآن ننتقل إلى الطرق المطروحة من الجهاديين للخروج من الأزمة، فطبعًا أنا لا يهمني خروج (التبليغ) من الأزمة ولا خروج (السلفيّين) من الأزمة، فهذا متروك لمفكّريهم وكتّابهم، أنا الذي يهمّني هو أن نخرج نحن من الأزمة، فنبحث عن الحلول المطروحة عند الجهاديين للخروج من الأزمة.

نحن الآن في الشوط الثاني في أفغانستان وكل جماعات التيار الجهادي موجودة هنا؛ هناك أناس يعملون مع ابن لادن وهناك أناس يعملون مع جماعة الجهاد، وهناك أناس يعملون مع الليبيين، وغيره، فكلهم موجودون، فبداية والحمد لله قطعنا خطوة عظيمة في طريق الحل، وهي أن الكلّ معترف بأنّ هناك أزمة.

قبل فترة كان الناس لا يعترفون، يقولون لك: "الحمد لله الجهاد بخير والناس تأتي والأمر مبشر"، أما الآن فالجميع معترف بالأزمة وهذا بداية العلاج؛ أن يعترف المريض بمرضه ويجلس على طاولة الطبيب.

فوجدت أن الحلول المطروحة للخروج من الأزمة مدرستان رئيسيتان، ونريد ومن معنا في هذه المدرسة أن نطرح طريقة ثالثة.

مدرسة الاستسلام وإلقاء السلاح:

المدرسة الأولى تريد الخروج من الأزمة بالاستسلام، وهذا ضمن الجهاديين تنظيمات وأفرادًا، أناس قاتلوا وحملوا السلاح ولها عمليات ولها تاريخ؛ فالآن تُطرح نظريّة خلاصتها: (أن حمل السلاح سبَّب الأزمة، إذًا ترك السلاح يُخرج من الأزمة)، سواء قالوا أن حمل السلاح كان مبكّرًا أو كان بطريقة خاطئة.

طبعًا العدو تلقّف هذه الظاهرة، فهناك جواسيس ورقابة وتصنّت فعلم هذا، ثم دائمًا وراء كل انهزام عسكري يأتي انهزام نفسي، وهذا معروف في (سيكولوجيا) البشر، أن أي دولة تنتصر على دولة تُتبع هذا بعرض مفاوضات مباشرةً لكي تحقّق نصرًا سياسيًا عقب الانتصار العسكري.

هزمونا في سنة ١٩٦٧م ثم سعوا للمفاوضات لكي يحصلوا على صكّ بمشروعية احتلال الأراضي بالمفاوضات، فهذا حصل مع التنظيمات الجهادية، فليس هناك تنظيم جهادي تعرَّض لهزيمة إلا عُرضت عليه مفاوضات من الحكومة.

فهذه العروض بقيت تُرفض من سنة ١٩٨٠ وحتى ١٩٩٩، والآن أصبحت عروضًا مقبولة!، فظهرت قضية الاستسلام، وأنا أسميها كما خلقها الله فهي استسلام، وعادة الإنسان عندما يسرق كاتب من آخر لا يقول سرق بل يقول اقتبس!، وهذا معروف في أساليب إبليس فيسمّي الخمر بغير اسمها كما قال الرسول ﷺ: (يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا)[٢٧١]، فأول مكائد إبليس تغيير الأسماء والمصطلحات، فسمّوا الربا فائدة وسمّوا الإباحية تطوّرًا.

فالآن هذا الاستسلام يسمى في بلاد بـ(المبادرة) كما في مصر من الجماعة الإسلامية، في الجزائر يسمى (قانون الوئام الوطني)، وفي بلاد يسمى (قانون الرحمة) أو (قانون التوبة)، في سوريا أسموه في المحادثات مع الإخوان (صلح)، في الجزائر سمي كذلك بالهدنة.

وكلها مسمّيات إمّا شرعية أو لها أصل أو مقبولة، ولكن في حقيقتها في كل الأماكن التي حصلت أن تترك السلاح وترجع مواطنًا صالحًا، وفي أحسن الأحوال تأخذ لك مكانًا تحت قبّة البرلمان، وفي أغلب الأحوال أن ترجع لبيت أبيك مواطنًا مؤدبًا.

وهناك دول ذكيّة وعريقة في السياسة مثل الأردن أو مصر فتعرف كيف تتعامل مع هذه الظواهر وتقيم مبادرات؛ فالذي نجا من السحق العسكري يُسحق سياسيًا ويرجع مؤدبًا، في الأردن وزّعت المخابرات أسلحة معروفة الأرقام على الناس لأنّهم كانوا يعرفون أن الناس تريد أن تتسلّح، ثم عندما حصلت الأزمة جاؤوا لكل واحد على بيته وقالوا له: "عندك سلاح برقم كذا وكذا فأحضره"، فيُرجع السلاح ويشرب فنجان قهوة ثم يرجع مؤدبًا، فيحطّموه نفسيًا ويصبح يعتقد أن المخابرات تعرف كل شيء.

---

[٢٧١] سنن النسائي (٥٦٥٨)، سنن أبو داود (٣٦٨٨). الحديث صححه الألباني والارناؤوط.

في سوريا لم يتعاملوا مع المبادرات بهذه الصورة؛ وأنا تحدثت عن بعض هذه المبادرات في كتاب (التجربة السورية) وهو كُتب في سنة ١٩٩٠م، وكان هناك مبادرات حصلت منذ سنة ١٩٨٧م، وبعد سنة ١٩٩٠م حصلت مبادرات جديدة، وفي كل المبادرات وحافظ الأسد يرفس المبادرين برجله لأنه لا يريدهم أن يدخلوا.

من شروط تطبيع اليهود مع سوريا أن يُقيموا نظامًا ديمقراطيًا يستوعب الحركات السياسية المعارضة ومنها الإسلاميون، حتى عندما تتم المصادقة على التطبيع لا يكون حصل من النصيرية فقط فقد يذهب النصيريون، وإنّما يكون يتم التطبيع من قِبل حكومة برلمانية تمثل الأحزاب السياسية حتى يكون الاتفاق مع إسرائيل دائمًا ومعمّمًا، فاشترطوا على حافظ الأسد أن يعطي فرصة لهؤلاء لكي يدخلوا.

وحصل بعد هذا تشجيع ووساطة من الأردن، ووساطة من الإسلاميين في الأردن، ووساطة من أربكان عندما استلم الحكم، ووساطة من كل الجهات. وآخر هذه المبادرات عندما اشتبكت تركيا مع سوريا في الحدود بسبب حزب العمال الكردي، فأراد الإخوان المسلمون في عهد المراقب الجديد (علي البيانوني) أن يستغلوا الفرصة وقاموا بإرسال رسالة غزل لحافظ الأسد، وقالوا له: "نحن نعرف أن الوطن يمر بأزمة ويجب أن نقف في خندق واحد مع الحكومة ومع الوطن، ونحن مستعدون أن نقف في خندق واحد ضد تركيا وكذا".

فأرسل لهم حافظ الأسد رسالة مع الشيخ البوطي يقول فيها: "منذ متى كان الإخوان المسلمون عندهم وطنية وتاريخهم كله خيانة وعمالة؟!".

وقبل ذلك بعدة أشهر نزل الشيخ عبد الفتاح أبو غدة لسوريا، والرجل نكس العمل الجهادي في سوريا –نسأل الله له المغفرة–، المهم الرجل ذهب إلى هناك بوساطة من البوطي، فجاء إليه البوطي وقال له: "أنا أتوسّط عند الرئيس أن تأتي وتقابل الرئيس ونحل مشكلتك".

فذهب إلى سوريا على أساس لقاء مباشر، فبقي الشيخ عبد الفتاح أبو غدة يتنقل من دمشق إلى حلب أربعة أشهر ثم لم يسمحوا له بلقاء الرئيس، ثم جاءه البوطي وقال له: "الرئيس يقول أنك عالم جليل في هذا البلد، ولا بأس أن تحصل على عفو شخصي وتذهب لبيتك، ومن أراد أن يفعل مثلك من أي واحد من هؤلاء المطلوبين لا يحتاج إلى مباحثات ولكن يذهب للسفارة وأبواب السفارة مفتوحة ليقدّم جوازه ويرجع ليحصل على عفو".

فتحوّلت القضية -والتفاصيل طويلة- إلى أن يذهب الإنسان للسفارة ويأخذ جوازًا ليذهب لسوريا فتستقبله المخابرات فيكتب تقريرًا عن حياته، ثم يُعطى بيانًا للتوبة مكتوب في أعلاه: "بسم الله الرحمن الرحيم {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ}"[٢٧٢]؛ أي ربِّ بما أنعمت عليَّ بالتوبة والدخول مع الحكومة فلن أكون ظهيرًا للمجرمين الذي حملوا السلاح.

ومنتهى حال هؤلاء إمّا أن يذهب إلى بيته أو يُستدعى كل فترة وأخرى حتى يقدّم معلومات عن المسجد وعن الحارة، يعني يصير مخبرًا عندهم!.

وكانت هناك مبادرات قديمة؛ فمن المبادرات التي حصلت بين الدولة والمجاهدين أن جماعة الطليعة -وهي الجناح المسلح للإخوان المسلمين- عندما ضُربت عسكريًا عرضت الدولة عليها مبادرة، وحصل صلح بين الطليعة والحكومة السورية ونزل بموجبه بعض قيادات الطليعة لسوريا.

والأردنيون يعرفون بعض الأسماء السورية والفلسطينية، فكان هناك شخص اسمه (أبو النور) وهو كان دكتورًا وكان نائب عدنان عقلة، فدخل سوريا وأصبح مدير الصحة في محافظة في جنوب سوريا وعضوًا للبرلمان، ثم شاهدناه على التلفزيون السوري في صلاة العيد يصلي في الصف الثاني خلف حافظ الأسد، فاستدار حافظ الأسد بعد صلاة العيد وسلم وقبّله في وجهه!.

جاءتنا الأخبار خرج واحد يتكلم من أقاربه فقال: كان يمزح معه ضابط أمن الدولة فيقول له: "لماذا لم تحلق لحيتك؟"، فقا له: "عندما نزلت عانقني حافظ الأسد، ولحية قبّلها حافظ الأسد جديرة أن لا تُحلق"!.

فهذه كانت نهاية المبادرات، فكيف كانت البداية..؟

بدأت المبادرة مع حافظ الأسد كعرض للطليعة بأن تضعوا السلاح مقابل إخراج السجناء، ومشاركة ما في الحكم، وحريّة الدعوة، فجاء إلى الاردن وعرض هذه العروض.

وعرض نفس العروض على الإخوان، فذهبوا إلى ألمانيا وتفاوضوا، وأنا كنت على تماسّ مباشر مع قيادات الطرفين حتى أرّخت لبعض هذه المبادرات، فاجتمعوا في ألمانيا ثم قالوا آخر اجتماع في دمشق، فالحكومة رفضت الإخوان لأنّهم حزب سياسي قد تكون لهم أرضية، وقبلت الطليعة لأنهم مجموعة من الشباب ليس لهم جذور.

---

[٢٧٢] سورة القصص، الآية: ٢٧.

ثم انتهت القضية أن قالت المخابرات لرئيس وفد الطليعة: "هو إنتو منتصرين في الحرب العالمية حتى تيجوا لتفاوضونا؟ الأب الرئيس القائد قلبه حنون ومستعد أن يستقبلكم كمواطنين صالحين فعليك أن تتوب مما جرى وتحمل نفسك وتذهب لبيتك"، فوجدوا أن القضية هكذا، فحملوا أنفسهم وذهبوا لبيوتهم، وهذه هي المبادرة الوحيدة التي اكتملت، وبعد ذلك تتابعت المبادرات.

حتى أن الشيخ راشد الغنّوشي على ما عنده من العوج الفكري والعقدي الذي تعرفونه كان موقفه شريفًا من المبادرات، فاعتبرها استسلامًا وشتم فاعليها وقال: "حقيقة لا مبادرة ولا رحمة، بل هي عبارة عن عملية شراء لبعض العناصر في النهضة للعمالة للحكومة".

ووصلت المبادرات إلى قضية (الوئام الوطني) في الجزائر، وانظروا كيف هي الآن كتابات عباس مدني ومدني مرزاق رئيس الجيش الإسلامي للإنقاذ؛ ثناء على الحكومة وثناء على شخص الرئيس، واعتراف بقانون الجمهورية واعتراف ببلاوي من الكفر مقابل احتمال اعتراف سياسي للمشاركة في إطار البرلمان!.

وآخر هذه المبادرات المبادرة التي حصلت في مصر على يد (الجماعة الإسلامية) -وهذا لعلنا نفرد له بحثًا إن شاء الله- ، وخلاصة المسألة أنهم قالوا نحن نضع السلاح من طرف واحد بدون الاتفاق مع الدولة، فالدولة قابلت هذا بالإفراج عن بعض السجناء.

يعني واحد اعتقل ٦٠ ألف معتقل فيهم ٥٧ ألفًا ليس لهم علاقة بالقضية، فهم يُخرجون لكم سجناء من السجن الذي ملأه بالأبرياء، ثم ثاني يوم يرجع يعتقل من خزان الناس ألفين ثم يُخرجهم، ويقال أنه أفرج عن السجناء.

عندما جاء البوطي ليتفاوض مع الإخوان قال: "أنا عرضت على السيّد الرئيس مبادرة من شروطها أن يُخرج الإخوان تأصيلًا شرعيًا يُثبتون فيه خطأهم الشرعي في حمل السلاح"، وهذا ليس لهم هم بل للأجيال القادمة، وهذا الشرط لا يعرف فائدته حافظ الأسد بل يعرفه البوطي؛ أن تؤصّل شرعًا أنّك كنت مخطئًا، هذا سوى الشروط الأخرى من المذلّة والمهانة حتى الإخوان المسلمين لم يقبلوها. الآن أظن ملك الأردن الجديد هذا سيضغط عليهم إجبارًا أن يدخلوا في المبادرات.

أما في مصر فكانت نفس القضية، وبعضهم يقول حصلت المبادرة مقابل حزب وبعضهم يقول بدون مقابل، والخلاصة أن تضع الجماعة السلاح، وطبعًا الذين تركوا حمل السلاح أمامهم أحد أمرين؛ إمّا أن يقولوا أنّنا عندما حملنا السلاح

حملناه بدون إعداد فحملناه مبكرًا. وبعضهم يقول: أن الخطأ كان في التصور، إلى أن بدأت تظهر أفكار من بعض المنسوبين للجماعة الإسلامية يُثبتون فيها أن المنطلقات الشرعية لم تكن صحيحة، حتى أخرج رجل في لندن كتابًا يقول فيه: "أن قتل السياح غير شرعي وهذا خطأ من إخواننا، لأن أمان الحكومة للأجانب هو أمان شرعي".

يعني كما يقولون في بلاد الشام: "أول الرقص غندرة"، يعني الواحد يكون مستحي في البداية أن يرقص هكذا بصورة حارّة فيُلزموه فيتمختر قليلًا ثم يحمى ويرقص بصورة كاملة، وكذلك الأمر في الاستسلام، فلا أريد أن أدخل في تفاصيل هذه المبادرات المعروفة، ولكن خلاصتها أن نترك السلاح لأنه سبَّب الأزمة حتى نخرج من الأزمة.

وهذا الاستسلام حصل بشكل جماعي وحصل أيضًا بشكل فردي، فهناك أناس بدون أن تدخل جماعته في الاستسلام خرج واستسلم فرديًا.

فهذا هو التصور الأول للخروج من الأزمة، وهذا التصور عليه كثير من الجهاديين، ولكن لا يزالون الأقلّ، ولكنه ما زال يكسب أنصارًا في كل يوم نتيجة الأزمة.

مدرسة الثبات على الجهاد:

المدرسة الثانية هي مدرسة قامت على الثبات، وفيها أناس يريدون أن يتابعوا، ويشمل معظم الحركات الجهادية، ولكن الملاحظ على هذا الثبات أنه نوعان؛ ثبات إيجابي وثبات أعتبره سلبيًا.

أما الثبات الإيجابي فهو الثبات على المبدأ؛ مبدأ حمل السلاح والجهاد المسلَّح، ولذلك هم يؤصّلون ويكتبون أن ترك السلاح فيه خيانة للشهداء وللمبادئ وليس فيه أي مكسب، وحقيقة هذه المبادرات مثلما قال مالك بن الريب:

لقد كان في أهل الغضا لو دنا الغضا　　　مزارٌ ولكنّ الغضا ليْسَ دانيا

يعني يمكن أن يكون لهذه المبادرات ما يبرّرها لو كان فيها شيء من المكاسب، ولكن ليس فيها مكاسب أصلًا، بل قرأت لفتة أظنها للشيخ منير الغضبان في كتابه (المنهج الحركي للسيرة النبوية) أنّ الله –سبحانه وتعالى– قال: {وَإِنْ

جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا}[٢٧٣]، وفي آية أخرى قال: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ}[٢٧٤]، ففي آية أمر بالسلم وفي آية نهى عن السلم.

فقال هذا حسب الحالة السياسية والقوة العسكرية؛ نزلت الآية في النهي عندما كان المسلمون منهزمين في أحد، لأن أيَّ اتفاقية ستكون مُهينة لأنها بعد هزيمة عسكرية، ودعا إلى السلم بعد غزوة فيها نصر عسكري لأنه سيكون من منطلق العزّة، وهذا من اللفتات السياسية الشرعية الرائعة.

فهم أناس سحقونا سحقًا أمنيًا وعسكريًا فهل سيُعطوننا بالذل والمهانة والمباحثات ما لم نأخذه بالسيف؟!

ومن لم يمُت بالسيف مات بغيره   تعدَّدتِ الأسباب والموت واحدُ

والله -سبحانه وتعالى- قال: {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً}[٢٧٥]، فإذا انتصر فلن يحترم أي شيء ولا أي مبدأ ولا أي قضية، وهو الآن منتصر وأنت مهزوم ومتشرد وتحت مكافحة الإرهاب، فهل ستأخذ بالمباحثات منه ما لم تأخذه بالقتال؟! هذا من الوهم القريب من الجنون.

مدرسة الثبات والتصحيح والتطوير:

أما القسم الثاني فيقولون كل هذا الكلام السابق، ويقولون بالثبات الإيجابي، فهذا الثبات الإيجابي له أسباب شرعية وأسباب سياسية وأسباب عسكريّة، نحن بالمختصر كما قلنا في حالة دفع صائل، فنحن محكوم علينا كما قال الشاعر أحمد مطر الشيعي:

لا تسافر.. لا تهاجر.. أنت مقتول على كل المحاور..

الآن هناك طبقة من الناس خاصّة رؤوس الكتاب والشعراء والمحاربين والقواد والرموز محكوم عليهم بالقتل؛ إمّا القتل الجسدي {لَأَقْتُلَنَّكَ}[٢٧٦] وهو الغالب، وإما التصفية الروحية بأن يخرج من التيار.

---

[٢٧٣] سورة الأنفال، الآية: ٦١.

[٢٧٤] سورة محمد، الآية: ٣٥.

[٢٧٥] سورة التوبة، الآية: ٩.

[٢٧٦] سورة المائدة، الآية: ٢٧.

فمن الأشياء التي كتبتها بحث للإخوان المسلمين، وكتبت للجماعة الإسلامية (نصيحة لله ورسوله)، فقلت لهم: ليس هناك فائدة مما تفعلوه، وهذه هي الأدلة الشرعية والسياسية والعسكرية، وتكلمت لهم عن المبادرات السورية بالتفصيل وإلى أين آلت، وأنها لم تحقّق أي فائدة ولم تجنِ أيّ شيء إلّا الهزيمة والهوان والسحق السياسي بعد السحق العسكري.

فقدَّمت لهم بحثًا شرعيًا ثم بحثًا سياسيًا وعسكريًا، وقلت لهم: "إذا لم تسعكم الرجولة التي يفرضها الدين والتأسّي بالصحابة والتأسّي بالسلف والتأسّي بالرسل، إذا لم يسعكم هذا فتأسُّوا برجولة أبي جهل"!.

بعد أن أصيب أبو جهل أرسل الرسول ﷺ عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– حتى يأتيه برأس أبي جهل، وكان أبو جهل قد قُطعت أذنه سابقًا، فذهب ابن مسعود فوجد أبا جهل وبه رمق، وكان أبو جهل رجلًا ضخمًا عملاقًا حتى جاء في الرواية تعبير غريب: (فتسلّق على صدره).

فتسلَّق على صدره وأراد أن يذبحه، فسأله أبو جهل: (لمن الدائرة اليوم؟)، فقال له: (لله ورسوله وقد أخزاك الله)، فقال له: (بلّغ محمدّا أني ما ندمت على عداوته ولا ساعة). يعني صحيح خسرنا الحرب ولكن نحن ثابتون، فوصلت الرسالة للنبي ﷺ فقال: (هلك فرعون هذه الأمة).

فكان راسخًا ورجلًا وصامدًا على العوج الذي فيه، وبسبب هذه المواصفات تمنّى الرسول ﷺ إسلامه عندما تمنّى إسلام أحد العمرين، لأنّ فيه مواصفات.

وهذ المواصفات التي كانت في كفّار ذلك الزمان لم تعد في كفار هذا الزمان، ولذلك عندما كان الكفار واقفين على بيت رسول الله ﷺ ليقتلوه قبل الهجرة عندما نام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– على فراشه في القصة المشهورة، قال الناس لأبي جهل: "لندخل ونقتله لماذا نبقى على بابه إلى الصبح"، فقال أبو جهل: "لا تقول العرب روّعنا بنات عمّاتنا في الليل"!.

وأبو سفيان –رضي الله عنه– عندما كان رأس الكفر وقابل هرقل لم يكذب ولا كذبة، قال: (لَوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ). ولم يستطيع أن يُدخل شيئًا إلّا أنّه قال عندما سأله هرقل: (فَهَلْ يَغْدِرُ؟)، فقال: (لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا)، قَالَ: (وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الكَلِمَةِ)[٢٧٧].

---

[٢٧٧] صحيح البخاري (٧).

وسبحان الله من اللفتات الجميلة الرائعة في كتاب (الكواشف الجلية) ما قاله الشيخ أبو محمد وهو يرد على هؤلاء المشائخ الذين يدافعون عن حكام الجزيرة، قال لهم: {أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ}[٢٧٨].

فأولئك الكفار كانوا رجالًا وهذا نموذج، فهذا النموذج كان من صفاته أنه راسخ على مبدئه، فقلت لهم: "إذا لم يسعنا الدين والسلف والأمثلة فتأسّوا برجولة أبي جهل، فقولوا لهم: بلغوا حافظ الأسد أو حسني مبارك أو الملك حسين أو الملك فهد (خسرنا الجولة ولكن والله ما ندمنا على عداوتكم ولا ساعتنا هذه)"..

هذه الروح تلزمنا جدًا للاستمرار، جاءت أمي لتزورني في إحدى البلاد، وهي امرأة مسكينة وأنا لم أكن متزوجًا، فقالت لي: "صاحبك فلان تزوّج وصار عنده أولاد، وفلان تخرج وصار مهندس، يا ابني مالك ما زعلت على الذي عملته في حالك؟". فالواحد تكفيه شياطينه أصلًا ثم تأتي أمّه لتقول له هذا.

وجاء مرة والد صاحبي -كنت أنا وهو نسكن مع بعض- ليقول له نفس الكلام، يقول: "يا ابني ما ندمت على هذه البهدلة التي أنتم فيها ١٧ سنة؟ يعني ماذا استفدتم وماذا استفدنا من هذه؟".

قلت له: "شوف يا حاجّ: أنا سرت في هذا المسار، ولم أكن أعلم في سنة ١٩٨٠م أننا سنتبهدل هكذا، ولكن الآن أعرف أنّنا تبهدلنا هكذا، والله العظيم لو أرجع في سنة ١٩٨٠م فسأعمل الذي عملته الآن على بصيرة".

فهذه الروح نحن أحقّ بها من أبي جهل، فالقصد أن هذه الروح تلزمنا لأنّنا نسير منذ عشرين سنة، ولكن أمامنا مسيرة طويلة جدًا، أمامنا مسار يفنى فيه جيل أو جيلان أو ثلاثة من الأجيال القادمة..

فالآن بعض إخواننا بدأ يتراجع نسأل الله -سبحانه وتعالى- الثبات، أما مدرسة الثبات فيقولون بما نقول، ولكن هناك أمر مهم جدًا، وهو الثبات السلبي؛ **الثبات السلبي هو الثبات على أساليب العمل والتفكير والفقه الذي أوصلنا إلى الأزمة.**

فهناك طرق عملنا بها فأوصلتنا إلى الأزمة؛ سواء كانت في التدريب أو في الاتصالات أو في المحاضرات أو في التربية؛ طرق معيّنة مارسناها عبر ٤٠ سنة (١٩٦٠-١٩٩٩)م فوصلنا للأزمة، ونحن عندما نتكلم عن الأزمة سنبيّن أن هناك أسبابًا داخلية متعلقة بنا، وأسبابًا خارجية غير متعلقة بنا.

---

[٢٧٨] **سورة القمر، الآية: ٤٣.**

الأسباب المتعلقة بنا هي أساليب في التفكير وأساليب في الدعوة وأساليب في الإعلام والنشرات وتخزين الأسلحة والاغتيالات والعمليات والجبهات، فهي أساليب مارسناها عبر أربعين سنة فأوصلتنا للأزمة، فالعقل يقول أن هذا المسار لو أعدته أنا أو سرت فيه أنت أو أي واحد من الأجيال القادمة ومشى بنفس الخطوات فسيصل إلى نفس النتيجة.

ولذلك يلزمنا أن نُحدث ثورة داخلية في أساليب عملنا وتفكيرنا وفي أساليب المواجهة، وهذه الثورة لن تكون إلا عن طريق التشخيص، فمن هنا أقول أننا نطرح طريقة جديدة، فيها أمور أنا سمعتها على لسان كثير من الشباب البسطاء ولم أخترعها كلّها، هناك جزء اخترعته -بفضل الله-، ولكن أحيانًا يتكلم معك شاب عادي أو طالب علم أو قائد فيقول لك: "يجب أن نفعل كذا"، فهناك ضغط من العقول الموجودة للتحول نحو أسلوب عمل جديد.

فوجدت أنَّ عليّ أن أصيغ كل هذه القضايا ممّا سمعته ومما خطر على بالي وممّا سألنا فيه أناسًا في طريقة جديدة للخروج من الأزمة، **وهذه الطريقة تقوم على ثلاثة مبادئ، أولًا الثبات على المبدأ، ثانيًا التصحيح، وثالثًا التطوير**.

نحن تعبَّدنا الله -سبحانه وتعالى- بالصلاة، فيجب أن نصلّي، ولكنّه لم يشترط علينا أن نصلي في مسجد معين ولا في لباس معيّن، فهذه أساليب العمل والوسائل قابلة للتطوير، وهذا التطوير لا يكون إلّا من خلال معرفة الخطأ وتصحيحه، والتصحيح يلزمه أن تقيّم الخطأ، وهذا لا يمكن أن يكون إلا إذا كان عندك نية للصواب.

الحمد لله نحن والموجودون في الشوط الثاني في أفغانستان واضح أنّه متوفر عندنا هذا الشرط؛ أنّنا نريد القتال ونصرة الله ورسوله، فيجب ألَّا نضيع الوقت علينا وعليكم ونستمر بهذه الطرق القديمة، يجب أن نعمل بمبدأ التصحيح والتطوير.

وهذا المبدأ مأخوذ من القرآن: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا **قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**}[279]. وفي الحديث: (الكَيِّسُ مَنْ دَانَ **نَفْسَهُ** وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ)[280].

---

[279] **سورة آل عمران، الآية: ١٦٥.**

[280] **سنن الترمذي (٢٤٥٩)، سنن ابن ماجه (٤٢٦٠).**

الأسباب الخارجية للأزمة:

فإذا نظرنا إلى هذه الأزمة فسنجد أن هذه الأزمة لها نوعان من الأسباب؛ أسباب خارجية وأسباب داخلية في التيار الجهادي.

أما **الأسباب الخارجية** فعلى رأسها أن النظام الدولي نجح في تحليل أساليب عملنا ووضع لها حلولًا وغيّر نظام المواجهة من النظام القطري مع المرتدين إلى النظام الدولي مع حلف اليهود والنصارى والمرتدين.

فبالمختصر كانت عندك (ماكينة) تخدمك جيدًّا وهي من نوع ١١٠ فولت، فجاءت (هيئة الكهرباء) وغيّرت تيار الكهرباء فصار النظام ٢٢٠ فولت، فلو قمت وركّبت ماكينتك السليمة في نظام ٢٢٠ فولت فستحترق، وهذا ليس لعطل وعيب في الماكينة وإنما نظام المواجهة و(السيستم) تغيّر.

وأضرب لكم مثالًا حتى تفهموا الأمر؛ نظام عملنا كان سريًا هرميًا، فعندنا أمير تحته ثلاثة، وهؤلاء كل واحد يعرف اثنين، وهؤلاء كل واحد يعرف خمسة أو ثلاثة وهكذا..، فهذا يسمّى بالتنظيم الهرمي، فيأتي النظام الإقليمي ويعتقل أحد الأعضاء فيعرّضه لأنواع التعذيب من الكهرباء إلى انتهاك عرضه وعرض أهله، فيصل بسرعة لمن يعرفهم ممن هو تحته أو فوقه أو موازٍ له، ثم كل واحد يعترف على من يعرف ويستمر الأمر هكذا فخلال ٤٨ ساعة يكون قُضي على كل التنظيم.

فجاءت التنظيمات الجهادية وطوّرت هذا إلى أسلوب عمل آخر، فصار المسؤولون الكبار في التنظيم يخرجون خارج إطار البلد، فصارت التحقيقات تمشي ثم ينقطع الخيط عندما يجدون أحدهم في الخارج في أفغانستان أو غيرها.

فقام النظام الدولي بتطوير هذه القضية إلى نظام مكافحة الإرهاب وأقام قيادة أمنية موحَّدة على مستوى الدول، فصار يُعتقل في مكانه وتستمر التحقيقات معه أثناء الرحلة. أمسكوا أخًا بعد عملية (نيروبي) في كراتشي لعلاقته بالعملية، فأخذوه من كراتشي إلى المطار إلى أمن الدولة، وفي الطريق أخذوا منه كل تفاصيل عملية نيروبي، ثم أخذوا الملف ووضعوه في طيّارة وسلّموها لأمريكا وهو جاهز.

فالنظام الدولي عندما غيّر نظام المواجهة إلى ٣٨٠ فولت بينما كان أحسن التنظيمات يعمل بنظام ١١٠ فولت؛ فوضعنا ماكيناتنا في الكهرباء فاحترقت كلّها. فهل من العقل أن أقول أنا مصِرٌّ على الثبات مهما حدث؟!

نأتي لنظام التمويل، كنا نعتمد على التسوّل، فجاءنا النظام الدولي بسياسة تحفيف المنابع، فهل نحن محكومون بهذه الأساليب ولا نستطيع أن نغيّرها، ولا يتقبل الله منا إلا هذا الأسلوب؟!

بل يجب أن نُغيّر أساليب المواجهة، وهذا هو الذي أقصده بالتصحيح. وليس هذا في التنظيم فقط بل في كل القضايا وفي كل الطرق التي عملنا بها خلال أربعين سنة، فحتى أطوّر هذه الأساليب لا بدّ من التشخيص.

فعندما نستعرض **أسباب الأزمة الخارجية**: نجد أن **أوّلها أن النظام الدولي دوَّل أسلوب المواجهة وطوّره**، فيجب أن تطوّر أسلوبك.

ثاني سبب من أسباب الهزيمة: **هو إعراض الأمة عن العمل**، وهذا ليس بأيدينا فهناك أنبياء جاؤوا لأقوامهم فدعوهم ودعوهم فلم يستجب أحد، هكذا هو الزمان وابتلاء الله -سبحانه وتعالى-، ونقول هذا حتى لا نحمّل أنفسنا كل أسباب الفشل فهناك أسباب ليس لنا بها علاقة.

السبب الثالث: **هو فساد العلماء وإعراض الطيّبين منهم عن الجهاد**، الآن صرنا نقول: "الشيخ فلان جزاه الله خيرًا لا ينافق الحكومة"، مع أنّ هذا الموقف الذي نشكره عليه سمّاه الرسول ﷺ (شيطان أخرس).

حكى لي أبو عبد الله قال: "أرسلت لفلان وفلان وفلان فما جاء أحد"!؛ وأحدهم رجل عجوز عمره فوق الثمانين يعني قدم في الدنيا وقدم في الآخر، فما الذي يُخيفه ويمنعه من إصدار فتوى مثل الفتوى التي أصدرها الشيخ عبد الأمين الحسيني في سنة ١٩٤٨م بحرمة التطبيع والتجارة مع اليهود، وبحرمة بيع فلسطين لليهود، لا تفعلوا شيئًا فقط تكلموا وقولوا الحق؟!.

*[٢٨١] فالشاهد في الموضوع والأمثلة كثيرة جدًّا؛ أنّنا صرنا الآن نبحث عن الذي لا يتكلم فنقول: "جزاه الله خيرًا ما نطق"، مع أنّ الساكت عن الحق أصلًا هو شيطان أخرس، فهذا هو المحترم عندنا، فما بالك بالذي {إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ}[٢٨٢] طوال الوقت يُخرج لنا فتاوى باطلة!.

حتى وصلت القضية للآخر، والشهود موجودون ومنهم أبو عبد الله ابن لادن شهيد على إحدى الروايات، ومنهم سعد الشريف شهيد على إحدى الروايات. ذهب الناس لابن عثيمين وكلّموه وألزموه، وذهب إخوة سألوه حتى

---

[٢٨١] **بداية تفريغ الملف الرابع والعشرين.**

[٢٨٢] **سورة الأعراف، الآية: ٧٦.**

أخرجوه من المسجد، وفي إحدى الجلسات أحرجوه وأحرجوه حتى قال لهم: "أنا اتركوني، الذي يقوله ابن باز سأقوله والذي لا يقوله لن أقوله، يا أخي افرضوا أني أنا رجل ذروق". يعني بوَّال على نفسه.

طبعًا هو ليته سكت، هو لم يسكت أصلًا، هذا الكلام حجّة له لو كان سكت، لو كان سكت لقلنا الرجل خوّاف ولكنه لم يسكت بل وقف مع الباطل وحكم على الناس بالقتل، والرسول ﷺ قال: (مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)[٢٨٣].

هذا بمن أعان بنصف كلمة فكيف بمن يُخرج فتوى توزع بكل أصقاع الأرض ويوقع عليها واحد وعشرون شخصًا، فهذا حسابه عند الله –سبحانه وتعالى– هو ومن اتخذ نفسه خصيمًا للخائنين، فيجادل عنهم فهو معهم عند الله –سبحانه وتعالى–.

ولكن أقول لك حتى عندما قال أنا خائف، فهي ليست مزيّة، واحد يقول لك أنا (ذروق) أنا بوّال على نفسي. قلت له: هذا اجمعوا له علبتين (بامبرز) ويريحنا من هذه القضية، أمة تُباع، وواحد يحتجّ عندما يدافع عن نفسه فيقول: "أنا ذروق"!!، خلاص اتركه واذهب لغيره. اتركه وابحث عن رأس آخر.

ولكن المشكلة ليست هكذا! وأنا لا أتكلم معك عن النفاق بل عن السكوت فقط؛ حدّثني بعض أقطاب المعارضة السعودية فقال لي: ذهبت بوفد من طلبة العلم إلى ابن باز حتى نسأله سؤالًا فقلنا له: "بلد فشا فيها الزنا"، قال لهم: "أعوذ بالله!".

قالوا له: "فشا حتى أنّ الدولة عندما لم تجد حلًا قنّنت دور الزنا ووضعت لها أطباء حتى تضبطها وتنظّمها".

فقال لهم: "هذا كفر".

قالوا له: "ليس هذا فقط بل عندما رتبوا الزنا ووجدوا نتائج الترتيب جيدة، وأن الشباب حُلّت مشاكله؛ منعوا الزواج الشرعي وجعلوا التواصل عن طريق الزنا".

قال لهم: "في بلاد يحدث فيها هذا؟"

قالوا له: "نعم هكذا، إيش رأيك؟"

---

[٢٨٣] سنن ابن ماجه (٢٦٢٠) والحديث ضعفه الألباني والأرناؤوط.

قال: "هذا لا شكّ أنه كفر".

قالوا له: "يا طويل العمر، الرسول ﷺ قال: (درهم الربا أعظم من ست وثلاثين زنية)[٢٨٤]، وهذا الربا في السعودية تقنّن ثم نظّموا العلاقات ثم شجّعوه ثم استُصدر مرسوم بمنع البنوك الإسلامية في السعودية، والذي يريد حساب في بنك إسلامي عليه أن يفتحه في قطر أو في البحرين. ممنوع بنك إسلامي، فقط بنوك ربوية".

فقال له: "نسأل الله يهديهم".

بل هؤلاء نسأل الله يأخذهم لا أن يهديهم! هؤلاء أباحوا الزنا وهؤلاء أباحوا الربا؟! فتجد قصة واثنتين وثلاثة وإلى آخره.

فحقيقة هناك مشكلة عند الجهاديين؛ يجب أن نعترف أن علماء التيار الجهادي قلائل جدًّا بل نادرون، بل يكادون يكونون غير موجودين. وهذا بلاء من الله –سبحانه وتعالى–، وهذا التيار يمشي باسم الدين فيحتاج علماء. فهذا من البلاء، هذا التيار يحتاج علماء حتى يتأصّل.

خرج الشيخ عبد الله عزّام على القدر الذي عنده، يمكن أن تعتبره في قائمة العلماء فقُتل، خرج الدكتور عمر ممكن أن تعتبره في قائمة العلماء وأُسر، خرج سفر وسلمان، سُجنا وخرجا ثم الآن هما مسجونان في السجن الكبير.

فالشاهد هذا التيار ليس فيه علماء، أحيانًا تجد طالب علم عنده علم ولكن نحتاج علماء أمام العامة، فتقتنع العامة أن هؤلاء علماء. الشعب الأفغاني خرج على الروس لفتوى العلماء ولم يخرجوا ولم يثوروا على الملك، الناس خرجت على فرنسا لفتوى العلماء في الجزائر، وكذلك الأمر في مصر وفي سوريا وفي كل الدنيا، الناس تحتاج علماء، فيجب أن نعلم هذا ونأخذ منه حلًا كيف نحرّك الأمة؟ لا يمكن تحريك الأمة إلا بمستندات ومنها وجود العلماء، فيجب أن نفكّر في طريقة لنلتف على الأمّة حتى نجعل من بقي من العلماء يدخل في المعركة.

وهذا وجدنا له حلولًا؛ أنّه هناك علماء صالحون الآن هم في مرتبة الساكتين، وعذرهم الوحيد عندنا وعند الله هو هُزال العامة، أنه خائف أن يتصدّر وليس له سند، فهؤلاء الناس الموجودون يجب أن نشجّعهم حتى يدخلوا في المعركة.

الشاهد الآن ما أدخل في التفصيل أن هناك أسباب خارجية للأزمة:

– النظام الدولي وتحديد طريقة المواجهة.

---

[٢٨٤] مسند أحمد (٢١٩٥٧).

- إعراض الأمة عن العمل.

- إعراض العلماء عن الجهاد، حتى الطيبون منهم معرضون عن الجهاد.

هذا كان السبب في أننا دُحرنا في المرحلة الماضية، ولكن هذا لا يعني أنه لم يكن منا نحن أسبابًا للهزيمة، فقد ارتكبنا أخطاء أدّت إلى الأزمة، وأنا أعتقد أن الجزء الأساسي هو في أخطائنا التي أوصلتنا إلى هذه النتيجة القدرية، فيجب أن نبحث هذه الأخطاء، فتحديد الخطأ يؤدّي إلى تحديد الصواب.

فعندنا خطأ وصواب في التنظيم، وخطأ وصواب في الإعلام، وخطأ وصواب في التدريب، وخطأ وصواب في الاتصالات، وخطأ وصواب في التنظير.

فمجموع هذه الأخطاء أدّى إلى أزمة، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يؤدّي مجموع هذه الصوابات إلى المخرج، وهذا سنطرحه في نظرية عمل متكاملة بدءًا من التفكير وإلى التدريب عبر الفصل الثامن، فالفصل السابع فيه تحديد الأخطاء والحلول، والفصل الثامن فيه استنباط طريقة المواجهة وهذا هو قلب الموضوع.

الآن تقريبًا نقف هنا للاستراحة لأن الشحنة كانت اليوم ضخمة، في التاريخ أعطينا شحنة أضخم من هذه ولكنها شحنة ممتعة، أما هذه شحنة فحتى أنا تعبت فيها، فالمستمع سيكون تعبًا جدًّا.

الفصل السابع: أخطاء ومفاهيم يجب أن تُصحّح في التيار الجهادي

من هنا عندي بحث الذي هو الفصل السابع، وهو بعنوان: (**أخطاء ومفاهيم يجب أن تُصحّح في التيار الجهادي**)؛ منها أفكار منهجية، ومنها فتاوى، ومنها أشياء نحن فهمناها خطأً، ومنها أن بعض الإخوة ألزموا أنفسهم بقتال المرتدّين فقط لأنه هو الكافر الأقرب، يعني هناك مفاهيم نريد أن نعيد تقسيمها ونعيد بحثها حتى نستخلص طريقة شرعية سياسية عسكرية صحيحة.

مبدأ نقد الذات والاستفادة من إحسان الآخرين:

فقط أريد أن أقدّم لهذا البحث -الذي سنستكمله غدًّا إن شاء الله تعالى-، وهو أمر بدهي ولكن يجب أن نقدّم به حتى لا يعتب علينا أحد؛ نحن أصحاب الجهاد -وأنا منهم نسأل الله القبول- درسنا التيارات الأخرى حتى أشبعناها دراسة؛ فدرسنا العلماء والإخوان والسلفية وغيرهم، وكان هذا لازمًا، ولكن هناك أمر لم نفعله والآن جاء الدور لفعله، دورنا أن ندرس أنفسنا ونشرح الأخطاء التي وقعنا فيها، فكما شرّحنَا أخطاء الآخرين وكتبنا فيها كما في كتاب (التجربة السورية) الذي كتبت فيه أنا ألف صفحة في أخطاء الإخوان؛ فيجب أن نلتفت إلى شيئين مهمين جدًّا:

ننتبه إلى إحسانات الآخرين: فالآخرين لهم إحسانات ولهم فضائل، فنستفيد منها لأنها أتت معهم بنتيجة. هم مخطئون في العموم، ولكن هناك أشياء أتت معهم بنتيجة فنستفيد من أحكام الآخرين.

(فالصوفي) في عقيدته أخطاء ولكن نتيجة كثرة العبادة والأذكار وحسن دراسة سيرة الصحابة والصلاة على الرسول ﷺ تجده رقيق الحاشية؛ أخلاقه حسنة، معشره طيب. فهذه حسنة اكتسبها من الدين فنفعته. في حين تجد الإخوة معظمهم أجلافًا ليس عندهم رقائق، يتعامل مع الدين مثل الميكانيكي، وهذا سنستعرضه، إلا القليل.

(السلفيون) عملوا الذي عملوه ولكن عندهم تحرّي العقيدة، وتحرّي الدليل، وتحرّي الحديث، وتحرّي السنة، فهذه حسنة.

(حزب التحرير) مليء بالسيئات ولكن عندهم فهم الواقع وتتبُّع الأحداث ورصد للأخبار، فتجده يعرف رأسه من رجليه ويعلم ماذا يدور في الدنيا. بينما عندما مات الخميني ذكرت هذا فقال أحد الإخوة: "إيش متى مات؟"، لا يعلم أن الخميني مات!، فهذا كيف سيفهم السياسية في الدنيا؟.

عندما مات جمال عبد الناصر بكوا عليه في سوريا حتى شبعوا، فجاء رجل لأحدهم وهو يبكي فقال له: "يا عمي أهلكتونا، كل هذا لأن عبد الناصر مات، الرسول ﷺ أيضًا مات"، فالتفت إليه وقال له: "هو الرسول أيضًا مات؟!"، وزاد في البكاء، لا يعلم أن الرسول مات!.

يا أخي الآن هناك إخوة لا يدرون ماذا يجري على بعد مترين من الخط، ولا يدرون من يقف خلف الحدود ولا من أمامها، ولا يعلم دول الحدود ولا يعرف أين تقف باكستان من أفغانستان، وأين إيران، ولا يعلم الخطر الداهم والقضية والطالبان ولا لماذا نقاتل وما هي القصة..

فالخلاف في القضية ليس خلافًا شرعيًا، بل نفس الأدلّة الشرعية التي عنده هي عندي؛ لكن المشكلة هي في عدم فهم الواقع. فهو لا يعرف وليس عنده معلومات، بينما تجد (السروري) أو (التحريري) عنده معلومات جيدة جدًّا، وهذا من إحسانه.

ولذلك يجب أن نستخلص طريقة متكاملة في التربية، فالحكمة ضالّة المؤمن يأخذها أينما وجدها، فهذا الأمر الأول أننا يجب أن نستفيد من إحسانات الآخرين في التجديد.

الأمر الثاني: **أن لا نستحي من ذكر الخطأ**؛ لا نستحي من الحق وذكر الأخطاء.

إذا كنت أنت مريضًا، أو كانت ابنك أو زوجتك مريضة وتحتاج دكتورًا، فتأخذها إلى الدكتور، فيدخل الدكتور ويكشف على المريض سواء كان رجلًا أو امرأة أو ولدًا، وإذا احتاج يخلع ثيابه، فهذه ضرورة أصلًا وإلا لا يستطيع أن يعرف المشكلة، ليس هذا فقط بل قد يُدخل (كاميرا) في بطنه ويصوره قطعة قطعة، وإذا احتاج يحلل دمه وبوله وجراثيمه، فهو يجب أن يعرف المشكلة حتى يعالج.

ففي سبيل الشفاء تُكشف العورة، ولكن كل التنظيمات والأمراء والمشايخ ليس عندهم استعداد لكشف عورة التنظيم حتى يتعافى.

وهذا أول الصواب أن نتعرّى ونعترف بهذه الأخطاء، ليس هناك عيب بل هناك دليل، يا أخي المفهوم الفلاني اعتبرتموه أنتم أنّه فقه نازل من الله –سبحانه وتعالى–، فأنتم فهمتموه خطأ وهو ليس هكذا، هو طريقة أخرى.

فنأخذ كل أساليب العمل؛ الفكرية والمنهجية والتنظيمية والحركية والتدريبيّة والإعلامية.. إلخ، ونستعرضها واحدة واحدة، لنعرف أين كان الخطأ وأين كان الصواب، فتحديد الخطأ الآن يحتاج إلى فصل كامل لوحده.

ثم بعد تحديد الأخطاء نبدأ في الفصل الثامن بنظرية العمل والذي هو لُبّ الموضوع. فبعد أن نراجع أنفسنا نريد أن نعرف كيف نعمل، فسنضع تصوراتنا أنه كيف نشتغل.

وهنا وأرجع أقول أن هذه من قضايا الرأي والحرب والمكيدة في مجملها وليست من قضايا الحرام والحلال إنّما كما قال الحباب بن المنذر –رضي الله عنه– للرسول ﷺ في بدر: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟)

فقَالَ له رسول الله ﷺ: (بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ)، فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلَهُ، ثُمَّ نُغَوِّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً، ثُمَّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ، فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ).

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ)[٢٨٥]. فحرّك الرسول ﷺ الجيش كله بناء على رأيه؛ لأن هذا من قضايا الرأي والحرب والمكيدة.

تنظيم أو جبهة أو إرهاب أو عمل سري أو علني، فسنتحدث في هذا إن شاء الله، فغدًا نبدأ في الفصل السابع ثم ربما ندخل قليلًا في الفصل الثامن..

جزاكم الله خيرًا ومعذرة على الإطالة، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا الله أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

***

مراجعة سريعة لما سبق:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[٢٨٥] انظر (سيرة ابن هشام) تحقيق السقا ١/٦٢٠.

تذكيرًا للإخوة الذين كانوا معنا وللإخوة الجدد حتى يتابعوا معنا، نحن وصلنا إلى الفصل السابع (أخطاء ومفاهيم يجب أن تُصحح في التيار الجهادي).

طبعًا قبل ذلك نحن بدأنا باستعراض التاريخ كله؛ من آدم –عليه السلام– إلى كلينتون –لعنة الله عليه–. فاستعرضنا كل هذا التاريخ ثم أخذنا منه ثلاث محطات صليبية؛ الحرب الصليبية الأولى، الحرب الصليبية الثانية، الحرب الصليبية الثالثة. ومن هذا التاريخ الصليبي أخذنا المرحلة الثانية والثالثة وهي الصحوة الإسلامية التي واجهت هاتين الحملتين، فتكلمنا عن الصحوة الإسلامية.

ومن هذه الصحوة تكلمنا عن الصحوة السياسية مثل الإخوان، والصحوة الجهادية التي هي حركات الجهاد، والصحوة الشاذة مثل حركات التكفير، والصحوة غير السياسية مثل التبليغ والصوفية والسلفية العلمية.

فأخذنا من هذه الأربعة واحدة هي التي تهمنا وبدأنا في تحريرها، وقلنا أننا في الحركات الجهادية وصلنا إلى طريق مسدود، بل وصلت الصحوة كلها إلى غير نتيجة وفشلت كل الطروحات التي طرحتها، حتى فشل السلفيون والإخوان، كلهم فشلوا في تحقيق مشاريعهم، ومن جملة من فشل الجهاديون في تحقيق طروحاتهم ومشاريعهم. ووصلنا جميعًا الآن إلى قعر الأزمة في سنة ١٩٩٩.

فنحن لا تهمّنا أزمة الإخوان والتبليغ وغيرهم، وإنّما تهُمُّنا أزمتنا نحن كيف سنحلّها.

فقلنا أول طرق الصواب أن يعترف الإنسان أن عنده أمراض فيأتي ليشخّص هذه الأمراض حتى يستخلص منها حلًا يخرج منه من حالة المرض إلى حالة الصواب والصحة. إلى هذه النقطة وصلنا البارحة.

وقدّمنا بفقرة وهي أن الفشل الذي نحن فيه ليس كله على عاتقنا وإنما فيه أسباب خارجية أدّت إلى هذا الفشل وأسباب داخلية. اليوم سنبحث في الأسباب الداخلية التي أدّت إلى فشلنا. أما الأسباب الخارجية فكان أهمّها ثلاثة:

أولًا أن النظام الدولي غيّر أسلوب المواجهة وجعلها دولية، وجعل هناك حلًا لمعظم أساليب عملنا؛ حلًا لطرق التمويل، وحلًا لطرق الاتصالات، وحلًا لطرق البناء الهرمي. فوضع حلولًا لطرق عملنا. فهذه الحلول أدّت إلى كسبه المعركة.

الأمر الثاني المهم هو **إعراض الأمة عن المساهمة في الجهاد**؛ الأمة مُعرضة، دَعَوْنا الناس فلم يدخل إلا أناس قليلون جدًا جدًّا، حتى الناس الذين دخلوا في الصحوة قلائل؛ كل الصحوة يمكن تكون ثلاثة أو أربعة ملايين، أو قل عشرة ملايين مثلًا..

هؤلاء الذي دخلوا في الصحوة سواء كانوا من التبليغ أو السلفية أو الإخوان، فحتى لو كانوا عشرة ملايين، أو عشرين مليونًا، أو مائة مليون، فهي نسبة قليلة جدًّا من الأمة تتكون من ألف وخمسمائة مليون. وعدد الناس الذين دخلوا في الصحوة الجهادية هو أقلّ من ذلك بكثير.

السبب الثالث لفشل الجهاديين هو نكوص العلماء. معظم الهيكل الديني لأهل السنة أخذوا موقعين -إلا ما رحم الله وهو نادر جدًّا جدًّا-؛ إما خونة عملاء، أو شياطين خرس!

حتى صار الشيطان الأخرس يُعتبر عندنا محترمًا جدًّا فتقول: "فلان لم يتكلم، هذا لم ينطق جزاه الله ألف خير"!، فصار عندنا في هذه المنزلة، أما الذي يتلكم بالحق فقلائل جدًا، فتجد في المائة سنة أو الخمسين سنة الماضية خرج في أمة الإسلام من أهل الشام عبد الله عزام، وفي أفريقيا خرج عمر عبد الرحمن. في الجزيرة خرج سفر وسلمان وعشرة أو خمسة عشر شخصًا، تكلّموا ثم أُخذوا للأسر.

فهذا الإعراض عن الوقوف في الجهاد جعل الأمة تعرض عن الجهاد، فكما جاء في الحديث الذي ذكره عبد العزيز البدري في كتابه (الإسلام بين الحكام والعلماء) وهو ليس بالصحيح ولا بالحسن، فروي عن الرسول ﷺ أنه قال: (الْعُلَمَاءُ فِي الْأَرْضِ كَالنُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، وَالْعُلَمَاءُ أَعْلَامُ الْإِسْلَامِ، وَالْعَالِمُ كَالسِّرَاجِ مَنْ مَرَّ بِهِ اقْتَبَسَ مِنْهُ وَلَوْلَا الْعِلْمُ كَانَ النَّاسُ كَالْبَهَائِمِ)[٢٨٦].

فالعلماء بالنسبة للناس هكذا هم نجوم تهتدي بها الناس، فالشاهد أنّهم انطمسوا فبقي الناس بدون دليل، فالدعوة الجهادية كان نصيبها من هذا الانطماس كبيرًا جدًّا، فالجماعات التي تُسمى (جماعات جهادية) يكاد لا يُذكر فيها عالم إلا ما ندر، وإذا ذُكر فيها طلبة علم فهم عندها طلبة علم أما عند عامة المسلمين فليس لهم ذكر ولا احترام ولا قدر حتى يتبعوهم. حتى كان كثير من الإخوان والسروريين يعيبون على الإخوة فيقولون: "أين علماؤكم؟".

ومرة ناقشني أحدهم فأفحمني تمامًا، قلت له: "الديمقراطية كفر وكذا".

---

[٢٨٦] ذكره ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) (٣١٤) ولم يسنده للنبي ﷺ ولا أحد من السلف بل قال: "قالوا"..

فقال لي تعال أقول لك: "مَن مِن علماء الأمة حرّم الديمقراطية؟"، فقلت له: "فلان وفلان"، قال لي: "طيب هؤلاء من يعرفهم؟ هم اثنان أو ثلاثة! وأنا الآن أستطيع أن أكتب لك في هذه مائة وخمسين عالمًا وشيخًا على رأسهم ابن باز والزنداني وشيوخ الأزهر، كلهم أباحوا الديمقراطية، فهذا يُعتبر إجماعًا لعلماء أهل السنة في هذا الزمان"!

فمع أنه مخطئ يقينًا ولكنه حال مريض جدًّا، فهذا أدّى إلى ترك العامي للقضية في الجهاد. فهذه الأسباب أسباب خارجية ليس لنا فيها علاقة.

أخطاء وسلبيات التيار الجهادي:

الآن بحثنا هو عن أسباب الأزمة التي لنا نحن بها علاقة فعلًا، والتي أعتقد أننا لا يمكن أن نتطوّر إلا بحلّها، لا يمكن أن نغير وضعنا إلا عندما نحلّ هذه المشاكل.

فأنا قسّمت المشاكل أو الأخطاء إلى أربعة أصناف:

أولًا: أخطاء منهجية فكرية.

ثانيًا: أخطاء في البنية أي في شكل التنظيمات وكيف تتحرّك.

ثالثًا: أخطاء في أسلوب العمل.

رابعًا: أخطاء عامة.

وأنا قلت لك أننا نحن شَرَّحْنَا الإخوان وشَرَّحْنَا الصوفية وشَرَّحْنَا السلفية وشَرَّحْنَا العلماء، شرحنا كل هؤلاء وتكلمنا عن أخطائهم، واستفدنا الذي استفدناه، ولكن لم نستفد من حسناتهم وهذا من أخطائنا، وحتى الآن لم يتجرّأ أحد في التيار الجهادي أن يقول: نحن في التيار الجهاد أو في الجماعة الفلانية أو التنظيم الفلاني مخطئون في كذا وكذا. "نحن" وليس "الآخرون" مخطئون!.

فيجب أن نقوم بعملية مراجعة، وهذا الكلام كما قلت موجود في القرآن {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ **أَنْفُسِكُمْ**}[٢٨٧]، وموجود في الحديث: (الكيّس من دان **نفسه**)[٢٨٨].

---

[٢٨٧] سورة آل عمران، الآية: ١٦٥.

[٢٨٨] سنن الترمذي (٢٤٥٩) سنن ابن ماجه (٤٢٦٠).

فإذا تصورنا أن الجماعات الجهادية مثل بني آدم فسنجد أن عنده عدة مشاكل؛ المشكلة الأولى أخطاء منهجية وأخطاء دراسة. والمشكلة الثانية مشاكل بنيوية في شكله وتركيبه وكيف نشأ، المشكلة الثالثة أخطاء وخلل في طريقه ومسيره وخطواته.

الأخطاء المنهجية هي أخطاء في طريقة التفكير وطريقة الفهم. المشكلة الأخرى هي في البنية، فأحيانًا الواحد يكون فهمه وعقله وأفكاره سليمة ولكن الجسم الذي سينفّذ هذه القضية يتعثّر مرة ويسقط مرة ويقوم مرة.

فنحن صنّفنا هذه الأخطاء بهذه الصورة، والجزء الرابع هي أخطاء لا تندرج لا هنا ولا هنا، أخطاء عامة ليس لها تصنيف فوضعناها في خانة واحدة، وسنبدأ بالنوع الأول وهو الأهمّ وهو اعوجاج المخّ؛ فعندما يكون مخّ الواحد معوجًا فلن تنفعه بنيته السليمة.

وأنا أريد أن أقول لكم أن هذا الفصل ربما يكون من الأشياء التي نختلف عليها، فكلّ ما ذكرته في الماضي متّفق عليه تقريبًا بين الجهاديين، ولكن عندما نأتي لنقيّم الجهاديين أنفسهم فتقول: "هنا مشكلة، هنا غلط، هنا مصيبة"، يبدأ الخلاف حول الخطأ، يعني لا يعترفون أن هذا خطأ.

فهناك من الجهاديين من يرى أن بعض الأمور التي سجّلتها أنا هنا كخطأ هي مزيّة للتيار الجهادي! الذي سجّلته أنا كخطأ وسبب اندحار يجب أن نتخلى عنه يعتبره هو مزية للتيار الجهادي وفضيلة ويجب أن لا نتخلّى عنه.

فأريد أن أقول ابتداءً: هذه الأمور يجب أن نتناولها بحساسية وبأدب الخلاف وبروية وبالدليل الشرعي بحيث يحكمنا فقه الواقع ثم الفقه العلمي، فنُسقط الواقع على الحكم الشرعي حتى نعرف أين الخطأ وأين الصواب. وهذه الأشياء مجملها من قضايا الرأي والحرب والمكيدة وليست من قضايا الحرام والحلال القطعية؛ فأنت تراها هكذا وأنا أراها هكذا.

فقد تشتبه بعض الأمور على بعض الإخوة، لأن تيار الجهاد كما سأذكر هو وليد الصحوة؛ وبالتالي عندنا (جهادي) أصله (صوفي)، وعندنا (جهادي) أصله (سلفي)، وعندنا (جهادي) أصله (إخواني)، وعندنا (جهادي) أصله (تحريري)، وعندنا (جهادي) أصله (صايع)!، وأفضل الناس في الإدارة (الجهادي) الذي أصله (صايع) حقيقة، لأنه يأتيك فارغًا فأنت تملأه ولا تحتاج أن تقوم بعملية تفريغ لمخه من الأشياء التي تلبّس بها ثم تأتي لتملأه..

طريقة تربية الرسول ﷺ هي كما قال الصحابي: (كان رسول الله ﷺ يُفرغنا ثم يملؤنا)[٢٨٩]. يأتي له الرجل فيفرغ مخه تمامًا ثم يبدأ ببناء الإسلام عليه، فهي عملية تنظيف أولًا ثم بناء، قال ﷺ: (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

فهذا الذي يأتيك بدون أصول فكرية فهو مفرّغ أصلًا، فيُريحك من مشكلة التفريغ، تقول له: "كذا حرام أو كذا حلال"، فيقول لك: "أنت شيخ وأنتم شيوخ تعرفون". أما عندما يأتيك واحد صوفي مليان أصلًا؛ تقول له: "كذا حلال"، فيقول: "لا ليس حلالًا"، يأتيك واحد سلفي تقول له: "هذا الأمر صحيح"، فيقول لك: "لا ليس كذلك"، فتتعب في كونك تُفرغه أولًا حتى تملأه.

فالتيار الجهادي فيه رواسب من التيارات الأخرى، فإذا أتينا الآن لنتناقش في قضايا فكرية منهجية سنجد أننا نختلف، فكل واحد عنده الأصول التي هو مستند عليها. فيجب أن نأخذ هذا البحث بالذات بروية لأنّنا قد نختلف..

أنا طرحت هذا البحث وتناقشت فيه مع كل الجهاديين الموجودين فوجدت أنهم تلقّوا كلّ البحث بالقبول والثناء إلا هذه الفقرة؛ أخطاء الفكر والمنهج، الأخطاء في الفكر والمنهج ناقشوني على حيثيات كثيرة منها، أن هذا خطأ وهذا ليس خطأ. فأنا سأقول ما عندي وما أعتقد أنه خطأ وهذا مطروح للبحث.

وقبل البداية أذكّركم بمسألة ذكرتها سابقًا وهي مهمة جدًّا؛ وهي ما هو التيار جهادي؟.

قلت لكم أني أعتبر الصحوة هي كل تيار العودة إلى دين الإسلام تطبيقًا وعملًا، فكل واحد يريد يرجع لدين الإسلام هو داخل في مسمّى الصحوة، سواء كان سلفيًا أو صوفيًا أو غيره، فمنهم الذي يرجع بأسلوب صحيح ومنه الذي يرجع بأسلوب خاطئ، ولكن كلهم داخل تحت اسم (صحوة).

فلا تقول لي: "لا أعتبر أحدًا من الصحوة إلا الذي عقيدته سليمة". في المصطلح هذه (صحوة سليمة) ولكن هذا دخل في الصحوة، كما قلت لكم الأساس أن نتناول الصحوة كلها بقول علي بن أبي طالب: (ليس من قصد الحق فأخطأه كمن قصد الباطل فأصابه)[٢٩٠].

وهذا أصل عظيم جدًّا في التفاهم غاب عنا. فأنا أعتقد أن معظم أهل الصحوة قصدوا الحق فأخطأوه، فهو يريد أن يرجع إلى الله -سبحانه وتعالى- وإلى دينه، ويريد أن يرجع للمسجد، ويريد يحكم بما أنزل الله، ولكنه أخطأ، فأنا لا

---

[٢٨٩] لم أجده.

[٢٩٠] لم أجد له أصل إلا في (نهج البلاغة).

أحكي عن الذي ذهب لأجل مال ولأجل طعام فهذا أمره عند الله، ولكن أغلب الناس جاء ليرجع لدين الله وينصر دين الله فأخطأ الطريق.

فهذا قصد الحق وأخطأه، معذور أو غير معذور فهذا عند الله -سبحانه وتعالى- حسب طبيعة خطأه وهذا الكلام معروف عند العلماء، ولكن في البداية قصد الحق فليس من الممكن أنا أقيّمه مثل الذي قصد الباطل أصلًا؛ فذهب للبرلمان حتى يأخذ مالًا ويأخذ جوازًا، أو كعالم يفتي فتوى حتى يأخذ عليها أموال.

لذلك أنا أفرّق فرقًا كبيرًا جدًّا بين عالم وزير يخرج فتاوى شر، وبين عالم مستقل يخرج فتاوى شر، العالم المستقل هو قصد الحق فأخطأه، أما ذاك الذي يأخذ راتبًا فأكل من السحت ففُتن كما وعده الرسول ﷺ.

فواحد قصد الباطل وأصابه ودخل فيه، وواحد قصد الحق ولكنه أخطأ فوقع في الباطل، كما كان حال معظم الخوارج، وعندما سُئل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- عن الخوارج:(أَكُفَّارٌ هُمْ؟) قَالَ: (مِنَ الْكُفْرِ فَرُّوا)[٢٩١]، فهم ضلّوا وهم يفرّون من الكفر ففروا فرارًا خاطئًا كما حصل عند معظم التكفيريين.

فأقصد أن الصحوة هي العودة إلى الإسلام.

الآن عندما أذكر خطأ في التيار الجهادي قد تقول لي: "هذه غير موجودة عند الجهاديين، ليست موجودة في جماعة الجهاد مثلًا"، أو "غير موجودة في الجماعة الإسلامية"، فنرجع لمصطلح (التيار الجهادي).

للتصنيف نقول: التيار الجهادي هو كلّ من حمل السلاح تحت مسمّى الإسلام والجهاد بصرف النظر عن المنهج والتفاصيل والمشاكل، فهؤلاء أرادوا أن يحلّوا المشكلة ضدّ المرتدين أو اليهود أو الصليبيين بالسلاح؛ فمنهم من حمل السلاح ضد فئة واحدة من هذه الفئات، ومنهم من حمله ضد اثنين أو ضد الثلاثة مع بعض، تحت مسمى الإسلام والجهاد. فهذا تيار جهادي.

فهذا الطيف يمتد ليشمل (الجهاديين المنهجيين) مثل تنظيم الجهاد المصري وغيره ومن كان على مدرسته، الدكتور فضل، وأبو محمد المقدسي.. إلخ، فهؤلاء شرفاء المنهج وهم أحسن الموجود. ويشمل من حمل السلاح على مناهج معوجّة مثل حماس؛ فهم حملوا السلاح وجاهدوا ولهم إحسانات كثيرة، ولكن أنت تنظر في المناهج فتجد مصائب كثيرة، وما بينهما تجد الجهاد في سوريا والجهاد في الجزائر، فهذا كله اسمه عندي تيار جهادي.

---

[٢٩١] مصنف عبد الرازق (١٨٦٥٦).

فلما أخضعت التيار الجهادي للبحث حتى أُخرج أخطاءه أخذته كله مع بعضه ولم آخذ حركة دون حركة؛ فقد نذكر خطأ موجودًا هنا وغير موجود هنا، موجود عند جماعة وغير موجود عند الأخرى، فهذه الأخطاء هي أخطاء مجمل التيار الجهادي.

التيار الجهادي هو كل من حمل السلاح سواء كان جماعة أو مجموعة أو فردًا؛ يعني شخص لوحده عمل عملية فذبح ثلاثة أو أربعة ضباط، أو قتل يهوديًا في الانتفاضة، فهذا ينتمي للتيار الجهادي.

فالآن سنُخضع هذا التيار الجهادي للتحليل والبحث، فنحن أعطينا هذا الحق لأنفسنا باعتبارنا أبناء هذا التيار ولسنا غرباءً عنه بل والحمد لله نحن أصلاء فيه، فأنا أتكلم (عنا) وليس (عنك)، أتكلم عن حالنا وعن مساري ومسار من معي ومسار الذين أعرفهم من أصحابنا.

فالآن أعطينا لأنفسنا الحق أن نتمدّد على طاولة الطبيب ونقول له انظر إلى ما تريد فليس هناك إشكال، ليس هناك حرج أن نكشف عورة من أجل الشفاء.

فإذا أخذنا التيار الجهادي بهذا المفهوم سأحاول قدر الإمكان دفعًا للحساسية أن لا أضرب أمثلة بالأسماء والأشخاص لأنّ بعض النفوس لا تتحمَّل، يعني عندما أضرب خطأ لن أقول قدر الإمكان: "كما فعل فلان وكما فعل فلان الفلاني"، مع أني أنا والله كنت أميل أن المسلمين يحتاجون هذا، أن أعطي المثال فأقول كما فعلت الجماعة الفلانية، ولكن النفوس تضيق.

البارحة فكرت عشرين مرة هل أذكر (المبادرة) أو لا أذكرها، وأبناء الجماعة الإسلامية كلهم أصحابي ووقفوا معي مواقف طيبة جدًا في المحنة التي أنا فيها.

حتى ذهبت له وقلت له: "أنا سأتكلّم عن العلماء فأريد منكم شغلة ما حصلت حتى الآن في المسلمين المعاصرين"، فقال "إيش؟"، قلت له: "أن أنتقد كل المنهج الذي أنتم فيه وأخطئه ونبقى أصحابًا"، فأحسست أنه في مواطن يصلح وفي مواطن لا يصلح.

فنحاول قدر الإمكان أن نتجنّب الصدمة. فالآن ننتقل للأخطاء التي في الفكر والمنهج:

القسم الأول: أخطاء في الفكر والمنهج

١– انعزال التيار الجهادي عن الأمة بسبب تسرب أفكار التشدد إليه:

طبعًا أنا قلت لكم من الأشياء التي وقعنا فيها أنه أصبحت الجماعات الجهادية في المآل في مصائب، فمن أهم هذه المصائب أننا جماعات معزولة عن الشعب، جماعات معزولة عن الأمة، قليلة منبوذة عن الشعب، منبوذة عن أهل العلم حتى الطيبين.

يعني حتى الطّيبين يرون فينا غلوًا، حتى أن بعض المحاضرات لسفر وسلمان فيها تشنيع على الفكر الجهادي ويصفهم بالغلاة في مصر وفي الشام، حتى يعتبر من مزايا صحوة الجزيرة أنه ما مسَّها الغلو كما مسّ الغلو في مصر. طبعًا هو مخطئ في هذا، ولكن لماذا أخذ هذه الفكرة عنا؟ نتيجة أشياء موجودة فعلًا اتكأوا عليها.

فالآن سأضرب لكم أمثلة:

أول خطأ جعلنا في عزلة عن الناس ويمنع هذه الحركة لتكون حركة أُمّة هو **تَسرُّب الغلو**= أو دعنا نقول تسرّب بعض أفكار الغلو إلى أدبيات الجهاد، وخاصة فيما يمكن أن يكون غلوًّا في التكفير، أو أنه صواب ولكنّه أصبح متكأ لأهل الغلو في التكفير.

الفكر الجهادي قام أصلًا من أجل دفع الصائل ومحاربة الحكومات المرتدّة، فأصل معركته مع الحكومة وأنصارها، فأتى التيار الجهادي ليجنّد الناس، فوجد أن الناس عندها شطط وبعض الناس عندها عقائد أخرى فاسدة، فقالوا: "حتى نجاهد يجب أن نصحّح العقائد، ونصحّح الدين".

فجاؤوا ليصحّحوا العقائد والدين فدخلوا في تصنيف الناس، شيئًا فشيئًا وصل الأمر –في بعض الحالات– إلى أن أصبح أصل المشكلة مع الناس وليس مع الحكومة، ومن هذا أشياء صحيحة وهناك أشياء خاطئة. وطبعًا هذا الكلام حصل بالتدريج.

وهناك مقولة عظيمة جدًّا لسيد قطب –رحمة الله عليه– تُكتب بماء الذهب، حيث قال: "**إن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج**".

أنا تعبت جدًّا في حياتي الحركية بسبب هذا الأصل، تعبت مع المسلمين ومع التيار الجهادي نفسه أكثر مما مع الأعداء، فيأتي أحدهم ويقول: "كيف تتكلم عن فلان؟ وهل أنت أعلم من الألباني؟ يعني أنت أصح من ابن لادن؟!..."، فأنا ليس عندي أحدًا فوق المنهج، فأنا أتكلم في الأخيار الذين أحبهم وأواليهم في الله؛ أناس وعلماء وأشخاص على الحق ولكن أخطا أحدهم خطأ، فلا بد أن أردّ خطأه، فحتى أبرّئه وأصوّب عمله أكون ضربت المنهج.

فيقول لي أحدهم: "لماذا تتكلم عن سعيد حوّى وتتكلم عن قضية التحالف الوطني؟!"؛ فأقول: ليس هناك أحد فوق المنهج، هناك أناس أقدّرهم رغم ردي عليهم، مثل سعيد حوى -عليه رحمة الله-، أنا أعرفه واشتغلت معه، وهو أخطأ أخطاء فاحشة وفظيعة في الجهاد، ولكن أعرف أنه فعلها من باب حسن النية ومن باب الديكتاتورية -نسأل الله المغفرة لنا وله-، ولكن لا أستطيع أن أتغافل عما فعل؛ لأنني عندما أتكلم لا بد أن أبيّن الحقيقة.

وكذلك الأمر عندما أتكلم عن عدنان عقلة -جزاه الله خيرًا وكثّر من أمثاله- وهو كان أميرنا في الجهاد واشتركت معه، ولكن كانت هناك أخطاء عسكرية في ممارسة الجهاد في سوريا، فلو أردت أن أصوّب هذه الأفعال فستصبح سُنّة لمن سيجاهد في مصر أو في العراق أو في الأردن، فسيقع في نفس المصيبة، فيجب أن أشير لها. قد تقول لي: "يا أخي الرجل من أهل الله"، ولكن ممارساته العسكرية في هذه القضية كانت خطأ.

وقضية التعصّب هذه قضية قديمة جدًّا مع بداية البشرية؛ يعني مما يُروى ويؤلم جدًّا أن الإمام الطبري إمام التفسير وإمام الفقهاء وإمام أهل الحديث وإمام التاريخ وإمام الأئمة في زمانه، والتفاسير يعود معظمها للطبري، التواريخ يعود معظمها للطبري. قال هذا الرجل مرة: "الإمام أحمد محدّث فقط وليس فقيهًا!".

فقام الحنابلة وطيّنُوا عليه بيته وسدوا المنافذ والشبابيك؛ فخنقوه في البيت، وغُمَّ عليه أربعة أيام حتى أخرجه تلامذته، وقيل أن الناس فتحوا عليه البيت وقيل أنه تُوفيّ في بيته، وعندما تُوفي لم يقدر أحد أن يخرج في جنازته، فدفنه بضعة عشر شخصًا وهو إمام الأئمة في عصره. وقس على ذلك باقي التعصّب الذي خرج على مدى التاريخ، قصص كثيرة.

فصار الواحد مرعوبًا أن يقول: هذا صحيح وهذا خطأ. وهذا أصلًا خلاف الدين وخلاف التنزيل؛ {لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ}[٢٩٢]، فالناس يجب أن تكون حرّة، فيخرج بأدب العلم وبأدب الخلاف فيقول ما يشاء ثم يردُّ عليه من يشاء، ويأخذ وقته ويأخذ فرصته.

---

[٢٩٢] سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.

فهذا الكلام أصبح من أهم أسباب التخلّف، أنه هناك رعبًا وإرهابًا، ولا يستطيع أحد أن يقول رأيه، فيُقال لك: "هل أنت أفهم من فلان؟ أنت أفهم من علان؟".

فعلم سيد قطب هذه المشكلة فقال: "إن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج". فإذا أردت أن أبرّئ فلانًا وعلانًا لا يجوز لي أن أشوّه المنهج فهو أمانة عندنا من الله –سبحانه وتعالى–، فليس لي أن أشوّه هذا المنهج.

وفي الحديث عن الرسول ﷺ قال: (لا ينبغي لامرئ شهد مقامًا فيه مقال حَقٍ إلَّا تَكَلَّمَ بِهِ، فإنَّهُ لنْ يقَدَّمَ أجله، ولن يَحْرِمه رزقًا هو له)[293].

فإذا كان هناك حق فعليك أن تقوله، فهذا لن يقصّر من عمرك يومًا ولن يقلل من رزقك؛ لأن كل أسباب الجبن والنفاق والكفر والضلال هي في هذين الأمرين؛ محاولة ابن آدم في مدّ عمره وزيادة رزقه، حتى يجيء رجل ويأخذ زوجته لمدير الشركة حتى يزيد له المُرتَّب، هتك عرضه من أجل المال!، أو يرفع تقريرًا عن فلان وعلان في المسجد إما طلبًا للمال أو خشية أن تُقصِّر الدولة عمره.

فكلّ النفاق والكفر مَردُّه إلى حرص الإنسان على زيادة رزقه أو زيادة أجله، ولذلك جاء في أصول العقيدة عندنا أن الرزق محسوم، والأجل مكتوب، حتى قال ﷺ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَطْلُبُهُ رِزْقُهُ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ)[294].

فتجد في العقائد أمورًا بسيطة ومعروفة ولكن أصبحت مَنْسِيّة في هذه الأمة؛ فتجد الإنسان يسكت ليُرضي فلانًا أو علانًا، وظهر النفاق حتى في أوساط الصحوة، ثم ظهر في أوساط الجهاد، فحتى في الجهاد تجد من الأمراء من يقرّب أحدهم ويراعي شخصًا لسبب من الأسباب وليس لأنّه أنفع للدين وللأمّة، فهذا من باب أن تبرئة الأشخاص أصبحت تساوي تشويه المنهج، ونرجع فنقول أن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج.

وأنا سأتناول في البداية إمامنا وأستاذنا وشهيدنا وتاج رأسنا سيد قطب –رحمة الله عليه–، سأتناوله هو نفسه بقوله، وأنا قرأت كثيرًا في كتب سيد قطب فوجدت أن في بعض آرائه مصطلحات عامّة بإجمالها صارت متكأً للغلو في التكفير.

[293] أخرجه الغزالي في (إحياء علوم الدين) (ط دار المعرفة–بيروت ٣٠٩\٢)، جاء في (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين) (٢٠٣٣)، قال العراقي: " رواه البيهقي من حديث ابن عباس بسند الحديث الذي قبله وروى الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد لا يمنعن رجلاً هيبته للناس أن يقول الحق إذا علمه اهـ.

[294] المعجم الكبير للطبراني (٢٧٣٧).

أضرب مثالًا واحدًا من هذا الكلام وهو في تفسير سورة الأنعام في قول الله –سبحانه وتعالى-: {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}؛ تكلّم كلامًا عظيمًا جدًّا كعادته، ولكن قال في النهاية:

"حتى يُصبح الجهرُ بكلمة الفصل تهمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام؛ تهمة تكفير المسلمين (...) يجب أن تبدأ الدعوة إلى الله باستبانة سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين." اهـ [٢٩٥]

فظاهر كلامه أنّنا يجب أن نبدأ من تكفير المسلمين! هكذا قال بهذا الإجمال، وطبعًا أنا أعرف ماذا قصد من دراستي لسلوكه وحياته وكيف عمل وكيف يتحرّك، ولكن صرت آتي لأناقش أهل التكفير الذين ظهروا في (الطليعة) فيفتح لي (الظلال) ويقول: "انظر ماذا قال سيد قطب؟ أصلًا لازم نكفّر المسلمين لأن هؤلاء كفّار وليسوا مسلمين".

والذي قاله سيد قطب أن هؤلاء الحكام الذين زعم العلماء أنهم مسلمون هم كفرة وأعوانهم كفرة وجلّادوهم كفرة، وإذا لم نبدأ من تكفير هؤلاء فلن ينبني عندنا فقه حركي قويم. وهذا صحيح وهو عقيدتي وعقيدة الحاضرين، ولكنّه قاله بهذا الإجمال، فلم يقل: "يجب أن نبدأ من تكفير الكفّار من حكام المسلمين المرتدين"، وهذا يقع فيه الأدباء كثيرًا.

فتسرّبت مثل هذه الأمور في التيار الجهادي؛ كلام مُجمل جدًّا، خاصة في الكتب والأبحاث التي خرجت في مصر في أبواب (التكفير) و(العذر بالجهل)، كل من كتب في هذا الباب نهايةً بشيخنا وتاج رأسنا وشيخ هذا التيار الدكتور فضل صاحب كتاب (العمدة في إعداد العدة)؛ كتب في كتاب (الجامع في طلب العلم الشريف) أصولًا في بحث (التكفير) و(العذر بالجهل) كلامًا مجملًا؛ حتى أنّ جماعة الجهاد لم تستطع أن تأخذه على عاتقها في مواجهة الناس.

والكلام لو تأتي تحقّقه بأدلّته فغالبه صحيح، ولكن إجماله يصبح مُتّكأ ومشكلة، فعندما جاء الجهلة وأخذوا هذا الكلام صار متّكأ لهم في الغلو في التكفير، وأنت تعرف الدروس الشرعية ومستواها الضعيف، فأخذوا هذا الكلام وهو ليس كلامًا لأهل التكفير وإنما هو كلام لأناس معتبرين وأساتذة وشيوخ في التيار أصبحوا مرجعًا، فهم أناس نعتبرهم أخيارٌ وعندهم ضبط ووقعوا في هذا.

---

[٢٩٥] يقول سيد قطب –رحمه الله– في (الظلال): "حتى يصبح الجهر بكلمة الفصل تهمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام!.. تهمة تكفير «المسلمين» !!! ويصبح الحكم في أمر الإسلام والكفر مسألة المرجع فيها لعرف الناس واصطلاحهم، لا إلى قول الله ولا إلى قول رسول الله! هذه هي المشقة الكبرى.. وهذه كذلك هي العقبة الأولى التي لا بد أن يجتازها أصحاب الدعوة إلى الله في كل جيل!

يجب أن تبدأ الدعوة إلى الله باستبانة سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين.. ويجب ألا تأخذ أصحاب الدعوة إلى الله في كلمة الحق والفصل هوادة ولا مداهنة. وألا تأخذهم فيها خشية ولا خوف وألا تقعدهم عنها لومة لائم، ولا صيحة صائح: انظروا! إنهم يكفرون المسلمين! إن الإسلام ليس بهذا التميّع الذي يظنه المخدوعون! إن الإسلام بيّن والكفر بيّن.. الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله– بذلك المدلول– فمن لم يشهدها على هذا النحو ومن لم يقمها في الحياة على هذا النحو، فحكم الله ورسوله فيه أنه من الكافرين الظالمين الفاسقين.. المجرمين.. «وَكَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ، وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ»" اهـ.

الآن أضرب لك مثالًا على أناس لا أعتبر لهم هذه الصفة، ليسوا أخيارًا وليس عندهم ضبط، ومع ذلك حُسبوا على التيار الجهادي، سأضرب لك مثالًا بدون أن أسمي أصحابه من الفقه الذي خرج في مرحلة قضية الجزائريّة في لندن..

أحد وجوه من تصدّى للفتوى أخرج ما يقارب ٣٠ أو ٤٠ فتوى كلها في جعبة التكفير لا محالة؛ في استباحة السبي في المسلمين على أساس أن أزواجهم من أنصار الطواغيت أو موظفين عند الدولة، وفي قتل النساء والأطفال، وفي بلاوي كثيرة، وكلها نُسبت للتيار الجهادي ولم تُنسب للشخص. لأن الرجل في عُرف العامة هو رمز للتيّار، وأنا لا أعترف له بهذا.

وأضرب لك مثالًا بثلاث فتاوى فقط رشّهم هكذا في مؤتمر (الجماعة المقاتلة) الذي حضره أكثر من ستين أو سبعين شخصًا، والكلام مُسجّل، وأنا الآن أضرب لك مثالًا على هذه المصيبة لأنّها إحدى أهمّ أسباب عزلتنا عن الناس، فالناس ابتعدوا عنا وركنونا في الطرف لأننا نحن غرباء عنهم فكرًا وواقعًا.

قام رجل من أتباع أبي عبد الرحمن أمين –السَّفاح الذي في الجزائر– وسأل فقال له: "الناس الذين دخلوا الجماعة ثم خرجوا؛ هل يجوز للأمير أن يقتلهم؟".

فأخذ أخونا راحته وقام للفتوى، والمصيبة أن أخانا يُفتي رشًا وفرادى بلسان واحد، وهذه مصيبة أيضًا في التيار الجهادي؛ ظهور طلبة علم بهذا الشكل، هم أنفسهم قالوا أنّ الإمام مالك سُئل عن ٤٨ مسألة فأجاب في ١٦ وقال في ٣٢ لا أعلم، فقالوا له: "يا إمام ضربنا بطون الإبل لنسألك فماذا نقول للناس؟"، قال: "قولوا سألنا الإمام مالك فقال لا أعلم".

فقال في الثُلثين "لا أعلم" وأجاب في الثلث، بينما مُعظم –بل أستطيع أن أقول كل– من رأيت من طلبة العلم في التيار الجهادي أو مّمن نُسبوا إلى مدارس طلبة العلم خاصة في السعودية وغيرها؛ كل من رأيت يُسأل في ٨ أسئلة؛ فيجيب عليها كلها ويفرّع عليها ١٦ سؤالًا، فيكون أجاب على ٢٤ سؤال، بينما تكون أنت سألته ثمانية أسئلة.

ما رأيت يُستثنى في هذا أحد، ما رأيت واحدًا نُسب للعلم وطلب العلم سُئل ثمان أسئلة إلا زاد في الإجابة عن هذه الأسئلة، فلا يكتفي بأسئلة السائل بل يقول هذه الأسئلة يُبنى عليها أسئلة وهذه القضية يتفرّع عليها مسألة، فيذهب يعطينا محاضرة كاملة من أجل واحد سأله سؤالًا. فقضية (لا أعلم) غير واردة أصلًا! وهذا من البلاء الذي حلّ في التيار الجهادي، مصيبة!.

فالشاهد سئل الرجل عن هذه البيعة وعن رجل دخل في جماعة ثم خرج منها، فماذا يكون حكمه؟ فأفتى بثلاث فتاوى فقال:

*[٢٩٦] "أولًا: بيعة جماعات الجهاد خاطئة، لأنّها بيعة على الجهاد، والصواب أن تكون بيعة على الإمامة العامة"؛ فيجب على (جماعة الجهاد) أن تبايع أيمن الظواهري إمامة عامة، وجماعة ابن لادن يبايعوه إمامة عامة، و(الجماعة المقاتلة) يبايعون قائدهم إمامة عامة، والآن أقيم تنظيمًا فيبايعوني بيعة إمامة عامة، وهكذا، هذا هو الصواب عنده أن تكون البيعة بيعة إمامة عامة!.

ثم جاء بالفتوى الثانية فقال: "ثم بعد ذلك يطبّقون فيما بينهم الحدود الشرعية"؛ أنّنا وإن كنّا معلقين الآن في الهواء ولكن علينا أن نقطع أيادي السرّاق ونرجم الزناة ونطبق الأحكام الشرعية..

الأمر الثالث قال: "لأمير الجماعة أن يأخذ على من يبايعه أنه يحلّ دمه إذا خرج من الجماعة"! واحد دخل في جماعة أبي محمد أو جماعة ابن لادن أو جماعة أيمن الظواهري أو جماعة فلان نشترط عليه أنّه لو خرج من الجماعة يُقطع رأسه، فيقول هو: "نعم أوافقك على أني إذا خرجت حلَّ دمي لك"! يعني يرشّ فتاوى.

ثم قال بعدها بربع ساعة: "إذا قامت جماعة جهادية في بلد ثم خرجت جماعة جهادية بعدها؛ فهؤلاء وجودهم غير شرعي وليس لهم إلا السيف، ويحقّ للجماعة الأولى أن تصفيهم قبل أن تحارب الطاغوت"!.

وأنا الآن أسرد هذا الكلام من رأسي غيبًا، وإلّا فأنا عندي في قضية الجزائر ستين وثيقة مطبوعة ومخطوطة بتوقيع أصحابها، فهذه الأمور لا تُحْسَب عليه وحده بل تُحْسَب عليه وعليّ وعليك وعلى التيار الجهادي وعلى مروان حديد وعلى الجهاد وعلى كل واحد فينا.

أمام الأمة وأمام العلماء وأمام الإخوان وأمام كل الناس هذا الكلام محسوب على كل رجل في تيار الجهاد، فلا يقولون: "أبو فلان قال كذا"، بل يقولون: "أنتم الجهاديون قلتم كذا" ويأتون بكلام أبي عبد الرحمن أمين أو بكلام أبي بصير أو بكلام أبي فلان أو علّان.

---

[٢٩٦] بداية تفريغ الملف الخامس والعشرين.

فهذه المشكلة ورطة، هذا الكلام كله نُسب إلى التيار الجهادي، ولو نريد أن نفصّل في هذا فسنأتي بكلام كثير مفاده بلاوي، فأوّل ما ترتّب عليه العزلة عن الناس واعتبارهم كفارًا ملاعين ليس لهم علاقة بالقضية وعقيدتهم فاسدة وعقيدتهم أشعرية إلى آخره.

وصل الأمر أن تُكتب مقالة مصيبة، وسآتي لكم بها مكتوبة بصورتها هكذا، قالوا: "وأصبح الجهاد كما كانت رايات السلف، شاب من "بوقرة" في الجزائر رجع من الجهاد فوجد أباه وأمه قد زوَّجوا –أو همّوا أن يزوجوا– أخته من رجل في المليشيا الكافرة التابعة للحكومة، فنهاهم فلم ينتهوا فقام وقتل أباه ثم أمه وذبح والديه. ويذكرنا هذا الفعل برايات الصحابة كما قتل أبو عبيدة أباه في المعركة وكما فعل فلان وفلان". وهذا جزاه الله خيرًا –تبارك الله أحسن الخالقين– قتل أباه وأمه لأنهم أرادوا أن يزوّجوا أخته لرجل من الميلشيا!.

فقامت علينا الدنيا ولم تقعد، ووصل إلينا سيل من البصاق من كل شرائح الصحوة على هذه الفعلة وعلى هذه الكتابات وهذه النشرة وهذه المجموعة. يعني دعنا نقول أن الأب حلّ دمه لأنّه زوج ابنته، فما ذنب أمّه هذه المسكينة في هذه المصيبة؟!

ثم جاء رجل أفقه منه ومني فقال له في المجلس وأنا حاضر: يا أخي الأم لها مكانة في الشريعة، وقد جاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال له: إن جاريتي تسبّك فقتلتها فأجازه، وجاء رجل يقول: إن أمي تسبك فدعا لها بخير، فقال له: إن أمي تسبك. فدعا لها بخير، فقال له: إن أمي تسبك. فدعا لها بخير. فآمنت. فأقرّ قتل الأمة لأنّها سبّت الرسول ﷺ وحكم من يسبّه القتل بالإجماع، وهذا لأعيان الناس وليس لولي الأمر فحسب؛ فأيّ رجل معه شهود أن رجلًا سبّ النبي ﷺ فقتله فليس عليه قصاص ولا شيء. بينما جاء الصحابي الآخر وقال له: "إنّ أمي تسبّك" فدعا لها، فقضية الأم لها منزلة خاصة.

فقال: "ألحوا عليّ وكذا"، وجاء بأعذار ما أنزل الله بها من سلطان!. وأنا لا تهمني الحادثة، ولا تهمني القضية وإنما أريد أن أقول لكم أنّ هذه الأفكار نُسبت إلى منهج الجهاد! صدر بعضها عن أخيار وصدر بعضها عن ناس منحرفين.

فهذه التشويهات حصلت، وعندي أمثلة كثيرة سأفصّلها في الكتاب، لأنها مهمة وهي أحد أهم أسباب عزلتنا عن العلماء وعزلتنا عن الناس، وصرت عندما تتكلم مع أي أحد يقول لك: "أنتم تكفيريون".

أنا كنت مع الشيخ من الذي ذكرته لكم -هداه الله- في مجلس واحد، فتكلم في قضية الديمقراطية كلامًا جميلًا جدًّا مثل الذهب، وكنت قد قدِمت أنا وهو لنصرة (الجماعة المسلحة) في الجزائر، جئت به معي حتى ننصر موقفًا معينًا في مواجهة ديمقراطية الإنقاذ، لنقنع مجموعة من الناس منهم بن لادن وغيره بنصرة الجماعة بدل الديمقراطية.

فاستعنت بهذا الرجل الجليل الذي جئت به معي، فاقتنع جزاه الله خيرًا وجاء المجلس، وحكى كلامًا من أروع ما يكون. ثم في آخر الجلسة استدرجوه للحوار فاستدلّ بكلام ابن تيمية أن الإنسان لا يُشترط أن يقصد الوقوع في الكفر حتى يقع فيه[٢٩٧]، بل قد يقع في الكفر بدون أن يقصد أن يكون كافرًا، وكلام ابن تيمية صحيح.

فنقل هذا الكلام ثم قال:

"فهناك كثير من الناس يكفرون ويضلون بدون أن يقصدوا الكفر، فيُحكم عليهم بالكفر، النصارى لم يقصدوا الكفر ومع ذلك كفروا، {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ}[٢٩٨]، وقالوا: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ}[٢٩٩]، فهم غير مقتنعين أنهم يكفرون، فهناك أناس يكفرون بدون القناعة..".

وهذا كلام نظري جميل، وليتنا خرجنا هنا بعد أن كسبنا الجولة ولكنّنا خرجنا خسرانين!؛ فقال لهم بعد هذا:

"بناءً على ذلك فالمرشد العام للإخوان المسلمين حامد أبو النصر كافر كفرًا أكبر خارج من الملة، وبناء على ذلك راشد الغنوشي كافر كفرًا أكبر، وبناء على ذلك عبّاسي مدني كافر كفرًا أكبر، وبناء على ذلك علي بلحاج كافر".

وراح راشش تكفير ثمانية أو تسعة أسماء، حكم عليهم كأعيان بالكفر، فانتفضت الجلسة وأصبحت كلها استنكار علينا، صحيح قد يكون هذا من قول الحق، وقد يكون له وجه، وقد يكون الرجل مجتهدًا له أن يقول ذلك، حتى أن أحد علماء السلف قالوا له: "مالك قال كذا"، فقال لهم: "يُستتاب وإلا يُقتل ردّةً"، يتكلم عن الإمام مالك![٣٠٠].

---

[٢٩٧] يقول شيخ الإسلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الصارم المسلول) صـ ١٧٧: "وبالجملة فمن قال وفعل ما هو كفر، كفر بذلك، وإن لم يقصد أن يكون كافرًا، إذا لا يقصد الكفر أحدٌ إلا ما شاء الله" اهـ.

[٢٩٨] سورة المائدة، الآية: ٧٣.

[٢٩٩] سورة المائدة، الآية: ١٨.

[٣٠٠] يقول الإمام الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ط الرسالة ١٤٢/٧: "قَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: بَلَغَ ابْنَ أَبِي ذِئْبٍ أَنَّ مَالِكًا لَمْ يَأْخُذْ بِحَدِيْثِ: (البَيّعَانِ بِالخِيَارِ). فَقَالَ: يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ، وَإِلاَّ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ. ثُمَّ قَالَ أَحْمَدُ: هُوَ أَوْرَعُ وَأَقْوَلُ بِالحَقّ مِنْ مَالِكٍ. قُلْتُ: لَوْ كَانَ وَرِعًا كَمَا يَنْبَغِي، لَمَا قَالَ هَذَا الكَلاَمَ القَبِيْحَ فِي حَقّ إِمَامٍ عَظِيْمٍ، فَمَالِكٌ إِنَّمَا لَمْ يَعْمَلْ بِظَاهِرِ الحَدِيْثِ؛ لأَنَّهُ رَآهُ مَنْسُوْخًا. وَقِيْلَ: عَمِلَ بِهِ، وَحَمَلَ قَوْلَه: (حَتَّى يَتَفَرَّقَا) عَلَى التَّلَفُّظِ بِالإِيجَابِ وَالقَبُولِ، فَمَالِكٌ فِي هَذَا الحَدِيْثِ، وَفِي كُلِّ حَدِيْثٍ لَهُ أَجْرٌ وَلاَ بُدَّ، فَإِنْ أَصَابَ، ازْدَادَ أَجرًا آخَرَ، وَإِنَّمَا يَرَى السَّيْفَ عَلَى مَنْ أَخْطَأَ فِي اجْتِهَادِهِ الحَرُوْرِيَّةُ. وَبِكُلِّ حَالٍ: فَكَلاَمُ=

فيجوز هذا لعالم في مستوى مالك إذا رأى أن الحكم فيها هكذا أن يقول كذا، ولكن هذا المنهج أصبح بيد جهلة، فلو تفتّش في كل ثيابه تجد أنها لا تصلح للصلاة، فيجلس ليفرز كل البشرية إلى كفر وإسلام وصواب وخطأ وشرعي وغير شرعي ويجوز ولا يجوز.

فأصبح من الواجب مراجعة كل هذا الكلام في النشرات التي لا ضابط لها، وأصبح كله منسوبًا إلينا! فهذا بداية التصحيح؛ أن نُراجع كل هذه الأدبيات ونخلص إلى أدبيات تفيد الحق وتفيد الصواب وتفيد تأليف هؤلاء المسلمين حتى نأخذ بأيديهم إلى هذه المعركة.

كنت أتناقش مع أحد الإخوة السوريين من أئمة السلفية في بيشاور ففي نهاية الحديث قلت له: "مقتضى كلامك هذا أنّ في الجزائر من ستة وعشرين مليونًا لا يوجد أصلًا مليون مسلم، والأربعة وعشرين مليونًا كفرة!".

فقال لي: "وهل تظن أن هناك إسلامًا أكثر من هذا في الجزائر؟!".

فقلت له: "كيف يعني؟!".

قال لي: "نعم يمكن فيهم أربعة وعشرين مليون كافر فما الذي يزعجك أنت؟".

ثم استمرينا في الحوار قليلًا فقال لي: "والله شمت في أهل حماة عندما ذبحهم حافظ الأسد، الله لا يردّهم".

ثم مشينا خطوة، فقال لي: "هؤلاء الكروات الذين ذبحهم الصرب أحسن أنّهم ذبحوهم؛ لم يستريحوا بعد حتى أخرجوا ملكة جمال البوسنة من الكروات".

ثم قال لي: "وأقول لك نفس الكلام ينطبق على كوسوفو الآن، الله لا يردّهم".

هذا نهاية الأمر، والرجل معروف عند دعاة (الفكر السلفي)!، فهذا التيار الآن أصبح يمكن أن يكتب فيه بعض أهل الغلو، وبعض هذا منسوب لأخيار وهو خطأ، مثل من يقول لك: "كل من أسقط ورقة في صندوق البرلمان فهو كافر"، يعني شطط كبير جدًّا!.

=الأَقْرَانِ بَعْضِهِم فِي بَعْضٍ لاَ يُعَوَّلُ عَلَى كَثِيْرٍ مِنْهُ، فَلاَ نَقَصَتْ جَلاَلَةُ مَالِكٍ بِقَوْلِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ فِيْهِ، وَلاَ ضَعَّفَ العُلَمَاءُ ابْنَ أَبِي ذِئْبٍ بِمَقَالَتِهِ هَذِهِ، بَلْ هُمَا عَالِمَا المَدِيْنَةِ فِي زَمَانِهِمَا –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–.
وَلَمْ يُسنِدْهَا الإِمَامُ أَحْمَدُ، فَلَعَلَّهَا لَمْ تَصِحَّ." اهـ.

حسب وجهة نظري أرى أن هذا أحد أهم بوابات المصيبة التي نزلت في التيار الجهادي. نكتفي هنا لأن الموضوع طويل. فأقول تسرّبت بعض أفكار الغلوّ إلى أدبيات الجهاد وكان هذا من أخطاء الفكر والمنهج، وهذا يجب تنقيته وردّه إلى الصواب.

٢- الاضطراب في تحديد كثير من المفاهيم الشرعية الأساسية:

الأمر الثاني من نتائج الغلو؛ أدّى الغلو إلى موضوع منفصل وهو اضطراب المفاهيم الشرعية الأساسية للعمل الحركي، هناك الآن مصطلحات شرعية تدور في الجماعات الجهادية؛ (بيعة)، (إمارة)، (شرعية). هذه المصطلحات تلقائيّة وليست مُحدّدة، تجد أنها تختلف أحيانًا داخل الجماعة من شخص إلى شخص وأحيانًا ما بين الجماعات.

خذ قضية (البيعة) مثلًا، البيعة التي تتم بين جماعات الجهاد ما حكمها؟ هل هي بيعة إمامة مثل ما قال أخونا (فقيه لندن)؟ أو هي بيعة جهاد فهؤلاء أمراء حرب؟ أو هي بيعة طاعة كما قال ابن تيمية في باب العقود؟ أن الناس لها أن تتعاهد ضمن بيعة الإسلام العامة وبيعة الخليفة؛ أن تتبايع على أمور من المعروف والنهي المنكر، فيتبايع مجموعة مع شخص أنهم سيقومون بمجلس ليستغفروا الله -سبحانه وتعالى- في اليوم مائة مرة، أو يبايع الناس رجلًا على أن يجمع أموالًا للأرامل، أو يتبايع الناس على نصرة الأيتام، أو على الحِسبة والجهاد في سبيل الله. واحد بايع الناس على أمر معين. فهذه بيعات على طاعة ما حكم هذه البيعة؟

تجد أن هناك اضطرابًا في مفهوم البيعة، وبالتالي في مفهوم الإمارة وحكم هذه الإمارة التي هم فيها، فاشتبك الجهاديون مع غير الجهاديين في مفهوم الإمارة وهل الإمارة شرعيّة أو غير شرعيّة؟

حتى من آخر هذا جاءني شخص حزين من إحدى الجماعات الجهادية قال لي: "يريدون أن يفصلوني من الجماعة". والسبب أن الأمير ظلمه، وليس الأمير الأعلى بل الأمير الأخير الذي وضعوه عليه، فقال: تشاجرنا فعملنا محكمة فسألت الجماعة: "ماهي حدود تحمُّلي له؟"، قالوا له: "تتحمله ولو أخذ مالك وجلد ظهرك"!، وهذا في جماعة جهادية مشهورة كبيرة محترمة.

فكيف يعني أمير تضعه عليك فيأخذ مالك ويجلد ظهرك؟!

وهذا الحديث طبعًا قاله الرسول ﷺ في الإمام الأعظم أن تصبر وتحتسب على الإمام إلا أن تروا كفرًا بواحًا، وفي الحديث الآخر: (وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ)[301]، فتتحمله. أمّا أمير جئت لأعمل معه طاعة فأخذ مالي وجلد ظهري وأنزل بي مظالم فكيف أطيعه؟!.

فقال لهم: "إذا أخذ مالي آخذ ماله وإذا جلد ظهري أجلد وجهه"، وخرج من الجماعة. فاضطراب هذه المفاهيم بهذه الصورة جعل القضية غير محدَّدة.

كذلك من المفاهيم غير المحددة (الشرعية)، وحصل معي في هذا موقف وانزعجت مني إحدى الجماعات الكبرى في لندن، ظهر في بلادهم بوادر جماعة مسلَّحة أخرى تريد أن تقاتل النظام الكافر المعتدي، ليست معهم بل لوحدها، لا يريدون أن يدخلوا معهم بل يريدون أن يُقيموا جماعة جهادية مسلحة أخرى. فقالوا لهم: "أنتم غير شرعيين لأن هناك جماعة شرعية منهجها صحيح فتعالوا وادخلوا معهم".

طيب ما الذي يُلزمني أن أدخل معك؟ قالوا: حتى تكون إمامة واحدة، فإذا تريد أن تعمل فادخل في هذه الجماعة، وهي إمارة فالناس اجتمعت علينا وعندنا منهج، وإذا عندنا خطأ قوّم فينا. فتعالوا ادخلوا معنا. وكلامهم صحيح.

ففي النهاية لم يدخلوا معهم، يريد أن يقاتل القذافي على منهج لوحده، أو يريد أن يقاتل حسين، أو يقاتل الحسن، أو يقاتل حافظ الأسد، يريد أن يقاتل لوحده ولا يريد أن يدخل في الطليعة السورية ولا في التنظيمات.

فقالوا لهم: "أنتم غير شرعيين". وخرج (شيخ الإسلام)! وقال: "إن هؤلاء ليس لهم إلا السيف"!، الآن نترك الأحزاب العلمانية ونظام الملك الحسن وعندما يقاومهم واحد نرسل له من يذبحه وخلاص!، بأي حق تقول شرعيين وغير شرعيين؟!

قال: "إذًا يتشرذم المسلمون". صحيح أنّه من الخطأ أن يتشرذم المسلمون، ولكن هذه حالة قدرية نتيجة غياب الإمامة. فهل أعالجها بأشياء لا دليل شرعي عليها؟

قال: "لا يجوز أن يخرج من جماعة إلا أن يرى كفرًا بواحًا". يعني إذا دخلت في جماعة من جماعات الجهاد الموجودة فلا تخرج إلا أن ترى كفرًا بواحًا.

---

[301] صحيح مسلم (١٨٤٧).

قلت له: من قال هذا الكلام؟ أنا سأسلك سؤالًا؛ إذا دخلنا أنا وأنت في جماعة فرأينا حُمقًا بواحًا؛ أناس حمقاء يتخبّطون ويضيّعون الوقت فهل نظل ونبقى؟!

قال: إذا لم يوجد كفر تبقى.

قلت: له كيف أبقى؟ وإذا ما رأينا حمقًا بواحًا ولكن رأينا إفلاسًا بواحًا، ناس مفلّسة يعني طوال اليوم من أين نأكل وننام. أو رأيت تفلّتًا أمنيًا بواحًا، أن كل ما يُنفق عليه يخرج للخارج، هذا ليس كفرًا بواحًا أصلًا فهل نبقى؟ هذا حمق!

قال: "إذًا أنت تشجّع الناس على الانقسام والتشرذم".

قلت له: أنا لا أقول لهم أن ينقسموا بل أقول لهم اتَّحدوا والتحموا، ولكن أنت تُلزم الناس بإمارة شرعية هي ليست لك. الإمارة الشرعية في الإسلام لها ثلاثة مقوّمات كما في كل كتب السياسة الشرعيّة: أرض وشوكة وشريعة. هذه مقوّمات الإمارة.

في علم السياسة يقولون: مقوّمات الأمة: أرض وسلطة وشعب، فالجماعة حتى تكون أمة يجب أن يكون عندها أرض وسلطة وشعب. ولذلك لا يعتبرون الهنود الحمر أمة. لأنه ليس عندهم سلطة بل هم قبائل وفوضى. فمقومات الإمارة هي أرض وشوكة وشريعة.

ثم جئنا لقضية (الشرعية) فقلت له: يا أخي الكريم المفهوم الصحيح والطبيعي لهذه الجماعة أنها جماعات طاعة، فلو بايعت رجلًا على أن تجمعوا أموالًا للأرامل من الساعة ١١ وحتى ساعة ٣، فعليك الالتزام بما بايعت به (...)[٣٠٢]

أسقطوا هذه الآية عن اليهود والنصارى فقال: "النصارى واليهود لا تلزم لهم عقود، وأموالهم حلال حتى مع وجود عقد". وهذه مصيبة أخرى!، وأضرب لكم مثالًا، أحيانًا الناس تشتري بضاعة فتدفع نصف ثمنها قبل استلام البضاعة والنصف بعد استلام البضاعة، طبعًا هذا بيع غير جائز نهى الرسول ﷺ عن بيع العربان هذا مشهور في فقه البيوع، ولكن لقلّة الذمة تعارف الناس على أن يُدفع قسط أول يُلزم به المشتري على إتمام الصفقة، فإذا أعطاني الفلوس واتَّفقت معه على الصفقة ثم جاء شخص آخر يريد أن يشتري مني الصفقة فهل يجوز أن آكل الفلوس وأعطي الصفقة لغيره؟ فقال نعم هذا يجوز، مع أن هناك عقدًا مكتوبًا أو شفهيًا، فقال: "ليس لهم عقود".

---

[٣٠٢] انقطاع

فخرج (فقه الاستحلال). وفقه الاستحلال أصله صحيح، طالما أنهم أناس محاربون وأموالهم حلال، ولكن ليس في القضايا التي أقمنا عليها عقود.

الشاهد في الموضوع اضطربت قضايا في الفقه والفكر والفتوى نتيجة أنّ علماء الأمة فروا من أن يدخلوا معنا، فتحقّق فينا حديث الرسول ﷺ: (حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)[٣٠٣]، فهذه مصيبتان وجريمتان؛ جريمة أنّهم لم يأتوا وجريمة أنّهم تركوا غيرهم ليسدّوا هذه الثغرة فحصلت المفاسد.

الشاهد عندي بحث طويل ليس محلّه هنا، ولا أريد أن أُدوّخكم فيه الآن لأنه فقهي معقّد، ولكن أدرجت نماذج أن هذه الأمور ليست محدَّدة ومضبوطة، والصواب فيها أنها عهود ومواثيق غليظة أعطاها الإنسان، فهو آثم إذا نقضها.

يعني رجل دخل في جماعة جهادية؛ دخل مع ابن لادن، أو دخل مع فلان، وأعطاهم بيعة وعهد فعليه أن يفي به. وأنا جاءني هنا أكثر من واحد يقول لي: "دخلت مع فلان وبايعت، وبعدين الآن أنا غير مرتاح"، قلت له: "هل خرج منهم شيء غير الذي اتفقتم عليه عندما بايعت؟"، قال: "لا"، قلت له: "هل بدر منهم شيء؟"، قال: "ما بدر منهم شيء"، فقلت له: "يا أخي إذا لم يبدر منهم شيء غير الذي اتفقت معهم عليه، ووفّوا لك هذا؛ فلماذا تخرج؟ أنت آثم إذا خرجت".

ولكن إذا خرج فهل نقول شذّ وهو في النار أو حلّ دمه أو مات ميتة جاهلية؟! لا، هو وقع في إثم عظيم جدًّا لأن الله -سبحانه وتعالى- قال له: {أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}[٣٠٤] وهو نقض العقود. هذه خلاصة المسألة.

فالشاهد أن هناك مفاهيم غير مُحدَّدَة في قضايا الإمارة والإمامة وما تلاها، وهذا سأستفيد منه في الحل، يجب أن نسعى إلى صيغ من الجهاد تؤدّي إلى إمارة، فالقضايا التي ندخل فيها يجب أن تُؤدي إلى أرض وشوكة وشريعة، ولذلك اعتبرت أنّ إمارة طالبان على ما فيها من الدخن إمارة شرعية صحيحة، مستكملة للصفات الشرعية، ودخنها ما بلغ أن ينقض أصل كونها إمارة شرعية.

أمّا الأرض؛ فمن ٦٥٠ ألف كيلو متر مربع يسيطرون على نصف مليون كيلومتر مربع. ومن حيث الشوكة؛ فعندهم الآن مائة ألف مسلّح ويستطيعون أن يحشدوا القبائل والأمة معهم فيُخرِجون مليونين أو ثلاثة ملايين مسلَّح، عندما

---

[٣٠٣] صحيح البخاري (١٠٠)، صحيح مسلم (٢٦٧٣).

[٣٠٤] سورة المائدة، الآية: ١.

أرادت إيران أن تدخل جمعوا علماءهم فأفتوا أنه إذا تجاوزت إيران الحدود الأفغانية فهذا يفرض الجهاد العيني على كل أفغاني، يعني هذا سيُسلِّح ملايين بفتوى من عشرين عالـمًا. فهم عندهم شوكة.

أما من حيث الشريعة؛ فالشريعة مطبّقة عندهم، فالأصل هو تطبيق الشريعة على خلل لا ينقض أصل الشريعة وهذه الأمور سنفصّلها.

الآن ليس هناك في الأرض إمارة شرعية بمفهوم الإمارة الشرعية التي عهدناها ودرسناها وعرفناها في الكتب إلا مناطق الطالبان، وباقي الإمارات كلها إمارات باطلة، إمارات الحكومات.

أما الجماعات الإسلامية التي تبايعت على الطاعات فهي جماعات طاعة وليست إمارة شرعية بمفهوم الإمامة. مفهوم الإمامة هو الذي عند طالبان، أما الباقون فهم أقرب إلى حالة الهنود الحمر فهم ليسوا أمّة.

طبعًا لا يأتي أحد ويقول لي: "كيف تقول عن الجماعات الجهادية هنود حمر!"، أنا أقصد في المفهوم، يا أخي أحيانًا هناك أمور يجب أن تفهمها أنت على قول القائل، أنا البارحة قلت للإخوة وكنا قد جلسنا لتونا في درس وتدريب في مركز، فقلت لهم: "أنتم زي العوام؛ يكون ذاهب لأمر فيسمع بحفلة ودفّ، فيترك شغله ويذهب للحفلة. الجهاد ليس حفلة"، كلامي واضح أنّ الجهاد ليس حفلة زار.

عوتبت عند المساء فقيل لي: "كيف تقول أن الجهاد حفلة زار؟"، فأنت كيف تفهم؟! أنا قلت: أن الجهاد ليس حفلة زار، حتى تعملوا هكذا. فقال لي: "شبَّهت الجهاد الذي هو أصل الدين بحفلة، والرسول ﷺ قال: (مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُم رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً، أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ)[٣٠٥].

كيف تفهمون النصوص كيف تفهمون (طار عليه)؟! يعني إذا جعلت واحدًا على مخازن السلاح، فسمع هيعة فهل يترك المخازن للعدو ويطير إليها، ويحتسب أجر أنه يبتغي الموت مظانه أيضًا؟!. فقلت له: "نعم هذا أشبه بحفلة. فهم أناس على ثغرة"، (..)[٣٠٦].

---

[٣٠٥] صحيح مسلم (١٨٨٩).

[٣٠٦] الكلام هنا غير واضح.

ولكن المشكلة كما قال المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشَّقاوةِ ينعمُ

وَمن البَليّةِ نُصْح مَن لا يَرْعَوي عَن غيّهِ وَخِطابُ مَن لا يَفهَمُ

نرجع للموضوع؛ فهذه الأفكار عملت اضطرابًا شديدًا جدًّا في الوضع الجهادي.

٣- تعصُّب كثير من الجهاديين لمفهومهم عن (**السلفية**):

نأتي إلى المشكلة الثالثة والتي قد توقفت فيها كثيرًا مع الإخوة ولازم أوضّحها حتى يزول أي لبس سابق أو لبس لاحق، أنا أقول إن (مفهوم السلفية) تشوّه في التيار الجهادي جدًّا. ثم بعدما تشوّه المفهوم شوّه التيار الجهادي نفسه، وأصبح مشكلة بيننا وبين الناس.

حتى لا أُفهم خطًا: أنا عن نفسي الحمد لله أقول ما أعتقده صراحة ولا أبالي في ذلك أحد، وهذا من قبل عندما كنا تحت العدو، فما بالك الآن ونحن فوق سقف العالم لا نخاف من أحد؟! فأقول: أنا عن نفسي عقيدتي سلفية وأعتقد عقيدة السلف.

وحتى مزحت مرة مع الشيخ عيسى فقلت له: "أنا اكتشفت أنّي كنت سلفيًا قبل أن أصلي".

قال لي: "كيف كنت سلفيًا قبل ما تصلي؟".

قلت له: "لأني قبل أن يهديني الله وألتزم بالصلاة كنت مقتنعًا بكلّ المنطلقات التي يقولها السلفية، فهي صحيحة نقلًا وعقلًا. الله -سبحانه وتعالى- استوى على العرش، أخبرك أنه استوى بالعقل بالمنطق أن تسلّم له بهذا، هذا قبل ما أصل إلى السلفية". فالعقيدة السلفية هي مقتضى الدين السليم ومقتضى العقل السليم. الله -سبحانه وتعالى- أنزل رسولًا فجاء بالهدى، ثم اختلفت الأفهام فنشأت مذاهب وطرق لعبادة الله -سبحانه وتعالى-.

كان هذا قبل أن أصلي، ثم عندما قررت أن أصلي قلت: "خلاص نأخذ من هذا المذهب ما صحّ، ونتحرك ضمن ما أُثر عن الرسول ﷺ"، فخرج من قال لنا: "أنتم أولاد الأحناف فيجب أن تكونوا أحنافًا"، فمقتضى العقل السليم

ومقتضى الدين السليم أن الإنسان لا يتمذهب، إمّا أن يكون مستطيعًا لتحصيل هذا العلم وإمّا أن يأخذه بدليله ممن أفتاه ويتّبع الدليل.

فالشاهد أنا عن نفسي عقيدتي سلفية ومنهجي سلفي، ولكن يقينًا قطعًا لست من هذا التيار المسمّى (سلفي) الموجود الآن. وأظن كل الحاضرين كذلك، فابتداءً أقول هذا حتى نشطب الوهم من النفوس، لأنّه بسبب كلامي الذي سأقوله لكم الآن بلغني أنّ رجلًا في بيشاور قال: "أنا سمعت أبا مصعب بأذني يقول الآن لازم نترك منهج السلفية ونترك الاستدلال بالكتاب والسنة ونعتمد منهجًا جديدًا يعتمد الاستدلال بواقع السياسة في أحكام الدين"!.

أنا أقول الذي يقول هكذا فهو كافر أصلًا، الذي يريد أن يترك الكتاب والسنة ويذهب للاستدلال بواقع السياسة هو كافر!. وهذا الكلام فهموه هم من الكلام الذي سأقوله الآن، ولكن نرجع للمتنبي الذي قال:

إذا غامَرْتَ في شَرَفٍ مَرُومِ فَلا تَقنَعْ بما دونَ النّجومِ

فطَعْمُ المَوْتِ في أمْرٍ حَقِيرٍ كطَعْمِ الموْتِ في أمْرٍ عَظيمِ

يعني إذا أردت منزلة عالية، فدع أهدافك عالية، وقال:

يرَى الجُبَناءُ أنّ العَجزَ عَقْلٌ وتِلكَ خَديعَةُ الطّبْعِ اللّئيمِ

الشاهد من كلامي الآن البيت الأخير:

وكَمْ من عائِبٍ قوْلًا صَحيحًا وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السّقيمِ

فهو الذي فهم هذا، أنا لم أقل أني أريد منهجًا غير الكتاب والسنة، هو فهم كلامي أنه يقتضي غير الكتاب والسنة، فهو صاحب الفهم السقيم وليس هذا القول هو القول السقيم.

فأرجع لأؤكد على أمرين اثنين: أنا ملتزم بكلامي ومداليل كلامي وليس بفهم الأغبياء! هذا أصل.

والأصل الثاني: أنه دفعًا للفلسفات الكثيرة أقول: أنا أعتقد عقيدة السلف، كما كان يقول الشيخ عبد الله عزام –رحمة الله عليه–؛ قال قولًا يُكتب بالذهب لم أفهمه إلا هذه الأيام، جاءني أحد كبار العلماء وكان قريبًا جدًّا من الشيخ نفسه فقال لي اسمع ما يقول الشيخ عبد الله، وكان حزينًا جدًّا، قال الشيخ عبد الله في خطبة جمعة: "أما السلفية فهي عقيدتنا، وأما التيار السلفي فنحن نحاربه"!

فما فهمت كلامه إلا عندما رأيت مقتضى السلفية أن صدام حسين مسلم، وأن على أهل فلسطين أن يهاجروا، عند ذلك فهمت قول الشيخ عبد الله!.

وأنا أكرّر قوله: "أما السلفية فهي عقيدتنا، وأما هذا التيار السلفي –الذي آل إلى الأئمة المعروفين هؤلاء وما يقولون– ففعلًا نحن نحاربه". ولكن كما سأشرح نحن نحاربه بالحجّة والبيّنة، وهذا جهاد البيان للضائعين والزائغين والتائهين والمنحرفين، فهذا سنبيّنه بالحجّة في الكتاب.

فأرجع إلى الموضع: **مفهوم السلفية في التيار الجهادي تشوّه، أول تشوّه حاصل فيه أنه آل إلى أن يصبح حالة من الولاء والبراء مع الأمة!!** أن الأمة ليست سلفية. ٩٥% من أهل السنة الذين يعرفون دينهم هم أشعرية، وهذه الخريطة أمامكم:

- أهل ماليزيا وشرق آسيا كلهم أشاعرة شوافع. وهم حوالي ٣٠٠ مليونًا.
- مسلمو الهند والصين والتركستان ووسط آسيا والقفقاس وحتى الشام وتركيا وحتى منتصف الأردن؛ أحناف. يعني ٧٥% من أهل الإسلام عبر التاريخ وإلى يومنا هذا أحناف، وهم في العقيدة أشاعرة. أنا أتكلم عمَّن يعرفون دينهم، واتركك ممن لا يعرف ما هو.
- أهل الأردن منتشر عندهم مذهب الإمام الشافعي –رحمه الله–.
- أهل السودان نصفهم شافعي ونصفهم مالكي.
- أهل شمال إفريقيا ووسط وغرب إفريقيا على مذهب الإمام مالك وأشاعرة.

هم طريقهم هكذا وواقعهم هكذا، وليس الإشكال أن يحصل الجدل بين العلماء وطلبة العلم والباحثين والبحاثة، ولكن المشكلة عندما يتحوّل هذا البحث إلى حالة من الولاء والبراء مع الأمة، بحيث نجعل بيننا وبينهم حائلًا في دفع الصائل! فعندها من سيدفع الصائل؟ جماعات الجهاد؟.

جماعات الجهاد تريد أن تعبئ الأمة، فعندما تقول جماعات الجهاد: "نحن جماعة سلفية منهجنا كذا" تنعزل عن الناس. هناك جماعات كبرى موجودة هنا أروني منهجهم قبل أن يخرجوه، فأخذت المنهج ودرسته؛ فوجدت أن ٨٠ بالمائة من كتابات الجماعات هو عقيدة السلف؛ منهجنا في أحاديث الآحاد، ومنهجنا في آيات الصفات.. إلخ.

وهذا منهجي أنا وعقيدتي وليس فيه إشكال أبدًا، ولكن هل هذا هو المنهج الذي أريد أن أعبّئ به أهل البلد به حتى يحاربوا اليهود والنصارى والمرتدين؟ هو صحيح وصواب، ولكن ما علاقته بالمشكلة؟ فهذا جزء مما يجب أن أقوله ولكن أين الجزء الباقي؟ وهو قضيّة دفع الصائل مع هؤلاء المسلمين.

للتشبيه أقول: لو أنا عندي حافلة، وقلت: فالذي طوله ١٧٦ سم ونصف وعرضه ٤٥ سم وعيونه زرق يصعد، والباقي يبحثوا عن حافلة أخرى. فعندما حدَّدت أنا هذه الشروط والمواصفات سيصعد للحافلة ١٠ أو ١٦ أو ٢٠، وباقي الناس سيبحثون عن حافلة أخرى، والمشكلة أن الحافلة الأخرى هو (البرلمان) أو (الألباني) أو (التبليغ) أو (الصوفية)، الحافلات الأخرى المعروضة أمام المسلمين كلها ليست حافلات جهاد!. فكان الواجب أن أرفعه معي حتى أدفع به الصائل.

فهنا كان الخطأ، وأنا وقفت عند أصل عظيم جدًّا عند وضع النظرية الجديدة لتعبئة الناس في دفع الصائل؛ نعم نحن على عقيدة السلف ونحن أهل السنة والجماعة، اسم (سلفيين) ذهب بها المدخلي والوادعي والألباني، أنا لست (سلفي) على مفهومهم، أنا من أهل السنة والجماعة على عقيدة السلف ومجاهد في سبيل الله -إن شاء الله-.

فعندما قلت: "من كان سلفيًا فليركب معي وغير السلفي فلا يركب معي"؛ لم يركب معي السلفي، والذي ركب معي لم يصبح سلفيًا فنزل، فلا السلفي ركب معي ولا الذي ركب معي مستعد أن يصير سلفيًا!، فنزل الناس، فبقيت أنا والسائق والحافلة، وبقيت في الساحة هكذا أنت وأربعة أشخاص!.

فهذه القضية تحوّلت إلى حالة من الولاء والبراء؛ نتيجة جهل شديد جدًا في فهم قضية السلف وعقيدة السلف والانتماء إلى أهل السنة والجماعة، البلاء الذي نزل فينا الآن نحن أهل السنة والجماعة هو صائل، وأنا قدّمت بالسياسة والتاريخ حتى لا يعترض أحد عليّ، فنحن الآن متّفقون على البلاء.

البلاء هو صائل على الدين والأرض والأنفس والعرض والمال، وهذا الأمر له أحكام شرعية في كتب الفقه، اسمها أحكام دفع الصائل، يتفرّع منها: الغزو مع كل بر وفاجر، وعدم زجر أهل الفسوق والبدع عن حضور الجهاد، ويتفرّع منها أصول كثيرة في كتب الفقه.

فكم واحد سلفي في هؤلاء الذين يأخذون الحجارة ويرمونها على اليهود في فلسطين؟! بل قبل أن أسأل كم واحد سلفي أسأل كم واحد يصلي؟ ولا تتفاجأ مني فأنا على مذهب الجمهور أنّ الذي لا يصلي هو مسلم، هذا هو مذهب الشافعية والأحناف والمالكية خلافًا لأحمد.

فما المشكلة أنّ عندك أنّ الذي لا يصلي كافر، إذا الأمة تريد أن تجاهد اليهود. جمهور العلماء على أن تارك الصلاة مسلم. والأحاديث لها تفسير، وهذا جدل علمي لن ينحسم بساعة لأنه لم ينحسم خلال سبعمائة سنة، لم ينحسم بين الشافعي وأحمد.

فأنا أعتبر كل من كان تحت مسمى (لا إله إلا الله) وتسرّه حسنته وتسوؤه سيئته ويحب الله ورسوله وهو نادم ويحاول وهو مقصر ولا يصلّي كسلًا فأنا أعتبره مسلمًا. وجئت لك بأبشع صورة لأنّ ما سواها أسهل منها.

ومن قال أن تارك الصلاة كافر دليله قوي مثل عين الشمس، خمسة أحاديث عن الرسول ﷺ، منها: (إِنَّ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمِ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)[٣٠٧]. فمن قال إنه وصل للكفر دليله قوي جدًّا.

ولكن ما رأيك الآن بأمة مليونية موحّدة تقول (لا إله إلا الله) نصفها لا يصلي نزل فيهم صائل، هل أقولهم: "يا كفرة، اذهبوا من وجهي، أنا وجماعتي نريد أن نجاهد؟!"، هذا ليس منطقًا وليس من نظرية التعبئة، ولم يفعلها ابن تيمية ولم يفعلها الأئمة ولم يفعلها أحد، في حين الآن تريد جماعات الجهاد أن تفعلها.

كيف سيخرج معك إلى الجهاد واحد تقول له: "أنت كافر"؟ !

وحدثت مآسٍ بسبب هذه القضية؛ أحد الإخوة المجاهدين من الطليعة سُجن وفرّت مجموعته إلى الأردن، فخرج من السجن شبعان تكفير، خرج إلى تركيا ورأى والده، وكان والده تاجرًا كبيرًا في حلب فأُخذت كل أملاكه بسبب ابنه الذي عمره ١٦، أُخذت دكاكينه وأُخذ بيته، ثم خرج هو وأهله بسبب هذا الولد الذي دخل في القتال.

وهو محتسب عند الله أن ابنه مجاهد، فلما سُجن ابنه جلس في تركيا، فعندما خرج ابنه من السجن حمد الله وأتى به وقال له: "تفضل يا ابني الأكل"، فقال لهم: "من أين أتيتم باللحمة؟"، قال له: "ذبحنا". قال: "لا آكل ذبيحتكم". قالو له: "ليش لا تأكل ذبيحتنا؟"، قال: "أنتم مشركون، والتوحيد كذا، فأنا لا آكل ذبيحتكم"، قالوا له: "طيب من

---

[٣٠٧] سنن النسائي (٤٦٣)، سنن الترمذي (٢٦٢١)، سنن ابن ماجه (١٠٧٩)، صححه الألباني وقال شعيب الأرناؤوط (إسناده قوي..).

أين تأتي بالأكل؟" قال: "لهم أشتري من هناك لحمة". قالوا له: "هذا نصراني؟". قال لهم: "تجوز لنا ذبائح أهل الكتاب"!!.

فاكتشف الأب أنّه نسف حياته كلها من أجل ابنه الذي يأكل ذبائح أهل الكتاب ولا يأكل ذبيحته، فقال له: "خذ اللحمة والذبيحة وخلصني"، وذهب للسفارة السورية عمل أموره ورجع.

فهمت كيف نعبئ الناس؟!

وكان يمسك أمه ويقول لها: "أنتِ الحق عليكِ أرضعتيني حليب الكفر من نعومة أظفاري"!!.

فهذا تتابع لتبعيَّات كثيرة حتى وصلنا إلى هنا. أمة محمد ﷺ من المحيط إلى المحيط مسلمة، فيها كفار على أصول أهل السنة والجماعة بالشروط والموانع والتفاصيل الكثيرة التي يعرفها من درسها منكم، وليس الإشكال منها، وهناك فقه دفع صائل وهناك كلام عظيم جدًا للأئمة بأنه يُدفع الصائل مع المسلمين من الموحّد صاحب عقيدة السلف إلى الفاسق المبتدع.

بل هناك للفقهاء كلام عظيم للعلماء في النوازل، فقالوا: "نقاتل مع أهل القبلة من ليس من أهل القبلة"، هذا في النوازل، وهذا سينبني عليه كلام كثير لا أريد أن أقوله الآن حتى لا تأخذوا الجرعة كلها مرة واحدة، بل جرعة جرعة، هذا الكلام يجب أن نأخذه مجزًا لأنه ينبني عليه أمور كثيرة جدًّا.

في شمال إفريقيا ارتدّ البربر، وكان أهل السنة في القيروان في قتال شديد مع الخوارج، فعندما ارتد البربر فأصبح المرتدون محيطين بأهل السنة وبالخوارج. فبحثوا عن رجل حتى يدفعوا إليه راية أهل السنة فلم يجدوا أحدًا يقوم لها، فذهبوا إلى أمير الخوارج، وأفتى لهم الأئمة وكان منهم إمام مشهور من الأئمة الكبار الأعلام، فذهبوا ودفعوا الراية إلى إمام الخوارج وقالوا له: "نقاتل المرتدين في هذه النازلة"، وكان المرتدون قد أحاطوا بهم وكادوا يدخلون المدن.

فأنكر بعض الناس، فخرج الإمام ومعه فقهاء القيروان قال لهم: "نقاتل مع أهل القبلة من ليس من أهل القبلة"، فذهبوا ودفعوا البربر وأعادوهم للإسلام ورجع القتال بين أهل السنة والخوارج![٣٠٨].

---

[٣٠٨] **المقصود قتال المسلمين للعبيديين (الفاطميين) الذين جهروا بالكفر، وقد خرج عليهم سنة ٣٣٢هـ أبي يزيد مخلد البربري وكان من الخوارج الإباضية، يقول الإمام الذهبي في (سير أعلام النبلاء): "وَقَدْ أَجمع عُلَمَاء المَغْرِب عَلَى محَاربَة آل عبيد لمَا شَهْروهُ مِنَ الكُفْر الصرَاح الَّذِي لاَ حِيْلَة فِيْهِ وَقَدْ رَأَيْت فِي ذَلِكَ تَوَاريخ عِدَّة يصدق بَعْضهَا بَعْضًا وَعُوتِبَ بَعْض العُلَمَاء فِي الخُرُوْجِ مَعَ أَبِي يَزِيْد الخَارِجِيّ فَقَالَ: وَكَيْفَ لاَ أَخرج وَقَدْ، سَمِعْتُ الكُفْر بِأُذُنَيَ حضرت عقدًا فِيْهِ جمع مِنْ سنَة وَمشَارِقَة وَفيهُم أَبُو قضَاعَة الدَّاعِي فَجَاءَ رَئِيْس فَقَالَ: كَبِيْر مِنْهُم إِلَى هُنَا يَا سيدِي ارْتَفَع إِلَى جَانب رَسُوْل اللهِ يَعْنِي: أَبَا قضَاعَة فَمَا نطق أَحَد، وَوجد=**

فهي نازِلة نزلت وحريق وقع، أنت لو كان عندك أخ (صايع) يتابع كرة القدم وأخت سافرة، وأخ من (الإخوان المسلمين)، وأخ صوفي، وأخ (سلفي)، وأخت محجبة، فطوال اليوم وأنتم في جدل مع أبيكم وأمكم في التلفزيون والمنكرات، وأُسرنا كلها أصبحت هكذا، فبينما أنتم في هذا الحال جاء الجيران ودخلوا البيت ورموا الزبالة وأشعلوا الحريق في البيت؛ فهل سيكمل هؤلاء الإخوة النقاش أم سيقومون ليطفؤوا الحريق؟

بل سيقومون ليُطفؤوا الحريق، وستقوم النساء تولول على نسوان الطرف الثاني، ويقوم الرجال وينزلوا إلى الحارة ليتشاجروا، وستجد أن أحسن واحد ضرب الجيران هو أخونا (الصايع).

فهذه هي حالة الأمة وهذه هي الصورة التي حصلت، وهذا اسمه (دفع صائل)، فيجب أن نقوم بنقلة في الفكر والمنهج؛ **الاعتقاد الذي نعتقده في التيار الجهاد صحيح ولكنّه ناقص.**

فالشاهد أن مفهوم (السلفية) أصبح وسيلة لعزلتنا عن الأمة أصلًا. فمن أوّل ما أنادي به في هذه النظرية أن نعود إلى قوله تعالى: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ}[٣٠٩]، ونعود إلى قول العلماء: (أهل السنة والجماعة)، فنحن أهل السنة والجماعة.

وأهل السنة والجماعة يدخل فيهم الأحناف والمالكية، ويدخل فيه المذهبية، وتدخل فيه معظم الأمّة، فتصبح قضيتنا معقولة، وترجع المعادلة الأساسية إلى معركة أمة ضدّ أمة. أما أن تصبح الحرب معركة (علي بابا والأربعين سلفيًا) مع الأمم الكافرة فلن تصبح هناك معركة أصلًا!.

فالشاهد في الموضوع أن مفهوم السلفية تشوَّه. وأرجو أن أكون قد أحسنت التعبير لأنه في الآخر سيقولون سمعنا بأذننا هذه أن أبا مصعب يردّ عقيدة السلف!.

٤- فيروسات العمل الإسلامي السابق في التيار الجهادي:

نأتي للنقطة رقم أربعة وهي فيروسات العمل الإسلامي السابقة في التيار الجهادي، الجهاد في سوريا أصله من الإخوان،

=بِخَط فَقِيْه قَالَ: فِي رَجَبٍ، سَنَةَ ٣٣١ قَامَ المكوكب يقذف الصَّحَابَة وَيطعن عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعلقت رُؤُوْس حمِير وَكباش عَلَى الحوَانيت كتب عَلَيْهَا أَنَّهَا رُؤُوْس صَحَابَةٍ.

وَخَرَجَ أَبُو إِسْحَاقَ الفَقِيْه مَعَ أَبِي يَزِيْد، وَقَالَ: هُم أَهْل القِبْلَة وَأولئك ليسُوا أَهْل قبلَة وَهُم بَنو عَدُوّ الله فَإِن ظفرنَا بِهِم لَمْ ندْخل تَحْتَ طَاعَة أَبِي يَزِيْد لأَنَّه خَارِجِيّ.

[٣٠٩] سورة الحج، الآية: ٧٨.

والجهاد في ليبيا أصله من الإخوان، والجهاد في مصر أصله من الإخوان والسلفية، والجهاد في الجزائر أصله من الإخوان والسلفية، والجهاد في معظم مرحلة الحملات الصليبية الثانية أصوله صوفية، فكل التيارات الجهادية مركّبة من مدارس فكرية.

الفكر الجهادي يتبلور الآن، وقد بدأ بالتبلور في بيشاور في سنة ١٩٩٠م، فبدأ يكون له رؤوس وكتّاب وكتب ونظريات، وبدأت تقوم مكتبة للفكر الجهادي، وإلا فالأصل أنّ الفكر الجهادي يدرس كتب التيارات الأخرى؛ يدرس كتب الألباني ويدرس كتب الإخوان وكتب سعيد حوى.. إلخ.

الآن في العشر سنوات الأخيرة بدأ يصبح للتيار الجهادي كُتّاب ومكتبة، وما يزال فقيرًا جدًا. فإلى الآن وأنت تشكّل تنظيمًا تجد أنه هناك بصمات من أفكار تيارات أخرى في التيار؛ فتجد جهاديين يجاهدون ويغلب عليهم التصوف، تأتي إلى دول أخرى فتجد بصمات السلفية، تأتي لعبد الرحمن أمين وكتبه فتجد أنّ فكره مدخلي أصلًا.

حتى كنت أقول للإخوة: "عبد الرحمن أمين هو ربيع المدخلي مسلَّح بكلاشينكوف!"، لو تسلّح المدخلي فسيصبح أبا عبد الرحمن أمين. ولو نزع الكلاشينكوف من أبي عبد الرحمن أمين فسيرجع مدخليًا، فهي نفس الأفكار ونفس الطريقة.

أبو عبد الرحمن أمين يخرج فتوى يعتبر فها أن كتاب (في ظلال القرآن) وكتب سيد قطب من كتب الضلال، فأخذوا (الظلال) وأحرقوه في الجزائر، ونفس الشيء المداخلة في المدينة أحرقوا الظلال، وأحرقوا كتب النووي وابن حجر على أساس أنّهم أشاعرة.

الإمام النووي الذي كان يكتب في شرح السنة فانطفأ السراج في آخر الليل فحزن أن انطفأ سراجه فأضاءت سبابته إلى الصباح، فصار يكتب على ضوء سبابته وهو يشرح في السنة، هذا من كرامات هذا الرجل الصالح الذي توفّي وعمره ٣٩ سنة. والآن كلنا الآن فوق الأربعين و٣٩ سنة فماذا غزينا وماذا فتحنا في سبيل الله؟!

فتوفي وعمره ٣٩ سنة، عدّوا له ما وصلنا فقط من كتبه التي وصلتنا؛ فوجدوا أنّه كتب من مولده إلى وفاته أربعين ورقة في اليوم، كلها في شروح السنة. ثم اكتشف هؤلاء أنّه أشعري عقيدته فاسدة!

حتى أخونا هذا الذي قال: "جزاهم الله خيرًا ذبحوا أهل حماة" وشمتان فيهم، كنّا مرّة نتحدث عن الأذكار فذكرت الإمام النووي ونحن نتكلم فقلت: "قال النووي رحمه الله.."، فقام وقفز من المجلس وقال لي: "غفر الله لك". لم يعجبه قولي: "رحمه الله". قلت له: "لماذا؟"، قال لي: "لم يكن على السنة"!، الإمام النووي لم يكن على السنة!!

فهذه الأمور دخلت في التيار الجهادي وأصبحت من مكوّناته، فدخل أناس من هذا الطرف ودخل قليل من الصوفية من طرف، ودخل بعض الإخوانية من طرف، فتجد الجهاد في تونس (إخواني سياسي غنوشي)؛ تحالفات ومصلحة، وإذا قام جهاد في السودان فتجد أنه متأثر بأفكار الترابي، فهذا من الأمور التي يجب أن نُخلّص منها الفكر الجهادي حتى ننطلق بصورة صحيحة.

٥- رفض خيرات الصحوة:

الآن هنا فقرة قصيرة: تيارات الصحوة فيها إحسان؛ فهناك إحسان عند السلفيين الذين نتكلم عنهم، فعندهم طلب العلم وتحقيق السنة وعقيدة السلف، فهذا إحسان يجب أن نأخذه.

وهناك إحسان عند الصوفية والتبليغ؛ فعندهم تعظيم شعائر الله وحسن العلاقة مع الرسول ﷺ وتقديس الصحابة وحسن خلق وحسن معشر وهذا من الدين، واترك البلاوي التي عندهم ولكن هذا إحسان يجب أن نأخذه.

وقِس على ذلك الإخوان؛ عندهم إدارة وحسن تدبير، كانت هناك مظاهرة لجماعة الإنقاذ سار فيها مليون وربع نسمة جزائري، ليس مليونًا وربع مواطن عادي بل مليون وربع مواطن جزائري، هؤلاء الشعب عصبي وساخن أصلًا لو تريد أن تُسيّر عشرة مشكلة. وهذا الحمد لله لما وُجّه في سبيل الله جاء بخير عظيم.

فنظّموا مليونًا وربع واحد من هذا الشعب يمشون مثل الإبل. فعندهم تنظيم جيّد للمسيرة وترتيب وشعارات في أحسن ما يكون.

أنا الآن أريدك أن تنظّم لي فقط عشرين واحدًا منّا من الخط لهنا!، إلى الآن لا نحسن التنظيم، وهذا الكلام سنتكلم عنه في الأخطاء العامة. فهناك خيرات كثيرة عند تيارات الصحوة الأخرى؛ هناك إدارة، وهناك عقيدة، وهناك رقائق، وهناك أمور يجب أن نأخذها ونستفيد منها في منهجنا.

٦- غياب أثر فقه الواقع في المنهج:

أغلب الذين تصدّوا للفتوى في التيار الجهادي من طلبة العلم وأرباع طلبة العلم وأنصاف طلبة العلم إلى طلبة الجهل؛ هؤلاء فقه الواقع عندهم غائب أصلًا، عندما بدأوا بالجهاد في الجزائر قالوا بضرب المبتدعة وحرب المبتدعة.

كان عندهم قتال المرتد مقدم على قتال الكافر الأصلي، فقالوا هكذا قال العلماء، وقلت لهم: هو خطأ في حالتنا هذه والآن سأثبت لك أن قتال المرتد ليس مقدمًا على قتال الكافر الأصلي. فقالوا: "هكذا قال العلماء". قلنا له: طيب.

ثم وصلت القضية في الآخر إلى أنّ قتال المبتدع مقدَّم على قتال المرتد. قلنا لهم: "كيف قتال المبتدع مقدم على قتال المرتد؟!

فقاموا وجاؤوا بقول للإمام أحمد والقول صحيح سُئل -رحمه الله- عن الكلام في المبتدعة، فقال: "هو خير من قيام الليل"..

***

*[310] بسم الله..

فقلنا لأخينا: صدق الإمام أحمد، وحذاؤه على رأسي من فوق، كلامه صحيح في عهده في آخر القرن الثالث، كان في عصر المعتصم حوالي ٢٦٠هـ.

فهذا الرجل -رحمة الله عليه- خرج وجيوش الخلافة تغزو والسبي يُحمل إلى الخلافة من كل حدب وصوب، والجزية والخراج، وهارون الرشيد يتحدّى الغيمة يقول لها: "أمطري حيث شئتِ فإن خراجك سيأتيني". والمعتصم في عهده رغم المحنة ركب إلى عمورية بثمانين ألف فرس أبيض، لأن واحدًا روميًا تحدّاه وقال لامرأة: "ليأتيك المعتصم على فرس أبلق". فاشترى من بيت المال ثمانين ألف فرس أبيض غزا فيها عمورية، وخرج معه أبو تمام.

هذه حالة دولة في هذا العز، النصارى يدخل منهم في دين الله كل يوم الآلاف. هذه حالة الأمة فكانت المشكلة عند الإمام أحمد هي ظهور مبتدعة. هذه المشكلة في عهد الإمام أحمد كم رقمها بالنسبة لأولويات المسلمين؟ رقمها واحد، فقال: "هي خير من قيام الليل"، يقصد أن الكلام في المبتدعة خير من قيام الليل.

---

[310] **بداية تفريغ الملف السادس والعشرين.**

فقلت له أنت رقِّم لي مشكلة المبتدعة في الجزائر الآن أو في الأردن، الأشاعرة مشكلتهم معنا نحن أهل السنة والجماعة كم رقمها بالنسبة لقضايا المسلمين؟ إذا وضعنا أنَّ خمسين ألف امرأة في البوسنة حملت من الاغتصاب! منها ثلاثين ألف وضعت وأخذ النصارى أولادها لمدارس التنصير والتبشير، الآن هناك ثلاثون ألف ولد من الزنا السِّفاح، من أم بوسنية وأب صربي يجنّدون عند الكنيسة جيوشًا للمستقبل. فأين تقع مشكلة المبتدعة؟!

شوف مشكلة جنوب لبنان، انظر لهذا الذي يقول: "تبارك وجهك القدسي فينا" واحد مسخ يمدح صدام حسين، انظر إلى شيخ الإسلام الذي خرج معه أن مجدّد القرن الخامس عشر الهجري الملك حسين!، انظر للبلاوي في العِرض، وفي الأرض، وفي الدين. قضايا الشرعية هي بالتسلسل: الدين، والعرض، والنفس، والأرض، والمال، هذه هي مصالح الشريعة وانظر ماذا صار فيها ثم قل لي أين مشكلتك مع هؤلاء الذين يتسفسطون في علم الكلام والمبتدعة وغير المبتدعة. كم عددهم بالنسبة للأمة؟ وما هو وجودهم؟ مَن مِن الناس يعرف عقيدته حتى نرقّم هذه المشكلة، حتى تُعلن الحرب على المبتدعة؟!

هذا الكلام ما كان كلامًا فارغًا تحوّل في قضية الجزائر تحوّلًا مسلحًا، تُرك قتال الفرنسيين ثم قتال الدولة، ثم قتال الشرطة والجيش، ولحقوا جماعة الإنقاذ وجماعة محمد السعيد والجماعات التي هي أصلًا تقاتل الدولة على طريقة معوجّة ذهب هو يقاتله! فهذا كان له أثر في القضية، فأين فهم الواقع في هذه القضية؟!

الفقيه الآخر مساعد الفقيه الأكبر في لندن، خرج بفتوى من أعجب ما يكون نشرها في لندن، وانظر لمتَّكئات التَّكفير فيها وانظر للهندسة في الفقه!، قال: الأمة كلها الآن في أي بلد ثلاثة دوائر: دائرة موحّدين على عقيدة أهل السنة، ودائرة كفر يحاربون الحق، ودائرة عوام الناس وهم جزآن: كل من يأخذ مرتَّبًا من الحكومة؛ جندي، شرطي، معذّب، جلّاد، هؤلاء في دائرة الكفر، ومن في غير الأجهزة السلطوية، ويأخذ مرتبًا: أستاذ، ممرضة، كنَّاس شوارع، بائع جرائد، يعبئ البترول في السيارات، وفقط مرتَّبه من الدولة، هؤلاء كلهم في دائرة الإثم. فالناس كلها إما في دائرة الكفر، أو دائرة الإثم، أو دائرة الحق!، وأنا سمعته بأذني وناقشته فيها ليالٍ، وممكن أذكر لك اسمه بعد التسجيل، لا أريد أن أسجّله هنا.

مدرّس يدرّس الناس لغة عربية موظّف في وزارة التربية، قال هو في دائرة الإثم لأنه يأخذ راتبًا من الدولة. فقلت له طيب أين يذهب؟ افتح له أنت مدرسة ليدرّس عند أهل التوحيد ويعيش!.

هذا نصف الطامة، أما الطامة الكبرى قال: إذا أصبح للدائرة الموحّدة شوكة وأعلنت الجهاد وصار لها أراضٍ تجاهد فيها ما عادت هناك دائرة إثم، صارت فقط: دائرة حق ودائرة كفر. فكل من يأخذ مرتبًا من الدولة هو في دائرة الكفر!! قلت له لماذا؟ قال لأن هذا الموظف في البريد يأخذ مرتّبًا من الدولة، لو ترك البريد تنهار الدولة، لو الكنّاس الذي يلمّ الأوساخ ترك حمل الأوساخ تنهار الدولة!، فنحن في دولة مؤسسات، الكل يحملها؛ الجندي يحملها، أمن الدولة يحملها، الممرضة تحملها، المدرس يحملها، الدكتور يحملها، كنّاس الزبالة يحملها، فهم في نفس الوزر، لأنه صار هناك موحّدون يلحقون بهم.

وهكذا قال: "الآن أدين الله أن هذه الحالة هي الحالة في الجزائر، من مع الجماعة المسلّحة هم في دين الله، وباقي من يأخذ مرتّبًا في الدولة على أي وظيفة هم في دين الطاغوت"!!

مجالس شيخ أبو فلان والشيخ أبو علان، فكل رأس مال المسألة بسيط جدًّا بخمسة وعشرين ريالًا بشتًا وبخمسة وعشرين ريالًا عمامة ويصير شيخًا!. لا أمزح معك، شيخ وجالس وخطبة جمعة ودرس بعد الجمعة، ويقول: وأدين الله أن نصفهم كفار ونصفهم مسلمون!

قلت له: الشعب الجزائري ٢٤- ٢٥ مليون، فيهم حوالي ١٥ مليون يعملون في وظائف الحكومة، دولة مؤسسات أصلها اشتراكي، كل القطاع العام يأخذ كل الوظائف، عمال النسيج، عمال البر، منظفّي المجاري، مدرسين، هؤلاء كلهم يأخذون رواتب من الدولة. يعني كم واحد يعمل في القطاع الخاص كمزارع أو تاجر؟ أقل من عشرة في المائة من السكان، فالناس كلها موظّفة عند الدولة. أنت حكمت عليهم أنهم في دائرة الإثم قبل أبي عبد الرحمن أمين، وفي دائرة الكفر بعد أبي عبد الرحمن أمين!

طيب لو جاء هؤلاء الناس وقالوا لك: نحن سنخرج من دائرة الكفر، سنترك العمل عند الحكومة، خذونا لأراضيكم، هل تستوعبونهم؟! تأخذونهم، تطعمونهم، تصونونهم، وتضعونهم عندكم؟ أين يجلس ٢٤ مليونًا لو اقتنعوا فيكم وجاؤوا عندكم وأعجبتموهم أين تضعوهم؟! قال: "عندهم أراضٍ".

التفت الشيخ الأكبر وكان في الجلسة، قال: أصلًا أخبرنا إخواننا أن عندهم الآن مناطق جبلية ٢٠٠ كم لا تتجوّل فيها الدولة، وقالوا أرسلوا أي صحفي ممكن يأتي عندنا. قلت له: لأنكم أغبياء في حرب العصابات والعلم العسكري لا تعرفون ما معنى الـ(٢٠٠ كم) الجبلية هذه، هي مناطق مثل مطار بدران الآن، الذي يأخذها لا يدافع عنها،

فيتركها، لا هذا يأخذها ولا هذا يأخذها، فتصير منطقة محرّرة بين الطرفين، لو هذا أخذها يستردّها منه الآخر، ولو هذا أخذها يستردّها منه الآخر، فتُترك حرّة. فقلت له هذه الـ(٢٠٠ كيلو متر) يستطيع أن يحمي فيها الناس لو جاؤوه؟!

أما كنا البارحة نقول لماذا لا يرسلون لنا رسالة؟ فقالوا الطريق مقطوع إلى مكان الفاكس، قلت له: واحد لا يستطيع أن يرسل فاكسًا تقول لي عنده ٢٠٠ كم يريد أن ينقل عليها الشعب الجزائري!، وتضع الشعب الجزائري تحت طائلة الكفر والإثم والكلام الفاضي؟!

أين أثر فقه الواقع؟! أصلًا الشريعة كلّها قائمة على أن الأحكام الشرعية منوطة بأحكام حال الناس. لذلك الله – سبحانه وتعالى– وضع لنا أحكامًا دقيقة في الأكل، في الطعام، في الجماع، في الخلاء، لأن هذه ظروفها لا تتغيّر.

ولكن في السياسة الشرعية والاقتصاد أعطانا أربعة أو خمسة أحكام وخطوط عريضة وترك للناس أن يكيّفوا أمورهم بناء على خطوط عريضة. لماذا؟ لأنها متغيّرة، فأصلًا قال الإمام ابن تيمية: أن السياسة الشرعية مدارها على المصالح والمفاسد، وليس على الأحكام القطعية.

فأين فقه الواقع في تيّار الجهاد؟! وأنا أضرب لكم الآن أمثلة، فكل بند من هؤلاء لو نقف عنده سنقف ساعتان، لأنه صار لنا عشر سنين ونحن في الخط على نفس الحال.

٧– عدم التزام المنهج المقرّر في حالات تحت دعوى المصلحة:

الآن نأتي بعدها إلى عدم التزام المنهج المقرّر في حالات تحت دعوى المصلحة. تنظيمات جهادية وتعمل بالجهاد، وتحمل السلاح، وعندها منهج، وعندها ترتيب، وعندها أصول وعندها كذا، تجد مثلًا أن جماعة حماس تجاهد وجزاهم الله خيرًا وعلى ثغرة مع اليهود. في انفجار الخُبر، قالوا: "هذا العمل الإرهابي الإجرامي نحن مع الحكومة السعودية، وإذا نستطيع المساعدة في الكشف عن فاعله لفعلنا"، وهذا جهاد ضد الصليبيين! ثم علّق على ذلك الناطق الرسمي باسم حماس، قال: "فحركة حماس والحكومات العربية في خندق واحد ضدّ اليهود"!!

فهذا أصلًا لا يعرف رأسه من رجليه، ولا من مع اليهود ولا إيش القصة، فتريد أن تفهمه شريعة أم سياسة أم تفهمه تاريخ أم ماذا؟!

في المقابل جماعات جهادية منهجية أصلية منهجها من أحسن ما يكون، كتبوا كتبًا عظيمة ضدّ الديمقراطية. لما قام الترابي أيدوا الترابي، ونزلوا من أفغانستان الأفغان العرب يجأرون إلى الله في قنوت رمضان يدعون للبشير وللترابي وللحكومة الإسلامية!، ووضعوا لجنة شرعية على رأسها رجل يقول بأن هذا الرجل إمام شرعي طاعته واجبة، فأين المنهج في هذه الحالة؟!

جماعة جهادية أخرى من مصر وقفت موقفًا شرسًا مع جماعة الإنقاذ ضدّ الجهاد الصحيح، جماعة الإنقاذ موغلة في الديمقراطية إلى رأسها، وهذه الجماعة تكفّر الديمقراطية!، فتجد أن هناك اضطرابًا بين المنهج والموقف الذي نعمله.

فهذا يسبب كوارث، ويسبب آثامًا ومعاصٍ عند الله -سبحانه وتعالى- ويحجب النصر، ويحجب التوفيق، ويعمل بلابل وقلائل بين الناس. فهذه بعض البلاوي.

آخرها وهذا مهمّ جدًّا ودقيق، لأن أصعب فكرتين نشتبك عليهم في البحث هما (مشكلة السلفية) و(مشكلة الحاكمية)، لأنه يصعب فهمهما، لأنهما أساس الفكر الجهادي.

فالقول بالحاكمية بُني الجهاد كله عليه، كل حركات الجهاد بُنيت على: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}[٣١١]. فبُنيت على مبدأ الحاكمية. وهذا صحيح طبعًا قطعًا جزمًا، وهو عقيدتي وعقيدة كل الجهاديين الذين أعرفهم. الحاكمية بُنيت على متّكئات فقهية محدَّدة؛ مثل التمايز، المفاصلة، إلى آخره في التعامل مع الحكومات.
دخلنا من هذا المدخل وهو صواب، فما الذي حصل؟

الذي حصل: وقف لنا علماء أهل السنة كلها، كل الطوائف، شيوخ الأزهر، هيئة كبار العلماء، البوطي، الزنداني، الألباني، كل الناس وقفوا قالوا: الحاكم ليس كافرًا، وهو كفر دون كفر. قلنا لهم: قال ابن عطية، قالوا لنا: قال ابن عباس، قلنا لهم: قال مجاهد، قالوا لنا: قال مقاتل، وقالوا لنا: نحن الهيكل الديني لأهل السنة!

طيب نحن كلامنا صحيح ليس فيه جدال، ولكن أنت معك ثلاث نشرات؛ نشرة من أجل التحريض على الجهاد في مصر، تطبعها في بيشاور وتتوزَّع في باكستان، ومضمونها: يا أهل مصر اجتمعوا وجاهدوا!، بيان تُخرجه هنا وتوزعه في باكستان وهو لتحريض أهل الجزيرة!، في حين أن الدشوش والصحف والمجلّات والمؤتمرات، وندوات العلم، وطلبة العلم، والمساجد، يأتي بهذا الحشد كله من طرف الحكومة ليقنع الناس أنه: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم

---

[٣١١] سورة المائدة، الآية: ٤٤.

الصالحون!"، وأنت تقول: {فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}، ففي النهاية الأمة كلها اقتنعت أن أولئك هم الصالحون!. فالسِّجال الفقهي بيننا وبين الحكومات خسرناه بسبب علماء النفاق، والحركات الإسلامية، والذين دخلوا البرلمان وغيره.

طيب خسرناه ونحن أهل الصواب، خلاص هل حكم الله عليَّ ألَّا أدخل إلا من هذا الباب وليس هناك باب ثانٍ؟! ليس في القرآن آية أخرى؟ ألا توجد مداخل مفهومة لعقول العامة لا يمكن أن يناطح أو يناقش فيها أحد ولا منافق ولا غيره؟ امشي في القرآن قليلًا تجد: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}[312]. منهم يعني من؟ يعني الكافرون.

هذه الآية تصرفها أنت في البلدي عند العامي وتشرحها له بلغته التي يفهمها فتقول له: "يعني اللي بيجيب اليهود وبيدخل في صفهم هم يهود مثل حكايتهم يا عمي". الله -سبحانه وتعالى- قال: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} هذه الحالة هو يعيشها كل يوم، لا تحتاج مشايخ ولا تحتاج أحد.

تقول له: الذي يأتي بالصليبيين في المغرب، وينهبوا الشركات، والناس تبيع أعراضها في الدعارة. في بلاد المسلمين من تركيا إلى المغرب الدعارة انتشرت بسبب الفقر!، يا أخي هذا بسبب النهب ولأن حكامك أخذوا البترول وأعطوه لهؤلاء، فيقول لك: "والله كفرة شوف إيش عملوا فينا".

فهناك مداخل هي شرعية صحيحة، وقريبة من عقول العامة. والرسول ﷺ قال: (أُمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم)[313]. وعلي بن أبي طالب قال: "حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!"[314] الناس لا تسمع ويكذّبون الله ورسوله، مفاد الحديث أنك إن لم تخاطب الناس على قدر عقولهم أدّى ذلك إلى أن يكذّب الناسُ اللهَ ورسولَه. فإذا كان الناس يكذّبون الله ورسوله لن يكذّبوا ابن لادن وسيد قطب وأبا محمد وأبا علي؟! هم يكذبون الله ورسوله لأن المسألة غير مفهومة عندهم، فيكذبوننا، وكذبونا فعلًا، وعلى مدى ثلاثين سنة كذّبونا وبقينا عشرين واحدًا.

---

[312] سورة المائدة، الآية: ٥١.

[313] يقول الزركشي في (اللآلئ المنثورة) صـ ١٠٧: (الحَدِيث الْحَادِي والاربعون أمرنَا ان نُكَلِّم النَّاس على قدر عُقُولهمْ رَوَاهُ صَاحب مُسْند الفردوس من جِهَة ابي معشر عَن رجل سَمَّاهُ عَن عِكْرِمَة عَن ابْن عَبَّاس مَرْفُوعا وَفِي اسناده ضَعِيف ومجهول).

[314] صحيح البخاري (١٢٣).

لذلك أنا قلت أن **الفكر الجهادي معظمه يقوم على فقه صواب ولكنه ناقص، صواب ناقص وليس خطأ**؛ هناك مداخل كثيرة نستطيع نحن أن نبرز منها مبادئ تجمع الناس على دفع الصائل، لأنها حالهم التي يعيشونها. تحرض أهل اليمن تقول: بترول الجزيرة حق لمليار مسلم، ومعظم الشعب اليمني يتلقط من الزبالة في الليل ليأخذ بقايا الأطعمة لأولاده. ومليار دولار تخرج على بعد ٢٠٠ متر منك توزَّع على ٦ آلاف شخص من أصل ٣٥ مليونًا. فهذه لك، الشريعة قالت أنها لك، الله –سبحانه وتعالى– قال: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ}[٣١٥]، فهذه قضية للمؤمنين توزيعها في القرآن موجود.

سيدنا إبراهيم لما دعا في بناء الكعبة قال: {وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ}[٣١٦] فهذا الرزق هو لمن آمن بالله، وليس لثلاثين واحدًا!

هذا الكلام أن بترول أهل الإسلام لأهل الإسلام، كلام شرعي أم علماني؟ فقهاء لندن قالوا لي: "هذا الكلام علماني!، حشد الناس على الاقتصاد، نحن نحشد الناس على التوحيد"!. ما التوحيد؟ هل التوحيد يعني أن يأخذ فهد بترولنا؟! ومن الشرك أن تقول هذا البترول للمسلمين؟! أين أنتم، وأين عقولكم؟!

من مقاصد الشريعة: حفظ الدين وحفظ العرض وحفظ المال وحفظ الأنفس، الرسول ﷺ قال: (كاد الفقر أن يكون كفرًا)[٣١٧]، كفرت الناس بالفقر. وقضية الأعراض والكرامة.

الآن هنا اشتبكنا مع "فقيه أفغانستان" ويقول لي: الجهاد غير شرعي مع الطالبان، وغير شرعي في البوسنة، لماذا؟ قال: الجهاد لا يكون إلا من أجل (لا إله إلا الله). ومن قال لك الجهاد لا يكون إلا لأجل لا إله إلا الله؟ قال: قال الرسول ﷺ: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)[٣١٨]. قلت له: فقط قال هذا ولم يقل: (من قُتل دون دينه فهو شهيد)[٣١٩]، و(من قتل دون ماله)[٣٢٠]؛ ثلاثة دراهم ما علاقتها بالتوحيد؟ واحد جاء يأخذ منك ثلاثة دراهم

---

[٣١٥] سورة الحشر، الآية: ٧.
[٣١٦] سورة البقرة، الآية: ١٢٦.
[٣١٧] شعب الإيمان للبيهقي (٦١٨٨). ضعفه الألباني في (مشكاة المصابيح).
[٣١٨] صحيح البخاري (١٢٣)، صحيح مسلم (١٩٠٤).
[٣١٩] سنن الترمذي (١٤٢١)، سنن النسائي (٤٠٩٥)، والحديث صححه الألباني.
[٣٢٠] صحيح البخاري (٢٤٨٠)، صحيح مسلم (١٤١).

فدفعته وقُتلت، فأنت شهيد. ممكن الإنسان يموت شهيدًا في معركة غير شرعية؟ فقال: (دون ماله، دون عرضه، دون دمه)، وبالآخر حتى لا تتفلسفوا علينا أبدًا قال: (من قُتل دون مظلمة).

ولاحظوا اللغة العربية: دينه، ماله، عرضه، دمه، كلها منسوبة (له)، ولكن ما قال (مظلمته)، قال: (من قُتل دون مظلمة) مطلقًا؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– أنزل الكتاب ليقوم الناس بالقسط. الأصل من الرسالات أن تكون العدالة في الخلافة في الأرض، فإذا استحكم الظلم فأصبح دفعه عن نفسك، عن غيرك، عن جارك، عن النصراني، سمعت الشيخ عبد الله عزام يقول: لو دفع رجل عن نصرانية تُغتصب ظلمًا وحرامًا فقُتل فهو شهيد، فما بالك عن مسلمة؟!

(دون مظلمة) أخذ البترول مظلمة أم لا؟! سرقة الثروات مظلمة أم لا؟! احتلال الأراضي مظلمة أم لا؟! سجن الذين يأمرون بالقسط من الناس مظلمة أم لا؟! مليون قضيّة تستأهل الجهاد، وجئت حصرتها في قضية "دينه" وهي خُمس الحديث.

هذا ليس من دينه؟ ظاهره ليس من دينه وأنه لأجل ثلاثة دراهم، ولكن قلت له: الدفاع عن ثلاثة دراهم هو في صلب التوحيد؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– أمر بالدفاع عن ثلاثة دراهم، فصار توحيدًا. فهو أمر الله –سبحانه وتعالى–.

فقصرنا الفهم على أنه: "توحيد، شرك". طيب نقاتل من أجل إزالة الشرك وباقي البلاوي لا نقاتل من أجلها؟!

فقلت له: يعني أنت أين الجهاد عندك فقط؟! تعال للتاريخ، لو أمسكت التاريخ تجد أن الأمة كلها جاهدت ودفعت الصائل، طبعًا هو ما حصّل الأمويين والعباسيين والقضية والدنيا ودفع الصائل وكان فيه مصائب كثيرة في الأمة وأخطاء وبدع ومصائب وقبور إلى آخره، والناس دفعت الصائل في وجود كبار الأئمة.

فقال لي في الآخر حتى يخرج من القضية: أنا ما يلزمني إلا مرحلة النبوة وأبي بكر وعمر. هذا مخرج!، النبوة عشر سنين، وأبو بكر وعمر ١٢ سنة، وحتى لا يزعل نضع كل الخلفاء الراشدين ٣٠ يعني يلزمه ٤٢ سنة من ألف وأربعمائة وعشرين سنة!، وأين باقي العلماء والفقهاء والضرورات والفقه الذي قُسِّمَ وأُلِّفَ في مصالح المسلمين؟! كيف لا تلزمني كل هذه المعارف؟! (من قُتل دون مظلمة فهو شهيد)[٣٢١].

[٣٢١] معجم الطبراني الكبير (٦٤٥٤).

فالشاهد في الموضوع: هناك أبواب عظيمة في الفقه، ممكن أن نجرّ منها الناس إلى حمل السلاح. ونحن لا نريد إلا أن نُدخلهم من خرم صغير هو الحاكمية فقط! وهم ما دخلوا من الخرم. هذا الخرم هو صحيح، ولكن واحد ما فهم المسألة، نستدرجه من مسألة أخرى.

فهو حصر في هذه المسألة: قضايا الحكام والأعوان. كل الكتب: حكام أعوان، أعوان حكام، حكام أعوان..!، يا أخي هناك مليون مدخل ندخل منهم.

ولذلك نأخذ من هذا أن ننتقل من حصر الفقه في الفكر الجهادي إلى انفتاح الفقه كله، ونخرج من فقه الحاكمية وهو صحيح إلى فقه دفع الصائل وهو صحيح. عند ذلك ممكن تدخل الناس في الجهاد أفواجًا حيث لن يدخلوا معك بطريقة أخرى.

هذه نبذة سريعة عن بعض الأخطاء في الفكر والمنهج والتي أدّت إلى عدم شعبيتنا وانحصارنا وانعزالنا عن الأمة. فهذا الباب الأول من الأخطاء.

القسم الثاني: أخطاء في البنية والهيكل

[٣٢٢].. في هيكل التنظيمات الجهادية هناك أخطاء أدّت إلى الهزيمة، أول هذه الأخطاء: القطرية.

طبعًا التنظيمات كلها كانت قطرية، هرمية، سريّة، مسلّحة. هذه التنظيمات كلها كانت هكذا، قطرية في حدود القطر، هرمية فالبناء هرمي في التنظيم، سريّة تعتمد السرية في السير والحركة، مسلحة تعتمد القتال المسلح. طبعًا مسلحة هذا ليس عيبًا، فبقي عندنا: أنها قطرية هرمية سرية. وهذا في جانب منه كان إيجابيًا، وفي جانب منه ولّد سلبيات كثيرة.

١– القُطريَّة:

سنأخذ السلبيات التي بُنيت على هذا الهيكل: أول شيء كونها **قطرية**، ببساطة جدًّا من حيث التكتيك العسكري أنت تناور في حدود قطر، تحارب هؤلاء في هذه الحدود، لا تنظّم أحدًا من هناك، لا تستخدم أي أحد من هنا. وهذا

[٣٢٢] انقطاع في التسجيل.

صاحبك نفس الشيء. أنت تناور هنا، لما تخرج هنا وأنت تقاتل هنا الاستخبارات التي تقاتلك بأسلوب إقليمي، كل مخابرات الدول العربية تتابعها، ثم بأسلوب دولي، ثم إذا هربت من هنا إلى أي دولة صار هناك نظام عالمي أصبح يطحنك، هذا الكلام كان غلطًا من الأساس، وهو خلاف المفهوم العقدي عندنا {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً}[٣٢٣] وأننا أمة واحدة.

فابتداءً الخلل عقدي. بعد ذلك ولّد عندنا خلل سياسي في الدعوة، أنك تدعو ثلاثة ونصف مليونًا، فالثلاثة ونصف مليونًا هؤلاء لن يُخرجوا من يكفيك لقتال العالم كله.

فبعد الخلل السياسي ولّد خللًا عسكريًا، وهو أن هامش المناورة عندك والحركة في قطر مسطَّح، كما قال أبو خالد: "مشكلتنا في مصر أنها أرض مسطَّحة وشعب مسطَّح، فكيف أجاهد فيها؟!"، وفعلًا الأمة أغلبها مسطَّح إلا ما رحم الله!

فهو حصر نفسه في إقليم، أني أريد أن أنشئ تنظيمًا هنا، فعنده إمكانيات المناورة هنا، فابتداءً هناك خلل في حشد الأمة معه، وخلل في المفهوم السياسي لأنه يتحرك في رقعة صغيرة في قضية أممية وهو يتحرك بإمكانيات قطر. وخلل عسكري أن البلد كلها استراتيجيًا ساقطة، غير صالحة لحرب العصابات، ليس هناك أي قانون من قوانين حرب العصابات يصلح فيها، ولا في الأردن، ولا سوريا، ولا تونس، ولا ليبيا، لا تركب عليها قوانين حرب العصابات. وهو يريد أن يستخدم أسلوب حرب العصابات!

فحصر نفسه في جملة من الأمور وبنى التنظيم على أسلوب قطري، فحُصر فكانت أسوأ نتيجة. فكل خطأ يخرج معنا ينبغي أن نستخرج منه صوابًا، وبالتالي مجموع هذه الصَّوابات يشكّل عندنا طريقة جديدة في التفكير.

هذه مشكلة القطرية.

٢- الهرميَّة:

الآن مشكلة الهرمية نسأل الله السلامة، بلوة البلاوي وأساس المصيبة البنية الهرمية!

---

[٣٢٣] سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

البنية الهرمية تقوم على أن هناك شخصًا أو مجموعة أشخاص شكّلوا قيادة، هذه القيادة مرتبطة بمجموعة قيادات مجلس شورى، هؤلاء كل واحد منهم مرتبط بمجموعة، هؤلاء منظّمون لمجموعة خلايا الجهاد العسكري والجهاد الدعوي، وأخرجوا شعارات عجيبة: (سريّة التنظيم وعلانية الدعوة) !؛ التنظيم سريّ والدعوة علنية، المخابرات تراقبه بعلانية الدعوة، فتكشف سرية التنظيم. يأخذوه للسجن وأول عصايتين على قفى الدعوة يعترف على بقية التنظيم مباشرة، وهذا حصل على أربعين سنة متكررة..!

أخذناه وورثناه عن الإخوة، ومارسناه في الجهاد نفس الشيء، أينما نجنّد، أينما نحاضر، أينما اجتمع الشباب ما شاء الله عليهم لابسين أفغاني وطالعين من المسجد وواقفين على باب المسجد، سلام عليكم، وعليكم السلام، لباس أفغاني، ولحيته وقميصه، ويأخذه على جنب: "والله رأيت فلانًا واشترينا سلاحًا"، وكل الناس ترى، وهكذا سرية التنظيم!

وفوق المصيبة أن التنظيم هرمي، ولو أخذوا واحدًا من حلب وأرسلوه للشام يرجع في الشام يعمل هرمًا، أخذوه من الزرقاء ووضعوه في العقبة فرجع عمل هرمًا، هذا الهرم من ميزاته أنه متسلسل. طبعًا هذا التنظيم الهرمي فيه ميزات وهو أنه قوي تنظيميًا، لأن أي أمر يصدر من القيادة عند المساء يكون في كل التنظيم، فهو قوي تنظيميًا، مسيطر عليه، فيه سيطرة.

أي شيء، أي خبر، أي مشكلة تحدث، تصل للقيادة وتبحثها خلال ليلة أو ليلتين. فهو قوي تنظيميًا، ولكن أمنيًا هشّ جدًّا. خاصة مع أنظمة التعذيب، والاعتقال، وهتك الأعراض، والكهرباء، وآخرها جُرع الهروين والمخدرات الخاصة بحيث أنك تتكلم وأنت في حالة غيبوبة! فإما أن يخرج تحت الكهرباء أو تحت المخدرات!، فكله معروف وكله مكشوف، فصارت تُمسك التنظيمات وخلال يومين تسقط كلها.

ورغم هذه الطريقة نحن ما زلنا في (درب الحرير ودرب التبانة) في الشغل! الجزيرة- اليمن، اليمن- كراتشي، كراتشي- بيشاور، بيشاور- خلدن، هي القضية نفسها، فأمسكنا في الطول وفي العرض، وعلى طول المسار عارف فلان وعارف علان. ولما اخترع اختراعًا جديدًا ذهب لقندهار وهي نفس القصة. فهو أسلوب متخلّف!

هذا الكلام كان نافعًا لولا طريقة التعذيب والكهرباء، ولذلك نزل من هنا عشرة أو عشرون ألفًا تدرّبوا خلال سنتين ثلاثة، هل سمعتم بعمليات حصلت؟ ما سمعنا إلا اعتقالات، تعذيب، كهرباء، تعذيب كهرباء اعتقالات!، طيب هل نهاية الشغل من أجل هذه القضية؟!

فأسلوب مكهرب أصلًا ومتخلّف. هذا الأسلوب آتى ثمارًا في السبعينيات، وآخر ثمار آتاها في الثمانينات، بعد ذلك صار معروفًا.

نحن في سوريا اخترعنا نظام المخابئ، المخابئ ضمن المدن والجدر الاصطناعية، تضع جدارًا اصطناعيًا وتعمل فيه مخبأ، اشتغل سنة، ثم من كثرة ما كُشف من القواعد صارت الدولة لما تدخل بيتًا تنظر هكذا مباشرة تتوقع أنه المخبأ إما هنا أو هنا، فيسكبون الماء فيسيل بهذا الاتجاه فيعرفون أن فيه مخبأ، يضربون بالمطرقة فيكتشفونه، فعرفوا طريقة كشف المخابئ.

كل المواعيد كنا نعملها على موقف الباص، باكيت دخان تضع فيه رسالة، يُخرج الباكيت ويعطيه الرسالة ويُلقي السيجارة. أسبوع أسبوعين، صارت المخابرات لما ترى اثنين معهم باكيت دخان على موقف الباص معناها عندهم موعد! فخلاص معروفة القضية، فلماذا أنت متمسّك بها؟!

فأساليب استخدمتها وبليت ارمِها، تبتكر أسلوبًا ثم تغيره وهكذا، ولكن لما تتحجّر أنت على أسلوب قد عرفه العدو يفرمك فيه فرمًا، فهو طريق كمين.

فهذا الأسلوب -أسلوب العمل الهرمي- في سنة ١٩٨٠ نجحت الدولة في تصفية التنظيمات بسببه، فقامت التنظيمات وعملت تكتيكًا جديدًا، وهذا السباق بين اللصوص والشرطة دائمًا قائم، تتطوّر الشرطة على فهم اللصوص، ويتطوّر اللصوص على فهم الشرطة. ولذلك تجد لصوص باريس راقيين، ولصوص باكستان متخلّفين، فهو هكذا مستواه.

فهؤلاء تطوّروا قليلًا، لما رأوا التنظيم ضُرب أرسلوا القيادات خارج البلد. يعني الاتفاقات والتمويل والإعلام في الخارج. فصار يُمسك الأول، يأتي بالثاني، فيريدون أن يصلوا للرأس فيجدونه بالخارج، فانقطعت التحقيقات هنا، فصمدت التنظيمات عشر سنين من الثمانينات إلى التسعينات بسبب نقل خيوط الارتباط إلى الخارج.

تطوَّر لصوص العصابات وعرفوا القضية. فالآن تطوَّرت من؟ الشرطة، إذا كانت القيادة في الخارج معناها يجب أن يصير تنسيق إقليمي مع استخبارات الدول الأخرى حتى يأتي به، فانتقلوا إلى التنسيق الإقليمي، في سنة ١٩٩٠ قام نظام التنسيق الدولي لمكافحة الإرهاب. فهذا الأسلوب كله تعطل مع نظام دولي لمكافحة الإرهاب ولم يعد يصلح.

عندنا فريق الحارة يلعبون كرة قدم، يهجمون كلهم على الكرة والشاطر يسجل هدفًا، أما مدرب ألمانيا لما يريد أن يضع خطة كرة قدم لمنتخب ألمانيا يمسك القلم ويعمل على الكمبيوتر، ويحلل: في المباراة الفلانية حصل معنا هكذا فالآن نعمل كذا، فهذا استخدام العقل في العمل، واستخدام الورقة والقلم في العمل.

هذه الطريقة التي ترونها هي طريقة إلى الآن منبوذة ومحرّمة في العمل الجهادي! معشر النخب!

أمسك الورقة والقلم وقيّم أننا في السبعين اشتغلنا هكذا وانضربنا، في الثمانين اشتغلنا هكذا فانضربنا، في التسعين اشتغلنا هكذا، فأنشأوا النظام الدولي لمكافحة الإرهاب فانضربنا، طيب ماذا نغيّر؟

الآن كل الذي قرروا أن يعملوه في التغيير قالوا: نغيّر أرقام التليفونات، نغيّر الشيفرة، نغيّر المراسل!، طيب هو نفس الأسلوب!، فضحت نفسك وأنت تتكلم في تليفون مراقب، قال: لا نحن آخذناه على اسم أخ أفغاني جديد من أسبوعين، من أسبوعين جديد؟! من أسبوعين كم مكالمة هاتفية عملت؟!

أنا رأيت برنامجًا على التلفزيون البريطاني الجماعة يشرحون للشعب من باب الديمقراطية كيف يراقبون الهواتف. فقال: هذا الهاتف مراقب نعمل عليه دائرة خطر، فأي هاتف يدخل عليه يُفتح له دائرة صغيرة، ممكن بين فرد وفرد يتحدَّث معه وليس له علاقة ولكن يوضع تحت مراقبة يومية لأيام أو شهور، إذا رأوا هذا الذي خاطبه يتكلم مع أناس كثيرين وله أهمية يستمرون في مراقبته وفتح الدوائر حوله، إذا وجدوا أن من يكلمه فقط أهله وليس له أهمية يتوقفون عن مراقبته.

فهذا كيف كُشف؟ كُشف نتيجة مكالمة واحدة مع تليفون مهمّ! ففُتحت له دائرة كبيرة!، هذا كُشف، ثم هذا كُشف، وهكذا فكشفوا كل الشبكة.

بعد ذلك أدخلوا الكمبيوتر بحيث يمكن تسجيل خمسين ألف مكالمة بزر، وتعريضها للتحليل. بعد ذلك طوّروا النظام إلى ما يُسمى بصمات الأصوات؛ كل إنسان خلقه الله مميّزًا، دمه مختلف، عرقه مختلف، شعره مختلف عن كل شخص آخر، هذا في الطب الجنائي يستخدمونه في تتبع الأدلة، سبحان الله من عظمة الله -سبحانه وتعالى- تجد كل إنسان

مختلفًا عن أي إنسان آخر في كل شيء في البيولوجيا؛ بالتحليل يكشفون فلانًا؛ من أي إفراز، أي عرق، أي شعر، أي ظفر، أي بصمة مختلفة، المخاط، البقايا المنوية للإنسان، فهو دليل عليك. ومن جملة الأدلّة أن صوت الإنسان ذبذباته مختلفة عن صوت كل إنسان آخر. فيستطيعون أن يضعوا للصوت بصمة مثل بصمة أصابع فيبرمجون الكمبيوتر على الصوت...[324]

هذا بالنسبة لبصمات الأصوات، بصمات الأصوات تُفتح على بصمة الشخص وتُفتح على لهجة اللغة؛ فكل لغة لها أحرف مميّزة، الضاد في اللغة العربية، الخاء في الألماني، فيُبرمجون؛ الإيرلندي، الإيراني، العربي، بحيث لما يتكلم بالعربي تفتح، حتى لا يسجلوا كثيرًا. ثم يبرمجون على ألفاظ، مثل: جواز، حدود، فيزا، إرهاب، كلمات معيّنة معروفة تُستخدم، عرفوا من مكالماتهم أنهم يكررون مصطلحات معينة فبرمجوها، فإذا جاء صوت الرجل يفتح، إذا جاءت اللهجة يفتح، إذا قلت كلمة معينة يفتح..

الآن الإخوة طوّروا القضية ولم يعودوا يستخدمون التليفون، صار يخرج للكابين في الشارع. فوضعوا تحت المراقبة والتسجيل أقرب مائة كابين على الشخص المهم، يعني أنت تتكاسل مرة مرتين، مكالمة يجب أن تعملها الساعة ١٢، فتُكشف.

فأنا كنت أعرف هذه القضايا، وكنت أنزل بالسيارة إلى قرية خارج غرناطة وأمشي ١٢ كم، أخرج إلى بار في منتصف الليل وأتحمل مناظر البشر هذه، وآخذ تليفون صاحب البار وأقول له عندي مكالمة، وأتصل بالأخ الجزائري.

وعندما ذهبت إلى لندن عند الأخ الذي كنت أتحدث معه، وجدته يستقبلني باللباس الأفغاني في المطار، ومعه الموبايل الذي كنت أتصل عليه!! فقلت له: "هلكتني وشحوطتني وأنا رايح جاي عالبار وجاي شايلي إياه معك!!"..

فأحيانًا تحتاط وتحتاط ثم تجدها مخرومة في الوسط كله، ولذلك مثلما يقولون عندنا في الشام: "الوردة ما بتشكّل ربيع، وإيد لوحدها ما تصفق"، والقضية يا إما زهر فوّاح جماعي، يا إما لا تنصلح القضية.

وممكن أحكي لكم قصصًا كثيرة جدًّا، على مواقف أكون محتاطًا فيها في التواصل مع الإخوة، ويأتي الأخ في ثانية يرش لي رشتين ويكشف كل الأمر!

[324] انقطاع.

وهناك قصة أحكيها لأنها سُجّلت على الهاتف فصارت معروفة، بعض الإخوة الجزائريين الذين سُجنوا في بلجيكا كانوا أصحابي، سُجنوا في قضية السلاح والبلاوي هذه، فحُكموا أربع سنين، ويُعتبر حكمًا خفيفًا جدًّا لأنه كان الجهاد على سوقه، وقضيتهم بسيطة، أمسكوا معهم ١٣ رشاشًا و ٣٠٠ ألف طلقة فُسجنوا....[٣٢٥]

فمشت القضية على أنهم تجار سلاح، وانقضت محكوميتهم، فلما أرادوا أن يجدوا أرضًا يذهبوا إليها، كنت أنسق لهم مع ناس ليذهبوا لإسبانيا، وانقطعت القضية ولم يتم الأمر. فخرج لي واحد منهم كان يعرفني، واتصل بي: "السلام عليكم يا أخي، قلت له: وعليكم السلام، قال: معك أخوك فلان تعرفني؟ تذكرته أنا وقلت له: نعم. قال كيف حالك يا شيخ أبو مصعب؟ قلت له: بخير. قال لي: شو صار في قضية ترحيل الإخوة لما بيطلعوا من السجن مشان... "، حكى كل القصة في التليفون، وقاعدين نحن تحت الكنترول والإنتربول!

فمصائب تحصل!، يوم من الأيام كنت أتكلم على التليفون مع أخ، فإذا به يعطيني خبرًا وأصلًا قضية ليس لي علاقة بها، قال: "واحنا نازلين في البحر لجنوب إسبانيا شفنا تحرك لقوات الجيش الأوروبي الموحَّد، بيعملوا بمناورات مشتركة!"، فهم سيتصوَّرون أننا عملنا مصيبة أو عملنا شيئًا كبيرًا، قلت له: "على كل حال أنا عم أسوي المطعم اللي قلت لك عليه بلندن الآن، إن شاء الله بس أنزل رح أبعتلكم أربع غواصات يحاصروا قوات الكومندان اللي عندك"، لماذا تخبرني عنهم؟! مصائب!

وأحيانًا يعمل لك شيفرة حتى يخفي الأمر، فسموا الأختام (حوافر)، والجوازات (دفاتر)!، فقال: "فيه عندنا دفترين ابعتولنا الحوافر بدنا نعمل للأخ فيزا يسافر على فرنسا"!!

وهؤلاء الإخوة الذين يعملون الفيزا في لندن كانوا يعملون بطاقات ليأخذوا فيها غنائم، فهذه البطاقات قد تعمل وقد لا تعمل، فإن لم تعمل يُعيدوها ليغيروها. فالأخ يريد أن يعمل شفرة في المكالمة، يتصل بالأخ الذي عنده مصنع البطاقات، فقال له: "حطينا الميت في الصندوق فما وسع، بدنا صندوق أكبر"، قال له: "لا ميت ولا صناديق جيبلي الكارت أسوي لك إياه"، على التليفون!

فهذه الشفرة تواجه بقايا (KJB) وبقايا (M5) وبقايا (M6) والموساد، والمخابرات العربية، حتى صار وهو يعمل

[٣٢٥] انقطاع.

مثل هذه الشيفرة يقول لي: {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا}[٣٢٦]!

وهذا تابع لقيادة الخارج، هذه القيادة في الخارج مرتبطة في الداخل والتنظيم كله هرمي، والقصة كلها مكشوفة أوشكت على الفناء وفنيت، ولكن ما زالوا يتمسكّون بها!

وأنا أقول لكل أخ يعمل في تنظيم هرمي، أو يريد أن يؤسّس تنظيمًا جديدًا هرميًا: إما أن تغيروا هذا الأسلوب وإما عليكم رحمة الله، أنتم ستصلون إلى ما وصلنا إليه في سوريا سنة ١٩٨٢ لا محالة.

هذا الأسلوب يجب أن يتغيّر، شيء اسمه (تنظيم هرمي) في ظلّ النظام الدولي = خبل..!

قصص كثيرة جدًّا فقط أحببت أن أغير جو الملل وأحكي لكم بعض القصص الطريفة، وإلا هناك قصص كثيرة جدًّا وواقعية ومصيبة. وعلى مذاهب الاستحلال التي كان معظم الإخوة آخذين بها، وفيها جزء صحيح حتى أنا كنت آخذ بها، وفيها جزء لا يصح، من جملة الاستحلال أن في لندن يأتون بتليفون، يتكلمون عليه لعدة أشهر، يعني بأربعة آلاف باوند، ثم لا يدفعون الفاتورة فينقطع التليفون.

فعادة يجب أن يأتوا باسم آخر أو عنوان آخر ويعملوا عليه التليفون، لأنه عادة هذا الشخص الذي على اسمه هذا لا يفتحوا له تليفونًا آخر. وهذا العنوان غالبًا لا يعودون يسجّلون عليه تليفونًا.

انتبه لهذه القصة، البيت مفتوح فيه تليفون على اسم شخص، حتى تتكلم من الكابين في أوروبا من أي دولة أوروبية وليس معك مال، يعطوك شيفرة لهذا الرقم فأنت تذهب إلى الكابينة تمسك تليفون الكابين تضرب رقمًا إلى سنترال وتعطيه شيفرتك فيعطيك خطًا في الكابين تتكلم به في كل أنحاء العالم من أي منطقة في العالم إلى أي منطقة، ويأتي الحساب على فاتورة بيتك. قضية راقية ومتحضّرة ومحترمة.

فجاءت جماعة الاستحلال وعملوا تليفونًا، وصاروا يذيعون الرقم بينهم، وأنا لا أنكر هذه القضية فهي بحاجة إلى تفصيل ليس محله الآن، لكن أتكلم عن الجانب الأمني، فالجانب الأمني أنه صار هناك عشرة أشخاص معهم هذا الرقم يتكلمون عليه من أي مكان في العالم، فخلال شهر تأتي على التليفون أربعة آلاف لا تُدفع، فينقطع التليفون.

---

[٣٢٦] سورة يس، الآية: ٩.

فمرة من المرات جاء واحد يقول لأخ: خذ هذا الرقم احكي فيه، فأخذ الرقم ثم انقطع بعد فترة لأنه لم يُدفع. فلما انقطع يحصل أحد أمرين: الأول أن هذا الشخص وهذا البيت لا يأتيه تليفون آخر طالما الفاتورة غير مدفوعة. الأمر الثاني أن هذه الشيفرة لا يمكن أن تتكلم بها، يجب أن تفتح تليفونًا باسم آخر.

فما الذي حصل بعد أربعة شهور؟ ماشيين أنا وشخص، قال لي كان معنا تليفون وانقطع خلينا نجرب، ففتحنا عليه ففتح!، من دفع الفاتورة؟ راجعنا الشخص، دفعت الفاتورة؟ قال: ما دفعنا فواتير. من رجع الخط؟!

فكل عناصر الإرهاب يتكلمون على هذا التليفون، كل الإخوة الملاحقين، كل قضاياهم، كل بلاويهم، كل مصائبهم بين بعضهم وبين أهاليهم، فالجماعة وجدوا أن القضية ٤ آلاف باوند ويخبروننا بكل شيء، فنفتح لهم التليفون!

المصيبة الأضخم من هذه، هذا التليفون حصل على مثله (شيخ الإسلام)، فانقطع وبقي بلا تليفون، فقدَّم طلب تليفون آخر، فأرسلوا له موافقة أن يفتح مع أنَّ عنده تليفونًا مضروبًا في مبلغ مصيبة! فبعد الموافقة هو تباطأ في تنفيذ الطلب، فأرسلوا له رسالة: نحن أرسلنا لك موافقة ألا تريد تليفونًا؟!

فقلت له هل يكفي هذا؟ واضحة أم غير واضحة؟ قال: "يا شيخ خربانة خربانة، ليس لها من دون الله كاشفة". فكل الفواتير وكل الأرقام والمكالمات مكشوفة، ثم إذا اعتُقل أخ في بلد ما يقولون: "لا نعلم لماذا اعتُقل!"، قلت له: لا تعلمون لماذا اعتُقل؟ وأنتم تستخدمون هذه التليفونات مع كل هذه الأرقام المضروبة ولا تعلمون هذا الأخ كيف كُشف في كندا أو في أستراليا؟!

فهذه واحدة من أساليب العمل، هذه واحدة من البلاوي، لو أحكي لكم فالقصص كثيرة جدًا، منذ عشرين سنة الحمد لله شغالين في الجبهات، والإرهاب، والتنظيمات، والذي لم نشتغل به سمعناه ممن اشتغل به، فالواحد يعرف ماذا يحصل. نتكلم عن كل هذه القضايا حتى تتعلموا، وإلا فهذه الخبرات كيف سنستفيد منها؟ والإخوة ما زالوا غير مقتنعين أن هذه القضية مجزرة، **شيء اسمه تليفون مع تنظيم سري هرمي = اسمه مجزرة!**

٣–السِّرية:

فهذه قضية القطرية وبلاويها، ثم قضية الهرمية. انتهت قضية الهرمية، نأتي على قضية السرية: أن التنظيم سرّي. هو غالب الأحيان (سرّي مرّي) مع أنه (داخل طالع) لكنه تنظيم سرّي!

هذا التنظيم السري أصبح سريًا في أشياء مهمة جدًّا، أصبحت القيادة مجهولة، ليس هناك تماس بينها وبين القاعدة، فهناك أضرار وعلل وبلاوي لا تعرفها. ولما تتعرَّف عليها تجد أنك كنت مخدوعًا كل هذه الفترة!، هذا إذا حصل وكُشف التنظيم. ذهبنا إلى العراق وجلسنا مع القائد الفلاني فصُدِمنا، ترى مصائب من ناس كانت قيادات وقيادات من الإخوان، وأنت فين والدنيا فين!

فهذه القيادات في التنظيمات السرية تسمح بالتعفُّن.

ما يُقال عن القائد يُقال عن المقود، مقود مجهول ليس بينك وبينه تواصل ولا تعلم ماذا يفعل، ما هي أمراضه، ما هي علله، متى هبط، متى فسق، متى صار مخبرًا..

من الأشياء التي تُبنى على التنظيم السري أنه ليس فيه تربية مباشرة، الشيخ الصوفي واضع المريد أمامه، فينطبع المريد بشخصية الشيخ. الشيخ السلفي يضع التلاميذ أمامه، محفّظ القرآن يضع التلاميذ أمامه، فتجد شخصيته مُنطبعة فيه، تجد أدبًا، وتربية وأصولًا وكذا. الآن تجد الرجل مادد رجله في صلاة الجماعة والرجل ، وغير منتبه، والذي لا يسمع الدرس..، تربية غير محدَّدة، ليس هناك تربية، ولا أثر لتربية القيادات الأولى في الأتباع، لأنه ليس هناك تماس. هذا من نتائج سريّة التربية، أو تنظيم سري التربية..

*[٣٢٧] من المشاكل التي وقعت فيها التنظيمات: انعدام الأمن، ما نجح أي تنظيم أن يُفرز ثقافة أمنيَّة فيما بين أفراده، ينتشر نظام الإشاعة، ونظام (لا أحد يقول لأحد) فيقول لصاحبه ولجاره ولكل الناس، فتحسّ أنَّ هناك تفشٍّ للمعلومات.

بالمختصر المفيد هذه التنظيمات التي اسمها (سريّة) من حيث الواقع تفتقر إلى هذا الاسم، السِّرية ليست في هذه التنظيمات بدءًا من الطُّرق المتَّبعة وانتهاءً بالتليفونات والمواعيد على أبواب المساجد وكل الطرق التي يستخدمونها، -وأميل للاختصار للسرعة-، فهناك حالة من انعدام الأمن لدرجة أن ترى شخصًا محترمًا جدًّا في الجبهة قائدًا وله بطولات ودخل وقَتل وجُرح، فتأخذه وتشكّله في تشكيل سري وتُرجعه لبلده فيعمل فضيحة وكارثة، من أول يومين يكشف حاله وحال الآخرين، فتجد أنه لا يصلح لهذا العمل.

---

[٣٢٧] **بداية تفريغ الملف السابع والعشرين.**

فمعظم الشباب الذين في التيار الجهادي لما جاؤوا إلى الجبهات كانوا أسودًا، ولما رجعوا للتنظيم السري فشلوا، نادر جدا من يصلح فيه، وهذا النادر الصالح للتنظيم السري غالبًا المحيط يُعدمه، بسبب أخطاء المحيط يُقضى عليه.

فالمهم أنا غسلت يدي تمامًا من هذه الفكرة وأنه يمكن أن نقنع هذه الشريحة بالطريقة السرية، ونتيجة تغلغل المرض تجد من يتكلم في السرية مثلي ومثل غيري نتيجة الوسط الذي حوله يتضرَّر بسبب غيره.

فهذه التنظيمات قامت على السرية وما استطاعت أن تعمل أمنًا، فكان هذا من أسباب الهزيمة. يعني هو قام على نظام وما استطاع أن يحقّقه. في أوروبا في المافيا هذا النظام هو أسلوب عمل يناسب عقلية الروم، من حيث ضبط الوقت، تصفية المخبر، أما نحن لو أخ عمل مجزرة وبسبب خطأ تسبَّب بقتل ١٣ أخًا هل تقتله؟ لا تقتله..

نحن عندنا أكبر الكوارث التي تحصل في التنظيم حلُّها في كلمتين: "قدَّر الله وما شاء فعل"، وخلاص!

فتكتشف أن أسلوب السرية والهرمية في التنظيمات أسلوب لا يتناسب مع طبيعة الناس، لا يتناسب مع سلوك الناس، لا يتناسب مع تربية الناس. فأسلوب ما تناسب غيِّره إلى أسلوب آخر. تعرف أن هذا الشخص ليس مناسبًا لهذا الأسلوب ومناسب لأسلوب آخر.

وهذا ليس في الإسلاميين فقط، بل حتى القوميُّون حاولوا وخاصة الفلسطينيون في مرحلة الستين والسبعين وصلوا إلى قمَّة ما تصله هذه الأمة في العمل السري؛ مثل جماعات وديع حداد، وجماعة (أيلول الأسود) وجماعات كذا، ومع ذلك لم يُسجّل في تاريخها كله عملية واحدة لم تكُشف بعدما عُملت، كل العمليات إما أن تُكشف قبل العمل وهو الغالب، وإما تُكشف أثناء العمل، وإما إذا نجحت وتمت تُكشف بعد العمل.

فهناك فارق هائل جدًّا ما بين مستوى تربيتنا الأمنية في التنظيمات سواء تنظيمات قومية أو علمانية أو إسلامية – ونحن أكثرها تخلّفًا طبعًا–، ما بين أحسن التنظيمات في المستوى وأسوأ مستويات المخابرات العربية، هناك فارق شديد جدًّا جدًّا، من حيث أساليب التكنولوجيا، والتصنّت، والأموال، والعدد البشري، والأمور التي يلاحقونك بها، فلا يمكن أن تواجه الدول مواجهة أمنية، هذا المجال خاسر، فينبغي أن تواجهها مواجهة في غير هذا المجال.

هناك شيء اسمه (توازن قوى)، شيء معقول؛ أنت الآن تلاحقك مخابرات الـ(ISI)، وباكستان تلاحقك هنا، وتأخذ المعلومات من مخابرات اليمن فتعرف خطَّ طريق تنقّلك، وتذهب لأوروبا فيستقبلوك وهم يعرفون أنك قادم، لدرجة

أنهم أحيانًا صاروا يستقبلون الأخ بكاميرة فيديو، ويمشون معه حتى يركب التاكسي ويصل لبيته فيجد كاميرة ثانية تصوّره، يعني نحن نراقبك فالتزم الأدب، لا يريدون أن يعتقلوه، يريدون أن يعطوه إيحاءً فقط.

وهذه من آخر نظريات الأمن؛ إقناع صاحب الجريمة أن لا يعملها؛ أن يردع اللص قبل السرقة، ويردع المجرم قبل تنفيذ الجريمة، قبل أن يعملها ويتكلّفوا بسببها وفي التحقيق والسجن وهذه مصاريف، فيُفهمه أنك إذا عملتها مكشوف، ويكفيه ألَّا يعملها، فالناس شغَّلت عقلها.

الآن نتيجة أننا عملنا تنظيمات هرمية فكُشفت في الميدان، عملنا حلًا نجح من ١٩٨٠ إلى ١٩٩٠ وهو أنَّ القيادات تذهب إلى دولة مجاورة فينقطع التَّحقيق هنا ولا يستطيعوا القبض على التنظيم، فقاموا بعمل تنسيق إقليمي. فنحن انتقلنا إلى دول الخارج إلى أفغانستان وبريطانيا، فابتعدت القيادات، فحلوا الحل حلًا جزئيًا، ولكن نشأت لنا مشكلة أخرى، صحيح أنك نفذت من الاعتقال ومن التّحقيقات ولكن وقعت في طامة كبيرة أن يبعد القائد عن ساحة العمليات عشرة آلاف كيلو متر، فكيف سيدير العمليات؟!

فنشأت عندنا قيادات ميدانية تابعة وقيادات رئيسية غير ميدانية، وبحكم الديكتاتورية وطريقة التفكير المفطورة عليها معظم الأمة العربية والإسلامية فهذا لا يُعطي صلاحيات لذاك ليأخذ راحته في العمل، يجب أن يوجه له كل الترتيبات إلا في حالات نادرة، فتبقى القيادات الميدانية تحت التَّوجيه؛ اعمل كذا ولا تعمل كذا، وما هي وسيلة الاتصال بينهم؟! التليفون، والفاكس، ولما أبعدنا وصرنا في الجبال صار الستالايت، وإن كبرت كثيرًا: المراسل. والمراسل بطيء ومصيبته أنه إذا اعتُقل يُعتقل معه كل الخط. فوجود قيادات غير ميدانية جعل أسلوب العمل هذا غير مناسب.

الشرطة غيَّرت أسلوبها، فيجب أن نغيّر أسلوب المواجهة، انتقلت من مداهمات إلى نظام الحواجز الثابتة والطيَّارة في سوريا، وجدوا أنَّ البلدة أو المدينة فيها حركة تنظيم، وهم وضعوا حواجز ثابتة فلا تمر عن الحواجز الثابتة، فاخترعوا نظام الحواجز الطيَّارة المفاجئة، وأنت تتحرَّك فجأة ينزل مائة حاجز في مناطق غير متوقَّعة ويبدأ التفتيش، فباعتبار كثافة الحركة ستصطدم به، فالأمن فقط نقل هذه النَّقلة من الحواجز الثابتة إلى الحواجز الطيارة، هذا يقتضي أن يتم ينقل نظام العمل، ولكن هذا الذي في الداخل مربوط بالذي في الخارج، فهذه النقلة تحتاج تسليحًا جديدًا، وتمويلًا جديدًا، وترتيبًا جديدًا.

فلا يستطيع أن يدير العمل العسكري إلا قيادة ميدانية مفوّضة، لأن القيادة في الخارج لا تعرف طبيعة الوضع الذي تُصدر القرارات تبعًا له، فنشأ اضطراب بين القيادة الميدانية والقيادة غير الميدانية، فبدأ ينهار العمل. وهذا حصل في مصر وحصل في سوريا ويحصل الآن.

والمصيبة أن القيادة ليست قريبة، يعني أقلّ ما يمكن أن تكون القيادة متاخمة في الحدود، ومع ذلك لما كانت القيادة في سوريا متاخمة في الحدود في العراق وفي الأردن ما استطاعوا أن يُديروا العمل، لا الطليعة ولا الإخوان ولا غيرهم، فما بالك بقيادة تجلس على بعد عشر آلاف كيلو؟!!

فظاهرة القيادات غير الميدانية الآن هي ظاهرة عامة تمامًا، ليس هناك تنظيم جهادي إلا وقيادته غير ميدانية، كلهم في الخارج، لأنهم اضطروا في نظام الحصر والملاذات ونظام مكافحة الإرهاب أن يخرجوا، فلا يمكن يُديروا العمليات.

الآن من المشاكل في البنية والهرمية في التنظيمات القائمة وطريقة العمل عندنا مشكلة مهمة جدًّا: **قضيّة الشورى واتخاذ القرار**، في التنظيم كيف تُتَّخذ الشورى، وكيف يُتَّخذ قرار؟ وكيف يعمل شورى إذا هو تنظيم سريّ وبالتالي مطارد، خاصة إذا تشرذموا عند بدئ العمليات وواحد في المدينة وواحد في المخبأ، فكيف سيجتمعون ليتَّخذوا القرار؟

أعرف أحد التنظيمات من أصحابنا وإخواننا عندهم مجلس الشورى في سبع دول!، لما اضطروا للخروج ذهبوا إلى باكستان واليمن والسودان، إلى سبع دول. تنظيم داخل حرب والعمليات، الأمير مع واحد داخل البلد، وباقي الشورى في سبع دول؟ كيف سيجتمع وكيف سيتخذ القرار؟ لا يستطيع أن يتخذ القرار.

الأمر الآخر داخل الدولة هو مطارد، بعد ذلك يطارده الجدل الفقهي في قضية اتخاذ القرار؛ كما تعلمون الشورى إما لازمة مُلزمة، وإما لازمة غير ملزمة. والذي قرأ في الكتب قليلًا يعرف معنى هذا؛ (لازمة) يعني يجب على الأمير أن يستشير. (مُلزِمة) يعني يأخذ برأي الأكثرية، هم عشرة ستة قالوا نعمل وأربعة قالوا لا نعمل فالأمير يقول نعمل، ولو كان رأيه أن لا يعمل يجب أن يأخذ برأي الأكثرية.

و(لازمة غير ملزمة) أي لو كلهم قالوا نذهب يمينًا وهو قال نذهب شمالًا فيجب أن يُطيعوه. وطبعًا للإمامة الرسمية بحث فقهي للصباح في قضية ملزمة وغير ملزمة.

ولكن أقول لك خلاصة رأي الفقهاء وأهل السنة في الشورى رأيان: رأي الجمهور أنها غير واجبة وغير لازمة. وأنا استغربت جدًّا لما قرأت هذا، أن الشورى عند جمهور العلماء من أهل السنة مندوبة غير مُلزمة. يعني إذا خطر لهارون

الرشيد يستشير يستشير، وإذا ما استشار فهو يقرّر. إلا بعض الأئمة منهم ابن عطية قالوا: هي واجبة غير ملزمة، يعني عليه أن يستشير ولكن ليس بالضرورة أن يلتزم برأي الأغلبية. هذا في الإمامة العظمى. وأنا على هذا الرأي أنها واجبة يجب أن يعملها؛ حتى ابن عطية قال: "إن لم يستشِر يُعزل"، إذا كان الإمام لا يستشير دائمًا يُعزل، بينما الجمهور ندبوا الإمام أن يستشير، ولكن في الحالتين اتفقوا على أنها غير ملزمة.

وهذه المدارس الحركية الجديدة وجدت أن الأمير ليس إمامًا، فنشأت في الإخوان وفي الجهاديين وفي غيرهم طريقتان: طريقة تقول (لازمة وملزمة)، يعني بالأكثرية. و(لازمة غير ملزمة) يعني على كيفه.

فمن خلال العمل، التنظيمات التي أخذت بالأكثرية لا تستطيع أن تُدير حربًا عسكرية، لأنه يريد أن يتَّخذ قرارات جادَّة وسريعة وحاسمة والقيادة منتشرة وغير موجودة. فلجأوا إلى أنها غير ملزمة في قرارات تتعلَّق بالسياسة، وتتعلق في الشريعة، وتتعلَّق في العسكرية، وتتعلق في الإدارة، وصاحبنا ليست عنده كل هذه المعارف، فصار يتخبَّط ويُلزم الناس بآرائه..!

فوقع خلط في القضية وانحسر القرار بيد رجل جاهل كما حصل في الجزائر فأورد الحركة كلها المهالك، وجعل الطاعة واجبة، وخاصة أنهم استعاروا كل حقوق الإمامة العظمى وأعطوها لأمير التنظيم. وأمير التنظيم رجل مطارد ومفلس ومعلَّق في الهواء لا أرض ولا شعب ولا خطة، ولكن أخذ بالبيعة حقوق الإمام الأعظم!

فالمهم هذه كانت من الأسباب التي جعلت التَّنظيمات تتفكَّك وما حلّوا هذه المشكلة. وطبعًا في الحلول -إن شاء الله- نحاول أن نضع تصورًا لحل هذه المشاكل.

٤- مشكلة التمويل:

الآن مشكلة التمويل تحتاج كلامًا طويلًا عريضًا، ونبحثها -إن شاء الله- في النظرية. خلاصة مشكلة التمويل أن الجهاد قام على التسوّل، ولأن الجهاد قام على التسوّل جفّت منابع التسوّل في عهد تجفيف المنابع في ظل النظام الدولي. هم علموا أن كل هذا الجهاد قائم على التسوّل، وهذا التسوّل ٩٠% منه يخرج من دائرة الخليج العربي، فلما نزلت الحملات الصليبية جفَّفت منابع التسوّل، ٨٠% من موارد الانتفاضة كانت تأتي من الكويت وكان هذا أحد

الأسباب الثانوية لغزو الكويت؛ لتجفيف منابع الانتفاضة. الجهاد في أفغانستان، البوسنة، الشيشان، تنظيم الجهاد في مصر، الجماعة الإسلامية، سوريا، ماليزيا، كله قام على تبرّعات من كل الدنيا مردّها في الآخر إلى هذه الدائرة.

فلما قام النظام الدولي -كما حدّثتكم- بتتبُّع المنابع والتحكم بالحسابات والحوالات والقبض على الناس إلى آخره، جفَّت منابع التَّمويل فُضرب تجمُّع الناس، وإنما الملك بالأعوان وإنما الأعوان بالمال؛ إذا توفّر المال يجتمع الناس، وإذا لم يتوفَّر لا يجتمعون، فكيف ستجتمع الناس؟

فضُرب نظام التَّمويل، وضُرب نظام الأمن، وضُرب نظام الهرمية، وضُرب نظام الشورى، وضُرب نظام القيادات، إذًا ماذا بقي في هذا الهيكل حتى يستمر بعد عام ١٩٩٠؟! عدا عن الفوضة الفكرية والمنهجية والبنية التي تحدَّثنا عنها، ناهيك عن بلاوي خرجت معنا مع المسار، فالتنظيمات كلها قائمة على عدم الاختصاص فوُضع الرجل غير المناسب في المكان غير المناسب غالبًا.

ليس هناك نظام عقلي مؤسَّساتي لإدارة العمل؛ لأن النَّاس لا تحترم الحضارة ولا تحترم الفهم من ناحية، ولأن التنظيم سري، فالتنظيم السري لا يسمح بتوزيع الاختصاصات؛ لأن توزيع الاختصاصات يقتضي وجود إدارة ومجلس إدارة وأعوان وناس تجتمع وتنبثق منها القرارات وفيه راحة باتخاذ القرار. أما هذا هربان وهذا مخطوف وهذا خرج، فكيف سنعمل ضمن اختصاصات؟ فالأمر ليس بيدهم فقط، بل طبيعة العمل لا تسمح بوضع المؤسَّسات والاختصاص والأجهزة.

٥- اتكال العناصر على القيادة:

الآن ظهرت مشكلة في معظم التنظيمات وهي: **اتكال العناصر على القيادة**، يعني هو منتظر أن يقول له القائد ماذا يفعل، ولا يستطيع أن يقرّر؛ لأن التربية ليست تربية قيادات، وإنما التربية تربية إمَّعات، لأن العنصر الإمَّعة مطيع مفيد، تقول له: اذهب يمينًا فيذهب يمينًا، واذهب شمالًا فيذهب شمالًا، مثل غنم سهلة الرعاية، ترعى خمسة آلاف غنمة ولكن إذا هجم الذئب واشتغل النَّطح والهبش لا تنجو!، فإما أن يكون عندك قيادات صارمة جازمة مدرَّبة وبالتالي تشاركك في القرار وتعترض وتقف أمام عمر وتقول له: "لا سمع ولا طاعة حتى نعلم قصة الثوب"، وما هي قصة

الثوب؟ وما هو دليلك؟ بحريَّة وأدب. وإما كل واحد يرفع رأسه ليعترض يُقال له: هل أنت أفهم من القيادة، وهل أنت أفهم من الشيوخ؟!

حتى كان الإخوة يتغنَّون أيام الجهاد في سوريا بعدما يأسوا من قيادة الإخوان، لما كنا في الأردن اخترع الشباب نشيدًا قالوا: "لا تفكّر لا تدبّر نحن أصحاب العقول". لأنهم اقترحوا فبهدلوهم، واقترحوا ما سمعوا منهم، فخلاص أنا لا أفكّر أنت لما تتَّخذ القرار بلّغني ماذا أفعل.

والصحوة كلها ابتُليت بهذه الإمّعيَّة، وتقريب الإمَّعة واستبعاد الذي يفكّر ويعترض ويُتعب، فخرجت عناصر تتَّكل على القيادات في كل شيء، فإذا قُتل القائد ليس هناك أحد مكانه، هذه حالة رياضيات عجيبة جدًّا، نحن عكسنا الرياضيات، نأتي بالإخوة وتجد الأخ يساوي شخصًا، وأخًا يساوي شخصين، وأخًا يساوي أربعة، وأخًا يساوي ألفًا، إخوة ما شاء الله كل واحد منهم لوحده جيد، تجمعهم يكون الناتج = صفر!، كل واحد مفيد لوحده لما يجتمعوا يخرج تجمّع غير مفيد، مليء بالعلل والمشاكل..

٦- قيام التنظيم على شخص واحد:

الأمر الآخر: **التنظيم كله مبنيّ على واحد والباقي أصفار**، فلما تسأله يقول لك: نحن عشرة آلاف!، والصحيح أنكم واحد وعشرة أصفار، هذا الواحد لما يذهب تتبقَّى الأصفار، لأنه ليس فيكم واحد ثاني. لماذا ليس فيهم واحد ثاني؟ لأننا رجعنا زرعنا نظرية الزعيم الأوحد معمَّر القذافي، والزعيم المُلهم عبد الناصر، فالتنظيم يقوم على واحد!

يا أخي هذه المعركة معركة مؤسسات، هذا بكرة يُقتل ويُستهدف، المفروض أن يكون هناك مجموعة علماء، مجموعة شعراء، مجموعة كتَّاب، مجموعة عسكريين، مجموعة قادة، كلهم يصبُّون جهودهم لإبراز هذا الواحد الآن، فإذا ذهب معروف من بعده ومن قبله، فهي عقليَّة مؤسَّسات، لكن كل التنظيمات قائمة على نظرية الواحد والأصفار..!

ولا توجد قيادات كفؤ تستطيع أن تملأ مكانه، لماذا؟ لأن نظام التربية السرية والتنظيم الهرمي لا يسمح بقيام الأكفاء. فتربَّينا هكذا، وطريقة الرُّسل وطريقة المشايخ وطريقة العلماء ما كانت هكذا؛ الرسول ﷺ كان يصقل مجموعة من الحواريين ومجموعة من الصحابة بشخصه، الصحابة كانوا يصقلون مجموعة من التابعين، التابعون كانوا يصقلون مجموعة من تابعي التَّابعين، وهكذا، فكان هناك هيكل.

فطريقة تربية الإسلام لا تتناسب مع طريقة التربية السِرّيَّة والتحرّك الوافد، هذا الأسلوب نحن استوردناه من الغرب، فضُربنا بطريقة التَّربية فلا يخرج عندنا كوادر.

الرسول ﷺ كان يرسل شخصًا قاضيًا، ومرة قائدًا، ومرة رسولًا، وتجده يصلح في كل شيء يعمله، لماذا؟ لأنه متربٍ تربية كاملة. هذه التربية الكاملة تحتاج وقتًا، وتحتاج تماسًا بين القائد والمقود.

لذلك لما قامت حركة طالبان -رغم كل تخلّف طالبان وتخلّف الأفغان- هذه القضيَّة كانت محلولة عندهم؛ لأن نظام رسول- صحابي- تابعي- تابع تابعي، هو نفسه نظام: شيخ-مريد-شيخ -مريد.

٧- ضعف الأدب والاحترام:

هذه العمليَّة الإمعيَّة فرضت المشكلة التي بعدها: **أنَّ التيار ليس فيه أدب ولا فيه احترام**. ليس هناك احترام للسابقة، ولا احترام للخبرة، ولا احترام للعمر، ولا احترام للعلم، وهذا من الإفرازات التي هم ظنوا أنها سلفيَّة!، وهذا ليس من أدب السلف ولا هذا منهج السلف، وخرجت فينا نظرية (هم رجال وهم رجال). فالذي شطح على أبي حنيفة وقال: "هم رجال ونحن رجال"، ماذا بقي عنده لأمير التنظيم وماذا بقي لأمير المعسكر؟! هذه الطريقة في التربية أسقطت الاحترام فليس هناك كبير يُطاع.

نحن عملنا أشياءً كان يجب أن نعملها ولكن كانت لها آثارٌ سلبية؛ الحركة الإسلامية وقعت في أخطاء كثيرة فكان يقتضي تشريحها وأن تتناول قيادتها بالنقد، معظم العلماء وقعوا وأوقعونا وأوقعوا هيكل أهل السنة في نفاق الحكام، فكان يجب أن نتصدّى لهم، وهذا صحيح، ولكن كان من تبعاته أن تجرّأ الصغار على الكبار، ومن تبعاته أنَّ هذا الصغير بعدما تجرّأ على الكبير نظر إلى كبيره الذي معه وتجرّأ عليه كذلك.

يعني إذا شطح على أبي حنيفة والشافعي وقال: "هم رجال ونحن رجال"، وأحد تلاميذ ابن عثيمين في معسكر (الفاروق) يقولون له: ابن عمر في قضية اللحية والقبضة والمسألة المعروفة، يقول: "هو في ذلك مبتدع، نأخذ حديثه ونردّ فعله". ابن عمر مبتدع!، ولو قلت له: "ابن عثيمين مبتدع يقول لو كفر الحاكم لا نخرج عليه"، يُقيم عليك الدنيا!، لأنه تربّى على احترام هؤلاء، بينما في باقي الأمة هم رجال ونحن رجال! فلما شطحوا على ابن عمر -رضي الله عنه- وقالوا أنه مبتدع!، ماذا بقي في الأئمة وماذا بقي في العلماء والأمراء؟!

فالآن مظاهر سوء الأدب وسوء الاحترام طافحة وملموسة في التَّنظيمات الجهادية وواضحة، وبالتالي ما عاد يستطيع أحد عنده فائدة أو عنده سابقة أو متقدِّم في أي شيء أن يفيد الذي بعده، وهذا نتيجة طريقة التربية التي معظمها راجع للفهم الخاطئ لما سُمي زورًا أنه "نهج سلفي"!

٨- غياب مقوِّمات التنظيم الأساسية:

الآن في الآخر نقول إن **معظم التنظيمات تشتكي من غياب مقوّمات التنظيم**، عندي محاضرة قديمة في مركز النور من ١٩٩٠ موجودة هنا في الأشرطة اسمها (مقوّمات التنظيم)، كانت في ثلاثة أشرطة، ومختصرها أن مقوّمات التنظيم خمسة:

- **منهج وفكر**، يعني عقيدة للتنظيم.
- **قيادة**، القيادة تعني وجود: أمير وشورى وقرار.
- بعد ذلك **مخطَّط العمل**، ويسمى الاستراتيجية.
- المخطط يقتضي **التمويل**.
- وضبط القاعدة يعني **السمع والطاعة** والعهد أو البيعة.

إذا لم توجد هذه الأمور الخمسة فليس هناك تنظيم. هم مجموعة بشر أو عشيرة، ناس متَّفقون على شيء، ممكن يجتمعوا فترة ويتركوا لاحقًا.

الناس الآن تأخذ البيعة والمنهج نفسه غير محدَّد!، وبعد فترة يأتي واحد من الشباب يقول: "هذا حلال وهذا حرام وما على هذا بايعنا، وما على هذا أتينا"، لماذا؟! لأن المشكلة الأساسية أن الرجل لما طالب بالبيعة لم يُفهم الناس ماذا يريد، فهم مشوا معه لأنهم يحبّونه، أو بسبب سمعته أو بسبب إعلام أو لأن شكله جميل، أو لأن عضلاته مفتولة!، أو وجدوا فيه شيئًا أعجبهم فبايعوه. ولكن مع المسار صارت هناك اعتراضات على الطريقة بسبب عدم وجود منهج.

ففي المنهج العقدي غير محدد، وفي المنهج الفكري والسياسي الشرعي غير محدَّد. واحد داخل في تنظيم جهادي، بعد ذلك يقول: نضرب الأمريكان ولا نضرب الشرطة، يا أخي إذا ضربت الأمريكان يُمسكني الشرطي، فلا يمكن أن أضرب الأمريكان دون ضرب الشرطي، فيحتار ويقول ما على هذا دخلت.

فالأمور غير محددة، ولو دخل وهو يعلم هذا التَّخطيط جيدًا سيستمر. **فإذا كان التنظيم غير محدَّد المنهج والفكرة سيسقط.**

الآن التنظيم ليس فيه قيادة بمفهوم أمير وشورى وطريقة لاتخاذ القرار..

لا يصلحُ الناس فوضى لا سُراة لهم ولا سُراة إذا جُهَّالهم سادُوا

فالناس الآن إما لا سُراة لهم، وإما جهَّالهم سادوا، فهذه النتيجة التي نراها من أسباب الهزيمة.

الآن نأتي إلى **المخطَّط**؛ التنظيم ليس عنده مخطَّط عمل، يعمل باليوميات، اليوم نعمل كذا، لما يصير كذا نعمل هكذا، ليس هناك برنامج فيعرف الواحد ماذا يريد أن يعمل من هنا لخمس سنوات، وبالتالي يتردّى كل يوم في تخبيط عشوائي، فالناس ترى ضياع الوقت وترى عدم الجدوى فتترك التنظيم، أو أنَّ الرجل يدخل وهو يتصور أن المخطَّط هكذا فوجد أنَّ المخطط شيء آخر فينشق ويخرج. **فعدم تحديد المخطط من أسباب زوال التنظيم.**

التنظيم الذي لا يعتمد على مصادر تمويل مستقرّة مستقلّة سينتهي؛ مستقرّة بمعنى لا تتعرّض للاهتزاز، ومستقلّة أي ليس تابعًا لغيره، الذي يتبع لغيره سواءً كان دولة أو حكومة أو محسنًا، فإذا غيّر رأيه يبقى التنظيم دون تمويل، ولما تنتهي الأموال تتوقَّف المشاريع.

قضية السمع والطاعة فيها مشكلة من فوق ومشكلة من تحت؛ مشكلة من الأمراء أنهم ما ربّوا الناس وما كانوا يستأهلون السمع والطاعة الشرعية، والمشكلة من الشباب أنَّ كثيرًا منهم يبايع إذا شاء ويترك إذا شاء، ليس هناك وفاء ولا رجولة، وليست هناك المكوّنات الأولى للبشر، أن يعطيك الكلمة وخلاص يلتزم بها. فتشوّه مفهوم البيعة مِن قِبل مَن يطلبها ومِن قبل مَن ينفذّها.

فأحيانًا الأمير أو الجماعة لا ترتكب أخطاء، ولكن واحد هكذا يخرج بلا سمع ولا طاعة ولا إذن ولا استئذان! ولذلك معظم الجماعات تزول. وحتى نحن نعاني من هذه القضية، أنا إلى الآن أقول لطالبان أنتم كم واحد حتى نتفاهم معكم؟ مرة يقولون: ٣٠، ومرة ١٣، ومرة ٣، ومرة ٢، ومرة ١٠، ومرة ٩، ونفس الشيء في الخط مرة ١٠ عند الإخوان، مرة ٣٠٠، مرة ٢٠٠، وهذا لأنَّ الناس أصلًا ما أعطت الاتفاق.

وحتى داخل التنظيمات القطرية كلها تجد الذي يدخل والذي يخرج والذي ينضم اليوم والذي ينشق غدًا..!، فهناك حالة من الانهزام.

فهذه البلاوي بفقدان المقومات الخمسة للتنظيم أو فقدان بعضها كان من أسباب انهيار التنظيمات في المرحلة الماضية. وأخذت التنظيمات في الانهيار والإفلاس، فكل واحدة من هذه تسبّب الانهيار، فما بالك أنَّ كلها موجودة!

فأساليب العمل أصبحت بالية، يمكن أن نقول أنَّ هذه الأساليب تحرّكنا فيها من ١٩٦٥ إلى ١٩٨٥ بالكثير، ثم أصبحت غير صالحة للاستعمال.

فهذا عن الأخطاء في البنية والهيكل.

***

القسم الثالث: أخطاء في أسلوب العمل

نحن تحدّثنا عن الأخطاء المتعلّقة بنا التي أدّت إلى هذه النتيجة، أخطاء في الفكر والمنهج، وقلنا أخطاء في بنية التنظيم؛ سرية، قطرية، هرمية وما تفرّع عنها. الآن ثالثًا: **أخطاء في أسلوب العمل وأسلوب الخطط**. الأسلوب الذي دَعَوْنا فيه الناس إلى هذا العمل كان فيه أخطاء كثيرة نعدّدها في هذه الفقرات.

أولًا: أنَّ العمل ارتجاليّ لا مخطّط فيه.

وهذا تكلّمت عنه في غياب المخطَّط، وأنه ليس هناك خطّة، في حين أيّ شركة وأيّ دكّان وأيّ دولة عندها شيء اسمه خطة سنوية وخطة ثلاثة أشهر وخطة ستة أشهر، خطة على مستوى، وخطة عامة. في دروس السياسة والإدارة -إن شاء الله إذا عملنا كورسًا خاص في الإدارة والسياسة- هناك شيء اسمه (استراتيجية عمل)، محور أساسي للعمل؛ له فروع أساسية للاهتمام بها، ثم كل واحدة من هذه لها مخطَّط وفروع، حتى نحقّق هذا العمل هناك مجموعة من التكتيكات. فهذه العلاقة بين الاستراتيجية والتكتيك.

في كتاب (التجربة السورية) كتبت فصلًا ربما من صفحتين أو ثلاثة حول هذا الموضوع في حرب العصابات، فيجب أن تكون هناك خطة استراتيجية عامة وحتى أحقّقها تكون عندي مجموعة من التكتيكات. **التكتيك ممكن أن يكون متحوّلًا ومتغيرًا حسب الوضع وحسب الظرف، ولكن الاستراتيجية لا تتغيَّر**، هذا إن وُجدت أصلًا!، الآن يعملون دون استراتيجية، وإذا وُجدت الاستراتيجية يغيّرونها كل يوم والثاني!

تغيير الاستراتيجية يدمّر العمل؛ لأنك مثلًا لو وضعت استراتيجيتك الآن أن تهاجم مسعود من مناطق الشتاء، هذه استراتيجية عامة تحتاج مجموعة كبيرة من التكتيكات، هذه الاستراتيجية تقتضي لباسًا شتويًا، وسيارات مناسبة للحركة في الجليد، تكاليف أنت وضعتها، نوعيَّة معيَّنة من المقاتلين، خطوط معيّنة من الإمداد، إلى آخره. فإذا قرَّرت أن تغيّرها إلى المناطق الصَّيفية كل التَّجهيزات التي عملتها للتجهيز الشتوي ذهبت وما عادت لها فائدة.

تغيير منحى الاستراتيجية عادة يؤدّي إلى الهزيمة، هذا معروف في إدارة الحروب. من الأشياء المأثورة عن أسباب فشل الجيش الألماني في الحرب العالمية الثانية أنه قام بخطأ استراتيجي، كانت عنده ثلاث جبهات في أوروبا فقام بفتح جبهة مع الاتحاد السوفيتي سمَّاها الجبهة الشرقية. واجتمع الجنرالات الألمان ووضعوا لهذه العملية خمسة جيوش حتى يهاجموا ويصلوا إلى موسكو، بعد وضع الخطة وبِدءِ العمليات نصحت مجموعة من الناس هتلر أن ينزل إلى منطقة القفقاز من أجل احتلال النفط حتى يمدّ الجيش الألماني. هذا التغيير اسمه تغيير في الاستراتيجية، واحد وضع خطَّة على خمسة جيوش وفجأة يسحب جيشين لعمل آخر!

فكل الجنرالات قالوا له أن سحب جيشين من هنا سيؤدي إلى فتح ثغرات على خطوط تقدُّم الجيوش الثلاثة وبالتالي تتعرّض للتطويق، فهو ركب رأسه على هذا الرأي وأرسل جيشين للقفقاز وفعلًا حصل على البترول، ولكن حصل الذي قالوه وتعرّضت الجيوش إلى عملية تطويق وتفتيت وكان أسرى الألمان بمئات الآلاف في هذه الهزيمة!

فهذا واحد من الدروس التي تُعطى في الاستراتيجية العسكرية حول أخطاء تغيير الاستراتيجية بعد بدء مرحلة التَّنفيذ. فإذا وضعت استراتيجية لا تغيرها أثناء المسار.

طبعًا نحن مصيبتنا ليست تغيير الاستراتيجية مصيبتنا أن ليس هناك استراتيجية أصلًا!، واحد لا يعرف ماذا يريد، يقول لك: نريد أن نجاهد الحكومات الكفرة. وتجد الإخوة يريدون أن يسافروا لأوروبا، تسألهم: ماذا ستعملون؟ يقول: "والله نريد نشتغل"، يريد يرجع إلى بلده، ماذا ستفعل؟ يقول: "نحارب أعداء الله"، فكيف ستحارب أعداء الله؟!

تسمع كلامًا عجيبًا جدًّا جدًّا، الواحد يتصوّر الأمر وكأنه يقول لك: "أنا ذاهب لأشتري كيلو خيار وأرجع"!، وهذا على مستوى عقليات وقيادات وناس تريد أن تشتغل!

الأمر ليس فقط أنك جمعت الناس وحشدت و(يا خيل الله اركبي)، ونريد أن نفتح جبهة في المغرب، إيش الخطة في المغرب؟! يقول: نريد أن نحارب النظام الدولي، نريد أن نعمل حركة في الإعلام، وحركة في حرب العصابات. هذا كله

يحتاج تمهيدًا؛ لما تضع هدفًا حتى لو واحد اتخذ قرارًا استراتيجيًا أن يتزوّج، هذا القرار الاستراتيجي مبني على مجموعة من التَّكتيكات، أبوه يتكلم مع الناس بعد الصلاة ويسأل من عنده بنت، أمه تبحث بين العائلات، هو يذهب يعمل ويبدأ يجمع المال ويرتّب أين سيسكن، وإلى آخره، هذه كلها مجموعة تكتيكات حتى يصل في النهاية ليتزوّج.

وهذه قضية بسيطة جدًّا بجانب أن تفتح حربًا، فهناك أصول وهناك لوازم، وهناك مستلزمات يجب أن تقوم بها، والعمل الجهادي والتنظيمات قامت على أنهم في البلد الفلاني يجتمعون، يقول لك أرسلنا مجموعة من الإخوة في إحدى البلاد التي ما سبق وصار فيها الجهاد، يا جماعة تعالوا ساعدونا نريد أن نعمل وهذا برنامج وكذا إلى آخره، قالوا: والله عندنا برنامج لنشتغل عندنا على الحكومة في البلد الفلاني. تقول: ماذا تريدون أن تعملوا؟؟ قالوا: نريد أن نعمل هذه القصة: "تنظيم سري من أجل محاربة المرتدين المقدَّم على قتال الكفار الأصليين، من أجل إطاحة الحكومة لإقامة خلافة راشدة على منهج النبوة"، في حدود البلد التي هي من الدول الفسيسفسائية، يريد إقامة خلافة هناك!

يا حبيبي ماذا تريد أن تعمل؟! فأخذنا نقنعه أن هذا الكلام غير مجدٍ، فكان قوله مختصرًا في كلمتين –حتى ترى العقلية– قال: "في سوريا جربتم، في مصر جربتم، كل الناس خاضت، ودعونا نخوض نحن أيضًا ونرى حظَّنا"، هذا أمير التنظيم!! هذا الكلام فعلًا يذكّرك بـ{وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}[٣٢٨]، بماذا تريد أن تخوض!، واستخدم هذا المصطلح قال: "نريد أن نخوض مثلما خاض الناس"، قلت له تريد أن تخوض وهناك دماء وأعراض وحركة إسلامية ستُذبح وفيها تأثير على الدُّول المجاورة وفيها قصة!. وأنت أصلًا أول ما تخوض ستغطس في الطّين وتفشل، والأدلة كذا وكذا وحصل في سوريا كذا وكذا، وحصل في مصر كذا وكذا، وحصل في الجزائر، تعال أكمل من حيث وصل الناس. فهذه عقلية أمير التنظيم!

فهذا العمل مبني أصلًا على ارتجال لا مخطَّط فيه.

الأمر الثاني لا أفصّل فيه لأنني ذكرته: وهو أنَّ **هذا العمل بُني أصلًا على تصوّر قُطري محدود**، في حين أن الصِّراع الدَّولي أصبح كله صراعًا أمميًا على خطوط التَّماس على مستوى الكرة الأرضية.

---

[٣٢٨] سورة المدثر، الآية: ٤٥.

العدو يحاربنا على خطوط التَّماس على مستوى الكرة الأرضية، طاردنا في أوروبا وفي اللجوء، فنزلنا من السودان، وحصرنا من باكستان، فنزلنا من البوسنة، فيلعب معنا على مستوى الخريطة، ويطاردنا على مستوى الخريطة! فهذا يقتضي منا استراتيجية مواجهة أسموها (مكافحة الإرهاب)، اقتضت مكافحة الإرهاب جملة من التكتيكات؛ تجفيف المنابع والكلام الذي قلناه، فهو وضع خطة عملت عليها أجهزة، وزراء الداخلية العرب يجتمعون كل ستة شهور مرة، رؤساء الاستخبارات يجتمعون كل شهر مرة، على مستوى التَّكتيكات يتخابرون ويتزاورون على مستوى اليوم والساعة من أجل مكافحة هؤلاء الدَّراويش المساكين، وأنت تعمل على أساس قطريّ في حدود القطر ودون مخطَّط، ثم تقول: لماذا خسرنا الحرب؟! طبعًا سنخسر الحرب، وأي واحد سيعمل هكذا سيخسر الحرب.

الأمر الثالث: هذا مهمٌّ جدًّا تكلّمت عنه في إطار الطَّرح الفكري، وهو أنَّ التَّيار الجهادي الذي قام أصلًا لدفع الصَّائل -وهم اليهود والصليبيون والمرتدّون- **تحوّل إلى معارك جانبية** وما عاد يمشي على المحور الأساسي..[٣٢٩]

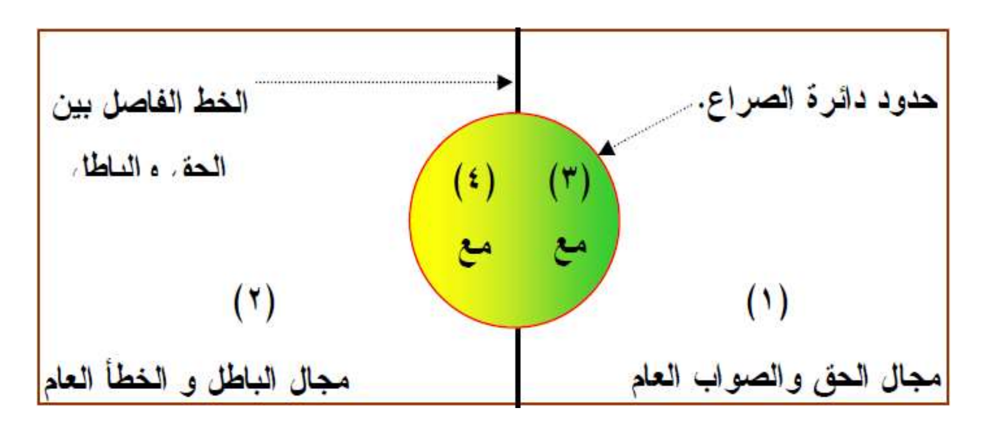
..طبعًا هناك خلافات منهجيَّة، وخلافات فكرية وقضايا مستأهلة، ولكن هذه تبقى محاور جانبيَّة مقابل الجهد الأساسي.

هذه المعارك الجانبية فُتحت مع مدارس الصَّحوة فصارت لنا سِجالات في التيار الجهادي ومناقشات أخذت ربع المجلّات والنَّشرات التي نُصدرها أحيانًا، ومعارك وجلسات وحوارات ومشاجرات مع مختلف مدارس الصحوة -على اعوجاجاتهم ومشاكلهم المنهجيَّة-. ثم انتقل ذلك إلى الشَّعب الذي له اعوجاجات وله بدع ومشايخ، وغير مشايخ الصحوة عندك المساجد والناس التي فيها. فدخلنا في معارك جانبيَّة ليس لها أصل من المعركة الأساسية.

هذا كله صار على حساب المعركة الأساسية التي هي أصل المواجهة. وأذكّركم بالكلام الذي قلناه عن المجال واحد والمجال اثنين والمجال ثلاثة والمجال أربعة؛ أننا اضطررنا أن نضع تصوّرًا أنَّ عندنا خطًّا فاصلًا بين الحق والباطل، وهذه الأمور هنا حق وهذه الأمور هناك باطل، فأية مسألة وأي قول وأي فعل على اليمين سيقع في الحق وإذا كان في الباطل يقع في اليسار، ولكن وجدنا أنَّ هناك مسائل تتعلّق بأمور فرعيَّة في ترتيب الأولويات لدفع الصائل.

---

[٣٢٩] انقطاع في التسجيل.



الآن الصائل يفرم أهل الحق وأهل الباطل ضمن دائرة الإسلام، أهل الصلاح وأهل العوج يفرمهم كلهم، والقضية محسومة. فلا بد أن نحدّد دائرة نسميها (حدود دائرة الصراع)، أننا نتصارع عليها مع المرتدين واليهود والنصارى على محاور تماس، فعندنا مسائل أساسية بدائرة الصراع. وهذا جعل مسائل الحق والباطل تنقسم إلى: (١)، (٢)، (٣)، (٤).

وأنا شرحت هذا الكلام فسنختصره هنا، لو جاء إنسان اختلف معنا في مسألة هي حق وباطل وقال كلامًا من الباطل ولكن ليس في حدود المواجهة فلا يأخذ عندي أولوية التَّصدي له، لأنه جاء في منطقة (٢). بينما لو جاء شخص وقال فتوى، قال كلمة، قال بيت شعر، اتخذ موقفًا، دفع مالًا، ضرب طلقة، إذا كانت ضدنا ضد جماعات الجهاد وفي صالح النظام الدولي فمكانها المجال (٤)، وهذه يجب أن يكون عندي عليها رد، فإذا كانت عملًا عسكريًا فردّي عليها بعمل عسكري، وإذا كانت كلامًا من الضَّلال فردّي عليها بالفقه والفتوى وردّ الضلال، الذي أسميناه (جهاد البيان)، فجهاد السنان للكفار والمرتدين، وجهاد البيان للمبتدعة والمنافقين، هكذا قال ابن تيمية والعلماء.

هناك جهاد سنان متعلّق بدائرة المعركة وجهاد سنان غير متعلق بدائرة المعركة، الآن كفار تايلاند مثلًا، هل عندي معركة الآن مع كفار تايلاند؟ هل عندي معركة مع كفار ماليزيا؟ نعم هناك شيء من البلاء والأصل معركة بين الكفر والإسلام في كل الدنيا ولكن هل أفتح الآن شجارًا في تايوان؟ وأذهب لأفجّر في تايوان؟! كم عندي من القوات والجنود ومال حتى أوزّعها على كل جبهات العالم لأحارب كفار الكرة الأرضية؟! هناك بلاء نازل، وهذا البلاء النازل يجب أن أتصدّى له.

الآن أقوال الباطل منتشرة، وأكثر من العوج في الفتاوى والآراء التي تسمعونها لا يوجد، فهل أردّ عليها كلها في نشرات الجهاد؟! لا شك أنَّ الاقتتال بين عقيدة السلف وعقيدة الأشعرية في مسائل في الأسماء والصّفات فيه حق وفيه باطل. هنا عقيدة السلف حق وعقيدة الأشاعرة باطلة، ولكن هل هذه معركتي الآن؟! فتح معركة الآن على قضية الأشاعرة

والسلفية يأتي في نحر قضيّة دفع الصائل. وهنا يأتي ترتيب الأولويات، وقلت لك الفرق بيننا وبين أحمد بن حنبل في التَّوقيت. ففي حال أن حللتَ كلَّ مشاكلك ووصلت لهم تتحوّل المعركة وصارت فعلًا هذه معركتك وجهادك.

فالآن هناك أمر يجب أن نمشي فيه حسب الظروف والمنطقة التي نعيش فيها. نحن نحارب وندفع الصائل في اتجاه معيَّن مع ناس فيهم فسوق وفيهم بدعة وفيهم أمور، فإذا تيقَّنت أثناء الحركة إلى معركة أنَّ نهيك عن بدعة معيّنة سيفتِّت صفَّ أهل الإسلام ويُدخلهم في حقل ألغام، هل نفتح هذا الباب ونحن ذاهبون للمعركة؟ هذه الأمور لا تصلح بهذه الصورة. فهناك أمور مترتّبة وأولويات.

ويأتي واحد يفهمها بالغلط ويقول: كيف سُننصر والبدعة قائمة؟! نُنصر والبدع قائمة كما نُصر ابن تيمية وأهل الشام ومصر على التتار، وكان ابن تيمية يقسم بالله العظيم أنهم منصورون، يقولون له: يا إمام قل إن شاء الله، يقول: أقول تحقيقًا لا تعليقًا. وحال عسكرة الشام ومصر وَصَفَها هو بنفسه لما سألوه عن بدعهم وفسادهم وبلاويهم.

فنحن في زمان فيه أولويات، هذه الأولويات لم تعُد مُحترمة، وهذا بحث له تفصيل. لم تُحترم في مسار العمل ففتحنا شجارات ومشاكل مع كل النّاس، إلى أن ظهرت في أسوأ صورها في الجزائر، تحوَّلت المعركة فقهًا وإعلامًا باتجاه المسلمين، باتجاه الشعب، باتجاه المبتدعة المنحرفين من المسلمين، وتُرك المرتد وترك الصليبيون على هذا الأساس.

مرَّت فترة ونصف نشرة (الأنصار) في الأشاعرة!، وفي الآخر بعد أن انتهوا من ضرب أشاعرة العصر الحديث بدأوا بصلاح الدين وأنه كان أشعريًا وما كان على عقيدة أهل السنة! قلت لهم الآن الأمة تتمنَّى أن تمشي على خطى صلاح الدين، فنقول للأمة أنَّ صلاح الدين هذا الذي يعجبكم ما كان أصلًا على عقيدة أهل السنة، في النَّشرة التي أريد أن أحشد بها الناس!، فكيف سأحشد أهل الإسلام لدفع الصائل؟!

ولذلك يجب أن يُطرح موضوع (فقه دفع الصائل). هذا على صعيد تحويل المعركة باتجاه المسلمين وباتجاه الصحوة في أمور ليست أساسية، وكان ممكن أن نتجاوزها ونترك المعركة بالاتجاه الأساسي.

الآن هناك قضية يجب أن نناقشها وربما تأخذ شيئًا من الحساسية لأنها متعلّقة بتصوّر فقهي عند بعض الإخوة، وأنا اضُّطررت أن أقدِّم لكل هذا البحث بشرح النظام الدولي والتاريخ حتى يصبح الإثبات أسهل عليّ.

قال الإخوة أن الله –سبحانه وتعالى– يقول: {قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ}[٣٣٠]، واستنبطوا منها أن الذين يلوننا من الكفار هم المرتدون لأنهم الحاكمون مباشرة. ثم قالوا: إن العلماء اتَّفقوا كما نقل ابن تيمية –رحمة الله عليه– أنَّ قتال المرتد مُقدَّم على قتال الكافر الأصلي، وأخذوا منها نفس الشيء: إذًا قتال الحكام والحكومات مقدَّم على قتال المرتدين، وقتال الحكومات يعني قتال الأعوان وكبار الأعوان، وقتال كبار الأعوان أدّى إلى قتال بائع الجبنة من صغار الأعوان لأنه مخبر!، فصار عملنا عليهم.

جئنا إلى واقع التَّحليل السياسي والعسكري وأثبتنا إثباتًا مباشرًا، وقضية العقل لا تتناقض مع قضية النقل، هذا مُثبت عندنا أهل السنة، لما تحقّق في قضايا العقل وثُبت صحتها تمامًا ستجد أنها متوافقة مع الأدلّة الشرعية تمامًا. حتى تجرّأ ابن تيمية على قول يحتاج إلى فهم، قال: "حيث تأكّدت المصلحة فثمَّة شرع". حيث تأكدت وليست أيّ مصلحة موهومة عند راشد الغنوشي مثلًا، تأكَّدت مصلحة فإذا تمحَّص فيها تجد أنَّ الشرع يدعم هذه المصلحة.

فالقول بأن قتال المرتدين مقدَّم على قتال الكفار، دفع كل الحركات الجهادية للاشتغال بالحكومات. الآن اتركك من الحكم الشرعي نبحثه لاحقًا، ولكن أقول لك من حيث واقع الأمر؛ واقع الأمر أثبتناه أن الروم والنصارى ولّوا المرتدين وتحوّلت المعركة وأصبحت من المعادلات التي ذكرناها سابقًا. هذا مُثبت عندنا نعرف كيف حصل بتسلسل التاريخ.

الآن نأتي إلى التنزُّل العملي الفعلي، حافظ الأسد نموذج ومصر نموذج، عنده أربعين ألف مخبر في المدينة الواحدة، اضرب بستة ×٦ =يعني عندنا ٢٥٠ ألف مخبر في الدولة!، وراءهم جهاز الاستخبارات والأمن والشرطة والبلاوي =٢٥٠ ألفًا من الأمن، ووراءهم النخبة التي تدافع عن النظام والقوات الخاصة =٢٥٠ ألفًا ما بين سرايا دفاع وقوات خاصة. ولما توغلنا في المعركة معهم ووصلنا إلى مرحلة التوازن نزل الجيش كاملًا =٥٠٠ ألف. فهذه معركة فيها مليون وربع!

هؤلاء المليون وربع الذين جاءت بهم الدولة، كم نصيري وكم كافر على التحقيق فيهم؟ ربما ليس فيهم ٥٠ ألفًا مستحقّون لحكم الكفر العيني بصرف النظر عن كونهم طائفة ردة –وأنا مقتنع أنهم كلهم طائفة ردة يُقاتلون كطائفة ردة–، ولكن الكافر العيني منهم كم من المليون والربع؟ ربما لا يصلون لخمسين ألفًا. باقي الناس هم أخي وأخوك، وابن عمي وابن عمك في الجيش الذي يغرف من دولة فيها ١٦ مليون نسمة. فهذا طرف.

---

[٣٣٠] سورة التوبة، الآية: ١٢٣.

جئنا نحن في الطَّرف الثَّاني ونظَّمنا في أعلى الحالات الممكنة أن يشتغل معنا ألف شخص. حتى في حماة لما قام الإخوة وسلَّحوا كل أهل حماة وهذه حالة ما تكرّرت في العصر الحديث إلا في طرابلس وحماة، قام كل أهل المدينة فتسلّحوا، فتسلّح معهم ١٥ ألفًا. هذه حالة نادرة ليست ثورة، هذه حالة انتفاضة، فقام ال ١٥ ألفًا يقاتلون مليونًا ونصفًا، فانظر إلى النسبة والتناسب! فهؤلاء قتلوا من أولئك، وأولئك قتلوا من هؤلاء، ووضعت الحرب أوزارها فربحنا.

ورجعنا عملنا جولة وقتلنا منهم وقتلوا منا، وكان واحد من أهل حارتنا يقول: المصيبة التي عندي أنَّ ابني في الوحدات الخاصة وابني الثاني في العراق ذهب مع أهل حماة، فقال أقوم الليل أقول: "يا رب أولادي واحد في الوحدات الخاصة وواحد في الطرف الثاني عم يذبحوا بعضهم"، هذه مصيبة!، فصار هذا الشعور عند الناس كيف ستنحسم هذه المسألة؟

وتجد فيهم المأخوذ جنديًا إجباريًا، والحكم الشرعي معروف، وكلام ابن تيمية إلى آخره، ولكن في النهاية هذه المعركة.

نحن أثبتنا أن معركتنا ليست قضية حافظ الأسد وليست قضية حسني مبارك، فالمقدَّسات محتلَّة والثروات منهوبة والمبيعات تتم، والمايسترو يحرّك هذه الأمور كلها، لما ضعف وقُتل السادات ماذا فعل؟ وضع حسني مبارك!

فالمعركة تدور والمطحنة تغرف من أبناء المسلمين بهذه الصورة، المعركة من الطَّرفين تغرف من أبناء المسلمين، هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، فريق في الجنة وفريق في السعير، ولكن في النهاية تغرف من الطرفين، وهي معركة قابلة للاستمرار مائة سنة، ومائتي سنة، وثلاثمائة سنة، يظل الجيش يأخذ من الشعب وأنت تأخذ من الشعب وتنطحِنوا وتخرج نفس النتيجة.

طيب كيف أنا أستمر في المعركة هكذا؟! لا بد أنَّ هناك خللًا حصل في هذا الجانب، فتعال نبحث عنه أين حصل؟ يمكن إثبات أن المعركة متكاملة الآن حتى من ناحية أنك تضرب المرتد وتهرب فتكشف الموساد أخبارك، واتركك من المسلمين عبد الله أوجلان من كشف هروبه؟ الموساد. من الذي أمسكه؟ ال(CIA)، من الذي تعاون في تسليمه؟ سفارة اليونان، واليونان محاربة لتركيا! لجأ إلى سفارة اليونان وأمسكوه وسلّموه، فتعاونت كل القوى الصليبية باليهودية من أجل واحد حركته قومية أصلًا، فما بالك نحن؟!

فالنظام متماسك، وثبت عسكريًا أنه متماسك، وثبت استراتيجيًا أنه متماسك، فنحن جئنا وقلنا: "لا نقاتل إلا الحكومة، قال الله: {قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ}[٣٣١]"!.

---

[٣٣١] سورة التوبة، الآية: ١٢٣.

فنقول لهم تعالوا لنتجادل، إذا كنا نقاتل الأعداء وكنا في الجبل وكان العدو في المدينة، *[332] وكنا نتعبهم ويتعبوننا، ونهجم عليهم ويهجموا علينا، فعرفوا طريقة فقهائنا في الفهم المحدود لقوله تعالى {قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ}[333] ؛ فقاموا ووضعوا لنا مخفرًا وجعلوه حوله حقل ألغام؛ فهل من المعقول أن يقول قائل: "و{قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ} أي اتركوا المدينة وانزلوا إلى حقل الألغام، ويجب أن نحضر هذين الشخصين لأننا قسنا المسافة بالمتر فوجدنا أنّ هؤلاء هم الذين يلوننا من الكفار"!.

تفكر بهذه الطريقة، أن هؤلاء هم الذين يلونكم من الكفار، والأصل أن هذا يحرّك ذاك، ونفس العملية أبعِدها قليلًا فاليهود والنصارى وضعوا هذا، لماذا أنت مضطر أن تشتغل في هذا؟!

وأمامك إثباتات كثيرة جدًّا، خمسون ثورة ثارت على دول حلف وارسو وما نجحت، لما سقطت روسيا في يومين ثورات في ثلاثة أو أربعة دول سقطوا كلهم وانتهوا؛ لأنَّ الداعم الأساسي والمموّل الأساسي للحكم العسكري لدول شرق آسيا وشرق أوروبا هي روسيا، فعندما سقطت سقطت الحكومات مباشرة.

في سنة ١٩٦٥ أو ١٩٦٦ في تشيكوسلوفاكيا قامت الثورة وأسقطت الحكم الشيوعي. هذا الساعة ١٢ في الليل، في الساعة ٦ صباحًا وجدوا الدبابات الروسية على مفارق الطرقات وحصروا المتظاهرين في ساحة عامة وقُتل ستة آلاف شخص بالدبابات وأرجعوا الحكومة الشيوعية. فهناك دولة عظمى تفرض قوتها وتدعم بالمال.

وصل العدد في الجزائر إلى سبعين ألف مسلَّح، أما كانوا قادرين على زروال؟ بلى كانوا قادرين عليه، لكن لماذا ما سقط زروال؟ لأن النظام العربي كله دخل في القضية؛ السعودية دفعت أربعة مليارات، تركيا باعت صفقة هيلوكبترات مطوَّرة بإذن من أمريكا للجزائر من أجل مكافحة حرب العصابات، يصنعونها بوكالة أمريكية. الفرنسيون كان يخرج الطيران من فرنسا يضرب في الجزائر. الجيش التونسي شارك في الاقتحامات، السوريون والمصريون قدموا خبرات في التحقيقات.

فأنت من تُحارب؟ هل الذين يلونكم من الكفار هو زروال فقط؟ الحكم الشرعي مبنيّ على واقع المسألة؛ من في الطرف الثاني؟

---

[332] **بداية تفريغ الملف الثامن والعشرين.**

[333] **سورة التوبة، الآية: ١٢٣.**

ثم ثابت في السيرة أن الرسول ﷺ غزا الكفار في شمال الجزيرة وترك كفار الطائف وهم أقرب مائة مرة، مشى كل هذه المسافة وترك الأقرب مسافة. فترجع لكتب التفسير يقول لك: {قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ}[٣٣٤] هم الأقرب فالأقرب إلا أن يكون في الأبعد خطورة على المسلمين أكثر من الآخر، مكتوب في كتب التفسير.

فالأقرب والأبعد في الفهم هي في الحقيقة قرب وبعد الخطورة، وليس قرب وبعد المسافة. نحن ماذا فهمنا؟ مسافة.

فقلنا: "الحكومات الحكومات"، فاشتغلنا في ضرب الحكومات. الآن في اليمن إذا أردت أن تقاتل حكومة اليمن، حكومة اليمن عندها جيش وعندها شرطة وعندها شعب، اليمن بلد قبلي، فالجيش والشرطة والأمن والوظائف والدوائر والبرلمان مقسَّمة تقسيمًا قبليًا، حتى أحيانًا قبيلة تخطف سياحًا، يقولون: نريد ثلاثة في البرلمان واثنين في الشرطة وعشرة في الجيش من أولادنا وأربعة بالجامعة بكلية الطب أو نقتل السياح، فيُعطون شيخ القبيلة ما يريد. فالبلد الشرطة فيها مقسَّمة على القبائل.

هذا الفهم لا يحق لك أن تشطبه من مخك وأنت تتعامل في حرب مع حكومة اليمن. معنى هذا أنت لما ضربت الشرطة وكان أفراد الشرطة من قبيلة شبوة، من ضربه؟ التنظيم الفلاني. هذا أبو شبوة يفهم في الولاء والبراء والتنظيم الفلاني؟ ذهب ووضع القبيلة كلها مع الحكومة في حرب الجهاد.

هذه القضايا معتبرة في الشريعة، حتى في قضية الفتنة فيها فقه كثير جدًّا جدًّا كيف كان توازن القبائل، يقولون لعلي: أخرج، سلمنا قتلة عثمان، يقول: لو سلمت واحدًا فهناك ستة آلاف شخص من قبيلته سينتصرون له ويدخلون في معسكر معاوية، لا أستطيع. وهذه مشهورة وموجودة في السيرة.

فأنت يحكمك واقع سياسي وعسكري في فهم مجال الخطورة. نحن فهمناها: "مرتدين قاتلوا المرتدين"، فصاروا يقاتلون المرتدين. ضربت أربعة أو خمسة فصارت كل القبائل مع الجيش كتلة متماسكة واحدة تريد أن تحارب المجاهدين!

خاصة أن القضية ليست هكذا فقط، كل الفقهاء وكل العلماء ماذا يقولون؟ فتنة، ستقول لهم: هذا كافر، يقولون لك: بل مسلم، تقول لهم: قال ابن عطية، يقولون لك قال ابن عباس: "كفر دون كفر"!.

---

[٣٣٤] **سورة التوبة، الآية: ١٢٣.**

فهي كتلة متماسكة لها فقهاؤها ولها شعبيتها، لها نظامها، منظّمة، وأنت أتيت بأربعة مختلفين على بعض حتى في فهم (كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً، أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ)[٣٣٥]، كل واحد يفهمها بطريقته هو. فكيف أنت تريد مواجهة هذا الوضع المنَّظم بوضعك هذا؟!

ابتداءً يجب أن نفهم أن القضية ليست قضية مسافة، فنرجع نطرح المسألة أن قتال المرتدين وترك مصالح اليهود والنصارى هو تضييع للوقت والجهد. ولاحظ في الأثر لما في آخر الجهاد بدأ بعض الجهاديين يعملون في مصر، رجل طعن امرأة أمريكية فكانت قَدَرًا ملحقة أمنية تابعة لـ(CIA) في السفارة الأمريكية، فقامت مصر وما قعدت، والدنيا والبشرية كلها ضجَّت من أجل مقتل امرأة صليبية!، كم في حقول القصب تجد أن شيخ الغفر قتل أصحابه وأولاد عمه، من زعل ومن تكلم ومن ارتجف عليهم؟

فهذا هو الذي يُحدث الأثر على العدو..

أربع قنابل انفجرت في فلسطين فاجتمع في مؤتمر شرم الشيخ ثلاثة وثلاثون رئيس دولة!، كم قنبلة انفجرت في مصر وفي سوريا وفي الجزيرة؟ من تأثَّر؟

المصيبة ارتجّت الأرض ومن عليها من أجل انفجار في الخبر وانفجار في الرياض، لو هذا الانفجار كان بداية في الحرس الوطني أو في الجيش من سيرتجف؟ كان خرج العلماء يقولون: "قلنا لكم يقتلون المسلمين، هذا القبيلة الفلانية مات وابن القبيلة العلانية مات"!

فيجب أن نستنبط من هذا الخليط تكتيكًا آخر نصل فيه إلى قتال المرتدين من خلال ما سنطرحه في النظرية العسكرية. فنلتفّ على الوضع لأنه كله يؤيّد بعضه.

تأتي إلى أن قتال المرتدين مقدّم على قتال الكفار، هذا العلماء استنبطوه من فعل أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، أن أبا بكر الصديق كان عنده قتال المرتدين فقالوا له أجّل قتال المرتدين حتى يهدأ الوضع، فقال لا أؤجّل، فقدّم قتال المرتدين على قتال الكفار.

---

[٣٣٥] صحيح مسلم (١٨٨٩).

قلت له: تعال قارن حالتنا بحالة أبي بكر الصديق، في شيء عند الفقهاء اسمه (وجه القياس)؛ هذه حالة أبي بكر – رضي الله عنه– وهذه جماعات الجهاد وأهل السلاح. قارن في الحالتين، أول شيء: في حالة أبي بكر: حاكم متمكّن، في حالنا: محكوم مقهور، نحن الذين نقاتل المرتدين ونقدمهم على الكفار الأصليين!.

الأمر الآخر: في حالة أبي بكر: المرتدون خطورة عمليَّة رقم واحد، في وضعنا نحن: ترتيب الخطورة: اليهود، الصليبيون، المرتدون، فالمرتدون خطورتهم رقم ثلاثة. هذا وضع عسكري سياسي ليس له علاقة بالحكم الشرعي، توصيف واقعي.

نأتي إلى الناس المسلمين، في حالة أبي بكر: وضوح المعركة أمام المسلمين ولا خلاف، في البداية تكلم معه عمر والآخر وكذا، ثم قال عمر –رضي الله عنه–: "فما رأيت إلا أن شرح الله صدر أبي بكر لهذا الأمر فعلمت أنه الحق"، فأصبحت كتلة الصحابة كلها متماسكة وتسير باتجاه واحد. فأين الوضوح الذي عندنا بين المسلمين؟! لا وضوح.

فأين وجه القياس أصلًا بين حالة أبي بكر وحالتنا حتى تقول لي نقدّم قتال المرتدين؟!.

هذه الحالة هي حالة الملا عمر؛ عنده مرتدون خطورتهم على بعد أميال، فلا يمكن أن يقاتل أوزباكستان لأنه حاكم متمكّن، عنده الخطورة رقم واحد، وضوح القضية في الأمة، فهذا يتوجّه يقاتل هؤلاء، طبيعي أن يقاتل هؤلاء ثم يقاتل أوزباكستان. فحالته صحيحة فينطبق عليه الحكم الشرعي.

الآن نحن أصبحنا ظاهرية، أصبحنا على المذهب الظاهري في فهم هذه النصوص!، وحقيقة الأمر أن هذا كان خطأ كبيرًا أدخلنا في ملحمة عشرين سنة في سوريا، في الجزائر، في مصر، والآن تدخل في الجزيرة، وإذا دخلنا في خمسين دولة بهذا الأسلوب سنصل في النهاية إلى قتال الشعب، وإذا ما وصلنا إلى قتال الشعب سنصل إلى عزلة عن الشعب، فانعزل الشعب فقاتلنا ألفًا وخمسمائة ضد ألف ومليون فخسرنا المعركة!.

فالواحد لا بد أن يقيّم عمله؛ أنا عملت خلال عشرين ثلاثين سنة بهذه الطريقة ووصلت إلى هذه النتيجة. فهذا كان من أكبر الأخطاء العسكرية، والسياسية، والاستراتيجية التي ارتكبناها في الثلاثين سنة الماضية كجهاديين عبر أسلوب التنظيمات.

طبعًا قلت هذا نتيجة انغلاق فقهي وحركي على الفهم، وفهمها بصورة ظاهرية!.

العمل لحساب الآخرين

نأتي إلى مشكلة ظهرت في العمل الجهادي وهي **العمل لحساب الآخرين**، وهذا كان واضحًا في أفغانستان وواضحًا في البوسنة، وواضحًا في بورما، وواضحًا في أرتيريا، وواضحًا في أي قضية..

حتى كنت أنا أسميهم (كتائب ابن عثيمين)، كلما اجتمع الناس تجاه قضية مفيدة تجد أنه يأتي مجموعة من طلبة العلم، وآخر ما جاء إلى الجهاد من حوالي تسعة أشهر قال: "الشيخ ابن عثيمين وكَّل أخًا بثلاثة مليون دولار لفتح مضافة في باكستان من أجل الجهاد في بورما"، طيارات جاهزة، كفالات جاهزة، مضافات جاهزة، يلا يا شباب باتجاه بورما.. لماذا؟ لأن هناك أموال، وهناك توجّه دولة.

هؤلاء فقهاء البنتاجون يعرفون كيف ينبغي أن تسير المعركة، ويعرفون أن شبابنا من جماعة (كلما سمع هيعة طار إليها)، فسمع هيعة وطار إليها، نحن في معركة رئيسية ونجمع الناس هنا حتى نثبّت دار الإسلام، في دار الإسلام حتى نكوّن مجموعات ونجاهد في عقر دارنا ونحرّر الحرم، ونحرّر القدس، ونقاتل اليهود، ونسترد النفط..

هو يريد أن يبعدهم أكثر!، يلا على بورما، يلا لا أدري أين!

ثم أين المحور الأساسي للعمليات؟! وهذا ولي الأمر لماذا يؤيد جهاد أولاد الجزيرة في بورما ولكن الذي يرجع من أفغانستان يعتقله ويعذبه؟! يعني إيش حبَّبه في الجهاد هناك وكرَّهه به هنا؟!

فهي قضية تضييع الجهود..

فتصدر الفتوى: "يلا يا شباب عالبوسنة"، فذهب الشباب على البوسنة، السعودية الأمير سلمان، والأمير سلطان، والأمير شعلان، والأمير خربان، كلهم يفتح حسابًا لصالح الجهاد في البوسنة. الأمير يفتح حسابًا ويجمع الزكوات ويجمع الأموال، ونفس الشيء أيام أفغانستان..

الشيخ فلاني والشيخ علاني طبعًا معه إذن وضوء أخضر، وخرج يفتي على المنابر: إخوانكم في البوسنة وأخواتكم والمغتصبين، فالعالم تبرَّعت، ويلا يا شباب على البوسنة، فذهبت الناس للبوسنة..

مع أني أنا أعتقد أن جهاد البوسنة صحيح وواجب وشرعي ولا غبار عليه، ولكن في أمر ملفت للنظر لماذا: (الأوكيه الأمريكية) وتوابعها في هذا الجهاد وإلى أجل؟؟ ولماذا جاءت الفيتو بعدها وإلى أجل؟ لماذا حصل هذا كله؟

الإخوة الذين كانوا في البوسنة يعرفون هذه المسألة.

ما حصل في أفغانستان والبوسنة، لاحظ أنت تشابه المراحل: موافقة حكومية، وهنا نفس الشيء، أموال سعودية وهنا نفس الشيء، إجازة أمنية دولية، وهنا نفس الشيء، فيز في باكستان ميسَّرة نفس الشيء، مضافات في باكستان مفتوحة نفس الشيء، معسكرات (صدى) في الأراضي الباكستانية، ثم الجيش الباكستاني يقصف أحيانًا ونحن نتقدم على صف الجيش الباكستاني وناس مشاركون. والبوسنة نفس الشيء..

فصارت إجابة بعدما صارت حكومية دولية وصدرت فتوى علماء، نفس الشيء، تحريض عامة نفس الشيء، تدريب الشباب نفس الشيء. خلاص قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان، طُرح النظام الدولي انتهى الموضوع.

حملة أمنية في أفغانستان لإخراج الشباب، حملة أمنية في البوسنة نفس الشيء، هنا حصل سقوط الاتحاد السوفيتي، هنا حصل اتفاق دايتون. خلاص حملنا أثقالهم إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشقّ الأنفس، طلقتان في رأس كل حمَّال وانتهى الموضوع..

فصُرف هنا أربعون ألفًا وصُرف هنا عشرة آلاف، الناس كانوا مستحكمين في البوسنة، فوجدوا أن الأمريكان جاؤوا، فجمعهم -الله يرحمه- أنور شعبان قال لهم: تمنينا الذهاب للأمريكان فجاء الله بهم، اجمعوا هذه القضية وعمل مجلس شورى وقالوا نحفر خنادق ونشتبك مع الأمريكان، وقفوا في البحر هذه شواطئ إيطاليا وهذه شواطئ البوسنة، قطعت في البحر سفن تحمل ستين ألف أمريكي لتنفيذ اتفاق دايتون. قالوا لا ننزل إلا أن يخرج من البوسنة ألف مجاهد عربي، فكان مقابل كل واحد ستمائة من المارينز خشية أن يصطدموا بهم.

فيقول لي أخ: "أنا من الذين تكلموا مع ابن عثيمين على التليفون قلنا له الوضع هيك يا شيخ، قال لهم دعوكم من الأحلام، الأمر لولي الأمر تسمعون كلامه وتخرجون". فدخل الناس بفتوى ابن عثيمين، وخرج الناس بفتوى ابن عثيمين لأنه هو فقيه البوسنة!.

قالوا له: كيف نخرج وليس هناك أموال؟ فتبرّع خادم الحرمين الشريفين بمليونيّ دولار لتسهيل خروج المجاهدين من البوسنة! ففتوى الشيخ وأموال الملك أدخلتنا البوسنة، وفتوى الشيخ وأموال الملك أخرجتنا من البوسنة!!

وكان هناك خمسة ركبوا رؤوسهم، فحتى يتم المخطط قتلوا هؤلاء الخمسة في كمين، كان منهم أنور شعبان، فقُتلت الزعامة، وجاءت الأموال، وصدرت الفتوى، وتشرّد الشباب، وخسر المجاهدون، هذا الذي حصل في البوسنة..

وحصل قبله في أفغانستان بنفس الآلية، والآن مرشَّح أن يحصل في قضايا أخرى. أنا سأشرح في أفغانستان حتى ما يظن الناس كما نبَّهني أحد الإخوة قال لي: "لا يظن الناس أننا اشتغلنا لصالح أمريكا وغيرها"، فيجب أن نشرح مبدأ أساسيًا في قضية العمل لحساب الآخرين، وهو من دروس السياسة المحضة ومن الثقافة العامة التي يجب أن يشكّلها الأخ.

في شيء في عالم السياسة اسمه (عالم العلاقات)، عندنا مثلًا شركة (١)، شركة (٢)، شركة (٣). كانت العلاقة بين شركة (١) وشركة (٢) وما فيه شركة (٣). وُلدت شركة (٣)، تهتزّ علاقة شركة (١) بشركة (٢)، فلازم لواحدة منهما أن تكسب طرفًا ليضعف الآخر.

فيقوم اتحاد تجاري بين (١) و(٣)، فيؤدي تلقائيًا إلى انخفاض أسهم (٢) في السوق، إجباري. المصلحة التي توخاها (١) و(٣) لا يمكن أن تنفكّ عن تضرُّر (٢)، هذه القضايا هكذا.

فبين (١) و(٢) علاقة تنافس، وبين (١) و(٣) علاقة تحالف. تلقائيًا سيكون هناك علاقة عداء مع (٢).

هذا ليس بسببه ولا بسبب غيره، هي من طبع الأشياء، أنت ضربت الأمريكان فاستفادت فرنسا، الجماعة الإسلامية المسلّحة قرّرت حرق أي سيارة فرنسية تُجمرَك بعد عام ١٩٩٤، قرار حكيم جدًّا. وكان هذا من التَّوجيه الذي نصحنا به، أنا كنت أتراسل مع أبي عبد الله أحمد وأقول له: بطريقة من الطرق جرّوا الفرنسيين للمعركة؛ لأن الفرنسيين يتظاهرون بأنهم حياديون وهم ليسوا حياديين وهذا ليس من مصلحتنا، نحن نريدهم أعداءً يخدمونا في تأليف الملايين وتأليف الأمة مع قضية الجزائر.

فاتخذوا قرارًا في مرحلة من المراحل، إلى أن جاء ذاك الرجل[٣٣٦] وحوّل المعركة من فرنسا للمرتدين، الأصلي، والأقرب والأبعد، ثم المرتدين، ثم للمبتدعة، وقال: "قال أحمد بن حنبل"!.

ففي سنة ١٩٩٤ قرّرت الجماعة المسلحة منع فرنسا، ضربنا مصالح فرنسا، تلقائيًا ارتفعت مبيعات الشركات الإيطالية والألمانية والإنجليزية للسيارات. هو استفاد، فهل يأتي واحد يقول: أنت كنت تعمل في صالح ألمانيا وإيطاليا؟! هذه تلقائية، فيه شيء اسمه (تقاطع مصالح).

---

[٣٣٦] **أبو عبد الرحمن أمين، زعيم الجماعة الإسلامية المقاتلة الذي انحرفت الجماعة في عهده وأخذت منحى الغلو في التكفير واستباحة الدماء.**

ففي دنيا العلاقات -وهذا إن شاء الله إذا صار كورس سياسي في يوم من الأيام، كورس سياسي محض، كورس إدارة محض، كورس قيادة محض، نحاول نعمله من خلال الأكاديمية هنا-. فهناك شيء اسمه (شبكة علاقات)، هذه العلاقات أي طرف له علاقة بطرف، وإذا هذا الطرف له علاقة بطرف آخر فهو يتأثّر.

مثلًا أب وأم، إذا كانت العلاقة بينهم وفاق تلقائيًا الأولاد المرتبطين بالأب والأم يكونون مؤدبين، وإذا كان الأب والأم يتناكفون طوال اليوم يخرج الولاد غير مؤدبين غالبًا، خراب العلاقة هنا ضربت هذه وهذه، تلقائيًا، هذا تأثّر نتيجة طبيعة العلاقة بين هذا وهذا.

بل هذا الأب والأم إذا كانوا غير متوافقين، هناك طرف ثالث يتأثر وهو الجيران فلا يستطيعون النوم بهدوء، أولاد الجيران مربوطين بالجيران، إذا الأب والأم تشاجروا ممكن يخرج حذاء من هنا مثل الصاروخ فجأة في الليل ويكسر زجاج الجيران!، فعلى هامش خراب العلاقة هنا خربت علاقتهم هناك، ليس لهم أي علاقة ولكن تضررّوا وكُسر زجاجهم.

ففي دنيا السياسة وفي دنيا التجارة العلاقات هكذا وليس هناك علاقات مجرّدة. في حين نحن شبابنا فهمهم للأشياء مجرَّدة؛ بدعة، سنة، سلف، يجب أن نفعل هكذا، قال أحمد بن حنبل كذا...، مفصولة الأمور عن بعضها تمامًا عندهم، ظاهرية تمامًا في فهم الأحكام.

فالقضايا مرتبطة ببعضها. وهذا يولّد شيئًا يُسمى في علم السياسة (شبكة العلاقات)، فأنت بدّل الأب والأم والجيران بأمريكا وروسيا والصين وأوروبا، ضمن أوروبا طبعًا فيه فرنسا وفلان وعلان، هؤلاء بينهم علاقة؛ قامت أمريكا عملت السوق الأمريكية المشتركة فهدّدت مصالح السوق الأوروبية المشتركة، توترت العلاقات بين أمريكا وفتحت أمريكا علاقة مع سوق الصين. فهي توازنات دولية وشبكات وعلاقات تعمل مع بعضها بهذه الصورة.

الآن دولة صالحت دولة، دولة حالفت دولة، مباشرة تهتز العلاقات بين كل الدول، وكل واحد يرجع يعدّل وضعه بناءً على شبكة العلاقات الجديدة.

كان بين الجيران يطير حذاء من بيت لبيت، هنا تطير صواريخ عابرة للقارات، نفس المسألة، واحد ضرب الثاني فتأثَّرت دول أخرى. حلف الناتو قرَّر قطع إمدادات النفط من مبيعات العراق، ممنوع العراق تبيع نفط، قالت لهم تركيا: كيف أنتم قرَّرتم هذا القرار؟ العراق عندها أنابيب نفط تخرج من جنوب تركيا إلى البحر، تأخذ تركيا فيها عوائد

نقل اثنين مليار دولار، وعوائد تعبئة اثنين مليار دولار، فتركيا قالت: أنا أخسر بقراركم هذا أربعة مليار دولار، إن لم تحلّوا لي هذه المشكلة أغلق قواعد الطيران الأمريكية في جنوب العراق ولا أسمح أن تُقصف العراق من تركيا.

فوازنوا ووجدوا أنه يجب أن تُقصف العراق من جنوب تركيا، فقالوا خلاص ندفع لكم أربع مليار ونقصف من عندكم! لاحظ العلاقات كيف تتكتّل فوق بعضها.

في شيء اسمه العلاقات الدولية، طبعًا إخواننا أغلبهم ما عندهم فكرة يعني إيش هذه العلاقات الدولية؟ إيش القضية؟ في تصوّرهم فقط: هناك كفار ومسلمون، {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً}[٣٣٧] وانتهى الموضوع. هو يتصوّر أن هذا على شرط الجهالة؛ هذا ليس على شرط الجهالة، هذا على شرط قول الله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}[٣٣٨] أنك تبذل وسعك، وتبذل طاقتك ثم تنتصر. وليس بأن تعاكس السنن وتناطح كل السنن ثم تطلب النصر!! وإذا عاكست السنن فلن تستطيع أن تعمل، ولن يأتيك النصر. وليس هناك محاباة في السنن!

فالشاهد في الموضوع لازم نأخذ فكرة عن شبكة العلاقات.

غير قضية شبكة العلاقات فيه قضية اسمها (تقاطع دوائر المصالح)؛ أن هذه دائرة (١)، ودائرة (٢)، بينهم مسافة مصلحة مشتركة. هذه أمريكا، وهذه المسلمون حركات وحكومات وشعوبًا.

في حرب أفغانستان كانت هناك مصلحة مشتركة اسمها (دمار روسيا). دمار روسيا فيه مصلحة مشتركة لناس لا دخلوا ولا أوجفوا خيلًا ولا ركِابًا، الصين لها حصة أنها مستفيدة هنا من دمار روسيا، ودمار روسيا يفيد إيران، لأنه يمدّ نفوذ المذهب الشيعي والمصالح الإيرانية في دول وسط آسيا.

فإذا دخلت إيران تهدّد تركيا، لأن هذه كلها دول أتراك، وبالتالي تتهدَّد تركيا كمصالح في دول سط آسيا فيجب أن يكون لها موقع في هذه المعركة. إذا كسبت تركيا يكسب الحزب، تتأثر باكستان، إذا ربحت باكستان تتضرّر الهند. فدخلنا في مصيبة وإذ فيها أربعون دائرة، وكل الأرض دخلت هنا في هذه المشكلة.

أحمد شاه مسعود ربَّته فرنسا، الآن هي تحفر له الخنادق وترسل له الدعم، حتى إمارة الملا عمر أخرجوا بيانًا أن فرنسا تتدخل في شؤون أفغانستان مؤخرًا وتعيد تجهيز المقاتلين بالسلاح وغيره.

---

[٣٣٧] سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

[٣٣٨] سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

ففي دوائر العلاقات أنت لا تستطيع أن تقول: لن أعمل في صالح أمريكا ولو ذبحت روسيا المسلمين. هذا الكلام لا يجوز، المسلمون يُذبحون من روسيا فيجب عليك أن تنصر المسلمين، ويستفيد من يستفيد.

ولكن ما هو الصواب؟ عندنا: دائرة المسلمين ودائرة أمريكا، فلازم تقاطع المصلحة المشتركة أغلبها يكون لصالحنا، ولو استفاد الطرف الآخر. إذا تيقّنت أن عملك سيكون في مصلحة الآخر تمامًا له وأنت ليس لك مصلحة لا تتدخل أصلًا. إذا كان غالب الدخول له وجزء منها لك لا تتدخّل. لكن يجب وأنت داخل أن تعمل على تحقيق مصلحتك وأن يكون أغلب الكسب لك، وتحاول قدر ما يمكن أن لا يستفيد هو..

فهذا صراع سياسي يحتاج عقليات سياسية تدير هذه المعركة. وإذا أنا أحارب روسيا، دفعت أمريكا أموالًا وأخذناها ليس حرامًا، وأفتى الشيخ عبد الله أنه لم يكن حرامًا، ودفعت السعودية مالًا وما كان حرامًا، **ولكن هذه الأموال وهي تُصرف كان ينبغي أن ندرّب أناسًا مهمَّتهم أن يعملوا لصالحنا..**

الشيخ عبد الله عزام أخفى هذا المخطط وفي آخر حياته كان يريد العمل عليه، هو نجح على الصعيد الفكري، كل كتاباته وكل إنتاجه وكل تربيته كان في الاتجاه الصحيح، وهو كسب نحن نعيش عليه الآن.

ولكن في المجال العملي لما أراد أن يتحرَّك فعليًا في مرحلة تحرير القدس من أفغانستان وتشكيل كتائب تعمل في القدس في أفغانستان، حرَّك الأمريكان في الطرف الآخر عملاءهم على كل الأصعدة، بدأ يُضيّق عليه في مساعدات دول الخليج، بدأت تأتي مساعدات أقل، وأرسلوا له قيادة الإخوان المسلمين تتشاجر معه في بيشاور وإسلام آباد حتى تعيق الحركة، وعملوا له مشاكل بينه وبين الشباب، ودسّوا له بعض المخابرات ومنظمة التحرير، وفي الآخر قتلوه. حتى لا يسمحوا أن تدور العجلة لصالح المسلمين.

فيجب أن نخطّط بهذه الصورة، أن نحصّن قوادنا أكثر، نربي قيادات جانبية أكثر، نعمل تنظيمًا جزء منه سري وجزء منه علني، نفتح ساحات أخرى، هو شطرنج نلعب نحن والعدو على رقعة مكشوفة..

ولكن أنت فين والحب فين!، من يدري ومن يعمل ومن يخطّط؟! إذا كان معظم الشباب اختصر الإسلام بالجهاد واختصر الجهاد بالقتال، واختصر القتال بالتعرُّض، فصار عنده أصلًا عيش الإسلام أن يخرج للتعرّض، وفي الآخر يفسّر لك إياها أنه (كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه)، لا فهم الدين كما ينبغي، ولا الأخلاق كما ينبغي، ولا التدريب كما ينبغي، ويقول لك: طار إليها!.

طار إليها قُتل الله يرحمه دفناه وخلاص، كنا ستمائة صرنا خمسمائة، الله يرحمه وفاز وربح، وهذه والمعاني التي تحكوها كلها أعرفها وحاضرة في ذهني، ولكن فيه شيء اسمه (نتيجة معركة)، خرج الصحابة في غزوة فالرسول ﷺ جاء يودعهم، فقالوا: (ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ). فَقَالَ: (اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ)، ثم جاؤوا ثانية فقالوا: (ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ). فَقَالَ: (اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ)، ثم في الثالثة قال: (اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ)[٣٣٩]. فالشهيد هو فاز، ونحن خسرنا.

في المفهوم العام للمعادلة هو فاز، لكن نحن خسرنا. ما رأيك في جيش كله شهداء، من كسب المعركة؟! كسب المعركة العدو. الأسير يحتسب سجنه عند الله -سبحانه وتعالى-، فإذا أصبح التنظيم كله محبوسًا فهل هذا فوز؟!

فهناك مفاهيم يجب أن نعرفها، وأن نتحرّك بعقل في هذه المعركة.

ففي المختصر بمراجعتنا للعمليات التي قمنا بها تجد أنه في كثير من المجالات عملنا لصالح الآخرين، قد يخطر على بالك أن هذا كان فقط في أفغانستان وفي البوسنة، أنا أعتقد -وطبعًا الآن ستندهشون- أنه في كثير من الثورات المسلّحة التي حصلت في البلاد على المرتدين كانت لصالح العدو.

ثورة حاصلة على فهد أو على حسني مبارك. لماذا التنظيمات كانت تتمدَّد؟ لأنهم يأخذون مالًا من دول أخرى، هي في نفس النظام الدولي وتساعد في قيام هذه الحركات. نحن عملنا لصالحنا ويجب أن نقصف المرتد ونحاربه، ولكن في النهاية جاءت هذه الثورات بالصورة التي حصلت فيها لصالح الأعداء وليس لصالحنا. والآن أقول كيف..

طبعًا من دروس السياسة التي يجب أن نعطيها للشباب: (دنيا العميل والعملاء)؛ هم يتصوَّرون العميل حجر شطرنج تقول له أمريكا: قم فيقوم، اجلس فيجلس، نم فينام..، والعميل ليس هكذا!. العميل عنده كيان أمام كيان كبير، يرى كما قال يقول السادات: "تسعون بالمائة من أوراق اللعبة بيد أمريكا"، ثم حسني مبارك من بعده يقول: "تسعة وتسعون في المائة من أوراق اللعبة بيد أمريكا"، زاد عليها تسعة.

فناس تعتقد أن الأوراق هناك، ولكن هو له هامش شخصي، لمصلحته أن يبقى في السلطة. لما يحس أن أمريكا ستزيله عن الكرسي يحارب أمريكا، حتى يبقى هو ولا يأتي الذي بعده، وهذا مثل الشاه ومثل صدام. هو يحارب ولا يسمح لها أن تزيله.

---

[٣٣٩] مسند الإمام أحمد (٢٢١٤٠).

وعنده هامش آخر هو الأسرة، الحزب، الفئة، آل سعود؛ آل سعود لو علموا أن الأمريكان سيستبدلونهم سيحاولون استبدالهم بأي سيد آخر يُبقي عليهم في الملك. فالعميل ليس معناه (مفتاح كهرباء) يتحكم به بالضغط عليه فقط، هو غالب أعماله لصالح السيد، ولكن له هامش شخصي. له هامش شخصي بشخصه، له هامش شخصي بأسسه، له هامش شخصي لأفكاره، عبد الناصر قومي عربي، هذا المضروب صدام قومي عربي، عنده أفكار يريد أن يحققها في العراق، الشاه رجل إيراني فارسي يريد أن يعيد حضارة الفرس، شيعي بهائي عنده دين وعنده معتقدات. فعنده هامش خاص يريد أن يحققه مع السيد.

السيد أكبر منه يدرك مصالحه الخاصة هذه فيضعها له من أجل البقاء على جسر العمالة بحيث هذا آخذ ٩٩% وهذا آخذ ١%، ولكن هناك عميل يأخذ ٣% وعميل يأخذ ١٠% وعميل يأخذ ٤٧%، فرنسا عميلة للأمريكان ولكن هل هي مثل عمالة شيخ البحرين؟! قطعًا عمالة فرنسا لأمريكا ليست مثل عمالة شيخ البحرين.

في عميل فارغ نهائيًا ليس عنده أي هامش، هو فقط عنده مشكلة وحيدة أن يجلس على الكرسي، مقابل ذلك لا أسرة ولا دين ولا قومية ولا دينية ولا مذهبية ولا شيء، هو فقط يريد: ضعوني على الكرسي وولاية العهد من بعدي لابني ولفلان. هذا النوع من العملاء نموذجه الواضح جدًّا شيوخ الخليج. وشيوخ الخليج على تفاوت، فالسعودية ليست كقابوس وليس كشيخ البحرين وليس كرأس الخيمة وذنب الخيمة كل واحد حسب حجمه وحسب وزنه وحسب سلاحه وحسب عدد السكان عنده وحسب التوازنات والاستراتيجيات. فالعميل يتبع ويعمل بهذه الصورة.

الآن العميل إذا قوي يتفرعن على السيد قليلًا، وإذا ضعف يتبع أكثر للسيد. السيد هذا ينهب البترول، ويفسد الناس ويغير ثقافتهم ويغير دينهم وله أهداف في شعوبنا، من يُشرف على هذه الأعمال؟ العميل هو الذي ينفّذها.

العميل أحيانًا تتصادم طلبات السيد معه، كما حصل بالتطبيع مباشرة، أنا سمعت من حسني مبارك يقول: "الآن أمريكا والغرب يطلب منا إجراءات فوق طاقتنا". ما معنا إجراءات فوق طاقتنا؟ معناها ستفضحوننا وسيثور علينا الشعب في النهاية. تريد التطبيع وأمورًا لا أستطيع أعملها أنا. حتى يقول حسني مبارك: "إذا ما ساعدتنا أمريكا ودول الغرب فالخيار الذي سيأتي على أنقاضنا هو الأصولية الإسلامية". صار يهدّد السيّد بالأصولية الإسلامية!

فنحن أتينا بثورات مجتزأة، فماذا فعلنا؟! قمنا بثورة على هذا العميل بطريقة تُضعفه ولا تقضي عليه. فلما هو ضعف وتبهدل أصبح بحاجة أكثر للسيد، فصار السيد يأخذ منه مكتسبات على حساب الأمة أكثر من الأول. وبالنهاية

نحن قمنا بثورات صارت لصالح النظام الدولي! في النهاية أدّى العمل الذي حصل في سوريا إلى اجتياح للكفر أكبر بعشر مرات بعد الثورة من قبلها في سوريا.

فلذلك أنت أحيانًا تشتغل وتجد أن شغلك في النهاية يصبّ في مصالح الآخرين، هذا لا يعني أنك أنت تشتغل عند الآخرين، ولا يعني أن تترك شغلك، هذا ماذا يعني؟ أن تصحّح شغلك بحيث تشتغل لحسابك.

فمعظم الحركات التي قامت بهذه الجهالة التي قامت فيها سواء القدريَّة أو المتعمَّدة كانت بالمجمل هي في صالح الآخرين..

الآن الحكومة السعودية أشدّ ركوعًا لأمريكا من قبل. لماذا؟ لأنها مهدَّدة. بل أثناء حرب الخليج نشرت (جريدة التايمز الأمريكية) صورة فهد بأبشع صورة وعينه طافئة وحالته شنيعة، وكتبوا تحتها: "أكبر سكير في العالم"، هذا في فترة حرب الخليج في سنة ١٩٩٠ وجاءنا العدد هنا. لماذا؟ يريدون منه أن يوافق على دخول كميات أكبر من القوات الأمريكية في السعودية. هو موافق أصلًا على هذه القضية لكن يريدون أن يتبهدل أكثر، فيحسّ أنه مهدَّد فيقبل بدخول المزيد، وهو تردّد قليلًا في السماح للقوات الأمريكية في ضرب العراق في المرحلة التالية فحركوا له مشكلتين وسمحوا بحركات وثورات، فسمح بضرب العراق من الأراضي السعودية!

فالعميل أحيانًا يحس أن هناك أعمالًا ستُودي به فلا يعملها، فيقوم السيد بإضعافه، وأحيانًا يُضعفه بك.

وهذه قضية في دنيا السياسة معروفة، حتى أذناب الأذناب الأغبياء صاروا يتعلّمون اللعبة. علي عبد الله صالح طلع مرة وقال: إذا لم يصطلح معنا السعوديون على ترسيم الحدود سنأتي بأسامة بن لادن هنا. وهو لم يتصل به أسامة بن لادن ولا له خبر، فقط يهدّد به، أن هذه القضية تخيفكم فأنا آتي بالرجل عندنا. أصلًا لو قال له تعال ربما الرجل لا يذهب ولا يتعامل معه، ولكن هو يريد أن يهدّد، عميل يخوّف عميلًا لأنه فهم اللعبة.

ففي دنيا السياسة أصبحت قضية خبيثة جدًّا معقّدة، هذه مبنية على ثقافة كبيرة جدًّا، وفهم للتاريخ وفهم للعلاقات وفهم للمصائب وسماع للأخبار، ولكن أخانا لم يعلم أن الخميني توفي، ثم يريد أن يدير المعركة..!

فالشاهد في الموضوع هذه الأمور يجب أن ترجع إلى الحسابات والعقل.

أخطاء في الأسلوب الدعوي

نأتي الآن إلى قضية الدعوة، وهي أساس اندحار الحركات الجهادية. في الإعلام هناك شيء اسمه (فحوى الخطاب)، هذا يعني المكتوب في الرسالة، موضوع الرسالة. وهناك شيء اسمه (أسلوب الخطاب)؛ هناك أسلوب شديد، أسلوب عاطفي، أسلوب أدبي، أسلوب قليل الحياء، هذا الأسلوب الذي كُتب به الخطاب.

وبعد ذلك هناك شيء اسمه (وسيلة نقل الخطاب). وشيء اسمه (جهة الخطاب)؛ أي الذي ستخاطبه. فهذا من علم الإعلام، فلما أنت تريد أن تتكلم مع واحد في موضوع أول شيء ينبغي أن تعرف مع من تتكلم، هل هي رسالة إلى شركة كهرباء؟ أم رسالة إلى بنت جيرانك تريد تخطبها وتطلب القرب منها؟ أو واحد ضال تريد أن تهديه إلى الله – سبحانه وتعالى–؟ أم هي رسالة لواحد أنت متشاجر معه وتريد أن تعلّمه الأدب؟ يختلف تمامًا بأسلوب معين.

إذا لشركة كهرباء تحدد جهة الخطاب: شركة كهرباء، فحوى الخطاب: موضوع قطع الكهرباء، نريد أن نطلب منهم توصيل الكهرباء، أسلوب الخطاب: معالي وزير الكهرباء في اليوم الفلاني حصل كذا، ومعاليك ونريد وصل الكهرباء.. وسيلة الخطاب: ترسلها مع واحد بنت عمه صديقة زوجة وزير الكهرباء، فهذه وسيلة الخطاب، فترجع الكهرباء. هذه اسمها وسيلة نقل. أما إذا أرسلتها بدون واسطة ولا هم ولا يحزنون لا ترجع الكهرباء.

تريد تخطب تكتب لبنت خالتك: "حبيبتي يا بلبلة شجر الليمون..."، ثم تختار وسيلة مناسبة، فتقبل أن تتزوجها، فترسل أمك لتخطبها. حدَّدت الجهة، حدَّدت الوسيلة، أرسلتها مع شخص محبَّب أخذت قلبها.

هذا أصل في الدعوة مُحترم. أن تعرف مع من تتكلم وماذا تتكلم وماذا تريد. فهل هذا العلم البدهي كان محترمًا عندنا في خطاب الناس؟!

أول شيء لا نعرف مع من نتكلم! الأمة كلها مع بعضها نتكلم معها بلهجة واحدة، هو عامي هو شيخ هو إخواني هو صالح هو عاطل، كله رسالة واحدة إلى كل الناس. في علم الإعلام هناك شيء اسمه (إعلام عام)، لأنه تقرأه شرائح كثيرة من الناس. وشيء اسمه (إعلام خاص) فتصدر بيانًا إلى علماء الأمة، هذا خاص. تتكلم إلى علماء الأمة، تقول لهم: "قال الحاوي وحاشية الصاوي وقال فلان وفلان والمحتاج والمنهاج.."، فتتكلم بما يفهمونه، فتُقيم عليهم الحجة. هذا بيان إلى العلماء.

تريد أن تتكلم مع العامة فهل تقول لهم: "المحتاج والمنهاج.."، رجل يصلي أو لا يصلي حتى ولا يعرف عقيدته تأتي تقول له: "وأثبت العلماء أن الجهاد أو دفع الصائل ليس أوجب بعد توحيد الله منه"، فهو لا يفهم هذا.

وأنا قلت هذا الكلام للدكتور فضل في سنة ١٩٩٠، قال لي: والله صحيح ويجب أن نراجع أمورنا. قلت له: يا أخي كتاب (العمدة) والكتب التي تُخرجونها لو نحن مشينا هكذا في القاهرة وأخذنا ألف واحد قاعدين على ناصية قهوة وجئنا وقرأنا عليهم فصلين من الكتاب، برأيك كم واحد سيفهم من هؤلاء؟ لن يفهم عليك، وإذا فهم لا يتقبَّل الخطاب. فهناك أسلوب تدعو فيه هؤلاء الناس على قدر عقلهم وفهمهم.

هذا الكلام ما كان محترمًا أبدًا، وأقول أن العملية تحتاج تجديد أسلوب الخطاب. حتى الإمام ابن تيمية في كتبه في فقهه في أسئلة العامة لاحظ أسلوبه في الفتاوى في الرد على العامة، وفي مناظرات العلماء لاحظ كلامه مع العلماء.

العلماء الذين حشدوا لدفع الصائل أسلوب خطابهم كان مناسبًا للناس، الشيخ عبد الله كان أستاذًا في هذه القضية –رحمة الله عليه–، قضايا تحريض العوام على دفع الصائل، قصص، رقائق، عواطف، بعض آيات وأحاديث قطعية الدلالة واضحة الصياغة، يأتي بها بحيث تنزل في خلده، قال الله وقال الرسول والقضية هكذا، هذا عيب وليس من الرجولة، يا جماعة الناس عرضنا وأرضنا ينتهك، فالعامي يفهم ويدخل في القضية..

فلا يمكن أن تُحمل كل الخطاب، هناك كلام للعلماء، وكلام للعامة، كلام خاص، وكلام عام تكتبه بحيث يقع بيد أي شخص يفهمه.

فإذا جئنا إلى خطاب الجهاديين خلال هذه المرحلة تجد أنه كان نخبويًا، لأننا وضعنا في رأسنا من البداية إلى الآن أننا نخاطب علماء. كنت أتكلم مع الإخوة الذين يريدون التحريض على الجهاد في الجزيرة، وهو أصلًا حدَّد سلفًا جهة الخطاب، سألته أنا لماذا تكتب هكذا؟ قال: لأنه نحن أصلًا نخاطب العلماء وطلبة العلم، بنوا النظرية على أساس أن أهل الجزيرة شعب متديّن فلا يتحرّك إلا بقناعة العلماء وطلبة العلم. هذه النظرية التي وضعوها أنا أرى أنها غلط ابتداءً.

هو حدّد العلماء وطلبة العلم، بدأ يتكلم معهم بأسلوب الحاوي والصاوي، طبعًا لأنهم علماء فبياناتهم على مستوى الأدلّة ووجوب كذا وأدلة معقدة يتكلم معهم هكذا. العلماء هم إلى لحظتنا هذه في الجزيرة –غالبهم إلا من رحم الله وهم قليل– هم في حظ الشيطان أصلًا مع الملك. فأنا أريد أن أجنّد من هو في صف العدو! فينبغي أن أجنّد في

الشريحة العامة الأخرى، أريد أن أخاطب طلبة العلم فقط، وهذا الخطاب لطلبة العلم في سبع سنين جاء بستة شباب!. فهذه شريحة أصلًا ليس بينك وبينها قضية اتصال.

هذا لا يعني أن لا تخاطبها، يجب أن تخاطب كل الناس، ولكن هناك شيء اسمه (محور أساسي لجهة الخطاب) التي تريد أن تحشد منها، الشيوعيون حددوا دائرة الخطاب، من؟ العمال والفلاحون والفقراء.

مروان حديد حدَّد ما يسمونه في حرب العصابات (مفتاح الصراع)؛ المسألة التي تريد أن تحشد عليها الناس، فنحن نسميه (مفتاح الجهاد)، حدَّد المسألة أنه يريد أن يخاطب أهل السنة ضد النصيرية، فجنّد كل الناس، دعوة سهلة جدًّا. في قضية فلسطين تحشد ضد اليهود، مسلمون ويهود، أنت تريد أن تجمع الناس. هذه أسماها ابن خلدون (عصبية) تجتمع عليها الناس.

فأنت لما تأتي لتخاطب شريحة يجب أن يكون هناك قاسم مشترك بينك وبين هذه الشريحة في المعاناة، هي تعاني من الخصم وأنت تعاني من الخصم، فتشترك في دعوتها فتأتي إليك. العلماء وطلبة العلم هل يعانون من الخصم؟! هم شركاء الخصم! شركاء الخصم يتقاسمون الأموال مع الخصم، فكيف سأجنّدهم أنا؟ هل هم الشريحة الأساسية؟! هم جزء من الشريحة. فأخذوا كل الخطاب وطبعوا كل الخطاب بهذا الأسلوب.

تعال لمصر، جماعة الجهاد تبنّت العقيدة السلفية، جماعة ليبيا تبنّت العقيدة السلفية إلى آخره، كلنا تبنينا الخطاب السلفي، فصار خطابنا إلى الأمة وكأنه خطاب إلى الصحوة. ثم خصّصنا من الصحوة من اشترك معنا بالعقيدة أو بالأحرى بالمنهج السلفي. فلما أنا خصَّصت شريحة أتكلم معها، صار لي دائرة أنصار للجهاد ضمن دائرة الصحوة. فهو خطاب نخبوي وليس للأمة. أنا أمسكت منخلًا قطره (٧مم) وصرت أنخّل. فخلاص يبقى معي الحبَّات التي قطرها أكبر من (٧مم) والباقي ينزل.

فالأمة كلها تحت (٧مم)، انزلقت كل الأمة، بقي معنا القليل من الصحوة، خاطبناها فنزلت، بقي معنا القليل من السلفيين، في النهاية بقي العشرات!

فهذا من فشل الخطاب؛ فلم تحدَّد جهة الخطاب بشكل صحيح. تبع ذلك أن فحوى الخطاب غير صحيحة، تبع ذلك أن أسلوب الخطاب كما قلت فيه استعلاء على الناس؛ نحن موحدون وأنتم مبتدعة، نحن نجاهد وأنتم قعدة، نحن صالحون وأنتم عاطلون، فقال لك: خد الصالحين الذين معك واذهب جاهد بهم نحن ليس لنا علاقة!

فانضرب أسلوب الخطاب وكان خطابًا تهديديًا قسريًا، ليس فيه رحمة، وليس فيه تأليف، ولا تُشعر الإنسان العامي العادي أن بينك وبينه وِحدة حال وينبغي أن يقف معك، فكان هناك فشل.

الأمر الآخر: أسلوب إيصال الخطاب، ثلاثون سنة وأسلوب إيصال الخطاب (نشرة ومنشور)، هل هناك غيره؟! لم يطوَّر، الآن صرتم في زمان الإنترنت يا بشر!، في زمان الفاكسات، في زمان شركات توزيع الفاكس الجماعي، الآن في المؤسسات السعودية الفاكس ترسله إلى خمسة آلاف عنوان بأربع دقائق. فهناك وسائل تستطيع توصِل بها، وأمور يمكن أن تستفيد منها وما يزال أسلوب الخطاب بهذه الصورة! قد يقول قائل: الأمور المادية في بعض الحركات ليس في إمكانها، فبعض الحركات في إمكانها وبعضها ليس في إمكانها.

إلى الآن قليل من الحركات عمل قفزة فأدخل الكاسيت، ما زال في مرحلة الكاسيت وقليل!، وأقل منه نادر من يعمل فيديو ببعض الأخبار أو محاضرة وينشرها. ٦٠-٧٠% من الشباب الذين جاؤوا أفغانستان بدعوى الشيخ جاؤوا على كاسيت الشيخ عبد الله وفيديو الشيخ عبد الله ونشرة الجهاد الأفغانستاني المصوَّرة المرتبة.

فأسلوب إيصال الخطاب أصلًا أسلوب متخلّف. قلنا لهم: الآن اعملوا نقلة، هناك صحف قومية، وصحف وطنية، وصحف أجنبية تريد أن تعمل سبقًا صحفيًا، اعمل الموضوع الذي تريده وأرسله لهم في سبق صحفي، واجعل الأمة تسمع أخبارك من ال(بي بي سي).

آخر ما حُرِّك رأيت منشورًا نُشر اسمه (رسالة إلى الشعب الكيني) هذا المثال بعد انفجار نيروبي، في مجلّة (الجهاد المصرية) أظن، أضرب أمثلة حتى نستفيد. ضُرب الشعب الكيني، وهناك خسائر في الشعب الكيني، فيجب أن نبرّر أمام الشعب الكيني، وهذا صحيح حتى يتفهّموا موقفنا.

جهة الخطاب صحيحة؛ أن نخاطب الشعب الكيني، موضوع الخطاب صحيح؛ أن نعتذر أو نشرح موقفنا لماذا قُتل مدنيّون، جوهر المكتوب جميل جدًّا، أن الأمريكان استغلوكم وتسبَّب وجود مصالح إسرائيل بهذه الأضرار، وأنتم حكومتكم مسؤولة عنها. حتى الآن جميل. جئنا إلى وسيلة الخطاب؛ وسيلة الخطاب: رسالة مكتوبة في اللغة العربية للشعب الكيني توزَّع في جلال آباد!!.

*[340].. فهو يقول لي: "يعني أنت ماذا فعلت؟ وتخطَّيت الإخوة والشهداء والجهاد؟!"، أقول: يا أخي أنا معهم في كل شيء، جزاهم الله خيرًا، رحمة الله عليهم، رفعوا رأسنا، بيّضوا وجوهنا، يا ليت كل يوم تحدث مثل هذه العملية. هذا الكلام لا خلاف عليه، لكن أنا أقول أنك إذا أردت أن تقوم بعمل فيجب أن تدرس الجدوى، فتتابُعات أعمالك لها أصول، فيجب أن تقوم بها على الأصول.

وهذا لا يعني أني أتنقّص من فلان وعلان، وأننا جالسون هنا نأكل ونشرب والناس ذهبت وقُتلت في عمليات استشهادية.

هذا الكلام اسمه تهويش حتى لا يصل الواحد إلى تصحيح خطئه وتعديل مساره. الأمور المتَّفق عليها متفق عليها، والآن أنا أضرب مثالًا للإيضاح.

فالشاهد في الموضوع عندما تريد أن تتكلم مع الناس يجب أن يكون الخطاب مناسبًا لكافة الشرائح. أرجع أوجز الخطأ الذي وقعنا فيه: كان الخطاب نخبويًا موجّهًا لنخبة، غير شعبي، غير موجَّه للأمة، ليس أمميًا، أحاديًا ليس شاملًا، اقتصرنا على موضوع الحاكمية كما قلت لك، {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}[341]، العالم ما فهمت وما اقتنعت. فهناك أساليب أخرى، هناك طرح آخر من الولاء والبراء والاحتلال والاقتصاد وغيرها التي لها جانب شرعي ما تكلمنا فيها أبدًا، تركناها للعلمانيين أخذوها وجمعوا الجماهير كلها. أفشل حزب علماني عنده أضعاف أضعاف أساليب الخطاب التي عند الأمة المسلمة!

فكان الخطاب أحاديًا وليس شاملًا، ضيق الوصول، محصورًا، نشرات (النذير) دخل سوريا أيام الجهاد منها الأعداد من واحد لخمسة عشر أو عشرين، ثم وصلت لعدد ٢٠٠ وكذا ولم تصل!، وهي مكتوبة للشعب السوري وما وصلته، تُوزعَّ في الخارج ليس لها فائدة. هو يقول لي: "لها فائدة، تأتي بمال لحسابات الإخوة". نعم، ولكن ليس لها فائدة في الجهاد، وليس لها فائدة في الثورة.

أيضًا هناك استعلاء على الناس، وبالتالي تجعله بعيدًا عن المعركة، أسلوب تهديدي قسري ليس فيه رحمة، أسلوب مُنعزل عن الناس في الحياة العامة، وأسلوب الدعوة هذا ليس فقط في الخطاب، وإنما هذا أسلوب حياة. لاحظ أنت

---

[340] بداية تفريغ الملف التاسع والعشرين.

[341] سورة المائدة، الآية: ٤٤.

أن الإخوة بعدما ملّوا من الناس وما فيهم من فسوق وكفر وضلال، فانكمشنا نحن داخل الصحوة، رأينا أن الصحوة ديمقراطية، وفيها بلاوي فانكمشنا داخل التيار الجهادي.

فصرنا كلنا جماعة منغلقة على نفسها؛ لما نريد أن نتاجر نتاجر مع بعضنا، لما نتزوج نتزوج من بعضنا، لما نتزاور نزور بعضنا، فأصبحنا مجتمعًا مغلقًا دون الأمة. نحن في وادٍ والأمة في وادٍ، فبقيت الأمة بلا دعاة، وبقيت الأمة بلا تماس. الأصل أن ثلثيّ العالم الإسلامي أسلم بتماسّه مع تجار المسلمين. أما نحن من أول الدعوة الواحد يكون أخوه مختلفًا عنه بالأفكار أو أهله في بيتهم تلفاز، يغسل يده منهم وينعزل عنهم، فليس عندنا صبر الداعية على دعوة الناس.

اتركك من القتال وأنك تريد حشد جمهور لهذه الفكرة، أصبحنا معزولين عن الناس، والأمة معزولة عنا. حتى أني أعرف إخوة يدخل في البيت لأن فيه تلفازًا يسلم على أهله ويدخل على غرفة ثانية ولا يجلس معهم، لا يعجبه وضعهم، وهو يعيش في أفكاره وفي طريقته لوحده. فليس هناك تواصل، فأصبحت الدعوة وهي أهم أسلوب الإعلام دعوة محصورة، فأدى هذا إلى أن صرنا معزولين عن الناس ومعزولين عن الآخرين.

أخطاء عامة

بقي عندنا الباب الرابع: أخطاء عامة.

نحن قلنا أن هناك: أخطاء منهجية، أخطاء بنيوية، أخطاء في أسلوب العمل. الآن هناك أخطاء عامة لا تندرج تحت مسمَّى. (...).

***

هذا الفصل السابع بالإيجاز نقول: وصلنا فيه إلى أنه حصل عندنا في التيار الجهادي مشاكل وأخطاء عامة لا تندرج تحت التصنيف الأساسي للأخطاء الرئيسية المنهجية ثم البنيوية ثم أسلوب العمل، فأُعدّدها فقط دون شرح لأنها مفهومة حتى نوجز.

أولًا: **غياب العلماء أصحاب البُعد الشعبي الذين يقودون هذا التيار أو يكونون رموزًا له.**

هذا من أمراض التيار، غياب العلماء الذين يقودونه ويشكّلون مراجع للناس. وهذا ذكرته في الأسباب الخارجية ولكنه من مشاكلنا التي يجب أن نجد لها حلًا.

ثانيًا: **انخفاض مستوى العلم الشرعي عمومًا في القيادات والقواعد في التيار الجهادي.**

هذه القاعدة لا يخرقها أنَّ هناك استثناءً من ثلاثة أو خمسة، ولكن كتيار تجد مستوى العلم الشرعي منخفضًا فيه عمومًا.

الأمر الثالث: **انخفاض مستوى التربية العبادية والسلوكية والخُلقية.**

مع الوقت أصبح مستوى العبادة منخفضًا، حتى أني أميّز ما بين المرحلة الأولى والمرحلة الأخيرة في أفغانستان، مستوى الناس ونوعية الناس التي جاءت، ومستوى الأفراد الذين ينتمون للجماعة الجهادية الفلانية قبل عشر سنين ومستوى الذين ينتمون إليها الآن. فهناك انخفاض مستوى التربية والأخلاق والعبادات، كانخفاض مستوى العلم الشرعي.

رابعًا: **انخفاض عام في مستوى الوعي السياسي وفقه الواقع، عند القائد والمقود.**

بدءًا من الذي لا يعلم أن الخميني مات، وانتهاءً بقيادات لا تستطيع أن تقرأ خبرًا وتفهم أبعاده السياسية حتى تضع على أساسه مخططًا. فهناك جهل في فقه الواقع.

خامسًا: **اقتصار الإعداد على النواحي العسكرية التدريبية وبصورة منخفضة.**

أمسك أي معسكر من المعسكرات أمضى ١٨ ساعة أو عشرين ساعة في التدريب على مدى ستة أو سبعة شهور، ما المواد التي أخذها؟ تجد أنها مواد عسكرية. وإذا كان هناك توجيه شرعي ففي حدود القراءة من (رياض الصالحين) أو درس في التجويد فقط. التوجيه السياسي غائب نهائيًا، التوجيه الحركي في نقل تجارب الماضين إليهم غائب نهائيًا،

التدريب الرياضي -وهو ملحق بالتدريب العسكري- كثيف وكثير وخاطئ يدمّر الإنسان في كثير من المراحل في جهد لا طائل وراءه..!

ثم تدريب عسكري يقوم به غير المتخصّص؛ رجل يتدرب ليقاتل في حرب عصابات مدن يصرفون معه وقتًا كثيرًا جدًّا على الشلكة والدشكة والبي أم، ولا أدري ماذا سيستفيد منها؟!، ورجل سيقاتل في الجبال يقوم بدورة الكترونيات وسموم، فحتى العلم العسكري مستواه منخفض جدًّا. والمصيبة مع ذلك أنه أحادي! وأما التربية السياسية، التربية العلمية الشرعية، والتربية الخلقية والسلوكية منخفضة وغائبة عن عمليات التدريب.

سادسًا: **شيوع الفوضى وانعدام الإدارة والضبط، وكل مظاهر التخلّف.**

هذا كله سنحاول أن نستفيد منه في وضع المنهج، وفي وضع ترتيب. تدخل أي معسكر، تدخل أي مضافة، تدخل أي بيت حتى، تجد أن أي مجموعة يخرجون هكذا ليعملوا مشروعًا لوحدهم، أي تعرُّض تجد أنه مطبوع بالفوضى، مطبوع بالتخلّف، مطبوع بعدم الضبط في الوقت.

أما احترام الوقت وكل القضايا التي ممكن أن تكون مقوّمات للنجاح والإدارة والحضارة غائبة تمامًا.

تجدها عند بعض الأفراد، فيصيرون موضعًا للاستهزاء!؛ لأنه يحافظ على الترتيب والضبط أن هذا عنده وسواس في الانضباط وهذا عنده وسواس في حفظ الوقت!! فأصبحت حالات التخلّف والفوضى هذه منتشرة، مع أنها أمور بسيطة جدًّا من الدين.

وقضية النظافة كذلك، تدخل على مكتبة تجد ستة أجزاء من الكتاب، واحد مفعوس هكذا ومجلد ساقط ومجلّد شالح جلده هكذا، وأخ رماه وما أرجعه إلى مكانه. فمكتبة يتم تعميرها لستة شهور ثم تموت ولا يستفيد منها أحد.

فليس هناك احترام لأي شيء، تدخل الخلاء تشتهي أن تهرب منه، تدخل مكانًا تجد كل واحد قام في الصباح وكأن وراءه سبعة جوارٍ يلمّون الفراش!

فالإنسان الذي في حالته العادية هكذا لا يمكن أن يدخل في حرب منظمة، خلاص لا يمكن أن تعمل به تعرّضًا منظمًا، وبالتالي عقله غير منظم تخطيطه للحرب غير منظم، فتكون النتيجة على الصورة التي رأيناها. هذا تحت عنوان شيوع الفوضى وانعدام الإدارة والضبط والتخلّف.

الأمر السابع: **هناك ميل عند الشباب للتَّزمت والتَّنطُّع والتَّشدد في الدين.**

كان الرسول ﷺ ما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما. الآن بالعكس تمامًا: إلا اختار أصعبهما! إيش أعسر؟ إيش أشد؟ فصار نتيجة الضغوط والقهر يعبّر عن التديّن بالتشدّد!

يعني إذا كان هناك حكمان واحد أسهل وواحد أصعب فيختار الأصعب، يعبّر عن التدين بالتشدّد، فهذا لا يمكن أن يكون داعية بحال من الأحوال.

أحد الإخوة جلس أمامه شخص أفغاني يريد أن يتعامل معه، وأنا جالس بجانبه، فرأى في يده مسبحة، فخطف المسبحة من يده، وهو رجل أفغاني لا يعرف العربية، وأول كلمتين قال له: سبحان الله شرك. أول كلمتين! لأنه مكتوب على المسبحة: (يا الله يا محمد). لا شك القضية معروفة، ولكن هل خطر في بال أحد منا بطريقة مرتبة على مدى ١٤ سنة أننا لما ندعو في بلد نبدأ بدورات تعليم بشتو وفارسي لمن يريد أن يدعو بحيث يملك لغة الخطاب للناس؟ هل خطر في باله أن يترفّق بهم ويأخذ بقاعدة علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: "من أحب أطاع"؟!، فهو فهمه بهذه الطريقة فقط.

فهناك عملية تنطّع وتشدّد وميل إلى التَّزمت في الأحكام، حتى أصبحت بين الأطفال وبين النساء وفي قضايا اجتماعية بسيطة تجد الميل لأحكام لا أدري من أين جاءوا بها!، وهذه القضية لا تجوز، وهذه القضية حرام، وهي ليس لها أصول في دين الله، فقط نوع من التشدد للتعبير عن كوننا متديّنين وأن عندنا زيادة في الالتزام!، فصار عندنا ميل للتشدد في هذا التيار.

الأمر الثامن: **إشاعة روح الإمَّعية وقتل الشورى، وقتل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخليًا.**

بنو إسرائيل لُعنوا لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، فنحن أصبحنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر للحكومة، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر للحركات للسلفية وللإخوان وللمشركين وللمبتدعة، كل هؤلاء نأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر. وأصبح هناك منكر كثير جدًا فيما بيننا، بين القائد والمقود، وبين المسؤولين، وبين الإخوة، فتستحي الناس من أن تأتمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيما بيننا.

فهذا جعل الوضع فاسدًا؛ ليس هناك صراحة، وليس هناك صدق، وهذا ولَّد نميمة وولَّد غيبة وولَّد أشياء غير صحيحة. فهناك انخفاض في مستوى البنية. وهذه الأمور لا يظن إنسان أنها بسيطة، هذه الأمور قلت لك تأتي بالمعاصي، تُوقعنا في غضب الله –سبحانه وتعالى–، تأتي في مصائب كثيرة، ثم توقع الشحناء والفساد وحالقة ذات البين، وبعد هذا الجمع لا يأتي بنتيجة.

الأمر التاسع: **العُقد النفسية والتوترات وردود الأفعال، والسلبية في الحياة العامة.**

الجهاد جزء من الإسلام، قال الرسول ﷺ: (أصل الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)، ثم قال للصحابي: (ألا أدلّك على جماع ذلك كلّه؛ أمسك عليك هذا)[٣٤٢]، يعني الأخلاق وحفظ اللسان. فأصل الأمر الإسلام كل الإسلام. فصار عند الإخوة تصوّر أن الجهاد هو كل الإسلام، ولأنه هو في ذروة سنام الإسلام فأصبح في غنى عن الإسلام!

قلت له: لو أردت أن تفهم التصوير البليغ للرسول ﷺ أنه ذروة سنام، يعني هناك جمل وله سنام، وأنت قاعد على ذروة سنام الإسلام. طيب ذروة سنام الإسلام هذا عبارة عن سبعة كيلو من الشحم، هل تستطيع أن تأخذها وتسافر عليها؟!

فالتفسير لذروة سنام الإسلام قاله ابن تيمية –رحمة الله عليه– في (الفتاوى): جُعل الجهاد ذروة سنام الإسلام لأنه لا يكون إلا بأن يحوي ذروة كل شيء من الدين والأخلاق، لا يكون إلا أن يكون فيه ذروة سنام التضحية بالروح وبالمال. ففيه ذروة الشجاعة، وفيه ذروة الكرم، وفيه ذروة البذل، وفيه ذروة الإيثار، وفيه ذروة الصبر، وفيه ذروة العبادة، وفيه ذروة الدعاء، وفيه ذروة حسن الصحبة، لا يكون إلا بذروة كل شيء فأصبح الجهاد ذروة سنام الإسلام.

في حين أصبح عندنا أن الجهاد ذروة سنام الإسلام فما عدنا نريد الجمل، خلاص شوية شحمة ويتزحلق في اتجاه التعرض لأنه هكذا فهم (طار إليها)!. –وشرحتها للشباب–.

فذروة سنام الإسلام تحتاج إلى أن ترجع إلى كليات الإسلام، وليس إلى ذروة سنام الإسلام فقط.

---

[٣٤٢] سنن الترمذي (٢٦١٦) سنن ابن ماجة (٣٩٧٣).

فهذا ولّد حالة نفسية، والآن الإخوة فيهم بقايا حرب، بقايا حطام، فيهم من خرج من بلده عمره عشرون سنة حطَّم أسرته وحطّم دراسته، ولم يعمل ولم يتعلّم صنعة، صار عمره ثلاثين سنة فلا يصلح للحياة العامة، فيريد كفيلًا، فعنده عقدة أصلًا. {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا}[٣٤٣]؛ إذا الإنسان ما أنفق على نفسه ومن يعول ينقص من قوامته بمقدارها. فلما الإنسان بلغ هذا الحد دخل في هذه القضايا، ولم يدخل في الحياة بشكل طبيعي.

كنا في قيادات غير ميدانية ومشكلة، أصبحنا في تنظيمات غير ميدانية، التنظيم كله انخلع وصار في مكان آخر. فظهرت له علل كثيرة، وهذا لا يكون إلا بإرجاع الصراع والتنظيمات إلى أساس ميدانها وإلى بلادها، بحيث يخرج الرجل يجاهد فيُقتل، فيأتي أخوه، ويُلاحق ابن عمه، فتجد القضية تمتد امتدادًا طبيعيًا وتتكاثر تكاثرًا طبيعيًا.

في حين تجد الجماعات الجهادية دخلت في مرحلة الانقراض البشري. يعني نحن كنا ثلاثين سوريًا، صرنا عشرين، تزوج اثنان فخرجوا، قُتل اثنان، رحل اثنان، واحد مات في حادث، فبقي قلة!.

فهناك أزمات كثيرة بحاجة إلى إعادة ترتيب، وهذه التوترات النفسية والبعد عن الحياة العامة يجب أن نرجع ونوطّن أنفسنا للتغلب عليها، وهذا له حل أن الجهاد ليس مشروع تعرّض ولا مشروع تعرُضين ولا مشروع سنتين، الجهاد أصبح مشروع الأجيال القادمة من هنا وإلى المهدي في آخر الزمان، تُحل المشكلة بحيث يرجع الناس للوضع الطبيعي حتى تستطيع تفكّر بشكل مستقر طبيعي. هذا الجهاد قضية أجيال وليس قضية سنتين حتى نضحي فيها كيفما استقر. والآن يجب أن نبحث في ظل النظام الدولي عن طريقة نستقرّ فيها ونتابع المعركة بصورة مستقرّة. وهذا له حل وله تصوّر -إن شاء الله-.

عاشرًا: الآن فيه ظاهرة أنا عملت فيها محاضرة في مركز النور، البارحة كنت أتحدث مع الشيخ عيسى وقال لي هذه تحتاج مجالات من التربية. قلت له أفرزت الحرب الأفغانية العربية هذه خيرات كثيرة جدًّا وأفرزت لنا سلبيات، من السلبيات ما أسميه (**ظاهرة المجاهد على كيفه**).

---

[٣٤٣] سورة النساء، الآية: ٣٤.

قلت له هذه ظاهرة المجاهد على كيفه هو إنسان حر فوق اللازم، فوق الحدود الشرعية حتى، هذا مجاهد على كيفه، في الحرب الأفغانية عنده سبعة أحزاب، كل حزب عنده مائة جبهة، كل جبهة فيها خمسون جبلًا، وأنواع الأسلحة المختلفة، فالرجل يجاهد مع الحزب الذي يريده، في التعرّض الذي يريده، على السلاح الذي يريده، ويتركه وقتما يريد، ويمشي وقتما يريد، يصيح على من يريد، ويكفّر من يريد.

فهو حر مطلقًا، لا يمكن ضبطه، لا يمكن وضعه في سياق منتج، ويفهم التصرّف الذي يتصرّفه أنه (طار إليها)! يا أخي القضية فيها تربية، وفيها أصول، فيها طاعة، فيها علماء، وفيها أحكام شرعية، فيه أكبر منك سنًا، والأقدم منك تجربة.

هذا المجال طويل أخذ محاضرة، فأنا أقول لك فقط (ظاهرة المجاهد على كيفه) لا يمكن تعبئته في عمل منتج، هو مجاهد على كيفه. أنا سميتهم في التعرُّض الأخير (كتيبة السيَّاح)، هناك جبهتان أو ثلاثة منظمات وبينهما عشرون سائحًا، يركب على أي مدرعة ماشية باتجاه التعرّض، عربية أو عجمية. طيب كيف النتيجة؟ مقابل من؟ ما النتيجة إذا قُتلت والمردود الذي حصلته أمة الإسلام؟ هذه القضية أنه مجاهد على كيفه!

ضربت لهم مثالًا جميلًا لطيفًا وحصل، كانوا يعدّون الإخوة قبل العملية أيام الجهاد وإلى الآن يعدُّون الإخوة قبل العملية ثم يصفّوهم بعد العملية ويعدُّوهم ليروا من جريح ومن شهيد. فعدّ أخٌ اثنا عشر أخًا لعملية في أيام الجهاد في أفغانستان، دخلوا الكمين وخرجوا، فلما عدَّهم وجدهم ١٣ زادوا واحدًا في العملية! فقال لهم: هذه عجيبة، المفروض يرجعوا نفسهم أو ينقصوا، فأخذ ينظر في الوجوه فرأى واحدًا يمنيًا ما رآه قبل العملية، قال له: أنت من أين جئت؟ قال: أنا رأيتكم ذاهبين للكمين فدخلت معكم، فزعة يا شيخ!

"فزعة" يعني رأى القوم خارجين ففزع لهم وخرج معهم، هذا فزعة دخل بمرمى من وخرج بمرمى من، كان يمكن أن يضربه أحد، لا يعرف موقعه ولا هو مع من. فهذا خطأ، هناك أشياء تحتاج ترتيبًا بدهيًا. فالقضية ليست لعبة فزعة يا شيخ، وتدخل لوحدك! فهذا مجاهد على كيفه.

هذا التعرّض الأخير الذي دخلناه -وكان معنا بعض الشباب منكم-، دخلنا في مناطق تدمير الأنفاق لمسعود، ضربنا نفقًا كبيرًا جدًّا فاكتشفنا بسبب ضغط الانفجار ٧-٨ فوهات في الأنفاق الأخرى، كان نفقًا مركزيًا، فأخذنا نتتبَّع فوهات الأنفاق، ففجأة حصل رمي علينا. فأنا كل الذي وقع في ذهني أنه من الناس الذين كانوا في النفق، لأنه حصل

في عمليات أخرى مع الأفغان وخرجوا من النفق، فعملنا خطًا وبدأنا نرمي وبدأوا يرمون، وكبَّرنا وكبروا، وضربناهم وضربونا، وفي الآخر إذا بهم من الطالبان، اشتبكنا معهم ١٣ دقيقة!، فالله جابها سليمة الحمد لله، ما أحد أُصيب، اشتبكنا مع بعضنا. في الآخر نحن نادينا على الطالبان ينجدونا وهم نادوا الطالبان ينجدوهم، فجاءت طالبان فاكتشفنا أن هم طالبان ونحن طالبان!

المشكلة عندنا مجاهد ليس على كيفه عسكريًا فقط، بل على كيفه فكريًا، على كيفه مذهبيًا، على كيفه يبدّع، يفسّق، يُقيم ويضع ويقيّم، لأنهم علموه أنه (هم رجال ونحن رجال)!

فظاهرة مجاهد على كيفه لا يمكن أن يقوم بها تجديد للعمل..

الأمر الحادي عشر: بعد أن قلنا العمل لحساب الآخرين، **عدم وضع نظريات عامة للإسلاميين فيما بعد نحن نعمل من أجل ماذا**. نحن الآن نقاتل الناس ويقاتلوننا، لما واحد يتشاجر مع العالم ينبغي أن يقول: أنا هدفي كذا وكذا. فهذا الأمر غير مطروح، هي ثلاث كلمات: (نقاتل أعداء الله).

وهذا الكلام بحاجة إلى نظرية متكاملة ننزل فيها إلى الناس، نحن ندعو الناس إلى ضرب الأعناق، وقطع الأرزاق، وهتك الأعراض. يدخلون معنا ليحصل لهم هذا، وهذا لا يدخله الإنسان دون مقابل، يجب أن يعرف أنه إذا مات يذهب للجنة، وإذا عاش سيعيش أفضل. فما هي صفة العيشة التي يعيشها؟ وما هي طروحاتنا لكل هذه الأمور؟

فهذا ضعيف في التيار الجهادي لأنه ليس فيه كتّاب ولا منظّرون. ليس هناك نظرية عمل نطرحها للناس، ونقول لهم: تعالوا قاتلوا معنا من أجل كذا وكذا. لأن الحديث عن البترول للعلمانيين، والحديث عن العمال للاشتراكيين!، وهذه القضايا التي هي في أصولها شرعية نحن تركناها لغيرنا وبقينا دون نظرية عمل!.

الأمر الثاني عشر: وهذه النقاط بعضها ذكرها الإخوة بدورة ماضية في (خوست)، فهناك بعض العيوب أنا ذكرتها، وبعض العيوب أملاها علينا بعض الشباب أصحاب التجربة. فمما ذكره أحد الإخوة أنه **في معظم الجماعات حقوق الفرد مهضومة وحقوق الجماعة معلومة**. يقول له: الجماعة لها عليك كذا، الأمير له عليك كذا، طيب أنا ماذا لي من حقوق؟

الجماعة تستطيع أن تفصل الفرد، ولكن الفرد إذا خرج من الجماعة تقول له: فارق الطاعة وفارق الجماعة. فإذا أنت عندك الحق أن تفصله فالغرم بالغرم، فهو عنده الحق أن يخرج أيضًا، فتجد أن حقوق الناس في تجمعات الجهاديين غير مقنَّنة، لأنها تجمّعات غير منظَّمة وكانت في مرحلة سرية لا تسمح بالترتيب.

الأمر الثالث عشر: من عيوب هذا التيار الجهادي ويكفي العنوان: **نسيان الأسرى...!**

وكأنهم خسائر حرب لا قيمة لهم!، نسيان الأسرى سواء كان عالمًا كبيرًا مثل سفر وسلمان والدكتور عمر، لم يخطر في بال أحد أن يخصّص جزءًا من العمليات لهؤلاء الناس. وإذا كان فردًا عاديًا يشعر أنه ضاع وانتهى. فقضية الأسرى هي أمانة ومن أهم واجبات عملية التجديد التي ندعو إليها هي وضع تصور لتخليص الأسرى.

الآن فقط أسرى طبعًا في البلاد العربية بالآلاف، ستون ألفًا في مصر، عشرة آلاف في تونس، ثلاثون ألفًا في سوريا. وأصبح لنا أسرى في الصِّدام مع النظام الدولي الآن في أمريكا قرابة واحد وثلاثين شخصًا.

في فرنسا قرابة مائة وخمسين، في إنجلترا قرابة أربعين أو خمسين، في ألمانيا سبعة أو ثمانية، في إيطاليا قرابة ستين واحدًا. فلو تعد الأسرى الذين جاؤوا نتيجة الحركة الأخيرة في الصدام مع النظام الدولي فقط قرابة خمسمائة واحد عند الصليبيين الآن. غير الأسرى عند اليهود في فلسطين، غير أسرى الجماعات الإسلامية عند الحكومات.

مع أنه ثبت للجميع أن العمليات الإرهابية التي كانت ناجحة وجادَّة في تخليص الأسرى إما خلّصت الأسرى فعلًا أو أنها عطت روحًا وأملًا للأسرى أن هناك من يفكّر فيهم، أو أعطت دفعًا لمن يعمل أنه إذا أُسر سيفكّر فيه من بعده. لكن لما يعرف أنه ذهب بدون مقابل فلا يعمل. فقضية نسيان الأسرى من السلبيات الكبيرة جدًّا.

الأمر الرابع عشر: **تعمية الأفراد ولا تفاصيل لديهم عن العمل.**

الكبار فوق يعرفون الخطة وماذا سيفعلون، يعرفون العقيدة والمنهج، أما الأفراد لا يعرفون ما هي القضية، وبالتالي يتحرك في مخطَّط معمًّى عليه. وهذا ليس من الإسرار على العدو، هذه خطوط عامة للخطة يجب أن تكون مناحيها معروفة، جهل العنصر بالمخطط يجعل طاعته محدودة لأنه ينبغي أن يطيع على بينة وعلى معرفة، في حين أنه إذا لم يفهم لا يطيع بشكل جيد، وهذا باب من أبواب الانقسامات.

الآن حصلت مشاكل خاصة في أفغانستان، تم تدريب كميات كبيرة من الناس لا عمل لها ولا جدوى للاستفادة منها، تدرّب في أفغانستان في المرحلة الأولى أربعون ألفًا، وفي مرحلة ما بين الشوطين جاء الناس لمعسكر (خلدن) وللمعسكرات الأخرى بالآلاف، تدرّب ناس بالآلاف، لكن لا عمل لهم ولا فائدة ولا برنامج. لماذا؟ لأنهم لم يتلقّوا فكرًا، ولا منهجًا ماذا يعملون. ليس هناك تنظيمات تستوعبهم، ولا عندهم قدرة على الإبداع ليعملوا، فأصبح التدريب في الهواء. مع أن أي أخ يعرف كم كان التدريب يكلّف من المال والوقت والأمن. ولكن دُرِّبوا دون فائدة!

الأمر الخامس عشر: من النقاط الأخيرة التي ذكرها أحد الإخوة أن **مفهوم الشهادة في سبيل الله أصبح مشوّهًا**.

أصبح عند كثير من الناس كأنه سبيل للخلاص من الحياة. الشهادة أجر قبل أن تكون هدفًا، الشهادة في سبيل الله من كرم الله –سبحانه وتعالى– أنه هو أعطى هذه الروح، ولكن من كرمه يجازيك عليها لما أنت تبيعها وهي له فيعطيك أجر الشهادة في سبيل الله، ولكن هي ليست هدفًا للتنظيم، وأصبح هناك تهافت على العمل وتهافت على العمليات بطريقة ليس فيها جدوى. فتجد أن المفهوم الأساسي ليس واضحًا، وهذا المفروض أن يُعمل فيه برنامج، وأن يُعمل فيه منهج، ما هي الشهادة وما هي أصول الشهادة في سبيل الله.

صحيح أنها غاية للفرد ولكن ليست غاية للمجموع؛ هي غاية للفرد، ولكن إذا تحوّلت غاية للمجموع تعني هزيمة منكرة، تعني أن جيش المسلمين انسحق وقُتل كله. فمفهوم الشهادة بحاجة إلى إعادة صياغة.

السادس عشر: **عدم الاستفادة من الزمن**.

الزمن من السلع المحتقرة في أوساط الجهاديين، مع أن الرسول ﷺ قال: (نعمتان مغبون بهما كثير من الناس الصحة والفراغ)[٣٤٤]، الفراغ والصحة. وقال: (ولا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه)[٣٤٥]، ومن العمر عن مدة محددة: (عن شبابه فيما أبلاه). يُسأل عن عمره عمومًا ويُسأل عن شبابه خصوصًا وهو من الوقت.

---

[٣٤٤] صحيح البخاري (٦٤١٢).

[٣٤٥] شعب الإيمان للبيهقي (١٦٤٨).

السابع عشر: **عدم تقييم التجارب الماضية والاستفادة منها.**

ومحاولتنا هذه واحدة من المحاولات اليتيمة.

الثامن عشر: **عدم اعتماد طريقة مراكز المعلومات ومراكز الدراسات.**

بحيث تقيّم الناس أفعالها وتقيّم أعمالها، نريد أن نربّي فنحتاج مناهج، نريد أن ندرّب فنحتاج برنامجًا زمنيًا لليوم والليلة. فقضية الدراسات وتشغيل العقل في الإدارة غائبة تمامًا عن طريقة عمل الجهاديين.

طبعًا أنا استعرضت أخطاءً بعضنا أو معظمنا قد عاشها، عاشها كل واحد فينا ١٠، ١٥، ٢٠ سنة وبعضنا ٣٠ سنة، وبعض الإخوة هنا مثل أبي أسامة المصري ٤٠ سنة. فهذا الجيل الذي اجتمع هنا أقلّه مثل بعض الحاضرين له ١٠ سنوات، ٦ سنوات، ٧ سنوات. وأعلاه ٤٠ سنة، وبعض الناس ٣٠، وجيلي ومن حولنا لنا ٢٠ سنة في هذه القضية. فهذه تجارب تراكمت، هذه الأمراض موجودة، وهذه ربما من المحاولات الأولى لتلمُّس أسباب الهزيمة.

فأعتقد أن أول شيء علينا أن نحدد هذه الأخطاء، ثم نأخذ لكل مرض حلًا، فهذا يفرز عندنا طريقة جديدة نتلمّس فيها أساليب الخلاص حتى نطرحها فتغذّي العقول بحيث أن الذي عنده شيء أيضًا يطرحه، فنتحوّل عن حالة السكون.

الآن انتهيت من الفصل السابع الذي هو (أخطاء ومفاهيم يجب أن تُصحَّح في التيار الجهادي) حتى يُسلمنا إلى الفصل الذي هو لبّ الكورس، وهو (**النظريات الجديدة المطروحة للعمل**)، التي نقترحها للعمل. وفيه سبع نظريات:

- نظرية المواجهة؛ يعني أساس المنهج والطرح الذي نطرحه للناس.
- والنظرية العسكرية؛ كيف سنقاتل في المرحلة المقبلة، هل في تنظيمات أم جبهات أم إرهاب أم كيف؟
- ثم النظرية التنظيمية؛ إذا شطبنا الهرم فما هو الطرح الذي نطرحه لكي ننظم الناس.
- ثم نظرية في التربية؛ نحن نقول أن التربية عند الناس منخفضة فعندنا نظرية التربية.
- نظرية التمويل.
- نظرية التدريب.

- نظرية الإعلام والتحريض.

فهي نظرية متكاملة مستخلصة من هذه الأخطاء نطرحها مقترحين أن يكون العمل فيما بعد سنة ٢٠٠٠ وفق هذه الأساليب. والله المستعان.

فنكمل غدًا إن شاء الله تعالى، جزاكم الله خيرًا.

***

الفصل الثامن: النظريات الجديدة المطروحة للعمل

مراجعة لما سبق

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لأن عندنا إخوة جدد، وتذكيرًا للذي كان معنا، نحن وصلنا الآن إلى الفصل الثامن وهو تصوراتنا، وهو بعنوان طريقة جديدة تفرض نفسها لمواجهة الصراع.

للتذكير: نحن قلنا إن عنوان البحث كان (الجهاد المسلح هو الحل، لماذا؟ لماذا؟! وكيف؟)؛ فمن بين كل الحلول المطروحة من الصحوة لخروج المسلمين من أزماتهم، نقول أن الجهاد المسلح هو الحل.

(لماذا؟) يعني لماذا الجهاد المسلح هو الحل؟ واقع المسلمين يفرض أن الجهاد المسلح هو الحل. ثم (لماذا؟!) أخرى يعني لماذا جاهدنا أربعين سنة بعد الصحوة، والصحوة عمرها سبعون سنة، ثلاثون سنة دعوة وأربعون عملًا مسلحًا. فلماذا وصلنا إلى الفشل بعد أربعين سنة من العمل المسلح؟! و(كيف؟) كيف نعمل بالعمل المسلح بحيث لا نصل إلى النتيجة التي وصلنا لها بعد أربعين سنة.

أريد أن أجيب في البحث عن هذا السؤال: كيف نواجه ما بعد سنة ٢٠٠٠؟

نحن الآن على أعتاب سنة ٢٠٠٠. قلنا انهارت الخلافة في ١٩٢٤، وبدأت الصحوة تقريبًا ١٩٣٠ صارت دعوية مختلطة إلى ١٩٦٠، ثم تمايزت الصحوة إلى دعوية، سلفية، ديمقراطية، إخوانية، تبليغ، إلى آخره، ومن ذلك العمل المسلح. العمل المسلح أخذ من ١٩٦٠ إلى ١٩٩٩ فوصلنا إلى قمة الأزمة.

هذا كله استعرضناه عبر سبعة فصول، كان في الفصول شرح المقدمة: (لماذا؟). نحن الآن وصلنا في الفصل الثامن لكي نجيب على (كيف؟). أجبنا في الفصل الأول والثاني لماذا الجهاد المسلّح هو الحل. للإجابة عن (لماذا) الأولى كان عندنا فصلان؛ الفصل الأول وهو (واقع المسلمين)، والفصل الثاني وهو (ما حكم الله في هذا الواقع). هذان الفصلان أجبنا فيهما لماذا العمل المسلَّح هو الحل.

بعد ذلك (لماذا؟!) الأخرى، لماذا عملنا وفشلنا فاستعرضناها بأربعة فصول: الفصل الثالث كان (مسار الصراع من قابيل إلى كلينتون) وهو استعراض تاريخي. الفصل الثالث جذور النظام الدولي، من بداية الخليقة من وقت أن قال قابيل لأخيه: (لأقتلنك)، إلى أن جاء كلينتون وقال لباقي الحضارات: (لأقتلنك)، فهو صراع الحضارات، لا يريد أن يكون هناك حضارات وخاصة المسلمين. هذا الفصل الثالث.

الفصل الرابع أخذنا من كل التاريخ ثلاثة محطات بيننا وبينهم، وهي الحملات الصليبية وكان الفصل بعنوان: (فلسفة الصراع ومعادلاتها) وأخذنا الحملات، وكان تحت عنوان قول الرسول ﷺ: (وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ.. أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ)[٣٤٦]. وفعلًا كان صراعنا هو مع الروم أساسًا، ثم أدخلوا اليهود ثم أدخلوا المرتدين ثم أدخلوا المنافقين واجهات لهذا الصراع.

فنحن استعرضنا ثلاث حملات: الأولى في القرن الحادي عشر والثاني عشر. والثانية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وجزء من العشرين. والحملة الصليبية الثالثة آخر القرن العشرين والتي ستستمر خلال القرن الواحد وعشرين.

القرن الواحد والعشرون هو قرن الحملة الصليبية الثالثة، حيث قال نيكسون وهو أحد المنظرين الكبار جدًّا للسياسة الأمريكية ومات قبل فترة، وكتاباته معتمدة أصلًا للاستراتيجيين والسياسيين والعسكريين، كل الأمريكان يعتمدون على ثلاثة أو أربعة منظّرين كبار منهم الرئيس نيكسون، وله عدة كتب مهمة جدًّا، فقال في كتاب مهم جدًّا من كتبه اسمه (نصر بلا حرب) ويعني أنهم يجب أن يُحرزوا على الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو نصرًا بلا حرب. وفعلًا أحرزوا نصرًا بلا حرب، ما دخلت أمريكا الحرب، وفتَّت الاتحاد السوفيتي دون حرب، بنظام حرب الوكالة الذي تكلمنا عنه.

وفي هذا الكتاب قال: "يجب أن يكون القرن الواحد والعشرون قرنًا أمريكيًا". وفعلًا الآن على أعتابه استلمت أمريكا الغرب. فهو خطَّط قبل ثلاثين سنة لما حصل من تفكيك الاتحاد السوفيتي، والحرب بالوكالة، وأفغانستان، إلى آخره. وجاء بنفسه إلى حدود أفغانستان يدرس ميدانيًا أساس نظرياته.

فالشاهد نحن الآن نبتدئ العام ٢٠٠٠، وأخذنا من التاريخ كله ثلاث محطات، حتى نعرف لماذا خسرنا الحرب درسنا التاريخ. ومنه وصلنا إلى الفصل الخامس والذي كان (مسار الصحوة) من بدايتها إلى قعر الأزمة. نحن الآن في نهاية ١٩٩٩ في قعر الأزمة على مستوى التبليغ، على مستوى السلفية، على مستوى الإخوان، على مستوى المسلّحين،

---

[٣٤٦] مصنف ابن أبي شيبة (١٩٣٤٢).

نحن في قعر الأزمة؛ فأخذنا مِن التاريخ مَن الذي واجه الحملات الأولى ومَن الذي واجه الحملات الثانية؟ هي الصحوة الإسلامية. ومنها وُلد العمل المسلح ووصل إلى قعر الأزمة ونحن على بدايات مواجهة الحملة الصليبية الثالثة.

ثم انتقلنا إلى الفصل السادس والذي كان (الحلول المطروحة)؛ نحن في أزمة، فهناك حلول مطروحة للخروج من الأزمة، وقلنا أن الإسلاميين إزاء الأزمة انقسموا الآن مدرستين، ثم نحن نطرح الثالثة.

قلنا -الحمد لله بفضل الله وبرحمته- أن كل الناس معترفة أننا في قعر الأزمة؛ أزمة فكرية، أزمة أمنية، أزمة قيادات، أزمة أموال، تجفيف منابع، حصار، تشريد في البلاد، قيادات غير ميدانية، إلى آخره..

وتحدثنا عن الأزمة ومواصفات الأزمة وظواهر الأزمة، وقلنا أن الجهاديين يقفون أمام هذه الأزمة بحلّين رئيسيين إلى الآن: ناس من كثير من الحركات وكثير من الأفراد قالت بالمختصر: إن الأزمة سببها حمل السلاح، فالخروج من الأزمة يكون بالخروج من السبب وهو ترك السلاح!!، فترك السلاح يسبب لنا الخروج من الأزمة.

طبعًا هذا ظهر له فلسفات ونظريات كثيرة تحت اسم: صلح، مبادرة، قانون الرحمة، قانون الوئام، إلى آخره. مفاد كل هذا الكلام باختصار شديد أننا في أزمة لا نخرج منها إلا بوقف العمل المسلّح حالًا.

فأناس يقولون أننا بدأنا العمل بوقت مبكّر، وأناس يقولون: لم نُعِدّ بشكل جيد، وأناس تقول: ينبغي أن نتخذ طريقة أخرى، وأناس تقول: أصلًا العمل المسلّح كان خطأ والأصل الدعوة للدين دون عمل مسلّح، وصولًا إلى قمة هذه التطورات كمن يقول أن التصوّر الشرعي لحمل السلاح أصلًا فيه خلل، ويجب أن نرجع إلى الدعوة ونرجع إلى البرلمان..

فتحت هذا العنوان هناك درجات في القناعة، وصولًا إلى شاب وجد أنه في أزمة فذهب إلى السفارة وعمل جوازه ورجع إلى بلده، حلّ مشكلة نفسه، أو تنظيم حلَّ مشكلته.

المهم أن الجهاديين أمام ثلاثة أشياء للخروج من الأزمة: أول شيء وهذا أنا سميته بمسماه الحقيقي وهو الاستسلام. أرجعه لاسمه الأساسي، وقلت لك حتى الكاتب حين يريد أن يأخذ فكرة من غيره يسميها اقتباسًا وهي في الحقيقة سرقة أفكار وجهود الآخرين. تنظيم يعمل عملية والآخر يتبناها ليجمع عليها التبرّعات، تقول له: لماذا عملت هذا؟ يقول لك: مجهود المسلمين واحد، هذا من باب الاستفادة من جهود المسلمين!، وهي عمليًا سرقة.

فهذه الأمور في حقيقتها استسلام، فنحن استعرضنا هذه القضية.

نأتي إلى الصنف الثاني الذين طرحوا الثبات، وهم معظم الجهاديين، نحن سنثبت، المسألة ليست مطلقة نحن نتوقف قليلًا وسنثبت. وقلت إن هذا الثبات له وجهان: وجه ثبات إيجابي، وثبات سلبي. الثبات الإيجابي هو الثبات على المبادئ الأساسية ومنها حمل السلاح. وقدَّموا مبرّرات دفع الصائل، وأنه فريضة عينية إلى آخره، وهذا كلام جميل.

الثبات الآخر الذي يمارسه الجميع ومنهم معظم الحركات الجهادية في أفغانستان: الثبات السلبي؛ وهو الثبات على أساليب العمل، والفكر، والمنهج، والإعلام، والتدريب، وغيره، والتي أدّت إلى الأزمة!

أنت كنت تعمل اتصالات في التليفون كشفوا هذا، فهو قال: نعمل تغيير ونغير رقم التليفون أو نغير الشفرة أو نغير الأخ الذي يتكلم!!. عمليًا نظام استخدام التليفون في الاتصالات ما زال هو نفسه، وبالتالي الذي قُبض عليه في الأول سيُقبض عليه في الآخر. فهذا أسلوب أنت تثبت عليه وبالتالي ستأتي إلى الأزمة.

فبرهنَّا أن هذا الأسلوب أدّى في الناس إلى الأزمة عبر أربعين سنة، وكنا في بحبوحة من نظام القطبين ونظام أمني نوعًا ما، فخُسف بنا على مدى عشر سنوات، والآن يمكن أن يُخسف بنا في أيام إذا استخدمنا نفس الأساليب؛ لأن النظام الدولي درس كل الأساليب وأوجد لها حلولًا.

فغيرنا هذا الأسلوب، وقلنا نحن عندنا الحل النظرية الثالثة أو الطريقة الجديدة والتي قلنا إنها تقوم على الثبات، لا بد من الثبات، وأثبتنا نصف هذا الطرح أنه جيد. أخذناه إلى هنا ثم قلنا التصحيح لا بد أن نأخذ {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}[٣٤٧]. فيجب أن نصحّح المسار؛ (الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ)[٣٤٨].

بعد أن نعرف خطأنا ونعرف الحل ننطلق إلى التطوير. استعرضنا في الجلسة الأخيرة أن التصحيح لا يقوم إلا على استعراض الأخطاء. وقلنا نحن وصلنا إلى الأزمة لأسباب خارجية وأسباب داخلية، أسباب لسنا مسؤولين عنها، أسباب قدرية حصلت فسبَّبت لنا الهزيمة. هذا كله تذكير لكم وتذكير لمن يستمع الشريط.

على رأس الأسباب الخارجية قيام النظام العالمي الجديد وتغيير أسلوب المواجهة. هو نقله إلى التدويل. لما أسلوب المواجهة انتقل إلى التدويل نحن أفلسنا، لأننا نواجه قطريًا وإقليميًا بإمكانيات محدودة، فهو نقل إلى التعاون الإقليمي ثم

---

[٣٤٧] سورة آل عمران، الآية: ١٦٥.

[٣٤٨] سنن الترمذي (٢٤٥٩)، سنن ابن ماجه (٤٢٦٠).

نقل إلى التعاون الدولي، فنحن أفلست كل أسبابنا لأنه ضرب طريقة التمويل، الطرق، طريقة التدريب، طريق العمل، طريق العمليات، كله درسه فوضع له حلولًا.

هذه الحلول بدّل فيها النظام نظام المواجهة قلنا كما الماكينة بدّل من ١١٠فولت إلى ٢٢٠ فولت فماكيناتنا التي هي ١١٠ صرت أينما تضعها تتعطل وتحترق، ما عادت تصلح في العمل.

فهذا كان السبب الأول وهو خارج عنا.

السبب الثاني قلنا: إعراض العامة عن الوقوف مع الجهاد. الناس مُعرضة، كثير من المجاهدين مثل مروان حديد وغيره وخالد الإسلامبولي والجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد والجماعة المقاتلة عملت الذي عليها ودعت الناس، ولكن الأتباع ما كانوا على مستوى الأزمة. ما كان عدد الناس كافيًا، فهناك حالة إعراض، والناس تمشي إلى الدنيا، تمشي إلى علامات آخر الزمان. فهذا كان سببًا في فشل الجهاديين.

السبب الثالث قلنا: نكوص العلماء عن الجهاد، قال الرسول ﷺ: (صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَ النَّاسُ: السُّلْطَانُ، وَالْعُلَمَاءُ)[٣٤٩]. الأمراء كفروا بالإجمال ما من أحد يحكم بالإسلام، وكلهم يحكمون بغير ما أنزل الله. والعلماء واحد من اثنين: إما نافقوا أو جبنُوا. لا تكاد تجد أحدًا –إلا في نادر النادر– إلا وهو داخل في هاتين الحالتين.

يا شيخ لماذا لا تتكلم؟! تجده منافقًا صار وزيرًا وأخذ راتبًا وسيارة وجوازًا دبلوماسيًا ودخل في البرلمان!، أو واحد ما أخذ كل هذا لكنه ساكت، يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، من يستطيع أن يتكلم! فهذا هذا يعتبر قليلًا بجانب ذلك، فصرنا نقول: "عليه السلام لم ينافق"!

فكون العلماء انقسموا بين واحد نافق وآخر جبُن، فالعامة بقوا بلا دليل، فأعرضوا عن الجهاد، فدخلوا في نظام الخوف من الحكومة، فبقي هؤلاء الناس لوحدهم بأسلوب متخلّف. فهذه أسباب خارجية أدّت إلى خسارتنا المعركة.

ولكن هناك أسباب داخلية هامة جدًّا استعرضناها بالتفصيل تحت عنوان: (أخطاء ومفاهيم يجب أن تُصحح في التيار الجهادي). وكان هذا الفصل السابع آخر ما وصلنا إليه، وفي نهايته قلنا إن هذه الأخطاء ستُفضي إلى تصوّرات للصواب.

---

[٣٤٩] انظر (جامع بيان العلم وفضله) لابن عبد البر (١١٠٨).

خطأ صواب، خطأ صواب، فيؤدي إلى طريقة جديدة تفرض نفسها، نطرحها الآن للحوار، نطرحها للمناقشة، نطرحها للمداولة مع الناس، لأننا نفترض أنها قامت على البحث وأنها يمكن أن تؤدّي إلى حل إن شاء الله –سبحانه وتعالى–.

بداية الفصل الثامن

فنحن الآن مع الفصل الثامن وعنوانه: (طريقة جديدة للمواجهة تفرض نفسها ما بعد ٢٠٠٠).

تصوّر أن كل المرحلة الماضية كانت صراع نخب؛ نخبة في مصر، نخبة في الشام، نخبة في الجزيرة، نخبة في اليمن. وهذا كان أحد أهم أسباب الانهيار، والصحيح كما حصل في الحملة الثانية والأولى أن الأمة كلها هي التي تقاوم، فقلنا نحن في حالة صائل، فهذا الصائل يفرِض الطريقة الجديدة وهي **(مقاومة إسلامية عالمية)**.

يجب أن تحصل عندنا عملية مقاومة لكامل الصائل الذي هو اليهود والنصارى والمرتدون تحت مسمى الإسلام، فتكون إسلامية عالمية بمعنى على مستوى الأمة بصرف النظر عن الأقوام والأجناس والألوان والحلول التي كانت مطروحة.

هذا الفصل نبتدئه تحت عناوين رئيسية:

أول شيء **تعريف بسيط للنظرية**، أو بالأحرى الفرق بين (النظرية النظريَّة) و(النظرية العمليَّة).

نحن الآن نطرح نظرية للعمل وأنه ينبغي أن نعمل هكذا، وكان الغلط هكذا. هذه النظرية هي نظرية عملية وسنثبت أنها نظرية عملية وليست نظرية محضة ليست مرتبطة بالعمل.

بعد ذلك: **الصواب ينبثق من إصلاح الخطأ**؛ مجموع الأخطاء يؤدّي إلى الفشل فمجموع الصوابات يؤدّي إلى المخرج أو الحل، فسوف نقارن من خلال الاستعراض الذي استعرضناه كل مشكلة وحلها فنخرج بنظرية جديدة، هذه النظرية نخرج بها في سبعة مجالات، ومجموع الصواب يعطي الحل.

ثم ننتقل إلى النظرية الجديدة وهي أن ننزل بالأمة إلى المقاومة، حتى تكون نظرية متكاملة تحلّ الأشياء الأساسية يجب أن تحتوي على عناصر:

أولًا: **نظرية المواجهة وفلسفة الصراع**. يعني تحت أي فكرة نريد أن نتحرّك؟ ما الفكرة التي يقوم عليها عملنا؟

ثانيًا: **النظرية العسكرية**، كيف نتحرّك.

ثالثًا: **نظرية التربية**، كيف سنربي.

رابعًا: **نظرية الإعلام والتحريض**.

خامسًا: **نظرية التمويل**، من أين يأتي المال.

سادسًا: **نظرية التدريب العسكري**.

سابعًا وأخيرًا: **نظرية التنظيم**، كيف يكون التنظيم، كيف سنعبئ أمة بطولها وعرضها. نحن نطرح إلغاء أسلوب عمل التنظيمات بالطريقة التي كانت عليها وليس إلغاء التنظيمات، ممكن التنظيمات تبقى ولكن بأسلوب عمل غير الذي تبنَّته.

هذه نظريتنا في العمل، وكما ترى أنها مطروحة لنا ومطروحة للأمة ومطروحة للتنظيمات، هي ليست نظرية خاصة لجماعة أو لحزب، لأننا ننوي أن ننتقل من فلسفة الجماعة والحزب إلى الأمة.

هذه النظرية سنحاول أن نعمل بها نحن، وتستطيع أي جماعة أن تعمل بها، يستطيع أي تنظيم أن يصلح نفسه على أساسها، إذا أراد أن يأخذ منها الحلول ويصلح نفسه بما يناسبه على أساسها.

الفرق بين النظريَّة المجرَّدة والنظريَّة العمليَّة

فنبدأ الآن من **الفرق بين النظريّة (النظريّة) والنظريّة (العمليّة)**.

هذا الكلام سبق وطرحته بإيجاز في كتاب (التجربة السورية) في ١٩٨٧ قبل ١٢ سنة، وطُبع سنة ١٩٩٠، لأريكم أن الكلام الذي نقوله الآن قديم ولكن ما كان مفتوحًا وما كانت النفوس مفتوحة حتى تتقبله، لأن الأزمة ما كانت قد

وصلت إلى القعر. فأعتقد أن الوقت الآن مناسب، فسأرجع أقرأه بذاته، أقرأ عليكم مقطعًا فقط من كتاب (التجربة السورية) قرابة نصف صفحة.

طبعًا للتعريف كتاب (التجربة السورية) كبير ولكن أهم ما فيه خمسون صفحة، تبدأ في الصفحة ٤٢٦، وهناك عنوان اسمه (أفكار ونظريات عملية مستفادة من دروس التجربة) نقصد التجربة السورية، ماذا نستفيد من التجربة السورية حتى نحن نتعلم في سوريا، والحمد لله لا أحد استفاد ولا أحد تعلّم..!!

وماذا ممكن أن تتعلم منا تنظيمات جهادية أخرى، كان الذي استفاد وتعلّم قليل جدًّا، وتكرّرت نفس الأخطاء التي حصلت في سوريا في كل الأمكنة الأخرى، ودُفع فيها نفس الثمن الذي دُفع في سوريا، ولا أحد يريد أن يستفيد!.

فهناك عنوان في [صفحة ٤٢٧] اسمه: (**بين النظرية المجرّدة والطرح المستخرج من التجربة**)؛ مقارنة بين النظرية المجرّدة، مثلًا الشيخ فلان الفلاني جزاه الله خيرًا من كبار الدعاة جالس في السعودية، في غرفة مكيَّفة، على طاولة موبيليا فخمة، بجانبه الأوراق والكمبيوتر، وعنده بعض الإخوة يخرّجون له الأحاديث والبعض يستخرجون الآيات، فعنده طاقم كتابة متكامل. فجالس يفكر في أوضاع المسلمين هكذا وكتب كتابًا، هذا إذا كان من الجيدين المهتمين بوضع المسلمين..

ولكن أين جالس يكتب؟ جالس يكتب في غرفة تحت المكيف، يشرب قهوة ويكتب، ويتصور حلولًا للأزمة. ولو كتب للتبليغ أو كتب للدعوة ليس مشكلًا، ولكن هو يكتب مخرجًا للأمة كيف تجاهد، كيف تقاتل، كيف تخرج من هذه المصيبة من غرفة مكيَّفة في ظل آل سعود، أو في الكويت أو في الإمارات أو غيرها!!

فهؤلاء الناس جزاهم الله خيرًا على أحسن جهدهم يخرج معهم ما يُسمى (نظرية نظرية). يعني هي خُلقت في فكره بهذه الصورة، فتصوّر حل القضية هكذا.

فلا يمكن لرجل جالس في غرفته أن يخطط لرجل التبليغ كيف يعمل؛ رجل التبليغ -بصرف النظر عن منهجه- رجل بطانيته على كتفه، ينتقل من مسجد لمسجد، ينام على الأراضي، يتشرّد، يواجه الضُّلَّال والفسقة، يتجادل معهم، يسبوه ويشتموه، فيكتشف من خلال مساره طرقًا للتبليغ، فيرجع ويعدّل، فيخرج معه (نظرية عملية) للتبليغ لأنه هو يعمل في التبليغ.

رجل داعٍ للتيار السلفي، داعٍ للعودة للعقائد، مصحّح عقيدته، كان الشيخ -الله يذكره بالخير- جميل زينو وهو رجل سلفي بُعث في سوريا في مدينتنا حلب، من ٣٠ سنة في أمة معظمها مذهبي، معظمها صوفي، معظمها بعيد عنه وعن أفكاره، وأتذكر الاستهزاء الذي كان يقع عليه في المساجد، ويُطرد في مكان ويقوم في مكان ويذهب ويدعو..

*[٣٥٠] فالشاهد أن هذا الرجل نموذج للدعاة كان يدعو لقضية، تشرّد فيها من بلده للأردن، تشرّد من الأردن ذهب للسعودية باعتبار الوسط مساعدًا، فوجد إمكانيات فعدّل مساره وطبع نشرات، فهو يخطّط لنفسه كيف يعمل، وهذا سواءً كان رجلًا أو مجموعة وكيف يصحّح عقائد الناس من خلال مسار، فيخرج بتجارب خاصة به هو.

فلا يمكن لرجل جالس تحت المكيف أن يخطّط لرجل التبليغ كيف يجب أن يعدّل نظرياته، ولا يمكن له أن يخطّط لواحد يصحّح عقائد الناس وكيف يجب أن يدعو الناس.

هذا في العمل البسيط، فما بالك من باب أولى لرجل يقاتل ويواجه الأمن ويواجه أمورًا، وهو ما جرى في سبيل الله عشرة أمتار ولا ضُرب في سبيل الله كفًا ولا ضَرب كفًا، ولا أُطلق عليه النار ولا أَطلق النار!، فلا يمكن أن يضع لهذه الصحوة التي دخلت في عمل مسلّح نظريات كيف تقاتل هذه الأمة وكيف تخرج من هذا البلاء.

هذا تقريبًا فحوى هذا الفصل: (بين النظرية المجرّدة والطرح المستخرج من التجربة). فأقرأ عليكم هذه الصفحة، وكل جملة لها مدلولها من خلال ما حصل معنا. يقول في [الصفحة ٤٣٤]:

"**إن الطروحات والأفكار العملية المستخلصة من التجربة تُولد من خلال العمل**"؛ يعني الكلام العملي يولد من خلال العمل، "**بعد أن تُثبت فعاليتها وجدواها**"؛ يعني هناك شيء عملته أثبت فاعلية فتسجل أن هذه تجربة مجدية.

"**ويحس بها القائمون بها ويستنيرون بأثرها ويتخذونها سبيلًا. وإن كثيرًا من تلك النظريات تولد متأخرة**"، يعني متى تأتي؟ في الآخر، بعد أن يكون العرب تصالحوا والخسارة وقعت! فيقول الإنسان: "تعلّمت من الدرس"، لكن أين الذي تعلمه؟ قُتل أكثرهم، وتشرّد أكثرهم. فهي تولد متأخرة. هذه المشكلة أنها ما وُلدت مبكّرة بحيث يستفيد الناس منها.

يقول: "**ولكن لا بأس، وتكلّف التضحيات وضرائب الفشل. ولكن لا ضير في ذلك؛ فإنها على الأقل وليدة دروس كلّفت أصحابها أنفسهم عناء التجربة ولم تنزل عليهم من أعلى الهرم التنظيمي**". يعني هذه النظرية نحن

---

[٣٥٠] بداية تفريغ الملف الثلاثين.

ولّدناها من خلال المسار، ما أحد جاء وأنزلها علينا من فوق بصفته تنظيمًا أو أميرًا وقال يجب أن تعملوا هكذا أو هكذا.

"تنزل عليهم من أعلى الهرم التنظيمي من آخرين لا يعنيهم الفشل ولا يكلّفهم شيئًا من التضحية".

كان أحد قيادات التجربة السورية جالسًا في الأردن، وابنه يدرس في جامعة بغداد، بل وصل في الآخر يدرس في السعودية ثم أصبحت بعثات على حساب أمراء الخليج في أمريكا! فهو يعمل نظرية للعمل: "انزل يا أبو فلان وأبو علان على الداخل"، نزلوا فقُتل ستة وجُرح سبعة وتشرد ثمانية. ماذا كلَّفته هذه القضية؟! لم تكلّفه شيئًا. فقام وعمل نظرية ثانية وتسبَّبت بخسارة أخرى.

فالنظرية العملية حتى تكون مفيدة من شروطها أن الذي يطوّرها ويولّدها هو الذي يكتوي بها، الذي إذا أخطأ خطأ إما أن يُقتل هو أو الذي بجانبه أو يُقبض على ابنه. فهو الذي يدفع ثمن هذه الأخطاء.

"تجربة تعلّم أصحابها منها وتكيّفوا مع ظروف شبيهة قائمة. ثم نقول إننا يجب أن نعمل حتى لا تذهب كل تلك التجارب الكثيرة من الدماء والعناء والجهد هباءً دون مقابل"؛ يعني نحن والحاضرون والباقون الآن على رأس أربعين سنة من الجهاد منها عشرون سنة نحن مارسناها بأنفسنا، **"يجب أن نعمل حتى لا تذهب كل تلك التجارب الكثيرة من الدماء والعناء هباءً دون مقابل. يجب أن نستخلص منها تصوّراتنا العملية الجديدة في الثبات والمتابعة. ثم نقول إن كل الانطلاقات** -الجديدة مثل الذي نحاوله الآن- **تبدأ متعثّرة"**، يعني شيئًا فشيء، فيها مشاكل مثل الذي يحصل معنا ومعكم.

"لأنها تنطلق من واقع مرير يشدّنا إليه بكل تبعاته"؛ صحيح نحن نريد أن نجدّد ولكن التجديد لم يحصل، نحن ما زلنا نعيش واقع المصيبة. فواقع المصيبة يفرض ثِقله علينا، **"لأنه يشدّنا إليه بكل تبعاته وما ورثناه من أمراض ظروف وطروح ماضية ما تفتأ تشدّنا إليها باستمرار لنكرّر أخطاء مرَّت بفعل معتقدات وتصوّرات ساذجة لها هيبة القدسية"**، الواقع يشدّنا لنكرّر أخطاء مرّت، نحن مشدودون الآن حتى نكرّر أخطاء مرّت، عندنا مبادئ كأنها منزّلة علينا من الدين، وهي أساليب عمل، تجد أنا الآن نريد أن نجدّد وأن نبدأ بطريقة جديدة ولكننا مشدودون لنكرّر أخطاءنا الماضية لأنها في رأسنا مقدّسات!، سواء فكرة تربوية أو فكرة تنظيمية أو فكرة عملية، تجدنا مشدودين نكرّر نفس الخطأ. لأنه ما تزال آلية تفكيرنا وتفكير معظم أصحابنا بنفس الطريقة.

هذا الكلام يحتاج إلى ثورة في طريقة التفكير، ثورة في طريقة العمل تبدأ من الاعتقاد أن أساليب التفكير ليست دينًا، هي أمور وُضعت لخدمة الدين، هي أمور ابتكرها الإنسان الحركي لخدمة الدين، فإذا بَلِيت أو انتهت أو انتهى دورها أو فشلت هي ليست مقدسات نحافظ عليها.

ثم يقول: "**إن الفشل هو الذي يكلّف الضحايا**"؛ الفشل يكلّف ضحايا أكثر من الانتصارات، وأنا هذا رأيته بعيني في الهجوم الأخير. الانسحاب الكيفي الذي لا مبرّر له الذي دخل به الطالبان ثم جرّوا معهم من كان معهم من جبل السراج إلى كابول، كلّف بساعة وربع سبعمائة قتيل وثلاثمائة جريح، ومائتيّ مفقود أثرهم!!، هذا فشل.

يقول: "**إن الفشل هو الذي يكلّف الضحايا، وغالبًا ما تكلّف الهزائم أكثر بكثير من الانتصارات**".

بعد أربعة أيام قمنا مع المجموعة التي دخلت في الهجوم العرضي من الجبال التي قُتل فيها إخواننا إلى كالكان عبر خمسة وعشرين كيلو من الوادي، دخلة جنونية أصلًا في قلب منطقة مسعود بحيث تنفصل منطقة مسعود قسمين. دخل ستمائة رجل، كنا موجودين معهم وكان المفروض مثل هكذا هجوم أنت تقتحم وتدخل أن يكون فيه خسائر أكثر من الذي حصل. دخلنا مع الستمائة رجل خمسة وعشرين كيلو بكامل العتاد مسيرًا واشتباكًا إلى الطرف الثاني وصلنا كالكان دون أي قتيل أو أي جريح. هو انتصار ساحق عدّل ميزان المعركة وما حصل فيها خسارة.

وهذا لو تنظر في التاريخ العسكري أغلبه هكذا؛ الهجوم يحصل فيه خسائر غالبًا مع أن المهاجم يتكلّف تضحيات، ولكن مجموع الخسائر في حال الهجوم غالبًا تكون أقلّ من مجموع الخسائر في حالة انهزام ودفاع. هذا على مستوى هجوم واحد نحن رأيناه بأعيننا، هجوم طويل عريض بستمائة رجل ليس فيه جريح ولا قتيل، وانسحاب بساعة وربع ألف ومائتين إصابة فيها سبعمائة قتيل! فالفشل هو الذي يكلّف الضحايا.

المسلمون في وسط آسيا اندحروا أمام ستالين في عدة تراجعات، لما انهارت المقاومة في بخارى كلّفت الخسارة والانهزامات ستة وعشرين مليون مسلم أخذهم ستالين وأعدمهم في صحراء سيبيريا، ليس ستة وعشرين شخصًا بل ستة وعشرين مليونًا أُبيدوا من مسلمي وسط آسيا!، منهم معظم الشعب الشيشاني وكانوا سبعة مليون صاروا مليونًا! فهذه خسارة.

في حين ماذا كلّفت المقاومة بأفغانستان؟ كلّفت مليونيّ شهيد، مليونيّ جريح، ثلاثة ملايين مهاجر. على مستوى الشعب الأفغاني نصفه بين قتيل وجريح ومهاجر، ثمانية من ستة عشر. ولكن على مستوى أمة محمد ﷺ ماذا كانت

النتيجة؟ سقطت حضارة بأكملها. العدو كله، النظام، حلف وارسو، النظام الشرقي كله سقط، وتتابعت القضايا بحيث خرجت من أفغانستان كل المجموعات المدرّبة وقام الجهاد في ليبيا، وفي الجزائر ولفلسطين، والآن يقوم في الشام ومصر بناءً على هذا الانتصار.

فهذا الانتصار ثمنه قليل جدًّا قياسًا للستة وعشرين مليون الذين ذهبوا بلا مقابل. في حين ذهب مليونان وكانت النتيجة نهضة أمة تستلم راية الحضارة من جديد.

هذه القضية ثابتة في التاريخ، وعند الفلاسفة والكتّاب، وحتى في الأثر عندنا: "اطلبوا الموت تُوهب لكم الحياة"؛ لما الإنسان يطلب الموت تُوهب له الحياة، ربما الذين طلبوا الموت عشرة وماتوا، ولكن وُهبت الحياة للدعوة أو للأمة أو للجماعة.

فيقول: "**إن الفشل هو الذي يكلّف الضحايا، وغالبًا ما تكلّف الهزائم أكثر بكثير من الانتصارات، ولكن الفشل هذا الذي يهمنا في النظرية العملية، الفشل درس ذو مردود مزدوج**"؛ الانتصار فيه درس واحد، أنك عملت هكذا فانتصرت، تأخذ درسًا، تتعلم قاعدة. أما الفشل فيه درسان مفيدان، لماذا؟ "**فهو يزود العامل بغناء التجربة ويجمعها إليه**". الفشل يفرز أمرين: يفرز رجلًا عمل وأصبح ذا خبرة، ودرس في الفشل. يعني أصبح رجلًا زائد تجربة، فاستفدنا أمرين اثنين: رجل فشل فأراد أن يتابع وأصبح عنده تجربة. "**ليجنّب نفسه وأقرانه تكاليف الهزائم التي قد تقع وتكون أكثر تكاليف من النصر فيما بعد**".

ثم يقول: "**إن الطروح العملية المستخلصة من التجربة تولد من خلال العمل**". هذا الذي نقوله "**من خلال العمل**" نحن جاهدنا في بلاد الشام، جاهدنا في الجزائر، جاهدنا في مصر، جاهدنا في حماس، جاهدنا في فتحي الشقاقي، في الجزائر، في غيرها، التيار جهادي بأكمله، فتراكمت عندنا تجارب كثيرة، فالقلة القليلة من الناس المستعدة أن تشغل عقولها وتأخذ هذه التجارب كلها، فخرجنا بدرس.

ثم نأخذ بقية الذين جاهدوا في مصر، وبقية الذين جاهدوا في فلسطين، وبقية الذين جاهدوا في الأردن، وبقية الذين جاهدوا في الشام وفي العراق إلى آخره، فأصبح عندنا أناس مجرّبون.

فإذا صار عندنا: تجربة + مجرِّب + إرادة شباب = ممكن ننطلق مرة أخرى.

لمن يريد أن يعود إلى التفصيل صفحة ٤٣٠ إلى ٤٥٠ عشرين صفحة حول النظرية العملية.

فخلاصة الذي أقوله أننا الآن أمام نظرية عملية. هذا الكلام الذي نتفلسف به على البشر ما حصل تحت المكيّف، وما كتبناه في أروقة مكتبة جامعة كامبريدج، لأن بعض الناس يحتجّ علينا ويقول: "أنتم أصحاب نظريات". فنقول: أن أصحابنا هؤلاء الذين يحتجّون علينا ليسوا أصحاب نظريات ولا أصحاب عمليات!

هذا الكلام القليل المرصوف في عشرين صفحة كان ثمنه أننا نحن بأنفسنا والتيار الذي ننتمي إليه دفعنا أكثر من نصف مليون شهيد على مدى حركات الجهاد بأكملها. في سوريا فقط مائة ألف، في الجزائر الآن مائة ألف، في مصر في السجن الآن ستون ألفًا، ومضى من أيام سيد قطب إلى الآن كم عشرة آلاف؟ من المعدمين إلى المسجونين إلى المقتولين، إلى الذين انتهكوا أعراضهم، إلى الذين خرّبوا ديارهم..

في فلسطين تجربة حماس إلى الانتفاضة إلى الشقاقي إلى غيره إلى ماذا أدّت وأين وصّلت؟ في ليبيا الذي حصل في ١٩٨٩ ثم حصل في ١٩٩٨، هذه التجارب كلها دفعنا ثمنها دماء، ودفعنا ثمنها أعراضًا، ودفعنا ثمنها أموالًا، ودفعنا ثمنها سجونًا ومساجين وتعذيبًا وبلاوي ومصائب. هذا على صعيد التيار.

على صعيدنا نحن أنفسنا والحاضرون هنا ومن يأخذون بهذا الكلام نحن لا نتفلسف على الناس من تحت المكيّف. هذا تيار نحن أبناؤه، هذا ليس من باب المنّة والفضل، هذا فضل الله -سبحانه وتعالى-، ولكن هناك من يقول: "أنتم أصحاب النظريات"!

لما نحن نستخلص تجربة من جبل السراج إلى كالكان، الواحد هو بنفسه خاض التجربة وترك وراءه اثنين من إخوانه شهداء، وترك سيارة مدمرة، وترك أشياءه وانسحب، فقال: حتى أجدّد المسيرة أقترح هذا، وممكن يكون صوابًا وممكن يكون خطأ، فاختص لنفسه أسلوب الهجوم التالي. إنسان وهو يمشي في المسار يجدّد لنفسه.

الآن قذفت إلينا بلاد الشام بخلاصة الإخوة المجاهدين، خلاصة من بقي من التيار الإسلامي الجهادي الأردني الفلسطيني معظمه قُذف به إلى الخارج. خلاصة الذين جاهدوا في مصر قُذف بهم معظمهم. هؤلاء جاؤوا بتجارب وجاؤوا بدروس. هذه الدروس أحد أمرين إما نتعامل معها بأسلوب التحليل حتى نستفيد من الخطأ ولا نرتكبه، ونستخلص منه حلًا وهو الذي نقوله: (النظرية العملية).

وإما نمشي مع السكارى على نفس الطريقة أنه يمد رأسه من الباب فيُضرب بالعصا، فيستريح قليلًا ثم يرجع يفكر ويمد رأسه مرة أخرى، فيرجع يأخذ نفس العصا، ولو بقي يمد رأسه ويدخل عشرات المرات سيأخذ عشرات الضربات!

يا أخي أنت مشيت في غرفة مظلمة وجدت أنك تصطدم بالجدار، فلا تمشي نفس الخطوات!، على الأقل حِد أربعة أمتار، في لحظة من اللحظات ستصل إلى الباب المفتوح وتخرج إلى النور..

هذا الفرق بين النظرية النظرية والنظرية العملية؛ النظرية العملية لا يمكن أن تولد إلا من خلال العمل والثمن والدرس والتجربة، وكما قلت لك يلزم لها ثلاثة أشياء: تجربة + مجرّب + إرادة ثبات.

(تجربة + مجرّب)؛ ممكن أستفيد أنا من تجربة واحد آخر فلا تكتمل القضية، أستفيد من درس عابر حصل في الصين أو في تركيا، ولكن هذه التجربة يجب أن يكون فيها المجرّب هو نفسه اكتوى فيها، ثم بعدما جرّب واكتوى بالتجربة أغلب الناس تسقط تترك، من الباقين إذا ما كان قُتل أو سُجن وخرج من المعركة أغلب الناس تترك المتابعة، يتّعظ ويقول: انظر ماذا حصل معنا!، {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}[٣٥١]، ويترك المسيرة.

قسم قليل من الناس يكون عنده إرادة ثبات وإرادة متابعة، فإذا وُجدت إرادة ثبات وإرادة متابعة + مجرّب + تجربة =ممكن تُولّد عند ذلك نظرية عملية.

هذه النظرية العملية التي نتحدّث عنها وُلدت من خلال تجربة مررنا بها بأنفسنا عشرين سنة، بأنفسنا وأسلافنا أربعين سنة، حدثونا عنها وتابعناها ودرسناها ثم نحن جربنا بأنفسنا كل واحد من الحاضرين، أخ مصري ها هو أمامنا جاهد في مصر ثم جاهد في أفغانستان الشوط الأول، ثم رجع يساعد في تجربة أخرى سواء الجزائر أو البوسنة أو غيرها، ثم تاه في الأرض مطاردًا في اليمن، مطاردًا في السودان، جرّب التجارب وأخذ دروسًا، ثم جاء إلى تجربة أفغانستان الشوط الثاني. فتجده هو بنفسه عاصر التجربة.

نحن بأنفسنا جاهدنا في سوريا إلى الفشل –نسأل الله سبحانه وتعالى القبول–. ثم حاولنا البناء فما استطعنا أن نبني في تلك الظروف. فقذفت بنا محاولات البناء إلى أفغانستان، أنا الذي جاء بي إلى أفغانستان هو البحث عن تمويل لإعادة الجهاد في سوريا سنة ١٩٨٧. جلست عشرين يومًا لنأخذ دعمًا من الشيخ عبد الله عزام ونرجع نبني الجهاد في سوريا. فلما جئنا إلى هنا ما وجدنا أي إمكانية لإعادة هذا الجهاد وهذا البناء، لا أموالًا ولا أشخاص تريد أن تجاهد. فبدل أن نقنع الشيخ أن يجاهد معنا في سوريا أقنَعَنا هو أن نجاهد معه في أفغانستان فبقينا!

---

[٣٥١] سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

كان الذي جاء إلى هنا أو من يريد أن يتابع في سوريا أربعون أو خمسون واحدًا، لما قلنا نجلس في أفغانستان، كم بقي من الخمسين؟! خمسة! والباقي قالوا بالحرف: "حتى نجاهد في سوريا نروح على الهند؟ أين عقولكم أنتم؟!"، قلنا لهم: نعم الآن أقرب الطرق للجهاد في سوريا تمرّ من الهند. يجب أن نأتي إلى هنا حتى تتدرّبوا وتموّلوا وترجعوا وتبنوا القضية من الصفر. ولكن ما اقتنع أحد، بقي خمسة واستُشهد اثنان، مرض الثالث وبقي اثنان..

هذا لو تأخذه من حالتنا إلى حالة الجزائر إلى حالة مصر تجده قريبًا جدًّا، نفس القصص. فلما جئنا إلى هنا المرة الأولى بقينا أربع سنوات وانتهت إلى ما انتهت إليه القضية الأفغانية، وبدا وكأن مجيئنا بلا فائدة. بدا وكأن كل السنوات الأربع والذي بذلناه نحن والأمة في أفغانستان بلا فائدة!، أدّى إلى صراع حكمتيار ومسعود، أين النتيجة؟ أربع سنوات أو خمس سنوات قذفت فيها الأمة بفلذات أكبادها، أربعون ألف مجاهد عربي جاء إلى هنا، ثم قذفت بكل أموالها؛ مليارات دخلت الجهاد، ثم سلاح، ثم وقت، ثم دعاء إلى الله -سبحانه وتعالى-..

نحن جهدنا الشخصي وجهد الأمة ذهب بلا فائدة، لا خرجنا بنتيجة لسوريا ولا خرجنا بنتيجة لأفغانستان، وقُتل الشيخ عبد الله وقُتل الشيخ تميم وتشرّد الباقون، ووجدنا نصف المجاهدين ذهبوا يزرعون في السودان، والنصف الثاني أخذوا لجوءًا سياسيًا في الخارج، والقسم الثالث مشرّد في باكستان يبيع العسل، فما بقي أحد!

فبعد أربع سنوات من خروجنا كانت بدأت موجة أخرى في الجزائر، فقسم كبير من الإخوة ومنهم نحن ذهبنا ننسق مع الإخوة في الجزائر، وحملنا أمتعتنا وحقائبنا وألغينا مشاريعنا وذهبنا لنصرة الجزائر. أيضًا كم سنة ضاعت؟ ثلاث سنين. بدا في نهاية الجزائر وكأننا قد أخذنا ضربة مضاعفة عن ضربة أفغانستان!

طبعًا في مرحلة سوريا لما خرجنا سقط الآلاف لا يريدون أن يكملوا، بعد أفغانستان الأولى الآلاف أيضًا لا يريدون أن يكملوا، بعد ضربة الجزائر آلاف لا تريد أن تكمل، فبقينا في الآخر كم واحد من كل الجنسيات تريد أن تكمل، هم الذين جاؤوا أفغانستان الشوط الثاني ومن بقي وراءهم، عشرات!

الجمع العربي هنا على علم المخابرات وعلم الباكستان وعلم الذي يُدخلنا ويُخرجنا أنهم بضع مئات قليلة جدًا، وأتباعهم في الخارج مثل ذلك، والقضية هكذا..

ولكن هذا لا بأس به إذا وُلدت نظرية عملية، هذا ليس مشكلًا، منذ عشرين سنة ونحن نتبهدل، ولكن لا بأس لأنه في كثير من الوجوه التي أمامنا الآن أنا رأيتها في بداية الشوط الأول، من عشرين سنة بعض الإخوة الفلسطينيين والأردنيين كانوا معنا في سوريا ثم ذهبوا ورأيناهم في أفغانستان، ثم ذهب جزائريون مثل ذلك ومصريون مثل ذلك.

لا بأس نستطيع نكمل لأنه الآن لدينا تجربة ودروس كثيرة. ولكن بشرط أن نستخلص التجربة ونكتبها، ونستفيد من الدرس.

لدينا آلاف وعشرات الآلاف من المجرّبين، ولكن الشرط فقط إرادة الثبات، إرادة المتابعة، أن الناس ما زال عندها شحنة نفسيَّة من الله –سبحانه وتعالى– وتثبيت أننا سنتابع شوطًا آخر. فالحمد لله التجربة موجودة، المجربون موجودون، وإرادة الثبات متوفرة بمجموعة من الناس، فتولَّدت نظرية عملية هي التي سنشرحها الآن.

إن شاء الله بمثل هذه الأمور أو ما شابهها وليس بالضرورة أن الذي نقوله هو الحق المطلق، ولكن الذي أطرحه أن كل الناس يجب أن تبدأ بهذه الآلية على الصعيد الجماعي أو على الصعيد القُطري. يعني نحن كمسلمين نرى تجاربنا ونأخذ الخلاصة ونضع نظرية، أو السوري كسوري والفلسطيني كفلسطيني والليبي كليبي والمصري كمصري يجب أن يفكّر بهذه الآلية، آلية {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}[٣٥٢]، (الكيِّس من دان **نفسه**)[٣٥٣]، فيصحّح المسار.

في مصر تجربة لسبعين سنة، وهنا مجرّبون، ما زال منهم المئات، وإرادة الثبات باقية عند عشرات، وقل مثل ذلك على كل البلدان الأخرى. على أيدي هذه العشرات يمكن أن تنهض الأمة مرة أخرى، ولكن أصبحت مواجهة العدو دولية فاقتضت منا نظرية عملية دولية، –هذا الذي سنشرحه إن شاء الله–.

فننتقل إلى كيفية تولّد هذه النظرية المتكاملة، كما قلت لكم **وُلدت من خلال استعراض الأخطاء**. نحن قلنا إن هناك أخطاء يمكن تصنيفها أنها أخطاء فكرية منهجية، وهنا صواب فكري منهجي، وهناك أخطاء تربوية، وهناك صواب تربوي. أخطاء في التمويل وصواب تمويلي، وهكذا.

[٣٥٢] سورة آل عمران، الآية: ١٦٥.

[٣٥٣] سنن الترمذي (٢٤٥٩) سنن ابن ماجه (٤٢٦٠).

فقلنا التنظيم كان هرمي سري، التربية كانت سرية مغلقة، الفكر كان فيه غلو، محدود، نخبوي، هذا كله تكلمنا عنه بالتفصيل. وهناك أخطاء في التمويل؛ أنه يعتمد –حتى لا نزعج أنفسنا– نقول يعتمد على الإحسان، وإذا سميناها بمسمياتها الحقيقية فهي تسوّل.

قام الجهاد على التسوّل؛ تسوّل المجاهدين للقاعدين، وتسوّل خيرة الأمة لأراذل الأمة حتى يقيموا الجهاد إلا في حالات نادرة. هذا المتصدِّق الذي يتبرَّع لي جزاه الله خيرًا هو رجل قاعد {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ}[٣٥٤] الآن ينفق القاعد على المجاهد!، فهذه أخطاء.

فننتقل إلى الصواب، بدل الإحسان والتسوّل نرجع إلى نظرية (جُعل رزقي تحت ظل رمحي)، بدل الغلو ننطلق إلى اعتدال الإسلام، بدل المحدود ننتقل إلى الشمول، بدل النخبوية ننتقل إلى الأممية. وبدل التنظيم الهرمي ننتقل إلى الجبهة وننتقل إلى الجهاد الفردي والخلايا. من السري ننتقل إلى العلني في الجبهة، ونحتفظ بالسري في الإرهاب الفردي. كل مشكلة تفرز حلًا.

وفي الأخطاء التربوية؛ بدل من التربية السرية ننتقل إلى التربية العلنية. وهناك حديث الرسول ﷺ: (إن هذا الدين لا يُدرس حتى يكون سرًا)[٣٥٥]؛ وانظر كيف كان تأثير الرسول ﷺ على الصحابة، النبي على الحواري، الصحابي على التابعي، التابعي على تابعي التابعي، الشيخ على المريد، فننتقل إلى طريقة في التربية.

فمجموع الأخطاء هذه أدّت إلى فشل شامل. الآن نتوقّع ونتمنّى على الله –سبحانه وتعالى– أن مجموع هذه الصوابات إذا طبقناها تؤدّي إلى نجاح شامل. بهذه الآلية في التحليل والبحث وصلنا إلى النظريات التي تحدثت لكم عنها. فالآن نأخذها واحدة واحدة.

في الإعداد، أنا رأيت المعسكرات كيف تُدار، درّبت في المعسكرات سنوات وتدرّبت سنوات ورأيت النتيجة، فكيف نستخرج منها نظرية أخرى للتدريب، وأنت والآخر والثالث حتى تولد نظرية متكاملة.

فنأخذها بمقتطفات لأن جزءًا كبيرًا من النظرية هذه يجب أن أشرحه لكم بعد إطفاء المسجّل، هي طريقة للعمل، ولا يمكن أن أضع كل الطروحات في المسجل؛ هناك طروحات عامة لا بأس يعرفها العدو والصديق. لأنه إذا ما عرفها

---

[٣٥٤] سورة النساء، الآية: ٩٥.

[٣٥٥] لم أجده.

الصديق لن يعرف كيف يعمل. وإذا عرفها الصديق لن تمنع العدو أن يعرفها. أنت حتى تعلّم صاحبك وتتكلم معه لا يسمع هو فقط، سيسمع العدو والصديق. ولكن نحاول أن نصل إلى طريقة لو علمها العدو ليس له فيها حيلة.

ثم بعض الأفكار تُطرح على هذا المجلس نفسه ولكن بعد إطفاء المسجّل. ثم بعض الأفكار تُطرح على نخبة هذا المجلس أو الناس التي تريد أن تشتغل. ثم بعض الأفكار الواحد يحتفظ فيها لنفسه ويعمل فيها. فلن أطرح كل شيء تحت هذا العنوان، ولكن أطرح مبادئ النظرية العامة فقط.

الباب الأوّل: نظرية المواجهة وفلسفة الصراع

نأتي إلى الباب الأول، وهو أساس كل عمل: **(نظرية المواجهة وفلسفة الصراع)**. هنا سأختصر لأن كثيرًا من هذا الكلام مرّ على مدى البحث، لأنني كنت أقول الخطأ وأذكر الصواب، فالآن أوجز حتى لا نكرر.

أول شيء في نظرية المواجهة وشعار الموضوع كله، هو شعار ما نريده من المقاومة الإسلامية العالمية. {**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا**}[356].

هذه الآية لو تقف أنت معها وقفة حركيَّة ستجد أن فيها أشياء مميزة، أول شيء: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} طبعًا القتال في سبيل الله وليس في سبيل أمر آخر.

الأمر الثاني: {لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ} لا تنتظر الأمة قاتلت أو ما قاتلت، والتنظيم قاتل أو ما قاتل، لا تُكلّف إلا نفسك.

{وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ} من الذي سيكفّ العدو في النهاية؟ لا المؤمنون، ولا نفسك، ولا قتالك. الذي سيكفّ الذين كفروا هو الله –سبحانه وتعالى–، فنحن أداة هذه المعركة.

فنأتي إلى الآية نفسها: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ} أول شيء فرض دفع الصائل قوامه {فَقَاتِلْ} فالعملية عملية قتال والحل هو القتال، وليس قوامه كثرة الكلام، ولا كما قال الزنداني –وكلامه مردود عليه وعلى أمثاله– أنها ورقة تضعها في صندوق وتقوم دولة الإسلام!، ولا كما قال الصوفي: "أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم على أرضكم"؛ ولا يستطيع أن يشرح لك كيف ستقفز الدولة من قلوبكم إلى أرضكم!

قال الله –سبحانه وتعالى–: {فَقَاتِلْ} فالحل في مثل هذه الحالات لما ينزل فينا الصائل هو في القتال.

---

[356] سورة النساء، الآية: ٨٤.

الأمر الآخر أن هذا التكليف في دفع الصائل تكليفٌ شخصيٌّ. ونحن أثبتنا من الفصل الأول أن الحالة الخاصة بنا هي حالة دفع صائل. فالتكليف شخصي، لا يهمك قام فلان أو ما قام به علان. وهذا الدفع كافٍ أم غير كافٍ؟ وهل سيقيم دولة الإسلام أو لا يُقيم دولة الإسلام؟

الآن من الشعارات الخائبة أنه أنت جاهدت وقمت بعملية وعمليتين وثلاثة، فيأتي ويقول لك: "هكذا ستُقيمون دولة الإسلام؟!"، حتى لو ما قامت دولة الإسلام الآن، فلدينا دفع صائل.

لو كنت تمشي مع زوجتك في الليل وعدا عليها لص يسرق مالك ويأخذ زوجتك، هل تفكّر وتقول هذا الدفع سيقتلني ولن تقوم به دولة الإسلام؟! ما علاقة دولة الإسلام في هذه المصيبة التي نزلت بك في الليل؟! من قال إن الجهاد فقط لإقامة دولة الإسلام؟!

أحد أسباب الجهاد إقامة دولة الإسلام، أحد أعلى أهداف الجهاد إقامة التوحيد ونفي الشرك، ولكن الآن جاء واحد يأخذ زوجتك فتقول ما علاقة هذه المعركة في نفي الشرك؟! وهل سينتهي الشرك لو أنا اشتبكت مع الرجل؟ لن ينتهي الشرك ولكن ستخلّص زوجتك وتحفظ دينك وكرامتك، وتكون استجبت لأمر الله -سبحانه وتعالى- {فَقَاتِلْ} فإذا مت مت شهيدًا، وإذا دفعته حفظت عرضك وحفظت مالك.

{لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ}، هذا تكليف نفسي شخصي نريد أن ندخل في روع الأمة أن يتحوّل هذا إلى شعور ذاتي أنه وهو يتاجر، وهو يبيع، وهو يعمل، فهو مكلّف إلى جانب ذلك مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بل قبل إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هو مكلَّف بدفع الصائل، قبل الصلاة والزكاة لأن العلماء قالوا: **دفع الصائل ليس أوجب بعد توحيد الله منه،** يأتي ما بين التوحيد والصلاة، دفع الصائل يأتي قبل الصلاة والزكاة والعبادات والأمور الأخرى وهي فروض واجبة. ليس أوجب بعد توحيد الله منه.

فهذه الفتوى وهذا الدين الذي أصبحنا جاهلين به، يجب أن نضعه في حِسّ الأمة، في حسّ المؤمنين وليس في حس التنظيم خمسين واحدًا فقط! وليس في حس السلفيين فقط، بل في حس المؤمنين.

هذه النقطة الثالثة من النظرية: {فَقَاتِلْ} تقوم على القتال، تكليف شخصي، دعوى للمؤمنين. من هم المؤمنون؟ المؤمنون كما قال العلماء: إذا قلت (المؤمنين) تعني (المسلمين)، وإذا قلت (المسلمين) تعني (المؤمنين). وإذا قلت: "يا مسلمون يأتي منكم المؤمنون"؛ معناها خصَّصت أن جزءًا مؤمنون إيمانهم حسن وجزءًا مسلمون، وهذا كما قال العلماء

أن صفة الإسلام والإيمان إذا اجتمعا مع بعض تفرّقا في المعنى، وإذا تفرّقا اتّفقا في المعنى، فالمسلم مؤمن والمؤمن مسلم إلا إذا خُصّص.

ففي هذه الآية {وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} معناها حرّض المسلمين. من المسلمون؟ هم أهل (لا إله إلا الله). كل من هو تحت مسمى (لا إله إلا الله) لم يُخرجه قول أو عمل عن مسمى (لا إله إلا الله) فهو معنيّ بقول الله تعالى {فَقَاتِلْ}، {نَفْسَكَ}.

الله –سبحانه وتعالى– اصطفى نخبة وقال لهم: قاتل وحرّض، الذي يقبل الدعوة تُدخله تحت {فَقَاتِلْ}، والذي لا يقبل الدعوة تستمرّ معه بقضية {وَحَرِّضِ}. فالناس عندك صنفان إما يقاتل معك وإما هو مجاله تحريض. فيقاتل معك عشرة، عشرون، سبعون، ثمانون، مائة، مائتان..، هذا لن يغني في هذه المعركة شيئًا كما شرحنا في الحملات الصليبية.

تذكروا المعادلات وهي مهمة جدًّا وهي جزء من النظرية؛ في الحملة الصليبية الأولى كانت: (أمة الإسلام ضـ×ـدّ أمة الصليب)، ربحت أمة الإسلام. في الحملات الصليبية الثانية: الجزء الأول كانت: (أمة الإسلام ضـ×ـدّ أمة الصليب + أمة اليهود). في الجزء الثاني من الحملات الصليبية صارت: (أمة الصليب + أمة اليهود + المرتدون، وخرجت أمة الإسلام بسبب دخول المرتدين فأصبح في مواجهتها الصحوة).

في اللعنة الأخيرة التي حلّت مع الحملات الصليبية الأخيرة، أصبحت: (أمة اليهود تقود المعركة + أمة الصليب تنفّذ المعركة + المرتدون أول طليعة في المعركة + المنافقون الذين سمَّوا المرتدين مسلمين، وسموا اليهود والنصارى مستأمنين، فخرجت الصحوة بعدما خرجت الأمة وبقي فقط الجهاد المسلَّح).

فالآن نحن خسرنا معركة خسارة ساحقة، وخسرنا قبلها معركة خسارة كبرى. الحالتان التي نجحنا فيها في المعركة في صدّ الصليبيين هي الحالة التي كانت (أمة ضـ×ـدّ أمة)، ولا يمكن أن نربح هذه المعركة إلا لما ترجع في الحملة الأخيرة: (أمة ضـ×ـدّ أمة).

ولذلك الله –سبحانه وتعالى– قال: {وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} ما قال: "حرّض الجهاديين"، ولا قال: "حرّض التنظيم"، ولا قال: "حرّض السلفيين"، ولا قال: "حرّض الموحّدين"، بل قال: "حرّض المؤمنين".

فأهل (لا إله إلا الله) صنّفتهم الآية: محسن وظالم لنفسه وسابق في الخيرات. الأعلى طبقة: موحّد صافي العقيدة طائع صالح مجاهد، هذا أعلى طبقة. ثم بعد ذلك تتابع الأمور حتى تأتي إلى مبتدع وفاسق، لأن بعد المبتدع والفاسق يأتي الزنديق والكافر. هذا الزنديق الكافر أصلًا خرج من المسمى فهو ليس معنيًا بالدعوة.

الزنديق الكافر خرج من المسمى، أما الفاسق المبتدع ما زال من أهل (لا إله إلا الله). أكبر شيء يأتيه مبتدع فاسق عند جمهور العلماء أن يترك الصلاة. وبين العلماء خلاف أنه لما ترك الصلاة هل ما زال مسلمًا أم لا؟ هذا خلاف بين العلماء، ويقول (لا إله إلا الله) تسرّه حسنته وتسوؤه معصيته معترف أنه مذنب مستأهل العقاب لكن يقول أنا كسلان. هذا خلاف بين العلماء هل هو كافر أو مسلم؟

الحنابلة ومن ذهب مذهبهم والتيار السلفي في الآخر يقولون: هو كافر. الأحناف، والمالكية، والشافعية، يقولون هو مسلم. وهذا جدل فقهي طويل عريض، ممكن هذا يستدلّ بأدلة ويراها قوية، وهذا يستدلّ بأدلة ويراها قوية، ولكن الذي أريد أن أقوله رغم المخالف لهذا القول أنه ما يزال عبر تاريخ الإسلام أن ما يُسمى الجمهور الساحق من العلماء وما يُسمى ثلاثة مذاهب متَّبعة من أربعة يرون أنه مسلم.

وأنا مقتنع أنه مسلم، أنا مقتنع أن تارك الصلاة كسلًا وحالته كما وصفت عند الحد الأدنى، {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ}[٣٥٧] هو ليس مشركًا، أنا أرى أنه مسلم، ولكن إذا واجهت تارك صلاة أقول له أنت ممكن تكون كافرًا، حتى أخوّفه ليرجع للصلاة. ولكن في الحكم أنا مع الجمهور.

ولكن لنفرض أنك أو الآخر يرى أنه كافر، هذا الآن ليس مجال مفاصلة مع العوام، هذا مجال مفاصلة في الدعوة، ولكن لست في مجال دفع اليهود إذا دخلوا عمان أن أقول: "كل واحد لا يصلي يذهب من وجهي، يقف فقط الذي يصلي". لا يصحّ هذا الكلام في دفع الصائل. ولا يقول أحد: "إنا لا نستعين بكافر!"؛ لأن تارك الصلاة ليس كافرًا قطعيًا عند الجمهور.

هذا أكبر شيء وهو ترك الصلاة، فما بالك ما دونها من إتيان المعاصي؟ واحد يشرب الخمر، واحد يضرب، واحد يسب، واحد يطلق بصره، هذه قضايا ابتُلي بها أهل الإسلام نتيجة المعاصي وما ران على قلوب الناس من الفسوق،

---

[٣٥٧] سورة النساء، الآية: ٤٨.

أما في دفع الصائل فإذا ترجع إلى فقه دفع الصائل فمن أوائل مستندات نظرية المواجهة وفلسفة الصراع هي دعوة عموم أهل (لا إله إلا الله) لممارسة هذا الجهاد وليس اصطفاء النخبة.

كنت أقول أنا عندي تنظيم، وأقصد كل التنظيمات، الجماعة الإسلامية في مصر جماعة سلفية، مكتوب في صدر المنهج: الخطوط العريضة للجماعة الإسلامية المقاتلة أنها سلفية، قالت نحن سلفيو العقيدة والمنهج. وهذا صحيح جيد، لكن لما أنت تلوِّن نفسك بهذا اللون وهو صحيح أوعزت لمن ليس بهذا اللون أنه ليس له محل من الإعراب في الجملة المفيدة هذه. أوعزت له أنه غير معنيّ بهذه الدعوة، هو ليس سلفيًا فلا علاقة له بهذه القضية!

ولكن لما أقول أنا دعوتي دفع الصائل وأتبنّى فقه دفع الصائل، وانتبهوا هنا من الفهم الخطأ، لا أحد يفهمني خطأ أنني أدعو لرفع عقائد أهل الكلام أو الفسقة أو المبتدعة فوق أهل السنة وفوق السلفية وفوق الحق، لا ليس هذا القصد، القصد أنه في عملية الحشد لدفع الصائل بإجماع العلماء يُدعى لها كل أهل (لا إله إلا الله).

بل هناك فصل في كتاب (المحلّى) في الجهاد في دفع الصائل أنه لا يُصرف عن الجهاد زنديق! الجهاد ليس من شروطه العدالة، بل ليست من شروط إمام الجهاد نفسه. إمام الجهاد نفسه يُغزا مع كل بر وفاجر، إذا كان هو إمام الجهاد، فما بالك بعوام أهل الجهاد؟!

هذا لا يعني أني أنشئ تنظيمًا وأُدخل فيه سفلة الناس، فكيف سيقودون الأمة؟! ليس هذا القصد، أنا أتكلم عن مجال الدعوة. مجال الدعوة ليس مجال من يدير الدعوة، ليس مجال الدينامو.

الآن نحن عملنا هنا مركزًا من أجل أن نقوم بهذه الدعوة وجاء واحد يدخن، نقول له: "خليك عم تدخن وخذ شعلة أيضًا حتى تجاهد معنا"!، ليس هذا القصد، بل هذا أربّيه وأعلّمه حتى يصير صافيًا، فهذا يجب له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتربية. ولكن ابتداءً لا أزهد في البشر. تقول له: ادعو فلان فهو رجل معروف في الحارة جنّدوه معنا، وأعطوه مالًا، يقول لك: هذا مدخن دعك منه!

أنت خسران هكذا، أنت جاهدت ونحن جاهدنا وتعلم ماذا عمل معنا فسقة العوام، وكيف ساعدونا وكيف خبَّأونا وكيف عملوا معنا. وكيف كنت تأتي إلى شيخ من أصحاب الحسابات ترى كيف حسبها وكيف ضرب وجمع وطرح ويقول لك: أنا عليَّ رقابة ولا أستطيع أن آويك.

فحصل معنا شيء عملي، هذا العملي الذي حصل معنا له أصل في الشريعة ليس مجرّد تجربة، {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} وتحت هذا الإيجاز ينطوي كلام كثير في أسلوب الدعوة، في من تختار للدعوة وكيف تربيه إلى آخره.

أنا الآن في معرض الإيجاز أقول: {وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} يعني حرّض المسلمين، يعني دعوة دفع الصائل هي دعوة لأهل (لا إله إلا الله) وليس لنخبة الناس..

طبعًا لن تفهموها بكاملها إلا عندما ننتهي من كل النظريات؛ لأن هذا الكلام له وجه تنظيري وله وجه عسكري وله وجه تربوي سيأتي في محلّه.

النقطة الثانية تحت عنوان فلسفة الصراع: (وهي معادلة الصراع نفسه).

أول شيء، من يريد أن يقاتل ينبغي أن يُجيب لنفسه ويُجيب للناس على ثلاثة أسئلة. إلى الآن الساحة مليئة بالتنظيمات والمقاتلين والذين يحاربون النظام الدولي والذين يحاربون في بعض الأقطار، وإلى الآن للأسف كثير منهم ما تحدَّدت عندهم الإجابة عن هذه الأسئلة الثلاثة:

- **من نحن؟**

كلمة "من نحن" يعني فكرنا، عقيدتنا، خطتنا، إلى آخره. ما هي نظرياتنا في العمل، من نحن؟ هذا لم يحدّده أحد إلا النادر.

- **من معنا؟**

السلفيون فقط؟ الموحدون فقط؟ الجهاديون فقط؟ مين معنا؟ هذا طرف القتال. هذا الطرف يتقاتل مع هذا الطرف، ونتصارع ونتشابك مع الطرف الثاني.

- **من العدو؟ ومن معه؟**

يعني فِكره، عقيدته، خطّته، إلى آخره. معلومات عن العدو من العدو؟ وخصوصًا من معه؟ لأنك إذا ارتكبت الخطأ القاتل وصنّفت رجلًا مع العدو أنه معك، انتهت المعركة من البداية أصلًا! واحد مع العدو صنّفته معك يخرب بيتك.

واحد معك وصنّفته مع العدو، كما فعلنا بسواد أمة محمد ﷺ نحن صنّفنا الأمة مع العدو. فلأجل خطأ التصنيف الأول خسرنا المعركة من البداية.

الأمر المبنيّ على من نحن ومن العدو: **ما هي فلسفة الصراع؟** يعني ما هو موضوع الخصومة؟ يعني نحن على ماذا نتشاجر ونتقاتل؟

هل كما قال الزنداني في يوم دستور اليمن مشكلتنا مع الحكومة أربع مواد في الدستور؟ فموضوع الشجار عنده سنة ١٩٩٠ هذا!، الزنداني اختلف مع الحكومة وخرج مظاهرة مشيًا ومعه مليون شخص وكذا، ماذا كانت المشكلة القائمة بينه وبين الحكومة؟! أربع مواد في الدستور!، احذفوا كذا وضعوا كذا.. بالله عليك لو حكومة أوشكت على السقوط تعدّل أربع مواد في الدستور أم لا؟! تعدلها، كلام في الدستور من ينفذه؟!

في حين نحن مشكلتنا مع حكومة اليمن ماذا كانت؟ كل الدستور مرفوض، كل القائمين على الدستور عندنا كفرة مرفوضون محلّهم كما قال أحمد شاكر: تحت السوط أو تحت السيف.

أنا مشكلتي مع العدو جذرية، أنا لا أقبل أن يطبق حسني مبارك شرع الله، لا أقبل أن يطبق صدام حسين شرع الله ولا علي عبد الله صالح، هو لن يطبقه، ولكن أنا فوقها لا أقبل أن يطبقه هو. قال لهم عبد الحميد بن باديس –رحمه الله–: "لو قالت لي فرنسا: قل (لا إله إلا الله) لا أقولها لأن فرنسا قالت لي"، ما رأيك لو جاءت أمريكا تحكمنا بشرع الله؟ من يرضى أن تحتلنا أمريكا وتحكمنا وتصير الولاية ٥٤ المحكومة بشرع الله؟ ويأتي الـ(FBI) والـ(CIA) يجلدوا الزاني ويقطعوا السارق!، معقول الكلام هذا؟

شرع الله من شروطه أن يقوم عليه أهل الله، ولا يقوم عليه المناكيد والكفرة والملاحدة، يذهب الملك الحسن مع (بريجيت باردو) وتكتب مذكراتها عنه ويطبق علينا شرع الله!

فهذا الأصل في الخلاف، في حين نظرية الإخوان قامت على: "نحن لا يهمنا من يطبق حكم الله فنحن معه". كيف نحن معه؟! أصلًا هذا الكلام تناقض، لأن هذا الذي مواصفاته هكذا أصلًا لا يطبق الشرع.

لذلك دخل الزنداني –حفظه الله– على رأس مليون متظاهر إلى باب علي عبد الله صالح، وتفاوضوا قالوا لهم: ابعثوا لنا منكم خمسة في جلسة نتفاوض معهم، دخلوا عشرة وجهاء القبائل، دخلوا على القصر من هنا مليون متظاهر، وخرجوا من الطرف الثاني والشيخ الزنداني عضو في المجلس الرئاسي، دخل من هنا متظاهر خرج من هناك في الحكومة!

دخل عمر سيف، -وهذا للمثال وإلا لا يهمني وهم أهون عندي من أن أزعل عليهم أو أحد يزعل مني عليهم-، دخل من هنا وهو مؤلّف كتابٍ طويل عريض (الكفر البواح في اليمن الصراح) أو لا أذكر اسمه، يثبت فيه كفر الحكومة اليمنية، كتاب قيم جدًّا، طبعًا ليس هو الذي كتبه، كتبه واحد آخر حفظه الله من فقهاء الجهاد ووضع اسم عمر سيف عليه في الآخر ووافق وصدر باسم الجهاد.

لما نزل وهو مؤلف كتابٍ في كفر الدستور ضخم جدًّا، نزل إلى اليمن إيش صار؟ رئيس المجلس الدستوري!! صباح الخير! لأن فلسفة الصراع غير محددة أصلًا، من معنا ومن علينا غير محدَّد.

الناس والجماعات هنا أفتوا للإخوة في اليمن ليدخلوا قتال الجنوب والشمال، قتال الجنوب والشمال على ماذا؟ أنا قالوا لي ندخل؟ قلت لهم ادخلوا وكل ظني أن الناس والعلماء يقولون: سنقضي على الشيوعيين ونأخذ السلاح ومن ثم نتفق على صنعاء ونأخذ الحكم. وهيك عمل صلاح الدين لما حارب مع العبيديين ضدّ الصليبيين.

صلاح الدين حارب مع العبيديين ضد الصليبيين والروم لأن الخطة كانت أن ينزل بقوّة كبيرة أقوى من قوّة العبيديين بكثير، جيش أهل الشام أهل السنة، فذهب على أساس أن يدعم دولة العبيديين، فطحن الصليبيين ورجع القاهرة فعزل الخليفة وأعلن مذهب أهل السنة. فما كان قتاله أصلًا دفاعًا عن حكم الشيعة في مصر، كان قتاله جهة ضعيفة من أهل القبلة نقاتل معهم، دفعنا الصائل ثم أزلناهم ووضعنا الأصلح.

*[٣٥٨] أما لو كان القتال من أساسه لإزالة الكفر الشيوعي في اليمن الجنوبي، وتوحيد البلدين تحت دستور اليمن الكفري الشمالي بزعامة علي عبد الله صالح؛ فهذا القتال بهذه النية من أوله غير جائز وغير صالح، وهذه ليست راية عمية، أعوذ بالله أن أسميها راية عمية، هذه راية كفرية أصلًا!. إذا كان القصد أن أزيل الشيوعيين وأمكّن للديمقراطيين العلمانيين وأنا أرتضي حكمهم هذا هو الكفر.

نحن كنا نتصوَّر أنها عملية إزالة للشيوعيين ثم توحيدهم في الشمال وإخضاعهم لحكم الله وقيام دولة إسلامية، وأظن أن ٩٩% من الذين قاتلوا كان هذا تصورهم؛ لأنه قام على أيدي المجاهدين من الجهاديين ومن الإخوان العرب ومن الإخوان ومن التبليغ والسلفية وغيرهم، فكل الناس كانت تتقاتل على هذه النية.

---

[٣٥٨] **بداية تفريغ الملف الواحد والثلاثين.**

فهذا الضياع لماذا؟ لأنه موضوع الصراع غير محدّد؛ من معنا غير محدّد، من مع العدو غير محدّد. فأهم شيء أن تتحدّد هذه الأمور؛ من نحن؟ ما عقيدتنا؟ ما هو موضوع الصراع؟

نحن الحمد لله حدّدنا ذلك في النظرية التي وضعناها، وهذا غير قابل للجدل. معادلة الصراع عندنا قلناها وكتبناها وهي: (أمة اليهود + أمة الصليب + طوائف المرتدين + المنافقين ضـــ×ـــدّ المجاهدين المسلّحين أفرادًا وجماعات).

هذه هي معادلة الصراع، حددنا بهذه الكلمات وهي أشبه بمعادلة الرياضيات، أننا في هذا الطرف نحن الذين نحمل السلاح ومن يجاهد ليدفع الصائل. وفي المقابل أطراف أربعة: أمة اليهود، رأسها إسرائيل والحركة الصهيونية خارج إسرائيل، وأمة الصليب ورأسها أمريكا ثم بريطانيا ثم فرنسا ثم باقي الناتو.

وهذا حتى نفهمه يحتاج لمتابعة السياسة، لا يستطيع الإنسان أن يعرفه بدراسة أصول الفقه ومصطلح الحديث فقط!، يجب إضافة لذلك أن يسمع الأخبار ويعرف السياسة ويتابع أمور الدنيا كيف تسير من قابيل إلى كلينتون حتى يستطيع أن يفهم هذا الكلام.

ثالثًا: المرتدون، وهم الكفرة حكام بلاد الإسلام قاطبة بلا استثناء، كلهم كفرة. والذي عنده حاكم مسلم ليس كافرًا منهم يسمّيه لي ويُبرهن لي على ذلك. ليس هناك حاكم مسلم إلا في المناطق المطبَّق عليها حكم الله في أفغانستان –رغم الخلل المطبَّق–، وأما الباقي فغير مطبّق أصلًا، منصوص على إلغائه بالقوانين والدستور والفعل والولاء والبراء.

ولا أريد أن أدخل في بحث فقهي، إلا أن هؤلاء الناس كفروا من وجهين، والذي لا يعجبه هذين الوجهين ينزل من هنا، قلت لك نحن على ارتفاع مناسب من سطح البحر وانتهت عندنا هذه المشكلة.

الله –سبحانه وتعالى– قال: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}[٣٥٩] هذا أولًا، وقال: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}[٣٦٠] وهذا ثانيًا. {فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} أي من الكافرين. فمن باب الولاية يكفر فهد ويكفر كل حكام بلاد الإسلام، وقلت "فهد" لأن بعض الناس مختلفون عليه!، ويكفر حافظ الأسد كذلك وإن كنت تجد أيضًا من يختلف عليه!، وحسني مبارك ونواز شريف وكل هؤلاء في الثلاثة والخمسين دولة دون أن أعدّد أسماءهم، يكفرون من باب الحكم والتشريع، ويكفرون من باب الولاية، ثم يكفرون من باب قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس، وفروع أخرى كثيرة.

---

[٣٥٩] سورة المائدة، الآية: ٤٤.

[٣٦٠] سورة المائدة، الآية: ٥١.

وهؤلاء المرتدون هم ثُلث الحملة وواجهة الحملة.

الجهة الرابعة هم المنافقون، المنافقون رأسهم علماء السلطان الرسميين؛ مثل مفتي الدولة ورئيس الأوقاف، فهو جزء من الحكومة أصلًا (وزير)، قلت لكم أن الوزير من وزر يزر هو يحمل الأوزار مع الملك، فإذا كانت أوزار الملك أوزار خير فهو يحمل حسنات، وإذا كانت أوزار الملك أوزار سوء فهو يحمل سيئات. فعلماء السلطان الرسميين أولًا.

ثم علماء السلطان غير الرسميين، الذين مؤدّى فتاويهم وكلامهم أسوأ من هؤلاء؛ لأن ذاك يأخذ شيئًا من الدنيا، يبيع آخرته بدنياه. أما هذا فيبيع آخرته بدنيا غيره! هذا مفلس المفلسين، يبيعها مجانًا! مثل الذي يحضر الخمر ويسكر، يبيع آخرته بدنياه. أما الذي يحضر الخمر لجاره وهو متورّع أن يسكر!، جاره مكيّف ويسكر، وهو مسكين أخذ أوزاره! فهذا الصنف الثاني.

الصنف الثالث: قيادات الصحوة التي أصبحت جزءًا رسميًا من أجهزة الطاغوت المرتد الموالي لليهود والنصارى. يدخل البرلمان ويعرف أن فيه تطبيعًا، يعرف أن فيه كامب ديفيد، ويصوّت على البرلمان ويوافق عليها. وهنا تفصيل كثير جدًّا، أرجع وأكرر أن هذا الكلام الذي قلته لا يعني عندي الحكم بالكفر القطعي، هو حكم بحدّ أدنى أنه نفاق عمل، والحد الأعلى في الكفر القطعي يحتاج تحقيق الشروط وانتفاء الموانع وإلى آخره..

فهذه الأطراف الأربعة هي من العدو.

حدّدنا السؤال كالتالي: السؤال الأول من نحن؟ نحن الذين قرّرنا حمل الجهاد لندفع الصائل، كل من حمل السلاح معنا، جماعة (فقاتل)، (نفسك)، سواءً كانوا جماعة أو تنظيمًا أو مجموعة أو شخصًا.

من معنا؟ مَن وقف معنا مِن حمل السلاح إلى دعوة في ظهر الغيب، عجائز المسلمين الله يفتح عليهم ويسلم أيديهم جزاهم الله خيرًا، ربما دعوة في ظهر الغيب تنصرنا على ألف كتيبة مسلَّحة، هذا بقلبه معنا. بينهم فريق بلسانه وقلمه معنا، هذا ينكر ويدفع بيده، وهذا يدفع بلسانه، وهذا يدفع بقلبه وليس بعد ذلك من الإيمان حبة خردل، هكذا قال الرسول ﷺ في دفع المنكر، فكيف بدفع الصائل؟!

في دفع الصائل الذي لا يدفع الصائل بقلبه هذا منافق، واحد في قلبه غير كاره للصائل، دخل الصائل أو خرج لا همَّ له بهذه المشكلة، هذا منافق ولا يخرج من هذا إلا الجهلة المعرضون؛ شخص جالس محشش ومنشغل في الدنيا، في الغرام، في التجارة، في الكلام، مُعرِض عن كل المعركة.

أما إنسان علم أن هناك معركة دائرة ثم ما بالى أن يكون معنا أو مع الطرف الآخر فهذا منافق على الحد الأدنى؟!

فهذه طبيعة المعركة، القتال على ماذا؟ نحن على ماذا نتقاتل؟ ما هو موضوع المعركة؟

موضوع المعركة أصلًا كما قال تعالى: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}[٣٦١]، الخلاف هو على الله –سبحانه وتعالى–، على التوحيد أم الشرك، العدل أم الظلم. وهذا الخلاف، الخلاف على التوحيد إيمان ولا شرك وبالتالي عدل أو ظلم. هذا موضوع القتال.

فتراه مرة في صورة خلاف على الحكم، ومرة في خلاف على البترول، فقضية البترول من صلب التوحيد؛ لأنه سُرق من أهل التوحيد فتسوَّلوا فكفروا، و(كاد الفقر أن يكون كفرًا)[٣٦٢] ...[٣٦٣]

هذا من صلب مسائل التوحيد. فعندنا النقطة الأولى في نظرية المواجهة: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ}[٣٦٤] الأساس دعوة المؤمنين، هكذا تقسيم المعركة، –والتفصيل العملي نفصّله تفصيلًا عسكريًا يأتي إن شاء الله–.

الآن النقطة الثانية: **وهي أنَّ صراعنا مع أمة اليهود، ومع أمة الصليب، ومع طوائف المرتدين، هو جهاد سنان بالسلاح**. هذه نظريتنا في المواجهة أن هذه الأطراف الثلاثة مجتمعة وفي آن واحد يجب أن نقاتلها بالسلاح.

وطوائف المنافقين هؤلاء يجب أن نقاتلهم بالحجّة والبيّنة وقال الله وقال الرسول، وليس بالسلاح، حتى وإن كان بعضهم مستأهلًا للقتل، رجل قال: "اقتلوا الذين يقاتلون الأمريكان" فقتلوا الإخوة بفتواه، يُقتل حدًّا. عمر بن الخطاب لما قتل سبعة من أهل اليمن قالوا له: كيف تقتل المجموع بالواحد؟ قال: "لو تضافر أهل اليمن على قتله لقتلتهم به جميعًا"، وصار تشريعًا عند العلماء وعند أهل السنة.

مع أن في علماء السلطان وفي وزراء السلطان الدينيين من يستأهل القتل قطعًا إما حدًّا وإما كفرًا، ولكن الذي أقوله أن نظريتنا عدم استخدام السلاح في هذا الباب، من باب دفع المفاسد الآن لاختلاط الأمور، ولأني لست سلطة،

---

[٣٦١] سورة البروج، الآية: ٨.

[٣٦٢] شعب الإيمان للبيهقي (٦١٨٨). ضعفه الألباني في (مشكاة المصابيح).

[٣٦٣] انقطاع في التسجيل.

[٣٦٤] سورة النساء، الآية: ٨٤.

ولأنه إذا فُتحت المعركة هنا فمن مقتضاها أن ينتصر العدو، ويستغلّها المرتدون والصليبيون واليهود ويعزلونا عن الأمة، فنضرب المبدأ الأول {وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ}. فقتلنا للعلماء المستأهلين للقتل يصرف المؤمنين عن المعركة.

وكيف تخرج من مشكلة وجود بعض الجهلة مِن حملة السلاح الذين يقتلون من لا يستأهل القتل أصلًا!، ربما حمية يقتل شخصًا من علماء السلطان غير مستأهل للقتل شرعًا، هو قال كلمة في صفّ السلطان، لكنها لا تجعل قتله حلال، عنده تأويل، عنده فتوى، عنده بلوى، الله يأخذه، المهم أن هذا لا يستأهل القتل.

فدفعًا لأي شبهات وتقديمًا لمصالح المسلمين نظرياتنا: جهاد المنافقين من علماء السلطان ومن لفَّ لفَّهم من برلمانيين مسلمين، وحتى وزرائهم وبلاويهم الآن نتركها إلى جهاد الحجة والبينة. هم يقولون: أنتم خوارج، تكفير، مفسدون في الأرض، ونحن نقول لهم: أنتم منافقون، بلعام بن باعوراء. دليلنا هكذا، ودليلكم هذا. هذه هي القصة.

أما في قتال المرتدين والصليبيين واليهود فهناك خلاف كبير بين جماعات الجهاد؛ ناس من الجهاديين وبعض الفلسطينيين يقولون: قتالنا مع اليهود ونقطة وانتهى، ونحن مع كل البشرية في خندق واحد ضد اليهود! هذا الكلام خطأ!، نحن لسنا مع الصليبيين ولا مع المرتدين في خندق واحد. بعض إخواننا في أفغانستان يقولون: قتالنا مع الصليبيين تحديدًا، ثم حددها أكثر وقال مع أمريكا. فاختزل المعركة العسكرية في أمريكا، وهي طرف من أطراف الصراع، كيف أقاتل أمريكا في السعودية أو في قطر أو في الأردن أو في مصر، ثم يتبعني جنود المرتد فأقول لهم لا أريد أن أحاربكم!

هناك مقاصد من المرتدين لا يمكن ضرب قلب أهل الصليب إلا بها، فأهدافهم محروسة بهؤلاء. وهناك عملية تداخل حقيقي، خطأ من يقول نقاتل اليهود وهم قلّة، وخطأ في الجهاديين من يقول نقاتل أهل الصليب وأمريكا فقط وهم قلّة، الكثرة خطؤها بأن نقاتل المرتدين فقط. معظم جماعات الجهاد على أن نقاتل المرتدين الآن، وقتال المرتد مقدم على الكافر الأصلي، وهذا نقضناه عقلًا وشرعًا من قبل.

ونحن نقول إن نظريتنا في القتال أن نقاتل المرتدين وأهل الصليب واليهود معًا، وهذا سينبني عليه كلام عسكري، لأن النظام الدولي أثبت لدينا في السنة الأخيرة أن أوجلان هرب من تركيا، فتبعه الموساد، قبضت عليه السي آي أيه، سلمته اليونان إلى تركيا، فهي عملية حلف متماسك أمنًا وعقلًا إلى آخره.

النقطة الثانية أن معادلة فلسفة الصراع عندنا قتال هؤلاء، ويجب قتال اليهود ومصالحهم وأهل الصليب ومصالحهم والمرتدين ومصالحهم في كل مكان، ولكن يُقدَّم واحد عن الآخر في بلد عن بلد، تقديمًا وتأخيرًا وليس إلغاء. في بلد فلسطين قتال اليهود أوجب، الأردن قتال اليهود وأهل الصليب ثم المرتدين أوجب، الجزائر واضحة معركة مستمرة، قتال المرتدين ثم الفرنسين واليهود أولى، سوريا حافظ الأسد قتال النصيريين ثم مصالح اليهود والأمريكان أولى. ولكن إذا انفردت بطرف من هذه الأطراف وتركت قصدًا الأطراف الأخرى فأنت خسران المعركة لا محالة وخسران حشد الناس، والله أعلم.

هذه النقطة الثانية من فلسفة الصراع، أن معادلة المواجهة هي هكذا: يهود، صليبيون، مرتدون، قتال بالسلاح. ومنافقون قتال بالحجة والبينة.

ومسألة الصراع قلنا أنها على **التوحيد ودفع المظالم**، ليس التوحيد فقط. لو كانت الأمة تفهم كنت قلت التوحيد فقط، لأن التوحيد يقتضي دفع المظالم. ولو كان عقل إخواننا السلفيين يحتمل كنت قلت دفع المظالم، لأن هذا يقتضي إثبات التوحيد. ولكن حتى تفهم الناس فالمعركة بين خصومنا هي على التوحيد ودفع المظالم وهما موضوعان متداخلان في بعضهما شرعًا وعقلًا وسياسة وعسكريًا.

النقطة الثالثة تحت عنوان نظرية المواجهة وفلسفة الصراع، أن هذا الكلام يقتضي منا العودة إلى **فقه وأحكام دفع الصائل**، وليس الاقتصار على العقائد؛ التوحيد، الولاء والبراء، الحاكمية. وأنا قلت سابقًا أن الذي طرحناه نحن الجهاديون كان صوابًا ناقصًا. طروحاتنا الماضية صواب ناقص وليست خطأ.

فالشاهد في الموضوع أنه يجب أن نرجع إلى أحكام دفع الصائل وبالتالي ينبني عليها إعادة كتابة الفكر الجهادي بناءً على أحكام دفع الصائل، هذا الكلام أنا أوجزه هنا لأننا ذكرنا سابقًا.

الكلام في الولاء والبراء والحاكمية والتوحيد إلى آخره، صحيح لكنه دفعنا إلى فقه النخبة. ولكن الكلام في فقه دفع الصائل يدفعنا إلى فقه الأمة، نحن في حالة دفع الصائل وبالتالي عليَّ أن أجمع كل الأمة في مواجهة هؤلاء، وآخذ نخبة تقاتل في سبيل الله، وأحرّض كل الأمة. فهذا يحتاج فقهًا متكاملًا من جديد أدعو الناس إليه.

وبالتالي نأتي للنقطة الرابعة: **الأمة هي أهل السنة والجماعة**، وأهل (لا إله إلا الله)، وليست منحصرة في النخبة، لا سلفية على المسمى المعروف، ولا مذهبية، ولا هي دعوة للأحناف ولا دعوة للشافعية ولا دعوة للسلفية ولا دعوة للأشعرية، بل هي دعوة للأمة بكليتها.

هذا لا ينقض أصل ما نحن عليه من الصواب، أن عقيدة السلف هي الصواب لا شك، ولا يجعل الخطأ من عقائد أهل الكلام صحيحًا، هو خطأ لا شك، ولا يجعلني أدخل في عملية منازعة من أهل السنة والأشعرية ومن هم أقرب للأشعرية ومن أبعد للأشعرية، أنا رجل أحترم الاختصاص جدًّا جدًّا، اتركوا أهل الاختصاص من العلماء يتناطحون فيها ويسلّموني النتيجة في الآخر.

أنا اختصاصي ماذا؟ تأدية مهمة واحدة: بالمختصر الشديد نحن مهمتنا دفع الصائل، لا مهمتي تربية الأجيال، ولا مهمتي تصحيح العقائد، ولا مهمتي تنقية العالم، هذا ضمن مهماتي التالية، ضمن أولوياتي التالية. الآن عندي الأولوية أن أطفئ الحريق، أنقذ الغريق، أحل المشكلة، وأتيح بعد ذلك الفرصة لمن كانت عقائده كعقائدي على منهج السلف، ولمن حاله كحالي من الفهم أن يصلح في الأمة على مهله.

الآن هناك مشاكل إذا فتحتها لأحلّها من قضايا المسلمين لا تُحل المشكلة، ولا يُدفع الصائل. لأنه إذا جاء الصائل لا أبقى على دين ولا على دنيا، ولا على أشعري ولا على سلفي ولا على موحد ولا على غيره. الآن مهمتنا دفع الصائل. هذه النقطة أربعة.

طبعًا ليس معنى أنكم ساكتون أن كل الحاضرين مُسَلِّمون بهذا الكلام؛ هذا الكلام مطروح للبحث، كل الذي قلناه من البداية داخل تحت قول من قال: ما كان صوابًا فمن الله -سبحانه وتعالى-، لا يهدي للخير إلا هو، وما كان من خطأ فمن نفسي الخاطئة والشيطان وهو مردود عليّ وعلى صاحبه وعلى كل صاحب خطأ.

فهذا الكلام مطروح للبحث، هذه خلاصة الذي حصل معي ورأيته ودرسته وتباحثت فيه مع الناس على مدى عشرين عامًا، أضعه الآن على السبورة حتى يتباحث به الناس.

فالآن رقم خمسة: من المبادئ الأساسية للدعوة أنها **عالمية أممية وليست إقليمية قطرية نخبوية**.

هذا كله لو تلاحظون مبنيّ على الأخطاء. فدعوة دفع الصائل هي لقيام الأمة وليس لنخبة ولا جماعة ولا حزب. من مواصفاتها: عالمية، أممية، ليست إقليمية، ولا قطرية، ولا جبهوية، الذين سيدفعون الصائل نزّاعٌ من القبائل.

نحن لن نستوعب أمة الإسلام في ثغرة، لن نستوعبهم في القفقاس ولن نستوعبهم في داغستان ولن نستوعبهم في اليمن. نحن ندعو أن تقوم الأمة حيث استطاعت أن تقوم. تقوم نخب تدعو إلى دفع الصائل ولكن على أساس أنها تجمُّع لا يقوم على جنسية وقوم في العنصر، أو بالأحرى لا يحصر ممارسة الفريضة في إطار جغرافي محدود ومحدَّد. محدود يعني صغير له حدود، ومحدَّد يعني معيّن.

نحن الآن متجمّعون بأفغانستان، عندنا معركة في أفغانستان، نشارك فيها للوجوه الشرعية التي عندنا، وعيوننا على أهداف محددة، طبيعي جدًّا أن يفكّر كل شخص في البلد التي ترك فيها أهله، الأقربون أولى بالمعروف، ومن أعلى المعروف دفع الصائل عن أبيك وأمك قبل ابن عمك، طبيعي جدًّا أنك تفكر هكذا؛ لأن الرسول ﷺ حضَّ أبا طلحة على أن يضع الصدقات في بني عمه، في فقراء قومه وقبيلته، وهذا أدعى لتأليف الأرحام. فإن فاضت وزادت توزَّع على الأقرب فالأقرب، وهكذا الزكاة توزَّع في منطقتك، الأقرب فالأقرب.

ولكن هل هذا محصور يعني خلاص لا يعمل خيرًا خارجه؟ لا، بل يعمل خيرًا خارجه، ولكن أحيانًا تكون هناك مشكلتان: أنه ليس هناك إمكانية أن تدفع الصائل في أرضك، وإما أنك أقرب إلى مكان مشكلة أخرى، أو أن هناك مِن المسلمين الذين هم أرحام لك مَن هو أحوج بكثير من أهلك، نزل فيه بلاء أكثر أو أسبق في المشكلة، فعلًا بلوة ابن عمك أعظم بكثير من بلوة أبيك وأمك وأخيك وبالتالي يجب أن تدفع عنه. فأنت لا تحدد هذه القضية، بل هي بحسب المصلحة، قضية الرأي والحرب والمكيدة، وليست تخصيصًا.

فإذا قام تنظيم وكتب هكذا: (نحن جماعة الجهاد)، أو (الجماعة المسلَّحة) وكتب بين قوسين (قبائل الماو ماو) معناها هو هنا يجاهد، هذه قضيته، حدَّد نفسه هنا! أما نحن نقول: أمة الإسلام =الكرة الأرضية، يعني نُزَّاع من القبائل. ما معنى نزّاع من القبائل؟ شرحناها في البداية حول موضوع حديث الغربة؛ أنهم نزعوا أنفسهم من قبائل شتى، فهو تعدّد تجمّعات، تعدّد الجنسيات، تعدّد الاهتمامات. فهذا من هويّة التجمعات التي ندعو إليها.

فنحن الآن نجاهد في أفغانستان من أجل إقامة تجمُّع يجاهد حيث تيسّر في بلاد المسلمين، وفيما بيننا فلسطيني عنده مشكلة سعى وقطع خطوة في قضيته، فنحن مدعووّن لنقف معه في قضيته. يمني نزل وصارت عنده قضية يحتاج مدرّبين وكوادر وأموالًا، نحن ندعمه في قضيته..

هنا تحكمك قضايا أولويات حركية، أن الأولى أن أبدأ هنا والأولى أن أعمل هنا، هذه أولويات حركية وليست أولويات فكرية. هي أولويات حركية عسكرية سياسية، أن أجاهد هنا ولا أجاهد هناك. ولكن الاستعداد النفسي والعقدي كما هو هذا الجمع أمامنا عشرون جنسية من أي مكان، نزّاع من القبائل، والاستعداد النفسي أيضًا أنه حيث تحقَّقت المصلحة أو الضرورة للمسلمين فنحن نجاهد. هذا من الأُسس الفكرية والنفسية لهذه الدعوة.

أخيرًا أقول تخصيصًا على قضية وهي: **إبراز مفتاح الجهاد وقضاياه**. هذا من أساسياتنا، وهنا حصل لغط كثير؛ نحن نقاتل من أجل ماذا؟ فقالوا من أجل التوحيد، وإذا دعوت إلى قضية غير التوحيد يقول لك هذه قضية ليست لها علاقة بالتوحيد، قضية أرض، أو قضية قوم، أو قضية مال، أو قضية فرعية فنشارك فيها أو لا نشارك فيها!

من باب دعوة الأمة للتوصيف أقول لك: واقع البشر –وللأسف الشديد– أنها تُجرّ للقتال تحت أي بند، فيه شيء قلت لك يسمونه في حروب العصابات أو في علم النفس العسكري (مفتاح الصراع)؛ المفتاح الذي ستدخل منه إلى قلوب الناس، الإنسان قلبه له قفل وتحتاج مفتاحًا، فإن وافقت هذا المفتاح سيقبل، وإن لم توافق هذا المفتاح لا يقبل ولو كانت قضية خطبة وزواج أو عقد تجاري، يجب أن تدخل قلبه من مدخل يقتنع به؛ فإن اقتنع يزوّجك وإن لم يقتنع لا يزوجك، اقتنع يتاجر معك وإن لم يقتنع لا يتاجر معك..

فما بالك وأنت تدعوه إلى القتل، وهتك العرض، وخراب الديار، وتدمير المستقبل، وترك الجامعة، مصائب؟!فيجب أن يقتنع، لا يكفي أن تقول له: جنة عرضها السماوات والأرض، هذا الخطاب كان كافيًا لجيل الصحابة. لا يكفي أن تقول له الحور العين والجنة والأنهار، هذا يكفي لنخبة من الناس هكذا قلبها معلّق بالله، ولكن حتى في عهد الرسول ﷺ نزل القرآن يقول للعرب: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ}[٣٦٥]. يعني فيه قضية الشرف والرفعة وحب العز والفخار، الرسول ﷺ يطلب منهم: (كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا العَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ العَجَمُ الجِزْيَةَ)، فيغريهم بالسيادة والسيادة ليست من مسائل توحيد، وليست من مسائل الآخرة، هي من مسائل الدنيا.

ضرب ﷺ ضربة فقال لهم أوتيتم كنوز قيصر، ضربة قال رأيت قصور الشام، تُفتح عليكم الدنيا، ما الفقر أخشى عليكم. يعني بالمختصر كانت دعوة الرسول ﷺ: تعال إلى هنا تعيش بخير وتموت إلى خير، إن متّ تذهب إلى عز وخير وإن عشت تعيش في عز وخير. فكانت دعوة دنيا وآخرة، وليست دعوة آخرة فقط، ولاهوتية؛ جوّع نفسك، موّت نفسك، ضعّف نفسك، ثم تذهب للجنة تعيش بخير، بل هي قضية دنيا وآخرة.

---

[٣٦٥] سورة الأنبياء، الآية: ١٠.

هذا موجود في دعوة الرسول ﷺ، فيجب أن نبحث الآن ما هي مفاتيح قلوب الناس حتى ندخل نجرها للقتال.

للأسف الشديد مفاتيح قلوب الناس أول شيء تقوم الناس بحمل السلاح عليه هو: **وجود عدو خارجي**. فيه عدو خارجي يخرجون بالسلاح، سواء كان هناك دافع عقدي أو لا، أو وطني، أو أرض أو قوم، "يلا يا شباب والسرج على الخيل"، وتحمل السلاح. وهذا حصل في أفغانستان وحصل على مدى الحملات الصليبية.

الأمر الثاني: **مواضيع عيش الناس**، ويأتي على رأسها **الظلم والقهر**. يعني إذا فيه ظلم يأخذ السلاح ويخرج، لأنه إن عاش مقهورًا وإن مات مقهورًا، يقول استوت عندي القضية فيخرج، بدين أو بلا دين إنسان تظلمه وتقهره يحمل السلاح.

الأمر الثاني: **الفقر وسوء توزيع الثروة**. في زمن بني أمية حصل هناك أثرة قام أبو ذر الغفاري –رضي الله عنه– قال: "عجبت لرجل يبات جائعًا ولا يخرج شاهرًا سيفه على الناس**!**"؛ عنده حق في بيت المال، عنده حق في الأموال، كيف ما يطلع يأخذ حقه.

فالفقر والظلم.

ثالثًا: **قضايا الأعراض**، إذا انتُهكت أعراض المسلمين. وأنا عارف ماذا أكتب وكيف أرتب، الناس عندها المال قبل الأعراض، هذا مخزٍ ولكن هذا وضع الناس**!**، أغلب الأمم التي عندنا هكذا، يُقهر لا يتحمل، يتحمل أخذ ماله قليلًا، أغلب الناس هكذا، وهناك بعض الناس عندهم العرض قبل المال وقبل الظلم وقبل الدين، موجود، ولكن أنا أتكلم عن عموم أمة.

ولا تتصور أن قضية العرض تعني فقط أن يأتي واحد يقول لك: "أعطِني أختك"!، إذا قال لك: ممنوع تلبس بنتك الحجاب في المدرسة، هذه قضية عرض، فأغلب الناس مشَّاها. لكن عندما وضع عليه ضرائب وارتفع سعر الخبز ما مشاها. خرج وعمل ثورة وضرب حجارة وضربوه وقتلوه لأجل ماذا؟ لأجل الخبز، ولكن ما خرج لأجل حجاب ابنته**!**

أخذوا البنات عندنا في سوريا ليعملوا طلائع، يعني يدرسون في معسكرات حزب البعث، أكبر شبيبة في الثورة، موجه سياسي، والبنت يجب أن تخلع الحجاب، فقال لها: "خلاص اخلعي الحجاب ولما تخرجي من المدرسة البسي الحجاب"**!** أغلب الناس هكذا..

بعد شبيبة الثورة صارت المظليات؛ معسكرات عسكرية للبنات، تذهب البنات واحد وعشرين سنة في تدريبات مع المظلّيين والمظلّيات!! حتى صاروا يعطوهم شهادات فقد عذرية؛ أن البنت فقدت بكارتها نتيجة القفز من المظلّة، ونتيجة فرق الضغط أصحبت غير بكر، هكذا أثبت الطبيب الشرعي!

فهذه من قضايا العرض، والعالم ذهبت، جزء قليل من الناس، ولكن ذهب من المسلمين إليها. خذ إلى تونس، خذ إلى المغرب، خذ إلى الجزائر فيه قضايا كثيرة جدًّا.

الموظفات، السكرتيرات، الممرضات، نصف الناس، هذه قضايا عرض. الدولة شيئًا فشيئًا تحمل أعراض الناس إلى الهتك المتدرّج. نحن عندنا قضيّة العرض أنه يأتي واحد يأخذ أخته من البيت يغتصبها، ليست هذه صورة هتك العرض، من صور هتك العرض في النهاية أن الإنسان لا يسيطر على عرض نسائه بفعل الحكومات. فهذه من القضايا التي تثور لها الناس.

القضية الرابعة بعد الأعراض: **قضايا الكرامة**، يعني قضايا الإذلال. لكثرة الإذلال، والإذلال له علاقة بالظلم والقهر، ولكن الظلم عام.

القضية الخامسة والأخيرة: **قضايا العادات والتقاليد.** ممكن أهل اليمن يثوروا لمنع القات، عادة، شغلة هادفة! الآن يُسقطون مرشحًا لأن خصومه يُشيعون أنه شيخ يحارب القات، فلا ينتخبه أحد. فهناك عادات اجتماعية، وعادات سلوكية أَلِفها الناس، إذا ضُربت يثور الناس.

بعض التقاليد ذات أثر ديني، وبعض التقاليد عُرفية. فلما تأتي حكومة تزيل هذه الأعراف، أحيانًا يكون من أسباب الثورة خراب ضريح. أنا قرأت في تاريخ فرنسا في الجزائر يقولون من أخطائهم أنهم لاحظوا أن الصوفية والثوار عندهم في الصحراء الكبرى في الجزائر زوايا كثيرة جدًّا، فالمجاهدون أثناء التنقّل يجلسون في المساجد يتزوّدون وهكذا. فجاء جنرال فرنسي وجد أن الأضرحة والقباب أصبحت محطات تمويل، فأمر في يوم واحد أن تُنسف كل الأضرحة والزوايا. فلما نسفوا الأضرحة والزوايا، كل الحركات والقبائل والصوفية اعتبروا أنه الآن انتُهك الدين! فنزعوا الأعلام وحملوا السلاح، وقال تضاعف عدد الذين حملوا السلاح أضعاف مضاعفة.

في تاريخ الأسرة العلوية في المغرب كان الملك الرابع أو الخامس قبل هذا الملك الحسن اسمه سلمان أو سليمان، عاصر أولاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، فحصلت بينهم مراسلات، فآمن بالدعوة الوهابية، وفرضها على

الحكم، وقرّب علماء السلف وأبعد علماء الصوفية والمالكية والأشعرية. فحصلت عليه ثورة ما كانت حصلت على كل ضلالاته واعوجاجاته وكفره وتدخل الأجانب وغيره!، قامت عليه الثورة وخرجت عليه الأمة وأئمة المساجد والناس وخلعوه ونصَّبوا ابن عمه ورجع الوضع إلى ما كان عليه الناس فيه أشعرية، صوفية وأضرحة وأعلام!

ثارت الناس لعرف تقليد له جذر ديني.

ثم من آخر الأشياء التي يثور الناس عليها **قضايا الدين**. للأسف الشديد أنها جاءت في رقم ٦ قضايا الدين والمبادئ!

فيأتي واحد يقول لي: "جعلت الدين آخر أسباب حمل السلاح؟!"، واقع المسلمين هكذا، أن الدين آخر أسباب حمل السلاح عندهم. الدين مُنتهك منذ عشرين سنة وثلاثين سنة وخمسين سنة ولم يتحرك الناس!، الدين مُنتهك في السعودية أين طلبة العلم؟! الدين مُنتهك في مصر أين الحركات والعالم والإخوان وكذا؟!

كم ثورة حصلت في العالم العربي اسمها (ثورة الخبز)؟! في مصر، في الأردن، في المغرب، وهذه البلاوي التي حصلت من أجل الخبز! انتُهك الخبز خرجت الناس وحملت السلاح، مات ناس وجُرح ناس، ومن أجل الدين ما خرجوا، منذ متى يُنتهك الدين في الأردن وفي مصر وفي سوريا؟ وما ثارت الناس له.

فأنت لما تأتي إلى واقع هكذا، أنا وأنت والحاضرون هنا خرجنا لانتهاك الدين. حتى أنا عن نفسي أقول لك أول ما خرجت بسبب الظلم، كان عمري عشرون سنة وما كنت متوسّمًا أن هناك ثقافة دينية وجهاد وقضية وكذا، أنا كنت متوسمًا أن هناك نصيرية هلكونا وفيه ظلم وقهر وقحط، ونحن عشنا أفكارًا ثورية ومبادئ وقضايا، فهذا الوضع لا يُحتمل فسنحمل السلاح.

فحملنا السلاح مع الناس التي خرجت تجاهد، ولذلك هذا باب كبير جدًّا من إسلام الناس؛ في إسلام حمزة، قال: "أتشتمه وأنا على دينه؟"، رجل شجاع جاء من الصيد ومعه الأسود التي صادها، خرجت امرأة قالت له: أبو لهب شتم ابن أخيك، فذهب إليه وضربه بالقوس، فشجّه شجةً منكرة وقال أتشتمه وأنا على دينه؟! هكذا في السيرة.

أبو طلحة لماذا أسلم؟ حتى يتزوج أم طلحة، وهو من كبار الأنصار والقصة مشهورة في السيرة. جاء خطبها وأسلم ليتزوجها، أبو طلحة الذي وصل إيمانه أن طائرًا شغله عن الصلاة فجاء إلى الرسول ﷺ قال له كنت أصلي فدخل طائر في حائطي في بستان التمر فشغلني أنه سيفسد الثمر، فحلفت أن أجعله في سبيل الله، حتى لا يوسوس لي الشيطان مرة ثانية في أمور الدنيا، وتصدّق بالحائط.

وصل إيمانه هكذا، ولكن أصل الإيمان أنه أراد يتزوج أم طلحة فقالت له أنا مات عني مشرك -وكان يجوز للمسلمة زواج المشرك قبل التحريم- ولكن الآن أريد مسلمًا على ديني حتى أرتاح. فقال لها إنما أردتِ الأبيض والأصفر، يقصد تريدين رجلًا غنيًا يعطيك الذهب والفضة، قالت له لا، أسلم وأتزوجك. فقال سأنظر في أمري، فكّر للصبح ثم أسلم. وهذا مثبت في السيرة.

فأحيانًا هناك أسباب من الدنيا، أسباب من النخوة، تكون هي القشَّة التي قصمت ظهر البعير. قطعًا هو فكَّر في الإسلام من قبل، لكن جاء سبب حرَّكه.

فهذه الأشياء لازم تعرفها من علم نفس، كيف المداخل، هذا يسمونه مفتاح الصراع. واحد يحب شيئًا معينًا، نوعًا معينًا من الحلويات، تأخذه له هدية وثاني يوم تذهب تخطب ابنته!

فهناك أمور نفسيَّة ينبغي أن تُراعى. فإذا أنت عرفت هذه الأمور تستطيع أن تدخل إلى الناس بالمفتاح الذي يناسبها، لماذا جعلت هذه القضية من فلسفة الدعوة وفلسفة الصراع؟ لنحدد المفتاح الذي سندخل به إلى الناس؛ ندخل إلى الناس الآن الأول بالأول، ولكن في دعوتنا نعزوه إلى قضايا الدين والتوحيد. نقول لهم كلامًا يخصنا ويفهمه النخبة: لغياب شرع الله ولبعدكم عن دينكم جاءكم العدو. ثم أفصّل في مجيء العدو كيف أنت تقبل العدو يدخل يتحكم فيكم؟ واليهود والنصارى، والرجال والنخوة، والعفة، وأتكلم معه على قضية عاطفية...[٣٦٦]

فأنا أعيد صياغة مفتاح الصراع بطريقة دينية وطريقة يفهمها الناس، (أُمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم)[٣٦٧].

هنا يلزمني أمران اثنان: **أدعو الناس للقتال بسبب العدو الخارجي**، وأمر مهم جدًّا: **جرّ العدو الخارجي إلى المعركة المكشوفة.**

الآن العدو الخارجي موجود، الأردن يحكمها الماسون الأمريكان. ولكن هل يراه الناس؟ لا يرونه. فرنسا تحكم الجزائر منذ الاستقلال، معظم الوزراء والجنرالات وضباط الجيش عندهم جنسيتان: فرنسية وجزائرية. هل يراه الناس؟ لا يرونه. كيف أنا أجرّه؟ أضرب له أنابيب النفط والغاز في الجزائر فتعجز الحكومة عن حمايته، فيأتي ليحتل. فيرى العوام أنه هذه فرنسا تحتلهم، نقول لهم: قوموا نجاهد، فيقومون يجاهدون.

---

[٣٦٦] انقطاع.

[٣٦٧] يقول الزركشي في (اللآلئ المنثورة) صـ ١٠٧: (الحَدِيث الْحَادِي والأربعون: أمرنَا ان نُكَلِّم النَّاس على قدر عُقُولهمْ).

وكنت في مكاتباتي مع أبي عبد الله أحمد أكتب له عن هذا الأمر كثيرًا، جُرّوا فرنسا إلى القتال كما انجرّ الروس إلى أفغانستان. قامت الحركة الإسلامية والحركة الجهادية تدعو الناس لجهاد الملك نادر شاه، ثم ظاهر شاه لما مزّق الحجاب وخرجت زوجته سافرة، فما قام أحد، وجاء بالعلمانية فما قام أحد، وقرّب الشيوعيين فما قام أحد، جاء ابن عمه وعمل انقلابًا شيوعيًا وحكم بالشيوعية وسجن العلماء فما قام أحد، استعلن الكفر وما قام أحد؛ لأن الحاكم الشيوعي يصلي العيدين ويزور الكعبة مرتين في السنة، وباقي الوقت يحارب الدين! كيف ستقنعه أن يثور عليه؟ فما قام أحد..

فلما دخل الروس، دخل أكثر من نصف مليون مسلح من القبائل يقاتلون الروس كدفعة أولى.

فإظهار الوجود العسكري الغربي واليهودي في بلادنا هدف استراتيجي لنا. هدف استراتيجي لنا أن نجرّ العدو أنه يخرج من تحت الأرض إلى فوق الأرض حتى يراه العوام، لأني أعلم من الدراسة النفسية أن طبيعة البشر لما يرون عدوًا خارجيًا يثورون ضده، وهذا أمر هام جدًّا للقضية، هو زنجي أسود رأى ناسًا بيض وعيونهم خضر يتحرّكون ويحكمون، فكل إفريقيا حملت السلاح للوجود الخارجي.

فهذا يقتضي دعوة الناس على هذا المبدأ ودعوة العدو أن يظهر. كيف يظهر العدو؟ أنا أجرّه إلى الظهور والتواجد عسكريًا.

قال شامير: "نحن نقدّر الخدمات التي يبذلها الملك حسين في حراسة حدودنا الشرقية، ولكنها غير كافية، ولو استمرّت عمليات العبور عبر النهر سنحتل مرتفعات الأردن الغربية". يعني من إربد إلى العقبة كلها يأخذها. طيب جيد، أكمل العبور حتى يأتي. أنا كلّمت الشيخ أحمد نوفل وغيره: يا جماعة أيام حرب الخليج ليش ما تقوموا؟ لماذا لا تحاربون اليهود ولا تحاربون الجيش؟ قالوا: "والله لا نضرب النار إلا على اليهود، ولو جاء الجيش والمخابرات وكل الناس وقطعوا رؤوسنا وأخذوا جماجمنا وشربوا فيها دماءنا، لا نطلق النار إلا على اليهود"!، هكذا قال لي بالحرف، هذا الحل الوحيد معه أن نجلب له اليهود، ليس هناك حل آخر. الحل الوحيد أن أضرب الحدود وأجر اليهود. فإذا جاء اليهود دخلوا في المعركة. فأول شيء هو مفتاح العدو الخارجي.

ثاني شيء في الإعلام والتحريض: أبدأ **بإبراز قضايا الظلم.** قضايا الظلم عادية جدًّا من قطع الكهرباء لقطع المياه لأراضي المنح الملكية؛ الأمير الفلاني آخذ أراضٍ، والأمير الفلاني أخذ، المعارضة السعودية نشروا أوراقًا ليت الإسلاميين

والجهاديين يعرفونها!، ليست موجودة عندهم ولا يتداولونها، عندي كتب ومنشورات للمعارضة السعودية من العلمانيين وغيرهم من أجل أن يُثبتوا فشل الملك وينشرون أحداثًا صحيحة.

واحد أمير يكتب للملك الأب الوالد تراكمت علي الديون وكذا إلى آخره فأريد أن تكتب لي مليونيّ برميل نفط من أجل سداد ديوني، موقّعة من اسم الأمير فلان بن فلان بن فلان، ثم من الملك فهد إلى وزارة كذا منحة ملكية ناقلة نفط بمليونين لهذا الرجل!

النفط كان يُباع بأربعين دولارًا وهو سعر ظالم. خفّضه ريغان بمكالمة لفهد إلى ١٥، يعني ٢٥ دولار × ١٠ مليون برميل يوميًا = ٢٥٠ مليون دولار خسارة في اليوم بمكالمة! ناهيك عن ذلك أن الملك يعطي بترول، هذا البترول يخرج تهريبًا ودول الأوبيك لها حصص، تبيع خارج الحصص. البترول الذي يُباع في السوق السوداء خارج الحصص سعره منخفض جدًّا، ممكن سبعة دولار تبيع الدول خارج حصتها تهريب عن الأوبيك، فما بالك هذا الذي يأخذه الأمير ويذهب به إلى أعالي المحيطات يبيعه، يُباع البترول بثلاثة دولار للبرميل! يعني بثمن لترين يُباع ٢٠٠ لتر. وهو ماذا يخسر؟! با ع بثلاثة دولار مليونين برميل = ستة مليون دولار، يكفونه زنا لشهرين. ما عنده مشكلة يبيعه بستة مليون دولار.

هذه معلومات مهمة جدًّا، أقول للناس ما يحصل في أموالهم وهم يأكلون من المزابل!

من قضايا الظلم، هذه نشرتها المعارضة السعودية، أخ باكستاني ابنه يحفظ قرآن، ولد عمره تسع سنوات حافظ سبعة وعشرين جزءًا خُطف ما وجدوه، بعد عدة أيام وجدوه مقتولًا في كراج للسيارات داخل إحدى السيارات، أخذوه على المستشفى في التحليل الجنائي وجدوا أنه متعرّض لعدة عمليات اغتصاب، ثم مخنوق ومقتول قبل وضعه في السيارة، ثم موضوع في السيارة ليظهر الحادث على أنه دخل في السيارة وأُغلق عليه الباب، وما استطاع أن يخرج فاختنق داخل السيارة.

أثبتت كل التحاليل والطب الجنائي الحادثة بتواريخ القضية، أخذ والده الموضوع وذهب من واحد لواحد، حتى هُدّد في الآخر أنه إذا أراد أن يبقى على الإقامة أن يغلق الموضوع، وبقرار أميري من الأمير سلمان يُقفل التحقيق. وما المشكلة أن يُغتصب طفل باكستاني! يُقفل التحقيق بقرار من الأمير سلمان. وقِس على ذلك يوميًا، يوميًا مئات الأحداث، مئات الأعراض.

معروف أن الجنود الذين يسموهم (الدكارنة) في الخليج سعوديين يأتون دون إقامات ويبقون من أجل العمل، وغيرهم باكستانيون وبعضهم أتراك وكذا فيكثرون في مدن الصفيح حول المدينة في مدن الفقراء. وفي السعودية ومعظم الخليج قانون إذا ليس عندك إقامة لا تقف أمام المحكمة، حتى كان عندنا أخت تورطت في واحد تزوجته وطلع مخبرًا، أردنا أن نطلقها ستة سنوات ويقول القاضي لا أستطيع، أخرجوا لها إقامة ثم أحضروها، إذا جاءتني إلى المحكمة أول شيء أعمله معها هو الترحيل! ستة سنوات حتى عملنا لها إقامة حتى طلقناها من الرجل.

هذه المظالم أصبحت مدن الصفيح مكانًا لخطف البنات، وخطف الأطفال الصغار، والاغتصاب، والزنا بالرضا وبغير الرضا لأن أصحاب هذه المحلات ما لهم حقوق...

*[٣٦٨] هل المظالم في سوريا أحسن حالًا؟ هل أُعدِّد لك من مصائب النُّصيرية على أهل السنة؟ النُّصيري يكون شرطيًا في فرقة فيها عملاء وألوية وجنرالات فيحكمها كلها، ويأخذ من يشاء ويدع من يشاء. ضابط الشرطة العادي البسيط جدًا من الحزب يتسلط على الناس ويظلمهم، شيء مؤلم جدًا، هذه أمور عشناها نحن؛ تقف من صلاة الفجر للساعة الثانية ظهرًا حتى تأخذ الخبز!، وكلما يأتي دورك في الطابور تأتي سيارة من فروع الحزب لا أدري من أين وينزل هذا رجل الحزب ويأخذ كل الخبز، فتنتظر أنت ومن معك ساعة أخرى!

هذه قضايا القهر، على رجال الحزب والشَّبيبة، والذي يجعلك تصطف من الساعة ٨- ١٢ حتى تأخذ خبزًا أو غازًا أو أكلًا!؛ لأن هناك في أولويات، النَّاس مرفوعة فوق بعضها وليس هناك تسوية، هناك ظلم. وهكذا الحال في الأردن، وفي فلسطين، وغيرها..

فقبل الدين هناك قضايا الظُّلم والقهر تُحرّك الناس، ينبغي للإنسان الذي يريد أن يحرّك منطقة معيَّنة لتحمل السلاح أن يُخرج كل هذه الأقاصيص الحقيقية وتكون له مادة، وليست كل النشرات: "قال الحاوي وقال الصَّاوي وصححه .."،. هذا الخطاب يُفيد النُّخبة، اجعله ربع المنشورات، نصفها، ثلثها، أما إذا خاطبت العامّي بهذا فلن يهمه ولن يفهمه، الذي يهمه أنه ذهب لشراء الخبز فجاء واحدٌ فأخذ الخبز ظلمًا وقهرًا.

فأنت تستفزه بقضية أو قضيتين أو ثلاثة من القضايا التي تهمه فيحمل السلاح. هذا في قضايا الظلم والقهر.

---

[٣٦٨] بداية تفريغ الملف الثاني والثلاثين.

قضايا **الفقر وسوء توزيع الثَّروة**، على مستوى الأمة كما قلت أنك تحرّض أهل اليمن أن يقوموا يأخذوا بثروتهم من أهل الخليج، هذا المفتاح الأساسي لتحريك الجزيرة، أهل اليمن هم سواد أهل الجزيرة، أهل اليمن ٧٧% من سكان الجزيرة و٢٣% في سبع دول. عددهم ٢٥ مليونًا، البقية عددهم ٩ مليون.

فلما قال الرسول ﷺ: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)[٣٦٩]. هل الخطاب لخمسة وعشرين مليونًا أم لتسعة ملايين؟ هل الخطاب لأهل مكة فقط؟ الخطاب هو للمسلمين عامة ولأهل الجزيرة خاصة؛ المذكورون في الحديث "من جزيرة العرب". هذا على الصَّعيد الدِّينيّ.

على الصَّعيد المالي مليار دولار= ألف مليون، يخرج من الجزيرة نصفه من السعودية ونصفه من باقي الدول. وقلت لكم النِّسبة والتَّناسب، ثم لا يأخذها في الآخر الثلاثة والعشرين في المائة، ليت أهل السعودية وقطر وعُمان يأخذونها، بل يأخذها من كل بلد ١٠٠ و٢٠٠ شخصًا من السعودية وأمراء آل سعود الذين عددهم ثلاثة آلاف. وحتى فيما بينهم على تفاوت؛ صاحب السُّمو الملكي لا يأخذ مثل صاحب السُّمو، وهناك أمير بلا سمو، أمير فقط. فهناك أمراء عندهم مرتَّبات شهرية فقط، حتى فيما بينهم هم على تطاحن.

مع ذلك من كل أمة محمد التي هي مليار مسلم لا يأخذ أحد شيئًا إلا سبعة آلاف شخص يأخذون معظم هذا المال ويعطونه لليهود. فهذه مسألة في صميم التوحيد.

هذا على صعيد الأمة وأين تذهب ثرواتها.

الآن على صعيد البلد الواحد أنك تأتي لأهل السعودية، فتُقنع أهل السعودية أنهم لا يحصلون من الجمل إلا على أذنه، والأوراق والوثائق موجودة، الأمير فلان يطلب من فهد أراضٍ صالحة للسكن قرب المدينة، فيُعطيه المنطقة.

الآن في السعودية المجمَّعات السَّكنية كلها أصحابها هم الأمراء، أخذوا أراضٍ وأخذوا ناقلات النفط، باعوها وجاءوا بمال واشتروا الإسمنت والحديد والمواد وأقاموا مجمعات سكنية، تاجروا فيها. صار وليد بن طلال الآن أمير ديزني، والوليد بن طلال هو وراء هذه المصيبة التي سمعتموها في الأخبار البارحة، هو أحد الناس المنظّمين لهذا المعرض التجاري الضخم!

---

[٣٦٩] صحيح البخاري (٣٠٣٥)، صحيح مسلم (١٦٣٧).

الوليد بن طلال أخذ أموال السعودية، من شريك الوليد بن طلال؟ الشريك الأساسي في أكبر عملياته التجارية مايكل جاكسون!، مايكل جاكسون والوليد بن طلال عندهم سلسلة فنادق للدَّعارة والتَّرفيه السّياحي على مدى سواحل الأرض من ميامي إلى كاليفورنيا إلى دمشق، عدة سلاسل فنادق للترفيه. فتُسوّق باسم هذا وبأموال ذاك. (..).

فهذه معلومات تهم معظم الأمة أكثر من قضايا التوحيد التي تهمنا نحن كنخبة. أن أموال المسلمين تذهب هكذا. هذه القضايا يجب أن تصل للعوام. فهذه قضايا الفقر وسوء توزيع الثروة.

تأتي لقضايا **الأعراض**؛ قضايا استفزازية يجب أن نتكلم فيها. شخص يُرسل ابنته إلى المدرسة دون حجاب، ولكن إذا كتبت له في المنشور أن ابنتك ذهبت دون حجاب وفيه أساتذة وشباب وممكن يحدث كذا أو كذا، فيرتفع الضَّغط في رأسه وتضربه النَّخوة، فينتبه لهذه القضية. فيجب أن تُحدِّث الناس في قضايا الأعراض.

وأيضًا قضايا **الكرامة والإذلال**، وقضايا ضرب **العادات والتقاليد**، وهكذا، ثم تردّ كل ذلك إلى غياب الدين. هل سنعجز عن إحضار أدلّة شرعية أنَّ البترول يجب أن يُوزَّع على المسلمين؟ هل سنعجز أن نأتي بأدلّة شرعية أنّ المحافظة على الأعراض من الدِّين؟

قرأت لكم فقه عمر في توزيع سواد العراق وتوزيع أموال المسلمين العامة، فيه قضايا شرعية كبيرة جدًّا. أنا تكلّمت مع الإخوة في لندن، ويا جماعة ينبغي أن نغيّر الخطاب في النَّشرات، قالوا: "أبو مصعب قرأ أكثر من اللازم في كتب اليساريين والعلمانيين فخرج علينا بفقه ثوري إسلامي علماني"!، هذا كلام علماني، لماذا علماني؟ لأن الشُّيوعيين يتحدثون عن حقوق العمال!.

حقوق العمال قضيَّة شرعيَّة من أعظم ما يكون، من قال أنه يجوز لربّ العمل أن يشغّل العامل ١٧ ساعة في اليوم؟ ألا تستطيع أن تقول له قال ﷺ: (فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا)[٣٧٠] هذا العامل متى يعبد الله؟ ومتى يرى أولاده؟ هذه استخرجناها من الحديث أم لا؟

خلاصة القضية أن نطالب بتخصيص ساعات العمل إلى سبع ساعات حتى يستطيع الرجل أن يصلي، ويعلم أولاده، ويرى أهله، هل هذا الكلام شرعي أم لا؟!

[٣٧٠] صحيح البخاري (١٩٧٥).

تستنكر وتقول: "أبو مصعب ينادي بحقوق العمال وهذا كلام علماني!"؛ طبعًا حقوق العمال هذه من حقوق الدين وحقوق رب العالمين عند البشر.

حقوق المرأة، هل حقوق المرأة كلام علماني؟! لو كانت حقوق المرأة كلامًا علمانيًا ما كان آخر هموم الرسول ﷺ على فراش الموت: (استوصوا بالنساء خيرًا)[٣٧١]، الرسول ﷺ على فراش الموت يذكر عدة مسائل هي أهمُّ ما في الدين: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)[٣٧٢]، (الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم)[٣٧٣]، (إن أهم أمركم عندي الصلاة)[٣٧٤]، (أوصيكم خيرًا بالنساء وما ملكت أيمانكم)[٣٧٥].

لماذا يوصي بالنساء وما ملكت أيمانكم؟ لأنهم عناصر ضعفاء في المجتمع يُؤكل حقهم بسهولة. هل تعرف كيف تُعامل هذه المظلومة في البيت؟ لا يُسأل الرجل فيم ضرب امرأته!،والعبد يُؤخذ حقه، والعامل يؤكل حقه، وحقوق النساء والأمراض الاجتماعية الموجودة في البيت، هذه قضايا شرعية.

فيقول لك: "تترك الجهاد والتوحيد وتنادي بحقوق المرأة؟"، طبعًا حقوق المرأة في الدين، حقوق الأولاد في الدين، حقوق العمال في الدين، حقوق المظالم في الدين، والبترول في الدين، وكله مردّه إلى التوحيد. أنتم الذين مسختم مفهوم التَّوحيد وقصرتموه على بعض المسائل والأحكام وكتبتم عليه: "سلفيَّة وحدَّثه وصحَّحه"!

فهذا ليس الدين، أنتم الذين جعلتموه هكذا.

الدين شامل، ويمكن أن أستخرج لك من السيرة كم فيها من تفاصيل وشواهد في كل هذه القضايا، أدلّة في السيرة، أدلّة في قصص الصحابة، أدلّة في التاريخ الإسلامي، وفي أقوال العلماء.

أطلتُ قليلًا في هذه الفقرة لأنها المدخل الذي سندخل به إلى {وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِيْنَ}. وإلا ماذا تظن معنى {وَحَرِّضِ الْمُؤمِنِيْنَ}؟ أن آتي إلى المؤمنين وأقول لهم التوحيد والعقائد والأسماء والصفات، أيها المسلمون أحاديث الآحاد وأهمية أحاديث الآحاد، احملوا السلاح على حديث الآحاد؟ كيف سيحملون السِّلاح على قضية أحاديث الآحاد؟!

---

[٣٧١] صحيح البخاري (٥١٨٦)، صحيح مسلم (١٤٦٨).
[٣٧٢] صحيح البخاري (٣٠٥٣)، صحيح مسلم (١٦٣٧).
[٣٧٣] مسند الإمام أحمد (٢٦٧٢٧)، قال الأرنؤوط صحيح لغيره.
[٣٧٤] لم أجده ولعلّ الشيخ نقله بالمعنى.
[٣٧٥] لم أجده ولعلّ الشيخ نقله بالمعنى.

وقضية أحاديث الآحاد من صميم العقائد، لكن بعد أن أجمع الناس ويدخلوا معي، أعمل مجلس خير مثلكم هكذا أُفهمهم أهمية أحاديث الآحاد ودخول المبتدعة إلى هذا الدين حتى يضربوه من أساسه في قضية أحاديث الآحاد. لكن لا أخرج على الناس بقضية أحاديث الآحاد، وتجد جماعات جهادية تضع في منهجها المقدَّم للناس قضية أحاديث الآحاد!

وقِس على ذلك من الأمور المعقَّدة، معقدة فقهيًا ومعقَّدة فلسفيًا، لا يفهمها العوام. ففي النهاية فعلًا "أتحبُّون أن يُكذّب الله ورسوله؟"، فعلًا كُذِّب الله ورسوله في بلادنا ثم كُذِّبت جماعات الجهاد، ثم كُذّبنا نحن، ثم بقينا عشرين شخصًا من كل مدينة وانتهى الموضوع، وقذفونا إلى أفغانستان وضربونا بالكروز، لأن الأمة خارج المعركة.

فهذا من أساسيات فلسفة الدعوة. وهناك تفاصيل كثيرة أُعرض عنها أتركها للمخطوط في الكتاب -إن شاء الله- نفصّل فيها. هذه الملامح الأساسية لفلسفة الطرح الجديد لقضية {وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِيْنَ}. فممكن نرتاح قليلًا، جزاكم الله خيرًا.

***

الباب الثاني: النظرية العسكريّة

مراحل تطوّر نظريّات المقاومة الإسلامية العالمية:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نتابع؛ نحن شرحنا أُسس النَّظرية أو فلسفة الصِّراع التي هي الجانب الأيديولوجي من الطُّروحات التي نعرضها للعمل، الآن ننتقل إلى رقم اثنين وهي **النظرية العسكرية**؛ النظرية العسكرية يعني كيف نواجه عسكريًا على الأرض؟ ما هي الطُّروحات والأفكار التي عندنا للمواجهة في المرحلة المقبلة؟

الذي أقوله كمقدّمة أن هذه النظرية العسكرية للمقاومة الإسلامية العالمية كتبت الجزء الأساسي منها والفحوى لها في آخر سنة ١٩٩٠، بعدما دخل الحلفاء في حرب الخليج نظرت في الوضع الموجود عندنا فوقع في نفسي أن هذه الهياكل والتنظيمات والجماعات لن تستطيع أن تُقابل الحملة الثالثة، وأنَّ هناك طريقة لمواجهة الحملة الصليبية الثالثة غير طرق التنظيمات.

فكان هناك أمران مشكلان: الأمر الأول أن التنظيمات ما كانت قد أكلت ضربة تجعلها تقتنع وتترك طريقتها، فلو عرضت عليها طريقة أخرى ستعتبرها نوعًا من التَّخريف والإرجاف وصرف الناس عمَّا هم فيه.

الأمر الآخر من الناحية الأمنية لا تستطيع أن تقول الذي تقوله الآن، فعملت وهذه أول مرة أعترف بصورة مسجّلة أن المنشور للفقير لله تعالى، عملته في ذلك الوقت، واسمه (بيان من أجل قيام المقاومة الإسلامية العالمية).

بيان هكذا يقع في ٣٩ صفحة فيما أذكر، وضعت صورة الكعبة أساسًا وبيت المقدس بجانبها ومسجد الرسول ﷺ، الصور الثلاثة معبّرة عمَّا نحن فيه ولماذا ندعو للمقاومة الإسلامية العالمية، ووضعتُ أسوار سجن عليها، ووضعنا على واحدة نجمة اليهود وعلى واحدة صليب وهكذا، ووضعت تحتها الآية {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ}[٣٧٦]، هذا المنشور أنا كتبته في سنة ١٩٩٠ ونشرته.

وكنت قد بحثته مع اثنين مِن خيرة مَن كان من مراجع فقهية في الساحة هنا لأنَّ فيه بعض الأحكام الشرعية التي سُقتها فيه، تفتح الصفحة هناك فتوى للشيخ أحمد شاكر –رحمه الله– من كتاب اسمه (كلمة الحق)، خلاصة هذه

---

[٣٧٦] سورة النساء، الآية: ٨٤.

الفتوى أنَّ البريطانيين بعدما احتلُّوا مصر والهند وفعلوا كل ما فعلوا، أصبحت دماؤهم وأموالهم نساءً ورجالًا مدنيين وعسكريين في هذه البلاد حلالًا للمسلمين محلًّا الجهاد. هذه خلاصة كلام أحمد شاكر.

وقال سمعنا أن بعض بلاد المسلمين احتلّها الفرنسيون وفعلوا فيها نفس الشيء فأقول إن ما أقوله في الإنجليز أيضًا في الفرنسيين نفس الشيء. هذه الفتوى هي التي قدمنا فيها للكتاب.

وخلاصة ما كان في منشور (بيان المقاومة) الذي كتبناه سنة ١٩٩٠م التالي:

أول شيء مقدمّة عن أوضاع المسلمين، والحملة، وأسباب الحملة. مثل الكلام الذي قلناه الآن بالمختصر، وقلنا أنَّ الجماعات الموجودة والتنظيمات وكذا لن تستطيع أن تصدّ هذا الصائل الذي أصبح دولة فالآن يجب أن نُطلق مقاومة إسلامية عالمية، وخلاصة فكرتها أن أيَّ مسلم بأي مكان عليه أن يجاهد، فهؤلاء الناس دماؤهم وأموالهم حلال له، وإذا ما جاهدنا بهذه الصورة لن تستطيع تنظيمات محدودة أن تقوم بدفع الصائل. فكانت هناك دعوة إلى كل مسلم أن يبذل جهده وما يستطيع في هذا الإطار، بدءًا من الكتابة على الجدران وانتهاءً بالقتل والنَّسف والخراب والتحريق.

ثم قلنا في البيان كيف نجمع جهود المسلمين حتى لا تكون متفرّقة؟ لو عملنا لهم تنظيمًا وعملنا لهم مرجعًا وأميرًا سيبقى تنظيمًا محدودًا، ومن النَّاحية الأخرى إذا أُمسك واحد فالمخابرات ستُمسك الباقي.

فكان في نفسي أن نُوجد طريقة لو عرفها العدو أو كشفها العدو فلا يستطيع أن يأتي عليها كلها، فقلنا هي فتوى الإرهاب الفردي، أنه لا ننشئ تنظيمًا، بل كل واحد لوحده مع مجموعة من ثلاثة أو أربعة يلزمون للعملية يقومون بالعمل. فإذا قاموا بالعمل يتَّصلون بأي وكالة أنباء ويقولون نحن من المقاومة الإسلامية العالمية. هكذا كانت الفكرة في سنة ٩٠ ولكن دون أن نقترح أن يتَّصل بأحد.

فإذا وصلنا إلى حالة أنَّ هنا عملية وهنا عملية وهناك عملية، والناس تقول نحن مقاومة إسلامية عالمية، فإذا بحثت الاستخبارات وأمسكت مجموعة في فرنسا، في أوروبا، في الفلبّين، في تركيا، في السعودية، فليس هناك رابطة بينهم، فتصبح القضية تيار مقاومة يعني ظاهرة مقاومة وليس تنظيمًا مركزيًا.

وضربت لهم أمثلة، سيد نصير قتل شخصًا لوحده، وضعه في رأسه وما نسَّق مع تنظيم، وحتى بعض الجماعات زعمت أنه منها ولكن ما قال أحد أنه رتّب هذه العملية مع جماعتي. فسيد نصير عمل هكذا، رمزي يوسف عمل هكذا، فيه

أيام حرب الخليج رجل مسن في طنجة عمره ستون سنة قتل عشرة فرنسيين من أجل حرب الخليج، فأمسكوه وأعدموه. وُجد إيطالي مقتولًا في دبي ولم يعرفوا من قتله هل هو من أهل البلد، أم من الأجانب، أم من الوافدين، أم من العمال.

المهم حصلت بوادر مقاومة ذكرتها لهم، وقلت لهم إن المرحلة المُقبلة ليست مرحلة تنظيمات وإنما مرحلة مبادرات شخصية. ولكن حتى لا تضيع هذه الجهود أسميها كلها تحت اسم واحد، واقترحت هذا الاسم، هو (عملية المقاومة).

وحتى نشجّع هذه المقاومة فالأمة الآن ميتة، قلت للتنظيمات المسلَّحة الموجودة جماعة كذا جماعة كذا تعالوا نبدأ الآن بعمل بعض العمليات تحت هذا المسمى حتى ندوِّر العجلة. يعني جماعة الجهاد، جماعة الطَّليعة، الجماعة المقاتلة، جماعة كذا اعملوا عمليتين أو ثلاثة في حينها تحت هذا المسمى، بحيث ندوّر العجلة فإذا دارت العجلة يتشجَّع المسلمون فتصبح ظاهرة المقاومة وينزل الجهاد إلى الأمة ولا يعود حكرًا على التنظيمات.

وقلت هذا الكلام يلزمه فتاوى، ما الدماء التي تَحِلّ والتي لا تحل، ما الأموال التي تحل والتي لا تحل، سجَّلتها في البيان حتى يعرف الناس المسالك، وراجعت فيها بعض العلماء هنا وأجازوها، وأنزلنا المنشور في عملية أمنية معقدة، أخرجناه خارج باكستان، وأعدنا إرساله من أوروبا إلى صناديق بريد مراقبة حتى يثبت للاستخبارات أنه جاء من الخارج، ثلاثة أشخاص فقط كانوا يعرفون بالعملية، ثم أخذناه في ليلة من الليالي ووزَّعناه على كل المضافات والبيوت وطبعنا أكثر من ألفين نسخة ووزَّعناها في بيشاور. ومرّ الموضوع ولا أحد عرف من جاء به.

بعد أربعة أيام سمعنا تعليقًا على البيان في إذاعة (صوت أمريكا) أن هناك فكرًا إرهابيًا متطرّفًا جدًّا يظهر الآن من تبعات حرب الخليج، وأعطوا الموضوع أهمية كبيرة جدًّا وعملوا عليه تعليقًا في إذاعة صوت أمريكا بالإنجليزية. أما المسلمون فقرأوه ورموه وراءهم!

ومضت القضية ووزَّعنا منه نشرات في المراكز الإسلامية، في أوروبا، في أمريكا، في أستراليا، أوصلناه لكل الناس. ولكن ها نحن الآن في ١٩٩٩ أجد نفسي مضطرًا إلى أن أُعيد الدعوة مرة أخرى.

طبعًا من ١٩٩٠م إلى١٩٩٩م تطوّرت الفكرة كثيرًا حتى أصبحت لها نظرية عسكرية ونظرية تنظيمية، وهذا كله من تبعات السنوات الأخيرة، لأننا خضنا تجارب وصار عندنا ما نطوّر فيه النظرية.

الأمر الآخر الذي استفدته في هذه المدة **أنَّ أحد أسباب موت الفكرة أنه لا يكون لها داعية معلوم،** لم يتبنَّاها أحد، لم تتبنَّاها مجموعة، لم يتبنَّاها تنظيم، لم يتبنَّاها عبد الله عزام يخرج لأفغانستان ويحرّض الناس، فالناس ترى أمامها دعوة متمثّلة بمجموعة تتحرّك.

وجدت أن الزمان الآن ليس زمان المنشورات السرية، أن تُخرج بيانًا فيه أعظم كلام، ولكن ليس عليه اسم شخص معروف أو عليه اسم مستعار الناس تقرأه وتضعه في الثقافة العامة. **فأنت إذا أردت أن تدعو دعوة، يجب أن تُسجن فيها، تُقتل، تُلاحق، تقاتل، تطارد، تصعد للجبال، تقدّم شيئًا، فالناس ترى صورة تتحرّك لهذه الدعوة، فالذي تُعجبه الدعوة يلحق بشيء ملموس.**

ففي ذلك الوقت ما كانت حالة الأمة قد نضجت إلى درجة أن ينظّم المرء نفسه ويُظهر دعوته. هذا أمر.

الأمر الآخر الذي لاحظته وهو من الثَّغرات على الفكرة الماضية، أننا إذا قلنا: قولوا أنكم مقاومة ولعل أحدًا يضرب عملية، فمن الذي سيُعدّ الفتاوى وبرامج الدَّعوة والتَّحريض ويُصدر بيانًا يتبنّى هذه العملية ويشجّع عليها؟ إذا ما كان هناك مركز للتحريض والمتابعة فالفكرة ستموت. ولا يستفيد أحد من عمل أحد، ويُحبَطون بهذه الطريقة.

الأمر الآخر أنه من الممكن أن تُرتكب أعمال شنيعة تحت هذا الاسم، ممكن واحد يضرب أحد العلماء ويقول نحن من المقاومة، فيؤذي كل الذي يريد أن يعمل تحت هذا المسمى، فوجدت أن القضية تحتاج حدًا أدنى من الضوابط.

فأخذت الفكرة تتطوّر شيئًا فشيئًا، ودخلنا بعد الـ٩٠ بتجربة الجزائر بطولها من ٩٤ إلى ٩٧، ثم دخلنا الآن أفغانستان الشوط الثاني من ٩٧ إلى ٩٩ فأصبحت النظرية نتيجة نقاشها مع كثير من الناس بهذه الصورة المفصَّلة التي أطرحها عليكم الآن.

ولكن أحببت أن أقول لكم إن هذه القضية لها جذور بهذا المنشور الذي طرحناه في تلك الفترة، وكنت مقتنعًا في هذا المنشور أنه ينبغي أن نجمع الناس على قضية يجتمع عليها أهل الإسلام. فلو قلت عندي مشكلة في ليبيا ستهم أهل ليبيا ومن حولهم ممن يناصرهم، لو قلت عندي مشكلة مع حسين ستهم بعض الفلسطينيين وبعض الأردنيين وربما بعض الشوام والعراقيين ولكنها لم تهم كل الشعب نفسه، فكيف ستهتم الأمة بأكملها وتقف ضد الطاغوت أو ضد غيره؟!

فوجدت أنه علينا أن نختار ثلاث أو أربع قضايا نجمع عليها أهل الإسلام بسهولة، وهذا من باب مفتاح الصراع. قضية تجمع عليها أهل الإسلام وإلا لن تجمع عشرين واحدًا على الأمور التي تدعو إليها الآن، فوجدتُ في ذلك الوقت أن القضية التي يمكن أن نجمع عليها أهل الإسلام هي تحرير المقدسات، بفضل الله -سبحانه وتعالى- كنت الفقير إليه تعالى ومعي اثنان أو ثلاثة من أول من تنبّه إلى هذه القضية وطرحنا أن نجمع أهل الإسلام على تحرير المقدّسات، وهذا من سنة ١٩٩٠م.

المقدَّسات الثلاثة؛ مكة، المدينة، القدس. ونقول للناس إن حُرَم المسلمين ورمز الإسلام محتلّة فيجب أن نقاوم. هذه الفكرة طرحناها من سنة ١٩٩٠م، يعني ليست جديدة، الآن هناك كثير من الناس يقولون نحن يجب أن نجمع الناس على المقدَّسات، فهو مفتاح صراع فرض نفسه من سنة ١٩٩٠ من يوم أن نزلت القوات والحلفاء في الجزيرة. في ذلك الوقت لما دعونا الناس إلى القتال لتحرير المقدّسات كانت الساحة العربية في أفغانستان وكل من فيها من الجماعات إما منصرف لقضية قطريَّة، ليجاهد في مصر، أو ليجاهد في ليبيا، أو في الجزائر، أو في سوريا.

فلما طرحنا هذه الفكرة المتطوّرة كان الشباب هنا على ثلاث مدارس:

- قسم يقول نحن في أفغانستان، وأفغانستان هي قضية الإسلام والمسلمين ومنهم جماعة الكتيبة، جماعة أبو روضة، يقولون القضية هي أفغانستان وإقامة دولة في أفغانستان، وآخذوا فكر الشيخ عبد الله أن قتالنا الآن في أفغانستان فقط.
- المجموعات الثانية يقولون: نُقيم دولة إسلامية في أفغانستان ومنها نذهب للقدس أو غير القدس، ولكن همنا أن نقيم دولة إسلامية في أفغانستان. ودخلوا أفغانستان وقاتلوا مع حكمتيار وقاتلوا مع غيره كله تحت هذه النّية السليمة نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يتقبّل منهم ما أحسنوا ويتجاوز عما أساؤوا، الغرض منه كان إقامة دولة الإسلام في أفغانستان وكانت نية حسنة جدًّا وأبلوا بلاءً حسنًا.
- المجموعات الثالثة: وهم سواد التنظيمات كان تفكيرهم في جهاد قطري؛ مصر، ليبيا، الجزائر، كله، ويتّخذون من أفغانستان محطَّة تدريب فقط، تدرّب في الشيشان، تدرّب في اليمن ...[٣٧٧]

أمّا من لم تكن عنده قضية قطرية يجاهد فيها، هؤلاء بقايا جماعة الشيخ عبد الله، وبقايا التنظيمات الموجودة، وبقايا القاعدة، هي تنظيمات أو تجمُّعات مسلَّحة وُجدت من أجل أفغانستان. قضية أفغانستان اتَّجهت نحو الأزمة، فماذا

[٣٧٧] **انقطاع في الصوت.**

يفعل؟ ليس عنده جهاد قطري ولا عنده أنّ قضية أفغانستان أساسية؟ فهؤلاء الناس رحلوا. هؤلاء جماعة الرحالة، منهم من رحل إلى باكستان، ومنهم إلى سودان، ومنهم إلى يمن، هذه الصورة رئيسية.

والناس التي ذهبت لباكستان والسودان واليمن معظمهم التفتوا إلى تبعات الهجرة، يعني قضايا المصير؛ العيش، التجارة، الزراعة، مشاريع إلى آخره، فتحوّلت إلى مشاريع عامة أو خاصة ولكن شخصية. يعني كل واحد يدبّر حاله ولم يكن هناك مشروع، فكانت حقيقة مصيبة أن ينصرف هذا الجمع بالآلاف دون مشاريع منظمة. والذين ذهبوا لمشاريعهم كانوا مجموعات من عشرة وعشرين!.

فالجسد الأساسي للأفغان العرب كانوا هؤلاء الناس الذين جاؤوا لأفغانستان وجاهدوا وليس عندهم قضية محدَّدة، كان يجب أن يخرج منهم تنظيم جهادي يتبنّى قضية المسلمين الأساسية، وهؤلاء الذين وجَّهنا لهم الخطاب. ولكن كان الكل يتطلع نحو الرحيل خاصة باتجاه السودان. يا عمي ماذا تريدون أن تعملوا في السودان؟! ماذا تريدون أن تعملوا في اليمن؟! ماذا تريدون أن تعملوا في اللجوء السياسي؟ فقط الكل يريد أن يرحل..!

تحت الضغوط الأمنية، ولعدم وجود قيادة روحية، بعدما قُتل الشيخ عبد الله عزام لعدم وجود أحد يجمع الناس، والناس مثلي ومثل غيري يدعون لأفكار غير مقبولة وهم أصلًا مجموعة مجاهيل، فمن يستطيع أن يؤلّف الناس على فكرة أساسية؟ فرحل الناس من أجل يدخلوا في مشاريع إما اقتصادية أو غيره أو كذا أو يلتقطوا أنفساهم في سبيل مرحلة أخرى.

ونامت تحرير قضية المقدّسات والتصدّي للصائل، مع أنها كانت مفتاح صراع في وقته، وكانت سنة ١٩٩٠ وقت نزول الحلفاء، والقضية ساخنة ويمكن أن نجمع الناس، ولكن صُرفت المئات بالاتجاهات الخطأ.

نامت القضية إلى أن جاءت الدفعة الجديدة للأفغان العرب في سنة ١٩٩٦ وبدأت الناس تتلمّس أهمية قضية المقدّسات وإمكانية حشد الناس عليها فبدأت تُطرح. وهذه قضيّة المقدّسات طرحناها من سنة ٩٠، وقلنا لهم يمكن جمع المسلمين وتأليفهم على قضية القدس والجزيرة، الحرمين والقدس، يهود زائد صليبيين، وصليبيين زائد يهود. وهذا المنشور موجود بتاريخه في وقتها، ولكن ما التفت أحد إلى هذه القضية.

نامت الفكرة ثم خرجت، لما خرجت الآن من جديد تجد الناس فيها مدارس، ناس تريد أن تخصّص القتال مع اليهود، وناس تريد أن القتال تخصص مع الصليبيين، وناس مصرّة إلى الآن أن تخصّص القتال مع المرتدين وتترك هذه المسألة.

فقلت لا بد من إعادة طرح النظرية بسياقها الكامل، نظرية ساق الله –سبحانه وتعالى– ولادتها على أيدينا ونحن نطورها تطورًا طبيعيًا كفكرة.

فلذلك نعود لطرح الفكرة الآن بالكلام الذي قلناه، وهي قضية القتال مع اليهود + الصليبيين + المرتدين. لجمع المسلمين على قتال هؤلاء ومصالحهم في كل مكان ولكن تحت قضية أساسية وهي قضية المقدّسات، ومن عظمة الله –سبحانه وتعالى– وبلائه لنا أنّ قضية المقدّسات هي نفسها خط ثروات المسلمين؛ خط الجزيرة الشام، هو خط البترول، وهو خط المقدّسات، الدين والدنيا مجتمع هناك.

ثم المسلمون في هذه المنطقة ضعاف مُشرذمون، في الشام والجزيرة، فاقتضى أنه يكون لهم منطلق يلتقطوا أنفساهم حتى ينطلقوا، فجاءت أفغانستان، فتتابعت الأمور بهذه الصورة.

هذه مقدمة تاريخية فقط حتى تعرفوا كيف تسلسلت هذه الأفكار وصولًا إلى هنا.

أنا تكلّمت أن النظرية تُصاغ في سبعة محاور أساسية: نظرية فلسفة المواجهة والبُعد الإيديولوجي، النظرية العسكرية، نظرية التربية، نظرية التمويل إلى آخره. فشرحنا النظرية الإيديولوجيَّة أو الفكريَّة المنهجيَّة، والآن نحن بصدد شرح النظرية العسكرية.

طبعًا النظرية العسكرية تطوّرت كثيرًا خلال عشرة سنوات من ١٩٩٠–١٩٩٩م من الطرح البسيط الذي كان في المنشور، ولكن لبّ الطرح هو ذاته، **وهو تكليف المسلمين بالدفاع عن المقدّسات وليس تكليف التنظيمات.**

والنظرية العسكرية كما هو دأب البحث كله: تلمّس ما كان، اكتشاف الخطأ، وضع الصواب، وضع نظرية جديدة بناءً على الصواب.

استعراض أساليب المواجهة (من ١٩٦٤ إلى ١٩٩٩م):

أقول من الناحية العسكرية وعلى مدى ثلاثين أو أربعين سنة من القتال، نحن قلنا إن القتال بدأ سنة ١٩٦٤ إلى ١٩٩٩. السؤال الذي نطرحه حتى نفكّر: كيف قاتلنا على مدى أربعين سنة؟ ما هي الأساليب التي عملنا بها على مدى أربعين سنة؟

نجد أن الأساليب التي عملنا بها لم تخرج عن ثلاثة أنواع من الأعمال:

أول شيء: **تنظيمات قطرية هرمية سرية**. وهذه استهلكت أكثر من ثمانين بالمائة من جهد الجهاديين. تنظيم في إطار قطر، في بناء هرمي، في عمل سري. وله فكر، وله قضايا استعرضناها كلها.

من باب التاريخ حتى نذكِّر أنَّ أول مرة حصل هذا في سنة ١٩٦٣ في المغرب حيث قامت (الشبيبة المغربية) وأميرها عبد الكريم مطيع، ونادت بالجهاد المسلَّح ضد ملك المغرب. عاشت فترة واندثرت.

في سنة ١٩٦٥ قام مروان حديد في سوريا بالمحاولة الأولى.

في سنة ١٩٦٥ قام سيد قطب بتنظيم مسلَّح وهي المحاولة الأولى في مصر.

في سنة ١٩٦٩ قام في تركيا الإكنجلار تنظيم مسلَّح.

في سنة ١٩٧٣ قام المصطفى بوعلي في الجزائر بالمحاولة الأولى.

في سنة ١٩٨١ مصر قتل السادات والمحاولة الثانية.

في سنة ١٩٨٠ أو ١٩٧٩ سوريا المحاولة الثانية.

من ١٩٨٤ إلى التسعينيات أحداث أفغانستان الأولى. طبعًا هذه على الهامش لأنها جبهة وليست داخلة في نظام التنظيمات. ولكن التنظيمات الجهادية جاءت إلى هنا، ولذلك سجَّلتها، يعني قامت المحاولة الجهادية في أفغانستان.

في ١٩٨٩ حدثت في ليبيا المحاولة الأولى.

وهكذا وصولًا إلى ١٩٩٠م حيث حدثت في الجزائر المحاولة الثانية.

١٩٩٢م في ليبيا حصلت المحاولة الثانية.

وهكذا تسلّسلت الأمور إلى أن دخلت البوسنة وكذا إلى آخره.

التنظيمات الجهادية عملت كتنظيمات في هذه القضايا. فلاحظ من ١٩٦٣ إلى ١٩٩٩ تجارب تكرّرت كثيرًا، كلها أحسن مسمى لها أنها (تنظيمات قطرية هرمية سرية).

هذه الطريقة الأولى التي عمل فيها معظم الناس، حتى في تركستان في سنة ٧٩ تركستان الشرقية قام فيها تنظيم حزب إسلامي تركستان وواجه حكومة الصين في مقاطعة محدودة في تركستان باسم تنظيم محدود.

وهناك تجارب كثيرة لم أذكرها؛ حصلت في الأردن محاولات، وأي بلد حصلت فيها محاولات ولكن صغيرة وما وصلت أن تكون ثورة أو قضية تُسجّل ولكن حصلت محاولات تنظيمية.

هذا كان الأسلوب رقم واحد تنظيمات.

الأسلوب الثاني: **جبهات مفتوحة؛** جبهات مفتوحة حصل فيها القتال متعدِّد الجنسيات في قضية أممية، يعني على مستوى أمة الإسلام.

وأشهر هذه القضايا ثلاثة في هذا الوقت وهي: أفغانستان، البوسنة، الشيشان. هذه أبرز ثلاثة. وعلى هامشها: بورما، الفلبّين، أريتيريا إلى آخره.

المتميّز في هذه الطريقة أنها جبهة خط، خط مقابل خط، مسلمون مقابل كفار. خط مفتوح مُعلن، جبهة مُعلنة، حرب نظامية، سواء عصابات أو جبهات أو غيره، ولكن نحن هنا علنًا وأنتم هنا علنًا. هذا الأسلوب الثاني.

الأسلوب الثالث: **بعض شباب المسلمين عمل بالإرهاب الفردي،** ممّا نتذكّره من هذا؛ سيد نصير قتل كاهانا، سليمان خاطر قتل يهودًا على حدود مصر، الدقامسة أخيرًا في الأردن قتل يهوديين، لوحده لم يُكلّفه أحد أو تنظيم، هو (ثار دمُّه) وقتلهم. وكما ذكرت لكم شيخ مغربي قتل عشرة فرنسيين لوحده، رمزي يوسف عمل مجموعة كوماندوز وليست تنظيمًا، من أجل عمليات محددة، فضرب في نيويورك.

عبد الهادي غنيم صاحب الحافلة، ساق حافلة ونزل فيها في الوادي، أصاب عشرة أو خمسة عشر وقتل اثنين أو ثلاثة وأُصيب هو. عمليات فدائية فردية.

آخر هذه المحاولات التي سمعت فيها التي سموها عندكم في الأردن (قضية الرابية)، الحقيقة تستحق أن يذكرها الواحد لأنها نموذجية عن الأسلوب الذي ندعو إليه. عملية نموذجية، بل أنا تفاءلت فيها إلى أن نظريتنا تأتي بالوقت المناسب، وأنَّ الناس لوحدها توصّلت إليها.

قضية الرابية كما فهمتها من الإخوة أنهم مجموعة من الشباب عددهم ربما أربعة من الإخوة وجدوا أن البلاء في الأردن هو تحكّم الماسونية الصليبية اليهودية في الأردن، فالله هداهم ولم يكونوا ملتزمين، كانوا جماعة ثوريين تلقّوا الفكر الثوري

في حركات أخرى، الله هداهم والتزموا فأرادوا أن ينصروا دين الله -سبحانه وتعالى-، فوجدوا كل الطرق طويلة وعريضة، وأمنيًا اكتُشفنا واعتُقلنا، فأنشأوا لوحدهم خلية صغيرة، ووضعوا الدواء على الجرح مباشرة، أن بلاء الأردن في حكم الماسونية، فوضعوا قائمة بأسماء الماسون الذين يحكمون الأردن وبدأوا بتصفيتهم، خلال يومين قتلوا اثنا عشر شخصًا من كبار الماسونية!

والذي لا يعرف الماسونية في الأردن لا يفهم أثر هذا الكلام؛ الماسونية في كل العالم سرية، في فرنسا سرية، لا أحد يتجرّأ يقول أنا ماسوني، في أوروبا الماسونية سرية، الماسونية تنظيم سري بحيث إذا اكتُشف وزير فرنسي ماسوني يستقيل لأنه مرفوض أن يكونوا علنًا، الناس لا تقبل والحكومات لا تقبل، إلا البلد الوحيد الذي رأيت الماسونية فيه علنية هو الأردن!

أنا كنت في الأردن في سنة ١٩٨١م و١٩٨٢، ونصف ١٩٨٣. في جريدة الرأي العام والدستور علنًا يقولون: "أن المحفل الماسوني الذي يرأسه الأمير حسن أو المحفل الماسوني الذي يرأسه فلان يعلن عن حفل للإخوة الأعضاء في فندق القدس أو في فندق ماريوت، فعلى الإخوة الأعضاء تجديد اشتراكاتهم قبل حضور الاجتماع"!! علنًا!

أنا أستغرب، الدولة الوحيدة التي رأيت فيها الماسونية علنية، يسدِّدون اشتراكات وناس مُعترف بهم، وكلهم كبار وعِلية القوم؛ تجار، سياسيون، فنانون، شعراء، أدباء، مخرجون، لاعبو كرة قدم، إلى آخره. الذي يريد أن يصعد إلى النجومية في أي مجال سياسي اجتماعي يصير ماسونيًا!

فالإخوة هؤلاء -رحمة الله عليهم- وضعوا أيدهم على العطب، فهذه دلالة على عبقرية عظيمة جدًّا وهدي من الله -سبحانه وتعالى- حقيقة.

فهذه عملية مبادرة فردية قتلوا اثني عشر واحدًا، بخطأ بسيط أمني في قضية استخدام البنوك والأموال أخذوا بعض الأوراق من هؤلاء المقتولين ليستخدموها فكانت معمَّمة فقُبض على واحد، تتابع الخيط فقُبض على المجموعة. أثناء القبض على المجموعة قُتل أخ، أثناء نقلهم إلى المحكمة حصل اشتباك قُتل واحد آخر، وأُسر واحد، والرابع فرّ، فالمجموعة استُهلكت. شهيدان نسأل الله أن يرحمهما، وأسير، وفارّ. ولكن لاحظوا المردود؛ أربعة من شباب المسلمين مقابل ١٢ ماسونيًا.

لو الأمة فكّرت بهذه الطريقة لا تبقى مصالح أجنبية، ولا تبقى مصالح أمريكية، ولا تبقى مصالح يهودية، ولا تطبيع ولا هذه المصائب!، هذه الطريقة هي التي ندعو إليها، لما سمعت بالقصة تفاءلت أن النظرية تولد في زمانها، وأنَّ الناس لوحدها تفكّر هكذا، وهذه مبادرة.

فهذه المبادرات الفردية كثيرة جدًّا؛ منها ما سمعنا عنه ومنها ما لم نسمع عنه، كان هناك أربعة إخوة في دمشق أنشأوا تنظيمًا وبدأوا يموّلون أنفسهم، فسَطَوا على محلّات الذهب للنصارى، يريدون أن يموّلوا تنظيمهم بهذا الشكل، فقُبض عليهم بالعملية وأُعدموا على أساس أنهم لصوص، والشعب السوري كله يعرف أنهم لصوص، ونحن نعرف أنهم إخوة كانوا يريدون أن يموّلوا تنظيمًا سيقوم.

آخر العمليات الفردية البارحة هذا –رحمة الله عليه– الذي ذهب ليقتل حسني مبارك، ذكروا اسمه في مجلة (المجاهدون)، رجل تاجر، عنده بيتان، ميسور الحال، عنده بنتان، متزوّج، مستقر، حدّث جاره قبل يومين أنه توّاق للشهادة في سبيل الله، ونقلت وكالة الأنبياء الفرنسية تحقيقًا مع جيرانه قال لهم قبل يومين كان يحدثني أنه يريد يستشهد.

حسني مبارك خارج في جولة تجديد البيعة، فأخذ زجاجة حمض الكبريت المركّز بيد، وباليد الأخرى سكينًا وجرى بجوار سيارة الرئيس ورش عليه الحمض وطعنه بيده بالسكين من الأعلى، كان يريد أن يقتله في رقبته. وجاء رئيس الحرس لواء فضربه بجرح بالغ قاطع في يده، ثم أطلقوا عليه النار قُتل. هذا لو قتل حسني مبارك لكان واحدًا من المسلمين بفرعون!

هذه الطريقة نتيجة الضغط الداخلي في بلاد المسلمين أصبحت مطروحة، فبدأت الناس تشتغل فيها.

فلو تستعرض جهاد المسلمين من ١٩٦٠ إلى ١٩٩٠ ستجد أنه لا يخرج عن هذه الطرق الثلاثة. فتعال –حتى نتلمّس الطريقة الصحيحة– نستعرض نتائج كل طريقة، إيش الذي حصل.

مداخلة أحد الإخوة: ... في الأردن عملية انفجار في فندق القدس، كان فيه منصور الكيلاني رئيس المخابرات السابق وأعضاء من كبار الدولة..

الشيخ: فالشاهد في الموضوع أنه يفكّر، حتى تفهموا الأسلوب: فرد، شخص لوحده يريد أن يقتل حسني مبارك، مجموعة رمزي ١٢ يريدون أن ينفذوا عملية كوماندوز، إخوانا في قضية الرابية أربعة، شخص مغربي قتل هنا، الدقامسة لوحده سوّى قضية أصبحت مدار لفت نظر العالم والمسلمين وشحنهم إلى آخره.

مداخلة أحد الإخوة: في البقعة كانوا أربعة في هجوم على المخابرات.

الشيخ: لاحظوا القتال كله حصل إما على يهود أو على صليبيين والماسون منهم أو على مرتدين. فهناك ناس فكّرت أن تقاتل اليهود والصليبيين والمرتدين.

في الجبهات حصل قتال مع النظام الدولي، غالبه صليبيون، والصليبيون عندما يشتبكوا يجدوا دائمًا ستارًا من اليهود، وستارًا من المرتدين.

ثم تأتي إلى التنظيمات القُطرية كانت معظم حركات التنظيمات على المرتدين، وبعض العمليات البسيطة جدًّا من التنظيمات حصلت على الصليبيين أو اليهود. فمُجمل جهود المسلمين كانت على المرتدين واليهود والصليبيين ولكن كان ضمن أحد هذه الأساليب الثلاثة.

محصّلة أسلوب التنظيمات السريّة الهرميّة:

فتعالوا ننظر في نتائج هذا العمل:

في التنظيمات: أربعون سنة من عمل التنظيمات. كانت النتيجة **فشلًا عسكريًا**، أعلاها وأطولها سوريا ١٥ سنة تنظيم متين متمرّس، تنظيم جهاد والجماعة الإسلامية إلى آخره، إلى الآن لم يخرج تنظيم مارس حرب عصابات على حكومة مثل الذي خرج في سوريا.

طبعًا ماذا كان الهدف؟ الهدف كان إسقاط حكومة مرتدَّة، من أجل إقامة خلافة راشدة على أنقاضها، هذا كان مكتوبًا في بيانات الجماعات. فكانت النتيجة فشلًا عسكريًا كاملًا، دون أي استثناء!

ثانيًا: **فشل أمني**؛ أن هذه التنظيمات تفكّكت أمنيًا، سحقها أمن العدو، وعسكريًا سُحقت حتى في القتال. ولكن أمنيًا تفكّكت، استخبارات الخصم فكّكت هذه التنظيمات.

ثالثًا: **فشل دعوي**، وهذا سأضع عليه دائرة حمراء لأنه أهم أنواع الفشل وبالتالي من هنا منطلق الحل. فشل دعوي بمعنى أن أمة الإسلام لم تجتمع على قضية مصر ولا اجتمعت على قضية سوريا ولا اجتمعت على قضية ليبيا ولا

اجتمعت على قضية الجزائر، بل إن أمة القطر لم تجتمع، يعني أهل سوريا لم يقفوا مع التنظيم، وأهل مصر لم يقفوا مع التنظيمات..

ستون مليونًا في مصر بعد دعوة سبعين سنة، منها أربعون سنة قتالًا على يد تنظيمين عريقين، الأخ الآن يركض في الشارع والناس تصرخ: "الإرهابي راح من هنا، الإرهابي جاء من هنا". فيتبرّع سائق تاكسي يدهس الأخ ليسقط، ويتبرّع جزّار أن يأخذ حجرًا يدهس رأسه يقتله، ثم يأخذ الجزار والسائق وسام بطل الجمهورية على التلفزيون المصري! فأين الأمة التي وقفت مع هذه القضية؟!

الناس ليست مع القضية، وأمة الإسلام في حالة غفلة. لو تمسك واحدًا من جزر القمر، وتقول: له فيه ثورة في مصر على حسني مبارك، ممكن يسألك أين مصر؟! وليس أين حسني مبارك، وأين الثورة!. وكذلك لو تسأل واحدًا من بنجلاديش وتقول له: في ليبيا هناك طاغوت ومرتد ألّفنا فيه كتب وكذا وهناك جهاد، فأين هذه القضية بالنسبة لأمة الإسلام؟!

فحصل هناك فشل دعوي كبير في حشد أمة الإسلام وراء قضية التنظيم.

الأمر الرابع: هو فشل مهم جدًّا؛ **فشل تربوي**. نتيجة أن التنظيم يتبنى السِّرية فلا يستطيع القائد أن يربّي المقود، فلم يتأصَّل التنظيم كحركة، كنوعيّة، تجد شباب الطليعة وشباب مروان حديد، الطبقة الأولى قد تربّوا، شباب الجماعة الإسلامية الطبقة الأولى تربّوا، شباب جماعة الجهاد تربّوا، شباب أي جماعة مسلحة الطبقة الأولى تربّوا، لماذا؟ لأنه كان هناك تماسّ بين الطبقة الأولى وشيخ الحركة، فربَّاهم قبل العمل.

لما بدأ العمل وقُتلوا وبدأوا هم ينظّمون الناس ودخلوا في الطريقة السرية فلم يستطع أحد أن يربّي أحد، ويكفي أن تنظر في عيّنات تنتمي للتنظيمات موجودة بيننا أصلًا لا تستحق أن تكون في صحوة حتى تكون في حركة نخبوية!، جاء من الشارع دخل إلى الجهاد، وهذا جميل ولكن أسلوب العمل لم يسمح أن تتم تربيه، فحصل فشل تربوي.

فلما حصل فشل عسكري على فشل أمني على فشل دعوي على فشل تربوي، حصلت النتيجة خامسًا: **فشل سياسي**؛ أنَّ الشعار المرفوع فشلنا في تحقيقه. لا أسقطنا حكومة ولا أقمنا خلافة..!

هذه خلاصة العمل بهذا الأسلوب عبر أربعين سنة من ٦٣ إلى ٩٩، ولم يخرج عن هذه الحالة أي تنظيم..

*[٣٧٨] الآن وصلني سؤال: ممكن أنشره لأن له علاقة في السياق؛ أن عمليات حماس والجهاد الإسلامي هل هي في التنظيمات؟ أم هي في الجبهات؟ أم هي في الإرهاب الفردي؟

حسب معلوماتي -طبعًا ومعلوماتكم جميعًا- أنّ حماس والجهاد الإسلامي هو تنظيم له أمير سري هري، هو داخل في التنظيمات. ولكن كان هدفه تحرير الأرض المغتصبة، وإقامة دولة إسلامية بفلسطين، فهو شبيه بأهداف التنظيمات. فتنظيم حماس وتنظيم الجهاد الإسلامي أقرب الصفات إلى هؤلاء.

ولكن هناك قضية تزوير تاريخي ينبغي أن نميّزها، أن كثيرًا من الأعمال الفردية تبنَّتها هذه التنظيمات على أساس أنها أعمالها!، هو في حقيقته عمل فردي لكن تبنَّاه التنظيم، في كثير من العمليات، بل هناك خلايا متشعِّبة جدًّا لكتائب عز الدين القسام وغيرها هي مجموعات صغيرة، ولكنها محتاجة للمال، محتاجة للإعلام، فتبنَّاها تنظيم.

مثل ذلك (حزب الله الشيعي) في جنوب لبنان، يتبنّى عمليات ضد إسرائيل، ولكن كما قال الإخوة أن٦٠-٧٠ بالمائة من عملياته في الجنوب يقوم بها أهل السنة من لبنان وغير لبنان. هو فقط يشترط أمرين: أعطيك مالًا ونضعها باسم حزب الله. فهي أعمال في الحقيقة تنتمي إلى العمل الفردي، ولكن تبناها تنظيم.

أما من حيث التنظيم فالعمليات الكبرى الأساسية التي حصلت باسم حماس أو الجناح العسكري أو الجهاد الإسلامي هي أعمال تنظيمات تدخل في القائمة الأولى.

وطبعًا يُحكم عليها بما حصل مع الآخرين، فهي عمليات فيها فشل عسكري، لأنها تفتَّتت وإن كان لها جدوى، وأنا لما أقول (فشل) ليس معناه أن ما كان له فائدة، أنا في البداية قبل أن أذكر أخطاء التيار الجهادي قلت كانت له إنجازات، كان هناك إنجازات عسكرية، هناك إنجازات دعوية، هناك إنجازات فكرية، سجّلتها. (..).

التيار الجهادي نحن ذكرنا عيوبه وأخطاءه ولكن كانت له إنجازات أرجع إليها -إن شاء الله- في الكتابة، كانت له إنجازات فكرية وأيديولوجية لأنه أخرج كتبًا، خرج (العمدة في إعداد العدة)، خرج (الكواشف الجلية)، خرج (الجامع في طلب العلم الشريف)، خرج كتاب (التجربة السورية)، خرجت كتب تنتمي إليه، وخرجت نشرات، ومقالات، وكتّاب، هذا ينتمي إلى الإنجازات الفكريَّة للتيار الجهادي.

وهناك إنجازات عسكرية، حصلت عمليات، ولكن نحن نتحدّث أنّ النتيجة المحصلة لكل التنظيمات كانت الفشل.

---

[٣٧٨] **بداية تفريغ الملف الثالث والثلاثين.**

فكانت هناك إنجازات، من هذه الإنجازات العمليات التي قام بها الجهاد الإسلامي وحماس كان لها نجاح عسكري كبير جدًّا، نجاح عسكري بأنها جاءت بمؤتمر شرم الشيخ وجاء كل الرؤساء واجتمعوا. ولكن أنا عندما أقول (فشل كامل) = فشل على مستوى الحرب.

هناك شيء في الاستراتيجية تدرسونه وتقرأونه، هناك شيء اسمه (معركة)، وهناك شيء اسمه (الحرب). الحرب هي مجموعة معارك، ممكن أنت تكسب أكثر المعارك وتخسر الحرب، وممكن تخسر أكثر المعارك وتكسب الحرب. كما حصل بين أمريكا وروسيا؛ أمريكا خسرت أكثر المعارك في الحرب بالوكالة، ولكن كسبت الحرب.

التيار الجهادي كسب أكثر المعارك وخسر الحرب. التيار الجهادي التنظيمي قتلوا السادات، هذا كسب معركة، قتلوا أبو باشا، قتلوا زكي بدر، قتلوا لا أدري من، عملوا عمليات كثيرة جدًّا صغيرة، قتلوا في حقول القصب، قتلوا عمدة، عملوا نجاحات عسكرية كثيرة، ولكن من خسر الحرب؟

خسرتها الجماعات الجهادية في مصر وأوقفتها إما علنًا قالوا نحن وقفنا أو فعليًا أوقفوها. في سوريا عملنا عمليات كثيرة جدًّا، مدرسة المدفعية، وأذكر لك عمليات وأمجادًا عسكرية فردية وجماعية، ولكن نحن خسرنا الحرب.

فأيضًا تنظيم حماس وهذه التنظيمات كسبت معارك ولكن خسرت الحرب، الشعار المرفوع ما تحقّق منه شيء، نتيجة الحرب حتى الآن انتصار ساحق للأمن الإسرائيلي وأمن الدول العربية التي تكافح هذه التنظيمات، وآخرها اعتقالات حماس في الأردن وتفكيك التنظيم.

فالشاهد في الموضوع أنه حصل فشل عسكري، بعد الفشل العسكري حصل فشل أمني أنها تفكّكت. لاحظ أنَّ الجهاد أو حماس بعد مقتل فتحي الشقاقي انفرط التنظيم، عمليًا تحوّل إلى تنظيم إعلام ونشرات، ما كان له عمليات إلا النادر بعد مرحلة فتحي -رحمة الله عليه-.

فالشاهد أنه حصل فشل عسكري، فشل أمني، فشل دعوي، فشل تربوي، فكان الفشل المحصِّل أن الشعار المرفوع سواءً كان إقامة حكم -وهو الأساس- أو تحرير الأرض المغتصبة = ما تحرّر شيء ولا سقطت الحكومة.

محصّلة الجهاد بنظام الجبهات:

نأتي إلى **نظام الجبهات**؛ نظام الجبهات أول ما يُلتمَّس فيه أنه حقَّق **نجاحًا عسكريًا** ساحقًا واضحًا، حتى على قوى عظمى، لما كان الخصم قوة عظمى في أوج قوتها وكان المسلمون مجموعة من المفلسين البدو الرحَّل، بدأوا بأدوات بسيطة بالعصي والطين ثم البارودة الإنجليزية ثم جاء سلاح ثم حصلت الظروف التي حصلت، فهو نجاح عسكري ساحق. يكفي أنه أدّى في أفغانستان إلى إسقاط دولة عظمى.

والإخوة الذين شاركونا في تلك المرحلة وحضروا هذه المرحلة يعرفون أنه حتى على مستوى العمليات البسيطة كان هناك تفوّق عسكري ساحق لمجموعات من المجاهدين الأفغان ومن معهم من المسلمين على كمائن وفِرق وثكنات فيها قوات عسكرية كبيرة جدًّا. ويبدو أن أسلوب المواجهة هذا يُخرج مكامن الشخصية الإسلامية في الجهاد، أنهم في الحرب المفتوحة أبطال. هذا نأتيه في التحليل، وأنا أسجّل الظاهرة فقط.

فحصل نجاح عسكري ساحق في أفغانستان، وحصل نجاح عسكري ساحق في البوسنة من تحت الصفر، وسُحِقَ الصِّرب والنظام الدولي، وأُنشئت للمسلمين مليشيات وأنشئ الجيش البوسني ودخل المجاهدون ووصلوا إلى مرحلة التوازن حتى أجبروهم على أن يعملوا اتفاقية (دايتون)، فالإخوة الذين حضروا البوسنة حققوا نجاحًا عسكريًا ساحقًا.

الأمر الثالث واضح في الشيشان؛ معركة غروزني في اليوم الأول قُتل ثمانية آلاف روسي لما دخلوا غروزني، وكانت القوّات الموجودة في غروزني أعدادًا بسيطة جدًّا. الشعب الشيشاني كلّه برمته تسعمائة ألف أو تسعمائة وعشرين ألفًا كله بالنساء والرجال، فهم انتصروا على قوة عسكريًا تكنولوجيًا متفوّقة جدًّا جدًّا. لماذا؟ لأنَّ أسلوب العمل كان جبهة معلنة، فأول ما يُلاحظ أنه نجاح عسكري ساحق.

الأمر الثاني: **نجاح أمني**، لماذا؟ لأنّ الاستخبارات هنا ليس لها دور، لا زوَّرنا جوازات ولا صعدنا للجبل واختبأنا، ولا فلان بلَّغ عن فلان، القضية علنية والمخبرون جالسون بيننا، وأكاد أجزم أنّه على مدى الشوط الأول من التجربة الأفغانية والشوط الثاني نسبة المخبرين بيننا ما نزلت عن عشرين أو ثلاثين في المائة!، ونسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يأخذهم ويقصمهم ويكشفهم ويفضحهم. وأنا نفسي أمسك واحدًا منهم، لأجل الظروف التي نحن فيها!.

فالمخبرون موجودون ولكن ماذا سيعملون؟ ماذا سيقولون؟ على باب المعسكر عندنا سبع دبابات ونحن تحت القصف والضرب. طيب يرفع تقرير هم يقولون في الدرس هكذا، هذا الشرط أنا سأنشره غدًا أصلًا، فليس هناك دور

للاستخبارات، إلا أن ضرره سيأتي -وهذا مهم جدًا- على الناس الجالسة في الجبهة ولكنها تخطّط لُتقيم عملًا سريًا في الخارج؛ لأنها ترجع بنا إلى الماضي، تريد أن تُخرج من الجبهات تنظيمات، وهذه أحلام!.

من الجبهات لا تخرج تنظيمات، الجبهات كلها مكشوفة، والكل معروف، والمخبرون موجودون، فالذي ينزل لبلده يُمسك ويُعتقل أو يُقتل. فالجبهات لا تُخرج تنظيمات، من الجبهات تخرج جبهات أو أمر آخر نذكره فيما بعد، أو يخرج من الجبهات عمل فردي.

فالشاهد أن الجبهات كان فيها نجاح أمني لأن دور الاستخبارات فيها كان محصورًا.

الأمر الثالث والمهم جدًّا جدًّا وضع عليه دائرة حمراء: **وهو النجاح الدعوي،** كل أمة الإسلام وقفت مع هذه القضايا وليس الشعب الأفغاني فقط، الشعب الأفغاني وقف كله، المسلمون في البوسنة وقفوا كلهم، المسلمون في الشيشان وقفوا كلهم، ولكن فوق ذلك وهو المهم أن أمة الإسلام وقفت مع هذه القضايا، فكان الصراع في هذه القضايا بمعادلته الصحيحة: (أمة ضدّ أمة).

هذه القضايا كانت أمة ضد أمة، شباب الإسلام جاؤوا كلهم، الحركات الإسلامية جاءت كلها، التّبرعات، المشايخ، الصالحون والطالحون، المخبرون، الأمراء، كلّهم جاءوا وقفوا في هذا الباب لسبب أو لآخر، ولكن قضية أفغانستان دخلت كل بيت، لو تمسك واحدًا من جزر القمر تقول له: ليبيا ومصر لا يعرفها، لكن تقول له: أفغانستان، تجده سمع بها ويعرفها.

فقضية المواجهة الأمميَّة كانت واضحة فيها، فكان هناك نجاح دعوي كبير جدًّا في هذه القضايا الجبهويَّة.

القضية الرابعة: كان هناك **نجاح تربوي نسبي** حيث حصل، الشيخ عبد الله -رحمة الله عليه- كان عنده تربية فربَّى الناس، شاهدوه فتأثّروا به وعاشوا معه.

أنا دخلت معه الجبهة ابنه يسوق وابنه الثاني يحرس، ابنه الذي يسوق حذيفة عمره ١٦ سنة، والذي يحرس إبراهيم عمره ١٣ سنة، والأصغر لا أدري ما اسمه سبعة سنين أطول من الكلاشينكوف بقليل!، والشيخ معنا نزلنا في غزوة وذهبنا ورجعنا. فالآن أنا مما تعلّمته منه أنّ أولادي يجب أن يدخلوا معي الجبهة، وهذا من مدرسة الشيخ.

لأني كنت في الإخوان المسلمين في مرحلة التنظيمات، كان المراقب العام للإخوان المسلمين حسن هويدي يضعنا في الجهاز العسكري وطوال اليوم نعمل بالديزل والأسلحة والقضايا، وابنه يدرس في جامعة بغداد كلية الطب!. لماذا؟ لأنه

ابن المراقب العام! وهذه حقيقة أنا أضرب لك مثالًا حصل، فرسب ابن المراقب العام في جامعة بغداد أول سنة، وثاني سنة رسب، وثالث سنة في الدورة الاستثنائية رسب، فأخرجوه جامعة بغداد، هو لا يريد أن يكون طبيبًا، وأبوه حسن هويدي طبيب، فلازم ابنه يكون طبيب، والمعطوف على الطبيب طبيب مثله!.

فأرسله في بعثة إلى جامعة لوس أنجلوس كلية الطب، كيف ذهب إلى لوس أنجلوس؟ قال أتته منحة على حساب أمير الإمارات أو ابن أمير الإمارات زايد أو واحد من أولاده!. منحة أميرية حملت ابن المراقب العام إلى لوس أنجلوس حتى يصير طبيبًا!.

فأسأله كيف أخذتم المال وقبلتم هذه المنّة للحكومة على التنظيم؟ غدًا تتحكم فيه يمينًا وشمالًا؟!، فقام واحد من قيادات الإخوان أعطاني مبررًا لا يخطر على بال!، قال لي: إن الرجل لا يد له في هذه القضية، وصلته المنحة الأميرية، فاجتمع التنظيم وقالوا هل نقبل المنحة أم لا نقبل؟ فنصحوا المراقب العام أن يقبلها، لأنه إذا رفض المنحة الأميرية سـ(يزعل) الأمير وتنعكس على علاقة التنظيم بدولة الإمارات، فحتى لا يزعل أمير الإمارات من كل التنظيم وينعكس على المسلمين فالرجل قبِل المنحة، وحسبي الله ونعم الوكيل، وأرسل ابنه إلى لوس أنجلوس يدرس الطب لمصلحة الإسلام والمسلمين! هكذا كان التفكير..!

فهذه مدرسة وطريقتها في العمل.

المدرسة الأخرى: مدرسة الشيخ عبد الله، جاء إلى هنا الدكتور عمر عبد الرحمن إلى (معسكر صدى)، فنزل عندنا في الغرفة كنت أنا وأبو برهان واثنان آخرين، نزل الدكتور عمر وكان معه أبو ياسر ومعه واحد آخر، فنحن تولينا حراسة الشيخ نمنا تحت رأسنا سلاح، حتى حصل معنا فيلم في الليل؛ أحسست بجلبة فقُمت آخذ السلاح، فرأيت أبا برهان -الله يذكره بالخير- ماسكًا المسدس يوجّهه يمينًا وشمالًا مثل الرمي، فقلت له: "صلِّ على النبي يا رجل إيش فيه؟"، فقال: "شفت في منامي تداهمنا فاحتياطًا آخذ المسدس". هذا في الليل!.

فرجعنا نمنا، فأحسست بجلبة، فرأيت أبا ياسر قائم يوضِّئ الدكتور عمر، الرجل ضرير قاعد في المعسكر، الساعة ثلاثة يقوم على قيام الليل!. ولاحظت أنّ الرجل يقوم كل الليل، وولداه الاثنان في المعسكرات. فترى أمامك نموذجًا طبيعيًا صحيحًا. فهكذا تتربّى وتتأثر.

الشيخ عبد الله بالزّحف وبالجري، رجل عمره ٤٨ سنة مع الناس، بالفقه، بالتعليم، بالمعركة، ونحن منسحبون من جلال آباد كان في السيارة معنا الشيخ أسامة والسيارة الثانية فيها الشيخ عبد الله، والطيارة كانت تُلاحقنا من سيارة لسيارة، السائق يسوق هكذا بشكل متعرّج، والطائرة تضع قذيفة يمينًا قذيفة شمالًا.

فالواحد يعرف هذه القضايا ويرى القائد أمامه، فإذا جلس في الدرس وقال: "قال الله وقال الرسول" لسان حالك تقول له: صدقت، صحيح، أنت حالك مثل حال "قال الله وقال الرسول"، فينفتح قلبك لدروسه وكلامه وإلى آخره.

وترك لنا هذا الشيخ المظلوم الشيخ عبد الله عزام أكثر من عشرة آلاف صفحة مكتوبة في هذه المناهج، مهملة في هذه الأمة لا يستفيد منها أحد إلا النادر!.

لذلك من أهداف المركز الذي نحمله -إن شاء الله تعالى- أن نأتي بتراث الشيخ ونُخرج منه ما كان متعلّقًا بقضايا الأفغان والأحزاب والقضايا الأفغانية ثم نصفّي منه ما كان منهج تربية وأفكار، لنضعه محلَّ التدريب والاستفادة.

فحيث كانت هناك تربية تربّت الناس، كانت هناك مجالس للتربية تأثّرت الناس، فيه تماسّ، بالضبط مثل تماس الشيخ الصوفي مع المريد فيتوسَّم خطواته، فكان القائد مع المقود يتوسَّم خطواته؛ **ولذلك الأسلوب الصحيح في التربية هو تماس المربّي بالمربَّى، تماسّ القائد بالمقود.**

فكان هناك نجاح تربوي كبير جدًّا في هذه القضايا وإن كان نسبيًا لأنه ما كان عليه تركيز، هناك أخطاء منهجية وتربوية ارتُكبت وأنه ما كان الغرض التربية، كان الغرض هو دفع الناس للقتال، وهذا كان نقصًا في المرحلة الماضية.

فبناءً على هذه النّجاحات نأتي إلى الجانب السياسي؛ نجد أن هذه معظم الجبهات **وصلت إلى فشل سياسي**. يعني الهدف وهو إقامة إمارة إسلامية بعد هذا الجهاد، لم يحصل هذا في البوسنة، لم يحصل في الشيشان، لم يحصل في أفغانستان، لم يحصل في بورما، ولم يحصل في أريتيريا، لم يحصل الهدف الذي من أجله قام هذا الكلام.

حصل في الآخر استثناء يتيم وحيد في أفغانستان فقط مؤخّرًا، حصل فيها نجاح سياسي وقامت إمارة شرعية على الخلل الموجود. وحكمنا في دار إسلام وأصبح معنا سلاحنا وصرنا دولة وصرنا نحن الحكومة.

حصل نجاح، فهذا درس نأخذه، لماذا هنا حصل النجاح؟ ويمكن أن يُعمَّم على الحالات الأخرى.

ففي التنظيمات كانت النتيجة فشلًا كلّيًا، وهنا كان النتيجة نجاحًا كليًا، حتى الحالة في البوسنة قياسًا للوضع الذي كان تُعتبر نجاحًا؛ لأن الغرض كان إفناء المسلمين في البوسنة، فما أفنوا المسلمين في البوسنة. نعتبر أننا نجحنا في الهدف وهو الحفاظ على المسلمين في البوسنة.

في الشيشان كان الغرض قمعهم ومنعهم من إقامة دولة، قامت دولة نسبيًا جيدة، وهي تسير إلى تحرير القفقاز الذي يمكن أن يؤدّي بمجموعه إلى إمارة إسلامية كما حصل في أفغانستان.

فأسلوب الجبهات باختصار كان نجاحًا لما مارسته الأمة في هذا الزمان.

محصّلة أسلوب الإرهاب الفردي:

نأتي إلى **الإرهاب الفردي**؛ نجد أنه أولًا: حقّق **نجاحًا عسكريًا باهرًا**، أربع عمليات فتجتمع الدول، عملية نيويورك هزّت الكائنات ودخلت المؤتمرات، العدو تأثّر جدًّا في هذه العمليات، فكان هناك نجاح عسكري.

بعد النجاح العسكري كان هناك **نجاح أمني**، لماذا نجاح أمني مع أنه قُضي على مجموعة الرابية؟ لأن هذا الضرر الأمني مقابل الثمن المحترم كان محدودًا، ما تشعّب التحقيق وأُمسك واحد بواحد؛ لأن الخلايا الحية في الأمة القادرة تعمل هذه الأعمال وما تضررت بشكل كبير، فهذا يُعتبر نجاحًا أمنيًا لنا في الطريقة أنه ليس بمجرد عملية واحدة يُكشف التنظيم. عدد الذين اعتُقلوا تبعًا لعملية من عمليات التنظيم، أحيانًا عملية من عمليات حماس يُعتقل فيها ٧٠ واحدًا، عملية نيروبي انضرب فيها تنظيم بالأكمل في الخارج وأتباعه وأذياله، والمعتقلين والذي حصل.

فعندما يقوم تنظيم بعمل معيّن ويُمسكه النظام الدولي بقضية التحقيقات والتتابعات أو التسليم تجد أن الخسائر باهظة. بينما في النظام الفردي خلاص رمزي يوسف ومن معه، جابوا أول واحد وآخر واحد، مجموعة الرابية ومن معهم جابوهم كلهم. فالنجاح أنه لم يأتوا بغيرهم، فهذا يُعتبر نجاحًا أمنيًا.

الأمر الثالث وهو مهمٌّ جدًّا: **النجاح الدّعوي**؛ رجل مثل الدقامسة بدوي ما سمع أحد به ولا بعائلته، تحوّل إلى صلاح الدين في الأمة جزاه الله ألف خير. رجل مثل الذي حاول قتل حسني مبارك البارحة، تاجر مغمور لم يسمع به أحد تحوّل إلى رمز في هذه الأمة. سيد نصير تحوّل إلى رجل تدعو له الأمة بأكملها وتقف معه وتتابع أخباره. سليمان خاطر رجل مجهول، تحوّلت القضية إلى مُفاعل يسخّن هذه الأمة فيما يجب أن تفعله.

أنا رأيت على التلفزيون في أوروبا في القناة الفضائية والدة الدقامسة واقفة في المحكمة وهم ينتظرون إصدار الحكم، فالرجل قاعد يفكر فنظر في الأرض، فأمه امرأة بدوية تقول له: "يا ابني ارفع رأسك رفعت رأس الأمة، لماذا رأسك في الأرض؟!"، وهذا بُثّ على التلفزيون، حتى قال بعض الناس أنه انهالت عليهم تبرعات كثيرة ومساعدات من المسلمين تعاطفًا معه ومع أهله، وتحوّل الرجل إلى صلاح الدين الأيوبي. فتحوّل الدقامسة وسليمان خاطر ورمزي يوسف إلى رموز للأمة، يحرّكون هذه الأمة في الاتجاه الصحيح، فحصل نجاح دعوي كبير جدًّا فيما نحن بصدده.

النجاح التربوي حاصل ضمن إطار الخلية؛ لأن فيها تماسًا، كل واحد يربّي جماعته على مثل ما هو عليه، يربّيها على فِكره، يربّيها على عاداته، يربّيها على عقيدته وعلى تدريبه، فهو مشرِف على تربيتهم وعلى تدريبهم. ففي إطار مجموعته هناك نجاح تربوي.

الفشل السياسي؛ لأن هذه الأعمال ما تحوّلت إلى الآن لأن تكون ظاهرة نحرّك فيها الأمة، الذي يصير للأمة مثل فوران الحليب، فارت مع الدقامسة وخمدت، فارت مع سيد نصير وخمدت، فليس هناك برنامج لتحويل وتفعيل هذه العمليات حتى تكون ظاهرة. وهذا الأمر ليس الخطأ فيه على الناس التي تشتغل، الخطأ فيه أنه ليس هناك عقليات تُبرمج هذه الظاهرة، وتسدّ هذه الثغرة بحيث يتحوّل هذا الفكر إلى من يبرمجه بطريقة لتحريض الأمة بحيث تجعل الشباب يتأسَّون بهؤلاء الناس.

طبعًا نسيت أن أقول مثالًا مهمًا جدًا في الإرهاب الفردي؛ وهي عمليّتا الرياض والخبر، عملية الرياض قُتل فيها أربع أمريكان غير الجرحى، وعملية الخبر قُتل فيها ١٩ أمريكي، وكانت خسائرنا في الأولى أربعة شهداء -رحمة الله عليهم-، وفي الثانية إلى الآن لا أحد، يُقال أنه اعتُقل على ذمة العملية ستة أشخاص لهم علاقة، فإذا كان كذلك فالمحصّلة عشرة أشخاص، عشرة مقابل هذا الزلزال الذي حصل، فهذا يُعدّ نجاحًا باهرًا.

أصلًا حتى الذين يريدون أن يُعلنوا الجهاد في السعودية يعيشون على إعلان هذه العمليات الآن. من يريد أن يجنّد منا أو من غيرنا يقول: في الرياض والخبر فعلوا وفعلنا.

عملية نيروبي لا أُدرجها هنا لأنَّ الذي قام بها تنظيم، فهي تحت أعمال التنظيمات. أما هذه الأعمال بهذه الصورة ما هي المكاسب التي حصَّلناها في عملية الرياض؟

انظر سبحان الله الاستنباط والفقه عند العلماء وانظر إلى أين وصلنا نحن!، الإمام مالك استنبط كفر الشيعة من قوله تعالى في آخر سورة الفتح: {لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}[379]، فقال الإمام مالك أن كل من أغاظه صحابي فهو كافر، واستنتج منها كفر الشيعة لأنهم مغتاظون من الصحابة.

أين هذا الفقه وقول الله –سبحانه وتعالى–: {وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ}[380]؟ انتبه لـ(موطئًا يغيظ الكفار) وانظر لعميد كلية ابن سعود ليقول: "اللهم اشفِ جرحى الأمريكان ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا"!. فهو مغتاظ، لماذا مغتاظ؟ هيئة كبار العلماء كلها مغتاظة، شيوخ الأزهر كلهم مغتاظون، أمريكا كلها مغتاظة، ضع قائمة المغتاظين ترى أولهم كلينتون وآخرهم سيد طنطاوي، وضع موازين الولاء والبراء وانظر.

فهؤلاء كُتب لهم فيها عمل صالح –إن شاء الله تعالى–.

فهذه من الأعمال الفردية –الرياض والخبر–، قضية الخبر ما خرج عنها تفاصيل، الرياض هم أخرجوها الحمد لله سخَّروا الإعلام السعودي عدة أيام بالساعات ليعمل دعاية لمثل هذه العملية، وهذا رائع جدًّا. فالإعلام المعادي يتولّى أن يُخرجها ويطَّلع الناس عليها، ومهما زوَّروا فالناس تميّز الكلام الصحيح عن الذي يقولوه مجبورين عليه فتحصل دعوة. ولذلك الغلام جاء بكل الناس حتى يرمي السهم ويقتل نفسه وترى الناس الدعوة.

تقييم الأساليب الثلاثة للفترة المقبلة:

أولًا: أسلوب التنظيمات السرية:

فإذا جئنا إلى أصول ما حصل نستنتج من هذه النظرية العسكرية أنه فيما بعد ١٩٩٩م لا يوجد شيء اسمه (أسلوب تنظيمات) –للأسباب التي ذكرتها–؛ هناك أخطاء يجب أن تُصحَّح فهل يمكن أن نرقّع تلك الأخطاء؟ لا يمكن، في ظلّ النظام الدولي لا يمكن. هل يمكن أن نجاري الاستخبارات العالمية الآن ونرمِّم حالنا أمنيًا؟ لا يمكن. هل يمكن أن أغيّر شفرات التليفونات؟ لا يمكن. أغيّر المراسلين؟ لا يمكن.

---

[379] سورة الفتح، الآية ٢٩.

[380] سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

فنجد في النهاية بعد تحليل الأخطاء وأسلوب العمل أنّ أسلوب عمل التنظيمات خفت بعد سنة ١٩٩٩م، ولذلك أنا أستطيع أن -أزعُم والله أعلم- أنَّ أيَّ تنظيم جديد يُولد ليستخدم هذه الأساليب التي استخدمناها نحن على مدى ثلاثين سنة وآلت بنا إلى الفشل النهائي سيؤول هو إلى الفشل النهائي خلال أيام أو أشهر. هذا إن أمهله النظام الدولي!.

نحن اشتغلنا في مرحلة القطبين وهربنا للأردن من سوريا، وهربنا للجزائر من المغرب، وخرجنا إلى أفغانستان والأفغان العرب والمعسكرات الخلفية لجماعة الجهاد والجماعة الإسلامية، ونزلن وصعدنا ودُفعت الأموال..

فهذا الذي كان عندنا ليس عنده هو الآن، وما حطَّمنا يوجد الآن عشرة أضعافه!، فأسباب القوة التي كانت عندنا ليست عنده الآن، وأسباب الضعف التي أطاحت بنا هي الآن مائة ضعف؛ أنا كانت تلاحقني المخابرات السورية فالآن تلاحقك كل مخابرات الأرض. فأنا أعتقد أنّ شيئًا اسمه (تنظيمات) جديدة تُولد على هذا البرنامج والأسلوب هو ضرب من الحُمق والتَّجني على الناس، وتجنيد لمزيد من البشر لتأخذهم المخابرات حتى تكبر سلسلة قوائم الشهداء وقوائم المعتقلين عندنا.

أما التنظيمات القائمة فمهما حاولت أن أُلطّف هذا الكلام بحيث لا (يزعلوا) فأنا مضطر في الحقيقة للقول أنَّ هذه التنظيمات الجهادية القائمة على هذا البُنيان إما أن تُعدّل أساليبها وِفقًا لوضع المسلمين الذي نحن فيه فتحافظ على كيانها وتغيّر أسلوبها، أو أنها ستمضي باتجاه السُّنن وستنتهي نفس النهاية.

عُدّ التنظيمات الأربعة أو الخمسة التي بقيت أصلًا؛ ودون حياء ولا مجادلة معظمها وصلت لنقطة النهاية، بعضها أعلن أنها وصلت وبعضها يُكابر، ولكن واقع الحال أنها وصلت، وبعضها بقي له القليل، أنا أقول هذا الذي بقي له القليل يمكن أن يتدارك نفسه ويعدّل أسلوب عمله بما يتناسب مع الواقع بحيث يحافظ على كينونته ووجوده، ولكن من خلال أسلوب عمل جديد؛ يجب أن يحدث انقلاب في التفكير، في الفقه، في النشرة، في أساليب الدعوة، في أساليب التدريب، في ترتيب الخلايا، في الاتصالات، ويتعاون مع من بقي في أسلوب دولي، أو أنه يمشي أيضًا إلى خبر كان، لأن القضية قضية مرحلة انتهت.

تعرف ما معنى مرحلة انتهت؟ مرحلة ميزناها بدأت في سنة ١٩٣٠ وانتهت في سنة ١٩٦٠، ثم مرحلة بدأت في سنة ١٩٦٠م وانتهت في سنة ١٩٩٠م، وواضح أنها انتهت في سنة ١٩٩٠م وتلمَّسنا هذا، وأنا ممّن تلمَّس أنها انتهت.

من ١٩٩٠-١٩٩٩م كابرنا، وأصرَّينا على أن نستمرّ بنفس الأساليب فكانت النتيجة الوصول إلى قعر الأزمة. فهل سنكابر زيادة؟! الذي يريد أن يكابر فليكابر، أنا أطرح هذه النظرية حتى لا نكابر، أسلوب عمل التنظيمات السري القطري الهرمي فشل ولم يعد من الممكن أن يستمر بهذه الصورة -والله أعلم-.

ثانيًا: أسلوب الجبهات:

نأتي إلى الأسلوب الثاني: **أسلوب الجبهات،** أسلوب الجبهات كان كله فوائد، كله نجاحات، حصلت فيه دروس يمكن أن نعدّل عليها فنصل إلى تطوّر سليم جدًّا، فأعتبر أنَّ أسلوب الجبهات بأن تعمل الجبهة خطًّ حرب مع العدو ناجح جدًا.

خط الحرب هذا يُفضي إلى اندحار العدو، واندحار العدو يفضي إلى سيطرتك على أرض، وسيطرتك على أرض تفضي إلى حصولك على موارد بشرية؛ أناس موجودين في الأرض، وأناس يأتونك إلى الأرض، فيفضي هذا إلى الحصول على موارد مادية، ويفضي للحصول على سلاح من الخصم، فيصبح عندك بشر وموارد وسلاح، فيفضي هذا إلى تطبيق شريعة، فيصبح عندنا إمارة شرعية.

في حين أنّ أفضل التنظيمات التي كانت والكائنة والتي يمكن أن تأتي؛ أستطيع أن أجزم أنها بأسلوب حرب العصابات مع النظام الدولي لم -في الماضي- ولن تستطيع أن تُسقط حكومة، وهذا الأمر ثبت، فكل الحكومات هرمية؛ سلطة، رئيس، وزراء، برلمان، مؤسسات، مديريات، فروع، كل الدول هكذا، فعندما تقتل العصابات من الحكومة مثلما قتلوا أنور السادات، لا يخرب الهرم بل تستكمل المؤسسة منهم؛ لأنَّه هناك صفًا طويل من العملاء صُنع على مدى مائة سنة من النظام الدولي، مائة سنة وهو يصنع؛ السادات، حسني مبارك، عبد الحليم أبو غزالة، عمرو موسى، قائمة طويلة عريضة. فعندما أُزيح حجر أفرز التنظيم نفسه حجر حسني ورجع هرمًا.

التنظيمات الجهادية انطحنت في قتل أنور السادات، انطحن التنظيم حتى جاء بهذه النتيجة وتبعاتها ثم استلم حسني مبارك وكان عدد المعتقلين في مصر مائة وثمانين معتقلًا فعلى رأس عشرين سنة من حكم حسني مبارك أصبحوا ستين ألف معتقل، وهذه إحصائية علمية صحيحة، ترك أنور السَّادات لحسني مبارك في السجن مائة وثمانين معتقلًا،

أوصلهم حسني مبارك إلى ستين ألف معتقل، فيهم تنظيم الجهاد كله إلا النادر، وتنظيم الجماعة الإسلامية كله إلا النادر.

يعني التنظيمان في بعضهم بمجموعهم أربعة آلاف مجاهد؛ ذهب منهم ثلاثة آلاف مقابل نجاح أنك أزحت حجرًا وجاء حجر!. وهذا الذي حصل في مصر يتكرّر في أي بلد تنظيمها دستوري. ربما هناك بعض البلاد العربية والإسلامية هرم السلطة فيها واقف على شخص، مثل دولة القذافي، مثل دولة الملك حسين، مثل بعض الدول البسيطة، فهذه دولة منكوسة على قفاها، ليست مثل آل سعود، آل سعود هرم نظامي، المغرب هرم نظامي، إذا ذهب واحد يأتي واحد آخر؛ لأن النظام الدولي أسَّس هذا النظام بهذه الصورة المرتَّبة.

هذه الدول قد يستطيع تنظيم جهادي أن يضرب الحجر الأول أو الثاني فيها ولكن ماذا سيحدث للهرم؟ يتحطّم، تنفرط الدولة، لنفرض جدلًا أن الدولة أصبحت ركامًا، فهل يستطيع التنظيم الجهادي أن يستلم الدولة ويحكمها؟ قطعًا لا. لماذا؟ هم كلهم عشرون أو ثلاثون واحدًا، أين كوادرهم؟ أين سيطرتهم على الأرض؟ كيف سيُقيم دولة؟ هو دمّر الدولة، جئنا بالمتفجرات ونسفنا جسرًا، أو نسفنا ناطحة سحاب، فهل نستطيع عمل ناطحة سحاب؟ لا نستطيع؛ عملية التَّعمير ليست مثل عملية التحطيم، لأن حرب العصابات مع هذه الظروف لا تربّي كوادر تستطيع أن تستلم الدولة. **حرب العصابات لا تسمح بتربية الكوادر**.

في حين أنَّ الجبهة فيها تربية، وفيها قائد، وفيها مقود، وفيها أمة، وفيها مكاتب على الأرض، فإذا جاءنا طالب علم يأخذ مكانه، وإذا جاءنا رجل من الإعلام يأخذ مكانه، وإذا جاءنا ضابط جيش هاربًا يأخذ مكانه، وإذا جاءنا أي شخص يأخذ مكانه حتى نحقّق الانتصار على العدو، ثمّ نسيطر على قاعدة ونوسّعها شبرًا شبرًا حتى تتحوّل إلى إمارة.

فأعمال العصابات لا يمكن أن تُفضي إلى دولة، أعمال الاحتلال على أرض يمكن أن تفضي إلى دولة. هذا لعلّه من أهم ما أقول، النظرية العسكرية من أهم جوانب الفكرة، أن التنظيمات لا تُفرز دولة، الجبهة تفرز دولة على الأرض؛ كوادر، إمكانيات، تكشف القادة، تكشف الكاذب، الجبان، المنافق، المدَّعي، كله يُكشف، حتى المخبر، نصف المخبرين أيام أفغانستان تابوا عندنا في الجبهات. يجيء ويتوب في الجبهة، حصل كذا مرة، يتوب المخبر ويدخل معنا حقل ألغام، واحد مخبر يدخل حقل ألغام؟!

لذلك أنا قلت لهم لا أثق بأخ وأُدخله مرحلة الثقة إلا بعد عدة معارك أرى كيف يتصرّف فيها، وكنت حريصًا جدًّا ولا زلت على أنَّ يدخل رأس المجموعة المعركة لسببين غير الأجر والكسب: هو يتربَّى، وأمر آخر يكسر عين المقود، يكسر عين الجندي بأن يكون أمامه فيثق به. يثق به أنَّ هذا داخل معنا ويعيش مثلما نعيش. أما تضع ابنك في لوس أنجلوس وتأتي تقول: انزلوا للخط!، (..).

فالشاهد –سأختصر الآن– أنَّ قضية الجبهات لها من الفوائد العظيمة جدًّا في الوصول إلى إقامة إمارة، قضية الجبهات وهي أصل جهاد المسلمين، بل أخذنا نتأمل قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا}[٣٨١] فرأيت فيه ملامح هذا الكلام. أخذت أتأمل أنَّ الله يحب الذين يقاتلون فيه صفًا، وملامح قول الرسول ﷺ: (إن هذا الدين لا يدرس حتى يكون سرًّا)[٣٨٢].

فهناك آفاق حركية: صف يتحرك كأنهم بنيان مرصوص. ثم اكتشفت أنَّ من مكوّنات الشخصية البشريَّة الإسلاميَّة أنهم أبطال في الميادين المفتوحة، يأتي أخ من أقل الإخوة وعيًا من بعض المناطق المتخلّفة –دون أنّ نسميها فنُحرجهم– في العالم العربي والإسلامي، منطقة متخلّفة فتجد الأخ متخلّفًا حضاريًا، متخلّفًا فكريًا، محبوسًا في قمقم يرى بعض علماء وبعض طلبة علم تلفزيونًا بصورة محدَّدة، وصحفًا بصورة محددة، فآفاقه محصورة.

تُفلته في الجبهة تجده ما شاء الله أسد!، رغم أنه متخلّف وعيًا لكنه أسد في الجبهة، يقاتل ويدخل ويخرج، وحصل مرة معنا واحد حاولت أُفهمه بطريقة من الطُّرق أن ينضبط في بعض الأمور الأمنيَّة ما استوعب، حتى ونحن نتعرّض للقصف المركّز في حصار جلال آباد وهو جالس يتّصل باللاسلكي، يا عمي يهديك يرضيك سكّر اللاسلكي الطيّار يحدّد مكان اللاسلكي!، وهم يقصفوننا بقنابل الخمسمائة كيلو، وأحاول أقنعه أن هذا اللاسلكي يكشف موقعنا ما اقتنع!، جالس يلعب في اللاسلكي ونحن تحت القصف، حتى تضايقت منه جدًّا، وعمره ١٨ سنة.

بعد ثلاثة أيام حصلت معركة دخلوا الجماعة فدخل ضرب دبابة ودمرها، نزل الناس من الدبابة فأطلق عليهم وقتل أهل الدبابة هو بنفسه، ثم ذهب للدبابة والمدفع سليم، فأداره باتجاه دبابة أخرى وبدأ يرمي عليها، فعرفوا أن الضرب من الدبابة الأولى، فنزل طاقم الدبابة الثانية وفرّ تاركًا الدبابة. فنزل من الدبابة المحروقة للدبابة الثانية ساقها وجاء بها عندنا، هذا بطل!، لكن عندما حاولت أن أفهمه مسألة في الأمن ما اقتنع ولا فهم.

---

[٣٨١] سورة الصف، الآية: ٤.

[٣٨٢] لم أجده.

واحد من هؤلاء أراد أن ينزل إلى بلده، فقلت له أن ينزل عند فلان وكذا لعلنا نعمل عملية، فقام بإرسال كل المخطط الذي قلته له إلى عنوان بقالة بجانب بيت صاحبه!، وكان هذا من قوّاد الجبهة، ففي الآخر وصلت إلى قناعة أنَّ هذه العينات من المستحيل أن تشغلها في تنظيمات. وهذه العينات جيدة جدًّا في الجبهات، مُنتجة جدًّا في الجبهات.

طيب إذا أنت عندك ناس ناجحين في أسلوب معيّن وبأسلوب معيّن ضعفاء، لماذا تشغلهم بالأسلوب الذي لا يفهمون فيه؟ هذه الحالة ليست حالة فرد بل هي حالة أمة، أمتنا عمومًا لا تصلح للتنظيمات. فيتفشى فيها نظام الإشاعة، ونظام (ما حدا يقول لأحد)، نظام التفلّت، نظام نقل الأخبار، نظام عدم ضبط المواعيد. إلى الآن كثير من الإخوة ما ينضبط معك على موعد!.

لعل من فوائد الإقامة في الغرب ضبط المواعيد، اليوم تعجَّب الإخوة من الطباخ وقالوا ما شاء الله!، أنا وصلت على الموعد في الخامسة وواحد وثلاثين دقيقة فوجدت الطباخ جاء في الخامسة وثلاثين دقيقة، وقلت له: له يا ليت كل التنظيمات مثلك!، فإلى الآن لا تستطيع أن تقيم موعدين مع بعض، أن تِعد موعد من الساعة الثالثة للساعة الرابعة، وتضع موعدًا من أربعة – للستة، أبو الساعة الثلاثة يأتي في الأربعة إلا الربع، فيدخل على الموعد الثاني، وإذا جاء الأخر ووفَّ بالوعد ما عاد له محل، فتدخل المواعيد في بعضها.

حرب العصابات والتنظيمات كلها قائمة على ضبط المواعيد، وقائمة على السريّة، فوجدت في النهاية أن المكوّنات الموجودة عندنا لا تناسب الطرف الآخر. المافيا تحل المشكلة، عنصر يُخطئ يعدموه!، أما أنت لا تستطيع فعل هذا!، وبالتالي أسلوب التنظيمات أسلوب غير مناسب.

فكما يقول لاعبو الورق: عندك ورق قوي في كذا وكذا، وورق ضعيف في كذا وكذا، فيا عمي لماذا تلعب ورقك الضعيف؟! العب ورقك القوي. أنا قلت للبرلمانيين مرة: "لهم لو شيوخنا يلعبون ورق الشدة لكانوا يفهمون في السياسة أكثر"!.

الآن لا نناقشهم بطريقة الحلال والحرام، نناقشهم بطريقة المنطق؛ هل البرلمان ورقة قويّة للمسلمين أم للعلمانيين؟ البرلمان قائم على الكذب، والدعاية الكاذبة، واللف والدوران، ونقض المعاهدات ونقض الاتفاقيات. أنا كمسلم هل أستطيع أعمل هذا في البرلمان؟ لا أستطيع أعمله، وإذا لم أعمله سأخسر. فهي ساحة خسارة ليست لعبتي أصلًا. بينما في

قضية الجهاد والفدائية وحب الموت وفرض القوة على الآخرين هي لعبتي. لا تستطيع الأحزاب أن تقدّم مجموعة من الذين يموتون مثلما نُقدّم نحن.

فأنا أنقل الأمة إلى مجال القوة الذي عندي، مجال القوة الذي عندي هو أن أنقل المسلمين إلى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا}[383]، أُفلت المسلمين في خط حرب وأصطنع جبهات وأجرّ العدو إلى حيث أستطيع أن يعمل معي خطأً، هكذا أنجح.

وليس بأن يجرّني العدو لأنشئ خلايا تريد عمل حرب عصابات في أقبية باريس حيث الكاميرات والملاحقات والتصنّت!، ويأتيني الأخ الذي كنت أحكي معه من البار الساعة الثانية ليلًا يلبس اللباس الأفغاني ويحمل الموبايل معه!. فأسلوب لا تستطيع النجاح فيه لا تعمل به. فثبَتَ بتحليل كثير جدًّا أن الخيار الأنسب هو خيار الجبهات، وهذا أساس الجهاد في مرحلة ٢٠٠٠م.

بل مؤشّرات آخر الزمان كلها تدل على هذا، (يَخْرُجُ مِنْ عَدَنِ أَبْيَنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، يَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ، هُمْ خَيْرُ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ)[384]: فهو جيش خارج ليقاتل في خط، (يجتمع أهل رايات خراسان)[385]: جيش، (نزاع من القبائل يقاتلون في بلاد الشام)[386]: جيش، (ينزل الروم في جزيرة العرب فيخرج إليهم المسلمون)[387]: جيش..

هذه كلها أحاديث آخر الزمان. ومنها: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ)[388]؛ فبعض أهل العلم فسّروا (أهل المدينة) بالمدينة المنورة، وبعضهم يقولون (أهل المدينة) هي أقرب مدينة إلى دابق مكان نزول الجيوش، وهي مدينة حلب شمال الشام، فيخرج إليهم أهل المدينة.

فالشاهد أنّ كل المؤشرات السياسية والعسكرية تدلّ على أنَّ علينا أن نعمل خطوطًا وجيوشًا وجبهات، والمؤشرات النبوية وملاحم آخر الزمان تدلّ على أنَّ علينا أن نعمل خطوطًا وجيوشًا وجبهات. وأهل العصابات جزاهم الله خيرًا

---

[383] سورة الصف، الآية: ٤.

[384] مسند الإمام أحمد (٣٠٧٩)، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

[385] أخرج أحمد (٨٧٧٥) عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ رَايَاتٌ سُودٌ لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ بِإِيلِيَاءَ»، قال أحمد شاكر: إسناده ضعيف.

[386] لم أجده هكذا، وقد أخرج ابن ماجه (٣٩٨٨) وأحمد (٣٧٨٤) عن النبي ﷺ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ». قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

[387] لم أجده بهذا النص، وقد أخرج مسلم (٢٨٩٧) عنه ﷺ: (ثم لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق..)، والظاهر أن الشيخ وهم هنا.

[388] صحيح مسلم (٢٨٩٧).

على المرحلة التي قاموا فيها وأدَّوا ما عليهم، ولولاهم لما وصلنا إلى هنا. لولا مرحلة التنظيمات والعمل السري ما تربّت هذه الوجوه، حتى لا ننكر جهد الماضي.

عندما قامت جبهة أفغانستان من أين جاء الناس الذين درّبوا في أفغانستان؟ جئنا نحن من التنظيمات السورية، وجاءت الجماعة الإسلامية بكوادرها وهي تنظيم، وجاءت جماعة الجهاد بكوادرها وهي تنظيم، فمرحلة التنظيمات صنعت كوادر، هذه الكوادر قامت على الجبهة. فالمفروض أن نتطوّر للأمام.

تنظيم جاء إلى الجبهة، فالجبهة تأتي إلى جبهة، أتطور، ولا أقول: تنظيم جاء بي إلى جبهة والجبهة تُرجعني إلى التنظيم!، التنظيم صار أسلوبًا متخلفًا وأدّى ما عليه. هذا ليس دينًا، هذا أسلوب عمل، أدَّى ما عليه. فالقصد أن العمل الناجح هو في الأساس أسلوب الجبهة والخط.

ثالثًا: أسلوب الإرهاب الفردي:

الأمر الآخر **الإرهاب الفردي،** جاء بنتيجة رائعة جدًّا. فأيضًا نتبنَّاه. نتبنَّى الإرهاب الفردي ونشرحه الآن كيف وأين، لأنه جاء بجدوى وفاعلية. لأنك تستطيع أن تضع زبدة أمة الإسلام في الجبهات، ولكن هل تستطيع أن تضع كل أمة الإسلام في الجبهات؟ لا تستطيع أن تضع كل أمة الإسلام في الجبهات، وليس صحيحًا أن ننقل أمة الإسلام إلى الجبهة.

إذا انتقلت جماعة من الناس إلى الجبهات فستبقى الأمة برُمَّتها في الخط الخلفي، فيجب أن تمارس إرهابًا فرديًا على العدو.

العدو وهو ذاهب للقتال في الجبهات، وهو راجع من الجبهات، وهو يمر من باقي المناطق التي ليس فيها جبهات يجب أن يتعرّض إلى إرهاب شعبي غير منظّم. فإذا تعرّض العدو وهو يحاربنا في الجبهات إلى إرهاب شعبي غير منظَّم نكون قد حاربناه بأفضل وسيلتين نجحنا فيهما. فنحن نصمد في الجبهات، وخطوط أنابيب النفط له تُضرب بأعمال الإرهاب، وسفنه في المضائق تحترق من أعمال الإرهاب، ورؤساء الدول والاستخبارات التابعين له يُغتالون بأعمال إرهاب، ولكن يكون محور الجهد الأساسي لنا في الجبهات.

في البداية كنا نريد تنظيمًا سرّيًا هرميًا متماسكًا لكي يُسقط حكومة ويُقيم حكومة. أما الآن فلا أريد من الإرهاب أن يُقيم حكومة، لم يعد هناك ضرورة ليكون مرتبطًا، لأنه إذا ارتبط سنرجع إلى النظام الهرمي فنخضع للنظام الدولي.

هذا الكلام يمكن أن يسمعه أخ فيشتغل بالطريقة التي سأدّله عليها، ويمكن أن يسمعه النظام الدولي فيكتشف الخطة، ولكن ماذا سيستفيد النظام الدولي إذا اكتشف الخطة؟

إذا اكتشف أننا نحن في الجبهات، واكتشف أن هناك الكثير من الناس ستقاتل، لكن أين هم؟ ومن هم؟ وأين رأس التنظيم؟ وأين ذَنَب التنظيم؟ ليس هناك تنظيم ولا رأس تنظيم ولا ذَنَب تنظيم!.

هذه طريقة الإرهاب هي التي شرحناها في سنة ٩٠ بالمقاومة الإسلامية العالمية، أما قضية الجبهات فهذا كله من تطوّرات الفكرة في السنوات الأخيرة.

الآن ما أحد يأتي ويقول: "أبو مصعب ينادي بشطب التنظيمات!"، وهذا قالوه لي. حقيقة الأمر أنَّ هناك تنظيمات شُطِبت لكنها لا تشعر أو تُكابر، وهناك تنظيمات لم تُشطب فأنا أدعوها أن تعدّل أساليب عملها بما يتناسب مع الوضع ولا تفقد نفسها ولا هويّتها ولا شخصيتها، وتبقى تنظيمًا ولكن يعمل في مجال الجبهات، ومجال الإرهاب الفردي.

ممكن لتنظيم جهادي ما زال قائمًا أن يعمل في مجال الجبهات ومجال الإرهاب الفردي. أما هذا التنظيم إذا أراد أن يعمل في إطار سريّة قطريّة هرميّة، فليس ذنبي أنَّ السُّنن جارية عليه، وأنه سينتهي إلى ما انتهى إليه من قبله. فهذه دعوة له لا ليحلّ نفسه، بل دعوة له أن يعدل أسلوب عمله.

مقومات الجبهات والجبهات المُقترحة في العالم الإسلامي:

نأتي الآن إلى أسلوب عملنا نحن، قلنا هناك ثلاثة أساليب للعمل: تنظيمات، جبهات، إرهاب فردي. وقلنا أن أسلوب التنظيمات بالنسبة لنا فشل، فبقي أسلوب الجبهات، وحتى تكون النظرية متكاملة يجب أن نحدّد بالتفصيل؛ أين الجبهات، وكيف نكوّن الجبهات، وأين يمكن أن نعمل جبهات، وكيف نقاتل في الجبهات، وكيف ندرّب في الجبهات. يجب أن نجيب على هذه الأسئلة كلها حتى نقدّم نظرية متكاملة..

*[389] من خلال دراسة الجبهات التي قامت وأسلوب عمل الجبهات عندنا وعند غيرنا نستنتج أنّه لا تقوم جبهة إلّا بوجود ثلاثة شروط، فلا يمكن أن تقوم جبهة في تونس أو الأردن مثلًا، شروط قيام جبهة بحيث تتوفَّر لنا فيها إمكانيات النجاح العسكري هي:

أولًا: جغرافيا مناسبة:

وأهم ما في الجغرافيا المناسبة؛ مساحة واسعة، مناطق وعرة تشكّل حصنًا، جبال، غابات، أحراش، بحيرات، صحراء، ومساحات ممتدّة لا يمكن أن يسيطر العدو عليها. موارد غذائيّة ولاسيّما الماء؛ فهذا يجعلها تستعصي على الحصار، أي تكون بلدًا غير قابلة للحصار، بحيث يعجز النظام الدولي أن يغلق عليها بحيث تموت الناس جوعًا وعطشًا وينقطع عنها السلاح، وبالتالي لا تستطيع أن تقاوم فيها، هذا هو الشرط الأوّل.

ثانيًا: عامل السُّكّان:

وهو كثافة بشريّة، خاصّةً إذا كان السكّان مسلّحين أصلًا وقابلين للصمود والمقاومة والصبر لفترات طويلة. ولكن على الأقل أن يكونوا كثيرين.

ثالثًا: وجود قضيّة:

وجود قضيّة يمكن إقناع هؤلاء السكّان بالقتال ودفع الثَّمن عليها، ويمكن حشد أمّة (لا إله إلا الله) عليها وراءهم. يعني مفتاح صراع بسيط وسهل يستأهل أن يموت الإنسان لأجله، فإذا توفَّر هذا العامل يصمد هذا الرجل، وتدعو أمّة الإسلام من ورائه لتقف معه.

هذه هي شروط إقامة جبهة ناجحة، وهي شروط لازمة وملزمة اضطرارًا، وإذا تخلّف أحد هذه الشروط في جبهة من الجبهات فلن تنجح هذه الجبهة.

[389] بداية تفريغ الملف الرابع والثلاثين.

ففي عالم الأسباب؛ إذا قمنا في مناطق غير حصينة سيطوّقنا النظام الدولي ويسحقنا، وإذا قُمنا بدون سكّان فلن تكون هناك مادّة للقتال، وإذا قمنا بدون قضيّة فلن يجتمع الناس على القتال.

والآن دعونا نأخذ هذه الشروط ونتأمّل في خريطة العالم؛ وأوّل شيء حتى تقبل أن تأتي معي للخريطة يجب أن تكون مُقتنعًا أولًا بالمسألة التي ذكرناها؛ وهي أنّ المعركة معركة أمّة وليست معركة قطر.

أوّل سبب يجب أن يتحلّى به الإنسان الذي يريد أن يعمل بهذه الأفكار؛ أن يحسّ بالانتماء للأمة وليس بالانتماء إلى (حارة) أبيه، لأنّه إذا شعر بالانتماء للقُطر فلن يقبل أن يأتي لقُطر آخر تكون فيه مصلحة المسلمين.

فهو عنده انتماء للقطر ويُريد أن يعمل فيه حتى لو بُعث في منطقة ليس فيها سكّان وليست أرضًا حصينة وليس فيها سلاح وليس فيها قضيّة تجمع الناس، مثل أن يولد في صحراء الربع الخالي، فليس في يدي أنا أن أزرع له جبالًا في صحراء الربع الخالي!.

فأول قضية حتى يستطيع الإنسان أن يفهم هذه النظرية العسكرية أن يكون قد اقتنع بالمبادئ التي ذكرناها، ولهذا ذكرنا تلك المبادئ في البداية.

الآن لننظر في خريطة العالم، لأنَّ ساحة الصراع هي العالم وليست مصر ولا سوريا، والذي لا يقبل هذا سيخسر المعركة:

أوّل ساحة تتوفّر فيها هذه الشروط؛ الجغرافيا والسكان والقضية هي **أفغانستان،** أمّا الجغرافيا فواضحة والحمد لله ولا تحتاج من أحد أن يُثبتها، وكذلك السكّان أثبتوا أنفسهم لا يحتاج من أحد أن يثبت ذلك، والآن أصبحت هناك قضية هامّة جدًا وهي صراع دار الإسلام مع النظام الدولي.

فالأفغان عندهم قضية وجود أو عدم وجود، حتى كنت أقول لأحد الإخوة: "لو جاءت صواريخ (الكروز) فيمكن أن يدخل مسعود كابول" كما تصوّر بعض الإخوة العرب، أن كابول يمكن أن تُقصف بالصواريخ الأمريكية فيستغل مسعود هذا فيدخل كابول.

فقال لي الأخ: "أصلًا لو ضُربت كابول بالكروز فكل المقاتلين مع مسعود سينضمُّون للطالبان، فلا يمكن أن تضرب أمريكا أفغانستان ثم تجد الأفغان يقفون معها، هذا غير وارد".

وهذا الشعور حقيقي؛ حتى أن بعض الإخوة جاؤوا ليقتلوا بعض أسرى مسعود، فالأفغان الذين معهم صاحوا عليهم ولم يتركوهم يضربوهم، لم يسمحوا لرجل من خارج البلد أن يقتل أسيرًا من البلد كانوا يقالوئهم قبل قليل. فالشعور بالتماسك تجاه العدو الخارجي قوي جدًا عند الأفغان، حتى أحيانًا على حساب الدين.

فأفغانستان فوق ما توفّر فيها من هذه الشروط الأربعة فيها عوامل هامّة جدًا، **أولًا**: أنّها دار إسلام، **ثانيًا**: أن فيها شوكة حاكمة حليفة لنا. **ثالثًا:** وفيها سلاح.

ترك الاتحاد السوفييت قبل الطالبان وهذه الأحداث ٣٠ مليون قطعة كلاشنكوف، وترك ٥٠ ألف آلية منها ١٠ آلاف صالحة، وترك حكمتيار ممّا كان يخزّنه للحرب الأهلية جبالًا من المستودعات، ترك الشيعة في وادي سيّان أسلحة تعود إلى سنة ١٩٩٨م؛ أسلحة إنجليزية وأمريكية وإيرانية.

وأخذ الطالبان من مزار شريف غنائم فيها ١١٠ صاروخ سكود بعيد المدى، وسمعت أنّهم أجروا تجربة ناجحة لإطلاق صاروخ داخل الأراضي الأفغانية لمسافة ٧٥٠ كلم، يعني دخلوا في مجال الأسلحة الاستراتيجيّة، فـ ٧٥٠ كلم يمكن أن تصل لجدّة وللهند وتصل لأعماق إيران.

الشاهد في الموضوع أن السلاح موجود، والإمارة موجودة، والشوكة موجودة، والحدود موجودة، والموارد المالية موجودة؛ فالبلد من أغنى دول العالم، سطحها زراعية وباطنها مناجم، وسأذكر التفاصيل عندما نتحدث عن أفغانستان.

فمثلما يقول المثل عندنا في الشام: "عصفور في اليد ولا فروج في الشجرة"، وفي مصر يقولون: "ولا عشرة على الشجرة"، يعني الشيء الذي في متناول يدك ليس كالشيء الذي في الأحلام، يعني نحن نقول ماذا يمكن أن نحقق في مصر، وماذا يمكن أن نحقق في الجزائر؟ ولكن هذا أمسكناه.

فهذا هو جهد الأمة وحصيلة الصحوة بعد سبعين سنة دعوة وأربعين سنة من حمل السلاح وعشرين سنة قتالًا، فكل هذا الجهد حتى حصّلنا هذه القطعة، فأول هدف عندنا هو الحفاظ على هذا المنطلق، ومن هنا شرعيّة المعركة.

وطبعًا لن أفصّل في أفغانستان لأنّنا سنُفرد لها محاضرة، ولكن الذي أقوله الآن من حيث الجبهات؛ أول جبهة متوفّر فيها كل مقومات المقاومة والتّماس مع النظام الدولي هي أفغانستان، ويجب أن تقرأوا بحث (أفغانستان والطالبان

ومعركة الإسلام اليوم). فالاتحاد السوفييتي عندما زال ترك لنا مسعود قرب كابول في ولايتين شمال أفغانستان، فالذي يقاتلنا اليوم مع مسعود هو النظام الدولي، وهذا أمر إثباته سهل جدًا.

حتى عندما ناقشت إخواننا الذين لا يرون شرعيّة القتال، قال لي أحدهم: "أنا لا أرى شرعيّة القتال للخلل الذي عند الطالبان، أمّا الطرف الآخر فليس عندنا شكّ أنّهم مرتدون يحالفهم يهود وصليبيون وشيوعيون وشيعة".

ونحن شرحنا النظام الدولي من قابيل إلى كلينتون، وبيّنا كيف حلّ محلّ الاتّحاد السوفييتي، النظام الدولي سيطر على هذه المنطقة، وأخذ مناجم اليورانيوم من طاجيكستان، ومناجم الذهب من أوزبكستان، ومناجم البترول والغاز من تركمانستان، ويريد أن يمدّد أنابيب البترول والغاز عبر أفغانستان إلى كراتشي إلى البحر حتى يتجاوزوا إيران، والمنطقة معقّدة استراتيجيًا جدًا، ومصالح الأرض كلها هنا.

بالإضافة إلى ٢٤٠ ألف يهودي مقيمون في تركمانستان وأوزبكستان وطاجكستان، وهم مذهب من اليهودية ينتظرون أن يُبعث آخر ملوك بني إسرائيل فهيم علنًا، هكذا قالوا علنًا وأنا سمعتها في التلفزيون البريطاني.

فاليهود كلّهم يهاجرون إلى فلسطين إلّا بطن من أسباط اليهود يسكن وسط آسيا وينتظر أن يُبعث فيهم آخر ملوك بني إسرائيل، فهؤلاء يحرّمون الهجرة إلى فلسطين.

ففي الخطّ المقابل هناك اليهود و(حلف الناتو) والشيوعيون والشيعة، والشيعة ينتظرون أن يخرج المهدي من السِّرداب، فعندما يخرج المسيح الدجّال سيعتبره الشيعة مهديَّهم المنتظر، وسيعتبره اليهود ملكهم، ويعتبره النصارى مسيحهم، وهو شخص واحد.

وفي الفصل القادم (الفصل التاسع) سنذكر ارتباط هذا بالبشائر وأحاديث الملاحم، فنحن ذكرنا هذا عسكريًا وسنُثبته عبر أحاديث آخر الزمن.

فالشاهد في الموضوع أن الله اختار لنا أفغانستان، فوجدنا أنفسنا في خراسان طوعًا وكرهًا؛ وذلك في آخر الزمان مع مؤشرات المهدي، والآن في العراق بدأ الفرات ينحسر على جبل من الذهب، وبدأ الناس يستعدّون للقتال عليه.

الآن في هذا الوقت نحن في أفغانستان؛ سلاحنا معنا وحلفاؤنا معنا ومعسكراتنا موجودة، لدرجة أنّ واحدًا مثلي حبس هذا الكلام ستّة سنوات حتى وجدنا هذا الظرف فاستطعنا أن نتكلم به. ولولا هذا الظرف ما استطعنا –لا أنا ولا غيري– أن نقول هذا الكلام، وإلّا أين كنّا سَنُسجّلُه؛ هل سنسجّله في لندن أو نسجّله في السعودية!؟

حدَّثني الأخ أنّ عالمًا من علماء السعودية تكلّم فقط عن ملاحم آخر الزمان وذكر بعض الأمور عن اقتتال الناس حول الحرم فظلّوا يضربوه –حتى أنسوه الحديث والسَّند– ثم أعادوه لبيته!.

وهو لم يدعُ لشيء، فقط قال هناك حديث للرسول ﷺ بهذا المعنى، فما بالك بمن سيتكلم عن الجهاد والإرهاب والجبهات وكيف وأين نضرب؟! فهذا الكلام لا يمكن أن نقوله إلّا هنا.

مساحة أفغانستان ٦٥٠ ألف كيلومتر مربع، بينما مساحة الأردن ٤٧ ألف كلم مربع[٣٩٠]، يعني بحجم ننجرهار وبحجم جلال آباد، ومساحة لبنان ١٠ آلاف كلم مربع، يعني مثل مساحة معسكرنا.

وعدد سكان أفغانستان ١٦ مليونًا، والموارد والسلاح فيها، بالإضافة إلى رؤوس (المتطرّفين) في العالم، كلهم جاؤوا واجتمعوا فيها، ومتى؟ على مشارف خروج المهدي والدجال، وأين؟ قرب خراسان.

وفي الأحاديث: (تخرج الرايات السود من أكناف طالقان)[٣٩١]، وطالقان في تخار، وهذه تخار في شمال أفغانستان هنا على الخريطة.

ولنتأمل هذه الخريط قليلًا؛ هذه حدود طاجكستان مع أفغانستان، وهذه الحدود مع أوزبكستان، وهذه مدينة ترمذ قرب أفغانستان، وهذه المناطق هي مناطق جبليّة ذات جبال ضخمة، جبال (مداخل بدخشان) ارتفاعها ٧٦٤٩ م، يعني ٨ كلم معلقة في الهواء، فهذه حيطان وليست جبال!، معسكرنا هذا ارتفاعه ألفين متر فوق سطح البحر ونعتبر أنفسنا في السهول!.

فهي مناطق حصينة يتوفّر فيها السلاح وكذا، فهذه هي معطيات أفغانستان.

---

[٣٩٠] أو بالتحديد: ٨٩,٢١٣ كيلو متر٢.

[٣٩١] لم أجده بهذا اللفظ، وأخرج ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (١/٢٥٧) عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ أنّه قال: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حولها وعلى أبواب أنطاكية وما حولها وعلى أبواب دمشق وما حولها وعلى أبواب الطالقان وما حولها؛ ظاهرين على الحق لا يبالون من خذلهم ولا من نصرهم حتى يخرج الله كبره من الطالقان فيحيي به دينه كما أميت من قبل). قال ابن عساكر: "هذا إسناد غريب وألفاظ غريبة جدًّا".

والآن لنأتي إلى طاجيكستان، هنا تمر جبال الهندكوش والهمالايا، وارتفاعها ثمانية آلاف كيلومتر، تصل إلى هنا وارتفاعها سبعة آلاف كيلومتر فوق سطح البحر، وأعلى نقطة في هذه المنطقة هي هضبة بامير في بادخشان، والتي يسمّيها الاستراتيجيّون والجغرافيون (سقف العالم)، ارتفاعها ٧٦٠٠ وكذا متر، وهي مأهولة وفيها معابر أساسية.

عدد سكان طاجكستان: ٤,٥ مليون نسمة، وعدد سكان أوزبكستان: ٢٥ مليون نسمة، وعدد سكان تركمانستان: ١٨ مليون نسمة، وعدد سكان وكازاخستان فيها ١٧,٥مليون نسمة[٣٩٢].

وبمجموعهم مع الأفغان يشكّلون سبعين ميلون نسمة، فإذا أضفت إليهم مسلمي تركستان الشرقية وهم ٢٥ مليون مسلم، وأضفت لهم مسلمي الصين ١٢٠ مليون مسلم، ومسلمي الباكستان ١٢٠ مليون مسلم، والبنجلاديش ٧٠ مليون مسلم، مسلمي الهند ٩٠ مليون مسلم، والاتحاد السوفييتي فيه ١٢٠ مليون مسلم؛ تجد أنّ هذه المنطقة فيها ثلثيّ العالم الإسلامي من حيث عدد البشر.

وإذا أخذت منطقة آسيا الوسطى فقط والتي هي ساحة العمليات المُقبلة بالنسبة لنا؛ فمساحة آسيا الوسطة بهذه الدول الخمسة هي ٨ مليون كيلومتر[٣٩٣] مربَّع، بينما مساحة أوروبا كلها ١٤ مليون كلم^{٢} تقريبًا، ومساحة العالم العربي كله بما فيه الدول الكبيرة كالسعودية والجزائر والسودان ١٤ مليون كلم^{٢}.

وإذا كان الاتحاد السوفييتي قد ترك لنا ٥٠ ألف آليّة و٣٠ مليون قطعة كلاشنكوف في أفغانستان؛ فقد ترك ببساطة في تركمانستان وطاجكستان وأوزبكستان مفاعلات نوويّة، ومعامل ومصانع وآليّات ودبَّابات، وترك شعوبًا ثائرة تريد أن تتحرَّك، فهي ساحة عمليات من أروع ما يكون، لكن ما زال هناك من أصحابنا من يريد أن يثور في قلعة لبنان أو في الأردن!.

وطبعًا قضية الصراع أوضح ما يكون؛ أناس أُبعدت عن دينها سبعين سنة فتريد أن ترجع للإسلام، ومستعمرات تريد أن تتحرّر، وأناس جائعة تريد أن تأكل، ومظلومة تريد أن تتحرّر. فكل قضايا الصراع موجودة هنا.

---

[٣٩٢] **ذكر الشيخ أبو مصعب في كتابه (المسلمون في وسط آسيا..) أن توزيع السكان كالتالي: قرغيزستان ٤,٦ مليونًا، أوزبكستان:٢٥ مليونًا، كازاخستان ١٧ مليونًا، تركمانستان ٤ مليون، طاجكستان ٥ مليون، تركمانستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني: ٢٥ مليونًا. فمجموعهم حوالي سبعين مليون نسمة.**

[٣٩٣] **يقول الشيخ أبو مصعب في كتابه (المسلمون في وسط آسيا..): " البلاد الخمسة أوزبكستان، طاجيكستان، تركمانتسان، قزغيزستان، كازخستان والتي تسمى بمجموعها بلاد التركستان الغربية. ومساحتها الإجمالية ٤,١٠٦,٠٠٠ مليون كم٢. "اهـ.**

فبناءً على شروط نجاح الجبهات التي ذكرناها؛ الشروط الجغرافية، والشروط السكّانية، وقضية صراع، نقول: أوّل الجبهات أفغانستان. **وثاني الجبهات وسط آسيا والقفقاس**، وأضفت لها القفقاس لأن بحر قزوين هو فقط ما يفصل منطقة وسط آسيا الوسطى عن منطقة القفقاس.

فهذه أفغانستان وطاجكستان وأوزبكستان وقرغيزستان وتركمانستان وأوزبكستان وكازخستان، وهذا بحر قزوين، وهذه داغستان والشيشان وجورجيا، ثم هذه تركيا، ثم بلاد الشام، وأظن أنّ هذا هو مسار الرَّايات السُّود حتى تصل لبلاد الشام -والله أعلم-، وإذا كان هناك حديث أنّها تمرّ بالعراق فهذا يعني أنّها ستمرّ من إيران.

وهناك مسألة مهمّة حول إيران لا نعلمها، فالآن الجهل هو سيّد الموقف، إيران مقسَّمة إلى ولايات؛ ولايات خراسان فيها ٣ ملايين سنّي، ولاية بلوشستان فيها مليون سنّي، ولاية عربستان (الأحواز) فيها مليون سنّي، وولاية كردستان فيها ٦ مليون كردي؛ فحدود إيران كلّها مناطق سنيّة، فالسنّة ٤٥% من السكّان، والشيعة محصورون في الوسط.

وخراسان تمتدّ إلى أفغانستان، فهذه خرسان الإيرانيَّة وهذه خراسان أفغانستان، فيمكن أن تعبُر عبر مواقع السنة حتى تصل إلى العراق ولا تدخل في أراضي الشيعة.

فهذه المعلومات التي تسمّى (الجيوبوليتيك)؛ يعني الجغرافية السياسية، والمعلومات التي يسمّونها (الديموغرافيك) وهي المعلومات السكانيّة وإحصائيات الجغرافية الاقتصاديّة؛ كل هذه المعلومات ليس لها علاقة بـ (ضعّفه فلان وصحّحه فلان)، تلك أمور من الدين ضرورية بل هي أساس الدين، ولكن الدين أمرنا باستكمال هذه العلوم حتى نستطيع أن نعمل، في حين تركناها نحن للعلمانيّين وقلنا هذه علوم علمانية!.

حتى كنت أدرِّس هذه الأمور في لندن فيقول لهم (شيخ الإسلام): "أبو مصعب متضلِّع في علوم سبيل المجرمين"!، يقصد علوم حروب العصابات وعلوم السياسية، يعتبرها علوم سبيل المجرمين، وعلوم سبيل المؤمنين عنده أن الرجل قتل أمه!. وهذا جهل، فإذا كنت لا تعرف ماذا يجري في الدنيا والاحصائيّات والسياسة والواقع فكيف سترتبط الدين بالسياسة والحركة والعسكريّة؟

الشاهد نرجع إلى وسط آسيا، فوسط آسيا فيها كل ما يلزمنا للقتال إلى قيام الساعة.

والخلاصة يا شباب أقول: الجبهات هي: أولًا أفغانستان، ثم وسط آسيا والقفقاس، **وثالثًا**: **اليمن**، وسأتكلم عن اليمن في بحث مُفْرَد.

اليمن فيها ٢٥ مليونًا من أصل ٣٥ مليونًا هم سكان الجزيرة العربية، وفي اليمن حسب إحصائيات الحكومة هناك ٧٠ مليون قطعة سلاح مرخّصة، وفيها أربعة آلاف كيلومتر على البحار، وأربعة آلاف كيلومتر من الحدود المفتوحة مع صحراء الربع الخالي، وتنتهي حدود اليمن على بعد ١٠٠ كيلومتر من مكّة، فمناطق جازان ونجران هي من اليمن.

وهذه المنطقة سنفصّل فيها لأنّها ذات ثقل، فهناك جبهة قائمة أصلًا ومعطياتها موجودة.

الجبهة الرابعة المغرب الأقصى وشمال إفريقيا: في مواجهة الصليبيين الموجودين على الطرف الآخر من البحر، فيها جبال وسلاح وبشر وسكّان ومعطيات وقضية صراع؛ كل هذا موجود، وسنفرد لها محاضرة -إن شاء الله-.

الجبهة الخامسة: **بلاد الشام وكردستان**: وأنا لا أقسّم على حدود سايكس-بيكو، فتركيا مقسَّمة بين كردستان والأناضول، لأن الأناضول ملحقة بالقفقاس ومُلحقة بأذربيجان.

قال الرسول ﷺ: (بلاد الشام من الفرات إلى العريش..)[٣٩٤]، فهي تشمل سوريا ولبنان والأردن وفلسطين وصحراء سيناء، فهي كإقليم كامل فيها مقومات جبهة ناجحة، فهناك جبال في شمال الأردن وفي كردستان وفي لبنان وفي غرب سوريا، وفيها بشر فأهل السنة في الشام ٣٢ مليونًا سوى الأكراد.

ثم الجبهة السادسة: **البلقان**؛ والقضية المفتوحة لمسلمي البلقان في البوسنة وكوسوفو.

ثم الأناضول وأذربيجان وهذه المناطق.

فعلينا أن نُقسّم العالم الإسلامي وننظر أين يمكن أن نتمركز في جبهات، وأين يمكن أن نجرّ الخصم إلى جبهات. ولكن لو تلاحظ أغلب المناطق لا يمكن أن تكون جبهات؛ فهذه الساحة الفارغة هي ساحة إرهاب فردي، -وإن شاء الله غدًا نكمل تفاصيل هذه القضية-.

***

[٣٩٤] أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/١٤٤) وابن أبي الهول في (فضائل الشام ودمشق) (١٤): عن كعب الأحبار: (إن الله تبارك وتعالى بارك في الشام من الفرات إلى العريش).

إذًا أوّل الجبهات هي أفغانستان؛ وذكرنا لماذا أفغانستان واختصرنا لأننا سنفرد لها بحثًا لوحدها. وثانيًا وسط آسيا، وذكرنا مواصفاتها في المساحة وفي السكان وفي الماء والغذاء والسلاح ومخلّفات الاتحاد السوفييتي، وقلنا أن كل هذه المواصفات توفّر ما يلزم ويكفي للقتال حتى خروج المهدي.

والسّاحة الثالثة هي اليمن والجزيرة؛ حسب اصطلاح الفقهاء فجزيرة العرب هي من البحر إلى البحر، ومن جوف الشام إلى بحر عدن، معظم المراجع الفقهيّة تعرّفها هكذا، ومنهم من يقول من نجد العراق إلى بحر جدّة، ومن بحر عدن إلى بلاد الشام.

فجزيرة العرب بالمصطلح الشرعي ما سُمّي اليوم سياسيًا: السعودية واليمن، وعمان ودول الخليج، وهذه المنطقة معروف وضعها ولها بحث –وإن شاء الله– نقف معها وقفة طويلة؛ تسمّى جزيرة العرب، قال فيها الرسول ﷺ: (أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ)[٣٩٥]، وفي الحديث: (لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا)[٣٩٦].

وهناك عدة أحاديث صحيحة تفيد إخراجهم من جزيرة العرب، وقلنا أن المعروف عند العلماء قولهم: حتى يبقى لأهل هذا الدين دينهم ولا يشاركهم في فيها أحد ولا يشوّش عليهم.

ووجدت بالاستقراء أن هناك حِكمًا كثيرة من جعل جزيرة العرب خاصّة بالمسلمين؛ منها أنّ فيها بيت مال المسلمين ببركة دعاء سيدنا إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– في الآيات، وفيها أموالهم وحصيلتهم إلى يوم القيامة.

وعندما نأتي لنقوم بإحصاءات عن النفط والغاز سيتبيّن أن هذا من أحد وجوه الحكمة؛ أن تكون لأهل هذا الدين ولا يشاركهم فيها أحد، ولكن الذي حصل أنّ اليهود والنصارى أخذوها واستولوا عليها منذ عام ١٩٠٠م عندما اختاروا عبد العزيز، ومنذ عام ١٩٣٥م عندما أعلنوا عبد العزيز سلطانًا على نجد والحجاز بكفالة التاج البريطاني، ثم كفلت هذا أمريكا بعدما ورثت أمريكا بريطانيا.

---

[٣٩٥] صحيح البخاري (٣٠٣٥)، صحيح مسلم (١٦٣٧).

[٣٩٦] صحيح مسلم (١٧٦٧).

فأصبح احتلال اليهود النصارى احتلالًا مُسْتخفيًا من ١٩٣٥م وحتى ١٩٩٠م. ثم في سنة ١٩٩٠م خرج هذا الاحتلال إلى العلن للأسباب التي ذكرناها عند استعراضنا للتاريخ، وأصبحت القوات موجودة علنًا وأصبح الكفر علنيًا وأصبح المشائخ يُعتقلون ويُفرج عنهم بأوامر من الأمريكان واليهود.

وطبعًا نحن نبحث في خريطة العالم عن الأماكن التي يمكن أن نقاوم فيها ونتمركز فيها، نلاحظ أن جزيرة العرب كلها مسطَّحة باستثناء منطقة اليمن فهي من حيث المساحة شاسعة جدًا، وفيها سلاسل جبليَّة كبيرة، وتكفي تمامًا من حيث المياه ومن حيث الغذاء ومن حيث الإمكانيات حتى تكون منطقة استراتيجيّة يمكن أن نتحصَّن فيها.

وجبال اليمن تمتد حتى تتَّصل بسلسلة جبال الطَّائف، ومناطق جيزان ونجران هي أصلًا من اليمن بالتَّعريف الشَّرعي والجغرافي، فاليمن هي كل هذه المنطقة.

أما من ناحية المساحة المأهولة فهي ثلثيّ المساحة المأهولة في الجزيرة، أما من ناحية السكان ففيها ٧٧% من سكان الجزيرة فهم ٢٥ مليون نسمة. وهذا بالمختصر وأنا عندي بحث عن اليمن سأنشره قريبًا، بقي لي فيه صفحتان أو ثلاثة وأنتهي منه.

إذا جئت لتعمل جدولًا للمقارنة بين دول الجزيرة العربية من حيث المساحة والسكان والموارد.. إلخ؛ ولا تحضرني الإحصائيات الآن، عدد السكان في اليمن ٢٥ مليون، وفي (السعودية) ٧ ملايين، وفي عمان ١,٨ مليون نسمة، وفي الإمارات ١٥٠ ألف نسمة مع أنها كبيرة في المساحة نسبيًا، والكويت فيها ٦٠٠ ألف، وقطر ٥٠٠ ألف، والبحرين عدد قليل.

وفي الإمارات مثلًا مقابل ١٥٠ ألف مسلم إماراتي سنّي هناك ٨٥٠ ألف هندوسي مقيمون من ٤٥ سنة، والآن لو يُطبَّق قانون التَّجنيس البريطاني يتحوَّلون إلى مواطنين. فالوضع الجغرافي والسياسي والبشري للجزيرة مُرعب.

بينما عندما تنظر في الموارد تجد أنّ (السعوديّة) تكسب فقط من البترول نصف مليار =يعني ٥٠٠ مليون دولار في اليوم، ومجوع باقي الدول تُدخل ٥٠٠ مليون دولار في اليوم أي نصف مليار دولار آخر.

ونأتي لموارد اليمن، سكان اليمن ٢٥ مليونًا، وباقي سكان الجزيرة ٩ مليون نسمة، يعني هم ٧٧% من السكان ولكن من حيث الموارد ليس لهم أي شيء.

ومن حيث التَّسليح وطبيعة الأرض تجد أن اليمن ٨٠% من أراضيها هي جبال حصينة غير قابلة للحصار وفيها غذاء، بينما باقي الجزيرة بالإجمال كلها مسطَّحة صحراويّة. ونأتي للسلاح فنجد أن فيها ٧٠ مليون قطعة سلاح، وفي الشهر الماضي سنُّوا قانونًا لنزع السلاح، فلسنا نحن فقط من نفكّر بطريقة صحيحة بل النظام الدولي أيضًا يفكّر بطريقة صحيحة، ولكن نحن نفكّر بطريقة صحيحة ونتعب مع إخواننا حتى نُقنعهم بالصواب، فيقولون لنا: "هذه أفكار هدّامة، وممنوع أن تدخلوا المعسكرات لتشرحوا هذا الكلام"!.

النظام الدولي عندما يكتشف هذه المعلومات يبني عليها قرارات، ومن هذه القرارات الآن نزع سلاح اليمن بصورة مُبكّرة، وقالت الدولة في إذاعة لندن علنًا أنّ عندها إخطارًا بخمسين مليون، يعني الدولة تعترف بخمسين مليون قطعة سلاح، وسابقًا في سنة ١٩٩٠م اعترفت بـ٧٠ مليون قطعة سلاح، فالسِّلاح موجود والذخيرة موجودة والمدافع والدبابات.

الأمر الآخر عندنا أربعة آلاف كيلومتر من السواحل مع البحار، وعندنا جبال في عمق اليمن تمتد للربع الخالي، والمهرّبون نشطون هناك أصلًا، ويتحرّكون من اليمن إلى عُمان وقطر، هذا كله مفتوح.

أما القضيّة؛ فهناك قضيّة من أحسن القضايا في اليمن، فلا نحتاج أن نخترع قضيّة؛ فهناك قضايا من الدين وقضايا من الدنيا.

ولذلك قلت لهم: مساكين هؤلاء الذي يريدون أن يجاهدوا في اليمن فيُنادون بشعارات (المرتدين والحاكمية) ثم يذهب ليقاتل جيش علي عبد الله صالح الذي أغلبه مكوّن من القبائل، فيجعل القبائل كلها مع الجيش وعشرين مجاهدًا مع الأخ في الجبل، فيُحاصَرون وينتهي الموضوع كما انتهى في سوريا وكما انتهى في مصر، بينما مفتاح القضيّة عنده الآن مثل الذهب.

الرسول ﷺ قال: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)؛ وجزيرة العرب هي مبدأيًا اليمن، لأنّها من حيث المساحة هي نصف المساحة المأهولة، ومن حيث السكان هم أغلب سكان الجزيرة.

فعندما تقول: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)، فهذا نداء لكل أهل الإسلام، فإذا أردنا أن نخصّ فنخصّ المذكورين في الحديث، وهم أهل جزيرة العرب.

العلماء قالوا: "إذا نزل العدو في بلد أو في مصر من الأمصار فُرض عليهم الجهاد فإذا لم يستطيع فعلى من بعدهم ثم من بعدهم". و(مصر من الأمصار) لا يُقصد به حدود سايكس-بيكو، بل ما تعارف الناس على أنّه إقليم، يعني بلاد الشام مصر من الأمصار، جزيرة العرب مصر من الأمصار، وادي النيل مصر من الأمصار، شمال إفريقيا مصر من الأمصار، وسط آسيا مصر من الأمصار، وليس البلد الصغير.

فإذا نزل العدو في الجزيرة فعلى أهل الجزيرة أن يُخرجوه، فمن هم أهل الجزيرة؟ هل هم ٢٥ مليونًا أو ٩ ملايين أو ١٥٠ ألف؟ أو هم أهل مكة والحجاز؟

إذا أردنا أن نأخذ التقسيم الشرعي؛ فقد قال العلماء أنّ على أهل البلد دفع الصائل، فإن عجزوا أو تكاسلوا فعلى الذين يلیهم، فمن الذي يلي مكّة؟ أهل اليمن أو أهل نجد؟ بل أهل اليمن فهم جيران الحرم.

أهل اليمن الذين قال فيهم الرسول ﷺ: (الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ)[٣٩٧]. وليس أولئك الذي قالوا له: "ادعُ لنا"، فقال لهم ﷺ: (عندكم يخرج قرن الشيطان)[٣٩٨].

فمن الذي سيحرّر الحرم؟ أهل (قرن الشيطان) أم أهل الإيمان والحكمة اليمنيّة؟ أم أهل الشام الذين انتدب إليهم الرسول ﷺ الجهاد، وأهل الشام أقرب للمدينة من أهل نجد.

أم سيحرّر الحرم أهل مصر الذي قال فيهم عمرو بن العاص عن الرسول ﷺ: (إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندًا كثيفًا؛ فذلك الجند خير أجناد الأرض)[٣٩٩]، أو أهل خراسان الذين أقاموا الآن دار إسلام فعليهم حماية الحرم؟

فهذه المعايير الشرعية هي التي نتحدَّث بها وليست معايير سايكس-بيكو، ونضرب لكم مثالًا، فالأمثال توضح القضية، لو أن رجلًا عنده ثلاثة أولاد، الولد الأول عنده اثنا عشر ولدًا وهم مسلّحون وأقوياء، وولده الثاني مكرّش

---

[٣٩٧] صحيح البخاري (٤٣٨٨)، صحيح مسلم (٥٢).

[٣٩٨] يشير الشيخ إلى ما أخرجه البخاري (١٠٣٧) عن ابن عمر -رضي الله عنه- أن الرسول ﷺ قال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «هُنَاكَ الزَّلاَزِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

وقد فسّر العلماء نجد في الحديث بنجد العراق، وليس نجد الجزيرة كما يشير الشيخ أبو مصعب السوري هنا، يقول ابن حجر في (فتح الباري) ٤٦/١٣: "قَالَ الْخَطَّابِيُّ نَجْدٌ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ وَمَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ كَانَ نَجْدُهُ بَادِيَةَ الْعِرَاقِ وَنَوَاحِيهَا وَهِيَ مَشْرِقُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَأَصْلُ النَّجْدِ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ، وَهُوَ خِلَافُ الْغَوْرِ فَإِنَّهُ مَا انْخَفَضَ مِنْهَا، وَتِهَامَةُ كُلُّهَا مِنَ الْغَوْرِ وَمَكَّةُ مِنْ تِهَامَةَ انْتَهَى. وَعُرِفَ بِهَذَا وهاء مَا قَالَهُ الدَّاوُدِيُّ إِنَّ نَجْدًا مِنْ نَاحِيَةِ الْعِرَاقِ؛ فَإِنَّهُ تَوَهَّمَ أَنَّ نَجْدًا مَوْضِعٌ مَخْصُوصٌ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ ارْتَفَعَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَلِيهِ يُسَمَّى الْمُرْتَفِعُ نَجْدًا وَالْمُنْخَفِضُ غَوْرًا." اهـ.

[٣٩٩] انظر تاريخ ابن عساكر ١٦٣/٤٦.

وعنده ولدان، وعنده ولد ثالث مشلول، وعنده ولد ساكن في الجبل، وعنده ولد ساكن في السهل. فإذا قال: "أنجدوني"، كل واحد سينجده حسب ما تيسّر له.

إذا أردنا أن نتأدب ونحسن الكلام لأنّ هناك (مسجّلة) نقول: هؤلاء الناس –أهل السعودية وأهل عمان وأهل قطر– يسكنون أرضًا مسطّحة، وغير مسلحين، وليست عندهم إمكانيات ولا شكيمة عسكرية ولا سلاح ولا حدود، فلو أرادوا هم عاجزون، وهم لم يُريدوا لأنّ هناك ثلاثة أجيال عاشت على طفرة النفط، ولن أتكلم لك عن خصائص هذه الفئة فهي معروفة..

بينما أهل اليمن هم ٧٧% من السكان ومسلّحون، وجبال وقبائل وبحار وتلال، فمن هم أهل (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)؟ هم أهل اليمن.

واليمن فيها أحاديث، منها ما روي عنه ﷺ: (يَخْرُجُ مِنْ عَدَنِ أَبْيَنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، يَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ، هُمْ خَيْرُ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ)[٤٠٠].

وفي الحديث أنّهم أثبت عند اللقاء[٤٠١]، وهذا معروف، صحيح أنّهم لا يعرفون كثيرًا في قضايا التنظيمات وهذه الأمور ولكن كانوا في أفغانستان من أثبت الناس في القتال، فهناك جنسيات اشتُهرت بالثبات في القتال، مثل الجزائريين واليمنيين، ثم تجد نوادر من جنسيات أخرى، ولكن هناك خاصّة تعمّ الجنس.

الرسول ﷺ يقول في حديث آخر: (إِنِّي أَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَنِ مِنْ هَهُنَا)، يقصد اليمن[٤٠٢]، قال الدكتور فضل: "لعلّ معنى هذا أنّ الله ينفّس عن المسلمين كرباتهم من جهة اليمن".

فهناك أحاديث كثيرة تشير إلى أنّ على هؤلاء الناس أن يعملوا، فعليهم واجب تحرير الحرمين لأنهم جيران الحرم، ولأنهم من أهل الجزيرة، وهم أهل السلاح وكذا.

فيجب أن نُحرّكهم، ولكن هل نحرّكهم ضدّ علي عبد الله صالح؟ فتخسر القبائل، بل نُحرّضهم على تحرير الحرم، فلو قالوا: "نحن في الجبل نعدّ ونقوم بالمعسكرات حتى نحرّر الحرم"، فلأنّ بغض (السعودية) متجذّر عند الشعب اليمني

---

[٤٠٠] مسند الإمام أحمد (٣٠٧٩).

[٤٠١] لم أجده.

[٤٠٢] معجم الطبراني الكبير (٦٣٥٨). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

وعند الجيش اليمني وعند القبائل اليمنية؛ فلن يجد الجيش اليمني مبرّرًا أمام القبائل لكي يتدخّل، لأن الناس تقول: "ليس بيننا وبينكم مشكلة، مشكلتنا مع الأمريكان والسعودية، فنحن نُعدّ للأمريكان والسعودية، ونحن نعدّ من أجل تحرير الحرم"، فتكون كسبت قضية دينية تحشد عليها أهل اليمن ومن ورائهم أهل الإسلام.

الأمر الآخر: لو نظرت في الاقتصاد؛ فأهل اليمن جزء كبير منهم لا يجد ما يأكله وينزل للمزابل لكي يبحث عن طعام، والملك فهد أعفى مليون عامل يمني من العمل بسبب حرب الخليج، فرجع مليون عامل عاطل عن العمل، كل شخص منهم يعتمد عليه للإعالة ويستفيد من وجوده في الخارج عشرة أشخاص على الأقل من أبيه وأمه وإخوانه وأبنائه وزوجته.

وعشرة أشخاص × مليون = عشرة ملايين شخص، يعني نصف أهل اليمن تضرّروا بهذا القرار على الأقل، ناهيك عمّا تضرّر من الدخل القومي والمرافق والمنشآت وهذه القضايا.

فلو تقول لهم: "يا جماعة هذا البترول لكم فيه حقّ"، وأنا هكذا فعلت في بحث اليمن؛ قُمت بإحصائية ودراسة مالية، فقلنا: مليار دولار في اليوم نقسّمها على مليار مسلم، يعني كل مسلم عنده دولار في اليوم، يعني في الشهر ثلاثين دولارًا، وهذا فقط من البترول دون أن نأخذ الغاز والمضائق والممرات والذهب وغيرها من الثروات.

يعني أسرة من خمسة أشخاص يخرج لهم في الشهر ١٥٠ دولارًا، تكفيهم ليعيشوا من دون أن يعملوا أصلًا، هذا لو وُزِّع المال على كلّ أهل الإسلام.

*[٤٠٣] هذا المال لكل أهل الإسلام عمومًا، ولأهل الجزيرة خصوصًا وهم ٧٧% من أهل اليمن.

لو تقسم ألف مليون دولار على ٣٥ مليون شخص من أهل اليمن، لحصل كل فرد في اليوم الواحد على ٣٠ دولارًا، يعني في الشهر ٩٠٠ دولار، يعني أسرة من خمسة أشخاص تحصل على ٤٥٠٠ دولار في الشهر من نصيبها من البترول.

إذًا السؤال لماذا يوجد متسوّلون في اليمن ولماذا يقتاتون من المزابل؟! الجواب لأن هذا المتسوّل لم يأخذ رزقه تحت ظل رمحه.

---

[٤٠٣] بداية تفريغ الملف الخامس والثلاثين.

مفتاح القضية في اليمن أن تقول لأهل اليمن: هذا معسكر وهذه ساحة عمليات، رزقكم منتشر ما بين: (جدة، الرياض، تبوك، دبي)، وهذه هي السيارات وهذا السلاح: اذهبوا وأتوا برزقكم.

أموال الحكومات، أموال الشركات، أموال الأمراء، أموال اليهود والنصارى؛ شركة أرامكو فيها ٤٠,٠٠٠ موظف حول جدة فقط، عندهم مبانٍ سكنية وسيارات لا يعلم بها إلا الله، بإمكانك أن تأخذ عددًا من هؤلاء العمال أو أميرًا من هؤلاء الأمراء الذين هم بالأصل مرتدّون كفرة، حلال الدم والمال، وتطلب مقابلهم مبلغًا من المال أو تأخذ منهم المال، أفضل من أن تقتات من المزابل.

هذا مفتاح قضية تُقنع فيه من يريد أن يجاهد في أرضه، أفضل من ذهابه من اليمن للجهاد في أفغانستان، والجهاد موجود في أرضه، فتسأله ما الذي جاء بك إلى هنا؟ يقول لك: نريد أموالًا لنجاهد ولنتدرّب، عندك سبعين مليون قطعة سلاح وجئت لتتدرَّب في أفغانستان؟!؛ فاليمن فيها كل مقومات الجهاد من مال وسلاح وتضاريس.

ألا تستطيع أن تركب قارب صيد وتحمل معك بعض السلاح وتسطو على إحدى السفن التجارية التي تمر عبر مضيق باب المندب وتأخذ منها مائة ألف دولار؟! ألا تستطيع أن تضع قاربًا فيه بعض المتفجرات وتنسف فيه ناقلة نفط أمريكية تُغلق فيه هذا المضيق، وتهدد الناقلات اليابانية أن يدفعوا لك المال أو تضربهم، فيدفعوا لك؟!

وهذه التفاصيل سأذكرها في نظرية التمويل، لنقلب عقل الشباب في التمويل فيتحوَّل المتسوّل ليعيش في ظل رمحه، والظل فيه برودة وفيه فيء، فهو مرتاح يجلس في الظل ويأتيه الرزق؛ (وجعل رزقي تحت ظل رمحي).

فالشاهد في الموضوع أنَّ هذا مفتاح ديني لتحرير المقدسات الإسلامية، ومفتاح دنيوي أنَّ لك نصيبًا في الأموال والبترول.

ولا تقول: خرجت ضد علي عبد الله صالح فقتلت شرطيًا أو دركيًا، وهذا من قبيلة شبوة وهذا قبيلة فلان وعلِقت مع الناس علقة لا تستطيع أن تخرج منها!. ثم يقول الزنداني ويقول فلان من الناس: هؤلاء يجب أن يطبَّق عليهم حد حرابة، ويقول: خوارج يقتلون أهل القرآن، من أهل القرآن؟ المخابرات!

طيب ماذا سيقول عن الأمريكان في دبي؟! هؤلاء أهل الصليب، فالقضية محلولة.

ويمكن أن تحل المشكلة بأن تعطي لهذا الشيخ "المفتي" بعض المال؛ لأنه يعمل كل هذه المشكلة لأجل بعض المال الذي تعطيه إياه الحكومة، وبعدها انظر كيف سيفتي في صالحك!!

وأنا في قضية العلماء قلت لهم أن هذه القضية لها حلان؛ العلماء المنافقون هؤلاء نافقوا لسببين: إما يريد مالًا من السلطة، أو أنه خائف من الحكومة. فالحل: تقطع عنه المال، ويخاف منا أكثر من الحكومة؛ عند ذلك يتوقَّف عن الفتوى.

وهذا يحصل عندما تملك قلوب الناس حتى تصل لمرحلة إذا قلت عن فلان من الناس أنه حسن فكلهم يصفق له وإذا قلت عنه سيّء فالكل يبْصُق عليه؛ فمن أحبَّ أطاع، عند ذلك فالعلماء سيتحيَّزون ويصبحون على الهامش.

فقضية اليمن مفتاحها فيها.

الآن إذا أنت هدَّدت جدة وهدَّدت دبي هل النظام الدولي سيتفرَّج عليك؟! ماذا سيفعل؟ جسر جوي، والسلاح موجود، ومليون جندي موجود في الجزيرة، قال رسول الله ﷺ: (تنزل الروم جزيرة العرب)[٤٠٤]. عند ذلك ماذا ستقول لأهل الإسلام؟ حرب صليبية! عندها ستصبح المعركة: أمة ضد أمة، فتكون قد ربحت لأنك تكون قد أجبرته ليخرج إلى الساحة.

في جزيرة العرب أنابيب التابلاين تمر من هنا إلى البحر، إلى طرابلس، إلى الأردن، إلى الجولان السوري المحتل باتجاه إسرائيل، زعمت جمعية المقاطعة العربية أن شركات النفط السعودية أوقفوا الضخ عبر هذا الأنبوب لأنه يمر بالأراضي الإسرائيلية، في حين أن أحد الضباط السوريين –وهو موجود هنا– ذكر أنهم كانوا يمشون بالجرافات من أجل عمل مرابض للمدفعية قبل حرب تشرين، فضرب البلدوزر أحد أنابيب النفط في الجولان مما أدى إلى تشكل بحيرة من النفط، وهو من المفترض أن يكون هذا الأنبوب فارغًا كما زعموا!، منذ متى؟ من عام ١٩٦٧ الى ١٩٧٣ وهو يجري في أرض الجولان!!

فقامت هيئة الأركان بجمع هؤلاء الجنود وهدَّدوهم بالمحاكمة العسكرية والإعدام إذا هم أخبروا أحدًا بذلك. ما معنى ذلك ؟! معناه أن إسرائيل تأخذ حصتها من الأنبوب مجانًا من عام ١٩٦٧ إلى١٩٧٣ إلى يومنا هذا.

---

[٤٠٤] لم أجد هذا الحديث، وقد أخرج مسلم في صحيح (٢٨٩٧): (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ..)، والظاهر أن الشيخ وهم بهذا الحديث والله أعلم

فهذه المعلومات يجب على الناس أن تعرفها، فهذه القضية موجودة.

انظر إلى هذه الأنابيب حوالي ٦ آلاف كم أنابيب، فهذا مجال للضرب والإرهاب من أروع ما يكون.

السفن العملاقة وناقلات النفط تحمل الواحدة منها من ٣٠٠ ألف إلى نصف مليون برميل، آخر ناقلة صنعها الأمريكان والسعوديون تحمل مليونيّ برميل في الرحلة الواحدة.

فهذه الناقلة بزورق صيد فيه ٣ طن متفجرات ينسفها ويشكّل بقعة من النفط يُغلق بسببها مضيق باب المندب بالكامل، وهذا نتكلم عنه في الإرهاب. فالإرهاب هو إرهاب الجِد وليس إرهاب المفلسين؛ أن تذهب تقتل بائع بطاطا لأنه مُخبر، وتسميها عملية وتُصدر بيانًا وتنشره في نشرة، ويخرج الناس يقولون: يقتلون المسلمين، من أجل قتل بائع بطاطا!

فالشاهد أن قضية اليمن والجزيرة تعتمد على أهل اليمن، ولا شك أن في أهل الجزيرة علماء وصالحون ومصلحون عليهم أن يلحقوا بالجبل، "يا سارية الجبل"؛ فالجبل بجانبك وليس في أفغانستان أو داغستان.

هل تعلمون لماذا شيخ البنتاغون (ابن عثيمين) يشجّع الجهاد في داغستان أو بورما أو أي جبهة بعيدة عن الجزيرة؟! لماذا تُطلق الفتاوى بهذا الاتجاه؟

حتى تتفرَّغ الطاقة الجهادية في الجزيرة؛ لأنهم يعلمون أن هؤلاء المجاهدين لو لم يذهبوا إلى هناك لجاهدوا في الجزيرة. ومن الممكن أنَّ هذا الشيخ لا يدري حتى نلتمس له عذرًا بسبب جهله، فإذًا لماذا يجعلونه شيخًا؟!

لماذا يخرج المجاهد خارج أرضه ليجاهد وعقر داره محتل؟! ونساء ورجال النصارى فوق أرضهم والكفار في الكعبة وفوق حرم الرسول ﷺ وهو ذاهب يجاهد في آخر الدنيا؟!

فأقول انظر لحال مجاهدي الجزيرة وحديث: (إن الله لا يقبل صدقة من قاطع رحم)[٤٠٥]؛ فلا تُقبل صدقة قاطع رحم لأنه لو كان صادقًا لأوصلها إلى أرحامه. وأنا لا أقول أن الله لا يقبل جهاد هؤلاء، ولكن أقول أن الإنسان عندما يترك ما عليه من مترتِّبات فهذا خطأ، فعليه أن يفهم أنه يجب عليه تحرير بلده أولًا، ويجب دفع الضر عن أهله أصلًا.

---

[٤٠٥] لم أجده بهذا النصّ ولكن في مسند الإمام أحمد (١٠٢٧٢) عن النبي ﷺ: (إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلَا يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ).

لأنه إذا أردنا أن نتحدث عن قضية الجزيرة فهناك عشرات القضايا من التبشير والتنصير والمصائب التي حصلت بنزول قوات الحلفاء؛ ودوري نساء الجيش الأمريكي لكرة القدم في الجزيرة!!

هم ألوية وكل لواء فيه نساء، وهؤلاء النساء لهن فِرق؛ كرة قدم، طائرة، سلة، ويقومون بإجراء مباريات بين هذه الفرق ويصوّرونها عن حياة قوات الحلفاء في الجزيرة، يعني فيلم للعُري بجانب المدينة!، وبجانب الظهران، وغيرها.

ورجال العضلات جالسون يأكلون الهامبرغر ويشجّعون هذه الفرق والنساء يلعبن، وبعد اللعب هناك تشميس، وهذا كله في الجزيرة وبجانب المدينة!!

فعندما تأتي وتشرح كل هذه القضايا وتقول له أن عندك قضية يحتشد الناس عليها، فكل مقومات الجهاد موجودة عندك من جبال وسكّان وسلاح، فما الذي ينقصك حتى تجاهد؟!

ينقصك أن الذي يريد أن يجاهد في الجزيرة يريد أن تكون اليمن هادئة حتى أهل السعودية يذهبوا إليها ليبدّلوا فيها أوراق، والقصة صارت معروفة وكل المخابرات تعرف هذه القضية!

هل أترك القلعة بطولها وعرضها ولا أشتغل فيها من أجل أنه خلال أربع سنوات أتى عشرة سعوديون استشهد نصفهم وأُمسك الباقون؟! هل أُعطِل القلعة كلها من أجل هذه القضية في الجهاد ولأني أريد بيئة هادئة؟!!

حتى المشايخ الكبار في الجزيرة أخطأوا، يحكي لنا الشيخ عيسى أن الشيخ فلان –الله يتقبَّل منه وجزاه الله خيرًا عن الاسلام والمسلمين– أبلى بلاء حسنًا، ولكن الناس تخطئ، قال: أن خير خيار لأهل اليمن هو الديموقراطية ومن يريد أن يحمل السلاح فهو ينحر الصحوة الإسلامية في اليمن!!

فأي عقيدة في هذه الديموقراطية؟ وما هو حكمها؟ وماذا وراؤها؟! وبعد ذلك تقوم بشل يد ٧٠ مليون قطعة سلاح في هذه القضية!.

الجزيرة مفتاحها اليمن فهذه جبهة؛ يعني خط حرب، يعني نحن هنا وهم هناك، يعني أعطني سكود وكروز وخذ عمليات وجبهات. فعندما أنتهي من اليمن سوف أدخل مكة لأني غير ملتزم بحدود سايكس بيكو. فعندما آخذ جدة أكون قد أخذت السواحل لأن جبال تهامة تمتد على طول الساحل وصولًا إلى فلسطين.

ومن هنا من الربع الخالي أخذت السواحل، وسوف تشتبك مع النظام الدولي مُجبرًا وتفتح معه جبهات وفي المكان الذي يناسبك منه جبهة تفتح جبهة، وحيث لا يناسب فتح جبهة تقوم بإرهاب؛ لأن الذي يريد أن يقوم بإرهاب في هذا المكان يستطيع يختبئ في متاهات هذا المكان (الربع الخالي).

أضرب لكم مثالًا بسيطًا عن إمكانيات حرب العصابات: أحدهم اسمه (رَشَاش العتيبي) كان يحمل شهادة وقدَّم على وظيفة فرفضوه، وعندما خرج شاهد أحدهم داخلًا على نفس المكان وأخذ الوظيفة نفسها بإمكانيات أقل. ويبدو أنه قدم على وظائف كثيرة ورأى الفوارق بين الناس يعني هذا سعودي، وهذا عتيبي، وغيره، والعتيبيون مغضوب عليهم من أيّام جهيمان -رحمة الله عليه-.

فذهب إلى محل سيارات وأخذ سيارة تويوتا غصبًا بعد أن قام بكسر بابها، وأخذ بعض السلاح ودخل في متاهات نجد وصار قاطع طريق!

أمضى ثلاث سنوات في قطع الطرق وقتل الشرطة وسلب الأموال، والتحق به بعض الأشخاص ثم شكَّل كتيبة حرب عصابات. فكان عندما يُطارَد من قِبل الشرطة ما أن يخرج عن الطريق العام حتى يختفي في متاهات نجد ولا يستطيع أحد أن يمسك به.

حتى أنه في احد المرات خرج على بعض شرطة السير فسأله الشرطي من أنت؟ فأجابه أنا رشاش! فهرب الشرطي تاركًا السيارة بما فيها من سلاح وغيره، وكل هذا بسبب الشهرة الواسعة التي حصل عليها لكثرة ما فعل بالشرطة. ولم تزل الحكومة تناوشه والجيش والطيران ولم يقدروا عليه. وعندما ضايقوه في الآخر خرج إلى اليمن ولم يستطيعوا النيل منه إلا عن طريق جاسوس من أقاربه، ولا أدري كيف كانت نهايته.

فالشاهد أن هذا الشخص لوحده وهو قاطع طريق عمل كل هذا، وهو لا يقاتل عن عقيدة ولا عن حرمة المقدّسات ولا عن جزيرة العرب. ثم تقول لي أن الجزيرة لا يوجد فيها معطيات، ونريد أن نحررها بالقتال في إفريقيا بأناس ليسوا من السعودية!!

جميل جدًا أننا من أجل قضية الحرم نقتل الأمريكان في كل مكان قريب وبعيد، ولكن ساحة القتال حيث نزل البلاء (أَخرِجوا المشركين من جزيرة العرب)، فساحة القتال هي جزيرة العرب، وهي سوف تتحصَّن في اليمن، فهذه قضية متكاملة لا ينقصها أي شيء.

نكتفي هذا في اليمن لأن لها بحثًا في وقت آخر.

نحن كنا في خراسان؛ خراسان فيها جبهة في أفغانستان؛ جبهة وسط آسيا؛ جبهة ممتدَّة هكذا، جبهة وسط آسيا كلها تصلح لحرب عصابات؛ البلقان فيها جبهة، القرن الإفريقي حصل فيه جبهة وفرَّ الأمريكان.

الآن نأتي إلى شمال أفريقيا؛ شمال أفريقيا فيه سلسلة جبال الأوراس تمتد من حدود تونس إلى هضاب غرب الجزائر، أربع سلاسل جبلية خلف بعض، طولها ١٤٠٠ كم، سماكتها ٤٠٠ كم، لذلك الجزائريون تحصَّنوا فيها في جبهة التحرير وبعدها وإلى الآن.

ثم تمتد جبال الريف التي عمل فيها عبد الكريم الخطابي وقاوم جيوش خمس دول أوربية وانتصر عليها، ثم تبدأ في سلسة جبال أطلس الغربي ثم الأطلس الأوسط، كل المنطقة جبال، وهذه المناطق سكانها ٢٥ مليونًا.

الإحصائيات الغربية لما كنا في أوروبا: أن في الجزائر والمغرب نسبة الأولاد تحت ١٥ سنة تمثّل ٦٥% من السكان، يعني الجيل الشاب القادم القادر على حمل السلاح، بعد سنتين يصبح ٢٠ مليون مسلّح قادرًا على حمل السلاح.

نسبة الأطفال تحت الـ ١٥ في الدول الأوروبية ما بين ٢٣ إلى ٣٣ %، والنسب العالية فوق سن ٨٠ و٩٠. لذلك تسمى القارة العجوز، الناس تموت ومرشَّحة للموت. عدد سكان أوروبا ٣٥٠ مليونًا، مرشَّحة في سنة ٢٠٢٥ أن يكونوا ٢٠٠ مليون؛ لأن هناك ناس تموت ولا يولد بدل منها، فهم ينقرضون بالسكان.

عدد سكان ألمانيا واقف من عدة سنوات، وبعد بضعة سنوات سيبدأ ينقص نتيجة انخفاض الولادات، لاحظ هم ينقصون وهؤلاء عندهم ٦٥ % تحت ١٥ سنة، فالحل: عملوا مؤتمر السكان، خلاصته: تحديد نسل المسلمين طبعًا، وخرج القرضاوي أيضًا ليحدد النسل!، وخرجت كل الأمة لتحدّد نسل المسلمين، والغرض أن ينقرض المسلمون.

أنا نسيت أن أذكر في اليمن أن من خصائص اليمن أن سواحل الجزيرة أمامها القرن الإفريقي فيه مخزون سلاح الثروات الإفريقية لخمسين سنة، يعني إذا كان الكلاشنكوف يُباع بخمسين دولارًا!، وهذه كلها خطوط تهريب بحرية تمدّك بالسلاح كيفما تحب، وهذه من المعطيات الاستراتيجية لليمن.

الآن وسط أفريقيا هذه المنطقة هي من أكبر مناطق تجارة السلاح في العالم، وهذه فيها الصحراء الكبرى، وفيها ممرات لا يمكن أن يحصرها أحد، بالإضافة للبحر، والمافيا الأوروبية وتجارة السلاح.

السلاح متوفر جدًا، سواحل متوفرة جدًا، الفقر، الظلم، الناس تتاجر بأعراضها حتى تعيش، الشباب يركبون مراكب الموت حتى يذهبوا لقطف البرتقال ومسح الصحون في أوروبا ليعيشوا!. فكل المعطيات (جغرافية، سكان، قضية) موجودة.

وكذلك حكم الكفر؛ اليهود يحكمون المغرب علنًا، وزراء يهود، الماسون يمسكون المغرب، النفوذ الفرنسي في الجزائر قضية مثل عين الشمس، فهذه قضية المغرب.

نأتي إلى الشام وأكناف بيت المقدس -نفرد لها بحثًا لوحدها-، قضية الشام: وجود اليهود والقدس جمعت الناس؛ البعثيُّون لما أرادوا أن يعملوا جمهورًا تكلموا عن القدس، القوميون تكلموا عن القدس، الشيوعيون تكلموا عن القدس، حتى حكمتيار وسياف يريدون أن يحرروا القدس، فكل من أراد أن يحشد الناس تكلم بالقدس، فالقضية في يدك، ومفتاح الصراع عندك.

في كردستان جبال، جبال غرب سوريا، سلسلة جبال لبنان، جبال غرب الأردن، الحدود مفتوحة، العراق وما خلَّفت من أسلحة، كردستان وتركيا والمافيا التركية وما فيها من أسلحة، لبنان وبقايا الحرب الأهلية، فبلاد الشام لا تشتكي من نقص أسلحة.

المعطيات: (سلاح، جغرافية، سكان، قضية)؛ ممكن تجمع عليها العالم الإسلامي كله.

نأتي إلى القفقاز؛ القضية موجودة وجاهزة، جغرافية، سكان، قضية. القفقاز متصلة بتركيا من جهة جورجيا، وتركيا من أفضل مناطق حرب العصابات ففيها غابات ومياه، هي مثل أفغانستان وأحسن منها، سلاح: المافيا التركية تضاهي

سلاح المافيات في العالم، الحركة الإسلامية: ٤ مليون مع أربكان و٨ مليون مع الصوفية، يعني نصف السكان في الحركات التي تقول له لا تحمل السلاح، ولكن تحتاج تحريك.

قضية كردستان ملحقة ببلاد الشام، فنصف سلاح الجيش التركي ضاع فيها. فهناك مناطق تصلح ولكن على الناس أن تعمل فيها.

بعد ذلك نأتي إلى البلقان والبوسنة؛ قضية البوسنة ومعطياتها وإن كانت ضعيفة، المسلمون هنا معزولون مرشَّحون للرحيل أكثر من كونهم مرشَّحين للمقاومة حسب المعلومات التي عندي. لكن الإخوة الذين جاءوا من البوسنة قالوا: لا، وهناك معطيات وامتدادات في البلقان إلى بلغاريا إلى حدود تركيا، والموضوع متَّصل مع الجمهوريات الإسلامية في القفقاز إلى شمال البحر الأسود، وعندهم عمق. فإذا كانت عندهم إمكانية للمقاومة فهذه المنطقة تصلح جبهة.

آخر شيء القرن الإفريقي؛ وهرب منه الأمريكان لا يلوون على شيء بسبب عشرة عمليات، والمناطق هضاب وفيافٍ ومناطق زراعية كبيرة جدًا، وهناك قبائل وسلاح.

فهذه المناطق تصلح للجبهات، نحن موجودون في جبهة ويجب أن نتمسَّك بها ونشتغل فيها وهي قلعة أفغانستان، لكن تصوري أنه لا ينبغي أن ننغلق عليها ونقول هذه أفغانستان الجبهة فقط ونقفل، لأنه ممكن إذا انحصرنا في منطقة واحدة كما قال كلينتون: إذا الإرهاب جلس هنا ممكن نستخدم أسلحة دمار شامل، فأنت حصرت نفسك.

ولكن من هنا تبني غيرك دون أن تترك عقر الدار، إلى أن تجد عقر دار أخرى فعند ذلك تصبح الخريطة كما يلي: هنا مسلمون متمركزون، يتمدَّدون فيصبحون إمارة، يتمددون إلى اليمن ولو أخدوا ربع اليمن وبعضًا من عُمان وبعضًا من الساحل يُقيمون إمارة، فإذا أقاموا إمارة شرعية وحكموا بالشريعة وجمعوا الزكاة وأخدوا الخراج وصار عندهم موارد، صاروا دولة. انتهت كل المشاكل المتأتيَّة التي ذكرتها من مشاكل عدم تحديد المفاهيم الشرعية وطبيعة البيعة وطبيعة الشرعية لأنها صارت إمارة إسلامية.

تصوُّري للمستقبل في القرن الواحد والعشرين: أن تكون إمارة في أفغانستان، وفي وسط آسيا إمارة أو أكثر من إمارة، إمارة شرعية في القفقاز، إمارة شرعية في الشام، إمارة شرعية في اليمن، إمارة هنا شرعية وإمارة هناك شرعية، وكل هذه

الإمارات فيها خطوط قتال مع النظام الدولي. هذه المعارك نحن نستطيع أن نربحها، لذلك يجب أن نتمسك بجبهتنا ونحرك الجبهات الأخرى.

صحيح أنه بوجود ٢٠ يمني هنا يصير العدد ٥٢٠ بدل ٥٠٠، ولكن إذا نزلوا اليمن تُفتح جبهة أخرى، يعني قيمتهم في ساحتهم أكبر بكثير من هنا، فجزء يكون هنا وجزء هناك، وجزء من أهل الشام هنا وجزء هناك، وجزء من أهل تركيا هنا وجزء هناك، وهكذا، إلى أن يتقوّى الناس ويستطيعوا أن يتقدَّموا بالجبهات.

فقضية افتتاح جبهات مهمة جدًا، والمواجهات في جبهات هي أساس مواجهتنا في القرن القادم.

مبادئ جهاد الإرهاب الفردي والخلايا الصغيرة:

نأتي الآن حتى ننتهي من الإرهاب، الإرهاب هو في المناطق التي لا تصلح للجبهات؛ المناطق التي لا تصلح للجبهات إما في المناطق التي ليس فيها جغرافيا، أو ليس فيها سكان، لكن دائمًا فيها قضية، دائما هناك قضية في القتال مع النظام الدولي، سهل تورد قضية فهم يحتلوننا، ويأخذون المقدسات، ويأخذون البترول فسهل أن تدعو الناس، ولكن معطيات السكان أو المعطيات الجغرافية لا تكفي فتعمل بالإرهاب الفردي.

نحن قلنا أن الاستعمار لما أخذ بلادنا اتَّكل على أمرين اثنين: نهب الثروات وبيع المنتوجات. بسبب نهب الثروات وبيع المنتوجات كان هناك تواجد بشري، **ما هو شكل التواجد البشري لليهود والنصارى في كامل بلاد العالم الإسلامي؟**

١- قواعد عسكرية.

٢- خبراء أمن مع الحكومة.

٣- خبراء نهب اقتصادي إما بيع أو سرقة.

٤- وجود دبلوماسي.

٥- الوجود الثقافي؛ وهو خطر جدًا جدًا، المراكز الثقافية والأندية لبث الفكر الغربي والفكر اليهودي في بلادنا.

٦- السياح والمسافرون.

لا يخرج الوجود الغربي في بلادنا عن هذه الأهداف. هذه الأهداف لكل الوجود البشري لليهود والنصارى في بلادنا، هو وجود محارب وحكمه -الذي فصّلته- أنهم حلال الدم والمال، هذا الوجود كله حلال الدم والمال، وكله وجود غير مشروع، وكله وجود مترابط ببعضه.

قد يظن الفقهاء أن أخطره الوجود العسكري، لكن الوجود العسكري أقله خطرًا؛ **أخطره الوجود الثقافي والتبشيري،** لأنه ما زال يُخرج أجيال المرتدين العلمانيين الكفرة من أبنائنا، فهذا أخطره، ثم يأتي في الخطورة بعده النهب الاقتصادي؛ لأنه يذهب يصبّ في شرايين حضارتهم وخير يُمتصّ من شرايين أطفالنا، بعد ذلك الدبلوماسي، إلى آخر هذه القضايا.

فمن من هؤلاء بريء؟ من هؤلاء لا يجوز استهدافه؟ يعني الناس ضجّت بعد حادثة الأقصر، الله يرحمهم ويسلّم أيديهم وأرجلهم ويجزيهم خيرًا عن الإسلام والمسلمين، ذبحوا السياح في الأقصر بعملية تشفي الغليل، فخرج من المسلمين من يستنكر عشرات أضعاف النصارى!، حتى نصف الجماعة الإسلامية الذين أشرفوا على العملية أخرجوا بيانات استنكار، وفي الآخر خرج منهم فقهاء يكتبون كتابًا أن هؤلاء السياح حرام الدم والمال، وأنهم معصومو الدم، كيف هم معصومون؟ قالوا على أمان الحكومة!

وهذا لم يخرج من الإخوان أو الدعوة والتبليغ، أخرجه واحد من فقهاء الجماعة الإسلامية، اتركك من حيثية أن إخواننا وقعوا تحت تأثير الضغط (...).

هؤلاء ما الذي عصم دمهم ومالهم؟! السياح إذا جئت للحقيقة هم صورة للاحتلال؛ جاء العسكر احتلونا وفرضوا السلطان هنا، جاء الخبراء بحماية العسكر دعموا المرتدين، جاء الخبراء الاقتصاديون بسبب الخبراء الأمنيين والعسكريين نهبونا، جاء الوجود الدبلوماسي ليحتلنا سياسيًا تبعًا للقوة العسكرية، جاء الوجود الثقافي حتى يؤمّن المزيد من المرتدين لصالح اليهود والنصارى، مع أن السياحة مرتبطة -وهذا معروف جدًا- بالتجسس، ومرتبطة بالتبشير، مرتبطة بنشر البلاوي والإيدز والموضات.

أنا رأيت بعيني في المسجد الأزهر سنة ١٩٨٠ سائحًا وسائحة بلباس كرة السلة في صحن الجامع الأزهر!، وإذ بأحد مشايخ الأزهر وهو يلبس لباس علماء الأزهر الموحّد، وما نُكب الإسلام إلا بعد أن عملوا للعلماء لباسًا موحّدًا مثل

ملابس الطبّاخين!، فقلت له: "إيش هذه المصائب؟"، فقال لي بالحرف الواحد: "يا ابني المسجد الأزهر يتبع دائرة السياحة ما يتبعش دائرة الشؤون الدينية"..!

ومثل ذلك رأيت أنا بنفسي في مسجد السلطان أحمد في إسطنبول، هناك مركز دعارة داخل المسجد!.

يعني هو يذبحك والمتشمّسون والمتشمّسات داخلون وخارجون من المسجد!، فهذا هو وضع السياحة، وأحسنه سائح بريء عجوز لا يحصل منه فساد ولا إفساد، وليس له في السياسة ولا التجسّس، جاء ليتفرّج على هرم خوفو وخفرع ومنقرع، فهذا يمثّل وجوده في بلادنا أن آباءه عندما احتلّوا بلادنا حوّلوها إلى حديقة خلفيّة للفسحة. فهو رمز الاحتلال وجاء ليتسلّى في بلادنا، فهذا في أحسن حالة!.

الأمر الآخر؛ هل سمعت في حياتك أنّ هناك سائحًا يقال له: "هناك مذبحة وسنقتلك"، ثم يظلّ يأتي للسياحة؟ هو يأتي سائح لأنّ له أغراضًا أكبر من السياحة، لا يوجد سائح يقال له هناك موت أحمر، والعبوات تنفجر بالسواح ومع ذلك يأتي، لماذا؟ لأن له أهدافًا في قضيّة السياحة أوسع بكثير من هذه المسألة. هذا من حيث التوصيف السياسي.

دماء وأموال الكفّار على الحِلّ المطلق:

فالآن التوصيف الشرعي؛ في التوصيف الشرعي في (بيان المقاومة) نقلت هذا الكلام ثم عرضته على العلماء وأجازوه فنشرته؛ الناس دماؤهم وأموالهم إما على الحِل أو على الحرمة، واتركونا من قضية الأعراض لأن لها تفصيلًا الآن بعدم وجود دار الإسلام وحيازة السبي لدار الإسلام، فدعك من قضايا حل الأعراض والسبي اشطبها الآن، ودعنا في الدماء والأموال.

في الدماء والأموال الناس كلهم إما على الحِل أو على الحرمة؛ الكافر الأصل فيه الحِل هذه الخلاصة، والمسلم الأصل فيه الحرمة. قال العلماء: **الكافر لا يخرج من الحِل إلى الحرمة إلا بطريقين اثنين؛ أن يصبح معصومًا بإيمان أو أمان**، الكافر المسمَّى (الحربي) هو أصلًا بكفره في حالة حرب مع المسلمين، يخرج من الحل إلى الحرمة بإيمان أو أمان.

أما الإيمان؛ بأن يدخل بـ(لا إله إلا الله) فيصبح من أهل الإسلام، فيصبح مباشرة حرام الدم والمال إلا بحقها وحسابه على الله. المسلم لا يحل دمه بالشبهة؛ إذا اشتبهت أنه كفر كأن يقول كلمة أو يفعل شيئًا، لا يحل دمه بالشبهة، لأن الأصل فيه الإيمان، إلا أن يكفر كفرًا صراحًا فيحل بذلك دمه، يتخذ القاضي فيه قرارًا، والكافر لا يخرج بالشبهة، يخرج بالإيمان أو الأمان.

الآن الإيمان لا يوجد عند هؤلاء، هم في حالة الكفر، بقي الأمان؛ الأمان عند العلماء أمان مطلق يعني دائم، وأمان مؤقت، الأمان الدائم لأهل الذمة والأمان المؤقت للتجار والعاملين وأصحاب العشور والمارين في بلاد الإسلام. هذا الأمان المؤقَّت له شرطان: الشرط الأول حاكم مسلم شرعي يعطي الأمان، الشرط الثاني: مال يدفعه الكافر لبيت المال إما جزية -وهذه حالة الدائم، وإما العشور والخراج للعابرين المارّين بصورة بطيئة، مؤقتًا على أن لا تجاوز سنة، وإذا جاوزت إقامته عندنا سنة يصبح من أهل الذمة، يدفع ما يدفعه الذمي.

انظر إلى هؤلاء الذين حدَّدناهم من واحد إلى ستة، أين الحاكم المسلم الذي أمّنهم؟ حسني مبارك أو فهد بن عبد العزيز؟!

أنا كنت مرة في جزر الكناري وكان هناك شيخ جليل محترم لكن من جماعة الذين يخافون، فجاء شيخ من شيوخ الأزهر مُبتعث لأجل دورات القرآن في رمضان، الشيخ حليق ويقول أنا عضو في الحزب الوطني، فأراد أن يؤمنا للصلاة، فقلت لإمام المسجد: هذا لا تجوز إمامته، فقال لي: ليست مشكلة، فصلينا على الشبهة بنية المنفرد وانتهينا وجلسنا مع الرجل حتى لا نثير زوبعة بالمسجد، وكان وقتها ما زال الأمريكان داخلين سنة ١٩٩٠-١٩٩١، فأراد أن يحرجنا، فبدأ الشيخ الطيب يتكلم كلامًا مفاده أن هؤلاء مستأمنون، فأنا قلت له: "ليش بتخبص؟ هل هؤلاء وجودهم شرعي في الجزيرة؟"..

فالرجل أراد أن يحرجني أمام شيخ الأزهر، وأنا كنت قادمًا من أفغانستان فظن أنني سأُحرج على طريقته، فقال لي أمام شيخ الأزهر: "أنت لا ترى أن هؤلاء مستأمنون؟"، قلت له: "لا"، قال: "لماذا؟"، قلت له: "لأن الملك هو الذي أمنهم"، فقال لي: "ما حكمهم عندك؛ يُقتلون أو لا يُقتلون؟" قلت له: "حكمهم أن يُقتل الذي أمَّنهم"، حتى أعطيه

أصل الحكم، هذا الذي أمَّنهم مرتد أصلًا ليس له أمان، (من بدَّل دينه فاقتلوه)[٤٠٦]، الذي أمَّنهم حكمه القتل، فكيف شخص حلال الدم عندي يؤمِّن اليهود والنصارى؟!

وهناك شبهة أطلقها من يريدون أن يذمُّوا قضية الأقصر، ومن بينهم رجل أخونا فاضل –نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهديه ويتوب عليه–، ألَّف كتابًا في لندن ينصر مذهب من يقول بجواز المبادرة، ومذهب من يقول بأن السياح مؤمَّنون، ويستنكر على من فعلوها، فقال في دليل عجيب جدًا: أن هؤلاء الناس أمَّنتهم الحكومة، والحكومة عندهم مسلمة، فهو عنده الحكومة مسلمة فهناك شبهة تأمين، انظر المشكلة لما يبدأ الإنسان بالتراجع، ومن يهن يسهل الهوان عليه..

الأخ كان من مجموعات الصقور ومجموعات فقهاء العنف، ولكن لكلّ زمان دولة ورجال!، نسأل الله الثبات لنا والهداية وله، قال: "هَبْ أنَّ أمان الحكومة غير جائز"، وانظر أصلًا هذه الكلمة خاطئة، كيف هبّ أن أمان الحكومة غير جائز؟ هذا الكلام يحتمل باللغة العربية أنه ممكن أن يكون جائزًا!.

فقال: "هبّ أن الحكومة أمانها غير جائز، ولكن عند المستأمن أن المسلمين أمّنوه، فهو جاء على أمان المسلمين وهو يظن أن المسلمين أمَّنوه فنزل، فنحن نقبل أمان المسلمين"، كل شخص على كيفه، هو اعتقد أن الحكومة أمَّنته!؟

قلت له: هذا يعتقد أن الحكومة أمنته، وأنا أعتقد أن أمانه باطل، كل واحد كما يعتقد، من أين جئتم لي بهذه الأدلة؟!

هذا الرجل أمَّنه مرتد من ناحية، ولا يدفع جزية، ولا يوجد بيت مال، والقضية مقلوبة رأسًا على عقب، أصلًا من نحن من ندفع الجزية، وهذا وجوده في بلادنا صورة لدفع الجزية.

يا جماعة تحدث مصائب!، الدعارة تأخذ من بلاد تركيا من نساء المسلمين إلى أوروبا، وتأخذ من شمال إفريقيا من نساء المسلمين إلى أوروبا، وأنا لا أتكلم بصفتي سوريًا ولا شاميًا، صار عندنا بلاوي أكثر، حتى لا يقول أحد تتكلَّم عن أعراض فلان وعلان، في حماة وفي بلاد الشام أخذ النصيرية السبايا من بنات المسلمين بعدما انتهوا من الحرب لجبال النصيريين، حتى لا يقول أحد: "تتكلم عن أعراض الفلاني والعلاني".

---

[٤٠٦] صحيح البخاري (٣٠١٧).

في حرب الخليج أخرجوا من بعض البلاد العربية ومنها مصر خمسة آلاف داعرة تُرفِّه عن حلفاء الخليج في البحرين!، حتى واحد من رسامي الكاريكاتير في مصر عمل كاريكاتيرًا خبيثًا جدًا عن خبر نقل النساء للترفيه عن قوات الحلفاء؟ فكاتب يقول: "هي مصر حتبقى أم الدنيا ازاي؟".

الحكومات تأخذ بنسائنا لليهود والنصارى للسياحة، في المغرب دعارة الأطفال مصائب كلها بجريرة الوجود الغربي، وبعدها تقول لي: هب أنه أمَّنه!.

فهذا هو حكم الدم وهذا هو حكم المال، فأقول وليست أحكام جديدة، هذا الكلام قاله الشيخ أحمد شاكر، قال: "منذ دخلت بريطانيا مصر والسودان والهند وباكستان وفعلت ما فعلت، فأقول أن الإنكليز حكمهم أنهم مدنيون وعسكريون رجالًا ونساءً أموالهم ودماؤهم على الحِل المطلق"، وقال: "أقيس عليهم الفرنسيين لأنهم أخبث في حرب الإسلام".

فأنا أقول: أقيس عليهم الأمريكان والناتو الآن لأنهم أخبث خمسين مرة مما فعله الإنكليز، الذي فعله الإنجليز في مصر لا شيء بالنسبة لما فعله هؤلاء الآن!.

فهذه الدماء والأموال أحكامها هكذا، هذا من الناحية الشرعية حتى لا يتحرَّج أحد، وكل من يقول بغير هذا الكلام عليه أن يُخرج دليلًا، وما سمعنا غير هذا إلا من أحد رجلين: إما رجل من علماء السلطان أو رجل مُستضعف جرّه الاستضعاف لأن يقول كلامًا غير شرعي مردود عليه وعلى مبادرته وعلى الفقه الأعوج الذي يريدون أن يأتوننا به في آخر الزمان، بل أنا حتى عندما أريد أن أردّ على هذا الكلام آتي بكلامهم هم ونشراتهم هم وفكرهم هم عندما كانوا على درب الثابتين -نسأل الله سبحانه وتعالى أن يردهم إليه-.

هذا الكلام غير صحيح، لماذا؟

لأنه عندما يبادر السياسي ويقول لك: "صح وخطأ" ليست مشكلة، وعندما يبادر العسكري ويقول لك: "ربما لمصلحة أو لغير مصلحة"، أما عندما يبادر الشيخ فهنا المشكلة، ماذا فهو يقول: "حرام وحلال".

الشيخ يجلس يؤصّل حلال وحرام، فخرج معهم أن قتل السياح حرام، وهذا غير صحيح؛ والسياح من أهم الأهداف بالنسبة لنا كحرب عصابات، لماذا؟ لأنها أهداف سهلة، فهي هدف عسكري ممتاز جدًا {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ}[407]؛ لما تضرب السائح يخرج الدبلوماسي والمبشِّر، فتضرب واحدًا فيتشرَّد الثاني.

فهناك آيات بيّنات يجب أن تكون شعارًا للإرهاب، القرآن لا يتركك تحتاج للبحث عن البلاغة، يقول تعالى: {فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ}[408]، {وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ}[409]؛ كل مرصد أي في كل أشكال وجودهم، هذه أشكال الوجود الستة يجب أن تُستهدف من قِبل إرهاب -الآن أقول لك كيف شكله وكيف يمكن إدارته-؛ لأن الإرهاب الذي صنعناه في الماضي كان إرهاب مساكين، إرهاب دراويش، ومع ذلك هزّ العالم، فلما تطَّلِع على حركات الإرهاب العالمية وكيف تشتغل وتأتي تقيس عليها ما يمكن أن نعمله تعرف كيف يصير الإرهاب على أصوله.

العلاقة بين جهاد الجبهات وجهاد الإرهاب:

أهمّ شيء في الإرهاب أنّك تحتاج إلى قاعدة خلفيّة، (...)[410]، ونحن تحدثنا عن أهميّة الانتماء للأمّة، فعندما يصير العالم الإسلامي هو بلادك لا تعود محصور في مصر أو الإسكندريّة، فأنت بلدك محصورة أصلًا، وكذلك سورية محصورة؛ بلاد جوفاء مدنية سهلية جدباء، فلا تقيّد نفسك في هذا الحيز بل تنظر إلى الجبال في خرسان ووسط آسيا، وجبال اليمن، وجبال كردستان والشام، والقرن الإفريقي، وجبال الأطلس، لاحظ هذه كلها جبال.

لنفترض أن بلدك بقدر الله بلاد مستوية، فكيف ستقوم بحرب عصابات، هناك بلاد يمكن أن نقوم فيها بحرب عصابات ونتمركز فيها ونشكّل خطّ مواجهة، مثل المغرب أو اليمن، فنحن عندما نُنمّي الانتماء إلى أمة الإسلام بدل إلى القطر، وهذا الانتماء موجود في آيات صريحة قطعية الدلالة، وكلّ أسبابه موجودة استراتيجيًا وموجود سياسيًا فعندما تفكر بالانتماء إلى أمة الإسلام تتَّخذ من هذه الجبهات قواعد خلفية للإرهاب.

---

[407] سورة الأنفال، الآية: ٥٧.

[408] سورة محمد، الآية: ٤.

[409] سورة التوبة، الآية: ٥.

[410] انقطاع في التسجيل.

فتمارس إرهابًا بين الجزيرة وببلاد الشام، فتتنقل بين هذه القاعدة وهذه القاعدة، فكيف ستتحرّك!؟ يمكن أن تكون أفغانستان قاعدة للإرهاب لمناطق الهند وباكستان وسط آسيا وروسيا الى ماليزيا والفلبين، أما هذه المناطق لا يمكن.

فهناك علاقة عسكرية مهمّة جدًا بين الجبهة والإرهاب؛ الجبهة قاعدة خلفية للإرهاب، الإرهاب يدافع عن الجبهة لأنه ذراع طويلة. فإذا ضربت أمريكا صواريخ (السكود) على أفغانستان فأنت ليس عندك (سكود) للرد على أمريكا؟ فتُرسل لها أخين واحد (سكود) وواحد (كروز) يضربون الأمريكان ويكفوك، وإذا عملوا مجزرة وقتلوا مدنيين، تقوم وتنسق لهم عمارة كلها مدنيّون. فعند ذلك يصبح الإرهاب ذراعًا لحماية الجبهة.

وهذه اللعبة لعِبتها إيران مع حزب الله؛ أصبح حزب الله ذراعًا للإرهاب لحماية المصالح الإيرانية، حتى فرضت عقود اقتصادية على بعض الدول الأوروبية بالإرهاب، السعودية اعتقلت بعض الشيعة في المنطقة الشرقية وضيَّقت عليهم، فقاموا وقتلوا لهم أربع دبلوماسيين؛ عبد الله الأهدل في بلجيكا، ودبلوماسيًا في إسطنبول، واثنين دبلوماسيين كانا يخزّنان الحشيش في بانكوك أو مدينة أخرى في المنطقة بجانبها، فركعت السعودية، فطلبوا الإفراج عن السجناء وأعطوهم حقوقًا إلى آخره، صار اتفاق بين الشيعة والقضايا وقفت، ففدوا الشيعة في كل السعودية بأربع عمليات ارهابية لا تكلف شيئًا.

فهذا الإرهاب الذي نتكلم عنه هو حماية للجبهة، وهو مصدر للتمويل كما سنتكلم في نظرية التمويل؛ الإرهاب مصدر للتمويل أصلًا، وهو قطع ليد الخصم في المنطقة، ثم العمل على تدمير مقوّمات واقتصاد الغرب، والذي قلنا هو نهب الثروات وبيع المنتوجات.

إذا وقف إمداد النفط فقط لكان أمر ضخم جدًا، يمر أنبوب غاز فقط من الجزائر للمغرب، فهم رأوا أنها ستصير أصولية إسلامية في الجزائر فسحبوه من وسط صحراء الجزائر للمغرب...

***

*[٤١١] بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، نتابع الحديث عن النظرية العسكرية.

[٤١١] بداية تفريغ الملف السادس والثلاثين.

نحن كنّا وصلنا إلى إلغاء أسلوب التنظيمات وعدم العمل به بعد ١٩٩٩م، وأنّه أسلوب استُهلك، وبقي أسلوب الجبهات وهي الأساس، وشرحنا وبيّنا تفاصيله وما هي شروط إقامة جبهة، وأين تقع أفضل الجبهات التي يمكن أن يصير فيها عمل..

فالمناطق التي تصلح كجبهات في العالم الإسلامي: أولًا أفغانستان التي نحن مُتمركزون فيها، ثم منطقة وسط آسيا، ثم اليمن والجزيرة، ثم المغرب، ثم منطقة الشام وكردستان، ثم القفقاس حتى تركيا، ثم القرن الإفريقي.

هذه هي المناطق التي تتوفر فيها شروط الجغرافيا والسكان والكثافة البشرية والتسليح ثم القضية. طبعًا تتفاوت هذه الجبهات التي ذكرتها؛ فهناك جبهات جاهزة مثل أفغانستان، فهي جاهزة وهي بيد المسلمين، ومنطقة وسط آسيا هي تقريبًا جاهزة للعمل، واليمن جاهزة تحتاج فقط أن يرسل لها الله تعالى بعض المشائخ والعلماء، فكل شيء موجود في اليمن إلّا القيادة. وظروف المغرب جاهزة ولكن تحتاج إلى طليعة تتصدّى لطرح هذه المسألة، وهناك بعض البلاد تحتاج إلى تجهيز مثل بلاد الشام، ما زال مبكّر جدًا حتى يكون فيها جبهة، ومنطقة القفقاس فيها عمل ويمكن أن تعزو منطقة تركيا.

قلنا العلاقة بين الجبهات والإرهاب: أن الجبهات هي خطّ خلفي للإرهاب، يعني الجبهات تُوفّر وجود الرموز والقيادات، لأنّهم لا يستطيعون أن يتواجدوا في المناطق المُسيطر عليها من النظام الدولي، ويمكن أن توفر التدريب الأساسي وخاصّة مناهج التدريب والمدرّبين وتدريب بعض العناصر؛ لأنّ نظرية التدريب عندنا تقوم على أنّ التدريب يذهب إلى حيث العمل وليس الناس التي تعمل تأتي لمكان التدريب، -وهذا سنشرحه فيما بعد-.

وتُوفر خطًّا خلفيًا للملاحَقين والأُسر.. وإلخ، والآن معظم الناس مجتمعة في أفغانستان وهذا الوضع يوفر لنا الآن مستقرًا، ولكن لا يجب أن يبقى هكذا لأنّه إذا حُصر الناس في منطقة واحدة دون وجود أي منطقة أخرى فيمكن أن يُقضى عليهم أو أن تُشل حركتهم، فيجب أن يكون في كل إقليم متباعد منطقة يستطيع أن يؤول إليها المسلمون لتوفير هذه الأمور.

والجبهات تستفيد من الإرهاب أنّ الإرهاب هو حماية للجبهات؛ فيمكن أن يستفيد المسلمون من الإرهاب أولًا: في عمليات التمويل، وثانيًا: في ضرب أعداء الإمارات القائمة في الجبهات، وثالثًا: في تفكيك النظام الدولي ومصالحه.
وإلى هنا صلنا البارحة.

أهميّة ضرب جميع أشكال الوجود الغربي في بلادنا:

المناطق الفارغة التي لا يصلح أن تقوم فيها جبهات مثل الجزيرة وعموم بلاد الشام ومصر ومعظم شمال إفريقيا وقلب إفريقيا يجب أن تكون ساحات لعمليات الإرهاب، والآن أنا سأتكلم بالتفصيل عن بعض أمور الإرهاب.

أُذكّر بما قلته البارحة أن الوجود الغربي عندنا له أشكال، فنبدأ بالأخطر فالأخطر مرتبة:

- الوجود الثقافي والتبشيري.
- الوجود الاقتصادي.
- الوجود العسكري.
- الوجود الأمني؛ الآن الـ(FBI) عندها أكثر ٢٣ مكتبًا ومركزًا مُعلنًا في منطقة (الشرق الأوسط)؛ في عمان والرياض والقاهرة. هذا غير المراكز التجسُّسية الموجودة في السفارات.
- الوجود الدبلوماسي.
- الوجود السياحي.

فهذه هي أشكال الوجود الستّة، وقلنا أنّ الأصل في هؤلاء الناس أنّهم على الحِلّ المطلق؛ حلّ المال وحلّ الدماء، هذا في بلادنا، وهناك تفاصيل سنذكرها، والبارحة سألني أحد الإخوة عن قضيّة عدم قتل النساء والأطفال فقلت له: "هذا في بلادهم وليس في بلاد الإسلام".

الوجود الثقافي هو أحد أهم أسباب البلاء في الحملة الصليبية الثانية؛ أدّى إلى صناعة أجيال من العلمانيين والكفرة والفسقة والخيارات والبدائل بحيث كلما سقطت حزب يخرج حزب، وكلّما سقط (سادات) يخرج (حسني مبارك)، فهذا المعمل سيشتغل طالما أنّ الوجود الثقافي والتبشيري والصليبي والماسوني موجود في بلادنا، فهذا يجب أن يُجتثّ من أساسه بحيث تقف هذه المعامل عن إخراج هذه الأجيال من أبناء المسلمين بحيث يصيروا مرتدّين وكفرة.

الوجود الاقتصادي هو الذي يقوم عليه النظام الغربي في بلادنا أصلًا، العالم الغربي يأخذ من عندنا موارد، وأهمّها الطاقة والموارد الأوليّة مثل الحديد والأملاح والمغنيسيوم.. إلخ. كل مواد الصناعات تخرج من العالم الثالث وخصوصًا من العالم الإسلام، فربّ العالمين خصّ هذه المنطقة بنِعَم عظيمة جدًا أصبحت بلاءً بعد أن كانت نعمة.

ثم بعد نهب الموارد يأتي بيع المنتوجات، وخذ فرنسا مثالًا؛ فرنسا إحدى الدول الصناعية الكبرى، معظم صناعاتها الخفيفة تكون من مصانع في بلادنا، فهم في بلادهم يحتفظون بمصانع السيارات والتكنولوجيّة، أما في بلدنا فتجد مصانع (الجينز)، ومصانع (لاكوست)؛ ماركة الألبسة الفرنسية، ومصانع المعلّبات، ومصانع الصناعات الخفيفة والصناعات التحويلية التي ليس فيها فائدة؛ معظمها تُفتح في بلاد المسلمين نتيجة رخص الأيدي العاملة.

وكذلك المصانع الإيطالية والماركات الإيطالية المشهورة والمصانع الإنجليزية؛ كلها مفتوحة في بلادنا؛ في تركيا وفي إفريقيا وفي باكستان، فتُصنّع وتضع الماركة الإنجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية، وهو مصنوع في بلادنا لأنّ الأيدي العاملة رخيصة.

ثم بعد ذلك يكون مجال تسويق صناعاتهم الخفيفة وصناعاتهم الثقيلة هي في بلادنا حيث الكتل البشرية؛ العالم العربي، أفريقيا السوداء، والتجمّعات البشرية الكبرى في وسط آسيا وباكستان والهند، فهذه الموارد كلها تُعاد إلينا مصنّعة فتسوّق عندنا.

معظم صناعات فرنسا تذهب إلى المغرب والجزائر ومن هناك توزَّع على كامل إفريقيا. فإذا توقفت هذه المبيعات وضُربت هذه التجارة فسينهار اقتصادهم، وكذلك الحديد الذي يأخذونه من موريتانيا، والبترول الذي يأخذونه من عندنا.

وتأمّل خطّ التجارة الدولي؛ البترول يخرج من الجزيرة فيعبر الشريان الأول لحياة الاقتصاد؛ مضيق هرمز، ثم بعضه يذهب جنوبًا ليصل إلى أمريكا، والبترول الذي يذهب إلى أوروبا يمرّ عبر المضيق الثاني؛ مضيق باب المندب، ثم يمرّ عبر المضيق الثالث؛ مضيق جبل طارق. التجارة الدولية التي تأتي من أمريكا إلى أوروبا أو البترول الذاهب لهناك أو الآتي من هناك يمرّ من مضيق جبل طارق.

فهذه المضائق الأربعة توجد في بلاد المسلمين، ولم يبقَ إلّا شريان واحد للبشر وهو مضيق بنما بين أمريكا الجنوبية والشمالية، فهذه المضائق الأربعة هي صمامات قلب العالم الاقتصادي، كل التجارة تمرّ من هنا.

فهذا يحتاج من عندهم إلى وجود لنهب الموارد؛ خبراء بترول وخبراء معادن وخبراء مناجم لينهبوا، الأخشاب تخرج من أفغانستان وتُباع بأقل الأثمان، وكذلك أحجار المرمر، يأخذه الباكستانيون بلا ثمن ثم بعد ذلك يعاد بيعه..

وهناك سلاسل جبلية في أفغانستان من الجرانيت الأسود؛ تباع بالطن بينما في معارض إيطاليا يُباع القدم المربّع (٣٠سم×٣٠سم بسماكة إنش) من الجرانيت الأسود بـ ٥٨ دولارًا، فانظر كم يمكن أن تُنتج الجبال من هذه، وهذه من الأشياء البسيطة التي يأخذونها مثل التراب.

الأخشاب التي تأتي من كونر ومناطق الغابات تُباع في باكستان بلا ثمن، ثم تقسَّم في باكستان بالمقاسات الدولية ويُعاد بيعها بأسعار البورصة العالميّة؛ فهي ثروات مثل الذهب تخرج من هنا، وهذا كلّه يُعاد تصنيعه ثم يعاد نهبنا مرة أخرى ببيع المنتوجات.

ثم هذه الموارد عندما يأخذونها لا يُعطوننا مقابلها أموالًا بل تذهب أثمانها إلى البنوك الأجنبية، فيصير نهب ثالث لأنّنا لا نأخذ أموالًا أصلًا بل نأخذ أرقامًا في الكمبيوتر، وهذه الأرقام هي في حسابات الأمراء والحكومات والمتنفّذين فهم من يأخذها وباقي الأمّة جائعة لا تأخذ من أرزاقها ولا واحدًا من الألف!

فهذا النهب الاقتصادي يقوم عليه وجود بشري ليُديره.

نأتي للوجود العسكري: في الحملات الصليبية الأولى والثانية كان الوجود العسكري علنيًا، ثمّ عندما أرادوا أن ينسحبوا ويضعوا المرتدّين لم يسحبوا كلّ جيوشهم، المخازن العسكريّة بقيت كلّها كما حصل في حرب الخليج، والباقي تجمّع في مجمّعات؛ فبدل أن يحتلُّوا كلّ الجزيرة وضعوا قاعدة عسكريّة في الظهران وقواعد عسكرية هنا وهناك وقواعد عسكرية في البحار، فهم موجودون عمليًا.

بعد مناورات (النجم الساطع) قرب السودان وضعوا قواعد عسكرية هناك، وفي المغرب وفي تونس هناك قواعد عسكريّة، وفي جنوب تركيا بعد حصار العراق وضعوا قواعد عسكريّة، في الأردن بعد الاتفاقيات وضعوا قواعد

عسكريّة، فالوجود العسكري قائم، وهذا الوجود العسكري ليس عشرة جنود بل في الجزيرة فقط هناك ١٥٠-١٧٠ ألف جندي، وهذا المُعلن، وإلا فلا أحد أصلًا يعرف أعدادهم الحقيقية.

حتى التسليح من الدبابات والطائرات والمدرجات كلّها تُعمَّر في هذه المناطق بأموال الحكومات، يعني بأموال المسلمين، فيعمّروا لهم مدرّجات الطائرات حتى يأتي جنودهم ليحتلّونا، فهذا له وجود بشري.

الوجود الأمني واضح خاصّة في منطقة الخليج والدول التي تتعرّض إلى اهتزازات؛ مباشرة تجد ضباط استخبارات وضباط أمن موجودون في السفارات أو في مراكز أمنيّة، يساعدون الحكومات في التحقيقات وفي مكافحة ما يسمّونه الأصوليّة، خاصّة بعد قيام النظام الدولي لمكافحة الإرهاب، فهناك وجود بشري.

الوجود الدبلوماسي: السفارات وما تفرّع عنها من ملحقات السافرات، أحيانًا تجد سفارة أعداد من يحمل أوراقًا دبلوماسيّة فيها مائتين أو ثلاثمائة أو سبعمائة؛ يعني جيش من الدبلوماسيين، بينما السفارة تحتاج عشرين موظفًا ليقوموا على الجوازات و(الفيزا) وشؤون الأجانب، فلماذا نجد مائتين أو ثلاثمائة أو خمسمائة موظّف؟

الرعايا الاقتصاديون أحيانًا يصلون كما في السعودية إلى أعداد ضخمة، فقط في شركة (أرامكو) هناك أكثر إلى ٤٠٠ ألف موظف. فهذه جيوش من الخبراء وليس وجودًا خفيفًا، هذا الوجود بكافّة أشكاله هو وجود بشري يصل إلى مئات آلاف الناس في بلادنا يقومون على الاحتلال.

وآخره -كما قلنا- هو الوجود السياحي، والذي يُلحق بعمليّة التجسّس وبعمليّة الإفساد وتصدير (الموضة) والفساد الموجود في بلادهم، وأقلّ أشكاله أنّه نوع من حصاد هذا الاحتلال؛ أنّهم يأتون ليتفسّحُوا في بلادنا ويجعلوها كحدائق خلفيّة لبلادهم يأتون ليتشمَّسُوا فيها.

فباختصار شديد هذا الوجود اسمه السياسي (احتلال أجنبي)، واسمه الشرعي (صائل)؛ صائل على الدين والأرض والمال والأنفس والعرض، وهذا الصائل قال العلماء: ليس أوجب بعد توحيد الله من دفعه. فأحيانًا يصير إشكال بأن يخفّ الوجود العسكري ويصير احتلال الاقتصادي، فهذا يجب دفعه.

قلنا أنّ هؤلاء الناس أصلًا دون أن يكونوا محاربين ودون أن يكونوا فعلوا فينا كل هذه الأفاعيل -كونهم كفرة- هم حلال الدم والمال، ولا يحرم دمهم ومالهم إلّا بإيمان أو أمان.

الإيمان أن يدخلوا في الإسلام، وهم كفرة لم يسلموا، والأمان إمّا أن يكون دائمًا وهم أهل الذمّة، وإمّا مؤقّتًا وهم العابرون. وقلنا أنّ كلا النوعين لا يتمّ إلا بشرطين؛ حاكم مسلم يُؤمّن، وثانيًا: مال يدفعه الكافر مقابل الأمان، سواء كان دائمًا أو مؤقّتًا.

وهذان الشرطان غير متوفّرين الآن، فالحكام مرتدون كفرة وهذه المسألة قد فرغنا منها، والآن الجزية يدفعها المسلمون ولا يأخذوها من الآخرين، فكلّ هذه الشروط غائبة.

فهذا الوجود مصالحه منتشرة في كل مكان، فيوفر أهدافًا عظيمة جدًا لضربه والتأثير عليه ويجعل العدو ضعيفًا، فعندما يواجهنا في الجبهات يواجهنا مواجهة ضعيفة؛ لأنّ خطوطه الخلفيّة مهدّدة.

وهذه أهمّ مبادئ حرب العصابات؛ أنّ وجود مناطق محرّرة تسيطر عليها وتتمركز عليه بالإضافة لوجود ساحة عمليات، فلو كبّرت نفسك وقلت أنا أنتمي لهذه الأمّة؛ فستجد أن هناك مناطق محررة نتمركز فيها ونداقع عنها ونجعلها إمارات، والباقي هي ساحة عمليات.

فنظرية الإرهاب تقوم على أساس أن لا يقوم بالإرهاب تنظيمات وعصابات كبيرة ومنظمة بشكل هرمي، وإنما يتحوّل إلى حالة شعبيّة؛ أنّ الناس هي من يتعامل هذه الأهداف بصورة عامّة.

حكم ضرب نساء وأطفال الكفّار:

الآن أريد ان ألفت النظر للنقطة التي تحدث عنها أخونا البارحة، وهي قضيّة ضرب النساء والأطفال وفتوى الشيخ أحمد شاكر أن المدنيين والنساء والأطفال كلهم على الحلّ المطلق في بلادنا.

الرسول ﷺ نهى عن قتل النساء والأطفال والكهنة والعجزة، وكانت جيوش الفتوح تُوصى ويقال لها: (لا تقتلوا شيخًا لا تقتلوا كذا) وهذا مشهور. ولكن هذا في بلادهم، فنحن إذا خرجنا من بلاد الإسلام لنغزو بلاد الكفّار فهذا اسمه (جهاد طلب)، وإذا جاء الكفار وغزونا صار اسمه (جهاد دفع).

فإذا كنّا نحن من نغزوهم فهناك اتفّاق بين الفقهاء على تحريم قتل المرأة والطفل والعجوز والراهب على شرط أن يكونوا غير مقاتلين، ومن شروط الراهب أن يكون منعزلًا في صومعة ولا يدعو إلى دينه، ويفسد الناس؛ لأنّ هذا من الفساد في الأرض.

فهؤلاء إذا كانوا غير مقاتلين، وثانيًا كانوا متميّزين عن الرجال؛ فلا يُقتلوا ويَحْرُم قتلهم، الرسول ﷺ وجد امرأة مقتولة فتغيّر وجهه وقال: (ما كانت هذه لتقاتل)[٤١٢]، يعني سبب تحريم قتلها أنّها غير محاربة.

فجاء أحد الصحابة وقال: (أَرْدَفْتُهَا فَأَرَادَتْ أَنْ تَصْرَعَنِي فَتَقْتِلَنِي)[٤١٣] فأجازه لأنها صارت مقاتلة.

وكذلك يجب أن يكونوا متميّزين عن الرجال؛ مثل مدرسة أطفال أو دار عجزة أو مجمع فيه نساء، فهؤلاء لا يُقتلوا في ديارهم، فإذا غزوناهم ونزلنا ديارهم التزمنا بهذا لأنهم غير مقاتلين ومتميّزون.

أما إذا كانوا في مبنى أو في مدينة أو في ساحة مُختلطين بالرجال والمقاتلين؛ فقد اتّفق الفقهاء على أن هؤلاء إذا كانوا مختلطين ولا يمكن تمييزهم خاصّة في رمي المنجنيق والذي هو شبيه برمي المدافع وتفجير القنابل والسيارات فعند ذلك يجوز قتل هؤلاء، ليس بقصد قتلهم ولكن لكونهم مختلطين بالرجال المقاتلين.

وهذا في بلادهم، ولكن نحن نتكلم عن حالة كونهم في بلادنا، ونقلنا فتوى الشيخ أحمد شاكر في هذا، فالآن جاء الغزاة واحتلّوا بلادنا وأخذوها ووضعوا رجالهم ونساءهم في بلادنا، فأصلًا هؤلاء محتلّون ولسنا نحن الذين قصدناهم في بلادهم، وهم جاؤوا كتلة محاربين؛ أناس قائمون على الاقتصاد وأناس قائمون عل على الدبلوماسيّة، وإلّا إذا جاء أحد ليغزوني ثم ذهب وترك نساءه وأطفاله يحتلون الأرض، وأنا أقول له اخرج من بلدي فلا يخرج، فهذا محتلّ أصلًا، وهذا هو الكلام الذي قاله أحمد شاكر.

---

[٤١٢] سنن أبي داوود (٢٦٦٩)، قال الألباني حسن صحيح، وقال الأرناؤوط إسناده صحيح..

[٤١٣] في مراسيل أبي داوود (٣٣٣): (أَلَمْ أَنْهَ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ، مَنْ صَاحِبُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْمَقْتُولَةِ؟) فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: (أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرْدَفْتُهَا فَأَرَادَتْ أَنْ تَصْرَعَنِي فَتَقْتِلَنِي)، وفي معجم الطبراني الكبير (١٢٠٨٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: (مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَقَالَ: مَنْ قَتَلَ هَذِهِ؟ قَالَ رَجُلٌ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: نَازَعَتْنِي سَيْفِي. قَالَ: فَسَكَتَ).

ففي بلادنا هم أهداف على الحلّ المطلق، وفي بلادهم الدماء والأموال حلال، وإذا تميّزت المرأة والطفل والعجوز والراهب لم يجز استهدافهم. وطبعًا هذا الكلام ليس كلامي وأنا سألت عنها كثيرًا من العلماء وبحثت ودرستها حتى وصلت إلى هذا الكلام، فهي ليس فتوى أفتي بها وإنما أنقلها نقلًا.

ففي بلادنا ليس هناك أي إشكال، وأصل جهاد الكفار هو في بلادنا، لأنّه من النادر أن يذهب أحدنا لبلادهم حتى يمارس الإرهاب وينجح، لأنّ أصل حرب العصابات أن تذوب في السكّان وتختفي في البشر، وأنت إذا ذهبت هناك تصبح مكشوفًا مثل رأس الزبيبة، واضح أن شكله عربي أو شرقي وأنّه ليس من هذه الأمّة، فيكون مختلفًا عن السكان، فيُقبض عليه ولا يستطيع أن يتحرك، فالأصل أن نضربهم في بلادنا.

هل تعتبر (الفيزا) و(الجنسيّة) و(اللجوء) أمانًا شرعيًا؟

ولكن مع ذلك كما سنتكلم في ساحات الإرهاب ستعرض لنا مشكلة (الفيزا) و(اللجوء) و(التجنّس)، فأنا أنقل لكم الآراء التي سمعتها بعد أن سألت عن الموضوع، الناس والفقهاء الجهاديون في هذه المسألة أقسام.

وأهمّ أشكال هذا هو (الفيزا) لأنّ اللجوء قليل والتجنّس قليل؛ فهو رجل ذاهب ليقوم بعملية في بريطانيا أو في أمريكا أو في أوروبا، فأثار بعض الناس فهم أن (الفيزا) عقد أمان، فأنت دخلت بإذنه ومنطقته وأمّنك فعند ذلك لا يجوز لك أن تعتدي عليه ولا أن تأخذ من ماله، وعلى هذا الرأي أناس أفاضل من الجهاديين ولكنهم يرون أن (الفيزا) أمان.

القسم الثاني –وأنا منهم– يرى أن (الفيزا) ليست أمانًا، فأعتقد أن الإنسان يمكن أن يأخذ الفيزا ويذهب ليقوم بعملية في بلاد الكفّار وذلك للأسباب التالية:

أولًا: (الفيزا) جزء من القانون الدولي الذي تعارفت عليه الدول، وهنا توجد إشكاليّتان: الأولى أنّنا نحن المسلمون لم نُمثّل في وضع القانون الدولي لـ(هيئة الأمم) وما تفرّع عنها، والذين وضعوه هم دول الحلفاء المنتصرون في الحرب العالمية الثانية، وأخذوا بعض الدول الإسلاميّة كممثّلين ومنهم فيصل بن عبد العزيز، فنحن غير ممثّلين وغير مُلزمين بكل تفاصيل القانون الدولي.

الأمر الآخر وهو أهمّ منه: أنّ القانون الدولي انتُهك من قِبل اليهود والصليبيّين، كل يوم يُنتهك القانون الدولي مئات المرات، فمن القانون الدولي (الفيزا)، ومن القانون الدولي عدم احتلال أراضي الغير بالقوّة، ومن القانون الدولي عدم قتل المدنيّين، ومن القانون الدولي الاحترام المتبادل، فهم ينتهكون هذا القانون الدولي كل يوم ألف مرّة ثم يطلبون منّي أن ألتزم بقانون (الفيزا)!

وأحكام الاتّفاقيات معروفة؛ الرسول ﷺ عاهد بني قينقاع، وكانت هناك اتّفاقية، فعندما اعتدى رجل واحد من بني قينقاع على امرأة مسلمة واحدة؛ انتهت المعاهدة كلّها ونقض الرسول ﷺ كل المعاهدة ونفى بني قينقاع كلهم بجريرة معتدٍ واحد.

فنحن تعتدي علينا هذه الدول كل يوم جهارًا نهارًا، ثم بعد ذلك يطلبون منّا الالتزام بالقانون الدولي من طرفنا؟! فهم نقضوا هذا القانون الدولي من طرفهم فننقضه من طرفنا ولا نحترمه، ومن ضمن هذه الأشياء غير المحترمة قضية (الفيزا).

القضية الثالث: هي أنّ (الفيزا) في القانون الدولي هي إذن دخول وليست عقد أمان، ولذلك بعض الدول تقوم بوضع شروط في الفيزا فيجعلونك تتعهّد بأن لا تفعل كذا وكذا ضمن عقد الفيزا، يعني يصبح العقد عقد فيزا وعقد أمان، فأعتقد أن هذه القضية منقوضة من وجهين.

الأمر الرابع: عدم التكافؤ بيننا وبينهم في (الفيزا)؛ يعني حقوق البريطاني والألماني عندما يدخل بفيزا لبلادنا ليست مثل حقوق المسلم عندما يدخل لبلادهم، فليس هناك عملية تكافؤ، فهو مُحتلّ محميّ من قِبل الحكومات، بينما تذهب أنت لهناك ذليلًا ليس عندك حقوق.

النقطة الخامسة: الفيزا وكذلك اللجوء والتجنّيس لا تحفظ حقوق المسلم إذا عمل لدينه؛ الذي يعيش هناك وعنده لجوء سياسي أو عابر بالفيزا عند أي مشكلة تعتقله السلطات وليس له حقوق، والآن هناك كثير من المعتقلين عنده فيزا وداخل بصورة قانونيّة ومع ذلك يعتدون عليه.

وكذلك عندما يتعرض لقضايا العنصريّة لا أحد يحصّل له حقّه، مثل أن يعتدي عليه أحد بصفته تركيًا أو شرقيًّا، هذا إذا لم تعتدِ عليه الحكومة وقامت واعتقلته في المسجد واتهمته بتأييد الإرهاب أو الأصولية.

فمن شروط الأمان أن يكون الرجل محصّنًا وتُحمى حقوقه، بينما هو حقوقه غير محميّة.

الأمر الأخير: سفرنا إلى هناك وطلبنا الفيزا هو حالة تبع للاحتلال، فالآن هناك ١٨ مليون مسلم مقيمون في أوروبا منهم ٤ ملايين من شمال أفريقيا، و٣ ملايين من تركيا، و٦ ملايين من الهند؛ فهؤلاء لماذا ذهبوا إلى أوروبا؟

هم لم يذهبوا طواعية لبلاد الكفر، فلا يمكن فكّ هذه المسألة عن جذورها، فهم جاؤونا واحتلوا بلادنا ووضعوا عندنا جيوشًا أجنبيّة ووضعوا لنا مرتدّين ليحكمونا، فضاقت المعايش والسبل ونشأ الفقر وهُتكت الكرامة، فاضطرت الناس أن تذهب إلى هناك.

فهو وضع لك حافظ الأسد أو حسني مبارك فظلمك وحرقك، فأنت هربت منه، ولكنّه لم تهرب منه إلى طرف آخر، ولذلك لا يصحّ قياس هذا بهجرة الصحابة للنجاشي؛ فقريش والمسلمون والنجاشي كانوا ثلاثة أطراف مستقلّة، والنجاشي لم يكن في حالة حرب مع قريش ولا في حالة حرب مع المسلمين، بل كان طرفًا ثالثًا، فهؤلاء حاربوا هؤلاء، فهؤلاء هربوا عنده.

بينما في حالة اللجوء التي حصلت معنا هي بين الغرب وحكام المسلمين والمسلمين، الغرب والحكام هم حلف يحارب المسلمين، فمن سقم هذا الزمان لجأ المسلمين إلى الطرف الثاني، فهم هربوا من الجزّار للذي وضع علينا الجزّار، يعني هو كمن هرب من أبي لهب إلى أبي جهل وليس كمن هرب من قريش للنجاشي.

وهذا من اللعبة الدوليّة الذكيّة، فمن عبقرية اليهود وعبقرية الروم أنهم فتحوا هذه الفرصة؛ أنّك إذا حاربت حكومات المسلمين وضايقتهم وضايقوك يتركون لك هذه الفرصة أن تلجأ لهناك؛ حتى يقوم تحت اللجوء السياسي بالحجر عليك ويسحب العقول والكوادر الأساسية فيُطعمها ويُبقيها عنده ويبقى الحاكم مرتاحًا.

فاللجوء السياسي هو أحد مظاهر الاحتلال، وقِس المسألة عقلًا، هو جاء ليذبحك ويذبح أهلك وينتهك عرضك ويأخذ مالك ثم يقول لك: "إذا هذا الذي وضعته عليك ضايقك ولم يعد بإمكانك التحمّل فاهرب لعندي"!. فماذا يحدث في أوروبا بعد أن تهرب لعنده؟

الذي يحدث في اللجوء السياسي أن الأوربيون هم مثل المنشار يأكل وهو ذاهب وهو راجع؛ باللجوء السياسي تهرب كل الكوادر والشعراء والكتاب والسياسيّون والعقليات في المجتمع، يهربون من العالم الثالث ويصبحون عند الغرب، وهم الدينامو المحرّك، فيتركون رعاع الناس لا رؤوس لهم.

فهو كان إنسانًا نشيطًا في الحركة، فيترك عمله ويذهب ويفرّ لهناك، يأكل ويشرب على حسباهم، فيعطونه الأموال التي تُخرجه من خط الفقر، فلا هي قليلة بحيث يقوم ليعمل وينتج، ولا هي كثيرة بحيث يرتاح وينتج، فهي على حد أن يأكل ويشرب.

ثمّ إلى أن يُقبل طلبه لا يستطيع أن يتاجر ويعمل فعليه رقابة، ثم عندما يعطوه أوراقًا لا تقبل نصف دول العالم استقباله لأنّه يحمل وثيقة لاجئ، فهو إنسان مشلول، سحبوه من خطّ المواجهة وجمّدوه هناك، فهي ليست رحمة أو حقوق إنسان بل هي قضية محسوبة ومتفتّقة من عبقريّة اليهود والنصارى حتى يسحبوا طاقات العالم الثالث ويجمّدوها في بلادهم.

الأمر الثاني أنّه المتوقّع أن كونك رجل محارب وكادر مكافح أن يخرج أولادك مثلك بل يخرجوا أفضل منّك، لأنّ المفترض أن تربّيهم في أجواء صحيحة كما نفعل مع أولادنا الآن، ولكن الذي يحدث في أوروبا أنّهم يأخذوهم ويجنّدوهم على عقليّة الغرب، والآن الجيل الأول والجيل الثاني أغلبهم يخدم خدمة عسكريّة في جيوش الكفّار.

فاللجوء السياسي ليس رحمة، بل هو من أخبث الأفكار الصهيونية اليهوديّة التي طبّقها علينا، والمشكلة أن المسلمون يعتبرونها شيئًا عظيمًا، حتى أن (اللجنة الإسلامية العليا للمسلمين في إسبانيا) قدّموا طلبات للحكومة، فعبّرت جماعة (عصام العطّار) والإخوان المسلمون والجمعيات الإسلامية عن فرحهم أنّهم أخذوا هذه الإنجازات العظيمة..!

فمن جملة هذه الإنجازات العظيمة أنّ المسلم المسجون يجب أن تُقدّم له في السجن وجبات إسلاميّة ويسمحوا له أن يصلّي، ومن جملة المكاسب أنّه يحقّ لأبناء المسلمين الموجودين في الجيش الإسباني أن يصلّوا ويصوموا ويأكلوا ذبائح إسلاميّة!، وهذا أصلًا كفر لأنّه يقاتل تحت راية النصارى فهل نقدّم له ذبيحة إسلاميّة حتى يصبح مسلمًا؟! وقالوا أنهم منذ شهرين أو ثلاثة سمحوا بالحجاب للمجنّدات المسلمات في الجيش الأمريكي!

وممّا يُؤكد هذا الكلام أنّ أحد الإخوة ذكر لنا أن أحد ضباط الاستخبارات قال له: "أنت أتعبتنا وأوجعت رأسنا، فإذا تريد نسهّل لك اللجوء إلى بريطانيا".

ومعروف أنّه من الاتفاقات بين الإخوة في اليمن والحكومة أن يسهّلوا لهم بطاقات سفر و(فِيَز) ويضعوهم على الطائرات حتى يسهّلوا لهم أخذ اللجوء إلى أوروبا.

والدول الغربية لا تريد اجتماعيًا أن يأتي إليها الكثير من اللاجئين؛ لأنّهم يستنزفون الدخل القومي، فهناك رفض اجتماعي في أوروبا لوفود اللاجئين، في حين أن سياسية الحكومات أن تسمح للاجئين، وهذا مثال من الأمثلة.

وأضرب لكم مثالًا حيًّا من مجلس العموم البريطاني؛ في بريطانيا وفي فرنسا وفي كل البلاد هناك تنازع داخل البلد على وجود الأجانب، ففي بريطانيا قام أحد أعضاء البرلمان يندّد بالحكومة البريطانية أنها تفتح أبواب اللجوء وأنّ هذا يُعطي فرصة للأجانب لكي يكثروا، فمّما قاله أنّ هؤلاء الأجانب يشكّلون خطرًا أمنيًا، وأنّهم يشكّلون خطرًا فكريًا بنشر الإسلام وغيرها من الأفكار، والمشكلة الأهمّ أنّهم يشكّلون إرهاقًا اقتصاديًا.

فقام الناطق الرسمي بلسان الحكومة وردّ عليه فقال: أمّا عن الخطر الأمني؛ فعندنا في بريطانيا ٩ ملايين أجنبي، منهم القانوني الذي عنده إقامة وكذا، ومنهم غير القانوني، فأبشّرك عن خططنا الأمنية أننا نعرف كل لاجئ سواء كان قانونيًا أو غير قانوني؛ نعرف عناوينهم وبيوتهم ومكان عملهم ونستطيع في أيّ لحظة أن نجمعهم كلّهم خلال ٢٤ ساعة، فليس هناك أحد متفلّت خارج الأمن، فلا تتصوّر أن لهم خطرًا أمنيًا غير محسوب وغير معروف.

أمّا عن الخطر الفكري، فالجيل الأوّل يشكّل خطرًا فكريًا، أمّا الجيل الثاني والثالث والرابع فهم ذائبون أصلًا ويشكّلون أحد مكوّنات المجتمع.

ونأتي للقضية الاقتصادية، وانظر للعبقريّة العجيبة، قال لهم: هؤلاء الوافدون الأجانب، سواء كانوا ملاحقين سياسيين أو غيرهم؛ يأتي إلينا الفرد منهم ويكون عمره في الغالب في العشرينات، ويقضي عندنا عمره حتى الخمسة والخمسين سنة، ثم بعد ذلك في الغالب بعد أن يهرم يرجع لبلده.

فأولًا كونه قضى عندنا عمره من العشرين وحتى الخمسة والخمسين فهذه ٣٥ سنة هي عمر الإنتاج، فقبل العشرين يكون طفلًا يستهلك، وبعد ٥٥ يصبح شيخًا مُستهلكًا، بينما ٢٠-٥٥ يكون إنسانًا منتجًا في قمة طاقة العقلية والجسديّة.

الأمر الآخر؛ معظمهم حملة شهادات، فهم تركوا بلادهم فصنعوا فجوات في التطوّر في بلادهم، فكان يجب أن يعمّروا في بلادهم فلم يفعلوا، وجاؤوا ليعمّروا في بلادنا.

والنقطة الأخرى أنّهم يعملون في الخدمات السفلى، يعني واحد عنده دكتوراة في الاقتصاد فيأتي ليعمل حفّارًا، فهو يحسن ويجيد القيام بالخدمات السفلى، لأنّه إذا أردنا أن يقوم بها أبناء بلادنا فسيقوم بها الجهلة، بينما هنا يقوم بها المثقّفون.

القضية الأخرى أن ٩٠% من هؤلاء الناس يأخذ كسبًا من الأموال وينفقها في بلادنا؛ فيأكل ويشرب ويستهلك، فمعدّل الإنفاق يساوي معدّل الصرف.

فعمليًا هو يعمل عندنا ٣٥ سنة مقابل الأكل والشرب، فما هو رأيك هل ترفض عبدًا يأتي لعندك ويقول لك: أنا سأعمل عبدًا عند لـ ٣٥ سنة من العمر المنتج مقابل الأكل الشرب؟!

فالشاهد في الموضوع: نتيجة كل هذه النقاط فأنا أرى أن الفيزا واللجوء ليست عقد أمان بحيث نقول أننا إذا دخلنا بفيزا أصبحنا مؤمَّنين لهؤلاء الناس؛ لأنّ قضيّة اللجوء هي مثل أن تكون في الأردن فتضغط عليك استخبارات عمّان فيقوم ابن خالتك ويخرجك إلى استخبارات العقبة فتؤمّنك، فهل هذا يعني أن الحكومة الأردنية أصحبت منّك في أمان؟ فهو نفس الأمر؛ المحارب قام وأخرجك حتى يُهدّئك ويريح الآخر.

فالمسألة برمّتها لعبة علينا تمامًا، وليست عملية لجوء مثل لجوء الصحابة للنجاشي -رضي الله عنهم-، فالنجاشي كان طرفًا محايدًا ثم أصبح طرفًا مسلمًا، فأصلًا من الحمق قياس (اللجوء السياسي) على قضيّة النجاشي.

بقيت قضية التجنيس؛ عندما يأخذ أحدهم الجنسيّة يذهب للمحكمة ويُقسِم بمعتقده على الولاء للبلد الذي أعطاه الجنسية، وعلى احترام العَلَم وحبّ الملك وطاعة القوانين وأن يصبح مواطنًا صالحًا لهذا البلد. فأصلًا إذا كان الإنسان الذي أخذ الجنسية هو صادق في قسمه هذا ويعني ما يقول فهو يصبح كافرًا، خاصّة إذا كان إنسانًا غير مُكره، ولكن المتجنّسون حالتان:

قسم ليست عنده أي حالة من حالات الضرورة؛ لا ضرورة اقتصادية ولا ضرورة أمنية، ذهب إلى هناك وربما هو لا يصلي وزوجته غير محجبة، وأخذ الجنسيّة وأقسم على هذا الولاء بأن يصير مواطنًا صالحًا في إنجلترا وهو يعني ما يقول، فهذا كافر أصلًا.

والجدير بالذكر أن علماء شمال إفريقيا –تونس والجزائر والمغرب– في مرحلة الاحتلال الفرنسي والإيطالي والإسباني لشمال أفريقيا؛ أفتوا بكفر من يأخذ الجنسيّة الأوربيّة عندما عرض لهم قانون التجنيس.

فهؤلاء ليس عندهم ضرورة، جاء المحتل لعندهم وقال لهم: سوف أجنّسك بجنسيّتي وأعطيك جوازي وأضع لك عليه صليب وتصبح منا. فهذا ليس عنده أي وجه من أوجه الضرورة، فأفتى العلماء أنّه لا يجوز.

واللجوء والتجنيس من حيث المبدأ مسألة واحدة، فهذا يأخذ وثيقة نصيّة وهذا يأخذ وثيقة، وهذا يتعهد باحترام القوانين وهذا يتعهد باحترام القوانين، يختلفان في الصيغة ولكن مؤدّى القضيّة واحد، فالإنسان لو فعلها مُختارًا وقبلها دون أي ضرورة فهذا ارتكب إثمًا كبيرًا وهو ما بين الكفر والضلال المطلق.

القسم الثاني: رجل مقهور في بلاده فانسحب وذهب إلى هناك، فهم احتلّوا بلده وشرّدوه، وصار إذا أراد أن يتحرّك بجواز بلده لا يستطيع أن يدخل ولا يخرج ولا يجاهد ولا يحارب، فصار مضطرًا حتى يلتفّ على الحالة التي فرضها عليها الاحتلال، استفاد من قانون البلد المحتلّ وحمل وثيقته حتى يحاربه بوثيقته.

فهذا ليس (مُجنّسًا) بل هو (مُندس) في صفوف العدو حتى يحاربه بالفجوات القانونيّة، فهو مكره على هذا الأمر حتى يحارب الوضع الناشئ بسبب احتلال العدو بهذه الصورة.

فهذه الحيثيات يجب أن يأخذها بعين الاعتبار العلماء الذين يعتقدون أن قضايا (الفيزا) واللجوء والتجنيس هي قضايا مجرّد أنّ طرفًا رحمك وأمّنك وأعطاك مالًا وقال لك "تفضّل عندنا" فهل يجوز أن تحاربه؟

إذا أخدت القضية بهذه السطحيّة المطلقة فالجواب سيكون لا، ولكن إذا أخذت في الاعتبار أسباب هذه الظاهرة وما يحصل لك إذا ذهبت إلى هناك وما يحصل لأهلك؛ تجد أنّنا في حالة حرب مطلقة، وأنّهم أكرهونا على ظروف، فأدّت هذه الظروف إلى أن نضطر أن ندخل إليه بـ(فيزا) أو بلجوء أو بتجنيس..

فأنا أعتبر أنّها نوع من الكذب الجائز على الأعداء في حالة الحرب، فهو ليس أمانًا ولا هم يحزنون!، أنا على هذا المذهب، وأعتقد أنّ الناس الذين اعتبروه أمانًا ينقصهم عيش واقع حالة الاحتلال في بلادنا أو عيش حالة اللجوء في بلاد الكفّار وما تحدث فيه من الإجراءات على المسلمين الذين لجأوا إليهم وما هي الحقوق التي يأخذونها.

ولكن أقول لكن أن هذا الموضوع ما زال مشكلًا على بعض فقهاء الجهاديّين لأنّه لم يعش هذه الحالة فيعتبرها أمانًا، فالذي يعتبر (الفيزا) واللجوء والتجنيس أمانًا لا يجوز عنده الإرهاب في بلاد الكفّار، لأنّه سيدخل بإحدى هذه الحالات، أما في بلادنا فهذه حالة لا ينتطح فيها عنزان ولا يختلف فيها اثنان، لا يمكن أن نمنع ضربهم في بلادنا إلّا إذا أخذنا بفتوى من يقول بأن أمان الحكومة صحيح وجائز وهذا كلام باطل.

في بلادنا لا خلاف على أنّه يجوز ضرب المدنيّين والعسكريّين والكبار والصغار من الكفّار وأنّهم على الحلّ المطلق، ففي بلادنا ليس هناك خلاف، وأصل العمل في بلادنا، أمّا في بلادهم فللعلماء فيها قولان؛ قول يعتبرها أمانًا فبالتالي لا يُجوّز العمل.

وعلى فكرة هناك فتوى للقرضاوي قال فيها أن طاعة المغترب لقوانين الدول الأجنبية واجبة شرعًا، فهذا لم يقل أن ضربهم غير جائز بل أوجب طاعة القوانين!، وأصلًا قوانين بلادنا لا تجوز طاعتها حتى نطيع قوانين بلادهم!، ووصل هذا إلى أن بعض فقهاء أوروبا اخترعوا لنا (فقه الاغتراب)..

في أوروبا إذا كنت تعمل وتأخذ أجرًا من عملك؛ عليك أن تدفع جزءًا من أجرك كضريبة دخل، مثل كل البلاد، ولكن في أوروبا عندما لا تعمل يدّخرون لك من هذه الضريبة التي تدفعها أنت ويدفعها غيرك ويعطوك مرتَّب عاطل عن العمل، كنوع من التكافل الاجتماعي. بينما في بلادنا وفي دول العالم الثالث يأخذون منك ضريبة عمل وإذا توقفت عن العمل يضربوك (شلّوت) ولا يعطوك شيئًا، فعندما تعمل يأخذون منك ضريبة دخل وعندما لا تعمل لا يكفلك أحد.

الآن في أوروبا أغلب الإخوة يعمل فترة ويترك فترة؛ فيصير يأخذ مرتّب عاطل عن العمل، وهو يأخذ مرتّب عاطل عن العمل يعمل بدون إخطار، فيصير يأخذ أجر العمل بالإضافة لمرتّب عاطل عن العمل..

فقام مشائخ طاعة القوانين هؤلاء وقالوا: "هذا المال الذي تأخذه من الحكومة كعاطل عن العمل وأنت تعمل؛ هو سحت لا يجوز أكله"، هكذا أفتى القرضاوي وفقهاء الإخوان كلهم، وفقهاء الجماعات الإسلامية كلها وأصحاب المراكز الإسلامية كلهم، وكل المشائخ، ما شاء الله عندهم تقوى فقالوا: "هذا الكسب حرام"!.

يعني يا أخي هذا الكسب حرام، ولكن هذا المسكين الذي هجّروه من بلده وترك أهل وبلده حتى يستطيع أن يأكل وأُجبر بسبب ظروف الاحتلال أن يخرج إلى هناك، فيأخذ من أموالهم هذا الكسب دون وجه، اعتبرته سحتًا؟! أصلًا هؤلاء غنيمتهم واجبة، وفيؤهم واجب وجائز، وهذا المال جاء بدون حيلة ودون أن توجِف عليه.

حتى أنّه بسبب هذه المسألة انقسم الناس في أوروبا لمدرستين؛ هناك (مدرسة الاستحلال)، وهناك (مدرسة التحريم) الذي أفتوا بتحريم أموال الكفّار استدلّوا بأمرين، الأمر الأساسي أنّك داخل بأمان ولذلك تحرم عليكم أموالهم. وأهل الاستحلال قالوا: تحلّ أموالهم لأنّنا في حالة حرب.

وقضية (الاستحلال) هذه موجودة في كتب وأبواب الفقه، وهو ما يسمّى بقضيّة (الاحتطاب) أو (التلصُّص على أموال الكفار)، فأموال الكفّار تُؤخذ في الحرب غنيمة وفيئًا، وتؤخذ كذلك بالتلصّص أو الاحتطاب، وهو مال يأخذه لصوص المسلمين من الحربيّين بالحيلة أو بالغفلة، فهذا المال يجوز في ديار الحرب، ولكن هؤلاء يعتبرون ديار الحرب ديار أمان لأنّك –بزعمهم– دخلت بفيزا.

وطبعًا بعض علماء السعودية اعتبروها حالة أمان نتيجة المعاهدات الدولية؛ أنّ هناك معاهدة بين حكومتك وحكومتهم فلذلك أنت معهم في حالة أمان، وأصلًا نحن لا نعترف بحكوماتنا!، وأولئك قالوا: "حتى لو لم تعترف بحكومتك فأنت في حالة أمان شخصي بسبب الفيزا".

المشكلة أن هذين الطرفين أصبح فيهم غلاة؛ وأنا كنت في أوروبا، ففي أصحاب الاستحلال أصبح هناك (غلاة الاستحلال)، وفي أصحاب الأمان أصبح هناك (غلاة الأمان).

عندما تسمع كلام (غلاة الأمان) تحسّ بأنّ أموال الكافرين أحصن من أموال المسلمين، يعني يخافون عليهم مثل أمّهم الحنونة!، فقالوا هناك أمان بين حكوماتكم وأنت أعطيت أمانًا في الفيزا، فاعتبروا أنّ كلّ شيء لا يجوز.

بل قالوا إذا كنت تريد أن تسافر وكنت تأخذ مرتب عاطل عن العمل فعليك أن تبلّغ الحكومة، ففي القانون في حالة العاطل عن العمل إذا سافرت خارج البلد يتوقّف المرتب، فعندما ترجع يعطوك المرتّب، فهؤلاء قالوا إذا سافرت يجب أن تخبر الحكومة أنّك سافرت حتى يوقفوا المرتّب، ثم عندما ترجع يعطوك المرتّب، وإذا أخذت من المرتّب وأنت مسافر فأنت تأكل في السحت لأن أموالهم لا تحلّ.

أمّا غلاة الاستحلال فخرجوا بقول عجيب ومصيبة، فقالوا: "الاستحلال قائم حتى مع وجود عقد"، يعني لو كان هناك عقد بينك وبين الكفّار فليس عليك أن تحترم العقد.

*[414] يعني أنت إذا كتبت عقدًا فيجب أن تحترمه، فأنا مثلًا استأجرت بيتًا وفي العقد كتبت أنني سأعطيه أجرة، فيقول لي: لا تُعطِه أجرة!، كيف لا أعطيه الأجرة وأنا كتبت عقدًا؟، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}[415]، إلى أين ستفرّ من هذه الآية؟ والعقود هذه مع الكُفار وغير الكُفار، فترتَّب على هذه الأشياء غلو في الاستحلال هنا، وغلو في عدم الاستحلال هناك. والله أعلم.

والذي أنا عليه نتيجة البحث والسؤال في هذه المسألة، خلاصته: أننا في حالة حرب مُعلنة من اليهود والنصارى ووكّلوا المُرتدين في الحكومات، فمثلًا حسين عبارة عن مُحافظ عمان، وضعوه في الأردن فقط لتلك العملية، وإذا لم يؤدي ما عليه يستبدلوه بغيره، وعلنًا يقول شامير: "نحن نقدّر الجهود التي يبذل الملك حسين لحماية حدودنا". وكذلك حال فهد وغيره، فحالة الحرب تجعل في بلادنا حكمًا وفي بلادهم حكمًا.

الحالة الأولى: في بلادنا؛ كافَّة أشكال وجودهم على الحِلّ المُطلق من المال والدم، فهو محتل وجاء وجلس في بلادك، وكل النَّاس من المجاهدين حذَّروا وأعلنوا أنه اعتبار من يوم كذا سنستهدفهم؛ الجماعة الإسلامية في مصر والجماعة المُسلحة في الجزائر قالوا حتى تاريخ كذا لا نستهدفهم وبعد هذا التاريخ سنفعل، فحتى دون وجود شروط للإعلان كان هُناك إعلان؛ فهم في بلادنا على الحِل المُطلق وهذا أساس العمل.

الحالة الثانية: في بلادهم، كما قلت أخ أرسل لي يقول: "البعض يعتبر الفيزا واللجوء السياسي والتَّجنيس عقدًا"، وأنا أعتبر أنّ الفيزا واللجوء والتَّجنيس هي عقد مُكره؛ فشخص احتلَّني وجوَّعني واضطرني أن أخرج من بلدي، فلما خرجت إلى بلاده قال لي: "أنت في حالة كذا وكذا".

فأنا أعتبر الفيزا بالذَّات إذن دخول في القانون الدولي وليست عقد أمان؛ فالفيزا هي إذن دخول في البلاد الفلاني على أن تكون تحت طائلة القانون، يُطبَّق عليك القانون مثلك مثل غيرك. فيقول لك: "إذا أخذت أموالًا سأطبق عليك القانون"، فتقبل بذلك وتقول له: "أنا قبلت وإذا أخذت أموالًا فطبّق عليَّ القانون"؛ فمثلك مثل أي مواطن آخر.

---

[414] بداية تفريغ الملف السابع والثلاثين.

[415] سورة المائدة، الآية: ١.

أما قضية اللجوء فهي خدعة احتلال، وأما التَّجنيس فإما أن يكون الرجل ليس له سبب للخروج فليس مثل حالتنا، أو أن يكون له سبب فيدخل في حالة الإكراه، ففي هذه الحالة لا أعتبر هذا عقد أمان، وهذا ما وصلت إليه عن قناعة ممن سألتهم.

ففي بلادهم؛ إذا كنت تعتبر الفيزا واللجوء والتجنيس عقد أمان حسب ما لديك من أدلة؛ فيحرم عليك الاعتداء، فتذهب تعتدي عليهم في بلادنا كما فصَّلنا سابقًا، أو تدخل متسلّلًا؛ فإذا دخلت متسلّلًا فأنت في دار حرب وليست عليك هذه الشروط.

والذي لا يعتبر هذه الأمور عقد أمان، يرى أنّهم على الحِل ما لم يكن هناك عقد شخصي، فنحن كنا في حالة حرب مع الدول الصليبية حينما جاءوا وجلسوا عندنا، ولكن هناك شخص صليبي عاقد شخصًا مسلمًا في حالة هدنة على معاملة أو تجارة أو بيع؛ فهذا يجب أن يوفّي له العقد.

حتى قرأت كلامًا أظنه للنووي، قال: "إذا استأمن رجل من أهل الحرب مُسلمًا على ماله ليُوصله إلى أهله، كان ماله حرامًا في حين أنَّ دمه ما يزال حلالًا"، فأنت إن كنت قد عاهدت كافرًا أن تُوصل ماله إلى أهله وقتلته في الطريق، ماذا عليك؟ عليك أن توصل ماله إلى ورثته. فالعقد على حسب ما يتمّ التَّعاقد عليه، فأنت عاقدته على المال ولم تعاقده على نفسه.

فالشاهد في الموضوع أنه بحسب العقد، إن كان هناك عقد فهو مُحترم، لأنه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}[٤١٦]، فالذين قالوا بالاستحلال مع وجود العقد فهذا الكلام منقوض والله أعلم.

وهناك مسألة علينا أن نتنبَّه إليها: كانت هناك جماعة من فقهاء الجهاديين وغيرهم نزلوا لندن، وفي جاليات المُسلمين هناك شبابٌ غير ملتزمين لصوص، يعيشون في اللصوصية ويسرقون المُسلمين والكافرين، فمرة جاء للمسجد وسمع الشيخ يقول أن هذا المال حلال، فكان طوال هذه الفترة لصًا غير شرعي، وبفتوى من الشيخ أصبح لصًا شرعيًا!، فذهب وصار يسرق بلا ضابط، وتختلط أموال المسلمين بأموال الكافرين بأموال المعاهدين.

[٤١٦] سورة المائدة، الآية: ١.

ففي قضية الجهاد {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا}[٤١٧]، فهناك أحكام للأموال والدماء تحتاج إلى تأصيل، -فسيكون لدينا برنامج مدروس ومكتوب إن شاء الله بما يحل وبما لا يحل-..[٤١٨]

ساحات العمل الأساسية لجهاد الإرهاب الفردي والخلايا الصغيرة:

الآن نرجع إلى قضية ممارسة الإرهاب في أوروبا؛ نحن قلنا هو يُمارس على كافة أشكال الوجود في بلادنا، وحقيقة أنا لا يهمّني كثيرًا قضية بلادهم لأنه الأقل، فدوائر الإرهاب -كما في الجبهات- لها شروط ولها أمكنة، لمن يريد أن يمارس إرهاب ولا يعمل في الجبهات هناك دوائر الإرهاب:

أولًا: خط المقدّسات والنفط ومصالح أهل الصليب وأهل اليهود، وهذه أولى منطقة يجب أن يُمارس فيها إرهاب، وهي جزيرة العرب والشام وما جاورها، أي مربع (العراق ومصر والشام واليمن)، هذا المربَّع هو المنطقة رقم واحد في الإرهاب، فأفضل عمليات إرهاب تقوم بها للتأثير في العدو هنا؛ مصالح العدو الاستعمارية الأساسية هي هُنا، والقدس والمدينة ومكة هنا، ونفط الشام، وذهب ونفط العراق، ونفط الجزيرة، وثروات اليمن.

فمن الفرات إلى النيل ومن الأناضول إلى اليمن؛ هذا المربع هو أول ساحة تُثخن فيها في العدو بصناعة الإرهاب، فبضربك هنا أنت توجع الأمريكان والإنجليز والفرنسيين واليهود أكثر مما تفعل عندما تضربهم في الفلبين أو نيروبي مائتين مرة، بالضبط كالفرق بين أن تضرب رجلًا على يده أو تضربه على حنجرته في منطقة مقتل؛ فهنا يتألم أكثر ويمكن أن يُقتل. فخطّ المقدَّسات والنفط في مناطق الشام والجزيرة إلى مصر هي المنطقة رقم واحد.

ثانيًا: العالم العربي.

وثالثًا: العالم الإسلامي خاصّة المناطق الاستراتيجية، كمناطق مصالح اليهود والصليبيين التي جاورت خطَّ المقدَّسات والنفط جوار العالم العربي؛ وأهمها بلاد مثل تركيا، ومناطق أخرى كالهند وباكستان وغيره؛ فهذه مناطق فيها مصالح كثيرة، ونحن نتكلم بصورة عامة وأنت تنظر في الأضرار المترتبة على أن تضرب هنا أو تضرب هنا، فهذا أمر عسكري

---

[٤١٧] **سورة النساء، الآية: ٩٤.**

[٤١٨] **انقطاع في التسجيل.**

استراتيجي يرجع إليك، فمثلًا أنت خطوط وصولك وخروجك إلى أفغانستان من دول معينة، فلا تضرب فيها وتقطع الطريق على نفسك، ولكن إذا انتهت هذه الحالة وانتهت فائدة الطريق تصبح من الدول التي من المهم فيها ضرب المصالح الاستراتيجية.

والمنطقة الرابعة: هي مصالح اليهود والغرب (النظام العالمي) في العالم الثالث، فلماذا تضرب في العالم الثالث من دول إفريقيا وآسيا؟

لأن هذه المناطق أمنها ضعيف، فأنت تتحرَّك في راحة، فإذا ضربت في إفريقيا ستواجه أمن إفريقيا، فهناك رشاوى وسهولة في الحركة وعبور الحدود، وقضايا تسهّل حركتك.

المنطقة الخامسة: هي في بلادهم.

ملاحظات حول أسلوب الإرهاب الفردي في بلاد الكفّار:

الملاحظات التي نقولها أن مصالح العدو في المناطق الأربعة الأولى (خط المقدسات في جزيرة والشام ومصر، والعالم العربي، والعالم الإسلامي، ثم مصالح اليهود والغرب في العالم الثالث)، هذه المناطق الأربعة لها تكتيكات لضرب مصالح العدو فيها، أما في بلادهم فتختلف القضية.

فتلك المناطق أهلها مُسلمون وبالتالي تنتبه في الإرهاب أن لا يحصل على المسلمين، فهي حالة خاصة، أما في بلادهم (بلاد الكفّار) فأنت بالأساس تريد أن تؤلمهم في هذه الحرب، فهذه القضية يختلف فيها الوضع لأنك ستضرب بدون تحفُّظ، وتتجنَّب النساء والأطفال والعجزة والرهبان فقط إذا انفردوا، أما إذا لم ينفردوا فتستطيع أن تضع عبوة أو سيارة مفخخة فتُسقط عمارة بها ألفين مثلًا. أما في بلادنا فإذا كنت تريد أن تستهدف جنديًا أو مخبر شرطة فلا تستطيع أن تأخذ عبوة تضعها في سوق الخضار وتقتل مائة مُسلم، فيجب أن تنتبه أنه هناك فرقًا بين أحكام الإرهاب وأعماله هُنا وبين أحكام الإرهاب وأعماله هُناك.

من أهم الملاحظات أن حروب العصابات في بلادهم تقوم على إحداث خسائر بشرية كبيرة، فهذا مهم جدًا، وبالتالي يجب أن نبدأ بالتفكير في استخدام أسلحة الدمار الشامل في الإرهاب في بلادهم، فاستخدام نصف كيلو يورانيوم على كمية متفجرات تُلوّث خمسين دولة متجاورة، لماذا؟

لأنه يجب أن يكون هناك توازن استراتيجي فيما بيننا، هم يستخدمون أسلحة الكروز ويضربون المدنيين، ويستحلّون كل شيء ويهدّدون ويستخدمون الأسلحة البيولوجية والكيمائية على قواعد الإرهاب في أفغانستان وغيره؛ وهذا لا يمكن أن يُوقَف إلا بعملية ردع مماثلة كما حصل في عملية الرّدع النّووي بين روسيا وأمريكا، فإن كان الصراع على مستوى الأسلحة الكلاسيكية فهناك توازن، أما إن انتقل إلى مستوى أسلحة الدمار الشامل فلا مجال للمقارنة.

وهذا الكلام خطير جدًا، ولكن يجب أن نقول الأمور كما هي، نحن الآن نُنظّر للحرب في القرن القادم، فيجب أن نبحث في الأسلحة التي يجب أن نستخدمها والتّكتيكات وهذه الأمور، فلم يعد هناك مجال لكي نعطي النَّاس ربع الكلام أو نصف الكلام لأنهم سيقتلونني أو يسجنونني فهكذا لن يصل للناس أي تتطور، فإن فعلنا سنظل على مستوى الحرب السابقة ونحن قد خسرناها.

نحن خسرنا الحرب في نهاية القرن العشرين فيجب أن نربح الحرب في القرن الواحد والعشرين، وحتى نربح الحرب في القرن الواحد والعشرين يجب أن نُنزل فقهًا على مستوى القرن الواحد والعشرين، وأسلحة وتكتيكات في نفس مستوى هذه الحرب، والحرب عمل لم يقُم على الرحمة أصلًا إلا في أحكام الإسلام، وإنما الحرب فيها المعتدي يجب أن يكفّ عن الاعتداء.

قال تعالى: {فَإِمَّا تَثْقَفَنهُمْ فِي الْحَرْب فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفهمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ}[٤١٩]، وقال تعالى: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ}[٤٢٠]، وقال تعالى: {فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ}[٤٢١]، فالقضية ليست يجوز أو لا يجوز، أو هذا وحشي أو غير وحشي، أول من وضع قوانين الحرب الوحشية في العصر الحديث هو النظام الدولي فيما بينهم قبل أن تكون بيننا وبينهم، كانت برلين ولندن تتبادل

[٤١٩] سورة الأنفال، ٥٧.

[٤٢٠] سورة محمد، الآية: ٤.

[٤٢١] سورة التوبة، الآية: ٥.

قصف المدنيين وإنزال أمطار من المتفجرات على المُدن، وقتلوا في أربعة سنوات اثنين وأربعين مليونًا!، ثم ختموها بهيروشيما وناغازاكي فأسقطوا قنبلتين أبادوا مئات آلاف الناس.

فالحرب بهذه الصورة هم من وضعوا قوانينها، ونحن عندنا في قانون في الحرب ما يجوز وما لا يجوز، ومن هذه القوانين: قال الله تعالى: {فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ}، فإنسان لا يُمكن وقف عدوانه إلا بأساليب عدوانه ضمن ما هو جائز، فنحن نطبّق هذا ما هو جائز، هم يغتصبون النساء فنحن لا نرد على ذلك باغتصاب النساء، ولكن هم يقتلون المدنيين دون تمييز فنحن عندنا فسحة في رد هذا العدوان بقتل المدنيين دون تمييز، ولكن هم يقتلون النساء منفردات فنحن برحمة عندنا لا نقتل النساء منفردات، وهم يهتكون الأعراض فنحن لا نهتك الأعراض.

لكن قضية الإثخان البشري هي قضية موجودة عندهم وموجودة عندنا فعلينا أن نستخدمها بالمثل. **فأقول الإرهاب في بلادهم يجب أن يعتمد الخسائر البشرية وهذه الخسائر البشرية تكون بأسلحة الدمار الشامل**، فلا تضع نصف كيلو متفجرات في المترو بالليل وتقتل عجوزًا يسير بجوارها كلب وتقول: قتلنا شخصين!.

والقضية أن تستخدم أسلحة الدمار الشامل، وأسلحة الدمار الشامل هي:

أولًا: النووي، وأصبح متيسرًا وسريعًا ومتوفر مع معظم المافيات في العالم، فما عاد سلاحًا استراتيجيًا بل أصبح سلعة مافيا يُباع في مناطق داخل باكستان وأوزبكستان، بل والجميل والرائع أن مناجم اليورانيوم في الأرض التي نتحرك علينا نحن هُنا، فاحتياطي يورانيوم العالم هو في وسط آسيا، فمن مخزون الاتحاد السوفيتي فُقدت مائتين قنبلة نووية بحجم الحقيبة الدبلوماسية بيعت للمافيا، فهو موجود في السوق الدولية، هذا إذا عُثر عليه.

ثانيًا: الأسلحة الكيمائية، وهذه أصبح توليدها من العلوم الشائعة، فتستطيع أنت في بيت في قرية نائية في إحدى الدول الأوروبية أن تصنع عبوة غازات وتضعها في قنبلة، أو تطيّرها في منطاد، أو تضعها في سيارة إطفاء، أو تضعها في سيارة وتنسفها في ملعب فيه مائة وعشرين ألف مُتفرّج فينتج سبعون ألف قتيل؛ فهذا اسمه إرهاب، فليس الإرهاب أن أقتل شخصين. فلا يمكن وقف الجرائم البشعة التي يرتكبها اليهود والنصارى في بلادنا إلا بمثل بهذه الأعمال، فإن لم يمكن ردع أعمالهم إلا بهذه الأعمال فواجب أن نقوم بها.

السلاح النووي غالٍ يحتاج إلى أموال في تكلفتها وشرائها، أما القنبلة الكيمائية يُسمونها (قنبلة الفقراء النووية)، ولكن لكي تنتجها إنتاجًا تكنولوجيًا بالمواصفات اللازمة تحتاج مصانع كبيرة الحجم؛ وهذا يمكن حينما يكون لديك دولة يجب أن تشيد فيها مصانع كيمائية فتستطيع أن ترسل طيارانك أو ناسًا بقنابل كيميائية.

ثالثًا: السلاح الإرهابي الاستراتيجي السهل جدًا والقليل التكلفة والصغير الحجم ولا يوجد ما هو أفضل منه؛ هو السلاح البكتيري الجرثومي، فيمكن لعبوة حجمها ١٠ سم مكعب أن تنتشر في مدينة فتقتل مائتين ألف شخص في ساعتين، أو تضعها في مستودع مياه فتسمّم المدينة عن بكرة أبيها بكميات قليلة جدًا.

هذه الأسلحة النووية والكيمائية والبكتيرية، قد يقول شخص الآن: الإرهابيون وأبو مصعب يطرحون نظريات وحشية للإرهاب، هذه الأسلحة الوحشية اختُرعت وصُمِّمت وصُنعت وخُزّنت من قِبل النظام الدولي، لم نخترعها نحن، المسلمون ليسوا من اخترع ولا صمم ولا خزن ولا استخدم هذه الأسلحة، إنما هذه الأسلحة اختراعها وتصميمها واستخدامها هو يهودي صليبي. فهل هي حلال له أن يستخدمها ويستعبد البشرية، ويُبيد ملايين الهنود الحمر، ويبيد سكان أستراليا عن بكرة أبيهم، ويبيد سكان جزر الكاريبي، ويبيد سكان شرق آسيا، ثم حينما نقول نقتل البعض ممن يبيدون البشر تقول لي وحشية؟! لماذا هُنا وحشية وهُناك غير وحشية؟!

ولذلك حينما يقوم توازن استراتيجي بيننا وبين العدو يحصل المطلوب وهو أن يكفّ العدو عن الاعتداء فنحن نكفّ عن الاستخدام، فنحن لا نريد القتل ولكننا نريد وقف القتل ووقف المذابح التي تُرتكب في حقّ أبنائنا ونسائنا وأطفالنا.

حينما نزل الاستعمار البريطاني بجنوب إفريقيا سجّل المؤرخون البريطانيون أن جنود الإنجليز كانوا يلعبون الجولف برؤوس أطفال الزنوج، فرؤوس الأطفال صغيرة فكانوا يضربونها في الملعب من مكان ومكان ليتسلّوا بها!.

وذكر الشيخ عبد الله عزام: أن في فلسطين كانت نساء الميليشيات من اليهود والصليبيين يتدرَّبون من البيوت على الرماية بقنص الأطفال الذين يلعبون الكرة في الشوارع، نحن عندنا في ديننا نصّ نقله ابن عباس قال: (لعن الله من يتخذ من حي هدفًا)؛ فنحن في ديننا لا نتدرَّب على العصفور والدجاجة، حرام في ديننا، حتى أنّه في يوم القيامة يُوقِف العصفور رجلًا يقول: "يا رب قتلني هذا بغير مأكلة"، فبدون حاجة للأكل أزهق روح عصفور فقتله دون حاجة، فيحاسبه الله –سبحانه وتعالى– على ذلك.

فنحن ديننا مضبوط، أما هؤلاء الناس الذين صنعوا هذه الأسلحة يجب علينا أن نرد الصَّاع لهم بعملية توازن استراتيجي، فيجب أن يمتلك المسلمون هذه الأسلحة، فإذا قامت إمارات إسلامية فعليها أن تمتلك هذه الأسلحة وجوبًا شرعيًا، وإذا قام إرهاب فعليه أن يحاول حيازة تلك الأسلحة. فإذا لم توجد هذه الأسلحة فعليك بالأسلحة الكلاسيكية وهي المتفجّرات، بأن تختار أهدافًا مؤثّرة، فإذا أردت وضع عبوة عليك أن تضعها في سوق، أو في ملعب، أو في مجمّع سكني، أي مكان يُحدث خسائر ضخمة، فيجب أن ينتقل الإرهاب من مستوى لعب الشوارع هذا!؛ وضعت قنبلة فقُتل فيها ثلاثة، وقُتل فيها ستة إخوة، واعتقلوا سبعة، وكُشف تسعة وعشرون، وانهار التنظيم بسبب قتل ثلاثة أشخاص!، ما هذه العملية؟ وما فائدتها؟!

فهذا في بلادهم.

ملاحظات حول أسلوب الإرهاب الفردي في بلادنا:

أما في بلادنا؛ خط المقدسات ثم العالم العربي ثم العالم الإسلامي في المناطق الاستراتيجية ثم مصالح اليهود والغرب في العالم الثالث، فهذه المناطق خاضعة لقوانين حرب العصابات، فيجب أن يُمارس فيها حرب العصابات وخصوصًا حرب عصابات المُدن، فراجعوا حرب عصابات المدن، وأنا لدي الكورس السابق شرحت فيه كتاب (حرب المستضعفين) في اثنين وثلاثين شريطًا، وفيه حروب الغابات، حروب الأدغال، حروب المُدن وقوانينها.

فأذكر مجموعة من ملاحظات:

أولًا: حرب عصابات المُدن التي يُسمّونها (الإرهاب المدني) يجب أن تقوم في المناطق التي ليس لنا فيها جبهات؛ (مصر- تونس- ليبيا- بلاد الشام- تركيا- الهند- الباكستان)، فإذا لم تقُم جبهة يجب أن تقوم تلك الأعمال.

وأهم شيء في حرب العصابات هو عدد العمليات وليس ضخامة العملية، نحن الآن سيطر علينا تصور أنه يجب أن تكون العمليّات على مستوى المارينز، عملية على مستوى الخُبر، هذا ليس ضروريًا؛ الأجانب موجودون في جزيرة العرب بتعداد مائتين ألف نسمة؛ لنفرض أنهم مائة وسبعون ألفًا مدنيون، وثلاثون ألف عسكريون، فضرب العسكريين

الآن مستحيل فقد جمعوهم في مجمَّعات بعيدة عن المدن والطرق مرصودة والدوريات مستمرة، ولكن الأسر والخبراء والذاهبين إلى الأسواق وغيرهم أهداف سهلة جدًا، فحرب العصابات أصلًا تقوم على عدد العمليات.

الآن الأمريكان موجودون في الجزيرة علنًا منذ عشرة سنوات، أي ثلاث آلاف وخمسة وستين يومًا، لو كل يوم حرقت سيارة، أو كسرت رجل أحدهم، أو بصقت عليه وأزعجته في الشارع، أو طعنت اثنين بالسكين، أو فجرت سيارة، أو وضعت عبوة في طائرة، أو قلت أن هناك عبوة وليس هناك شيء لتزعجهم فتؤخر عليهم الرحلات وتؤجلها لهم.

فحرب العصابات لها تصانيف كثيرة ولا أريد أن أطيل الشريط، فحرب العصابات تقوم على عدد العمليات لأنها تسبب إعلامًا، وليس على عملية واحدة يكون فيها خسائر كبيرة، إنما على عمليات بسيطة يمكن أن يقوم بها عموم الناس؛ فيجب أن تُبَثّ ثقافة إرهابية.

وأنا استخدم كلمة (إرهاب)، لأنهم لكثرة ما رددوها جعلوها في عقل الإنسان كلمة بشعة، والإرهاب ليست كلمة بشعة، إنما هو مصطلح من المصطلحات مثل الحرب والاستراتيجية والعسكرية والتفاح والياسمين؛ فهي كلمة، وهم جعلوها في عقولنا كلمة بشعة.

لننتقل من التكتيك إلى الفلسفة؛ الإرهاب: هناك إرهاب مشروع الذي يقوم على تحصيل حق أو دفع عدوان، وهناك إرهاب غير مشروع الذي يقوم على أكل حق أو على العدوان، فهناك إرهاب مشروع وإرهاب غير مشروع، فالذي يقول: "أنتم إرهابيون" هذا ليس بمعيار، إنما الله -سبحانه وتعالى- جعل الإرهاب كما كان يقول لنا شيخنا -الله يذكره بالخير-: "الإرهاب فريضة والاغتيال سنَّة مؤكَّدة عن الرسول ﷺ"، وهذا ثابت، فالله- سبحانه وتعالى- قال: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}[٤٢٢]. فلماذا أمر الله -سبحانه وتعالى- بالإعداد؟

فهذه المعسكرات التي تراها هي سياحة وثقافة عامة ولا يفعل أحد شيئًا بعدها إلا القليل، فيأتي يأخذ ثقافة ويذهب ولا يفعل شيئًا ولن يفعل، وما جعل الله -سبحانه وتعالى- الإعداد هكذا؛ وإنما جعله لترهبوا به عدو الله وعدوكم،

---

[٤٢٢] سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

وترهبون أصلها (أرهب) والفعل الثلاثي (رهب)، فالرهب هو قمة الخوف، وحينما ينخلع القلب يدخل الإنسان في حالة من الرهبة، {وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ}[٤٢٣].

فأنت يجب أن تُدخل العدو في حالة من الرهبة، فأنت تُعد وتضرب وتذهب حتى تُرهب به عدو الله وعدوكم، والذي يقوم بعملية الرهب والإرهاب اسم الفاعل منه هو (إرهابي)، والإرهابي ليست صيغة مدح وليست صيغة ذم، فإن كان إرهابيًا في الحق فهي صيغة مدح وإن كان إرهابيًا في الباطل فهي صيغة ذم، فاللص قاطع الطريق هو إرهابي باطل والشرطي الذي يطارد هذا اللص هو يُرهبه كي يدفع أذاه عن الناس، فالشرطي إرهابي حق وقاطع الطريق إرهابي باطل.

فأمريكا والنظام العالمي على مرّ تاريخه كله من قتل الهنود الحُمر إلى ناغازاكي إلى هيروشيما إلى ما يفعله معنا الآن =هم يُمارسون الإرهاب الباطل، والحكومات التي تصد عن سبيل الله تُمارس الإرهاب، والذي يقول لك من وضعت حجابًا نطردها من الجامعة هذا إرهاب، أو من يطلق اللحية نضعه في السجن فهذا أيضًا إرهاب؛ فإذا قام هذا المظلوم يقول: "أريد أن أرهب هذا الرجل كي يكفَّ أذاه عني"؛ فهذا إرهاب مشروع.

فأنا استخدم مصطلح إرهاب بدون أي توجس ولم نخضع بحمد الله لهذه الحرب النفسيَّة التي يصنعونها، فيقولون: (إرهابي)، لا مُشكلة، ويقولون: (أصولي)، أين المشكلة في كلمة أصولي؟ صارت مسبة!، أصولي في الإنجليزية والفرنسية يعني: (Fundamentalist) أي إنسان لديه أصول، فأيّهما الأفضل؛ إنسان لديه أصول أو إنسان ليس لديه أصول؟! فيقول لك: لا لست أصوليًا!، كيف لا يكون لك أصول ونحن نرجع إلى القرآن وإلى السنة لتشريع القضايا.

فهذه المصطلحات التي وضعوها في الصحوة من (إرهابي) و(أصولي)، وأيضًا كلمة (متطرّف)؛ فالمتطرف هو من اتَّخذ طرفًا وابتعد عن الوسط، فإذا أصبح الوسط هو مركز الظُّلم فإن الحقّ أن تأخذ طرفًا، فتصبح متطرفًا عن هذا الظلم الموجود في الكرة الأرضية التي أصبحت كرة الظُّلم.

فإذا أردت أن تصف حال الكرة الأرضية الآن لن تجد صفة أعم من الظُّلم؛ فأمريكا تظلم أوروبا، والدول الأوروبية الكبيرة تظلم الدول الأوروبية الصغيرة، والدول الأوروبية كُلها تظلم العالم الثالث، ودول العالم الثالث تظلم العالم الإسلامي، والدول الكبرى في العالم الإسلامية كالسعودية تظلم الدول الصغرى كاليمن وبنغلاديش، وداخل الدولة

---

[٤٢٣] سورة القصص، ٣٢.

الحكومة تظلم الشعب، وداخل الشعب القوي يظلم الضعيف؛ فأرض قائمة على الظُلم، فإذا الإنسان خرج عن هذا الظلم واتَّخذ طرفًا عنه فأصبح متطرفًا، وأصوليًا، وإرهابي حق؛ فهذا جيد.

وحينما نُدرّس لكم ثقافة الإرهاب هذه يجب أن نُخرج من رؤوسنا حالة الرَّعب النفسيَّة من هذه المصطلحات، فنحن متطرّفون إلى الحق عن الباطل، وأصوليُّون لنا أصول ننطلق منها وقواعد نحترمها، وإرهابيُّون حق نرد إرهاب الباطل لأن الله -سبحانه وتعالى- أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، فحينما لا يقومون بالقسط يجب أن يُجبروا عليه، وهذا يحتاج إلى قوة وسلطان.

نرجع إلى الأمر الثاني: **قضية إرهاب المُدن:**

فالقاعدة الأولى أن الإرهاب يقوم على كثرة العمليات الصغيرة التي لا خسائر فيها، فأنت تكوّن مجموعة واليوم تذهب لتحرق سيارة بدون رُكاب، وتقول: حرقنا سيارة إنجليز لأنهم محتلّون ولأننا المقاومة الإسلامية العالمية، فما وقعت عندك خسائر، ثاني يوم تضع في علبة كولا عبوة صنعتها في البيت، فأنت تسير في الشارع تأكل ساندوتش ترمي ورقة الساندوتش وعلبة الكولا على باب إحدى شركات خطوط الطيران التي نُحاربها، ليلًا الساعة الواحدة وبعد نصف ساعة انفجرت العبوة دون أن يأسِرك أحد ولا يكشفك أحد، فالخبر يكون: نحن ضربنا الخطوط، وثالث يوم تُهدّد بأن تضرب كل خطوط الطيران لأنكم تفعلون كذا وكذا، فقلبت الدنيا وهذه عملية ليس فيها خسائر.

لكن أن تأتي الساعة التاسعة ونصف صباحًا وتُخرج مُسدسًا وتضرب موظف الخطوط فسوف يأسروك، فأنت أتيت بمسدس وخسرت أربعة أو خمسة لقتل واحد جربوع لا يسوى فلسًا عند الناس ولا عند الله، فهذه عملية فيها خسائر.

وهذا له تفاصيل كثيرة، فحرب العصابات تقوم على العمليات الصغيرة التي لا خسائر فيها؛ نتيجة هذه العمليات الناس تتجرَّأ حتى يخرج عندك نخبة صغيرة تتدرَّب وتستطيع أن تقوم بعمليات متوسطة حتى تتم القضية، ولكن تبقى على إرهاب المدن، وأول ما يُكتشف شخص تكون حركته صعبة يتحرك بأوراق أخرى، أو بظروف أمنية، أو يطير مباشرة إلى الجبهة فقد انتهى عمله هُنا، فأنت تكون قد صنعت ثقافة ودعوة عامة لكي يستطيع الناس كُلهم أن يمارسوا هذه الأعمال الصغيرة.

أما الأعمال الكبيرة فيجب أن يكون الأصل فيها: الإعلام والتحريض، وليس بالضرورة كثرة الخسائر؛ فالآن إن أخذت صاروخ (BM) من العراق وقمت بتهريبه إلى فلسطين عبر أي قرية من القُرى وتحت الليل أسقطه على إحدى المستوطنات وهي عملية ليست صعبة، فأيّ أخ تدرَّب يأخذ صاروخ (BM) ويضعه على بطارية ويُطلقه، فماذا يكون في الإعلام؟؛ قصف صاروخي على المكان الفُلاني والقضية كلها أنهم صاروخان!، فقامت الدنيا وتخبَّطت الحدود وتعطَّل التصنيع وانقلب النظام الدولي، وهي عملية بسيطة جدًا، فلا يجب أن يكون تفكيرك قتل مائة ألف واحد وإنما أثر العملية في الإعلام وأثرها في التحريض.

فضروري أن تستمعوا إلى شرائط (حرب المستضعفين)، فحرب العصابات ليست حرب عسكرية أساسًا، وإنما كما يسمونها فهي (حرب دعائية تحريضية)، فبالدعاية والتحريض تجعل الخصم في حالة من الانهاك فيسقط دون أن ينفرط جيشه ولا استخباراته تم القضاء عليها، ولكن بسبب الوضع السياسي؛ فأنت بالعمل العسكري خلقت له وضعًا سياسيًا غير قابل للاستمرار.

والأمر الثالث المهم بعد مسألة العمليات أن هناك شيئًا اسمه (المقاومة المدنية)؛ فهي عملية مقاومة ولكن ليس فيها سلاح ولا عنف، وهذا يقوم به الأولاد والنساء والشيوخ والقادر وغير القادر، ومنها الكتابة على الجدران، والمنشورات، وإيجاد جو مُبغِض لليهود والصليبيين والمرتدين على مستوى الأمة؛ هكذا تقوم المقاومة المدنية، فيجب أن يكون هناك حالة نفور وليس أن يأتي سائح فنقول له أهلًا وسهلًا، فتراه في بلاده حقيرًا فيأتي إلى بلادنا تجده محترمًا فيُجلسوه في القهوة ويستضيفوه، وهذا الكلام أصلًا حرام، فضلًا عن الحرام هذا مُهين جدًا، في بلادنا يقتلون أطفالنا ومن يفعل هذه الأفعال تأتي به إلى بلادنا وتُكرمه!، دخل الأردن السنة الماضية ثمانية وثلاثون ألف سائح يهودي وخرجوا ولم يتعرَّض لهم أحد بكلمة!، بل وجعلوا لهم في جبل عمان (مطعم كوشر)، ناهيك عن الذي يحصل في مصر وغيرها.

فأنا كنت أستمع إلى إذاعة عمان فكانوا يسألون تاجرًا عن مسألة مجيء السياحة الإسرائيلية إلى عمان والأسواق، فكان هذا التاجر حزينًا، ولكنه لم يكن حزين على دخول اليهود وإنما كان حزينًا لأنهم لا يشترون!، وأحضروا معهم حتى الماء، وحينما خرجوا سرقوا الفنادق التي جعلوها لهم في البتراء وهذه المناطق!.

أنا عشت في فرنسا عدة سنوات، إذا أراد رجل فرنسي أن يسب رجلًا فرنسيًا فكان يقول له: "يا يهودي!"؛ بسبب الأخلاق التي عندهم فيما بينهم، وفي تعاملاتهم مع الناس وباقي الأديان ومع المسلمين.

فالشاهد في الموضوع أنه يجب أن يكون هناك جو عام مُبغِض لهم، بالكتابة على الجدران وغيرها، وهناك كُتب مؤلَّفة في المقاومة المدنية، حتى هناك بعض المؤلفات الفلسطينية ودروس في تلك القضية في حروب المقاومة المدنية وغيرها ألفتها المنظمات.

فحرب العصابات يجب أن تكون على مستوى الأمة ويكون فيها كل البشر بدءًا من الدعاء عليهم، إلى شتمهم وسبهم في الشوارع، واضطرارهم إلى أضيق الطريق وإشعارهم بالاحتقار، ثم ضرب مصالحهم البسيطة من سيارات وبيوت ومحلات، حتى يأتي رجل إلى الفندق أو يطلب منك شيئًا، فتقول له: لا أبيعك؛ فهذا يساهم في دفع الاحتلال ويُشعر هذا الرجل أنه مبغوض.

ثم نؤجّج هذه الحالة فيكون هناك نخبة من شباب الأمة يجب أن نطرح لهم مناهج في التدريب، -وسأتكلم كيف يكون التدريب-، فنُوصل إلى الأمة معلومات عسكرية عن حروب العصابات؛ كيفية طبخ المتفجرات، كيفية صُنع العبوات، كيفية توقيتها، كيفية استخدام السلاح الأبيض، كيفية تخريب السيارات، وكيفية استهداف وتخريب هذه المصالح.

ويجب أن نُوصل إلى الأمة الأحكام الشرعية لهذا الإرهاب حتى لا يحصل شطط، فما الذي يحل من الدماء وما الذي يحرم؟، وننشر الفكر الذي يندّد بالعلماء المنافسين؛ الذي يضرب دعوة الحكومة.

خلاصة النظرية العسكرية

فأعود وأذكّر بنظريتنا العسكرية:

أولًا: أنه على مدى السنوات القادمة يجب علينا أن نتمركز فيما تحت أيدينا من الأرض؛ وهي أفغانستان ووسط آسيا، وندافع عنها ونوسّعها فهذه إمارة.

ثانيًا: تحريض المناطق الصالحة لأن تكون جبهات، وعلى رأس هذا (وسط آسيا- اليمن- المغرب- الشام)، فهذا مُهم جدًا أن نُحركه حتى يكون خطًا لضرب مصالح العدو، فانتهينا من الجبهات.

ثالثًا: يجب أن نحرّض الأمة على حرب عصابات والإرهاب المدني.

رابعًا: دعوة التنظيمات القائمة القطرية -كتنظيم كشمير وغيره- وهي تنظيمات جهادية كثيرة أن تساهم بجزء من المجهود الحربي ضد النظام الدولي؛ لأن الأمة ستتحرَّك ولكن ستكون عملياتها بسيطة وليست مؤثرة، وكذلك الشباب غير المدرَّبين، فالذي يستطيع أن يقوم بالعمليات الأولى هُم هؤلاء.

خامسًا: تحريض الأمة على حرب عصابات إرهابية ونشر العلوم اللازمة من علوم شرعية وحركية وعسكرية، فنجعلها في متناول الناس حتى تُدرّب نفسها.

وطبعًا من الثقافة التَّحريض على حيازة الأسلحة فالحكومات وضعت في عقول البشر أن حيازة السلاح أمر مُنكر، مع أن الله -سبحانه وتعالى- قال: {وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً}[٤٢٤]، فمن أهدافهم أن يُنزع السلاح من الأمة؛ ولذلك نُزع سلاح أهل الشام، وأهل الجزيرة، وأهل مصر، ومعظم العالم العربي.

المناطق القبليَّة الوحيدة التي بقيت محافظة على سلاحها هي الصومال، واليمن، وأفغانستان، وهي المناطق التي استعصت على النظام الدولي لأنَّ فيها سلاحًا؛ فيجب علينا أن نرجع وننشر ثقافة حيازة السلاح، وضرورة أن يكون لدى الإنسان سلاح. وهذا كله من المعلومات التي نُحرّض عليها الأمة.

ولذلك ما نتصوره عن النظرية العسكرية؛ أننا الآن موجودون في دار إسلام يجب أن ندافع عنها، وأظن أننا نحتاج إلى خمس سنوات إن كنَّا ناصحين وفهمانين وجيدين لتحريك جبهات أخرى، ولعلَّ خلال خمس أو عشرة سنوات تولد إمارات شرعية أخرى، وخلال فترة من خمسة عشرة سنة إلى خمسة وعشرين سنة يجب أن نكون أوصلنا الأمة من حالة الموات إلى مواجهة النظام الدولي، لأن هذا يحتاج إلى تحريض كثير جدًا.

فيجب أن نستخدم الصحف سواءً كانت إسلامية، علمانية، دولية، فبأي طريقة يجب أن نُوصل هذه الأفكار، ويجب أن نحرّض الشيوخ، فليس بالضرورة أن يخرج على المنبر وينادي بالجهاد المسلَّح فيُقبض عليه ثاني يوم، وإنما هناك أفكار يستطيع أن يُسرّبها على مراحل، سواءً زرعنا ناسًا في التبليغ، أو في السلفية، أو في الصوفية، وأدخلنا ناسًا على الزوايا؛ فنبدأ نُحيي فقه دفع الصائل بحيث يتحوَّل في حِسّ الأمة إلى فريضة.

---

[٤٢٤] **سورة النساء، الآية: ١٠٢.**

فخلاصة نظريتنا العسكرية قوله تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ}[٤٢٥]، وأنا لا أريد أن أفصّل كثيرًا حتى لا تطول الأشرطة، تأتي إلى شخص فتقول له خذ كورسًا من ثلاثين شريطًا فيكسل ولا يسمع، وسأحاول أن أختصر هذا الكورس في شريطين بحيث نقول لهم: من يريد تفصيلًا فعليه أن يرجع إلى المجموعة، لأنه الآن ثقافة (الهامبرغر)، فالأول كان بدك تأكل أكلة كبيرة فتأتي بالمحشي وتجلس تحشي لمدة خمس أو ست ساعات، أما الآن فالناس ليس لديها رغبة لتجلس تطبخ خمس وست ساعات، بل يريد أن يقف على ناصية الرصيف ويأخذ ساندوتش هامبرغر مع قليل من البطاطس الشيبس ويأكلها وهو في الطريق وخلاص؛ فهذه ثقافة السرعة.

نفس الشيء كان فيما مضى الواحد يجلس على موسوعة سبع مجلدات كي يحصل مسألة، فكانت الناس تصبر على الثقافة والعلم، أما الآن فيريد كلمتين ونصف في منشور أو جريدة، أو توفر له شريطًا يستمع إليه في السيارة.

فيجب أن توفّر هذه المعلومات وهذه الثقافة التي تناسب عقلية الناس، فعقول الناس متفاوتة والأمة طبقات، وعمومًا الأمة ثقافتها لا تتحمَّل كلامًا كثيرًا، تقول له معلومتين هكذا على حكمين شرعيين على أمرين عسكريين ومعلومتين سياسية لكي يقف موقفًا.

فخلاصة نظريتنا العسكرية:

{فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ}[٤٢٦]، وخلاصتها: إلغاء العمل بأسلوب التنظيمات السرية القطرية الهرمية، وإقامته أساسًا على فتح خطوط جبهات في مناطق مناسبة بشروط معينة تتحوَّل إلى إمارات شرعية مع الوقت. وفي المناطق التي لا تصلح للجبهات إطلاق يد المسلمين في حرب إرهابية تتحوَّل إلى فريضة شعبية لدفع الصائل؛ تقوم بتطبيق جهاد السنان على اليهود أولًا، ثم النصارى ثانيًا، ثم المرتدين ثالثًا أو على حسب حالة البلد. واليهود رأسهم إسرائيل والصهيونية، والنصارى رأسهم أمريكا وبريطانيا ثم باقي دول الناتو، والمرتدون هم الحكومات وأجهزتهم السلطوية القمعية.

---

[٤٢٥] سورة النساء، الآية: ٨٤.

[٤٢٦] سورة النساء، الآية: ٨٤.

هذا يتماشى مع نظرية تحريض إعلامية في إسقاط حجج المنافقين وإثبات حججنا، فيجب أن يقوم بجانب الحرب العسكرية جهاد السنان؛ جهاد بيان يقوم بإثبات منهجنا ودحض مناهجهم، ونكتفي بهذا القدر تحت عنوان (النظرية العسكرية).

ولب الموضوع هو النظرية الفلسفية أو بالأحرى إيديولوجية المواجهة (الفكر) ثم العمل العسكري، وباقي الأمور هي نظريات وأفكار سريعة خفيفة تُكمل الموضوع؛ نظرية التدريب، نظرية الإعلام، وأفكار عامة وإلخ، وأهمها هي (نظرية التمويل)، فهذا العمل من أين سيُموّل؟

الباب الثالث: نظرية التمويل

كما هو دأبنا في كل القضايا؛ نستعرض الأخطاء ونستخلص الصواب، فالخطأ الذي حدث: **كيف كان يُموّل الجهاد؟**

حدث عندنا جهاد تنظيمات، وجهاد جبهات، وجهاد إرهاب فردي. لاحظ أنَّه في حالات الجهاد كلها كان عنوان التمويّل (حالة تسوّل)؛ فيذهب المجاهدون إلى جبهات غير مُجاهدة يطلبون منها المال سواء كان تنظيمًا أو جبهة أو غيره.

حالة التَّسوُّل هذه كانت في مرحلة القطبين الذي أدّى إلى قيام قضايا في صالح أحد القطبين، فيقوم القطب الآخر وذيوله وأذنابه بتمويل هذه الجهات (المجاهدة) ضد هذا القطب؛ فإن كنت تُقاتل عبد الناصر يُموّلك الملك فيصل، وإن كنت تقاتل في أفغانستان تُموّلك السعودية، وإن كانت تُقاتل في الشيشان والبوسنة يُفتيك ابن عثيمين؛ لأنّ الوضع في المرحلة الماضية –وليست المرحلة الأخيرة– كان يسير في صالح الاتجاه الأمريكي وتفتيت الاتحاد السوفييتي.

وهذا لا يعني أنها حالة عمالة ولكنها حالة تقاطع مصالح كما شرحناها سابقًا، ولكن كان يجب أن نفعل ذلك وحينما كنا نفعله كان هناك نظام لضبط هذه الأمور...[٤٢٧]

المجاهدون في سوريا كانوا يلجؤوا إلى الأردن والعراق والسعودية والدول التي كانت مُعارضة لسوريا، فكانوا يتدرَّبون في العراق وفي مصر وفي الأردن، فلما انتهى نظام القطبين انتهت معه أمور كثيرة ومن جملتها (حالة التسول) وحلَّت محلها (حالة تخفيف المنابع)، فجُفّفت المنابع وبقيت التنظيمات المجاهدة دون أموال، فهذه المشكلة إما أن نضع لها حلًا أو لن يكون هُناك جهاد.

*[٤٢٨] قلنا في الحالة الماضية التي كانت تحت عنوان (حالة تسوُّل أموال من جهات أخرى)، كانت مزاياها أن التمويل: إما من **تمويل مُعادٍ**؛ أي الحكومات هي التي تُموّلك، وفي الحقيقة هم أعداء؛ النظام العراقي عدو للإسلام يُموّلك كحركة

---

[٤٢٧] انقطاع في التسجيل.

[٤٢٨] بداية تفريغ الملف الثامن والثلاثين.

إسلامية لمصالح معينة، النظام المصري هو عدو للإسلام، النظام الأردني هو عدو للإسلام ويُدرّب حركة إسلامية. ففي النهاية جاء هذا التمويل بنحرها -الحركة الإسلامية-؛ لأن هذه الأنظمة قامت بحل المشاكل فيما بينها، أو النظام الدولي انتهى وصار (المايسترو) واحدًا، وهذا المصدر الأول.

المصدر الثاني: كان **إحسان القاعدين عن الجهاد**. معظم الناس في منطقة الخليج أكلوا أكثر من اللّازم وشربوا أكثر من اللازم وعصوا الله أكثر من اللازم، وكذلك في مناطق الثَّراء عمومًا في أوروبا، فكان التمويل يأتي من أغنياء أوروبا أو أغنياء الخليج. فبعض هؤلاء العصاة عنده حالة من التَّسامي يُريد أن يُغفر ذنبه وهو غير قادر أن يُطيع، فقال: نساعد هؤلاء الطَّائعين، فيقوم بالتَّبرُّع لقضية الجهاد نتيجة العواطف ونتيجة التَّديُّن أو نتيجة أي قضية أخرى.

المصدر الثالث للتمويل: **هو القليل من المحسنين المجاهدين أو المتعاطفين مع الجهاد**، وهذه حالات نادرة، فالأصل هو الأول ثم الثاني وبعض الحالات من هذا النوع.

ولكن هناك عاملًا مشتركًا بين كل هذه المصادر، وهو أنَّ هذا التَّمويل سببَّ لنا أزمتان؛ أولهما: كشف الأسرار؛ لأنه حتى يُعطيك أموالًا يجب أن يعرف ماذا تفعل، وما القضية، وما الأخبار؟!

ثانيهما: التَّدخل في العمل. ثم صار في النهاية توجيه العمل. الحكومات والقاعدون عن الجهاد والمحسنون دخلوا في هذه القضايا، يتدخَّل في عملك ثم يوجِّه عملك، يقول لك تكتب هكذا في النَّشرة ولا تكتب هكذا، فكِّر هكذا ولا تُفكِّر هكذا!.

حتى لو هو مُجاهد صالح يُريد أن يوجِّهك إلى التَّفكير بطريقته المتخلِّفة، هو رجل مُجاهد على خير ولكنه ليس على مستوى قضيتك، ويُريد أن تجاهد على كيفه، وكيفه مُتخلِّف عن كيفك؛ فبالتالي فقدت معلوماتك، وفقدت حُريتك، وفقدت قدرتك أن تتحرَّك على هذه الصورة.

فهذا نظام التَّسول، ولم نكن قادرين على أن ننُهيه ولكن بفضل الله أنهاه النظام الدولي بتجفيف المنابع، فحتى هذه الحالة المؤذية أنهاها النظام الدولي على ما كان فيها من مميزات وسيئات.

فهذه المرحلة على الرغم من مميزاتها وأخطائها إضافة إلى كشف الأسرار والتدخل في العمل، إلا أنه كان تمويلًا غير مستقر، مرة يوجد ومرة لا يوجد، فبالتالي مخطَّطاتك مضطربة تبعًا لاضطراب الموارد.

سياسة الإغراق المالي:

الأمر الآخر أن تلك الجهات الثلاثة سواء حكومات أو قاعدون عن الجهاد أو مجاهدون، أدخلوا الحركات الجهادية والمجاهدين في حالة معروفة في علم توجيه العصابات اسمها (الإغراق المالي)، وفي هذه الحالة يُغرقك بالأموال؛ فهو يراك حركة من عشرة أشخاص ميزانيتكم ألف دولار، تستعيرون مسدسًا وتُنفذّون عملية، ووضعكم يسير شيئًا فشيئًا.

فيقول لك: بسبب الدين والواجب والإخوة يجب أن نساعدكم، فيعطيكم مائة ألف دولار، فأنت أمير عشرة أشخاص وفجأة أصبح معك مائة ألف دولار!، فأول شيء تفعله توسّع دائرتك، وتشتري سيارات، وتشتري أجهزة، وتضع أموالًا في الاستثمار، وبدل العشرة تُجند مائة، وبعد أن وسَّعت دائرتك جاءك مليون دولار فوسَّعت دائرتك لألف شخص وأصبح لديك مكتب داخلي ومكتب خارجي ومعسكر ونشرة وإلخ.

فحينما تصل إلى تلك المرحلة تجد أن الحكومات والاستخبارات التي تُرسل لك أموالًا، والمحسنون القاعدون عن الجهاد، والمحسنون المجاهدون معك، ستجد أن هؤلاء الأطراف قد مارسوا المراحل التالية، **فيتدخَّلون في العمل عبر مراحل:**

أول شيء: **يأتيك بنصيحة غير مشروطة**؛ فيقول لك نرى أن هذا أفضل من هذا ولك أن تأخذ به أو لا تأخذ، لكنها نصيحة عمل.

ثانيًا: **يسأل عن نتيجة النصائح**، فيقول لك ما نتائج النصائح؟ ألم تستمعوا إليها؟ لا نريد أن نتدخل في العمل، ولكن هذه أموال المسلمين ودماء المسلمين وإلخ..

ثالثًا: **اقتراح خطط**، فيضع لك خططًا.

رابعًا: **تأخير المساعدات**؛ يدفع لك الأموال ولكن يؤخّرها عنك.

وبعد ذلك: **النصائح المشروطة** مع قطع المال عنك إن لم تفعل.

وأخيرًا: **يضع لك الفكر والمنهج والخطة**، فأنت لا تستطيع التَّصرف ولديك مراكز تدفع لك الأموال وتُملي عليك الأوامر، فتدخل في مرحلة مقاربة بين المصالح والمفاسد، تقول: أُسدِّد وأُقارب أم يفسد العمل كله؟ فتختار أن تسدِّد وتقارب، فتفعل ذلك وتسير حتى تنحرف القضية عن مسارها..!

وهكذا تمَّ حرف كل الثَّورات عن مجراها، كل الثورات حُرِّفت عن مجراها بهذه الصورة، حدث في أفغانستان، والذي حدث في سوريا أبشع لأنه كان مع العراق، والذي حصل مع حماس أبشع لأنه كان مع إيران كدولة أخرى. وأضرب لك مثالًا من أفغانستان وهي حدثت معها الحالة الثانية والثالثة؛ أي من المحسنين القاعدين عن الجهاد، أو المحسنين الذين يجاهدون معك أصلًا.

من الشروط التي فُرضت على أفغانستان: جولات استخبارات الخليج، فتجد الاستخبارات تدخل وأبو مازن وأبو فلان، وتركي الفيصل ورئيس الاستخبارات السعودية يدخل ويخرج على المعسكرات!، وهذا في وجود الشيوخ وفي وجود القادة وبصحبتهم أحيانًا. فتقول لهم: "كيف؟!"، يقولون لك: "نريد أن نحشد الأمة على قضية أفغانستان، والجماعة قد ساعدوا، و(وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ)[429]"، فتجده يأتي بأيَّة آية أو حديث ويلويها في سبيل السِّياق، فهذا كان من الأخطاء سواءً بجهل أو بعلم.

الأمر الثاني والمهم جدًا قضية: فكّر ولا تفكّر، وعبِّر ولا تعبِّر، في الأول ممنوع تحكي عن حكومات الخليج، هذه المعسكرات مفتوحة للمجاهدين فيأتون إليها، وتتناقش في الجلسات أن حسني مبارك كافر وحافظ الأسد كافر وفلان كافر، فإذا قلت: "وفهد كافر"، يقول لك: "يا أخي اذكروا الله"، الآن وقت أذكار المساء!.

ووصلت القضية فيما بعد إلى منع الكلام في الحاكمية، فهكذا جاءت الأوامر: ممنوع الكلام في الحاكمية في المعسكرات العربية الأساسية، ممنوع الكلام عن سيد قطب، ممنوع تتكلم في كذا وكذا!.

لما وجدنا القضية هكذا ذهبنا بالتعاون مع (جماعة الجهاد) -جزاهم الله خيرًا- وأنشأنا (مركز النور)، أنشأه أخونا أبو حذيفة من تلاميذ الدكتور فضل -فرَّج الله عنه-، كان في الأردن فأسرته وسلَّمته لمصر، شاب من خيرة طلبة العلم. فتح المركز وصرنا نذهب ونحاضر في هذا الكلام في المركز دون سقف؛ فشنَّ علينا خيار الإخوة وخيار الأمراء وقادة الجهاد العربي حربًا شعواء بسبب هذا المركز!، لأنهم يريدون ألَّا تصل هذه الأفكار إلى الناس، فمنعوا الشباب وحرَّموا

---

[429] صحيح البخاري (٣٠٦٢)، صحيح مسلم (١١١).

عليهم الحضور، وبدأت تُقطع الكفالات وتُغلق المضافات وتقع ضغوط مادية لأجل التَّحكم بقضية: فكّر لا تفكّر، وعبّر لا تعبّر!.

هذا الكلام الذي منعوه بجهل منهم صار الشباب محتاجين له، فقالوا: "أفسدتم عقول الشباب"!، هم أربعة أو خمسة سعوديين من فسدت عقولهم بهذه الطريقة فضربوا عمليَّتي الخُبر والرياض، والذين لم يفسدوا ذهبوا وجلسوا مع ابن باز وابن عثيمين، أو ذهبوا وجلسوا مع نسائهم وأولادهم وأموالهم وانتهى الموضوع!.

هذا كله سببه كيف كانت تأتي الأموال، وهذا كله كان من ناس من الأخيار وليس من الأشرار، وهم أخيار أفاضل لكن مخّهم لم يصل لما وصلت أنت له، فالذي سبَّب هذا هي قضية الأموال، حتى صار يقول لك في الآخر: "إذا أردت أن تجلس على سفرتي يجب أن تفكر على كيفي"، هكذا بمنتهى الصراحة!.

ففي النهاية قلت لهم إذا كان الجهاد لن يكون إلا هكذا، فحقيقة لن أجاهد وأعتبر نفسي من أصحاب الأعذار، والله -سبحانه وتعالى- قد أعذر من لا يستطيع الجهاد، {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ}[٤٣٠]، ومن جملة الذين ليس عليهم حرج: {وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ}[٤٣١]، فأنا لا أجد ما أُنفق، فهل أجاهد على كيفك حتى أصل للفشل في النهاية؟!

إذا لم يكن ممكنًا أن أجاهد إلا بنظام الكفالة والإحسان فأنا ليس عليَّ جهاد، ولكن هل فعلًا ليس هناك باب للتمويل إلا هذا الباب؟ بل هناك أبواب كثيرة للتمويل، ولذلك وصلنا للنظرية التي نعتبرها حالة صحيحة.

طرق التمويل في التجارب الجهادية الماضية:

في المرحلة الماضية كيف كانت خطة التمويل؟

هناك تنظيم، وأحيانًا رجل أو أمير أو شيخ عنده خط إلى مصادر التمويل، التي لن تعدو المصادر الأولى؛ يعني أمواله أو أموال أصحابه أو أموال مُحبِّيه أو أموال مؤيدِّيه أو أموال حكومات لها مصلحة في هذا الجهاد.

---

[٤٣٠] سورة الفتح، الآية:١٧.

[٤٣١] سورة التوبة، الآية: ٩١.

فالمال يأتي للتنظيم أو بالأحرى لقيادة التنظيم، هذا إن كان التنظيم له قيادة وهي حالة تُعتبر مُتميّزة!، أن يصل المال إلى مجموعة من الناس تتصرَّف فيه وتضع سياسة للصَّرف، المصيبة أن الأموال لم تكن تصل لمجموعة من الناس عندهم سياسة صرف، ولكن كانت تصل إلى رجل أو أمير أو شيخ، فصار هذا الرجل أو قيادة التنظيم لأنه تملك الأموال هي التي تُنفق على التنظيم!.

فصار نظام التمويل من المركز إلى الإطار؛ فهو من يدفع لأسر الشهداء، وأموال الموظفين، والكفالات، وبطاقات الطيران، ويشتري الجوازات..

فلاحظ أن بيت المال مسؤول عن تمويل كل الهيكل، فبيت المال محدود ومصادره محدودة والهيكل يتوسَّع، فسوف يُفلس في النهاية بلا شك حتى بدون تجفيف المنابع، يعني في موجة اعتقالات في مصر اعتُقل لتنظيم الجهاد ألف أسير؛ يعني ألف أسرة ابتُليت، وكل أسرة تحتاج مائة دولار في الشهر لتعيش =أي مائة ألف دولار، فمن أين سيوفّر التنظيم مائة ألف دولار؟!

تنظيم صغير في عمان أو فلسطين أو سوريا من ثلاثين شخصًا، ثلاثون شخصًا في مائة دينار =أي ثلاثة آلاف دينار في الشهر، فمن أين ستوفرها؟ الأمير أو الشيخ أو قائد التنظيم من أين سيوفر كل هذا؟ فما بالك بعد أن خضعت مصادر التمويل لسياسة تجفيف المنابع.

أصلًا هذا النظام خاطئ؛ أي أنَّ يموّل المركز المجموع، فالمشكلة ليست في قيادة التنظيم، إذا كان هناك سبعة أو ثمانية يفكّرون، ويقرّرون ما الأفضل وكيف يتم صرف الأموال فهذا أمر جيد. لكن المشكلة أنّه ظهرت عندنا ظاهرة (**الأمير الخزنة**) وخاصّة في الجهاد في أفغانستان، ومهما كان الكلام مُحرجًا فهذه التجربة التي عشناها.

فظهر عندنا ظاهرة (**الأمير الخزنة**)، الشيخ (هارون الرشيد) يضع وراءه الخزنة، وهو رجل صالح -الله يرحمه أو الله يحفظه-، لكنه يُموّل من يقتنع به ولا يموّل من لا يقتنع به!، من يعجبه يضع له كفالة ومن لا يعجبه فلا يضع له.

ففي النهاية حصلت حالة من الفوضى، خاصة إن كانت لديك تطلُّعات ومشاريع تحتاج أموالًا لتنفيذها، فأُنفقت أموال ضخمة في قضية أفغانستان، عشرات الملايين من الدولارات صُرفت على الأمراء بهذه الصورة.

وأكبر فساد يلم بالثورات عادة **وأول فساد يضرب الثَّورات هو الفساد المالي**؛ منظمة التحرير ميزانيتها ستة مليارات دولار سنويًا في الاستثمارات، وأكثر جهاز فاسد فيها هو الجهاز المالي. الثورة الجزائرية فسدت من الأموال، وقيادات الجهاد الأفغانية فسدوا من الأموال بشراء البيعات وشراء الذمم وخلافه. وحتى الجهاد في سوريا فسد بالأموال.

فقضية فساد التمويل إما بفساد الموارد أو فساد في المصارف، إما أن يأتي المال من حيث لا ينبغي فيُورِد الثورة كلها موارد الاعوجاج، أو يُصرف المال فيما لا يجب، فما لهذا جاءت الأموال.

وانظر لهذه القصة حتى ترى أين تصل المفاسد، في الجهاد في سوريا كان لدينا شخص في الأردن مسؤول عن تمويل قطاع جنوب سوريا ومسؤول صرف مرتَّبات مجموعة من أسر الشهداء، فنقلوه بعد فترة لمنصب آخر، فجاء الذي بعده وذهب لأسر أحد الشهداء ليعطيهم مرتَّب عبارة عن خمسين دينارًا.

فأرسلت المرأة ابنها وكانت زوجة شهيد، وقالت له: "قل أنّك أخطأت وأعطيتني عشرة زيادة، فهي أربعين دينار"!، فقال لهم: "بل هي خمسين ومسجَّل عندي أنكم تأخذون خمسين"، فقالت له: " يا ابني نحن من سنتين ونحن نأخذ أربعين"، فوجدوا أنه أخذ من كل أسرة عشرة دنانير!، من الأموال التي قال فيها تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا}[٤٣٢]، وهي ليست أموال يتامى بل أموال يتامى الشهداء!!.

وذهبوا كذلك للعزبان فوجدوا أنه أخذ من حصة كل أعزب خمسة دنانير، فوجدوا أنه على مدار سنتين أخذ من الأموال بضعة آلاف دينار، فحقَّقوا في الموضوع فوجدوه قد اشترى شقة في عمان وسيارة مرسيدس!.

فلما جاءوا ليحقّقوا معه غاب ولم يعد يأتي للتنظيم، فذهبوا يستعينوا بالمخابرات الأردنية عن طريق بعض الإخوان فقالوا لهم: "هناك واحد ابق منّنا وأخذ أموالًا منا وهكذا"، وهو كان مسؤول أموال درعا وجنوب عمان، لأنّه كان مدعوم من أحد أعضاء مجلس الشورى. وأنا أحكي لكم حادثة حقيقة.

فقالت لهم الرجل الأردني سنقبض عليه، فالمخابرات تركوهم ينتظرون ولم يردُّوا عليهم، ثم قال لهم جاء الرجل وقال: "اطووا هذا الملف"، فسألوا: "لماذا؟"، قال لهم: "هذا الرجل منذ سنتين ونصف وهو مجنّد في الاستخبارات الأردنية

---

[٤٣٢] سورة النساء، الآية: ١٠.

بخمسمائة دينار بالشهر، يُدلي بمعلومات عنكم للحكومة الأردنيّة مقابل، فهو عضو في الاستخبارات فاتركوه ولا تبحثوا عنه".

فهذا الرجل أخذ أموال الاستخبارات وأموال الشهداء وأموال التنظيم وهو الآن أحد تُجار عمّان..!

فهذه حالة من حالات الفساد المالي في الجهاد، حصل مثلها في بيشاور، وحصل مثلها بعد مقتل الشيخ عبد الله عزام في بقايا الأموال، وحصل مثلها في الثورات الأخرى والجماعات الجهادية. فهذه الأشياء لا أُغلق عيني عنها وأقول لم تحصل، فالرجل -رحمة الله عليه- لم يكن يرتضي هذه الطريقة وكان أكبر ضيقه من أقرب الناس إليه، ولكن ماذا يفعل؟ كان مضطرًا أن يعتمد على هذا وهذا، فالخطأ لم يكن من الرجل ولكنَّ نظام التَّمويل نفسه خطأ.

ولذلك في الإدارة يجب أن تكون قضايا التمويل والموارد والمصارف مضبوطة، ومسألة المصارف نتركها فكل تنظيم يضبط هذه المسألة قدر ما يستطيع، فيجب أن يكون هناك حزم في تسليم واستلام وضبط ومراقبة، لأن النُّفوس تفسد بالأموال.

نحن الآن في قضية الموارد؛ أنّ الأمير صار خزنة وصار يقبل من المخطَّطات ما هو مقتنع به ويرفض من المخططات ما لا يقتنع به، فهيا يا شباب اذهبوا لليمين فيذهبون لليمين، تبنّوا القضيّة الفلانية فيتبنّوها، واتركوا القضيّة الفلانيّة فيتركونها، نذهب إلى السودان يذهبون إلى السودان، نذهب إلى أفغانستان فيذهبون إلى أفغانستان، هيا الشيخ يريد أن يفتح جبهة في شمال، وخلافه من القضايا..

التَّجمُّع العربي هنا في أفغانستان موَّل الحملات الانتخابية لـ(نواز شريف) بأكثر من عشرين مليون دولار، وصاروا المشايخ يذهبون ليدفعوا لفلان وعلان، هو اجتهاد منهم جزاهم الله خيرًا، وهذه طاقتهم في العلم ولا يوجد مشكلة.

إنما المشكلة أن هذه الأمور لم تكن خاضعة لضوابط ولفتوى وشورى وإدارة جماعيَّة لضبط هذه الأمور؛ لأن التمويل كان مركزيًا. بل ذهبوا إلى جماعات باكستانية ومشايخ كبار لديهم تلاميذ كثُر، وأعطوهم أموالًا وقالوا لهم انتخبوا هذا، واجتهادهم صحيح -والله أعلم- لأن في الجهة المقابلة من الانتخابات يوجد (بناظير بوتو)، وتصوُّرهم إذا جاءت بناظير بوتو سيحدث كذا وكذا، فيدفعون هذا بهذا.

فالشاهد أن هذه محلَّات اجتهاد يقع فيها الصواب والخطأ، وربما لها وجه. ولكن ما نقوله: أن هذا الفساد المالي حدث بسبب تمركُز محاور التَّمويل؛ فتحكَّمت المصادر بطريقة التفكير أو طريقة العمل، أو أي طريقة أخرى.

وأنت حينما تقوم بمقارنة هذا الكلام بالتَّصوُّر الصَّحيح لنظام بيت المال، تجد أن النظام المالي في الإسلام لا يقوم على هذه الصورة. فالشيخ الخزنة والأمير الخزنة وقيادة التنظيم الخزنة قصارى ما يُعطي العناصر كفالة أو مرتَّبًا، فيصير هذا العنصر مربوطًا بهذه القيادة في الصواب والخطأ، فيُشَلُّ تفكيره وحريَّته وطريقته، ولكن الصَّواب ليس هكذا.

وهذا الكلام مُزعج لبعض الشرائح، ولكن أنا قرَّرت أن أسجّل زبدة عمري في عشرين شريطًا، فلا أريد أن أضع لها أيّ سقف؛ من الإرهاب النووي إلى إصلاح الأخطاء، فأُوصل للناس ما أعتقد أنه صحيح ليستفيدوا من التجربة.

النظام المالي في الإسلام:

النظام المالي في الإسلام ليس هكذا؛ في النظام المالي في الإسلام يوجد شيء اسمه **(بيت المال)**، بيت المال له موارد، وهذه الموارد تأتي من مجموع المسلمين، أي مجموع التنظيم، أي مجموع المشتركين، أي مجموع الأعضاء في هذا الجمع. فالكل يموّل المركز، فيصبح المركز غنيًا لأن الكُل يشارك فيه.

وبعد ذلك هذا يقوم بيت المال بالمصارف للمحتاجين، ويوزّع الحقوق لأصحابها، فهو ليس بيت مال أبيه يُحسن به على الناس!، إنما هذا حق شخصي يأخذه من بيت المال.

جاء قاتل زيد بن الخطاب إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، قتله في حروب الردة ثم عاد إلى الإسلام وحسُن إسلامه ورجع إلى المدينة، وكانت له حصَّة في بيت المال، فجاء إلى عمر بن الخطاب ليأخذ عطاءه، فعمر يكره أن يرى قاتل أخيه كما كان رسول الله ﷺ لا يحب أن يرى قاتل عمّه حمزة.

فلما جاء ليُعطيه عطاءه فقال له عمر: "إني لا أحبك"، فالرجل يعرف حقوقه، فقال له: "أينقص هذا من عطائي شيئًا؟"، فقال له عمر: "لا، ولكني لا أحبك"، فقال له: "إنما يأسى على الحُب النساء"[٤٣٣]!.

---

[٤٣٣] ذكر القصّة المبرد في (الكامل في اللغة والأدب). ١٤٥/٢

فالرجل أخذ حقه من بيت المال، بيت المال يُعطي للرجل حقًا وليست صدقة ولا كفالة ولا إحسانًا ولا مِنَّة، وبالتالي لا ينبني عليه: فِكّر هكذا وصرّح هكذا وأفتي هكذا!؟ فحينما يكون المال صدقة طِبقًا للأحكام الشعبيَّة: "طعمي التم تستحي العين"؛ وما أكملها العوام: "يسكت الفم"؛ فلا يكون الرجل في الجهاد حُرًا حينما يكون تمويله من مصدر خارجي. وإنما حينما يأخذ حقه من بيت المال يكون حُرًا في تفكيره وحركته.

فالإسلام بُني على الحرية، قام الأعرابي فقال لعمر: "لا سمع ولا طاعة حتى نعلم قصة الثوب"، فالقضية أنه جاءت أثواب فوزَّع أمير المؤمنين على الأمة ثوبًا ثوبًا، ووجدوه قائمًا في الخطبة يرتدي ثوبين، فبدأ يتكلم ويقول: اسمعوا وأطيعوا..، فقال له: لا سمع ولا طاعة، فلم يقل عمر لأمن الدولة: "خذوا هذا الرجل واقطعوا كفالته فقد أساء الأدب"!، قال: يا عبد الله بن عمر أجبهم، فقال لهم: "إن أبي رجل طوال فأعطيته ثوبي حتى يصِل ثوبه"؛ فأخذ ثوبه وثوب ابنه، فقال له: "الآن نسمع ونطيع"، وجلس.

فعمر نفسه قوَّم هذه القضية في الأمة، وحرضَّهم عليها، قال: "لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها، أرأيتم لو اعوجَجتُ ماذا تفعلون؟، قالوا: نقوِّمك بسيوفنا، فقال: الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يُقوِّم عمر بالسيف إذا اعوجّ"[٤٣٤].

أول مصدر للكبت هو المصادر المالية، الدول الخليجية تُسكت دول الطَّوق لأنها تُعطيها أموالًا، فتُكست إذاعاتها وشعراءها وصحافييها، صحفي أردني يكتب مقالة عن الكويت فتشتكي سفارة الكويت، فتأتي الحكومة الأردنية تُغلق الصحيفة.

فهذه القضايا منتهية في الإسلام؛ لأن النظام المالي في الإسلام يقوم على مواد لبيت المال، وبيت المال عليه مصارف للمحتاجين وأصحاب الحقوق. فبيت المال ليس شخصًا يمنّ عليك إذا أعطاك المال، إنما هو شخصية اعتبارية، فالمحتاجون أصحاب حقوق، فمن يأخذ سهمًا ويأخذ مرتبًا هو صاحب حق، فسمَّاها الرسول ﷺ حقًا قال: (إنَّ فِي المَالِ حَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ)[٤٣٥].

---

[٤٣٤] القصة ذكرها ابن الجوزي في (صفة الصفوة) (١٢/٢٠٣) وغيره بلا إسناد.

[٤٣٥] سنن الترمذي (٦٦٠)، قال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ إِسْنَادُهُ لَيْسَ بِذَاكَ.."، ضعفه الالباني.

فمن أين تأتي موارد بيت المال؟ لو نظرت في النظام الإسلامي تجد في كل كتب السياسة الشرعية أن موارد البيت المال أساسًا من الغنيمة، وبعدها الفيء، ثم الجزية. فالغنيمة والفيء والجزية هي من موارد الجهاد، وبعدها الموارد الشرعية الأخرى وهي ثانوية مثل العشور، والخراج، والزكاة؛ فهذه هي موارد الدولة، موارد بيت المال.

فهذا نظام وضعه الله -سبحانه وتعالى- ولم يضعه البشر، فهو نظام مُحكم خلقه رب العالمين متوازن وليس فيه ثغرات. فعندما تموّل كل أطراف الدائرة المركز يصير المركز أغنى من كل الدائرة، لأنها كلها تصبُّ فيه، فيستطيع أن يوزّع على الأطراف. أما في عمل التنظيمات المركز يموّل الدائرة، إنما هنا في النظام الإسلامي الدائرة تموّل المركز، فتقوم بالغنيمة وتأتي له بعشرين بالمائة، وتأتي بفيء يدخل كله، وتأتي بجزية تدخل كلها، فالكل يُعطي المركز، إنما في التنظيم المركز يُعطي الكُل فيُفلس، ومع تخفيف المنابع يُفلس بالكليَّة؛ فهو نظام خاطئ ويجب أن نعود للنظام السَّليم.

الأمر الآخر أن أغنى الأغنياء في المجتمع الإسلامي كانوا هم المجاهدون، لأن أربعة أخماس الغنيمة يوزَّع، فأغنى ثلاثة من الصحابة هم: عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام -رضي الله عنهم أجمعين-، فعثمان تاجر، وابن عوف تاجر، فمن أين أتت ثروة الزبير حتى ضاهت ثروة التجار الكبار؟ جاءت من الغزو، كان له حائط سهم من إحدى الغزوات؛ فحينما توفى بيع لأهله وأولاده بألفي ألف أي مليونين، وقُطعت ثروته بفؤوس الذهب، وكل نسائه وأولاده أخذوا الأموال واستغنوا، وكانت كل أمواله من الغنيمة.

في الصحابة كان المجاهدون كبار الأغنياء بسبب الفتوح، وجاء الأمويون فكان أغنى الأغنياء هم القادة، وجاء العباسيون كانوا كذلك، وجاء العثمانيون فكان أصحاب الثروات هم الباشوات؛ لأن أموالهم جاءت من الغزو.

ثمّ جاء المجاهدين الأفغان وهم "أشحذ" أمة محمد ﷺ، وجاء المجاهدون العرب أفلس الأمة، فأين الناس الذين هُم أرفع الأمة؟ {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ}[٤٣٦]، فكيف يكون للقاعدين اليد العُليا على المجاهدين؟

هذا لأن نظام الغنيمة لم يتحقَّق، ونظام بيت المال لم يتحقَّق، فليس هناك غنيمة وليس هناك بيت مال. فيجب أن يعود النظام كما هو إلى أصله في وجود غنيمة ووجود بيت مال.

---

[٤٣٦] سورة النساء، الآية: **٩٥**.

وبيت المال في وضعه النظامي لا يقوم إلا في وجود إمارة، وقيام جهاد، وقيام جبهة، وقيام أرض؛ فإن قامت أرض وبدأنا القتال صار هناك غنيمة، وهذا لا يقوم بالعمل السري وإنما هو عمل الجبهات، وهذا من ضرورات نظام الجبهات أن يُرجع النظام المالي إلى وضعه الطبيعي.

والأمر الآخر أن يعود الأمر إلى تقسيم الغنيمة، وأنا سألت الطالبان: "لماذا لا تقسِّمون الغنيمة؟"، وهم ملتزمون جدًا في الفقه الحنفيّ بتطبيق تفاصيل الأحكام، فقالوا: "أن هذا السَّلاح وهذه الأموال هي للجهاد ولبيت المال، والأحزاب مستولية عليها، وهؤلاء بغاة نحاربهم، وأموال البغاة لا توزَّع، ولكن إن انتقل الجهاد إلى خارج أفغانستان وكان القتال ضد الكفرة سنوزعّ الغنائم بشكل طبيعي".

طريقة توزيع غنائم الجبهات والسرايا:

ولذلك من نظريتنا المالية ما يلي: إن كنا في جبهات، فالغنائم توزَّع بشكل طبيعي ولا يُؤخذ المال بمنَّة أحد، فتقول له: "إنما يأسى على الحب النساء"، فأنت شيخي وأخي وحبيبي، ولكن إن لم أحبك فهذا حقّي.

فهذا إن كان في جبهة يؤول إلى بيت المال، وأما إن كان إرهابًا فرديًا فالذي سألت عليه وأقترحه؛ أنّ كل مجموعة إرهابية صغيرة توزّع أربعة أخماس الغنيمة على المقاتلين، أنتم ستة أشخاص مثلًا داهمتم بنكًا، أو أخذتم شخصًا من النصارى، أو خطفتم عشرة سياح، لا يوجد سائح ليس في جيبه ألف دولار، وتبيع جوازه بخمسمائة دولار، والنساء معهن حُلي وجواهر وغيره، فأعتقت الذي أعتقته وقتلت من قتلته وأخذت أموالًا، هذه الأموال يُوضع قسم منها في الصندوق ويوزَّع الباقي على المقاتلين.

وأنا سألت عن حكم توزيع الغنائم في الإرهاب، وهذا مهم جدًا، ويحل مشاكل كثيرة، ومن الضروري أن أخبركم به.

فقلنا أن الجبهات أسفرت عن إمارة وبيت مال وحقوق وواجبات شرعية ومصارف موجودة في كتب السياسة الشرعية ليس عليها مشكلة.

نأتي في قضية الإرهاب الفردي، الإرهاب الفردي نتج عنه غنائم، فهذه الغنائم يجب أن توزَّع، وهناك ثلاث طرق لتوزيع الغنائم بطريقة شرعية:

أولًا: الطريقة الأساسية المذكورة في سورة الأنفال: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ}[٤٣٧]، الخمس أي عشرون في المائة؛ يعني حقّ الله هو عشرون في المائة من الغنيمة، وهذه توزَّع في مصارف المسلمين أو تُردُّ إلى بيت المال، والثمانون في المائة توزَّع على المحاربين.

فأنت إن قمت في عمرك بعملية بمليون دولار، وأنتم أربعة فنصيبك مائتين ألف دولار؛ فتتزوج وتشتري بيتًا وترسل لأمك وتضع الباقي عندك، فما عدت تحتاج كفالة أو شيخًا يعطيك أو غير ذلكَ، وهذا أَحَلُّ الحلال وفيه شفاء. وأذكر أنَّ جماعة أبي عبد الله أحمد في الجزائر داهموا بيت ضابط في الجمارك، ووجدوا عنده غنيمة فأخذوا أطعمة وألبسة وحلويات، فأخذوا من كل أمواله، فمن جملة ما أخذوا علب حلويات، فأبو عبد الله أحمد -الله يرحمه- أرسل إلينا علبة حلويات إلى لندن، قال: "أطعموها للناس الذين يساعدوننا"، فأخذناها ووزَّعنا قطعة قطعة وقلنا لهم أطعموها لأطفالكم فإنها دواء، وهذا من الحلال الذي لم يأتِ للأمة منذ ألف سنة!.

وهذه من المعاني الجميلة، فحينما فُتحت قلعة تشاوني هُنا كانت قلعة فيها أطعمة كثيرة، فجاءني علب من الجبنة والحلاوة وهكذا، فتحكي لي أهلي أنهم صنعوا حفلة ووزَّعوا فيها الجبنة وقالوا هذه من الغنائم التي جاء بها رجالنا من الشُّيوعيين والرُّوس. فهذه معانٍ أول مرة تحيا منذ سنين، أنك الآن تأكل من بيت المال!.

فهذا في حال الجبهة، وفي حالة الإرهاب الفردي توزَّع الغنائم ثمانين بالمائة.

الطريقة الثانية: في السنة أن الرسول ﷺ في حُنين -وهي بعد سورة الأنفال بزمن- لم يُعطِ المقاتلين، وهذه حالة استثنائية، وهي قصة جميلة جدًا تقرأونها في السيرة، وغنائم حُنين من أعظم غنائم في السيرة، وتذكر السيرة أنه كان هناك ستة آلاف من السَّبي، وكان هناك آلاف الإبل وآلاف البقر.

وكانت هذه الكثرة بسبب أن مالك بن عوف جمع هوازن وثقيف وأمر قومه جميعًا أن يخرجوا لملاقاة المسلمين ويأخذوا معهم نساءهم وأولادهم وأموالهم وإبلهم حتى لا يفر المقاتلون من المعركة، وما سمع نصيحة الشيوخ وكلام دريد بن الصمّة الذي قال له لا تأخذوهم، إذا قاتلتم لن يفيدوكم وإن انهزمتم خلَّفتموهم وراءكم. فجاء مالك -كمعظم الأمراء- ووضع السيف على بطنه وقال: إن لم تأخذوا برأيي سأنتحر!، فقالوا له: لا تنتحر، نحن نتمنى لك طول البقاء، ونفعل ما تريد!.

---

[٤٣٧] **سورة الأنفال، الآية: ٤١.**

فقال دريد الأبيات المشهورة:

أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إلا ضُحَى الغَدِ

ومَا أنَا إلا من غَزِيَّةَ إنْ غوَتْ غوَيْتُ وإنْ تَرشُدْ غزَّيَةُ أَرْشُدِ

فأخذوا برأي مالك وأخذوا النساء والأموال فغنمهم المسلمون. وانتحر دريد في المعركة عمليًا، رأى واحدًا من أبناء الأنصار يريد أن يقتله فقال له: سيفك هذا لا يقتل، خذ سيفي هذا أنا أقاتل به من سنين، وقال له: بئس ما علّمتك أمك القتل!، فعلّمه كيف يقتله ليرتاح من هذا الذُّل بعد أن لم يسمعوا قوله..

فالشاهد كانت الغنائم عظيمة، حتى قيل: كان ما بين جبل كذا وكذا من الغنم، فحينما وزَّع رسول الله ﷺ الغنائم، وزَّع على الذين فرُّوا من المعركة وانكشفوا عن الرسول ﷺ أكبر حصة، وبعضهم قال كلامًا قد يفيد الردة، مثل أبي سفيان وأولاده وبعض فرسان العرب ومسلمي الفتح والطُّلَقاء وغيرهم.

حتى جاء أحد الذين فرُّوا وقال للرسول ﷺ قصيدة فأعطاه وقال: (اقطعوا عني لسانه)، وجاء أبو سفيان وكان ممن فرّ فقال: أعطني، فأعطاه مائة من الإبل، فقال: ولابني معاوية، فأعطاه مائة، وقال: لابني يزيد، فأعطاه مائة. وجاءه من الأعراب حديثي الإسلام، فقال: أعطني، فأعطاه، فقال: زدني، فأعطاه، فقال: زدني فأعطاه، فخرج الرجل يصيح: "أيها الناس أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر".

فجاء الأنصار وقالوا: "رجلٌ لقي قومه"؛ أي رسول الله ﷺ رجل من قريش فلقي قريشًا ووزَّع عليهم الغنائم، وهذه كلمة كبيرة والذي بلَّغ الرسالة هو سعد بن عبادة، فقال لرسول الله ﷺ: هكذا يقول الناس، فقال له: (وأنت ماذا تقول؟)، فأجابه: "إنما أنا رجل من قومي".

فالرسول ﷺ كانت سياسته أن يُعطي الناس بهذا الشكل ليؤلّف قلوبهم، ولكنه أرضى المقاتلين قال اجمع لي لأنصار، فجمعهم، وقال لهم: (تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ)[٤٣٨].

[٤٣٨] صحيح البخاري (٤٣٣٠).

فبكوا ورضوا. فالشاهد أنه أرضاهم ووزَّع الأموال في مصارف المسلمين ومصالحهم، وهذه الطريقة في السنة.

ثالثًا: وأقترح أن تكون الطريقة الثالثة بالاتِّفاق، فتتَّفق أنت مع من معكم أننا سنجاهد في سبيل الله، وتبايعونني على أن تكون أموالكم صدقة في سبيل الله لبناء التَّنظيم، أو تُعطوني خمسين أو ثلاثين بالمائة، وتكون القضية بالتَّراضي، فتوزَّع الغنائم. فنتفق إذا حصلنا على غنيمة أن يكون خمسين بالمائة في الصندوق، وخمسين بالمائة توزَّع، وكلّ هذا بالاتفاق. أما الأصل في القرآن أن توّزع ثمانين بالمائة من الغنيمة.

فإن قام أربعة أشخاص بعملية وغنموا مليون دولار، هل هم قاموا بها وحدهم؟ التنظيم وفَّر لهم أوراقًا وحماية واستطلاعًا، ويتحمَّل مسؤولية موتهم وأُسرهم، ففي هذه الحالة ربما يعطيهم عشرة بالمائة ويوزّع التّسعين بالمائة على باقي الناس.

وما أقترحه وأراه مفيدًا: أن أيَّ مجموعة (شبكة)، وهذه الشبكة لها فروع وليست هرمًا، مجموعة من أربعة أشخاص قاموا بعملية وجاءوا بمليون دولار، فما أقترحه أنا للعمل في (سرايا للمقاومة الإسلامية العالمية)، وكل سرية تعمل لوحدها وليست تنظيمًا. فحينما يريد أن يقسّم الغنائم، فمجموع السرايا الموجودة عنده ثلاثون شخصًا مرتبطون به.

فإذا جاءوا بغنيمة فأحد أمرين:

إما أن يوزّعوا ثمانمائة ألف بينهم ويأخذوا مائتين ألف للمركز للأعمال والإدارة والصرف على التدريب وغيره. وإما الذي أقترحه أن يأخذ المائتين إلى المركز، وهذه الثمانمائة يوزّعها على شكل أسهم، ثلاثة أسهم للمنفِّذين وسهم لمن لم يشترك في الغزو؛ فالرسول ﷺ أسهم لمن تركهم في المدينة موكَّلين بأعمال حينما خرج هو للغزو، فأخذ الذي لم يشترك في المدينة حصَّة. فلديك مثلًا رجل يزوّر الوثائق، وهذا طوال عمره لا يغنم، فلا تكون له حصة؟!

وأنا سأكتب هذا بالتفصيل في الكتاب من الإرهاب للأموال للعمليات، فكل مجموعة تريد أن تعمل لا يلزمها شيء خارج هذا الكتاب، وكنت أريد أن أسميه (الجامع لأحكام الإرهاب)..[٤٣٩](...).

والشاهد في الموضوع بالنسبة للتمويل؛ أن المجموعة تُرسل مائتين إلى بيت المال المركزي للفريق، وتقسِّم الباقي بين الذي اشتغل والذي لم يشتغل، فهذا أمر يكون بالاتفاق بيننا، من يريد ومن لا يريد بخصوص موضوع الغنائم.

---

[٤٣٩] **انقطاع في الصوت.**

إذا رجعت الغنائم وأصبحنا نغزو خارج أفغانستان تُقسَّم أربعة أخماس الغنائم، والغنائم ليست أمرًا بسيطًا، الذين دخلوا خوست وجدوا أنّ البنك المركزي لم يفرّغ بعد، دخل رجل بعربة جيب إلى البنك المركزي وخرج بها مُحمَّلة بالأموال!، وهناك من غنِم مدافع، وهناك من غنِم قلعة، فتقاسمت الأحزاب الغنائم على شريعة القبائل..

*[٤٤٠]..فالنظرية تقوم على الغنيمة وتطوير المركز، والمركز يعود لتمويل الإطار، وليس نظام الخط الأحادي، لأنه بهذه الطريقة لا يعود أحد يتحكَّم في المصارف. أما بيت المال نفسه فهو خاضع لأمير السريّة، وهو فقط ٢٠% .

وأمير السرية كما سنقترح سيكون لديه شورى؛ سواء كانت ملزمة أو غير ملزمة حسب الاتّفاق، فهو يتصرّف في العشرين بالمائة فقط، أما حقوق الناس فقد أخذوها قبل التَّصرف فيها، فهم مكتفون ماديًا عن أمير السرية.

وكما سنشرح في الطريقة التنظيمية هي عملية فرط للخلايا، يجب أن يحاول الأمير أن تنفصل السرايا، كل من لديه ثلاث أو أربع سرايا يُدربها على ذلك؛ عكس التنظيمات التي كلما تحصد تجمع السرايا، أما نظريتنا فهي كل ما تحصد تصرف حتى لا يكون هناك تنظيم هرمي. وهذا عن نظرية التمويل.

---

[٤٤٠] بداية تفريغ الملف التاسع والثلاثين.

الباب الرابع: نظرية التربية

نأتي للنظرية الرابعة وهي: **نظرية التربية**، فالأمر جمع أموال وقتل ودماء وقضايا تحتاج ناسًا تربَّت على منهج وليس الأمر فوضى.

وحتى لا نُطيل نقول: الملُاحظ على الماضي الخاطئ ونستنتج منه الصواب؛ الماضي الخطأ في كل تنظيمات الجهاد أنك تلاحظ أن هناك طبقة من الشباب القديم المُتربّية، وطبقة من الشباب الذي لحق بالجهاد غير مُربَّى، فليس لديه تربية شرعية ولا أخلاقية إلا في نواحٍ محدودة، فتجد هناك نسبًا متفاوتة؛ فهناك المتربي في بيته جيدًا فجاء عنده أخلاق وبعض العلم الشرعي.

ولكن تجد هناك فرقًا كبيرًا جدًا بين تلاميذ مروان حديد –رحمه الله– وشباب الطليعة في الأردن!، هناك فرق شاسع جدًا أيضًا بين شباب حسن البنا وجيل سيد قطب وبعض شباب الإخوان المتأخّرين، وكذلك شباب جماعة الجهاد والذين لحقوا بالجهاد في مصر، فتجد هناك فرقًا، والسبب واضح وطبيعي؛ أن هؤلاء الشباب الذين تربَّوا كان عندهم عاملان:

أولًا: **تماسّ مع القائد**، فرباهم وانعكست شخصيته فيهم.

ثانيًا: **كان هناك وقت للتربية**، لم يكن هناك ملاحقة أو غيره.

فلما بدأ العمل يقُتل القائد أو يختفي ويصير العمل سريًا وتكون هناك ملاحقة ومطاردة وغيره، فلا يوجد برامج ولا يمكن أن يصنع برامج، فنظام التربية السرية أخرج عندنا جيلًا غير متربي.

الملاحظة الثانية: وجدت أن كل شرائح الصحوة الإسلامية؛ صوفية، سلفية، تبليغية، تحررية، سرورية، أغلبها غير مطاردة وغير ملاحقة فأحسنت في مجالات التربية، فعندهم شيخ وقائد ووقت، فالناس تربَّت.

فوجدتُ أن علينا أن نستعير منهم ما أحسنوا فيه؛ فجماعات الدعوة والتبليغ والصوفية وجماعات الإصلاح إلى آخره؛ هؤلاء الناس عندهم تراجعات في بعض قضايا العقائد تتراوح ما بين الانحراف المحمول وغير المحمول، لكن عندهم شيء ملاحظ وهو: الحرص على العبادة وكثرة العبادة، وهو الذي أورث أخلاقًا وسلوكًا حسنًا، فوجدتها لازمة وجاءت بنتيجة جيدة حيث أحسن الناس في ذلك.

الجماعات السلفية العلمية وطلاب العلم الشرعي: هؤلاء الناس أحسنوا في قضايا العلم الشرعي؛ أي العقائد والفقه ومسائل العلم الشرعي.

والإخوان والتحرير والسرورية عندهم اهتمام بالعلم الشرعي ولكن بجانب ذلك هؤلاء الثلاثة يتميَّزون في أمور السياسة والإدارة؛ أي في فقه الواقع وخاصة فقه الواقع السياسي.

والجماعات الجهادية اهتمت بالتدريب العسكري والرياضي.

فلاحظت أن كل جماعة اهتمَّت بجانب وأهملت الباقي، فهؤلاء اهتموا بكذا وأهملوا الباقي، والجهاديون اهتموا بالتدريب وأهملوا الباقي، فالآن نحن نقول سندعو العوام لممارسة الجهاد في الجبهات وفي السرايا وفي الخلايا وفي البيوت فهل نترك الناس والجهل؟!

هذه أمانة يجب أن نُوفيها ونربيهم، فوجدت أن تربية هؤلاء الناس تقوم على كلام الصحابي يصف تربية الرسول ﷺ فقال: "كان رسول الله ﷺ يُفرغنا ثم يملؤنا"، أي يُفرغ الغلط الذي بداخلهم ويملؤه بما يُريد، فيجب أن يكون عندنا ما نريد حتى نملأ الناس به!.

والأمر الآخر في تربية الرسول ﷺ وقاعدة أساسية في دفع الصائل أنه جاءه رجل مشرك مقنَّع بالحديد، قال: أقاتل معك؟ فقال له: (أسلم ثم قاتل)، فأسلم وقاتل، ما تربَّى وما ركع وما صلَّى وقُتل، فقال رسول الله ﷺ: (عَمِلَ قليلًا وأُجرَ كثيرًا)[441].

فهذا من أساليب التربية والعمل؛ **وهو العمل مع التربية**، فإذا حضر العمل وقفت التربية، قُتل من قُتل ورجع من رجع. ثم يعود إلى قانون التربية؛ يُفرغنا ثم يملؤنا.

فدفع الصائل يقوم على العمل مع التربية، وهذا وضعوه في علم العصابات والكتب العسكرية، وقالوا: **(البناء من خلال المعركة)**؛ فالمعركة مُشتعِلة، لا نملك أن نقول اليوم للعدو "لا تلاحقونا ولا تعتقلونا"!، فالعدو هو المتحكِّم في المعركة، فالصائل حاصل فنشتغل بالدَّفع والهجوم.

وهذا القتال يأخذ وقتًا، قد تحصل عمليتان في السنة أو أربعة أشهر من السنة، وباقي الوقت ماذا تفعل؟ هناك تربية على مستوى الخلايا وغيره، أما التربية الأساسية تكون في الجبهة، حيث التجمع علني، والقائد علني، والمعهد –كما سنحاول أن نجعل هذا المركز جامعة ومركز أبحاث–، فالتربية مستمرة.

[441] صحيح البخاري (٢٨٠٨).

فلاحظت أن نظرية التربية تقوم على خمسة أُسس:

أولًا: **العبادة والأخلاق والسلوك**، يجب أن يكون لها منهج مكتوب، وسنحاول أن نكتب منهجًا؛ برنامج في العبادة، وفيما صحَّ من الأذكار والسُّنن، منهج بحيث يستفيد منه من سيعمل في المقاومة الإسلامية العالمية سواء كان وحده أو مع غيره، فيصل له منهج منا بأن يفرض على نفسه وِرد صيام وورد قرآن، ويفرض على نفسه قيام ليل وسنة صلاة ضحى، فنقترح له ما ثبت في السنة ونضع له برنامجًا في العبادة.

فأنت لم تلتقِ بنا ولم ترَنا، وتريد أن تدفع الصائل فعليك هذا الوِرد، لذلك أسميها (طريقة) مُستعيرًا من الصوفية، ولكن طالما هي صحيحة فلا مشكلة، (طريقة التربية المتكاملة) وليست المجتزأة، فتشمل الأخلاق والجهاد والشريعة، فلا يأخذ أحدها ويترك الباقي؛ فهذه الطريقة هي طريقة تربوية جهادية، أي طريقة سلوكية علمية شرعية سياسية جهادية.

فهي طريقة تقوم على أربعة أركان: طريقة سلوكية أخلاقية، علمية شرعية، سياسية، عسكرية، تقوم على منهجية متكاملة، لأن هؤلاء الناس سيُعطون دفعة للمسلمين؛ فهو يقوم بعملية وانتهينا سواءً كان ملتزمًا أو غير ملتزم.

فالذي عندنا في الجبهة فنحن نربّيه هكذا، لكن الذي يريد أن يلتزم فأكتب له منهجًا في الكتاب كبرنامج في التربية، كما أكتب له خطة في التمويل وغيره، فالعبادة والسلوك لها برنامج، ومحامد الأخلاق لها برنامج، نذكر فيه الآثار في الكرامة المروءة والشجاعة، والقرآن والحديث وما ثبت من أعمال الصالحين، ونذكر مساوئ الأخلاق من الجبن والضغينة والحسد وغيره، فنكتب خمسين صفحة، هذا هو برنامج التربية.

ثانيًا: **العلم الشرعي**، العلم الشرعي يجب أن يأخذ نبذة في العقائد ثم نبذة في الفقه، الفقه على مستويات؛ كل مُسلم عليه فقه العبادات لكي يعبد الله على بيّنة فيعرف أحكام الصلاة والصوم، فإذا أراد أن يحج يعرف أحكام الحج، إذا كان لديه مال فيعرف أحكام المال، لديه امرأة فعليه أن يعرف أحكام النساء، لديه جهاد فيعرف فقه الجهاد؛ وبالتالي فقه الجهاد من الفقه الواجب، فأحكام الجهاد الشرعية يجب أن يكون هناك برنامج مكتوب يعرّف به ما يحل وما لا يحل.

ثالثًا: **العلوم السياسية**، أن يعرف ما يدور في العالم من قابيل إلى كلينتون، فيأخذ معلومات عامة ويبدأ في متابعة الأخبار يومًا بيوم، فكما أنه عليك ورد قرآن يومي فإنَّ عليك ورد سماع نشرة أخبار يوميًا، إذا لم تسمع نشرة أخبار يومية فلا يمكن أن تدفع الصائل.

ثم ننتقل إلى أن نتدرَّب وفقًا لبرنامج مكتوب أيضًا في المذكرة؛ فأقل شيء في المعرفة السياسية هو معرفة الخبر، بعد معرفة الخبر، فهم وتحليل الخبر وما وراءه، فأحيانًا إذا أعطوك خبرًا تستفيد من عكسه، وإذا جاء الخبر من أمريكا فتفهم عكسه.

فمثلًا: مات الخميني، أولًا تعرف أنه مات، ثم تعرف أثرها على أفغانستان وعلى العراق وعلى الحرب وعلى حزب الله، وتفهم أثرها من خلال تحليل الخبر. ويكون هناك نخبة من الناس تصل إلى استقراء الأحداث قبل وقوعها، فإذا وصلت لمرحلة استقراء الحدث قبل وقوعه وهذا لنخبة من الناس؛ تستطيع أن تبني برنامجك بناء على ما سوف يحصل، فغالبًا تتوقع الأحداث نتيجة فهمك السياسي.

رابعًا: **التربية العسكرية والتدريب** خاصة التدريب البدني والرياضي، وهذا واجب.

الأمر الخامس: **هو علوم عسكرية جبهويّة وعلوم عسكرية إرهابية؛** فمن يقاتل في الجبهة ليس ضروريًا أن يتدرب على السموم أو يتدرب على المسدس، وليس ضروريًا أن يعرف أمور عصابات المدن، وأن يعرف كيفية التزوير، وأن يعرف تركيب القذائف فالجبهة مليئة بالقذائف، فهذا يتدرب على علوم جبهوية.

وعلى العكس الذي سيذهب للعمل في الفلبين أو أوروبا ويشتغل أعمال مدن فعليه أن يتعلَّم علوم المدن. ولذلك يجب أن يكون العلم العسكري علمًا متخصِّصًا، فالتربية الأمنية ضمن المواد التي تُدرَّس في التدريب العسكري، وهو يشتمل على: علوم عسكرية وعلوم أمنية وعلوم إدارية كعلم إدارة المعركة، وليست فقط الفك والتركيب، فكل شخص يأخذ ما يتخصَّص به في عمله، وبالنسبة للثقافة الأمنية يجب أن تكون مذكّرة تُدرَّس ضمن التَّدريب، فيجب أن نضع للناس مناهجًا، فما نحن بصدده وضع خطوط عريضة، ولكن بعد ذلك يجب أن يصدر من المركز منهج مُعلن في الأمن والإدارة وهكذا ليُدرَّس، فهذا برنامج يلزمه جهد، وهو دعوة الآن تتأسَّس ولكن ستتقدم مع الوقت..[٤٤٢]

..التربية المتكاملة تقوم على بنود أربعة، وبند خامس أساسي؛ وهو ممارسة دفع الصائل مع سير التربية جنبًا إلى جنب، فيُدفع الصائل ولو كان بدون تربية، ولو أسلم وقاتل، ثم يُربَّى ويتعلم؛ وهذا منهج الرسول ﷺ في التربية، وبالأخصّ في جهاد الدفع.

[٤٤٢] انقطاع في التسجيل.

إذًا أُسس التربية خمسة؛ فهي أربعة ثم دفع الصائل فورًا وجنبًا إلى جنب مع سير عملية التربية المتكاملة، فدفع الصائل لا ينتظر نجاح التربية، فنحن نربّيه بالأساس كي يقاتل، فإذا دخل في القتال نُربيه كي يعبد الله -سبحانه وتعالى- بطريقة صحيحة ويقاتل بطريقة صحيحة.

فهذه قضية نلخّصها بخمس كلمات للإيجاز: عبادة وسلوك وأخلاق أولًا؛ فالسلف كانوا يقولون: "**طلبنا الأدب عشرين سنة ثم طلبنا العلم**"، وعمر بن الخطاب يقول: "**تفقَّهوا قبل أن تُسوَّدوا**"؛ فقبل أن تقود الناس يجب أن تفهم وتتفقَّه، فالفقه قبل السيادة، والأدب قبل الفقه؛ فمعنى ذلك أن تبدأ بالأدب.

ومن الأشياء الملاحظة في أوساط الجهاديين أنَّ هناك قدرًا قليلًا من العلم الشرعي وأقل منه في الفهم السياسي، لكن أكثر مستوى فيه تدني هو قضية الأخلاق والآداب!، آداب الصُّحبة غير معروفة فتكاد تكون مندثرة، آداب المجلس، آداب الكلام، آداب الحديث؛ قبل فترة هنا كنت أجلس في صلاة الجمعة فوجدت ثمانية إخوة قد مدُّوا أرجلهم باتجاه الخطيب أثناء الصلاة، ففضّلت أن تمر فترة قبل أن أخبركم بهذه القضية كي لا يُعرف من فعل هذا. فهناك آداب **معروفة** ينبغي التّحلي بها.

تجلس في مجلس علم أو في مجلس ذكر فلا تجد احترامًا له من الجالسين، ومن الأمور التي شكاها لي الشيخ عيسى أنه في الدرس تجد هناك أخًا نائمًا، وآخ متأخرًا، وآخر غير مهتم، فهذا ليس مجلس علم!، ولو كان مجلس علم سياسي أو عسكري أو أي علم أنت تتعلمه فهو مجلس علم عليك أن تحترمه، قالوا: "من علمني حرفًا صرت له عبدًا"، لا أريد أن تكون عبدًا، كن سيدًا يا أخي ولكن احترم الذي أمامك.

فالآداب مندثرة، آداب احترام الصغير للكبير، حتى في الموت، عندما كان رسول الله ﷺ يدفن الموتى في أُحُد كان يسأل من أكثر حفظًا للقرآن؛ فيقدّمه في الدفن، فهناك أولويَّة وأسبقيَّة بالهجرة.

لما تبحث في كتب الآداب وكتب السير تجد أنهم قد بالغوا فيها، فتجد أن أحد الأئمة يُجِلُّ أخاه التوأم لأنه وُلد قبله بساعة، فكان يقول: "قال الشيخ الجليل أبو محمد"، فالباب كبير جدًا. جاء سائل يسأل الحسين بن علي -رضي الله عنه- صدقة، فسأله: أمررت بالحسن؟ قال: نعم، فقال: كم أعطاك؟ فقال: أعطاني مائة درهم، فأعطاه تسعة وتسعين، وقال: حتى لا أتقدّمه.

فهذه الآداب صارت من العلوم المجهولة تمامًا، فالآداب فيها آداب الخلاء، وآداب الجيران، وآداب معاشرة الزوجة، وآداب الأمير، إذا كان الله -سبحانه وتعالى- يستحي أن يعذِّب ذا الشيبة المسلم، فتجد عند الأفغان آدابًا عجيبة، فالشايب عندهم شيء مُقدَّس عظيم، وذكرت لكم مرَّة أنَّه في خطوط الصلاة لا يمر أحدٌ أمام رجل يقرأ القرآن في

المسجد، لا يمر من أمام رجل يفتح القرآن باتجاه القِبلة وكأنه يصلي فيمر من خلفه، وكأنه يحتاج إلى سترة مثل المُصلي تعظيمًا للقرآن.

وفي الصلاة يمتلئ المسجد ويظل الصف الأول فارغًا لا يقف فيه أحد؛ لأنَّ أحدهم لا يجد نفسه كُفئًا أن يقف خلف الإمام، قال الرسول ﷺ: (لِيَلِني مِنكُمْ أُولوا الأَحْلامِ والنُّهَى)[٤٤٣]، يعني الحفَّاظ والفقهاء والعقلاء، لأن الإمام إذا انتقص وضوؤه يأتي أحد من هؤلاء العقلاء مكانه، وإذا أخطأ في القرآن يرده أحدٌ منهم، فليس أي أحد من رعاع القوم يأتي يقف خلف الإمام، فانظر للمبالغة في المسألة.

فقضايا الآداب مندثرة، فأحببت أن أُقدِّم لها في التربية لأنها تحتاج إلى إعادة بناء لمن ليس لديه أدب مع الله –سبحانه وتعالى–، ومع الرسول ﷺ، ومع الصحابة، ومع غيرهم، وهذا ما ورثناه من الطرق التي تسمى (سلفية)، هذا الجفاء وقلة العبادة، وقلة الرقائق، وسوء السلوك، فهذه تحتاج أن نعاود البدء فيها؛ إعادة الأخلاق من خلال برنامج.

بعد ذلك العلم الشرعي، حتى يبدأ الإنسان بالعقائد، ثم يبدأ بالعبادات، ثم يبدأ بالأحكام؛ أحكام الجهاد كي يعرف القضية بصورة صحيحة.

بعد ذلك علوم السياسة وعلوم الإدارة؛ وهي نقطة ضعف ومقتل عند الجهاديين قيادات وقواعد؛ القرارات من القيادات غير حكيمة لأنه لا يعرف الوضع الدولي ولا وضع قضيته، ومن الشباب لأن القرارات غير مفهومة فهو ليس لديه ثقافة، فلا يعرف لماذا قرَّر القائد هذا القرار، فتصبح الطاعة غير منضبطة.

أما التدريب العسكري، فمفقود فيه الاختصاص ومفقود فيه المستوى المطلوب، فلازم أن نرجع إلى ما يلزم، والتدريب العسكري سنفرد له بندًا خاصًا، وهو (نظرية التدريب العسكري)، فهل سنحشد الأمة كلها إلى المعسكر؟، بل يجب أن نخترع لهم نظرية في التدريب. فأكتفي إلى هنا في نظرية التربية.

---

[٤٤٣] صحيح مسلم (٤٣٢).

الباب الخامس: نظرية التدريب

تَبَعًا للتربية نأخذ منها أمرًا واحدًا وهو (التدريب العسكري)، الآن المُلاحظ بالتدريب العسكري أن هناك مجموعة من الأخطاء الشائعة التي يراها الكثيرين طبيعية جدًا، وكما نفعل: سنبدأ بملاحظة الخطأ ثم نأخذ منه الصواب:

فأولًا: التدريب فيه ضياع وقت كثير جدًا.

ثانيًا: مُكلف ماديًا؛ يحتاج أن يسافر من آخر الدُنيا إلى المعسكر.

ثالثًا: مُكلف أمنيًا؛ الذي يأتي للتدريب غالبًا ينكشف.

رابعًا: يفتقر إلى الاختصاص؛ فلا يتدرَّب حسب ما يلزمه.

والآن حصل مرض شديد جدًا؛ وهو كثرة التَّدريب، فيخرج من دورة إلى دورة، صارت موضة!، الآن موضة إلكترونيات، كل الأمة ستأخذ دورة إلكترونيات، وتأخذ شهرين وتكلّف ألفًا وخمسمائة روبية وماذا سيفعل بها أصلًا؟، ويسمونها (دورة إلكترونيات) اسم كبير جدًا وفي الحقيقة هي (دورة توقيت)، قالوا: "لكي نوقّت من الثواني إلى السنوات"، عمرك رأيت عبوة تُضبط على سنتين وأربعة أشهر؟! ماذا يعني توقيت؟

وفي الآخر يحفظون دوائر إلكترونية معقَّدة ويكون الأخ قد درس للصف الثالث الإعدادي ويدخل في الدوائر الإلكترونية، وتنتهي الدورة ولا يتذكر الأخ شيئًا سوى أنه كان هناك لمبات شاعلة ولمبات طافية، وقد أخذ فيها شهرًا ونصف!.

فصار الأمر "موضة"!، ودورة مسدسات، ودورة تركيب، فحدثت تُخمة في التدريب، فيأخذ الأخ تدريبًا لمدة تسعة أشهر، وتشعر أن مجموع العلوم التي أخذها يمكن أن ينهيها في شهر!، فهناك ضياع في الوقت، وتجده قد أتى من مسافات طويلة ومن بلدان يستطيعون أن يتدرَّبوا فيها، فأُناس جاؤوا من اليمن، والبوسنة، والشيشان ليتدرَّبوا هنا!، فهذا مُكلِف ماديًا، ومكلِف أمنيًا، يفتقد إلى اقتصاد نظرية التدريب.

الآن الصواب الذي عندنا: قلنا أن الجهاد سيكون إما في جبهات، وإما في إرهاب فردي. فالجبهات من المهم معرفة أسلحة الجبهات يعني علوم أسلحة، وعلوم عسكرية مثل إدارة المعارك والطبوغرافيا؛ وعلوم مُلحقة بالعسكريَّة يجب أن يعرفها، وعلم السلوك العسكري كطاعة الأمراء وهكذا، فمجموعة من العلوم يجب أن يأخذها هنا. وبعد أن يأخذ

علومًا عامة، هناك قضية غائبة عن أذهان الجميع؛ أنه **يجب أن يتخصَّص في سلاح محدَّد**، وهذا غير وارد عند الإخوة.

تحصل على الجبهة أن نكون خارجين للمعركة، فتسأل: من منكم واثق من نفسه في (الآر بي جي) حتى أعطيه إياه؟ لا تجد أحدًا يثق بنفسه فيه!، تسأل: من رمى عشرة قذائف؟ لا تجد!، من رمي قذيفتين؟، تجد أن مزنهم من رمى قذيفتين ومنهم من رمى قذيفة، فتعطيه لمن رمى قذيفتين.

والأصل أن يكون بعد الدورة العامة اختصاصات، لأن لدينا خططًا وأعمالًا فنحتاج اختصاصات في الأسلحة فمثلًا: هناك سائق دبابات، وأيضًا طلعت موضة الدبابات مرة، فصار كل الإخوة يقومون بدورة دبابات، فقاموا هناك بدورة دبابات لمدة عشرين يومًا، مُدرب الدبابات عندنا هنا، قلت له: "اصنع لنا دورة دبابات لمدة عشرين يوم"، قال لي: "لن أعيدها، دربتهم لمدة عشرين يوم وأتحدى أحدًا منهم أن يستطيع أن يتحكم بدبابة"، فدورة الدبابة يجب أن تكون لمدة ثلاث شهور حتى يطلع سائق دبابة.

فهناك دورة سائق دبابة، وهناك دورة رامي دبابة، وبعد ذلك هناك دورة قائد مجموعة دبابات حتى يناور في معركة بعدة دبابات؛ هذه بالعلوم العسكرية، ولكنها لم تخطر على بالهم أصلًا!. فعندنا نحن التدريب العسكري هو فك الأسلحة وتركيبها والرمي عليها، أربعة عشر سنة والتدريب عندنا هكذا، وانظر الأفغان العرب الذين أرعبوا الدنيا والعالم تتحدث عنهم وعن مهاراتهم العسكرية!، يا جماعة نحن منصورون بـ(لا إله إلا الله)، فقط، نقطة وانتهى، والله لولا أننا نحن أهل (لا إله إلا الله) وبقية الجهاد في هذا آخر الزمان، وإلا نستحق الهزيمة على كل الموازين، أمنيًا، وخلقيًا، وعباديًا، وسلوكيًا، وعسكريًا، من كل الجهات نستحق الهزيمة. ولكن كون هؤلاء الناس هم أهل (لا إله إلا الله)، فببركة (لا إله إلا الله) ودعاء المظاليم والعجائز والمساكين، فرب العالمين فاتح علينا مِنَّة وفضلًا، ولكن يجب علينا أن نحاول أن نستكمل هذه العلوم، فهذه ليست طرق تدريب صحيحة.

فطرق التدريب الصحيحة أول شيء تكون على حسب الحاجة واللزوم، يبدأ بعلوم عسكرية عامة في مجمل الأسلحة حتى إذا خرج ووقع في يده أي سلاح، أو قُتل أخ، أو دمر دبابة، أو وجد دبابة سليمة، فيكون لديه معلومات عامة لكي يستطيع أن يتصرَّف.

ثم معلومات عسكرية، ثم علم السلوك العسكري والضبط، وبعد ذلك يختصّ في سلاح، فمثلًا: جاء واحد روسي أسلم والتحق بالمجاهدين الأفغان وكان اختصاصه (الشلكة) تدرَّب خمسة عشرة سنة على الشلكة، كان يصطاد الطيور بالشلكة، فقضية الاختصاص تفيد وجود شخص مختَّص بالسلاح، فلما تأتي المعركة ونريد أن نقسّم الأسلحة التي

لدينا، فتجد هذا في هندسة المتفجرات، وهذا في الألغام، وليس الكل يخوض في كله!، فليس أي أخ يذهب كي يفك ألغام، أي أخ يفك قذائف، كم من شخص قُتل من جراء فك القذائف؟، فالعلوم العسكرية عندنا فوضوية.

نأتي إلى الإرهاب؛ هناك أسلحة خاصة بالإرهاب أهم شيء فيها هو المسدس، لأنه ستعتمد عليه بعد الله –سبحانه وتعالى– في حركتك وذهابك وإيابك في حرب المدن. ثم الرشَّاش أو البندقية الرشاشة سواء (M16)، أو كلاشينكوف، أو ما يعادلها. ثم قنابل يدوية، ومتفجرات. فهذه هي أسلحة الإرهاب، بالإضافة إلى الرياضة البدنية وهي مهمة في قتال الجبهة والإرهاب، ولكنها أهمّ وأخصّ في الإرهاب لأنه قد يحتاج إلى اشتباك قريب بجسده، فيجب أن يأخذ فكرة عن الكاراتيه والمصارعة وغيره كي يستطيع الاعتماد على نفسه.

بعد ذلك هناك أمور مُلحقة بالإرهاب؛ هناك قضايا الأمن، والاتصالات، والشيفرة، وتركيب المتفجرات والسموم، وقضايا الوثائق والتَّزوير لأنه سيتحرك بين مطارات وهكذا، فهناك علوم معروفة مُلحقة بالتدريب، هذه الأمور تأخذ وقتًا، حتى تُدرِّب أحدهم على هذه الأمور جيدًا يحتاج دورة لمدة أربع شهور.

فالإنسان يستطيع أن يتدرَّب ثماني ساعات بالكثير في اليوم، فيسمع هذا الكلام الذي نقوله لمدة أربع ساعات ثم الكلام يدخل في بعضه فلا يفهم؛ ويجب أن يستيقظ صباحًا، وعنده تهجد وصلاة صبح وحلقة قرآن ويفطر ويأخذ محاضرة رياضة، ثم يأخذ محاضرة ويرتاح، ثم درس ويرتاح، ثم درس رقائق وينام، ثم ثاني يوم تعطيه كذلك، فحصيلة الوقت قرابة أربع أو خمس ساعات يأخذ فيها العلوم، فحتى تعطيه كل هذه العلوم المفيدة يجب عليه أن يجلس معك أربعة أشهر حتى يفهم هذه القضايا.

فهذا التدريب تُقيمه للمتدرِّب عندك بهذه الفرصة وينتهى، أما الآن تجد المعسكرات فيها ثماني عشرة ساعة تدريب لمدة ستة أشهر، فينطحن ولا يستطيع أن يفهم، وغالبيتها في أساليب التدريب خاطئة؛ نوم قليل، وساعات الرياضة قبل المحاضرات فيأتون على المحاضرة نعسانين، والدرس بعد الأكل فلا يفهم.

فالتدريب له أصول وهذه الأصول تُدرّس ولها برامج وكُتب، ولكن القضية تسير دون وجود لا خبرة ولا منهج، فنحن في علامات الساعة ومن جملة علاماتها أن يوسَّد الأمر لغير أهله، ومن جملة ذلك المسؤولين عن التدريب والمعسكرات والمدرِّبين إلا من رحم الله..

نأتي الآن إلى قضية تدريب العوام، القضية هذا التدريب للناس التي تستطيع أن تجلس وعندها ظروف أمنية تأتي بهذه الصورة، ولكن أُريد أن أُفهم الناس مفهومًا أساسيًا غاب عن الجميع؛ آيات الإعداد:

قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}[٤٤٤]، هذه الآية فيها مفهوم عسكري غير المفهوم الشرعي.

وقال تعالى: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا}[٤٤٥]، ماذا أعدوا؟ ما استطعتم من قوة.

ما هي القوة؟ قال رسول الله ﷺ: (أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ).

فهذه نظرية كاملة في الإعداد مأخوذة من القرآن.

وأريد أن أقف على كلمة {وَلَوْ أَرَادُوا}؛ لأن أساس الإرهاب وحرب العصابات هي إرادة القتال وليس كثرة تدريب، فإنسان أراد القتال لن يعجز أن يجد وسيلة يقاتل بها، فهناك سُياح ويهود وغيره يدخلون ويخرجون، فهل ستعجز أن تخنق سائحًا على طرف الشارع؟!

إرادة القتال يعني أنّ الناس تريد أن تقاتل، الآن مشكلة الأمة أن إرادة القتال عندها منحطَّة تكاد تنعدم؛ تدرَّب أربعون ألف أفغاني عربي هنا، حضروا معارك وأخذوا تدريبًا، عشرون ألفًا منهم في السعودية، ماذا أغنوا عن الإسلام شيئًا حينما رجعوا إلى السعودية؟ أربعة أشخاص قَتلوا أربعة في الخُبر وأربعة في الرياض، هُم عشرة أشخاص من اشتغلوا فقط، وعشرون ألفًا ماذا فعلوا؟، ليست لديهم إرادة القتال.

إرادة القتال تتكوَّن بالتربية الفكريَّة والنفسيَّة، فإرادة القتال قضية نفسيَّة تربويَّة فقهيَّة وليست عسكريَّة، حين تربّي الشخص فقهيًا فكريًا تربويًا نفسيًا يخرج يُقاتل الناس بيديه، بسكاكين، بأي شيء، تُلاحظ أن الناس الذين بدأوا قتال حرب العصابات في بلاد المسلمين والكافرين؛ في كوبا، كوريا، فيتنام، أفغانستان، مصر، جماعة مروان حديد؛ بدأوا بآليات بسيطة جدًا. كثير من الإخوة المجاهدين في سوريا عندما بدأوا القتال كانت أول طلقة أطلقها التي قتل فيها واحدًا؛ قالوا له المسدَّس يُركب هكذا، ويُفك هكذا، ضعه في رأس أحدهم هكذا وأطلق فيموت، فذهب وضرب؛ فكانت إرادة القتال متوفّرة عنده فبدأ العمل.

فكثرة التدريب ليس لها علاقة بالقتال، التدريب واجب على قدر الاستطاعة {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}؛ فإذا كان باستطاعتك أن تتدرَّب في بلدك بالمسدس؛ أي واحد ينزل في القبو عنده في المنزل ويغلق النوافذ ويتدرَّب على المسدس، أو يخرج إلى البستان يتدرب على المسدس، ليس بالضرورة أن يذهب لمعسكر.

بعد المسدس القنبلة اليدوية، كل البشر تعرف فكها وتركيبها واستخدامها، يذهب لطرف البحر وقت الفجر يتدرَّب على رمي قنبلة، فيعرف كيف تنفجر القنبلة اليدوية. المتفجرات والصاعق والفتيل؛ خذه على أي مقلع أحجار في

---

[٤٤٤] سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

[٤٤٥] سورة التوبة، الآية: ٤٦.

جواره انفجارات، أو انتظر ليلة رأس السنة، أو أيّ عرس من الأعراس والعالم كلها تطلق النار، اجمع لك خمسة على طرف البستان يطلقون النار أيضًا فتضيع الأصوات وتتدرَّب؛ لن تعجز أن تُدرّب نفسك وتُدرِّب من معك.

قضايا إرهاب المدن لا تحتاج كل هذا التدريب؛ لأنه ضياع وقت، وأهم من ضياع الوقت الكشف الأمني، الآن لو تريد أن تدرب مائة شخص، مجيء الرجل إلى أفغانستان من أي بلد من بلاد المسلمين يكلّف ألف دولار، فتريد أن تدرب مائة فتحتاج مائة ألف دولار، أي تنظيم يُحصِّل مائة ألف دولار كي يدرّب مائة شخص؟!

ولذلك نريد أن نعكس نظرية التدريب؛ فالذي يلحق بالجبهة يتدرَّب بالجبهة فعنده وقت ومعه سلاح لا مشكلة، أما نظرية التدريب نريد أن نجعلها بالعكس، وكما تلاحظون أن كل شغلنا بالعكس وكل أفكارنا بالعكس!؛ كان الأمير يموّل التنظيم صار التنظيم يموّل الأمير، فكل الأفكار التي نطرحها هي انقلاب على الأوضاع الخاطئة، ومن ضمن ذلك التدريب؛ كان الشخص يذهب للمعسكر أي عمليًا هو يذهب للمُدرِّب في المعسكر، الآن في نظرية الإرهاب: المعسكر هو الذي يذهب للناس وهم في بلادهم؛ وهكذا تكون النظريات المتطوّرة، فحتى يتغيَّر الوضع يجب أن ترى لماذا سار بطريقة ما ولم يسر بالطريقة الأخرى.

إذًا كيف يذهب المدرب إلى الشخص؟ المدرب أخذ إعدادًا نفسيًا وأخذ طريقة التربية المتكاملة، وصارت عنده مجموعة من العلوم وتدرب، هذا -طبقًا لنظرية التنظيم التي سنبينها فيما بعد- يذهب إلى مكان ويدرّب مجموعة من الناس على ما يلزمهم من العلوم، كالمسدس والرشاش والمتفجرات، في أي بيت يدربهم عليها..

(الجيش الجمهوري الأيرلندي) كان يتدرّب عناصره في البيت، (منظمة الباسك) يتدرّبون في البيوت، منظمة (الألوية الحمراء) يتدربون في البيوت، في أوروبا هناك نظام مدني مع الاستخبارات وغيره يتدرّبون في البيوت، في سوريا أول تدريب تدرَّبناه كان في البيوت، في مصر الجماعة الإسلامية وهؤلاء الذين قاتلوا تدرَّبوا في البيوت، كل العصابات تدرّبوا في البيوت، في حين عندما ذهبنا إلى العراق وصارت معسكرات ودبابات مل تحدث أيّ عملية بعد مرحلة العراق، كل التدريب كان في الهواء!.

الآن معسكر خلدن خرَّج حتى بعد مرحلة الأفغان العرب أربعين ألف شخص، ومعسكر خلدن بقي بعد أن خرجنا من أفغانستان قرابة عشرة سنين، الخروج من أفغانستان كان ١٩٩٢، كل الناس خرجوا وقتها، من ١٩٩٢ حتى ١٩٩٩ سبعة سنين تدرَّب خلالهم ما يقارب عشرة آلاف شخص في هذا المعسكر، أين آثارهم في أمة محمد ﷺ؟ ماذا فعلوا؟ هدر بالأوقات، هدر بالأموال، هدر بكل شيء!، كل ما فعلوه حملوا بعض الأفكار الخاطئة المتشدّدة وظنوها سلفية وقلبوا الدنيا، وما عملوا شيئًا له أثر!.

وقل مثل هذا على المعسكرات الأخرى، (معسكرات الشيخ) كم شخص تدرَّب فيها؟ لا تقول في السنوات الماضية، كان أبو عطا –رحمه الله– حافظ على المعسكر طوال تلك الفترة وكان فيه تدريب، لكن من بعد المجيء إلى الآن ألم يتدرب فيه المئات وآلاف؟ أين شغلهم؟

في معسكرات الأفغان كم شخصًا تدرَّب؟ وأين شغلهم؟ في إريتريا والقرن الإفريقي، في البوسنة، في الشيشان، أين شغلهم؟ لماذا لا يشتغل الناس؟ لأنه لا توجد إرادة قتال، فهذا اسمه (تدريب سياحي)؛ يأتي الأخ يصوّب ويطلق النار ويذهب ويأتي ثم ينكشف، حالة من الفوضى، فهذا الكلام ليس له فائدة.

الآن إذا درَّبت مجموعة من الناس، فأصبح عندك خلية أو سريَّة في نظرية إرهاب المقاومة؛ كل شخص يُدرب أربعة أو خمسة أشخاص، يتوثَّق منهم أنهم صاروا جيل التابعين، فهو صحابي تلقَّاها على الطريقة الأولى؛ هو صاحب أصحاب الطريقة بالقيادة، فصار كل واحد تابع له يدرب أربعة أو خمسة آخرين صاروا جيل تابعي التابعين، فهؤلاء يشتغلون بهذه المسألة ويكفي، أنت دربت أربعة، وهؤلاء الأربعة يدرّبون شخصين، فصاروا ثمانية، وهكذا.

تعرفون الجهاد في سوريا وصل إلى القمة في حلب، وحلب فيها مليون ونصف نسمة، وصلوا إلى مدرسة المدفعية وعملوا عشرات العمليات، تعرفون كم كان عدد المجاهدين في حلب؟، جاءوا بخبراء ألمان شرقيين درسوا العمليات وقدَّروا عدد المجاهدين بسبعة آلاف عضو، وكان عدد الطليعة في حلب تسعة عشر رجلًا!، ووقت تنفيذ عملية مدرسة المدفعية كانوا ستة عشر، منهم خمسة عناصر ينزلون بعمان في السنة يعملون أربعة عمليات، الواحد منهم يضرب عملية هنا، وفي المساء يضرب عملية هناك وينام في مدينة أخرى، والصبح يذهب لوضع عبوة عند الحدود ويرجع؛ يقلبون الدنيا وهم أربعة فقط.

حرب العصابات لا تعتمد على كثرة العمليات، إنما تعتمد على سرعة وخفَّة حركة نشاط الناس؛ الشاهد في الموضوع أن الأمر لا يحتاج كل هذا التدريب، اجعل المعسكر والمدرب يذهب إلى الناس؛ هذه هي الطريقة.

الطريقة الأخرى: أن ننشر علوم التدريب عن طريق الكتب والكاسيتات وديسكات الكومبيوتر، ننشر علوم التدريب بأن نقول هكذا تدرّب نفسك على كذا فيُدرّب نفسه، يأتي بمسدس يضعه أمامه وطريقة تدريب المسدس خمسة ملحوظات لا أكثر، فلا يحتاج إلى أربعمائة أو خمسمائة صفحة كي يُدرب نفسه على مسدس!، الآن تستطيع أن تختزل العشرين ألف صفحة في المجمع العلمي كله إلى مائة صفحة بالكثير لمن يلزمه إرهاب، وخمسمائة أو ستمائة صفحة بالكثير لمن يلزمه التدريبات التي نديرها وكفى.

الأفغان ما ثقافتهم وما علمهم؟، تدرَّبوا على (الشلكة) و(البي إم) و(الزوكياك) و(الستنجر) وحاربوا وأسقطوا طائرات، ما ثقافتهم؟ ما علمهم؟ كيف تدربوا؟ تدربوا عليها عمليًا. فالقضية قضية إرادة قتال، وهذا ليس تزهيدًا في التدريب ولكن صار هناك ترف في قضية التدريب، والقضية هي قضية إرادة قتال.

فخلاصة نظرية التدريب تقوم على أمرين:

- **إنزال المدرِّب ليدرب الناس في ساحة العمل ويخرج.**
- **أو نشر معلومات التدريب كي تدرِّب الناس نفسها.**

فهذه هي المسألة ونظرية التدريب بسيطة؛ إذا توافرت إرادة القتال فالناس تُقاتل.

الباب السادس: نظرية الإعلام والتحريض

ننتقل من نظرية التَّدريب إلى نظرية الإعلام والتحريض، وسنختصرها في كلمتين لأن معظمها مرَّ سابقًا في قضية الفكر والمنهج، فقضية الفكر والمنهج هي مادة الإعلام.

فقط أريد أن أركز على {**حرض المؤمنين**}[٤٤٦] و(**فقه دفع الصائل**)؛ (حرّض المؤمنين): أي حرّض كل أهل (لا إله إلا الله)، و(فقه دفع الصائل): أي أحكام دفع الصائل؛ أي القتال مع كل بر وفاجر وإلى آخر هذه الأحكام؛ فهذه المسائل تقوم عليها نظرية إعلام، فهذه المعلومات هي التي يجب أن توصلها للناس.

ووسائل الإعلام: يجب أن تنتهي الطرق المتخلّفة؛ فتجد نشرة موضوعها بعيد عن قضية دفع الصائل، ولا تصل إلى أصحابها، وأسلوبها غير صحيح!؛ فتكون النتيجة إعلامًا فاشلًا، حتى يصل الأمر إلى أن تتكلم مع أهل كينيا بالعربي وترسل لهم الرسالة في أفغانستان!.

هذه القضية يجب أن نطورها، فمن وسائل الإعلام الآن؛ المنشور الصغير، الفاكس؛ فعبر مجموعة فاكسات فتوصل الرسال عنوةً وغصبًا إلى دوائر معيّنة، ويجب الآن استخدام الوسائل الحديثة خاصة الإنترنت والقضايا الإلكترونية.

ومن الأمور المفيدة أن تستفيد من إعلام العدو؛ وهذه أهمّ نقطة، في إعلام العدو هناك صحفيّون يبحثون عن سبق صحفي، وجرائد قومية لديها نكايات مع الحكومة، وهناك أناس مخالفين لأمريكا، فنتيجة فهمك في السياسة تجد أن هناك فجوات فتستفيد منها في توصيل الأخبار.

فتقوم بالمقابلات الصحفية وإدخال الصحفيين الأجانب إلى مواقع العمليات، وأن تقوم بعملية وتصوّرها وترسلها لهم، وأن تخطف شخصًا وتصوّر معه مقابلة وترسلها لوسائل الإعلام؛ فالناس تسمع من وسائل الإعلام، فالآن الناس تسمع من وسائل الإعلام فيجب أن نركب وسائل الإعلام.

كان من أوائل التطبيقات لهذه النظرية أن اقترحنا على الشيخ أبي عبد الله أسامة بن لادن من البداية أنه يجب أن يسمع به المسلمون من أجهزة إعلام الكافرين وليس من أجهزة إعلامنا، فطبقّنا ذلك بأن أحضرنا بعض الصحف القومية العربية لتقوم معه بمقابلات، فعندما تنشر صحيفة (الحياة) أو صحيفة (القدس) عنك خبرًا ينتشر في أنحاء العالم؛ أقل جريدة تطبع مائة ١٥٠ ألف نسخة يوميًا وتوزَّع في أربعين دولة، فكل الناس تسمع بك.

---

[٤٤٦] سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

قامت (جريدة القدس) بمقابلة مع ابن لادن، وهذه المقابلة رتّبنا لها في لندن، وجاء الرجل لسبق صحفي، وهو رجل علماني قومي وليس إسلاميًا، وبعد ذلك جاء أمريكان وفرنسيون وغيرهم لعمل لقاءات.

فلما خرجت الجريدة بِيع منها في صنعاء عشرة آلاف نسخة، ثاني يوم علمت من نفس الصحفي أن الناس صوّروا منها نسخًا ضوئية وباعوها في الأكشاك، أي باعوا منها قرابة ٢٠٠ أو ٣٠٠ ألف نسخة.

فهذه الوسيلة قبل سنتين كنا نقول عنها: "هؤلاء علمانيون مناكيد، كيف نأتي بهم؟! هؤلاء علمانيون كفار، والكفر ملة واحدة"، فلم نستخدمهم ولا تعاملنا معهم وبقينا على منشورين من الجماعات الجهادية لم يسمع أحد بهم أصلًا!.

فهذا تطبيق عملي أنا مارسته، واقترحت أنا والشيخ أبو وليد على الشيخ أن نأتي ونصمّم فيلمًا، فجئنا بال(BBC) فصوّروا فيلمًا وأخرجوا كل كلام الشيخ، وكان هناك شرط وعقد لكي لا يحدث تحريف، وفعلًا لم يحدث هناك تحريف ولكن حدثت إضافات أن تحدثوا عن الشيعة في المنطقة الشرقية، فتعلمنا الدرس وذهبنا صمَّمنا فيلمًا آخر مع ال(CNN) فقط مع الشيخ واشترطنا ألا يدخل معه أي برنامج آخر، فكان في ثلث ساعة، وكلّ الانطلاقة الإعلامية للشيخ بعد ذلك قائمة على هذا الفيلم، وكان أنجح ما يكون وخرج في مائتين قناة، ووفد ال(CNN)أنا رافقته من لندن إلى هنا..

*[٤٤٧] **فخلاصة نظرية الإعلام**: {وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} كل المؤمنين، كل أهل (لا إله إلا الله)، وليس النخبة السلفية المجاهدة الموحِّدة التي على كيفك، وإنما تحرّض كل أهل الإسلام للعمل، وأن موضوع المادة التي تنشرها هي فقه دفع الصائل وما يستوجبه، علوم عسكرية لازمة للأمة وما تستوجبها، مجموع الكلام الذي نتكلم فيه من عشرة أيام هو الذي تُحاول أن توصله للأمة.

أما بالنسبة للأخبار وكيف تصل للأمة، فبدل أن كنا نستخدم نشرات محدودة أو بالكثير (كاسيت) أو بيان يجب أن نستخدم التكنولوجيا الحديثة؛ الفاكس، الكمبيوتر، الإنترنت، الفيديو، إلى آخره نوفّر دائرة الاتصال هذه. وأوسع دائرة للوصول إلى الأمة هي ركوب وسائل الإعلام العلمانية العربية في الدول الإسلامية والإعلام العالمي بحيث يسمع عنك المسلمون بكثرة الأخبار.

ولكن هذا الإعلام كلّه يكون مع القتال؛ الله -سبحانه وتعالى- علّمنا هذا عندما قال: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ}؛ يعني التَّحريض يجب أن يكون مبنيًا ابتداءً على القتال، فقاتل ثم حرّض، لأنَّنا

[٤٤٧] بداية تفريغ الملف الأربعين.

إذا حرّضنا فقط فسنصبح مع (مدارس الكلام) و(تنظيمات سوف)؛ سوف نعمل، سوف نفجر، سوف نحدد، سوف نقوم..!

فهذه خلاصة نظرية الإعلام.

الباب السابع: نظرية التنظيم والهيكل:

نأتي أخيرًا إلى النظرية السابعة وهي النظرية الأخيرة؛ **نظرية التنظيم والهيكل**. أنا أشعر أن الموضوع مكبوس جدًّا وأنّه يحتاج وقتًا أكثر من هذا.

نحن قلنا أن الجهاد هو جبهات وإرهاب. فدعونا الآن في تنظيم الجبهات.

نظرية التنظيم في الجبهات:

نظرية التنظيم التي نبدأ عملنا على أساسها أنّ على المسلمين أن يأتوا إلى مناطق الجبهات المَنِيعة ويساعدوا أصحابها المسلمين الذين يقاتلون الصائل على أوضاعهم وعلى حالاتهم وعلى مصائبهم، فندعمهم طالما أنهم يقاتلون تحت اسم الإسلام واسم الجهاد في دفع الصائل وأنّ خطوط التّماس والقتال هي مع اليهود أو الصليبيين أو المرتدين أو مجموعهم.

ونحاول أن نجعل الجبهة صدامًا مع هذا الكل. يعني عندما نعمل في اليمن لا نستهدف المرتدين لوحدهم ولا الأمريكان لوحدهم بل نشغل الجبهة على أساس نظام دولي من خلال قضية مفتاح الجهاد؛ مفتاح الجهاد هو دفع صائل النظام الدولي، فيجب أن نتواجد في الجبهات.

الآن نحن في أفغانستان نقوم بتجميع الناس وإعطائهم فكرًا معيّنًا وترتيبهم بحيث يكونوا مستعدين للعمل في الجبهات ومستعدين للعمل في الإرهاب. والإرهاب لن يعمل به إلا الصّفوة المناسبة؛ فمن بين كل مائة واحد يصلح للجبهة بالكاد تجد واحدًا يصلح للإرهاب.

فالآن نحن متمركزون في أفغانستان فنحاول بثّ الفكرة لإحياء الجبهات الأساسية وهي: اليمن، المغرب، الشام، وسط آسيا. فنحاول أن نُحرّض الناس أن يعملوا بهذه الاتجاهات، فإذا عملوا نُدخل جزءًا جاهزًا منّا في الجبهات، فكما أنّنا الآن نعمل وهناك مجموعة في (بغرام) ومجموعة في المنطقة الفلانيّة، فنوسّع تفكيرنا فنجعل مجموعة في وسط آسيا من الناس الذين نربيهم؛ فيشارك هناك في القضية. وهذا سنتكلم عنه الآن في نظرية التنظيم؛ كيف ترتيب الاتصال فيما بينهم وكيف تبعيتهم، فالمجموعات ليست تنظيمًا مركزيًا، فهذا سنشرحه الآن.

إخوة من اليمن تحرّضوا وتأثروا بالأفكار أو نحن علمنا أنّ في اليمن هناك جماعات متعددة فاخترنا أقرب المجموعات إلينا في طريقة التفكير، فتقبّلت فكرة دفع الصائل وليس قتال المرتدين، فندعمها ونساعدها، فبدل أن تذهب مجموعة إلى (بغرام) نرسلها إلى جبال اليمن لتساعد على تحديث وسائل عملهم.

والذي يذهب إلى اليمن ليس تنظيمًا مستقلًا، بل يعمل بإمرة الناس الذين يشتغلون في اليمن، والذي في أفغانستان يعمل في إمرة طالبان، والذي في وسط آسيا يعمل عسكريًا بإمرة الناس الذين في وسط آسيا، ولكن هو توجيهيًا وفكريًا ينتمي إلى مدرستنا، أما حركيًا فعندما يتحرّك هناك يتحرّك بالتعاون والتنسيق مع هؤلاء الناس، فهذا وجودهم في الجبهات.

لكن الذي على عاتقنا نحن والمشروع الذي أريد أن أتبناه أنا وأدعو إليه هو الحلقة الثانية مما دعا إليه الشيخ عبد الله عزام -رحمة الله عليه-؛ **وهو قتال اليهود في أكناف بيت المقدس، وقتال النصيرية في الشام**. فكل جماعة لها مشروع فنحن مشروعنا المركزي هو قتال اليهود في الشام. ولكن إلى أن نصل إلى هناك لا نقول "نترك القتال حتى نصل لليهود في الشام والنصيرية"!.

الشام تحكمها الطوائف؛ أهل السنة في الشام مجموعة عزلاء عددهم يقترب من خمسة وثلاثين مليون نسمة بمجموع دولهم، يحكمهم **أولًا**: اليهود في إسرائيل؛ يحكمون مركزيًا في فلسطين ويحكمون باقي البلاد الأخرى بالتطبيع، وعددهم ستة مليون.

ثانيًا: في القوة والسلاح النصيرية؛ يحكمون سوريا ولبنان، وتأثيرهم على الدول المجاورة كبير، وللأسف الشديد عددهم في سوريا ٢ مليون من أصل ١٦ مليون.

الطائفة الثالثة: هم النصارى خاصة في لبنان، فنصارى لبنان وسوريا والأردن والمنطقة كلها نحو ٤ مليون على الأكثر. ثم بعدهم الشيعة في لبنان. ثم بعدهم الدُّروز في لبنان وفي شمال الأردن.

هذه الطوائف الخمسة كلها طوائف مسلَّحة، وكلها وراؤها دعم أجنبي، وكلها لها مخطط استعماري في المنطقة، الذي ليس مرتبطًا بفرنسا مرتبط بإنجلترا، والذي لا يرتبط بإنجلترا يرتبط بروسيا أو إيران.

فهذه البلاد محتلَّة وفيها صائل، وهذا الصائل هو نفسه الصائل الدولي؛ يهود، صليبيون، مرتدون. والمنطقة جاهزة بترتيب معيَّن لا نذكره في التسجيل؛ فيمكن أن يُحيي فيها جهاد يبدأ بترتيب معين ويمكن أن يصل إلى جبهة أو عدة جبهات وخطوط. فهذا يجب نتبنَّاه ونعمل عليه نحن، ولكن إلى أن يحصل هذا نحن نجاهد في أفغانستان، وإذا تحرّك وسط آسيا نجاهد في وسط آسيا، وإذا ثار اليمن نجاهد في اليمن، وإذا ثار المغرب نساعد المغرب.

وكل واحد منّا يعمل بنفس المبدأ، فيشترك اليمني في كل هذه القضايا، ويشترك المغربي في كل هذه المناطق، ثم إلى أن يحصل جهاد في بلده ماذا يكون قد كسب من هذا الاشتراك؟ كسب أجرًا، وكسب خبرة، وأسَّس نفسه.

فبسبب القتال في أفغانستان يصير عندنا معسكر، ويصير عندنا إمكانيات، ويصير عندنا تمويل، ويصير عندنا تدريب، ويصير عندنا إمكانيات حتى نقاتل هنا. من أين أتت هذه الإمكانيات؟ من أصحاب المعركة في أفغانستان. وعندما نذهب لليمن سنقيم معسكرًا ونشتغل وندرّب ونساعد المجموعة هناك، فيصير عندنا إمكانيات بسبب جهادهم. هذه الإمكانيات في هذه المعارك تمكّنك أن تؤسِّس نفسك ثم تذهب إلى القضية التي ستعمل بها.

هذا مختصر طريقة الجبهات؛ تتبنَّى قضية وتتعب عليها وتساهم وتشارك مشاركة عملية، إلى أن تقوم قضيتك في الأماكن الأخرى.

تنظيم سرايا الإرهاب:

أما قضيّة الإرهاب والدعوة إلى الإرهاب فهي دعوة لعموم المسلمين، نحاول أن نقوم بها قدر إمكانيتنا ولكن الدعوة هي ليست دعوة تنظيم، فالقضية هي قضية دعوة عامة. هذه الدعوة العامة سنُوصلها عن طريق القتال والتحريض، فنحن هنا طرحنا فكرة، فأنا أتعامل مع هذه الفكرة كمرشد وليس كأمير تنظيم، وهذا لا يمكن أصلًا، من يريد أن يستوعب الأمة لا يمكن أن يُفكّر بطريقة التنظيم.

فيكون معك مجموعة؛ هي ليست قيادة تنظيم وإنما ما يشبه مكتب إرشاد؛ يعطي العلوم الشرعية اللازمة، والعلوم السلوكية اللازمة، والعلوم العسكرية اللازمة، والأفكار الحركية اللازمة، ويصرِف الناس إلى التحوّل إما نحو الجبهات أو نحو الإرهاب.

كان سابقًا هناك تنظيم هرمي، وكل الناس عملت إجباريًا في التنظيم الهرمي؛ رجل يعرف مجموعة، هؤلاء كل واحد يجنِّد من بعده وهكذا، فهو هرمي إذا أُمسك واحد يذهب الكلّ. لا يمكن أن نعمل الآن إلا بطريقة (العمل الخلوي)، هذا العمل الخلوي يقوم على المبدأ التالي، وهذا يجب أن تفهموه، وتنفيذه صعب نفسيًا وليس عمليًا؛ لأن أي إنسان يعمل وينظّم اثنين لابدّ أن يأتيه شيطانه في نفسه يقول له: يجب أن تتصل فيهم، ويجب أن تكون متصلًا مركزيًا فيهم، ويجب أن يُمَوّلهم ويُموِّلُوه، فيعمل تنظيمًا هرميًا! هو ينجرّ جرًّا إلى عمل تنظيم هرمي، فإذا وقع في التنظيم الهرمي فيجب أن يعرف أنَّ أي خطأ في كل السلسلة سيأتي به وبكل السلسلة. فيجب أن يكون حريصًا جدًّا على ألا يسلك سلوك النظام الهرمي.

كيف لا يسلك سلوك النظام الهرمي؟ يفهم مبدأ **العمل بالتَّفتيت**؛ مبدأ العمل بالتفتيت أنه إذا دعا إنسان شخصًا فهو مركز بثّ الفكرة، فيدعو أحد شخصين، فيمكن أن نسمّي من يتّبع (مريدًا)، فهو مريد مباشر، يعني مثل حالتكم التقى به وسأله وتكلم معه ودرّبه.. إلخ، فتربّى على الفكرة، أو دخل في المعهد شهرًا أو شهرين فتربّى على الفكرة.

ثم هذا خرج والتقى بشخص فأيضًا دعاه، فالأول مريد مباشر، والثاني تابع مباشر، ومن بعده تابع تابع مباشر، فهؤلاء تلقّوا الطريقة شفهيًا بالاتصال، وبالسند المتَّصل إلى أصلها، وهذا قطاع ضيّق فهو أقلّ الناس، فكم من الناس ستلتقي أنت؟ سبعون؟ مائة؟ ثم المائة التقوا بمائة ثم التقوا بمائة؟ يظل عددًا قليلًا جدًّا.

فيجب أن تصل الفكرة إلى أبعد من ذلك، وهذا مجاله مجال التحريض، وهو إيصال الفكرة؛ بالكتاب، بالكاسيت، بالنشرات، ثم تحريض الناس على العمل بأنك تقدم لهم مثالًا. تبدأ العمل تحت هذا المُسمى، فيجب أن ندع الناس الذين يريدون أن يعملوا أحرارًا ولكن يربطهم اسم واحد، ويربطهم منهج التربية، وتربطهم طريقة العمل.

فنُوجد شريحة من الناس تعمل بنفس المسمى. هو منتمٍ للطريقة النقشبندية، هو لم يرَ النقشبندي الأكبر ولا الصغير، ولكن هو لوحده أخذ الطريقة ووجد فيها مجموعة من الأوراد فانتسب إليها. فنريد أن نعمل طريقة سلوكيّة علمية

شرعية سياسية عسكرية ينتمي إليها بالإيمان ويطبّقها مع نفسه ويعتبر نفسه مرتبطًا بها، فلا نريد ارتباطًا تنظيميًا؛ لأنه ليس عندنا هدف إسقاط حكومة وبناء حكومة، بل هو تيار، وافهموا هذا الكلام فهو لبّ فكرة المقاومة التي نشرتها سنة ١٩٩٠م.

فهذا هو التحريض لإيصال الفكرة. **طريقة العمل**: هي استهداف اليهود والصليبيين وكبار المرتدين، هذه الأسس التي تربط الناس.

التحريض بالفكرة بأن يصله كتاب أو كاسيت أو فيديو= يشرح له مستلزمات الطريقة الشرعية والفكرية، وسأحاول أن أجعل كل أساسها وتفاصيلها في كتاب واحد كما هو الآن في مجموع العشرين شريط، والآن هذه أول محاولة لتسجيل الفكرة في عشرين شريطًا، ثم سنبوّبها ونهذّبها في كتاب، ثم سنحاول أن نُخرجها في فيديو مختصر أو في أشرطة مختصرة بحيث بوسائل مختلفة تصل الفكرة إلى أكبر دائرة من الناس..

فيعتبر الشاب الذي يريد أن يعمل نفسه منتميًا لهذه الفكرة، وهناك الكثير من الشباب يريدون العمل ولكن لا يريدون أن ينتظِموا في تنظيم؛ لأنّه يخاف من التنظيم ومن تبعات التنظيم ومن اعتقالات التنظيم، فنحن نقول له: "اعمل لوحدك، أو مع اثنين، أو مع ثلاثة، أو خمسة، أو مع سبعة، آمن بهذه الفكرة، ومصالح هؤلاء الأعداء هي صائل يجب أن يُدفع".

فإذا أردت أن تدفع هذا الصائل فيجب أن تفهم طريقة العمل، وتُلزم نفسك بمنهج التربية مثل الصلوات في أوقاتها وأوراد وقيام وقراءة قرآن وصلاة نافلة وأشياء ليست ثقيلة بقدر ما تستطيع، ثم تعتبر نفسك معنا في التنظيم غير الوجود، **فهو نظام عمل وليس تنظيم**، ولذلك لا أخاف أن أشرحه في العلن، لأنّه ليس هناك تنظيم لتكشفه أجهزة الاستخبارات بالاعتقال أو التجسّس أو غيره.

فأريد أن نصل إلى نظام لو عرفوا تفاصيله لا يمكن مكافحته، **وهذا النظام هو أن يتحوّل الناس بالشعور إلى تيار لضرب الصائل**، فالاتّصال بيننا أنّنا ننتمي إلى فكر واحد، وننتمي إلى أسلوب عمل واحد، وننتمي لمسمى واحد. سمي نفسك باسم فتقول (سريّة أبو علي) من (سرايا المقاومة الإسلامية العالمية).

فمهمّتك أن تضرب هذه الأهداف ثم تتصل بأقرب مركز إعلام وتقول له: "نحن سرية كذا من كذا"، فقط. العملية التي قمت بها أنت وأصحابك توزع غنائمها فيما بينكم، التربية التي علّمناك إياها تلتزم بها، الفكر الذي قرّرناه التزمت به، فصِرت أنت عمليًا على الطريقة ولكن ليس بيننا وبينك أي اتصال...[٤٤٨]

سؤال غير واضح من أحد الإخوة..

الشيخ: هي عملية دفع الصائل، وخلاصة أقوال العلماء في الطائفة المنصورة أنّهم أهل العلم والقتال؛ أيّ الناس الذين يلتزمون العلم الشرعي والقتال، فإذا أردت أن تخصّص فعمليًا هم أهل القتال، يعني صفة العلم تبع، فالطائفة المنصورة هم أهل القتال بدليل الأحاديث؛ فالأحاديث كلها:

(يقاتلون على أمر الله)[٤٤٩]، (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الدَّجَّالَ)[٤٥٠]، فالصِّفة الجامعة لهم هي صفة القتال وصفة دفع الصائل.

بل إن عسكر الشام ومصر على ما كان فيهم من البلاوي مثل الأفغان ومائة ضعف؛ عندما احتجَّ عليهم الناس قال الإمام ابن تيمية أنّهم هم الطائفة المنصورة دفع الله بهم عن حريم المسلمين[٤٥١].

فالشاهد دعني أشرح لك المسألة، أننا نحن نريد أن نطلق طريقة. الآن أصحاب عملية الرابية، والذي حاول قتل حسني مبارك؛ هذه ظواهر شبابيّة تدلّ على ضغط داخلي في شباب المسلمين، وأنهم يريدونا أن يعملوا ويُريدون أن يعبّروا.

جاء سؤال إلى (مجلة الفجر) إلى صندوق البريد: (نريد أن تدلّونا على طريقة ننصركم بها دون أن يكون الاتصال تنظيميًا بيننا وبينكم، لأنه ثبت لدينا أنه متى اتصل إنسان يتم اعتقاله). فهم غير ضامنين للتنظيمات، وغير واثقين بالتنظيمات، وغير قادرين على الالتحاق بالجبهات، ويريدون أن يدفعوا ولا يعرفون ماذا يفعلون.

---

[٤٤٨] انقطاع في التسجيل.

[٤٤٩] صحيح مسلم (١٩٢٤).

[٤٥٠] مستدرك الحاكم (٨٣٩١). قال الذهبي: على شرط مسلم.

[٤٥١] قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى) (٥٣١/٢٨) وهو يتكلم عن غزو التتار لبلاد الشام ودفاع المماليك عن المسلمين: "أَمَّا الطَّائِفَةُ بِالشَّامِ وَمِصْرَ وَنَحْوِهِمَا فَهُمْ فِي هَذَا الْوَقْتِ الْمُقَاتِلُونَ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ وَهُمْ مِنْ أَحَقِّ النَّاسِ دُخُولًا فِي الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمُسْتَفِيضَةِ عَنْهُ: {لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ}"اهـ.

فالأعداد التي عندها هذا الضغط وتريد أن تعمل كبيرة جدًّا في الأمة، نسبيًا كبيرة جدًّا في الأمة، وهذا سببه بفضل الله -سبحانه وتعالى- الصَّحوة والوعي من ناحية، ثم ترامي العدو من ناحية أخرى؛ تطبيع، سجن علماء، احتلال أراضٍ، نهب، ضغط، احتقار، ذل، انتهاك أعراض، فالناس أصبح عندها ضغط وتُريد أن تعمل، يعني الفضل لله -سبحانه وتعالى- ثم ما يُنزله العدو بنا من البلاء حرّك الناس بحيث تريد تعمل، فنريد أن نوجد لهم طريقة.

إذا عمل الإنسان لوحده دون أن يعمل تحت اسم تضيع الجهود. فيحصل مثل فوران الحليب؛ تسخن الأمة معه ثم تذهب معه، ولكن إذا أسميناها بمسّمى واحد لا تضيع. وهذا في دائرة العوام، فأنا أريد أن أطلب من التنظيمات: "يا جماعة ضعوا جزءًا من جهودكم في هذا الاتجاه وسموه بهذا الاسم".

فنحن يجب أن نصبّ جهودنا في هذا الاتّجاه، لأنّ التنظيمات والمدَّرّبين يستطيعون القيام بأعمال نوعية، إذا أنت عملت عمليّة نوعية بهذا المسمى، ورجل في الفلبين أو في تركيا عمل عملية بنفس المسمى، فسيكون قد أعطاك رصيده وأنت أعطيته رصيدك، مع أنّه ليس هناك اتصال، وأوحيت للعدو والصديق أن هناك تنظيمًا وهناك ناسًا تعمل.

فيُعلن تنظيم (المقاومة) أنه ضرب الطائرة الفلانية أو حرق السيارة الفلانية أو ذبح شخصًا أو عمل عملًا. فهناك تنظيم، فإذا أُمسك الذي قام بالعمل أو اعتُقل فسيأتي بكلّ المتّصلين معه، ولذلك أُصرّ على هذه الطريقة؛ بحيث لا يأتي بمجموعة كبيرة، ولا يُكثّر خسائر المسلمين.

كيف نقوم بهذه الطريقة؟ أن ينشئ مجموعة مريد مباشر، أو مريد مريد غير مباشر وصلت له الفكرة، وسنحاول أن نوصلها له مفهومة..

هناك أسئلة تدل على أن الإخوة إلى الآن تُسيطر عليهم عقلية التنظيم!، لذلك أنا سأشرح -إن شاء الله- وبعد الشرح هذه الأسئلة ستنتهي. يقول السائل: (لو أراد العدو أن يتفاوض مع المقاتلين أو مع المقاومة من سيتكلم باسم المقاومة؟).

ليس هناك متكلّم، ليس هناك مُتفاوض، وليس هناك أحد، لا أحد سيتكلم باسم أحد، الذي سيتكلم هو الذي الإمارات وفي الجبهة، فالجبهة لها أمير ولها جهاد ولها دفاعات ولها جيش، فتستطيع أن تقول: "تعالوا تفاوضونا وإذا ما

أعجبكم تعالوا حاربونا". أما صاحب المقاومة إذا أخذته الحماسة قليلًا ومدّ رأسه وقال: "تعالوا فاوضونا فسيُمسكون بأوله وآخره"!، فهذا السؤال نتيجة آلية التفكير أنه يريد أن يفاوض ويريد أن يأخذ وأن يعطي.

بل أنا في البداية فكَّرت وقلت: إذا أخذ فرع من فروع المقاومة غنيمة؛ فأحببت أن أضع نظامًا ليرسل لنا العشرين بالمائة، فوجدت في النهاية أن هذا سيهدم الفكرة؛ فحتى يرسل لنا العشرين بالمائة يحتاج إلى شبكة، ويحتاج إلى اتصالات، فنرجع إلى نظام الهرم.

فقلت لا نريد عشرين في المائة ولا سبعين، اصرف العشرين بالمائة في مصارف المسلمين وقسِّم الباقي ولا تتصل بي ولا أتصل بك ولا تعرفني ولا أعرفك!، قسّم الغنائم على القضية لأن القضية ليست إمارة تنظيم ولا إمارة جماعة، القضية أنّنا نريد أن نحرّك أمة باتجاه دفع الصائل، وفقط أوجدنا لها صلة غير مؤذية، هذه الصلة غير المؤذية هي الاسم ومنهج التربية. أما صلة المال فهي صلة مؤذية، وأن أتكلم باسمك وتتكلم باسمي فهذه صلة مؤذية؛ ولذلك نحن سنتحوّل –إذا وفّقنا الله– إلى مُرشدين روحيين للظاهرة وللتيار وليس إلى أمراء لهذا التيار.

أنت تصدر له فتاوى وتوجيهات وتحريضًا، وتحتكره باسم رموز معروفة حتى لا يدخل رجل مُشوَّه ويتكلّم باسم فكر المقاومة!، ولذلك أريد أن أُخرج الفِكر مرة واحدة في كتاب وتنتهي القضيّة، لأنه من الممكن أن يأتي واحد غير فاهم للفكرة ويتكلم كلمتين خارج الطريق فينسب لك فكرًا معوجًا، قضية الإرهاب هي قضية ظاهرة حتى ندفع العدو ونحطّم العدو لكي ترتاح الجبهات، وحتى تتحوّل الجبهات إلى إمارات، فالمكاسب الأرضية سنكسبها في الجبهة وليس في الإرهاب.

أهميّة تفتيت سرايا المقاومة:

الآن لو وصلت الفكرة لمريد غير المباشر أو لمريد المباشر؛ فنحن في النهاية أمام شخص وصلت له الفكرة؛ عرف اسمه، عرف منهج التربية، عرف طريقة العمل، عرف وسائل الإعداد والتدريب؛ فهذا الرجل له دائرة يُعرف فيها..

لنفرض أنه كان ساكنًا بفرنسا وهو أصلًا يمني، فعنده دائرتان له فيهما معارف فيستطيع أن يتحرّك فيهما، فهو من نفسه وبأفكاره ولوحده دون أن يتصل بنا يقول سنبدأ بالعمل، وسنفعل كذا، وما رأيكم بكذا؛ فهو يعرف قضية واحدة أنّه سيضرب مصالح اليهود والصليبيين وكبار المرتدين، ويتبناها باسم المقاومة، ويسمي سريته. فيسمّي سريته مثلًا (سرية عقبة بن نافع).

فيمكن أن يذهب إلى فرنسا فيجد فيها اثنان أو ثلاثة موثوقون يعرفهم ولا يعرفون بعضهم فيجنّدهم بالفكرة، وهذه القضية هنا دقيقة فنمشي فيها على مهل، يجنّد الناس بالفكرة. فهؤلاء الثلاثة عرفوا أنّه يجب عليهم أن يُنشئوا مجموعة ليشتغلوا ويضربوا، فهي مجموعات عمل وليست مجموعات فكر وكلام، ولا تنظيم يريد أن يكبر ويكبر لأجل أن يُسقط حكومة ثم يستلم الحكم، فقبل أن يُسقط الحكومة تكون الحكومة قد ابتلعت التنظيم!، فهي مجموعات تتشكّل حتى تعمل.

فالأول يجنّد ثلاثة أشخاص ويُنشئ مجموعة، ولا يخبر الذي جنّده بالفكرة أنّه أنشأ مجموعة ولا عدد مجموعته ولا شيء، بل فقط يفهم الفكرة.

ولنفترض أن هذا الرّجل شخص لوحده ليس معه أحد ولا يريد أحدًا، فيستطيع أن يعمل عملية من مستوى شخص، وهذا معه شخصان، وذلك الأخ كان معه سبعة أشخاص، عرّفهم كلهم بالفكرة: يا شباب نريد أن نجاهد ونقيم مجموعة.

فالرجل الأول ودعنا نسميّه رقم (١) يعرف الثلاثة: (٢) و(٣) و(٤) الذين جنّدهم، فهو استفرغ طاقته في فرنسا، الآن رقم (٢) لا يستطيع أن يؤذي (٣) و(٤)، ولا يمكن أن يصل آذاه لهم إلا عن طريق رقم (١)، فالأذى الأمني أن يدلّ (٢) على (١) ثم يدلّ (١) على الآخرين، فعلى الأوّل (١) أن ينقطع عن الباقين قبل بدء العمل، فيجب أن يغادر الساحة التي جنّد فيها، ثم تبدأ المجموعات بالعمل.

فإذا أُمسك واحد من المجموعات فسيدلّون على (١)، فيجب أن لا يكون أحد بعد بدء العمليات يعرف أين هو أو ما جنسيته أو ما هي شخصيته، فإذا استطاع أن ينزل في ساحة أخرى بشخصية جديدة ويعمر ويشتغل فبها، أما إذا لم يستطع فمكانه الجبهة.

وهذه الطريقة يعلّمها لهؤلاء، أن كل شخص يعلّم اثنين أو ثلاثة أو أربعة يشتغلوا بعمليات، وصارت أحماله الأمنية كبيرة فخير للمسلمين أن يلحق بالجبهة من أن يظل يخرب بيت الذين جنَّدهم!، هناك إنسان يستطيع أن يجنّد خمسة، وإنسان هو نشيط كان داعية أو كان خطيب مسجد أو كان حركيًا؛ فكان في تنظيم، فهو يستطيع ينزل إلى ساحة مثل اليمن ويجنّد فيها خمسين واحدًا، ممكن يعرف خمسين شخصًا فنزل فهّم الفكرة لخمسين شخصًا وقال للخمسين شخصًا: "كل واحد منكم يشكّل خلية يغنم ويقسّم غنائم ويضرب اليهود والنصارى" فقط ثم يمشي. من المحيط إلى المحيط في كل المناطق.

فعن طريق هذه الدعوى وعن طريق الكتب وعن طريق المباشر وغير المباشر، ألا يمكن أن نصل فيها إلى عشر أشخاص في السنة؟ عشر أشخاص فقط يقتنعوا ويشتغلوا ولو عمليات صغيرة جدًّا؛ مثل أن يطبخ طبخة متفجّرات ثم يضعها بجوار سفارة الكويت في إسطنبول في علبة الزبالة، صعبة عليه؟

ثم يتصل، فيقولوا: "انفجرت عبوة ناسفة قرب سفارة الكويت –أو إنجلترا أو أمريكا– وأعلن عنها تنظيم لم يكن معروفًا من قبل سريّة فلان الفلاني"، ثم خلاص لسنة أخرى لا يشتغل أي شغلة. لوحده، لا يخبر أحدًا، ولا يقيم تنظيمًا ولا يربي ولا غيره، عمل عملية وقام بهذا الجهد تجاه المسلمين. راعى فيه الأحكام الشرعية؛ أن لا يُقتل مسلمون، ولا يقع في مال أو دم محرّم، لأنه يعرف المنهج والأحكام الشرعيّة في المال والدم، ضرب وارتاح ثم بعد سنة، بعد شهر، بعد شهرين يقوم بعملية أخرى، وهكذا..

إذا فشا هذا التيار، فنريد أن نصل إلى عشر أشخاص يعملون في السنة. عشر أشخاص يعملون في السنة يعني كل شهر يُذكر هذا التنظيم أو هذا التيار مرة. فالقتال يساعد على انتشار الفكرة وبالتالي انتشار التحريض؛ أن يتشجَّع المسلمون أن يقوموا بهذا الدَّور، هو لا يخاف أن يعترف عليه أحد أو هو يعترف على أحد.

بينما لو نظّمت أنا الآن عشرة في تنظيم –وكلنا كنا في تنظيمات– فسأنام في البيت وأنا قلق من الذي سيرتكب حماقة ويأتي بأجلي؟! فلا تعرف، الله أعلم يمكن يرتكب خطأ في دولة أخرى، يمكن أن يقوم بمصيبة فينزل في بيت واحد مكشوف أو يذهب إلى مسجد مشبوه أو يمسكوه ويصوّروه، فإذا أمسكوه يقولون له: "من أنت؟"، فيقول: "أنا مع فلان"، وأنت آمِن اتصلت المخابرات الإيطالية بالمخابرات الأردنية أو السورية أو غيرها أن فلان جالس في بيته آمن فيكشفه ويخرب بيته!. فمع النظام الدولي سقطت بنية التنظيمات.

إذا أقنعنا الناس أن تحمل اسمًا واحدًا ومنهجًا واحدًا يصبح لنا ترتيب، وقد يقول قائل: "طيب أنا سأعمل فلماذا أحمل اسمكم؟".

نقول له يا أخي اعمل ولا تحمل اسمنا، دعه ينتشر أنه: ضُرب الأمريكان، ضُرب الإنجليز، ضُرب الإيطاليون، ضرب السعوديون، ضرب الروس، ضُربت الحكومة المصرية، ضُربت الحكومة الأردنية، فتصبح هناك حالة من التوتر. حالة التوتر تكثّر من المعتقلين والفارّين، فهؤلاء الذين يفرُّون من الاعتقال يذهبون إلى الجبهات، فيكون هناك موارد للتَّجنيد.

الآن ساحة أفغانستان وساحة باكستان تشكوان من علل كثيرة منها تجفيف المنابع المالية ومنها تجفيف المنابع البشرية!، فالعدد محصور، كان أربعين ألفًا، صار عشرين ألفًا، صار عشر آلاف، صار خمسمائة، صار ثلاثمائة، صار مائة!، فليست هناك مشاكل تحضر لنا مزيدًا من الموارد، هذا الجيل الذي جاء -الدفعة الأخيرة- أنتم أصلًا جئتم من الجيل الأول، فليس هناك شيء جديد لأنّ بُؤر التَّوتر خمدت، فليس هناك أحد يُلاحق، ولا أحد يهرب، فلا أحد يلحق بنا.

فمن جملة الأشياء التي يحاولون أن يفعلوها؛ **تجفيف المنابع البشرية،** أن يدخل لا أحد هذا التيار. فالمشايخ يقولون حرام، والسجون تُعدم، والملاحقات تُمسك، فلم يعد أحد يجرؤ يضع يده معك، أحيانًا يريد ولكن لا يجرؤ من الإرهاب. لأن النظام القديم يُشعره أنه لو وضع يده سيحترق.

فلما أنت تدعو الناس إلى العمل والناس تعمل فتبدأ تُصبح في مشاكل فتتم ملاحقته فيقوم بالهرب فأخوه يتشجع وهكذا، **فنظرية حرب العصابات تقوم على التجنيد بالتأثير**؛ يُقتل شخص فيدخل في التنظيم عشرة، ابن عمه وجاره وصاحبه والذي كان يحبه وتأثّر بهذا الموضوع.

فأهم نقطة هي فكرة التفتيت، فيجب أن يعرف الجميع هذا، **فكلّما زاد العدد زادت الأعباء**. يعني ماذا تريد بتنظيم من خمسين فردًا!؟ بينما أنت حتى تعمل في الإسكندرية وتثير فيها الفوضى عن بكر أبيها تحتاج لثلاثة أو خمسة أشخاص، يعني مجموعتان أو ثلاثة.

فمجموعتان أو ثلاثة يقومون بعمليتين أو ثلاثة وكفى، فهو يعرف كيف يركّب متفجّرات وكيف يرمي وكيف يدرّب، إمّا عن طريق التدريب المباشر، بأن ترسل مُدرِّبين وبالتالي تقيم خلايا على مستوى، وإمّا أن تترك للناس بأن تعدّ نفسها بما تقدر.

أثناء حرب الخليج كنّا في أحد الدول الأوربية، فسُئلت: "كيف نجاهد ونحن غير متدرّبين؟"، فقلت لهم: **الإرهاب إرادة قتال، والإرهاب مَلَكة مثل الفنّ والشعر والموسيقى**. فهناك من يصلح لأن يصبح إرهابيًا، وهناك من لا يصلح، وأغلب الناس يمكن أن يصبحوا بالتدريب ولكن هي ملكة، تجد الكل يرمي على المسدس، ولكن واحد يتفنن في عملية معينة فتجد مخه مخ عصابات.

فقلت له: "هل تريد أن تجاهد؟"، فقال: "نعم"، فقلت له: "هل معك ثمن عشرين لتر زيت سيارات محروق مستخدم؟"، قال: "نعم"، فقلت له: "اشترِ عشرين لتر من زيت واخرج للطريق السريع على المنعطف في المنطقة الفلانية، وارمي عشرين لتر زيت، فالناس سكارى ويقودون على سرعية ٢٠٠، فحتى الصبح ترمي لك مائة سيارة في الوادي".

فقط دون سلاح ولا قالوا ولا قلنا، في حادث ضباب في ألمانيا تشابكت فيه ٣٦٦ سيارة وشاحنة، وهذا أكبر حادث عُرف في السنوات الأخيرة، والذي سبّب الحادث رجل لم يُصَب، كان يقود بسرعة ٢٠٠كلم/ساعة فتهيأ له أن هناك واحدًا يمر، وربّما كان سكرانًا أو محشّشًا، فتوقف مباشرة فدخلت كل السيارات في بعضها بسبب الضباب وعدم وضوح الرؤيا، كُسر الحاجز الذي يفصل بين جهتي الطريق، فخرجت السيارات على الجهة الثانية فدخلت كل السيارات في بعضها. صوّروها من فوق عن طريق الطيران، كأنها مذبحة ومعركة.

فهذا الحادث تستطيع أن تفتعله وتقول: نحن من تسبّب به، ممكن تذهب إلى طريق وتُزيل علامة (ممنوع المرور)، فتدخل السيارات بعكس السير، وإذا تريد أن تتفنّن في القتال فلك ذلك، تحرق سيارات أو تغتال أناسًا، وإذا فقط عندك اثنان معهم سكاكين وعندهم إرادة قتال فكم واحد يستطيعون أن يقتلوا من أوّل الصبح للمساء؟

فقط أحضر اثنان لعبوا رياضة كثيرًا وقل لهم: "هذه سكينتان ومهمتكم أن تذبحوا خمسين واحدًا حتى الصبح"، أو ركّب عبوة وضعها في مرقص فاشرب كأس عصير ثم ضعها واخرج. يعني الذي يريد أن يعمل فسيعمل، فأهمّ شيء وجود إرادة القتال.

والآن دخل عندكم كل اليهود والمطاعم والبلاوي؛ كم واحد في عمان عامل دورات؟ ثم في النهاية تجاوز الإخوة كل هذا وذهبوا ووضعوا عبوة لواحد محقّق فقطعوا له رجليه وذهب فيها أربعة إخوة، جزاهم الله خيرًا ولكن هذا ليس مستوى في التفكير، هؤلاء الأربعة إخوة كان يمكن أن يغتالوا الملك حسين، أو يقوموا بعمليّة محترمة، مثل الإخوة الذي اغتالوا الماسونيين، فهؤلاء فكّروا بطريقة صحيحة. فلاحظ أن الأمور تأتي قليلًا قليلًا، فأحببنا نحن أن نعطي دفعة على طريق التفكر السليم.

تفتيت القضية التنظيمية خلاصتها أنه إذا كان هناك شخص عنده قدرة على أنه ينظّم مجموعة، وكان هناك مُخبر اندسّ معه، فهذا المخبر حتى يأتي بالمجموعات عليه أن يأتي بالشخص الأول، وإذا قبضوا عليه فسيأتون بهم، فإذا خرج هذا الرجل من البلاد فماذا سيستطيع أن يفعل المخبر؟!، فإذا قبضوا على أحد المجموعات وماتت خلية تعمل باقي الخلايا.

فأسلوب العلم هذا هو أسلوب محسوب جدًا بناءً على التجارب العمليَّة والأمنية التي قمنا بها. فبفضل الله –سبحانه وتعالى– اشتغلنا في كلّ هذه السنوات في كذا دولة هنا في أوروبا وغير أوروبا، فبفضل الله –سبحانه وتعالى– جمعنا كل هذه الخبرات وخرجنا مثل الشعرة من العجين، فتراكمت الخبرات؛ خبراتنا وخبرات غيرنا وجلسنا نفكّر كيف نصل إلى سيستم (نظام) بحيث لا يُمسكون بنا.

فوصلنا إلى أنّ سيستم (نظام) التنظيم الهرمي غير ممكن الآن، قرأت قبل فترة قصّة في الجريدة أنّ أحد الإخوة نزل إلى باريس، وقام وفتح تلفونًا لأخ في دولة أخرى، فقبضوا عليه في الطريق، فجاء بالثاني والثالث والرابع، فوضعوا على ظهره ماركة مسجّلة: (تابع لابن لادن) وأخذوه وحاكموه.

وهو لا رأى ابن لادن في حياته ولا هو رآه، خلاص هو جاي من أفغانستان واتصل بواحد، وانظر لمجموعة الأخطاء التي ارتكبها، ترى أنّ كل واحدة منها كارثة:

نزل عند أخ من مسجد معروف، فالأخ مراقب، فروقب الضيف الجديد، فهو أتى بجواز جديد مزوَّر ولكن صوّروه وأخذو بصماته. وهذا سهل جدًّا، يتابعونه في الشارع فيدخل على كافتيريا فيشرب من فنجان قهوة، فيأتي عنصر المخابرات وراءه فيأخذ الفنجان إلى المعمل الجنائي.

فأخذوا بصماته، فبحثوا في الأرشيف فوجدوا أنّه طلب لجوءًا سياسيًا في دولة أخرى، فعرفوا من هو وبمن يتصّل، ومن دائرة تليفوناته القديمة الخاصة، عرفوا بمن يحتمل أن يتصل في هذه الدولة، فحددوهم ثلاثة وأربعة، فانتهت الشبكة وأمسكوها.

فيستطيعون أن يأخذوا بصماتك بمليون طريقة!، والقضية معروفة تستطيع أن تراها في الأفلام البوليسية والجرائد والقضايا وبالتجارب وبالقضايا وبالقصص. ولذلك من جملة المواد التي تُدرَّس لهؤلاء يجب أن نُدرّس مادة نسميها "الثقافة الإرهابية"، فنحكي لهم هذه القصص والحكايات. هذه تفيد جدًّا؛ العمليات الفاشلة والعمليات الناجحة، ولماذا فشلت هذه ولماذا نجحت هذه. والتجارب التي حصلت على مستوى الأفراد، أي إنسان عنده حكاية يأتي لنا بها نكتبها بأصولها وكيف حصلت، فتتركّب عندك مادة ثمينة جدًّا هي خلاصة شغل الناس.

الدوائر التنظيمية لسرايا المقاومة الإسلاميّة الإعلاميّة:

فخلاصة نظرية التنظيم بالنسبة للعمل نختصرها بالرسم التشكيلي التالي:

الفكرة التي في ذهني أنه نحن نعمل ثلاث دوائر للنشاط، الأولى (السريَّة المركزية) ورقمها (١)، الدائرة (٢) والدائرة (٣)؛ فالدائرة الثالثة هي المهمة وهي دائرة الدعوة، وهدفها شباب الأمة الذي يريد الجهاد، فهؤلاء مرتبطون معنا بثلاثة أشياء: مرتبط بالاسم، ومرتبط بمنهج التربية سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فألزم نفسه بمنهج التربية والتزمه، وألزم نفسه بالصيام والقيام والورد وبالجهاد في دفع الصائل. ثم مرتبط معنا في طريقة العمل، ففهم طريقة العمل والإعداد لها، ليس بيننا وبينه أي اتصال آخر.

فسمّى نفسه وبدأ يشتغل تحت نفس المُسمّى، ويشتغل في خلايا ولا يشتغل في التنظيم، فلا نريد كثرة تنظيمات، فيجنّد خليتين ويبدؤون الشغل، لا أن ينتظر خمس خلايا ثم سبع خلايا ثم عشر خلايا ثم يُمسكون كل الخلايا!

لأنّه في علم التنظيمات هناك شيء اسمه (درجة الإشباع التنظيمي)، يعني إذا قرية عدد سكانها ٢٠٠ شخص، فلا تتحمل تنظيمًا بأكثر من ستة أو سبعة حتى لا يكشفهم الأمن ويحسّ بحركتهم وزياراتهم وذهابهم وإيابهم فيعلم أنّ هناك حركة غير طبيعية.

حماة كبر فيها التنظيم وكبر حتى أصبح ٥٠٠ شخص، وكان عدد سكان حماة أربعمائة ألف، ٥٠٠ شخص في مدينة من أربعمائة ألف كثيرون جدًّا، بمعنى أن حركتهم وزيارتهم وأخطاءهم الحركيَّة وتلفوناتهم ووقوفهم على المساجد لا بد أن تترك آثارًا، وباعتباره تنظيمًا هرميًا فيتم كشفه.

فهؤلاء وصلوا إلى درجة الإشباع، يعني كما تصل الرطوبة إلى مرحلة عالية جدًّا فتحسّ أنت أن هناك رطوبة، فعندما يزيد العدد وتزيد الحركة تكتشف أجهزة العدو أنه هناك حركة كثيرة. وهذا حصل معكم في الفترة الأخيرة؛ أنّ هناك حركة في منطقة، مسجد فيه كثير من روحات وغدوات ووقفات وزيارات وحركة كثيفة، فأنت لفتَّ نظر العدو لأنّ هناك حالة إشباع. فيجب أن لا تُوصل النشاط في المنطقة إلى حالة الإشباع، فإذا جنّدت أفرادًا تترك المنطقة وتذهب إلى منطقة أخرى وتدع هؤلاء يشتغلون ويتحركون، فنحن لا ننظّم الناس حتى يذهبوا إلى السجن!

فهؤلاء الناس في هذه الدائرة –دائرة الدعوة– سواء كان واحد أو كانوا ثلاثة أو أكثر؛ إمّا أن يكون الخط بينك وبينه متصلًا من واحد لواحد، فهذا يكون عادة فاهمًا ومتربيًا ومُعدًّا جيدًا، أو أنه وصل بالتأثير عن طريق الكتب والنشرات فتبنَّى أن يدخل في هذا التيار فاشتغل.

المهم مجموعة بواحد ومجموعة من اثنين ومجموعة من أربعين واحدًا، وسنضع له التفاصيل في الكتاب، وعلى فكرة ليس بالضرورة أن يشتغل عملًا مسلح، فنحن سنضع له برامج المقاومة المدنية؛ يعني أن يكتب على الجدران، فقط يكتب على الجدران (يسقط التطبيع وعملاء أمريكا)، أو اطبع منشورًا بهذا المعنى يحرّض الناس في هذا الاتجاه، أو يدعو إلى اعتصام، أو يدعو في المسجد من أجل عالم من العلماء.

فليس بالضرورة أن يكون هناك عمل عسكري ولكن يجب أن تصبح هناك ظاهرة لرفض حالة الاحتلال وتوابعها، وأن يشارك الجميع في هذه القضية. أمّا إذا قرّرت أنّك تريد أن تجاهد في العمل العسكري؛ فتعتبر نفسك من جماعة السلاح الأبيض أو من جماعة العصي أو من جماعة تركيب المتفجرات، فتجمع معلومات وتحاول بطريقة من الطرق أن تصل للعمل.

يعني لنفرض أن هناك واحدًا نشيطًا من هؤلاء الناس ومخه كبير ويظن في نفسه أنه يمكن أن يصبح قائدًا، فهذا يجب أن يلحق من البداية بجبهة من الجبهات لوحده، واحد آمن بالفكرة فيذهب إلى الشيشان لوحده، فيتدرّب ويتعلّم ويفهم، وفي وقت التدريب لا يقول لأحد ماذا يريد ولا من هو، فيأخذ العلوم ثم يرجع لمنطقته ويشتغل، فلوحده يقيم سريته ومجموعته، فتتفتّق عبقريته عن طريق العمل.

فيضع عينه على هدف معيَّن، فيقول مثلًا عندنا في المنطقة الفلانية في دبي عمارة كلها (بارات) و(كازينوهات) يدخلها الأجانب فقط ولا يدخلها أهل دبي، فيها خمر ودعارة وفساد وكذا، وهي عمارة مثل ناطحة سحاب، فيضع في ذهنه أنه يريد أن يُسقطها هي وما فيها من الكفر والخمر والزنا والدعارة. فماذا يلزمه؟ تلزمه سيارة ومعلومات في المتفجرات ولا يملك هذا، فهذا يستطيع أن يذهب ويعدّ ويتعلم حتى يقوم بهذه العملية، ثم يرجع وينفذها لوحده.

فهو إذا أخبرني بها وأخبرك بها وأخبر رجلًا ثالثًا وبحث عن مموّل ليموّل له هذه العملية وآخر لينصح؛ فسنرجع إلى طريقة التنظيم وتنكشف العملية ويُمسك الأخ قبل أن يفعل شيئًا. فعليه أن يتحرك لوحده ويبحث عن ما يلزمه، وأنا أقول أنه لا يلزمه إلا أن يعرف معلومات بسيطة سنوفّرها له ببعض النشرات..

فيذهب ويأتي بعِدَّة أجرار غاز في القبو ويُدخلهم بسيارة الزبالة التي تدخل إلى هذه الناطحة، ثم يعمل (زبالًا) في البلدية ويشتغل لستة أشهر، فيدخل بالسيارة محمّلة بمجموعة من أجرار الغاز، ثم يفتح عشرين جرة غاز مع بعض بحيث يصير في القبو إشباع من الغاز، يضع لهم قضية تضرب شورت كهرباء أو تعطي شعلة كبريت بعد نصف ساعة، فينفجر الغاز وينزل المبنى كله!

فالأمر لا يحتاج إلى متفجّرات ولا إلى سلاح ولا غيره، يقوم بحريق أو يقوم بغريق أو أي قضية بحيث يؤذي هؤلاء الناس، ثم ثلاثة أو أربعة عمليات يُشيع الرعب.

هل تتصوّر لو كل سبعة أو ثمانية أيام وُجد صليبي مذبوحًا في دبي ماذا يصير؟ ويمكن أن يكون الذي يفعلها عامل مسلم وليس من أهل دبي ولا هم يحزنون، أصلًا ما أتصوّر أنه يطلع فيهم -إلا ما رحم الله- أحد يذبح أحدًا. فليس هذا ضروريًا، فأنت تونسي مقيم في سوريا، أو أنت تركي مقيم في المغرب، فإذا صارت عمليات لن تتركّز عيون المخابرات عليك لأنك لست من أبناء البلد وليس عندك أرشيف في المخابرات. فهذه قضية فنون وهواية. أما فقط أن تذهب وتجنّد في المساجد وتقف بعد صلاة الجمعة: "وكيف حالكم يا أخي" وأنت لابس أفغاني!، خلاص كُشفت كل المصيبة والقضية.

إذا التزم أحدهم وقرّر أن يجاهد فأنا أقول له من الآن إذا لم يكن ملتحيًا فلا يلتحِ، وإذا كان يلبس "جينز" لا ينزعه ويلبس "جلابية". اتركه على حاله الذي فيه، ويجوز على أقوال كل العلماء تقليد الكفار في الهدي الظاهر إذا كان لخدمة المسلمين، أو كان عينًا للمسلمين، حتى يجوز لجاسوس المسلمين أن يعلّق صليب ويفعل الكفر، فهي أحكام شرعية لكل الناس.

إذا لم تكن ملتحيًا فلا تلتحِ، ماذا تحتاج من القصة هذه، نحن مكشوفون، أنت الله هداك فتلتحي حتى تنكشف معنا؟! لا تلتحِ، وإذا أنت مُلتحٍ لا تحلق لحيتك؛ لأنه ستلاحظ المخابرات أنك كنت ملتحيًا فحلقت لحيتك ولكن لا تزال تصلي معناها عندك نية، لماذا حلقت لحيتك؟

واحد ملتحٍ دعه ملتحيًا، وواحد غير ملتحٍ فدعه غير ملتحٍ، وواحد بجلابية دعه "بجلابيته"، وواحد "ببنطلون" دعه "ببنطلونه". هذه الثقافة الأمنية يمكن أن ننمّيها عبر المنشورات، فالقضية قضية إرادة قتال. الخلايا يجب أن تكون منفرطة.

فالدائرة (٣) يربطها بنا فقط الاسم ومنهج التربية وطريقة العمل، وأنا تعويلي على الدائرة رقم (٣)، فهي أهمُّ شيء. أمّا الدائرة (٢) فهم أشخاص أو مجموعات لها أمير، أو تنظيم فعلي له أمير وأجهزة ودوائر وعناصر موجود في الساحة، أو اثنان مع بعض، يعني إما مجموعة وإما تنظيم وإما فرد، فهؤلاء بحكم التَّماس بيننا وبينهم بصورة من الصور نُقنعهم بالفكرة، نُقنعهم نحن وأتباعنا وأصحابنا والذين آمنوا بفكرتنا، أو ما يمكن أن نسمّيه (مكتب الإرشاد)، والذي هو دينامو الفكر وتوجيه الفكرة.

فنُقنع هؤلاء كمجموعات أو كتنظيم أو كفرد بهذه الفكرة، فهم يعملون فيها ولو كان عندهم هدف آخر؛ يريدون أن يحرّروا بلدهم أو يقوموا بقضية، ولكنهم آمنوا بأنه إذا ضممنا جهودنا لبعض وأحيينا فكرة المقاومة ممكن نعطيها دفعة.

عوام الناس يمكن أن يعملوا عمليات بسيطة، أمّا هؤلاء فإذا وضعوا عقلهم برأسهم يشتغلون شغلًا جيدًا، فهم مدرّبون ومنظّمون وحركيون، فهؤلاء نُقنعهم بالفكرة، فيكون الارتباط بيننا وبينهم أولًا الاسم نفس الشيء، ثانيًا منهج التربية نفس الشيء، ثالثًا طريقة العمل نفس الشيء، رابعًا هناك أمر مهمّ جدًا وهي التنسيق..

*[٤٥٢] فبالنسبة للدائرة (٢) هم مجموعات؛ مجموعة من عشرة أشخاص مثلًا؛ لهم أمير، لهم نظام، لهم اسم؛ (تنظيم كذا) المجاهد، أو تنظيم (الطائفة المنصورة)، تنظيم (صالح سرية) أو تنظيم (الوطاويط الصفر)، المهم لهم تنظيم ولهم اسم ولهم منهج ولهم أمير =يلتقون معنا بالفهم..

والجماعة متَّفقون معنا على أنَّ هذه الحكومات مرتدَّة، وعلى قتال اليهود والنصارى. فنقول لهم: "طيب تعالوا يا عمي ما هي فكرتكم وماذا تريدون أن تعملوا؟ لنتبادل المعلومات"، فاقتنعوا في الآخر أن يضمّوا جهدهم في هذا الجهد، إما كليًّا وإما جزئيًّا ليساعدوا في إحياء هذه الفكرة لتحريض الأمة، بحيث نشتغل في نفس الاتجاه.

هؤلاء الناس ليسوا مرتبطين بنا تنظيميًّا، لا يزالون مرتبطين بأميرهم، وهم ينظّمون أمورهم وأفكارهم لوحدهم، ويخطئوا ويُصيبوا، يمكن أن يأخذوا معنا دورة، يمكن ندرّبهم ونخرج للخط مع بعض، فهذا اسمه (مخطَّط التنسيق)، فهذا زيادة عن ما بيننا وبين عموم الأمّة لأنَّه توجد بيننا وبينهم صِلة.

فالآن من أهم مخطَّطات التَّنسيق أن نتَّفق معهم على تثبيت أفغانستان ووجودنا فيها، هذه من الأشياء التي ننسق فيها. ومن الأشياء التي يجب نتَّفق معهم عليها أن يُوافقوا معنا على الجبهات، أنَّ علينا أن نساعد أهل اليمن والشام والمغرب والبلقان لتصبح جبهات، كل واحد حسب قربه من المناطق التي فيها جبها.

وقد نلتقي معهم على جبهة محدَّدة، أنّنا نحن وأنتم سنتعاون معكم في مصر والشام، ومن خلال الترتيب نختار ثلاثة أو أربعة ليتعاونوا في شمال إفريقيا، ولكن كلنا نمارس عملًا إرهابيًا باتجاه اليهود والنصارى والأمريكان وكلنا نسميه (مقاومة إسلامية عالمية)؛ حتى نشجّع الدائرة (٣).

---

[٤٥٢] بداية تفريغ الملف الواحد والأربعين والأخير.

فعندما تقوم أنت أو أصحابك بعملّة تتبنّاها هكذا؛ لأنك بالنسبة لهدفك الأساسي لست بمرحلة الإعلان الآن، أنت تريد أن تُجاهد مثلًا في جزر القمر فلست في مرحلة الإعلان الآن، فعليك أن تساهم في دفع الصائل بهذا الاسم بينما أنت مستمر في مخططك في جزر القمر.

فهذه المجموعات يربطنا بها **مخطَّط تنسيق عمل**، وتربطنا بها قضية خامسة: **تعاون مادي**؛ فنحن كلنا نريد الجهاد، فإذا هو غَنِم فعليه أن يساعد الذي لم يغنم، وإذا جماعة ميزانيته كبيرة يساعد الذي ميزانيته ليست كبيرة، حتى نُحيي دفعة تحريض المسلمين باتجاه دفع الصائل. يعني أنا لو أغنم الآن غنيمة وأُخرج منها العشرين بالمائة فأعطيها لعشرة أو خمس عشر سريّة يمكن أن يعملوا في هذا الاتجاه، بدل أن يبدأ من الصفر يبدأ من إمكانية مادية محدَّدة.

فهؤلاء بيننا وبينهم نفس الشيء: اسم وتربية وطريقة عمل، وزيادة عليها: مخطط تنسيق عمل، من هذا التنسيق تنسيق عسكري وتنسيق مادي وتنسيق في التدريب وتنسيق بأفكار العمليات، وتنسيق أن نخرج إلى الخط مع بعض إلى آخره.

يعني نحن الآن بأفغانستان عندنا خطوط مع الطالبان، هذا يُعطينا فائدة ويعطيهم فائدة، فنعمل في هذا المحور حتى نرفع إمكانياتنا كلنا مع بعض، فوجودك معي يرفع إمكانيتي ويرفع إمكانيتك، وهذه الإمكانيات تنعكس عليَّ وعليك فتتأثر أنت وأنا، ولكن العلاقات بيننا وبينهم ليست علاقات مع أفرادهم بل علاقات مع أميرهم، وهم عملوا اتصالًا وتلقوا الفكرة والتربية والفائدة.

فالدائرة (٢) هي دائرة التنسيق، والدائرة رقم (١) هي دائرة (نظام وتنظيم)؛ وهذا كله أنا سميته (نظام عمل) وليس (تنظيم عمل)، فهناك: (عمل بالتنظيم) وهناك (عمل بالنظام)؛ فنحن نعمل في نظام، في الدائرة (٣) والدائرة (٢) هو عمل نظام؛ طريقة في التفكير، طريقة في المنهج، طريقة في التربية، طريقة في العمل.

أما الدائرة (١) فيجب أن تكون العلاقات فيها: (نظام وتنظيم) في آن واحد، لماذا؟ لأنه يُدير عملًا، يقول لواحد أنت عملك في النشرة تأتي الساعة التاسعة وتذهب الساعة العاشرة، فهناك أمر ونهي وترتيب، أنت تذهب للخط وأنت تقعد، أنت تراسل وأنت تدرّب هؤلاء وأنت تعمل نشرة، وهكذا.

خاصة أنَّ عليه أن يتبنَّى قضية مركزية، القضية المركزية هي قتال اليهود مثلًا، وإحياء فكرة (نزَّاع القبائل) (الظاهرين على الحق) يقاتلون في (بيت المقدس وأكناف بيت المقدس). فالقتال في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس هو قتال نزَّاع

قبائل لا يعتمد جنسيَّة معيَّنة، القتال في اليمن لا يعتمد جنسيَّة معيَّنة، يعني الذين يُقاتلون في اليمن متعدِّدو الجنسيَّات ولكن اتَّفق لهم أن يعملوا في اليمن، بسبب أنه اقتنع بهذه المعركة، أو بسبب ظروفه، أو زوجته يمنية، أو اشتغل سابقًا في اليمن، أو مقتنع بالبشارة بجيش عدن أبين، فذهب يعمل بهذه القضية.

وبالنسبة لنا سنتوجَّه هذا التَّوجه وهو: تثبيت أفغانستان، مساعدة الجبهات الأخرى، التفرُّغ لجبهتنا التي نريد أن نعمل فيها، ثم توجيه المسلمين إلى قضية المقاومة الإسلامية العالمية. وهذا يحتاج نشرات، ويحتاج برامج، ويحتاج أفكارًا ويحتاج ترتيبًا، هذه دعوة لا أعلم إذا كنا سنستطيع القيام بها، أو سنقطع فيها مترًا أو مترين، هل سنتمكن أو لا نتمكن من العمل عليها، انقلبت أفغانستان لا قدَّر الله، الله أعلم، فالجذر الأساسي للدعوة هو دائرة (٣). فهنا نتعاون مع الناس ولا ندري كم من الناس سنقنعهم، هذا مشوار لا ندري كم سنقطع فيه، فهو توفيق من الله -سبحانه وتعالى-.

من بداية العمل إلى الآن قطعنا مسافة لا بأس بها، ولكن الدعوة الأساسية هي الفكرة، هي المنهج، هي طريقة التربية، هي تحريض المسلمين على أنه يلتحقوا بالجبهات أو يقوموا بممارسة الإرهاب، فإذا التحقوا بالجبهات سيلتحقون بها تحت مسمى الجبهات وأمراء الجبهات، إذا مارسوا الإرهاب فنقترح عليهم اسمًا ومنهج تربية وطريقة عمل حتى تتوحَّد الجهود ضمن نظام وليس ضمن تنظيم، هذه خلاصة الفكرة فيما يتَّسع للشريط، وهناك تفاصيل أخرى للشرح وللتوضيح لا يمكن أن نضعها في الشريط.

انتهينا الآن من الفصل الثامن، واستعرضنا فيه نظرية الفكرة والنظرية العسكرية وإلى آخره؛ فالمادة تُشكّل ثقافة عامة، سواءً الواحد عمل بهذه الطريقة أو عمل بغيرها فهو أخذ مادة تفيده بطريقة التفكير.

الفصل التاسع: استشراف المستقبل وأنوار البشائر على أعتاب نهاية التاريخ الحقيقية

الفصل التاسع سأختصره، لن أشرحه الآن في الشريط لأننا أطلنا كثيرًا جدًّا، أعطيكم خلاصته فقط، والتفصيل -إن شاء الله- في الكتاب.

الفصل التاسع وهو خاتمة عمليًّا، عنوانه: **استشراف المستقبل وأنوار البشائر على أعتاب نهاية التاريخ الحقيقية.**

الأمريكان عندما انتصروا على (حلف وارسو)، أصدر أحدهم كتابًا أسماه (نهاية التاريخ)، فزعموا أنهم أصبحوا يحكمون العالم لوحدهم، ولم يعد هناك صراع، والتاريخ هو الصراع فما بقي أحد نتصارع معه فهذه نهاية التاريخ.

ثم وجدوا أن التاريخ لم ينتهي، فوضعوا نظرية اسمها (صراع الحضارات)؛ أنَّ الأرض لا تتَّسع لحضارتين فهم يجب أن يُصارعوا حضارة أخرى ويُنهوها، والآن وجدوا حضارة الإسلام، فالصّراع حتميٌّ بين الحضارة الصليبية اليهودية وحضارة الإسلام.

وهذا تصوُّر صحيح؛ نحن موافقون عليه ونقبل التَّحدي، ونقول نحن الآن في حالة صراع حضارات فعلًا، حضارة الإسلام تُصارع النظام العالمي الجديد، قناعتنا والبشائر عندنا أنَّ هناك معارك وملاحم كثيرة بيننا وبينهم، النبوءات الموجودة في كتب النصارى وكتب اليهود والنبوءات الموجودة عندنا تقريبًا متَّفقة في المناحي العامة، وهي أنَّ هناك لقاءً بين النصرانية واليهودية من طرف والإسلام من طرف، ومعارك فاصلة وملاحم فاصلة، نحن لا نصدّق ولا نكذّب بما ورد عندهم لأنها تقريبًا متَّفقة في نفس الاتجاه مع ما عندنا، ولكن لنا بالذي عندنا.

الذي عندنا مفاده أنه ستقوم خلافة في آخر الزمان قال الرسول ﷺ: (تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ

أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ)[٤٥٣].

وفي حديث آخر عن حذيفة قال: (يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ)[٤٥٤].

والأحاديث كثيرة مفادها أنه في آخر الزمان يقوم المهديّ من آل بيت الرسول ﷺ يوافق اسمه اسم الرسول ﷺ واسم أبيه اسم أبيه ويملأ الدنيا عدلًا بعد أن مُلئت جورًا وظلمًا، هذا مختصر معاني الأحاديث لا أحفظها الآن بالنص، – نثبتها بنصها إن شاء الله في الكتاب–.

والمهدي حسب مُجمل الآثار –والله أعلم– يسبق خروج الدجال بفترة قصيرة جدًّا، والثَّابت أنه يتعاصر مع الدجال. وعند النصارى ينتظرون الدجال في آخر الزمان لينزل عليهم ويُقيم مملكة الصليب، وعند اليهود ينتظرون الدجال ليكون آخر ملوك بني إسرائيل، وعند الشيعة ينتظرون أن يخرج فيهم المهدي على طريقتهم وعلى مبادئهم وعقائدهم، فيبدو في آخر الزمان أننا نسير باتجاه هذه الأمور.

هذا له علامات جعلها الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة، فمنها ما بدأ يظهر، من آخرها ما سمعنا به البارحة وهذا ما يوافق حديث الرسول ﷺ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ، تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو)[٤٥٥]. فالمؤشّر يُشير إلى أنَّ هذا النهر ظهر فيه هذا، وهو من علامات الساعة ومن علامات قرب ظهور المهدي.

---

[٤٥٣] مسند الإمام أحمد (١٨٤٠٦).

[٤٥٤] صحيح البخاري (٣٦٠٦).

[٤٥٥] صحيح مسلم (٢٨٩٤).

ومن العلامات أن ينزل الدجال ويطوف كل مدن الدنيا ولا يدخل مكة والمدينة، فمن الأحاديث هناك حديث يقول أن الدجال ينزل على جبل، وذكر جهيمان هذا الجبل في رسائله، يقول الرسول ﷺ: (يأتي الدجال المدينة فلا يدخلها فينزل على جبل من جبالها ثم يقول للناس انظروا قصر أحمد الأبلق)[٤٥٦]، يقصد الفضي المائل إلى البياض تقريبًا.

جبل الدجال معروف في المدينة، يتعارف الناس هناك في المدينة أن هذا جبل أحد وهذا جبل الجن وهذا جبل كذا، وجبال المدينة معروفة ولها أسماء، ومنها (جبل الدجال)، جبل الدجال هذا منه يُشرف الدجال على المسجد النبوي ويقول لأصحابه: (انظروا قصر أحمد الأبلق)، يعني الأبيض.

فذكر جهيمان أنَّه بعد توسعة الحرم المدني أصبح من طرف لونه أحمر ومن طرف لونه أسود ومن طرف أبيض، فمن المعجزات أنه من طرف الجبل فعلًا مبنيّ بحجارة من اللون الأبلق، فأشار جهيمان أن هذا كان من المتوافقات، وهم وسّعوه دون قصد ولكن فعلًا كان من جهة الجبل باللون الذي ذكره الرسول ﷺ.

فذكر لنا إخوة ممن يدرس الحديث في الجامعة الإسلامية في المدينة أنَّ هناك حديثًا في صحيح ابن خزيمة، أنا لم أقرأه ولكن قالوا أنَّ هناك تفصيلًا لهذا الحديث، الرسول ﷺ ذكر أن الدجال ينزل فعلًا في جبل من جبالها، ولكن في إضافة في هذا الحديث يقول: (في قصر يقال له القصر الأبيض)، وفعلًا جبل الدجال بنى عليه الملك فهد قبل عدة سنوات قصرًا، أسماه قصر الزهراء، وبناه بالمرمر الأبيض، وجعل النيون على الطريق الدائري أبيض، فالقصر من بعيد في الليل تراه أبيض، فأهل المدينة اصطلحوا فعلًا على اسمه (القصر الأبيض)، مع أن اسمه (قصر الزهراء)، وهذا من معجزات الحديث أن الرسول ﷺ ما قال: في قصر اسمه القصر الأبيض، لأنَّ اسمه قصر الزهراء، ولكن قال: (في قصر يُقال له القصر الأبيض)، وفعلًا أهل المدينة يسمّونه القصر الأبيض[٤٥٧].

فلما وقع الناس على الحديث وأنَّ آل سعود وآخر ملوكهم جهَّز الآن القصر للدجال، فهو قد قرُب عصره وقرُب وروده، فذهبوا إلى المعمّرين وسألوهم: هل هذا الجبل فعلًا هو جبل الدجال؟ فقالوا: نعم، هذا الجبل المبني عليه القصر

---

[٤٥٦] لم أجده، وقد أخرج أحمد في مسنده (١٨٩٧٥) عَنْ الرسول علَيْهِ الصلاة والسلام: (..يجيء الدَّجَّالُ فَيَصْعَدُ أُحُدًا، فَيَنْظُرُ إِلَى الْمَدِينَةَ، فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَتَرَوْنَ هَذَا الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ؟ هَذَا مَسْجِدُ أَحْمَدَ ثُمَّ يَأْتِي الْمَدِينَةَ، فَيَجِدُ بِكُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكًا مُصْلِتًا، فَيَأْتِي سَبْخَةَ الْجُرْفِ، فَيَضْرِبُ رُوَاقَهُ، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ، وَلَا مُنَافِقَةٌ، وَلَا فَاسِقٌ، وَلَا فَاسِقَةٌ، إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ يَوْمُ الْخَلَاصِ) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

[٤٥٧] لم أجد هذا الحديث.

هو فعلًا جبل الدجال، والناس نسيت اسمه من عشرين سنة فقط وإلا كنا نسميه جبل الدجال، فبنوا عليه القصر، فهذا من علامات خروج الدجال.

ومن علامات قيام الساعة والاقتتال والملاحم والفتن، أنَّ أهل الحق لهم ثلاثة أمكنة للاجتماع: اجتماع في **خراسان**، ومن خراسان يكون سواد جيش المهدي، وهناك ثلاثة أحاديث، الثلاثة متَّفقة على أنَّ عسكر المهدي الذي ينصره هو من جند خراسان، أو يكون قوَّة من خراسان تنصره.

وفي بعض الأحاديث أن المهدي يكون خروجه في خراسان ثم ينتقل إلى الشام، أو أنه يُبايع من المدينة[٤٥٨] وينتقل إلى الشام، المستفاد منه أن المهدي إما أن يخرج في خراسان أو يخرج في المدينة أو يخرج في مكان آخر ويُحمل إلى المدينة ويُبايع هناك، والثابت أنه يتجَّه ويكون ملكه وفسطاط المسلمين في دمشق، قال الرسول ﷺ: (الْمَلْحَمَةِ الْكُبْرَى فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ، بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا الْغُوطَةُ، فِيهَا مَدِينَةٌ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ، خَيْرُ مَنَازِلِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ)[٤٥٩]، هذا في بعض الآثار.

الجمع الآخر في **اليمن**، طبعًا أحاديث اليمن معروفة، ونحن سنحاول أن نجمع بعض هذه الأحاديث حتى نخرج –إن شاء الله– بمادة نستفيد منها؛ اعتقادًا لما نحن فيه، ونستفيد منها تلمُّس أخبار آخر الزمان، فهناك جمع للمسلمين في عدن أبين، قال الرسول ﷺ: (يَخْرُجُ مِنْ عَدَنِ أَبْيَنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، يَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ، هُمْ خَيْرُ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ)[٤٦٠].

فهناك جمع للمسلمين في اليمن، وجمع للمسلمين في **الشام**، وجمع للمسلمين في خراسان، وأحاديث الطائفة المنصورة جمعتها ربما ستة عشر أو سبعة عشر رواية تحت مسمى (الطائفة المنصورة)، وهناك أحاديث الغرباء، وأحاديث الغرباء تُفيد أن الغرباء هم الطائفة المنصورة، ولهم صفات قرأتها في أحاديث الغرباء في المقدمة. وأما الطائفة المنصورة فيجتمعون على القتال، ومن صفاتهم قال: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الدَّجَّالَ)[٤٦١]. وفي بعض الروايات قال: (هم في الشام). وفي بعض الروايات قال: (ببيت المقدس

---

[٤٥٨] المروي أن المهدي يبايع في مكة المكرمة، أخرج أبو داوود في سننه (٤٢٨٦) عن النبي ﷺ قال: (ثم يكون اختلاف ثم موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام...).

[٤٥٩] مستدرك الحاكم (٨٤٩٦)، قال الذهبي صحيح.

[٤٦٠] مسند الإمام أحمد (٣٠٧٩).

[٤٦١] مستدرك الحاكم (٨٣٩١). قال الذهبي: على شرط مسلم.

وأكناف بيت المقدس)[٤٦٢]. أكناف بيت المقدس يعني مثلث: (دمشق- عمَّان - بيت المقدس) هذه المنطقة حدود القدس.

ولذلك -إن شاء الله تعالى- اخترنا أن يكون هذا هو موضوعنا وهذا عملنا، وإن شاء الله قريبًا بإذن الله وتيسيره، وسمينا المعسكر (معسكر الغرباء)، وسأُصدر نشره سأسميها (قضايا الظاهرين على الحق) استئناسًا بالحديث، الظاهرون على الحق هم أهل الجهاد في هذا الزمان فنتتبَّع أخبارهم؛ في اليمن وفي السودان وفي داغستان وفي أفغانستان، ثم نحاول أن نوفِّر المادة التي تدعو لهذه الفكرة، حتى إذا وفَّقنا الله -سبحانه وتعالى- وكانت لنا إمكانية لأن نجاهد فسنحاول أن نجاهد في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس.

هم ليسوا أهل الشام، ليسوا أهل فلسطين، ليسوا أهل بيت المقدس، هم كما قال الرسول ﷺ: (النزَّاع من القبائل)[٤٦٣]، اجتمعوا على قتال اليهود وقتال النظام الدولي، والطائفة المنصورة اتَّفق العلماء على أنها متفرّقة ليست محدودة بزمان وليست محدودة بمكان، فكل من يقاتل هذا النظام الدولي على ثغرة من الثَّغرات نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يكون ضمن الطائفة المنصورة، ولكن مفاد الأحاديث كلها أنهم يجتمعون في آخر الزمان إلى المهدي ويكون قتالهم في الشام، ثم ينزل الدجال بأصحابه أيضًا وينتصر على المسلمين في ثلاث معارك كما في بعض الآثار، منها في مجمع البحرين ومنها في أطراف الجزيرة، ثم يحصر الدجال أهل الإسلام إلى دمشق.

ففي بعض الآثار التي وقفت عليها أنَّهم ينحصرون في مكان (حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ)[٤٦٤]، يعني المال ما عادت له قيمة المشكلة أن هناك حصارًا وليس هناك طعام، فالحديث مهم جدًّا، يقول الحديث: (حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى مَتَى أَنْتُمْ هَكَذَا وَعَدُوُّ اللَّهِ نَازِلٌ بِأَرْضِكُمْ هَكَذَا، هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا بَيْنَ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ، بَيْنَ أَنْ يَسْتَشْهِدَكُمُ اللَّهُ أَوْ يُظْهِرَكُمْ، فَيُبَايِعُونَ عَلَى

[٤٦٢] مسند الإمام أحمد (٢٢٣٢٠) ضعّف الشيخ شعيب الأرنؤوط هذه اللفظة فقال عن الحديث: " حديث صحيح لغيره دون قوله: "قالوا: يا رسول الله، وأين هم، قال ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس"، وهذا إسناد ضعيف لجهالة عمرو بن عبد الله السَّيْباني الحضرمي".

[٤٦٣] انظر سنن ابن ماجه (٣٩٨٨) ومسند أحمد (٣٧٨٤).

[٤٦٤] صحيح مسلم (٢٩٣٧)، والرواية تتحدث عن حصار يأجوج ومأجوج للمسلمين في الطور.

الْمَوْتِ بَيْعَةً يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهَا الصِّدْقُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ تأخُذُهُمْ ظُلْمَةٌ لَا يُبْصِرُ امْرُؤٌ فِيهَا كَفَّهُ، قَالَ: فَيَنْزِلُ ابْنُ مَرْيَمَ)[٤٦٥]، الحديث مهم جدًّا، أنهم بعدما عزموا وتبايعوا وقرروا أن يخرجوا نزل عيسى، ولم ينزل عيسى قبل هذا.

هكذا نصّ الحديث أحفظه بالمعنى إلا هذا القسم أحفظه بالنص[٤٦٦]: (فَيُبَايِعُونَ عَلَى الْمَوْتِ بَيْعَةً يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهَا الصِّدْقُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ)، فينزل عيسى بن مريم بالمواصفات المعروفة: بيده الحربة ويقطر شعره من الماء مثل اللؤلؤ، فيكونوا قد وقفوا لصلاة الفجر، ففي الحديث المعروف بروايات عديدة: يُقدّمه أمير المسلمين فيقول سيدنا عيسى: أنتم أئمة، الحديث لا أحفظه بالنص، تكرِمة لهذه الأمة، فيؤمُّه المهدي، ثم بعد ذلك تقع الملاحم، فيقتل عيسى بن مريم –عليه السلام– الدجال، ثم ينتشر الإسلام، وتخرج خيرات الأرض.

وفي أحاديث أخرى أن الإسلام يدخل الأرض كاملة ويحكمها سبع سنوات، ثم يموت عيسى بن مريم الموت الحقيقي ليس المزعوم الذي زعموه، ويُدفن حسب بعض الآثار في المكان الفارغ في حجرة الرسول ﷺ، فهناك قبر الرسول ﷺ وأبي بكر وعمر ومكان قبر، ومكان هذا القبر بقي فارغًا، حتى قيل لعمر بن عبدالعزيز –رضي الله عنه– لماذا لا تستأذن وتُدفن في هذا المكان؟ قال: "لأن تُضرب عنقي أهون عليَّ من أن أظن نفسي أهلًا بهذا الموقع"، فبقي المكان فارغًا، ويُقال حسب الآثار أنه عيسى بن مريم يُدفن فيه.

فالشاهد هذه الآثار الكثيرة ينبغي أن نجمعها، ومفادها جميعًا أنَّ أهل الحق يجتمعون في الشام وفي خراسان ويكون لهم جمع في اليمن، ثم بعد ذلك تؤول القضية بأن يكون هناك قتال في الشام.

فنسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يكون تجمعنا هنا أحد اجتماعات الحق، معظمنا جاء إلى هنا اضطرارًا وبعضنا جاء اختيارًا وبعضنا جاء قدرًا دون تفكير، فاجتمعنا في هذا المكان، فهو مقدمة –إن شاء الله تعالى– ليكون أحد اجتماعات الحق.

ففي ظل المشاهد نريد نعقد فصلًا ننهي فيه الكتاب، لأنَّ النبوءات الشرعية في كتبنا وكتب أهل الكتاب توافق التحليل السياسي، وتوافق الوضع العسكري؛ يهود خراسان ويهود أصفهان ويهود منطقة وسط آسيا في مذهبهم يحرم عليهم الهجرة إلى إسرائيل، عكس كل يهود العالم، لماذا؟ لأنهم يُعلنون أنهم السبط –يعني بطن من الأسباط– الذي سيخرج

---

[٤٦٥] جامع معمر بن راشد (٢٠٨٣٤).

[٤٦٦] وقد نقلنا نحن نص الحديث كما جاء في جامع معمر بن راشد.

فيهم آخر ملوك بني إسرائيل، هم ينتظرون الدجال في هذه المنطقة، والدجال يخرج هنا فعلًا والحديث: (يتبعه سبعون ألفًا من يهود أصفهان)[٤٦٧]، ويهود أصفهان باقون ويهود ترمذ باقون ويهود تركمانستان باقون هنا ينتظرون هذا الخروج؟

فلذلك هذه الملاحم التي نحن بصددها تحتاج عزيمة ونتفاءل بها..

هذا كان ختام البحث، فأعتبر أننا -إن شاء الله تعالى- انتهينا من الاستعراض السريع لهذه الأفكار، وكما قلت معظمها قضايا مطروحة للنقاش ولتشغيل العقول، فهي من قضايا الرأي والحرب والمكيدة..

وأعود أكرّر: ما كان من صواب فهو من توفيق الله -سبحانه وتعالى-، وما كان من خطأ فهو مردودٌ عليَّ، ومن الشَّيطان ونفسي القاصرة..

والسلام عليكم ورحمة الله..

وجزاكم الله كل خير..

تمت المادة بفضل الله عز وجل وكرمه ..

[٤٦٧] في صحيح مسلم (٢٩٤٤) عن النبي ﷺ: (يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ).